DAMAGE BOOK

text cut book and
pages missing book and
flying text within the
book only.

uneven pages book and

قصة

فيروزشاه

بقلم نخلة قلفاط

عُفي عنهُ

عارفًا باحاديث الاولى سلفوا   يزيدك العرف آدابًا على ادب

نفع عميم لست تدركهُ   بدا بما اغمضته سالف الحقب

مجلد ثالث

بيروت سنة ١٨٨٥

نية قبض عليهِ تمرتاش وجاء بهِ اسيرًا ذليلاً واذا كان عن خوف منهُ فلا بد ان يعود الى خدمة الملك قيصر ويأتي بعساكره الى خدمتهِ وخوفك من الموت فذلك خطأ لان الاجل محتوم والموت بيده تعالى فلو شاء موتنا عن يد الفرس لكان رمانا بيدهم منذ كانوا في نعزاء اليمن غير ان الله يرغب في بقانا فاينما سرنا نسير بالاكرام والتبجيل نفعل بسط الملوك الكبار ونقيم في قصورهم وعلى خدمهم وموائدهم فيعرفون لنا مقامًا ويراعوننا ويرغبون في التقرب منا والانتساب الينا اليس ذلك من اسباب التوفيق بخلاف الملك ضاراب وولده فيروزشاه ورجالها فانهم وان كانوا يتوفقون الى النصر والظفر انما بعد العذاب والقهر لانهم يقيمون على التراب في الخيم عرضة لحرارة الشمس والبرد والتشتيت من مكان الى مكان . وعندي ان الله عزَّ وجل يقصد هلاك هذه الطائفة وعذابها فيرميها بالاخطار حتى تصبح على شفير الخراب ثم يلم شعثها ويجمعها ويظفرها على قصد ان يلقيها بخطر اعظم تطويلاً لعذابها فكل ما لاقوه في مصر كان ويلاً وعذابًا لا يحسب النصر الذي احرزوه بشيء مقابلها وسوف ترى بعينيك صدق ما اقوله لك فسكت الشاه سرور قانعًا بكل ما سمعهُ من وزيره طيفور غير انهُ قال لهُ ان مرادي ارسل هلال العيار الى ملاطية فيكتشف لنا اخبار سيف الدولة وما يكون منهُ ويبقى هناك الى حين مجيء الملك ضاراب عساه يقدر ان يعرف ما كان من امر عين الحياة وما جرى لها مع فيروزشاه لانها بدون شك لم تقبل ان تزف عليهِ او لم تقع في يده والا لو قبلت او وقعت في يده لكان تزوج بها واستغنى عن المجيء الى هذه البلاد لان لا مطمع لهُ ببلاد قيصر ولا صالح يرجو منها . قال طيفور ان مجيئهُ لابد منهُ لان عداوتهُ لنا وبغضهُ الالدين جعلاه يقتفي اثرنا اينما سرنا للانتقام منا فهو مصرٌّ على هلاكنا ولذلك تراني احب ان ابعدك عنهُ ولا اوافقك على مصالحتهِ وتسليم نفسك اليهِ وهو كمن لنا الشر واما زواجهُ بعين الحياة فهو بدون شك لم يتم والدليل سرعة مسيره عن مصر في اثرنا لانهُ لو زف عليها لوجب عليهِ لعمل العرس ان يصرف اياماً واشهراً فابعث بهلال يستعلم لنا العلم اليقين ويأتينا بخبر عين الحياة كما اشرت

ثم ان الشاه سرور استدعى بعياره هلال وقال لهُ اريد منك ان تذهب الى ملاطية وتنظر لنا ما كان من امر صاحبها وتستخبر عما كان من امر عين الحياة وفيروزشاه ولا تعود الينا الا بالخبر الصريح فوعده بكل خير وودعهُ وذهب يقصد ملاطية ولا زال مجدًا في مسيره الى ان وصل في ثاني يوم دخول تمرتاش اليها وصادف انهُ وسع في الفلاء فابعد في طريقهِ حتى صعد ظهر اكمة لانهُ كان يجهل حقيقة موقع المدينة فنظر عن بعد فراها فاتجه اليها وما سار الا القليل حتى حانت منهُ التفاتة فرأى عن بعد رجلاً رومانيًا خرج من مغارة وتدرج الى السهل فخطر لهُ ان يقصده الا انهُ امتنع واختبى خلف شجرة وقال من الواجب ان اسير الى تلك المغارة وانظر ماذا كان يفعل فيها فلا بد من ان يكون هناك سرٌّ بما تهمنا معرفتهُ وكان ذلك الرجل الروماني هو بهرمز لانهُ لم يعرفهُ عن

بعد ولا خطر في ذهنهِ انهُ ياتي هذه البلاد وحده . فصبر عليهِ الى ان بعد فجاء المغارة وكان لابسًا ملابس درويش الى ان قابلها فنظر الى داخلها فراى سيف الدولة وعين الحياة فعرفها حق المعرفة وكاد يطير من الفرح . الا انهُ لم يظهر على نفسهِ شيئًا من ذلك واظهر انهُ يقصد المرور من تلك الجهة . فلما راتهُ عين الحياة قالت لسيف الدولة ادعُ لنا هذا الدرويش فلا بد ان يكون معهُ قوت نقتات بهِ فنسد رمقنا الى حين مجيء بهروز بالطعام . فصاح سيف الدولة بهلال وقال لهُ احضر الينا قليلاً فاننا نحتاجك . قال دعوني فاني درويش وليس معي شيء واني آتٍ الى بعض المغائر اعبد الله واصلي فيها فهل انت من قطعة الطرق لادعو الى الله ان ينتقم لي منك ويخلصني قال ليس انا كذلك بل مرادنا كسرة خبز فاننا جياع وعليك منا الامان وقد اوصاكم الله بعمل الخير لانكم رجالهُ الاخصاء فتقدم الدرويش الى باب المغارة وقال ماذا تريدون فان لا خبز معي لاننا نحن الدراويش لا ناكل الخبز فقال لهُ ماذا تاكلون وبما تعيشون . قال اننا نصطنع حلاوة يقال لها الحلاوة المنعشية فاذا جاع احدنا لعق لعقة باصبعهِ فيشبع شبعًا كاملاً كانهُ اكل خروف فقالت عين الحياة بالله عليك يادرويش الخير اعطني من هذه الحلاوة وخذ مني هذا الخاتم الماس فاني لا املك غيره ثم نزعت الخاتم من اصبعها ودفعتهُ اليهِ وسالتهُ تعجيل الحلاوة لانها في حالة النزاع من الجوع فرد اليها الخاتم وقال لها ابقيهِ معك فاننا لا نحمل مالاً ولا جواهر ولا نرغب الا فيما يرضي الله واني اعطيكم جميعكم من هذه الحلاوة فتشبعون وتشكرون الله تعالى . ثم اخرج من كشكولهِ قطعة من هذا المعجون مشغلة بالبنج فقسمها الى اربعة اقسام ودفع لكل منهم قسمًا فتناولوها بلهفة واكلوها وما لبثت ان استقرت في بطونهم حتى قلبوا الى الارض كالاموات من فعل البنج فخاف هلال من رجوع الرجل الذي راه خارجًا من المغارة ولذلك عول على نقلهم من ذلك الموضع فحمل عين الحياة وسار بها الى مغارة كان قد راها في طريقهِ في ظهر الاكمة التي صعد عليها ثم جاء فاخذ سيف الدولة وقهرًا وزوجة سيف الدولة ولما راى ان لا احد راهُ فرح فرحًا لا يوصف بنجاح مسعاه وانطلق يجري الى المدينة وقد تاكد عنده ان المدينة فتحت وسيف الدولة هرب ومعهُ قهر احد بهلوانية بلاده وبقي سائرًا الى ان وصل الى الجيش وهو خارج عن المدينة في الخيام فقصد صيوان تمرتاش فقرب منهُ وهمس في اذنهِ وامر ان يعطيهُ عشرين فارسًا لياتي بسيف الدولة وقهر وعين الحياة فلما سمع تمرتاش هذا الكلام ارتاع وسال الدرويش من يكون فاظهر لهُ نفسهُ وحكى لهُ سرًّا كل ما راه في الطريق وانهُ وضع اسراءه في مغارة ويخاف من ان ياتي احد فيخلصهم فامر لهُ بالفرسان الذين طلبهم فساروا معهُ وكان تمرتاش في قلق واضطراب عظيم من فرار قهر ولا يعلم من الذي تجاسر وخلصهُ ولم يعلم احد ما هو سبب خلاصهِ بل اخبروه انهم وجدوا الصيوان مفتوحا من قفاه وعلى مقربة منهُ القيود مقطعة وملقاة الى الارض واغتاظ من ذلك الى ان جاءه هلال

قال وسار هلال بالذين معهُ الى المغارة التي كان وقد وضع بها عين الحياة ورفقاءها فوجدهم لا يزالون على حالتهم فايقظهم بضد البنج فاستيقظوا وارتاعوا عندما شاهدوا انفسهم محاطين بفرسان الرومان ولاسيما عين الحياة فانها كادت ان تغمى عندما شاهدت هذه الحالة وقد تكدرت مزيد الكدر وتمنت ان تقتل نفسها فتقدم منها هلال العيار وقبل يديها وقال لها لا تتكدري ولا تغضبي فان اباك بعثني لافتش عليك وبالقضاء والقدر رايتك في تلك المغارة وانا لابس ملابس الدراويش فلم يعرفني احد منك ولا ريب ان سيدي اباك يسر سرورًا ما بعده سرور اذا عرف بانك هنا فما كلمتهُ ولا ابدت خطابًا بل اذرفت دموع التحسر والندامة وثبت لديها انها ستذهب الى الملك قيصر وتبقى هناك عرضة انواع البلاءات الشديدة والمصائب الهائلة . ثم ان الفرسان رفعوهم على الخيول وجاءوا بهم الى المعسكر وادخلوهم على تمرتاش فلما راى عين الحياة قام واقفًا على الاقدام اكرامًا لمقامها ولعلمهِ بانها خطيبة مولاه اسوش ابن الملك قيصر وامر في الحال ان توخذ الى صيوان مخصوص وان يقدم لها الاكل الى حين تكتفي بحيث يريد ان يرسلها في نفس ذلك اليوم مع الاسارى الى مولاه وامر ايضًا ان يطعم الاسارى ليقدروا على ان يصلوا الى العاصمة . وبعد ان اكل الجميع وشبعوا امر ان يقيد قهر وسيف الدولة فقيدا ورفع عين الحياة على هودج يليق بمقامها ومثل ذلك زوجة سيف الدولة وامر هلال ان يسير امامهم ولا يفارقهم الى ان يصلوا الى البلد وسالوا الوليد ان يركب معهم ويسير بالثاني فارس الى حضرة الملك الاكبر ففعل وسار الجميع يقطعون الطرقات نحو المدينة

واما جبروش فانهُ سار ياتي بالزاد فدخل بين العسكر وجمع ما قدر ان تصل اليهِ يده منهُ واخذ شيئًا من الملابس والاغطية وصبر الى الليل فانسل بين الخيام وقد اربعة روس خيل وكر راجعًا الى ان وصل الى تلك المغارة وفي نيتهِ ان يلاقي سيف الدولة وعين الحياة ومن معها الا انهُ راى ذلك المكان خاليًا خاويًا ليس فيه احد فوقف برهة صامتًا مطرقًا الى الارض يفكر الى اي جهة ساروا فخطر لهُ اخيرًا انهم ربما يكونون قد ساروا امامهُ فركب جوادًا وساق الثلاثة خلفهُ وانطلق يجري الى جهة الشام واسرع في السير وقد غاب وعيهُ وارتبك مزيد الارتباك وتقلبت عليهِ الدنيا اشكالاً والوانًا وهو لا يعرف الى اي جهة يسير حتى اصبح الصباح فكشف البر من امامهِ الى مسافة نصف نهار فلم يرَ احدًا فوقف هناك يفكر في الرجوع وقد ترجح عنده انهم لم يسيروا قط في تلك الناحية وانهم ربما كانوا وقعوا بيد احد من الرومان وكان هذا الامل يقوى عليهِ تارةً ثم يضعف لعلمهِ انهُ كان بين الرومان وانهُ جاء عن طريق المغارة فلم يصادف احدًا في طريقهِ ولم يخطر لهُ قط ان هلالاً نقلهم من المغارة الى غيرها وسار بهم على غير طريق الا انهُ وطد العزم على الرجوع وقال في نفسهِ حيث اني لا ازال قريبًا من المدينة ومن المعسكر فلا بد من الاستطلاع هناك حتى اذا تحققت الرجال من الوقوف على امرهم عدت الى المسير نحو الشام ولما قوي هذا

العزم في راسهِ رجع القهقرى الى ان وصل عند المساء الى المعسكر وقد ترك الخيل بعيدة بحيث لا يراها احد واختلط بين العسكر واخذ يستنشق الاخبار فحكي لهُ عن كل ما كان من امر هلال العيار وكيف انهُ لقي سيف الدولة وعين الحياة في المغارة وقهر وامراة سيف الدولة وان تمرتاش بعثهم الى الملك قيصر تحت امرة الوليد بعد ان اوصى هلال العيار بالمحافظة عليهم . فلما عرف ذلك اسودت الدنيا في عينيهِ وقد غاب عنهُ هداه وشغل بالهُ وبقي نحواً من ساعة يفتكر ماذا يصنع ايسير في اثرهم و ينتظر الفرصة فيعود بهم او يسرع الى سيده الملك ضاراب فيطلعهُ على كل ما راه ويخبر فيروزشاه بخبر عين الحياة وما كان من امرها وبعد الامعان خطر لهُ ان يرجع الى سيده ويستعجلهُ لخلاص المدينة ومتى كانت عساكر ايران قائمة في تلك النواحي سار الى خلاص عين الحياة وسيف الدولة من ايدي الرومان وخاف من ان يلومهُ الملك ضاراب اذا تعوق من العود اليهِ ومن اخباره باسر سيف الدولة وخراب المدينة . وعندما ترجح لهُ هذا الظن كرّ راجعاً الى جهة دمشق وقلبهُ يشتعل من عمل هلال العيار وقد اقسم انهُ لا بد لهُ من ان ينتقم منهُ بعد عودتهِ الى تلك البلاد ايريهُ كيف تكون ملاعيب الرجال ولم يقبل ان يصحب معهُ الخيل خوفاً من العاقة في الطريق ومن ثم اطلق ساقيهِ للريح يقصد جهة دمشق وهو لا ياخذه هدو ولا اصطبار ويتمنى ان يكون لهُ اجنحة للطيران فيطير اليها او انهُ يصادف مولاه في الطريق

وبقي الوليد سائراً وبين يديهِ هلال العيار وهو فرحان بالخلاص مؤمل بالرجوع الى مصر شاكراً منتهُ تعالى على اطلاق سبيلهِ وحسب ان ذلك من اسباب التوفيق والسعادة وبقي سائراً الى ان قرب من المدينة القائم فيها الملك قيصر فبعث رسولاً يبشره بقدومهِ ويخبره عن عين الحياة وكان تمرتاش قد كتب كتاباً من قبلهِ وسلمهُ الى هلال العيار ليدفعهُ الى الملك قيصر ولما وصل الرسول واخبر الملك بقدوم الوليد وبشره بوصول عين الحياة وبافتتاح المدينة واسر سيف الدولة فرح مزيد الفرح وبعث من يلاقيهِ ويدخل بهِ المدينة . وعرف الشاه سرور بقدوم بنتهِ ففرح غاية الفرح واستدعا بولده الشاه اسد وقال له ان اختك قد ظهر امرها وقدمت مع الوليد والقادمين والحمد لله الذي وصلت الينا بالسلامة واني اخاف من ان تاتي المدينة ويدخلها الملك بين حريمهِ ولا نعود نراها فيما بعد واخاف عليها من سوء وان يطمع بها انبوش قبل ان يقضى لنا غرض فنخسر مالنا وعرضنا ولذلك اريد منك ان تسرع فتاخذ اختك الى قصر بعيد عن قصور الملك تبقى فيهِ لنرى ما يكون من امر الملك وولده وما يجرى لنا بعد ذلك ونكون قد اجتمعنا بهلال وعرفنا كيف قدر ان وصل اليها . فسار الشاه اسد الى ان التقى باختهِ فسلم عليها وسلمت عليهِ وطلب من هلال ان يعرج بها وان لا يوصلها في ذلك الوقت الى الملك فاستصوب ذلك وعرج الى مكان عند اطراف المدينة فاستاجره لها وقال انها نقيم فيهِ بعض ايام الى ان نرى لها مكاناً موافقاً نقدمهُ

لها ونضعها فيه تحت معرفتنا واقاموا في ذلك المكان الخدم والعبيد من غرباء المدينة الذين ليسوا من الرومان وبعد ان دبر هلال هذا التدبير رجع الى الملك قيصر وكان الوليد قد وصل اليه وسلم عليه وجلس الى جانبه وهو يترحب به ويهنئه بالسلامة . ولما دخل هلال العيار قبل يدي الملك ودفع اليه كتاب عرتاش ناخوذه وفض ختامه ثم دفعه الى وزيره بيدا خطلي ان يقراه علناً فقراه واذا هو ما ياتي

من تمرتاش فارس بلاد الرومان وحاميها وعبد الملك قيصر الى سيده المنصور الظافر

بعد ذكر الله اخبرك يا مولاي اني توجهت بعساكرك وابطالك لاقضي ما امرتني به حتى وصلت الى ملاطية فرايت على اسوارها اعلام الفرس فتكدرت من ذلك ولم يهن عليّ هذا الامر وفي الحال بعثت بكتاب الى سيف الدولة اساله عن ذلك واطلب منه تنزيل الالوية الفارسية واتيانه بجنوده الى خدمتكم فلم يصغ لقولي وعزم على العناد والكر والمدافعة عن المدينة وربما كان ظنه انه يقدر على الثبات الى حين وصول الملك ضاراب نيران الصدف لم تساعده لان فهر ومهر عبديكما خالفا عليه واستقبحا عمله وطلبا من اخيهما قهران يوافقهما فابى متمسكاً باراء سيف الدولة ففتحا لي الابواب واوقعت بالمدينة العذاب جزاء لها على خروجها عن طاعتنا وتركتها عبرة للناظرين . وطلبت سيف الدولة فلم اجده وفتشت عليه كثيراً حتى ثبت عندي انه خرج من البلد وفرّ الى الخارج . واحضرت قهر وسالته الطاعة فامتنع فجازيته بالضرب الوجيع ثم حبسته في صيوان تحت الحفظ ولا اعلم كيف سرق من الصيوان المذكور الا انه في اليوم الثاني جاءني هلال عيار الشاه سرور واخبرني بانه بينما كان آت من البراري عرج الى مغارة هناك فصادف سيف الدولة وزجته وقهراً وعين الحياة فاحتال عليهم وبنجهم ونقلهم من مكانهم وطلب اليّ ان اصحبه بالعسكر لياتي بهم فاتينا بهم الى الجيش وانا لا اعرف كيف نجا سيف الدولة ومن اين جاءت عين الحياة ومن الذي اوصل قهراً اليهما بعد ان كان مقيداً فحجبوا في صيوان مخصوص وخوفاً من ان اشغل نفسي بهم او اصرف الوقت عليهم بعثتهم اليك حفظاً عليهم لعلمي ان الملك ضاراب وولده فير وفرشاه سياتيان الى هذه الناحية بعد قليل من الايام فاعرف الملك اذ ذاك باخبار الفرس وما يكون من امرهم والى اي حالة ينتهون والسلام ختام

فلما قرأ الملك قيصر الكتاب استعاد القصة من هلال فاعادها عليه فشكره ومدحه واثنى عليه وامر ان يؤتى بسيف الدولة لدين يديه وبالامير قهر فاتي بهما وهما بالقيود واوقفا بين يديه فانتهرهما وقال لهما ماذا فعلت معكما من القبيح لتعاملاني هذه المعاملة وتبيعاني الى الاعداء وتجعلا بلادي عرضة لهم . فقال له سيف الدولة انا لا نلام على خروجنا عن طاعتك ودخولنا بطاعة الملك ضاراب ولو كنت انت مكاننا لما فعلت الا ما فعلنا اذا شاهدت حلمه وكرامته مع قوة سلطانه ومقدرته وقد

سرنا بامرك الى مصر وقد قاتلناه في الاول بثبات عزيمة وصدق نية ونحن محافظون على اوامرك وعداوته الا اننا لما وقعنا مايديه وصار له الحق في قتلنا والانتقام بعد ان لاقى ما لاقى منا اثناء الحرب بدل انتقامه بالحلم والرحمة فعفا عنا واحسن الينا واتخذنا نصراء له واعوانًا فلما رايت ما رايت من عدله وانه نظر الينا وصدق كلامنا ولم يطلب اذانا ولا الحقنا قبل ان وجه كل ركونه الينا راينا من الضروري الواجب ان نخدمه بامانة ولا نحنث بيميننا سمعة لا سيما وهو قادر على الانتقام منا اذا سعينا بالغش والخيانة ضده كما انه قادر على خلاصنا والانتقام من كل من يقصد لنا ضرًا . واني احذرك عاقبة عملك هذا فانك تجهل حالة الفرس وعظم مقدرتهم وتوفيقهم ورغبة العناية الالهية فيهم فلا تدخل باب العناد ضدهم ولا تفكر بقتالهم بل اتخذهم اصدقاء لك ولدولتك واقبض على الشاه سرور ووزيره طيفور وسلمهما له ولا تمنع عين الحياة عنهم ولا تبقها في مدينتك ولا تخاطر بنفسك في هذا السبيل وتعرض بابنك لعداوة فيروزشاه فهو الطامة الكبرى والافة العظمى لا تثبت لديه الاسوار والحصون ولا تمنعه عن ايفاء غايته الفرسان والابطال مهما كثرت وتجمعت واني على يقين واكثر من التاكيد ان كل من تعرض لعين الحياة قهر وذل وخربت بلاده وقاد بنفسه الى مواقف الهلاك فما هي ممن يطمع فيها ووراءها فيروزشاه وهذا من قبيل النصيحة فاذا فعلته دفعت عن بلادك الويل والخراب وخلصتها من حروب انت في غنى عنها وحفظت دماء رجالك وفرسانك من الاهراق . ولا يغرنك كلام الشاه سرور وطيفور فقد اغشا قبلك الوليد كما اغشا انفسهما فاعتبر بمن سبق . فلما سمع الملك قيصر كلامه لعب به الغضب وحركه ثول التعاظم والافتخار والقوة . فقال لسيف الدولة اتجسر ان تكلمني بمثل هذا الكلام وانت تعلم قوتي وكثرة جيوشي وعظم سلطاني وما عندي من الفرسان الذين لا يوجد من يقف امامهم في هذا الزمان وهل يسع الملك ضاراب ورجاله وكلما تجمع معه من الفرسان ان يقفوا امام جيوشنا اكثر من وقعة واحدة وكنت قد نويت على قتلك والانتقام منك قبل الان انما ساقي ذلك لبعد ان اريك ما يحل بهذا الملك الذي تخوفني منه وتتهددني بولده فيروزشاه الذي لا يلبث ان يغدو قتيلاً اما من سيف ولدي انبوش واما من سيف تمرتاش فارس بلادي وسيد ابطالي وعما قليل اقرن اليك الملك ضاراب . ثم امر ان يوخذ سيف الدولة الى السجن بينما يبعث به الى القلعة القائمة في وسط البحر فرفعوه ومعه الامير قهر ووضعوهما في السجن واقيم عليهما الحراس والحافظون . ثم امر ان يفرض قصر من قصوره للوليد صاحب مصر وان يكون له فيه الخدم والغلمان اعتبارًا له ولمقامه كونه من الملوك العظام اصحاب المجد والجاه

قال وعند انفضاض الديوان اجتمع الشاه سرور بوزيره طيفور وقال له اني الان مرتاح لجهة ابنتي فان فيروزشاه لم يصل اليها ومرادي اسير نحو قصرها فاستفسر منها عما اجرته بعد غيابنا

وكيف قدرت ان تصل الى هذه البلاد فمجيئها نافع لنا جدًّا اذ انهُ صار من الواجب على الملك قيصر ان يدافع عنها ويمنع غارات الفرس وطمعهم فيها وصار يعرف ايضًا ويوكد انها في يده وانهُ اذا ارجع فيروزشاه عنها زفها على والده . قال طيفورها ان الامور جارية على احب ما يشتهي فان الله اعمى قلب فيروزشاه فلم يتوصل الى عين الحياة ولو انهُ وصل اليها لما تركها ان تصل الى هذه البلاد وتعود الينا وسوف نعلم منها ما كان من امرها في مصر وهذا دليل كبير على ان الله سبحانهُ وتعالى لم يكتب نصيبًا لها بهِ وربما كان نصيبها عند الملك قيصر فهو اليق لها منهُ فهلم بنا لنذهب اليها ونعلم حقيقة امرها

قال وكانت عين الحياة بعد قيامها في القصر الذي وضعت فيهِ وتاكيدها وجودها داخل بلاد قيصر اسودت الدنيا في وجهها وتاكدت رجوعها الى المصائب والعذاب وما كانت تقاسيهِ في مصر فجعلت دابها البكاء والتعداد وكلما قوي في راسها صعوبة المركز الواقعة بهِ والساعية اليهِ تلوم نفسها على فعلها وتركها المتوجب عليها عند وجودها في مصر واخذت تفكر كيف انها تركت الراحة والهناء وابعدت حبيبها بيدها ورمت بنفسها في حفر العذاب والويل والكدر وهي لا تصدق انها فعلت ما فعلتهُ وحسبت ان ذلك كان منها ضربًا من الجنون وعدم التعقل مع انها كانت تعهد في نفسها الحكمة والاصابة وانها تنظر في المستقبل نظر العاقل الخبير . وقد قالت في نفسها مرارًا ماذا يا ترى فعلت ايليق بي ان ابعد فيروزشاه بعد ان كنت قد وصلت الى يده ودخلت في حوزتهِ وهل اني كنت اطلب بعدي عنهُ كرهًا في زواجهِ مع اني ارغب فيهِ اكثر منهُ . وحيث اعلم من ذاتي ان لا بد لي من ذلك فلمَ لما غاب عني لم اسعَ اليهِ راكضة وكنت بذلك خففت عنهُ عذابًا وشدائد لا يعلم ثقلها الا الله وكنت ايضًا دفعت عني كلما الاقيهِ الى ابي وعدتهُ على الوفاء والمودة وصفاء العيشة فما الذي جرى عليَّ حتى سعيت وراء الاكدار والتعب فلا ريب اني جاهلة مخطئة ضده وماذا يا ترى يفعل اذا عرف بفعلي واني خرجت من مصر مع سيف الدولة وانا مختبئة عنهُ اجهد النفس بالبعد عن مكان كان قائمًا فيهِ وقلبهُ يحترق من الالم والوجع ومن العذاب الاليم الذي المَّ بهِ عند تاكده غيابهُ . وكنت قادرة بكلمة واحدة مني ان اشفي كل اوجاعهِ والامهِ واجعلهُ سعيدًا فرحًا واجعل ذاتي مثلهُ وكنت ايضًا قد حفظت اهراق دماء الوف من رجالهِ ومن رجال هذه البلاد . وبقيت هذه الحالة حالتها وهي لا تسر لا باكل ولا شرب ولا طعام ولم تشعر بخطئها الا عند وقوعها بالعذاب والالم وقد اظهرت لها حالتها الحاضرة عظيم غلطها وخطئها مع انها عندما كانت بالراحة والاطمئنان كانت تستصوب عملها وتراه وجوبيًا غير ان الشيء الوحيد الذي كان يسليها هو انها تعتقد كل الاعتقاد ان ذلك كان بالهام من الله تعالى وانهُ هو الذي حسن في عينيها ما فعلتهُ وان لهُ غاية لا تعلمها لا هي ولا غيرها . وفي تلك الساعة دخل عليها ابوها فقامت اكرامًا لهُ

وقد ترحبت به وقبلت يديه فقبلها وكاد يغمى عليه من الفرح والسرور وجلس الى جانبها وهو يقبلها ويذرف دموع الحنو والرافة لانهُ كما تقدم كان يحبها محبة عظيمة وفوق كل اخوتها بقدر انقياده الى طيفور الوزير وطاعته لهُ . وبعد ان اقام قليلاً سالها عن حالها وكيف انها وصلت الى هذه البلاد مع انها كانت في مصر . فلما سمعت سوالهُ ورات من نفسها انها مضطرة لان تعلمهُ بكل شيء بكت بالرغم عنها . وقالت لهُ ان نفسي اصبحت تكره الحياة فلو كنت املكها او لي تسلط عليها لكنت تراني الان في اللحود فما اشقى حظي وانعسهُ . ثم اخذت في ان تشرح لهُ كل ما كان من امرها في مصر وانها خرجت مع امراة سيف الدولة دون ان يعلم احد بها حتى ان زوجها نفسهُ لم يكن يعرف بوجودها في بيته وبين حريمهِ حتى كانت ليلة وصول تمرتاش الى ملاطية . فلما سمع الشاه سرور كلامها فرح بهِ جدًّا وقبلها مرارًا وقال لها لا ريب انك محبة لي مطيعة لاوامري ولا تفعلين الا ما ارغبهُ منك وهذا كان عهدي بك . فحرك كلامهُ هذا داخلها ولم يعد في وسعها ان تخفي عنهُ شيئًا وارادت من كل قلبها ان تطلعهُ على غايتها وما اضمرتهُ منذ القديم ورات ان ذلك ضروري في مثل هذا الوقت ليعلم انها لا ترغب في غير فيروزشاه مطلقًا فلا تطمعهُ نفسهُ في ان يزوجها بغيره او يعد احدًا بها غيره . فقالت لهُ وهي ناظرة الى الارض والدموع ملأى عينيها اني ما برحت ولا ابرح اقدم نفسي فدية لطاعتك واعتبارك فافعل كل ما يكون بهِ رضاك وصالحك ولو فعلت ما بي صالحي ورضائي لكنت خلصت نفسي من كل هذه الاكدار وارحت كثيرًا من المشاق والمتاعب وصنت ممالك من الخراب وحفظت الدماء من الانهراق الم ترَ ان كل ذلك صار بسببي . فعرف الشاه سرور معنى كلامها وقد راى فيهِ وجهًا للصواب . فقال لها ان كل ما مضى قد فات فيا ابنتي اجبت فيروزشاه الى طلبهِ لكنت الان باقٍ في بلادي كعادتي لا احد يقدر ان يتعدى عليَّ او يسطو على مملكتي انما طيفور الوزير هو الذي اوصلني الى هذه الحالة وربى بقلبي بغض اهل ايران وحركني على عداوتهم . فقاطعهُ طيفور وقال لا تظلمني يا سيدي وتنسب لي ما انت ناسبهُ فلست انا الذي رغبت في عداوة الايرانيين وجل رغبتي منذ البداية حفظ شرفك وناموسك اذ لم يكن من سبب بيني وبينهم يوجب كل هذا البغض الذي نسبتهُ لي الا عمل فيروزشاه وتعديهِ على قصرك وعبيدك توصلاً الى سيدتي عين الحياة انسيت يوم كان يتسلق السطوح والجدران ويرغب في النزول على غرفة ابنتك وقد قتل العبيد وفعل ما فعل فيكون هو نفسهُ السبب بوقوع الشر بينكما لانهُ لم يحسن التصرف ولا جاء بوفدهِ كيفية الطالبين وسالك زواج بنتك وانت تعلم انهُ لو جاء وسالني ان اساعده لما تاخرت اذ يكون ذلك من الصالح العائد لدولتنا بالفخر والجاه انما جاء كلص وفي نيتهِ اما ان يسرقها واما ان يفتك بها فلم يتيسر لهُ ولا ريب انك تعلم منهُ ذلك وتعرف قوة هذا التعدي فلو اجبناه الى الزواج بعد ان وقع بايدينا

كلص فماذا ياترى نقول عنا الملوك والامراء اليسوا يظنون بنا السوء و يشيعون اننا رغبنا في زواجه طمعًا بستر فضيحتنا . وكان طيفور يتكلم وعين الحياة تسمع وقد ذكرها حوادث قصرها في تعزاء اليمن فاهاجت الذكرى منها غرامها وما لاقته فيه من الهناء في ثلاث ليال متواليات وانه لولاها لما تكدرت تلك العيشة ولولا انها تقتل العبد وترمي جرثومة الشر لما حدث كل ما حدث ولما طرق ذهنها كل هذه الامور ضاق صدرها ولم يعد في وسعها ان تكتم شيئًا وقالت في نفسها ان اطلاع ابي على كل شيء مما يوضح له براءة حبيبي وليعلم انه ماجاء تعزاء اليمن الا ليراها ويرى ان كانت كما قيل له فيخطبها خطبة الشرف والناموس . واذ ذاك قالت لابيها ان ما ظننه وزبرك بفيروزشاه هو عين الخطا والجهل لانه عرف بين العالم قاطبة انه كامل المروة والناموس وقد راني في الحلم ثلث ليال متوالية وفي كل ليلة يراني كما انا غير ان ثيابي مغيرة فما كلمة وقد قلت له عن اسمي فاشغله ذلك وعلم ان الله يقصد امرًا وان هذه الفتاة التي اراه اياها باحلامه هي بانتظاره اليوم بعد اليوم فلما خطر له هذا الخاطر وقد وقع حبي بقلبه بمجرد الوهم اي بمجرد ما راني في الحلم خرج هائمًا يطوف الديار والبلاد يسال عن فتاة تدعى بعين الحياة راها في حلمه فقيل له عني فقصد اولاً ان يعرف هل انا هي التي زارته في الكرى مبعوثة بايدي العناية الى ذهنه ام لا فجاء الى بلادنا وصادف مجيئه وانتم تحت ضيق الحصار من الشاه روز و بهروز وميسرة ففعل ما فعل ونجاكم من سطوة الاعداء وحمى عرضكم من الانهتاك لاسيما وقد سمع ان الغاية من تلك الحرب هو انا فزادت رغبته فيه و بعد انقضائه لم يرد ان يظهر نفسه بل بقي مصرًّا على الاختفاء املاً ان لا اكون انا المطلوبة منه فيرجع بعد ان يراني واذا وجداني انا غايته عاد فطلبني من ابي بواسطة ابيه و بينما كان يقصد ان يراني حدثت تلك الاسباب المكدرة فلم يكن هو ممن يقصد شرًّا او يرغب لي سوءًا ولم يقتل هو العبيد بل الذي قتلهم هو غيره لاني اعلم ذلك جيدًا وقد قتل العبد الاول قصاصًا لانه كان يفعل الفحشاء على السطوح مع بعض الجوار وقد اجتمعت به واجتمع بي مرارا وعرفت ما هو عليه من المروة والنخوة اللتين لا توجدان في غيره من بني البشر في عصرنا هذا وعلى كل حال فاني عاهدته ان اكون حافظة عهده راعية وده فلا انكث حتى الموت ومع كل ذلك فاني كنت ارى نفسي مضطرة للانقياد اليك وطاعتك اراها من الضروب اللازمة فصبرت على حكم القضاء وسلمت اموري لله على وشك انه يدبرني بحسب ارادته لاني وقعت بين امرين خطيرين احدهما انت والاخر فيروزشاه واعرف الان ان ما افوه به هو جسارة على سلطتك المعطاها من الله انما اريد ان اطلعك على سرائر قلبي مع انك كنت تعرفها لا من فمي بل من القرائن والاحوال واخيرًا اطلب اليك ان لا تعد بي احدا فما من سبيل الى زواجي بغير من عاهدته . وعندي ان الموت احب اليَّ من قبولي بغيره . فاستدرك الامر طيفور عندما راى منها ما راى ونظر الى وجه ابيها فوجده

متأثرا من كلامها تأثر الحنو والحب . فقال لقد اخطأنا منذ البداية فيا ابنت العناية ساعدتنا لنعرف ما هو قصده وغايته انما الان قد مضى ما مضى ولم يعد في الامكان الدنو منه والتقرب اليه لا سيما وقد عرفنا ان اباه قد اقسم بابر الاقسام انه لا بد من ان يقتلنا شر قتلة فاذا كنت ترغبين في حياة ابيك يجب ان تبقي على طاعته . قالت اني راغبة في حياته كل الرغبة وادافع عن راحته كل المدافعة ما زلت قادرة على ذلك واني اطيعه جهدي في كل الامور انما اسأله ان يعفو عني و يسمح لي ان لا اقبل بما يقبله لي بتدبيرك وارادتك فما انت بناصح له ولو كنت ممن يرغب في حياته لما عرضته لكل هذه الاخطار وطرت به البراري والقفار وطرقت المدن والامصار مع انه صار شيخًا ولم يعد يقدر على حمل كل هذه المشقات والانعاب . ابدًا . ابدًا . ابدا . لا مطمع لك ولغيرك بارجاعي عن عزمي فاني الاقي الموت قبل ان الاقي وجهًا غير وجه فيروزشاه ولا اقول ذلك من سبيل الوقاحة والتعدي على الحقوق الوالدية انما ما ازوجه الله فلا يفسخه انسان فالله وحده هو الذي بعثه اليّ ورمى حبه بقلبي ورمى حبي بقلبه حتى اصبحنا نفضل الموت على الانفساخ ولا يليق بي ان اعامله بغير ما يستحق وهل سمعتم ان رجلاً من رجال الدنيا يرتكب كل هذه المخاطر و يسير عن بلاده الوف اميال طمعًا بالحصول على بنت ربما كان في مملكته الوف مثلها ثم طفقت الدموع من اعينها على حين كانت تتكلم بحدة فرق لها قلب ابيها ولم يفه قط بكلمة لانه شعر بخطأ تمسعها ومع فيروزشاه وغلطه ولولا وجود البغض النعال في قلبه لوجد لنفسه طريقة الخلاص من بلاد قيصر ورجع الى الملك ضاراب وطلب عفوه وصالحه غير ان الله قد قسى قلبه لينتقم منه الملك ضاراب فودع بنته وخرج الى قصره مع طيفور وهو حزين مما وقع عليه ونادم كل الندم على هذا التطرف بالعداوة . ولما راه طيفور وهو سائر الى جانبه على هذه الحالة خاف من ان ياخذه الحنو الى الرجوع عن عزمه او ان كلام بنته غير حالته وقرب فيروزشاه من قلبه فندم على موافقته الحضور اليها وقال في نفسه اذا اجتمع ببنته مرتين او ثلاث مرات غيرته كل التغيير وجعلته ايرانيًا محضًا ومحبًا لهم فهو سريع التقلب ولذلك فلا بد لي من السعي في ابعاد عين الحياة عن المدينة وارسالها الى مكان اخر مأمون العقبى . ثم قال له وهو يعظمه و يجله اطال الله بعمرك يا سيدي ارايت ما كان من عين الحياة فبالحقيقة هي جاهلة حالة فيروزشاه وابيه وقد اوصل بها هواها الذي كنا لا نجهله الى التطرف والوقاحة . امن العقل ان يحب الرجل عدوّه وقد زعمت اننا نحن الراغبون في عداوته الساعون في بغضه مع انه هو وحده قاد نفسه الى ذلك وقد جد واجتهد في الانتقام منا فهل اذا فرض واصفينا له قلوبنا وقربنا منه وقلنا له هوذا نحن بين يديك وطوع امرك وقد ازوجناك بعين الحياة رغبة ورضاء منا يبقي علينا او يترك لنا سبيلاً للحياة بل انه كان في الحال ينتقم منا و ياخذ بنتك بالرغم عنا لا سيما ولم يعد في وسعه ارجاع مملكتنا الينا بعد مصافاة الشاه

سليم ومعاهدتهِ وقد خدمهُ و بعث بنتهُ مع مائة الف فارس من فرساننا للقتال معهم فهل يكافئهُ بغير ما يتوجب عليهِ ودل عاد من الملكن ان يخلعهُ فعبثاً تظن وانا اعلم اكيداً ان لا احد يقدر على ان يعيد الينا ملكنا الا الملك قيصر فتي اهلك الملك ضاراب ووالده سير العساكر معنا الى تعزاء اليمن فسرنا اليها وخلعنا الشاه سليم وجازيناه على خيانتهِ بعد ان كان ودوداً لنا وهذا ان شاء الله لا يكون بعيداً عنا . قال الشاه سرور اني اريد ذلك انما كان في ودي وفي نيتي ان لا نتزوج بنتي بابن قيصر الشاه انبوش لانهُ على غير دينها وهي لا ترغب فيهِ وقلبي ينبهني الى ان الفرس سوف يقدمون هذه البلاد و يدوخونها و يفعلون بها ما فعلوا بمصر فاذا عرف فيروزشاه اني وعدت بها انبوش يزيد بغضهُ فينتقم مني لا محالة قال ان فوز الايرانيين على الرومان مستحيل وقوعه اتظن ان الزمان عبد لهم فيخدمهم كل العمر ولا يمكن انهم يتسلطون على هذه البلاد مع اتساعها وكثرة جيوشها ووفرة اموالها واتساع نطاقها عما لها فهي تضاعف ايران ومصر . فاصبر الى المنتهى تخلص . وعدا عن كل ذلك فاننا لا نزوج انبوش الان بعين الحياة بل نعده بها ونطلب من ابيهِ ان يعيدنا الى ملكنا و يخلصنا من طالبيها والساعين خلفها فبعد ان يتم لنا ذلك اجبناه وزوجناه بها . قال واو فرض انهُ انتهى كل ما تصوره من النجاح لنا فعين الحياة لا ترضى بانبوش فتقتل نفسها واكون قد خسرتها بفعلي لها . قال لا يثبت في ذهنك ان النساء يبقين على حالة واحدة فمتى تم لنا النصر وقتل فيروزشاه وخاب املها منهُ عادت الى طاعتك ورغبت فيمن رغبتهُ انت لها فهي امينة على امرك الم ترانها لو كانت ترغب في مخالفتك وتفضل من تدعي انها تحبهُ لكانت سلمتهُ نفسها واقترنت بهِ وما فرت منهُ ورغبت في البعد عنهُ . فاني لا اعجب منكَ مع ان الايام قلبتك كثيراً والزمان حنكك والقي عليك كثيراً من احوالهِ كيف يغيب عن ذهنك طبيعة الامور وطالما قلت لك كن ثابت العزم والعزيمة فما المرء الا ابن يومهِ ولا تقل لا بعد ان قلت نعم . فانقاد الشاه سرور الى كلامهِ وقال اني اسال الله نوال مرادنا وما نطلبهُ وهلاك فيروزشاه وابيهِ فهو السميع المجيب . ثم دخلا قصرهما وناما تلك الليلة وطيفور مسرور بفوزه ونجاحه . وبعد ذهابهما قامت عين الحياة في القصر على حالها ولم يكن عندها ما يسليها غير النوح والتعداد والبكاء وليس امامها الا الخدم الذين استخدمهم لها هلال وكانوا قد احبوها مزيد الحب واقاموا على خدمتها بصدق نية وامانة

واما انبوش فبلغهُ مجيء عين الحياة الى المدينة وقد مدح من محاسنها كل من شاهدها ورأى قدومها حتى اصبح في هاجس و بلبال واشتد بهِ حبهُ وهيامهُ وغرامهُ وطلبت نفسهُ ان يراها ودام على هذه الحال وهو في مزيد قلق واضطراب الى ان كان ذات يوم جالساً في قصره حدثتهُ نفسهُ ان يذهب اليها و يطلب منها ان تريهُ نفسها و يخاطبها و بعد ان قوي في راسهِ هذا الفكر وزين لهُ غرامهُ صوابية عملهِ وانها ستلاقيهِ احسن ملاقاة وتسر باتيانهِ كبير سرور لعلمها انهُ خطيبها وانها لا بد ان

تكون قد عرفت وتاكد عندها من هلال العيار او من ابيها انها ستقترن بهِ ولذلك تطيب وتعطر ولبس الملابس الفاخرة وسرّح شعره واخذ بيده قضيب الخيزران وسار في طريقهِ وهو ينظر في حالهِ ويعجب من نفسهِ ويميل ويباهي وقد تصور كل التصور انهُ سيحل في قلبها بارفع مكان ويكون لهُ عندها عظيم وقار واعتبار . ولما وصل الى قرب القصر راه احد خدم عين الحياة فعرفهُ وسبق اليها فحكى لها بقدومهِ فدعت الباقين وقالت لهم اريد منكم أن تسرعوا الى باب القصر ومتى رايتم انبوش وقف بالباب وسال عني فبادروه بالضرب بالسياط واظهروا على انفسكم انكم تجهلونهُ ولا تسمونهُ باسمهِ بل قولوا لهُ ان سيدتنا لا ترغب ان ياتيها الاجانب بغير اذن ابيها والملك قيصر . فاجابوها الى سؤالها واسرعوا الى الباب فوقفوا عنده الى ان وصل الامير انبوش وطلب الدخول فرفعوا السياط وارسلوها الى جسده بعضها يصعد وبعضها يسقط وهو يصيح وقد استحى ان يعرفهم بنفسهِ بل جعل يصيح ويستغيث حتى انتهك جسده وعين الحياة تراه من فوق وتضحك منهُ وهو على تلك الحالة وتذكرت فيروزشاه وبسالتهُ وانهُ لو كان مكانهُ لقتل العبيد والخدم بل لو كان جيش ابيهِ برمتهِ واقف بباب القصر لفرقهُ وانقض على الباب فدخلهُ ولا يدع احدًا يمنعهُ لا من انس ولا من جان . ولما راى انبوش ان لا سبيل لهُ بالدخول وقد ورم جسده من تاثير الضرب طلب الفرار وهو مثخن بالجراح مهشم لا يصدق بوصولهِ الى قصره حيًّا ولما دخلهُ رمى نفسهُ بالفراش يانُّ ويشكو من الوجع والالم واحضر الطبيب الى مداواتهِ فاتاه وجعل يضمد لهُ جراحهُ وكانت خفيفة جدًّا ويضع لهُ المراهم وبلغ خبره اباه فجاء اليهِ كالملهوف وهو لا يعلم السبب الموجب ومعهُ الشاه سرور وطيئور ولما وصلوا اليهِ وجدوه على تلك الحالة يانُّ متوجعًا فسالهُ ابوه عن حالهِ وعن سبب هذه الجراح ومن قدر ان يتعدى عليهِ فلم يجبهُ بالحقيقة واستحى من ان يخبره بعملهِ وخاف من لومهِ . فقال لهُ قد اهداني بعض اصحابي مهرًا لم يركب بعد فقصدت ان اطيعهُ فذهبت بهِ الى الخارج فجمح بي ورماني الى الارض فتهشمت واصابني ما اصابني . فقال لهُ اني اوصيك من الان وصاعدًا ان لا تركب مهرًا عاصيًا فيرميك وربما يميتك . وبعد ان اقاموا عنده مدة ساروا عنهُ وبقي هو في الفراش الى ان كاد يشفى وختمت جراحهُ وحينئذ بعث وراء وزير ابيهِ بيد الخطل وقال لهُ اريد منك ان تذهب الى ابي وتسالهُ ان يزوجني بعين الحياة فما من مانع الان يمنعنا عن الزواج لانها في قبضة يدنا وما من احد يزاحمني فيها او يطلبها من امامي . فوعده بكل جميل وانهُ يعرض امره على ابيهِ ثم انهُ ودعهُ وسار الى ابيهِ فشرح لهُ حال ولده وانهُ راغب في الاقتران من عين الحياة باسرع ما يمكن من الوقت اذ ان الغرام قد اخذ بهِ ماخذًا عظيمًا فقال لهُ اني لا اظن ان اباها ينعم بزواجها وهو في اضطراب كهذا الاضطراب وبعد قليل من الايام يكون الملك ضارابُ وخطيبها في هذه النواحي وفيروزشاه يطلبها ويرغبها ولا ريب انهُ يطلب خلاصها اولاً

من يد طلابها فتى منعوا عنها وهلكوا او خابوا راجعين بنعم ويجيب . قال اننا نطلبها منهُ فربما انهُ يوافقهُ زواجها ويرغب فيهِ فاتفقا على ذلك

قال وفي اليوم الثاني بينما كان الشاه سرور في مجلس الملك قيصر وحولهُ رجالهُ واعيانهُ ووزراؤه تقدم بيداخطار وطلب من الملك قيصران يسعى بقران ولده من عين الحياة وان يهتم بها . فقال الملك اني اطلبها الان من ابيها فتزفها قبل ان تصل الينا الاعداء وبذلك يتطع منهم الرجاء ويعودون بالخيبة ويفشلون . فاستدرك طيفور الكلام وسبق سيف اليهِ فقال لا شي احب علينا من انجاز مثل هذا الامر وما اتينا هذه البلاد الا لمثل قضاء هذه النية غير ان سيدي الشاه سرور اقسم مرارًا انهُ لا تزوجها الا من يرجع اليهِ ملكهُ بالرغم عن الملك ضاراب على انهُ او قبل زواجها بغير وزشاه لارجعهُ حالاً الى ملكهِ واعاد اليهِ بلاده . اما لما كنا لا نرغب في التقرب من الايرانيين لانهم همج وبرابرة سعينا الى الانتساب بكم والتقرب منكم . واني اعدكم عن سيدي الشاه سرور وعدًا صادقًا اننا لا نرغب في غيركم وان عين الحياة في يدكم الان ويمكنكم ان تحفظوا عليها في مكان لا يمكن للاعداء ان يصلوا اليها ولا نخفاكم ان عياريهم شياطين في صفة اناس وانهم اذا جاءوا هذه البلاد لا بد من ان يحتالوا الى اخذها من بينكم بحيث لا تروتهم والان نرى ان زواجها غير موافق لنا ولكم وهو لا يفوتكم قط فالصبر عليهِ اليق واوفق فقال الملك قيصر ان ذلك ضروري لا بد لنا منهُ فاننا نصبر عنها غير اننا سنحفظ عليها مزيد الحفظ وقد خطر في ذهني ان ابعثها الى قلعة الحديد القائمة في وسط البحر وبهذه القلعة مكان موافق اقيامها وفي نفس القلعة ايضًا احبس سيف الدولة وقهرًا فلا يقدر احد ان يصل اليهم الى ان نرسل فنحضرهم ثم انهُ امر ان ترسل عين الحياة الى تلك القلعة ومعها امراة سيف الدولة فيوضعان في اعالي القلعة تحت الاكرام والاحترام ويوضع سيف الدولة في اسفلها تحت الحفظ والترسيم وفي الحال اخذوا عين الحياة وقهرًا وسيف الدولة وزوجتهُ ونقلوا الى القلعة وكتب الملك قيصر كتابًا الى محافظ القلعة واسمهُ الامير فهد يقول لهُ فيهِ اني بعثت اليك بخطيبة ابني عين الحياة ومعها زوجة سيف الدولة تقيم عندها لتسليتها مع خدمها وجوارها فاعدد لها مكانًا عظيمًا فاخرًا في اعالي القلعة واخدمها بكل ما تقدر ان تخدمها بهِ وبعثت اليك بسيف الدولة والامير قهر فاحتفظ عليهما كل الاحتفاظ واياك ان تدع احدًا يدخل القلعة او يحتال عليك بامر اخر فينتشل منك عين الحياة والاسارى واني اوصيك ان تنتبه الى ذلك وان لا تسلم من عندك احدًا الا بامري ورسولي الذي ابعثهُ اليك يكون حاملاً خاتمي الخاص ومن لم يكن معهُ خاتمي فانتبه اليهِ

وكانت قلعة الحديد هذه من القلاع المعدودة في تلك الايام وكانت حصينة جدًا مبنية على جزيرة وسط البحر وهي من الطوب والاجر محاطة بسور من الحديد يكاد يكون قطعة واحدة وفيها

من الغرف كثير منها مرتب ومفروش للنزهة واقامة حاكمها ومن ياتي زائرًا من امراء البلاد واعيانها ومنها معدود لسجن المغضوب عليهم الذين لا خلاص لهم ولا رجاء بالاطلاق ومنها ايضًا معدود لخبئة المؤن والذخائر والنفائس التي يرغب في اخفائها الملك قيصر لانها كانت مانعة لا يقدر على دخولها احد وابوابها من الحديد اذا قفلت اقفالها صارت قطعة واحدة هي والسور. فلما وصلت عين الحياة ومن ارسل اليها الى تلك القلعة سلمت الى الامير فهد القائم عليها فاخذها بالترحيب والاكرام واعد لها مكانًا في اعالي القلعة يكشف على البحر من جهاته الاربع وعين لها من يخدمها واقامت زوجة سيف الدولة عندها ونظرنا الى ذاتيهما كاسيرتين محجورتين لا قدرة لهما على الرواح والمجيء واخذت امراة سيف الدولة تلوم عين الحياة وقالت لها اما كنت انت السبب في جلب كل هذه المصائب عليك لانك لو كنت حكيمة لكنت الان زوجة لفيروزشاه تلاقي معه الهناء والراحة وتسرين بالتقرب منه والالتصاق اليه. وكنا نحن ايضًا براحة لان زوجي كان اما ان يرجع الى طاعة قيصر اذ يكون قد عرف حقيقة ان الملك ضاراب لامطمع له بهذه البلاد ولا ياتي اليها او انه يكون سار مع الفرس الى بلادهم واقام عندهم واتخذ مقاطعة من مقاطعاتهم وترك كل هذه النواحي. انما اللوم نفسي كوني وافقتك على غرضك وما اظهرت امرك. قالت اني كنت مثلك لا اعرف ضربات المستقبل وما تخبأ لنا في زواياه وليس الان الا ان نصبر صبر الكريم فلا بد من خلاصنا ذات يوم ولو كنا داخل الف قلعة مثل هذه القلعة وكان حولنا الف سد من الحديد مثل هذا السد فان طلابنا لا يتهاملون عنا ولا يهملون امرنا ولا يتقاعدون عن ان ينتشلونا من هذا المكان المحصون وسوف ترين بعينيك ما يكون منا ومنهم واقامتا مع بعضهما تتسليان بالاحاديث وتعللان نفسيهما بالخلاص باقرب وقت وقد تحضر لهما الطعام وكل ما تحتاجان اليه دائمًا والامير فهد مجتهد في خدمة عين الحياة واكرامها حبًا بطاعة الملك واجابة لاوامره. وكذلك سيف الدولة والامير قهرمان وضعا في اسفل القلعة ولم يكن اقيم عليهما التحفظ مشددًا لان الامير فهد كان موكدًا ان القلعة عديمة النوافذ من الاسفل لا يمكنهما ان يخرجا منها ولا يمكن احدًا ان يصل اليهما

فلنبقهما هنا على ما تقدم ونعود الى الحديث عن الامير نصر حاكم حلب الذي كان جاء من الشام ومعه كليلة بنت مسرور بن عتبة وبهمنزار قبا فانه بقي سائرًا يقصد انطاكية ليقيم عند الملك هشام صاحبها الى ان وصل اليها فبعث رسولاً يخبره بقدومه عليه فلما بلغ الخبر خرج للقائه مع اعيان مدينته وامرائه وولاده اكرامًا له لانه كان يحبه ويرعاه وكانت المودة بينهم قديمة الداعي الحسب الذي كان يربطها كونهما بجوار بعضهما ولما وصل اليه سلم عليه وترحب به وسأله عن سبب حضوره فحكى له كل ما كان من امره ومن امر مسرور بن عتبة في مصر وانكسارهما الى الشام واسر بهمنزار قبا وقال له اخيرًا وقد عرفنا موكدًا ان الملك ضاراب سائر الى بلاد الرومان لمحاربة الملك قيصر وقد

جعل طريقهُ عن دمشق لينتقذ مهلوانهُ منها فلما عرف ذلك سرت انا بهِ و ببنت مسرور لتخفيها في هذه المدينة ومتى تاكد مسرور وصول الملك ضاراب ترك المدينة وجاء الى هنا من وجههِ الى ان نرى ما يكون منهُ ومن الملك قيصر . فقال لهُ على الرحب والسعة ودخل بهِ وبمن جاء معهُ المدينة واعد قصرًا مخصوصًا لكليلة وعين لها انطباخين واقام عند قصرها رجالها وخدمها الذين جاءوا معها من الشام لحراستها في الطريق واعد ايضًا قصرًا فاخرًا للامير نصر واقاموا على الترحيب والكرامة ووضع بهمنزار في السجن واقيم عليهِ الحراس والخفر لا يقدر على الدخول والخروج حتى كاد يقضي عليهِ من عظم الغيظ وفراق كليلة وتمنى ان يكون اسيرًا كل عمرهِ في الشام ولا سعي الملك ضاراب الى خلاصهِ ونجاتهِ منها . وكذلك جرى على كليلة فانها حرمت من النظر الى بهمنزار قبا ولم يعد في وسعها ان تراه او تعلم شيئًا من امره غير انها عرفت انهُ وضع في السجن تحت الحفظ المشدد بامر الامير نصر صاحب حلب فكانت تزيد عليها الاكدار وتنمو يومًا بعد يوم ولم يكن دابها الا البكاء والنوح والتعداد وهي في قلق واضطراب تطلب من الله ان يفرج همها ويمنع عنها ضربات الفراق الواقعة فيهِ ويخلص بهمنزار من سجنهِ ويرفع عنهُ ثقل الشدائد الواقع فيها ليسعى في خلاصها من يد ابيها وغيره

قال ولم تكن كليلة تحسب حساب الزمان ولم يكن قد مرَّ عليها من الحوادث ما مر على سواها ولذلك كانت تفكر ان مدة عذابها وفراقها تنتهي قريبًا ولا يبقى غير زواجها بمن احبتهُ ولم تعلم ان الزمان عمل على عداوتها وسعى قبل ان يذيقها لذة العيشة في ان يريها منصوبًا من ملاعبهِ ويعذبها بمرارة الحوادث المرة . وذلك انهُ كان الملك هشام صاحب انطاكية ولد اسمهُ قطاع لم يخلق الله اقبح من اطوارهِ وخصالهِ زنديق شرير سكير كانهُ احد الابالسة العظام لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعي جانب ابيهِ ولا غيره يسفك الدماء على غير طائل فلا يقدر احد على مقاومتهِ او مضادتهِ وكل من في المدينة يخافهُ ويهابهُ لانهُ فوق كل شرور هذه قد جعل نفسهُ رئيسًا للاشقياء فكان كل شرير وشقي في المدينة ياتي اليهِ فيكرمهُ ويضمهُ الى اصحابهِ حتى ان اباه كان يخافهُ فلا يعارضهُ في كل اعمالهِ خوفًا من ان يبطش بهِ وقد تغاضى عن اعمالهِ كل التغاضي فعتا وتجبر وسطا على بنات المدينة ونسائها فلا تخلو واحدة في عينيهِ الا بعث من جاءهُ بها بالطيبة او بالرغم او بالسرقة . فلما عرف هذه المرة بقدوم الامير ومعهُ كليلة بنت ملك الشام طمع في ان يراها وخرج مع ابيهِ على هذه النية وحاول ان ينظرها فلما راها اعقبتهُ النظرة الف حسرة وهام بحبها هيامًا عظيمًا لانهُ لم يكن قد رأى مثلها في زمانهِ ولا نظرت عيناه جمالاً كجمالها وصبر على مضضهِ وغرامهِ الى ان استقرت في قصرها وتدبر امر خدمها ورجالها واقام الامير نصر في قصره فدعا ببعض اصحابهِ وقال لهُ اريد منك ان تذهب الى ابي وهو في مجلسهِ وتعرض عليهِ امر حبي لهذه الصبية بنت ملك الشام وقل لهُ اني احببتها حبًا زائدًا

ولذلك ارغب في زواجها حالاً على السنن والفرائض الناموسية كونها بنت ملك واني اطلب اليه
ان يزفني عليها بوقت قريب اذ لم يعد لي صبر عنها وعن التقرب منها . فذهب رسوله بحسب امره
ووقف بين يديه وهو في ديوانه وعرض عليه كلام ابنه وقال له واني اخطب منك الان بنت صديقك
ملك الشام فقد فوضني في ذلك وهو يريدها حلالاً على حسب ما تقتضيه فروض الزواج فارتاع
هشام وتكدر من قول ابنه لانه هو نفسه كان قد راها واحبها وهام بها وصبر الى ان يجيء ابوها فيخطبها
منه لنفسه وقد حدثته نفسه الخبيثة بان يتزوجها وكان جاريًا عليه ما كان جاريًا على ابنه (ولا غرو
فالكلب والد الجرو) فلما سمع كلام رسول ابنه ارتبك في امره ولذلك اجابه ان هذا لا يمكن الان
لان البنت ضيفة عندنا وقد بعثها ابوها ليمنع عنها طمع الفرس وخوفًا عليها من ان تقع بايديهم ففي
مثل هذا الوقت لا يمكن زواجها وانما متى جاء ابوها طلبناها له منه وزوجناه بها فليكن مرتاحًا
وليصبر فلا بد لابيها من ان يكون هنا بعد ايام قليلة . وكان قصد هشام ان يصبر ابنه ويدبر لامره
طرق زواجها ومتى تزوجت به يمنع عنها ولا يمد يده الى زوجة ابيه وظن بنفسه ان هذه الواسطة
تنسيه اياها . فرجع الرسول خائبًا حتى وصل الى مولاه واعرض عليه كلام ابيه فالهب في داخله نار
الغرام فوق ما كانت عليه قبلاً وحدثته نفسه ان يسير اليها الا انه امتنع لما فكر انها بنت ملك وانها
ربما لا تطاوعه على طلبه وقال في نفسه هذا لا يفوتني فلا بد لي من زواجها على اي وجه كان وابي
قد وعدني به فالاوفق ان اصبر الى حين اتيان ابيها فعما قريب يكون عندنا . الا انه ما مضى عليه
يومان حتى جاءه بعض اصحابه وكان من ديوان الملك وهو لا يعلم به فقال له اني سمعت اباك يقول
اني لو كنت اعلم أن هذه الصبية ترغب في الزواج وتريده قبل ان يحضر ابوها لكنت اخذتها لنفسي
فغرامي اشد من غرام ابني بها . فلما سمع قطاع هذا الكلام ارغى وازبد وقام وقعد وتحركت عليه
شروره وقال ايسابقني عليها هذا الشيخ فلا بد من الانتقام منه . ثم دعا اليه كل اصحابه واوصاهم
ان يتسلحوا ويكونوا على اهبة الاستعداد في الليل لانه عزم على قتل ابيه . ولما كان الليل تقلد سلاحه
وسار الى قصر ابيه وكان الحجاب قائمين على ابوابه فلم يعترضه احد لعلمهم انه ابن سيدهم وبقي سائرًا
الى ان دخل الغرفة التي ينام بها ابوه فوجده مع امه في الفراش فصاح به وقال له ويلك ايها الشيخ الشرير
اتزاحمني في غايتي وتمنع عني من احببت فاستهدف الان لوقوع الموت فلا رجوع عن قتلك الساعة
فقد كفاني الصبر عنك كل هذا الزمان ولم يعد في وسعي ان اترك الملك في يدك وكنت لا اريد
ان ابتدئ بالشر معك حتى بدئت به انت ثم اشهر السيف وهجم لجهته فصاحت والدته ورمت
بنفسها عليه لتعطف بخاطره وظنت ان بعملها هذا ترجعه عن غايته وتمنعه من قتل ابيه وتسكن من
غضبه فزاده غيظًا فوق غيظ ورفع السيف فضربها به على ام راسها شقه الى نصفين وتقدم من
ابيه وهو في ارعاد وازباد وضربه بالسيف فقتله . وبعد ان شاهد اباه وامه مائتين الى الارض

تركها وخرج وكان رفقاؤه في الاسواق وعند باب القصر ينتظرونهُ فامرهم ان يقتلوا الحجاب ففعلوا بعد ان اشتبك بينه و بينهم قتال شديد ثم سار بهم الى بيوت امراء المدينة الذين كان يعلم انهم من احزاب ابيه واصدقائهِ فدخل عليهم وقتلهم الا من اطاعه منهم وقبل يديه ووعده بان يكون من خدامهِ وما طلع النهار حتى تلطخ المدينة بدماء كثير من الابرياء وفعل الافعال القبيحة والاعمال الرديئة وعند بزوغ شمس النهار ذهب الى دار الاحكام محفوفًا باصحابه واحزابهِ حتى دخل اليها دون معارض ومانع فدخل الديوان وجلس على كرسي ابيه ولبس التاج على راسه وامر ان ينادى في المدينة باسمهِ وان ياتي اهلها افواجًا الى تقبيل يده وطاعتهِ ومن عصى يكون جزاؤهُ العذاب فجعل ينادى بما امر فاقبلت الناس افواجًا على داره فيدخلون اليه ويقبلون يديه و يدعون له بالنصر على غير رضى منهم وهم متيقنون ان المدينة ستصبح في حالة فوضى عرضة لغاياته وانفاذ ما رب اصحابه الاشقياء وبعد ان يخرجوا من امامه يدعون الى الله ان ينتقم منه ولا يطيل بعمره تلطفًا بحالة الرعية . قال ولم تمض الا ايام ثلاثة حتى اصبح كل من في المدينة طائعًا له مرغومًا الى انفاذ اوامره . وبعد ان راقت له الحال ولم يرَ في سبيل امله مانع اعتز بنفسه و بسلطانه وقال لا ريب ان كليلة الان تشتاق ان تكون زوجة لي وترغب فيَّ كل الرغبة لانها تكون ملكة انطاكية وسيدتها والذلك دعا بشيخ من شيوخ ديوانه وقال له سر الى كليلة بنت ملك دمشق واطلبها من نفسها لي واخبرها بحبي لها واني لا ارجع عنها . فسار الرسول اليها وعرض عليها طلب مولاه وطلب منها ان تقبله زوجًا لها لانه اصبح المالك على كل انطاكية ونواحيها . وكانت قد عرفت بكل عمله وما فعل بابيه وامه فاغضبها هذا الكلام وقالت الرسول سر اليه واخبره انه لا يطمع نفسه فيَّ ولا يقدر على ان يغتصبني او يتمكن مني فاني اقتل نفسي قبل ان يصل اليَّ فالموت احب اليَّ من التقرب منه وفضلاً عن اني اكرهه ولا ارضاه فاني ايضًا مستقبحة عمله فكيف اقبل زوجًا لي رجلاً قد قتل اباه وامه فهو دون شك لا يخاف الله ولا يراعي حرية الانسانية وما هو الا وحش ضاري وها انا منذ هذه الساعة مستعدة لان اقتل نفسي اذا عرفت بقدومهِ مني او اغتصابهِ اياي . فلما سمع الرسول كلامها وراى اصرارها على الامتناع رجع الى الامير قطاع واعاد عليهِ كلامها وما سمع منها فغضب منها مزبد الغضب وعول على اجبارها على تنفيذ ما ربهِ وانها ان لم تقبل باللين تقبل بالرغم عنها فيغتصبها و ينال ارادته منها . وكان في ديوانهِ رجلاً من جماعتهِ خبيث محتال طماع وهو من اخصائهِ الذين اعتادوا على القبائح معه . فلما راى حالته فكر في الطرق التي تكسبه المال منه ولم يرد ان يضيع مثل هذه الفرصة . فقال له لا تغضب ياسيدي فاني اقضي لك ما انت طالبه بل يجب ان تستعمل الوسائط المقنعة لمن هي مثل كليلة وانت تعلم ان النساء لا يملن الى التعرض بانفسهن لمثل هذه الامور الا لثلاثة حاجات الاولى طمعًا بالمال والجواهر لان كثيرات منهن يرغبن في التزين والتزخرف والتبرج فيبعن اعراضهن رجاء بالحصول عليها

و يسلمن بانفسهن لمن يجود بها لهن . والثانية عن هوى وعشق وغرام فيبذلن الغالي والعزيز لقضاء مآربهن وتطلبات قلوبهن ممن يهوينهٔ و يعشقنهٔ وهنَّ بخلاف الاوائل . والثالثة من النكاية والكيد لمن يروم في حجرهن او للازواج الذين يلتهون عنهن بغيرهن . فكليلة الان لا يمكن ان تقبل الان بك الا بالمال والجواهر لانها لم تكن مغرمة قط ولا ما يدفعها ان تسلم نفسها اليك لتتخلص من غيرك لاسيما وقد سمعت انها تذكر دائمًا بهمنزار قبا وهو الرجل الايراني المسجون عندنا فاحضر اليَّ من العقود النفيسة والخواتم الماسية والجواهر الغالية ما يمكن ان ينسيها محبة غيرك وترى من نفسها انها اذا لبست مثل هذه الجواهر تزيد حسنًا وجمالاً وانا ازيد لها عنك وعن اوصافك واخبرها بحلمك ورقة معانيك وانك راغب فيها عن هوًى وغرام واشرح لها عن اتساع ملكك وقوة جانبك واني اكفل لك رضاها وقبولها . فلما سمع كلامهٔ راه صوابًا فانقاد اليهِ واسرع في احضار الجواهر المطلوبة فاتى منها بشيء كثير يصعب وصفهٔ ودفعهٔ للرجل المحتال وقال لهٔ خذ هذا طالبك واذا اتيتني منها بالوعد الصادق اغنيتك من العطاء وافرغت عليك الانعام والاموال الغزيرة فوعده بكل جميل واخذ الجواهر منهٔ وهو يقول في نفسهِ لا ردها الله عليك ولا جمعك بها فانك قبيح خبيث وبقي سائرًا الى ان دخل على كليلة فوجدها في حالة بكاء ونواح فتقدم منها وسلم عليها وعرض اليها الجواهر وقال لها اني بعثت من عند سيدي قطاع لادفعها اليك واسالك قبولها منك فهو مغرم بك ولا يريد الاك وان كان في وسعهِ ان يحصل عليك بالرغم الا ان حبهٔ لا يسلم معهٔ بذلك ولهذا ارسلني ثانية على رجاء ان تقبلي منهٔ حبهٔ وان تقابليهِ بالمثل وتكونين لهٔ زوجة ويكون لك بعلاً وقد قال لي ان اقول لك انهٔ يضع ملكهٔ وخزائنه بين اقدامك وتحت امرك ويجعلك المالكة على كل البلاد وكل شيء امرت بهِ فعلهٔ لك واطاعك عليهِ . قالت اني لا ارغب فيهِ ولا اشتاق الى ملكهِ ولا اريده مطلقًا لاسيما وهو لا يعرف الله ولا يرعى جانبهٔ وقد قتل اباه وامهٔ ويروم ان يغتصبني فلا بد لي من ان ادعو الله ينتقم منهُ فهو السميع المجيب وبعد ان حاول ذلك الرجل تكرارًا ارضاءها دون الحصول على جدوى او نتيجة عاد من عندها وهو يقول لها اني ساقول لهٔ انك قبلت وان يهتم بامر العرس وبعد عشرة ايام يكون يوم الزواج وهي تمنعهُ من ذلك وتظهر لهٔ انها تقتل نفسها اذا حاول الحصول عليها باي طريقة كانت ثم ان الرجل اخذ الجواهر الى بيتهِ فدفعها الى زوجتهِ وقال لها هيئي نفسك الى الغد فاني مزمع على السفر ولم يعد لنا من ثم اقامة في هذه المدينة . وبعد ذلك رجع الى ان وصل الى ديوان قطاع فوجده بانتظاره وكان الوقت اذ ذاك اخر النهار فاظهر عند وصولهِ فرحًا واستبشارًا وقال لهٔ هنيئًا لك يا سيدي فاني لا زلت عليها حتى قنعت واخذت مني الجواهر فرحة بها ووعدتني انها بعد عشرة ايام يكون الزفاف وتستعد للقائك وقبولك عندها وقد سرها كرمك وجودك وانك تقدر ان ترفع شانها وتكفيها مونة الذين يرغبون فيها . فلما سمع الامير

قطاع هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وفي الحال امر ان يدفع اليهِ المال الكثير بلا عد
ولا حساب فقبض الذهب الذي امر لهُ بهِ وخرج من عنده مستبشرًا بالغنى العظيم والسعادة
القصوى وقد قال في نفسهِ لا عمر الله لك بيتًا لا انت ولا هي فلم يعد لي الآن اقامة في هذه البلاد
وقد صار عندي من المال ما يكفيني لالوف من السنين ولما وصل الى زوجتهِ وجدها قد هيأت
نفسها واحضرت كل ما تحتاج اليهِ وما هو عزيز عندها ورزمتهُ رزمًا ولما كان صباح اليوم الثاني
جاء الرجل بالبغال فحملها وحمل زوجتهُ واولاده ومعهُ الاموال والجواهر وخرج من المدينة دون
ان يعلم بهِ احد او يطلع على امره الامير قطاع

واقام الامير قطاع مسرورًا مستبشرًا بنوال غايتهِ بوصال كليلة وهو يرجو ان تنقضي هذه الايام
القليلة التي كان يراها اطول من شهر الصوم واخذ في ان يعدد المعدات ويهيء اللوازم ويرتب
كل شيء يحتاج اليهِ في عرسهِ وقد اعدَّ قصرًا فاخرًا وزينهُ بالاثاث الفاخرة والنقوش الذهبية
وحسنهُ من كل انواع الزخارف حتى اصبح كالفردوس كل ذلك فرحًا بعروسهِ التي كانت لا تعلم
شيئًا من هذا وقد ظنت من نفسها انهُ رجع من تلقاء نفسهِ والتهى عنها بغيرها . وكان الامير قطاع
في هذه المدينة افتقد الرجل صديقهُ من ديوانهِ فلم يرَهُ فسال عنهُ فقالوا لهُ اننا منذ ايام ما رايناه
فقال لا ريب انهُ اخذ الدراهم ففرح بها وانعكف على المعاصي ولعب القمار يصرفها فيها فلندعه في
حظهِ وكان يعلم كل اطواره وقبائحهِ منذ كان رفيقهُ في الشرور والقبائح فلم يعبأ بامره ولا ظن انهُ
يغشهُ لانهُ كان صديقًا لهُ صدوقًا منذ الصغر . وبقي على استعداده الى ان كان اليوم المعين فدعا
بارباب ديوانهِ واصحابهِ وامراء المدينة الذين اطاعوه ووزرائهِ وهياش وعمل لهم وليمة فاخرة
وكذلك الامير نصر صاحب حلب وقد علم بزواج قطاع بكليلة فقال في نفسهِ هو خير لها من هذا
الايراني الذي تطمع نفسها بهِ فلم يقبل ان يبدي كلمة وقال لا ريب ان اباها يسره ذلك فلا
مانع فيهِ فمثل هذا النصيب لا يفات ولا يترك . وكان يومًا عظيمًا عزفت فيهِ الموسيقات الملكية
ورفعت بهِ الاسهام النارية واجتمعت كل المدينة للفرجة على ذلك الزفاف الى ان كان المساء
ولم يكن عند كليلة خبر من كل هذا . ولما حان الوقت بعث الامير قطاع اليها بالخبر ان تتهيء
بحسب وعدها وانهُ بعد ساعتين ياتي الى قصرها مصحوبًا برجال مملكتهِ لنقلها الى القصر الجديد
الذي اعدهُ لها وان الموسيقات وكل الات اللهو ستسير امامها الى هذه الغاية . فلما سمعت بهذا
الخبر كاد يطير الشرار من عينيها واضطربت مزيد اضطراب وغاب عنها صوابها واحتارت ماذا
تفعل ولما اعياها الامر وثبت عندها انهُ لا يرجع عنها الا بقضاء حاجتهِ جمعت اليها الرجال الذين
جاءوا معها من بلادها وقالت لهم ان الامير قطاع مراده ان يجبرني على زواجه مع اني اكرههُ ولا
ارغب فيهِ فاريد منكم ان تقيموا على قصري فمتى جاء تمانعوا وتدافعوا وترجعوه اما بالحسنى واما

بالقتال ولا تبيعوني رخيصة في سبيل مآرب هذا الفاسق فقالوا لها اننا لا نسلم بك ونحن احياء وكيف نعرضك الى الفضيحة وانت بنت ملكنا ومحبوبة منا وقد بعثنا ابوك لخدمتك والمحافظة عليك . قالت بارك الله فيكم فانتم ركني وعوني . ومن ثم لزموا باب قصرها فلم يفارقوه وقد هيئوا بانفسهم واستعدوا للقتال اذا اقتضت الحال ولزم الامر . قال ولم يكن الا القليل حتى اشرقت بالك النواحي بشاعل الاتين وارتفعت اصوات المغنين واللاعبين والموسيقات تتقدم الجميع وفيما بينهم الامير قطاع كانه النمر الجارح وفي كل نيته انه سيلتقي بكليلة وينال وصالها وتكون زوجته ولم يعلم قط بامتناعها الى ان قرب من قصرها وطلب جماعته الدخول فمنعهم رجالها وقالوا ان سيدتنا امرتنا ان لا ندع احدًا يدخل عليها لانها لا ترغب في الزواج ولم تعين له وقتًا فعاد المتقدمون الى العريس واخبروه . فقال لهم لا بد من الدخول رضيت او لم ترض فاقتلوا اصحابها وادخلوا بالرغم عنهم ومتى وصلنا اليها جعلناها ان تقبل بالغصب عن ارادتها

قال ولما سمع جماعته ذلك تقدموا الى الباب وارادوا الدخول عنوة فانتشب القتال بين بعضهم البعض وارتفع الصياح وقامت الغوغاء ورات كليلة ما كان فعلمت ان لا مناص لها من يد الامير قطاع ولا رحمة بقلبه ليشفق عليها ويتركها ويرجع عنها وتاكد عندها ايضًا ان جماعتها لا يلبثون ان يتفرقوا لانهم قليلو العدد وجماعة المدينة كثيرون ولذلك جاءت الى النافذة التي في ظهر القصر فربطة نفسها بقماش وتدلت حتى وصلت الارض سالمة وقد تاملت النجاح فسعت راكضة تطلب مكانًا تختفي فيه ولا زالت الى ان بعدت عن القصر ولم يعلم احدهم بها ولا اطلع على خبرها وبقيت سائرة من مكان الى مكان حتى جاءت اطراف المدينة فوصلت الى بيت منفرد عليه دلائل الفقر والضنك فدخلته وهي تلهث من التعب والخوف ولما صارت داخله نظرت الى امراة عجوز منفردة في ذلك البيت وليس فيه غيرها فدنت منها ورمت نفسها على اقدامها تقبلها وهي تذرف دموعًا سخية من فواد مجروح مقروح فاندهشت العجوز من وجودها وتعجبت من جمالها وما عليها من الجواهر فترحبت بها وطمنتها على نفسها وقالت لها ماذا ترغبين ياسيدتي قالت اعندك في هذا البيت غيرك ذكرا او انثى قالت ليس سواي فماذا تريدين . قالت اريد ان ابقى عندك عدة ايام مختبئة ولا اريد ان يطلع احد على امري ولك مني ما تطلبين . ثم خلعت من عنقها عقدًا من الجواهر فدفعته لها وقالت خذي هذا يا امي سلفًا مني وهو يساوي ثمانمائة ذهب فيغنيك عما تحتاجين اليه في نفقتي واني ازيدك بعد فوقه اضعاف ولا ارغب عندك بكرامة او تكليف وجل ما ارغبه ان تكتمي امري ولا تطلعي احدًا بوجودي عندك لاني غريبة وقصتي سوف تطلعين عليها بعد ان اقدر ان املك نفسي ساهبك من المال ما يجعلك غنية مثرية . فلما رات العجوز العقد فرحت به مزيد الفرح وسرت غاية السرور وكادت تطير وهي لا تصدق كل ما تراه وتسمعه وقربت

منها واعطتها لتاكل ووعدتها بكل جميل وان لا تدع احداً يعرف بامرها فاطمأن بال كليلة وارتاح ضميرها وسالت الله الفرج وبقيت عند العجوز الى نحو نصف الليل فمدت لها فراشاً ودعتها للنام فنزلت الفراش وتمددت فيهِ الا انها لم تنم قط من عظم الهلع الذي لا يزال يزورها ويتردد في ضميرها وبقيت اكثر من ساعة تتلاعب بها الافكار والهواجس وبينما هي على مثل ذلك سمعت الباب يدق فارتعش فوادها واضطربت وهي لا تعلم من الطارق وسمعت تلك الامراة المسنة قد نهضت ففتحت الباب وادخلت شاباً في سن الثلاثين سنة وبعد دخولهِ اقفلتهُ وسمعتها تقول لهُ لقد ابطأت ياولدي فشتمها ولعنها وقال لها كم من مرة قلت لك لا تقولي لي مثل هذا الكلام مع انك تعلمين اني لا اتي قبل الساعة السابعة فهل تريدين ايتها الكهينة ان آتي من اول الليل واقيم معك في هذا البيت كالحبس لا ارى غير وجهك المشوم فاترك اصحابي واحبابي وقد كان لنا هذا اليوم وهذه الليلة سروراً عظيماً قد شربت من الخمر ما جعلني اغل من البسط والانشراح فاقصري عن لومك والا قصرت عمرك . فلما سمعت امهُ كلامهُ لم تعد تبدي خطاباً بل دخل البيت وطلب اليها ان تقدم لهُ الطعام لياكل ففعلت وبعد ان اكل واكتفى نظر الى كليلة وهي في الفراش فتحير منها وتعجب من امرها وسال امهُ عنها فحكت لهُ امرها وقالت لهُ اعلم ياولدي انها دفعت لنا هذا العقد وهو ثمين جداً ولذلك تواليت على ان اخفيها عندي فاصير مثرية من انعامها لانهُ يظهر لي انها بنت امير او وزير . فلما راى العقد كاد يطير شعاعاً وفرح مزيد الفرح وحدثتهُ نفسهُ بان ياخذه في الغد ويبيعهُ ويصرف ثمنهُ في سبيل سكره وفواحشهِ وكانت كليلة قد جفل قلبها منهُ لما راتهُ ورات في وجههِ علائم الشر والرداءة وعرفت ان العجوز غشتها فقالت لها ان لا احد عندي وندمت كل الندم على حضورها الى ذلك البيت الا انها لما كان ليس في وسعها الخروج منهُ صبرت على حالها وسلمت امرها لله بان يخلصها من شر المصائب الواقعة فيها . ثم ان العجوز وابنها ناما الى بعضها البعض وقد شغل العقد سنها ولم يكن فكره يحدثهُ الا بالاستيلاء عليهِ وجعل يفكر فيما يفعل في الغد والى اي جهة يذهب ومن يرافق والى اي فحشاء يوجه بفكره وعملهِ

واما كليلة فلم ياخذها النوم قط ولا هدأ بالها بل صرفت كل تلك الليلة قلقة متناومة وقلبها وعقلها مستيقظان الى ان اشرق وجه الصباح ولاحت شمسهُ فنهض كل من فراشهِ وتامل ابن العجوز في محاسن كليلة جيداً فغاب صوابهُ وهام بها ولام نفسهُ كيف انهُ لم يرَ ذلك من الليل ولم ينتبه اليهِ الا انهُ قال لامهِ احتفظي عليها وادفعي لي العقد لابيعهُ واتيك بالثمن لنصرفهُ في ضيافة ضيفتنا الجديدة فقامت ودفعتهُ اليهِ وقالت لهُ احرص ان تذكرها لاحد فهي لا تريد ذلك وقد وعدتها بسترها وخرج وهو يقول في نفسهِ قتل الله من جاءك بدرهم من ثمن هذا العقد فلا احياك الله ثم اتجه الى جهة الاسواق . وبعد ذهابهِ تقدمت كليلة من صاحبة البيت وقالت لها لما غششتني يا سيدتي

الم تقولي لي ان لا رجل ولا امراة عندك . قالت ان لا احد عندي وهذا ابني فقط وهو يغيب من الصباح الى اخر الليل ولا ياتي الا فيما ندر لان اكثر الليالي يصرفها في لهواته وشروره وانا النصحة فلا يسمع بل يجاوبني بالسب والشتم والضرب كاني عدونه قالت اني اخاف من ان يطلع احد على امري فيلقيني بوهدة الخطر والعذاب لان امري خطير مهم . قالت لا تخافي فهو يلتهي الان بالسكر ولا يهمه امرك ولا يفكر فيك اذا لم يسالهُ احد عنك على اني اوصيتهُ ان لا يذكرك لاحد . فسكتت وقلبها لا يزال يحدثها بان الشرسياتي على يده واخذت تفكر فيما ذا تفعل وقد خطر لها ان تصبر الى الليل فتذهب من البيت وتختفي في غير مكان او انها تذهب من المدينة مسلمة امرها لله الى ان تسمع بمجيء الفرس لانهم لا بد من ان يتاثروا بهمتزار قبا ليخلصوه اينما كان

قال فهذا ما كان من بعض امرها واما ما كان من الامير قطاع فانهُ بقي في قتال مع رجال كليلة كما تقدم معنا الكلام حتى تغلب عليهم وفرقهم عن القصر ودخل وهو يهدر كالجمال وقد فار غضبهُ وامتلأ قلبهُ من الغيظ وما صدق ان يصل اليها ليجازيها على فعلها بالاغتصاب والقهر . فلما صار في القصر جعل يطوف و يسال عنها فلا احد يقدر ان ينبئه عنها شيئًا الى ان دنا اخيرًا من الغرفة التي كانت فيها ونظر الى النافذة فوجد قماشًا مربوطًا بها ومدلى الى الاسفل فعلم انها هربت من هناك فزاد غضبهُ وكدرتهُ اعمالها كيف انها تحمل المصاعب والاخطار لتخلص منهُ وتبعد عنهُ وتلقي بنفسها في ايدي الغير وعند ذلك رجع الى قصره مايوسًا وامر رجالهُ ان تتفرق في المدينة للتفتيش عليها والسوال ممن راها واقام هو كل تلك الليلة في هم ونكد وتفرق ايضًا المدعون الى العرس وهم يضحكون من امره ومن املهِ بن لا تقبلهُ وقد عرفوا كلهم انها لم تعدهِ قط بزواجهِ منها . وفي الصباح حضر الى مجلسهِ وعاد اليهِ رجالهُ واخبروه انهم لم يقفوا لها على خبر فنمت بهِ الاكدار وكاد ينشق من الغيظ وخطر على بالهِ الرجل الذي كان قد بعثهُ لمراضاتها ومعهُ الجواهر والحلى فلم يقف لهُ على خبر واخبر انهُ سار بزوجتهِ من المدينة ولم يرَه احد منذ بضعة ايام فتاكد عنده غشهُ لهُ وانهُ اخذ الاموال والجواهر وسافر الى غير بلد فزاده هذا الامر غضبًا على غضب وتمنى ان يكون واصلاً اليهِ لينتقم منهُ ثم دعا بالمنادين وامرهم ان ينادوا في المدينة ان كل من راى كليلة او جاء بخبرها دفع اليهِ عشرة الاف دينار وخيره بكل ما يطلبهُ فاخذ المنادون ينادون في الاسواق والشوارع عن ذلك وبينما كان احدهم ينادي بهذه المناداة صادف مرور ابن العجوز التي عندها كليلة فسمعهُ وانعطف اليهِ وحدثتهُ نفسهُ ان الصبية التي عند امهِ هي المطلوبة والا لما كانت اوصتهُ ان لا يخبر احدًا بها ولما ترجح عنده هذا الظن طمع بالمال و بكثرتهِ فدنا من المنادي وقال لهُ خذني الى الامير قطاع لاصف لهُ هذه الصبية فان كانت صاحبتهُ اتيتهُ بها وقبضت منهُ المال . فلما سمع المنادي كلامهُ اخذه الى ديوان الامير قطاع فسالهُ عنها فحكى لهُ كل ما راى عند والدتهِ وانهُ في الصباح اخذ منها

عقد"ا من الجوهر ثمينًا و باعهُ في سوق الجواهر بثمانين الف قرش ووصف لهُ الصبية بملابسها و بهاها وجمالها وانها اوصتهُ ان لا يظهر امرها لاحد. فلما سمع قطاع هذا الكلام تاكد عنده ان هذه هي كليلة بعينها وقد اختفت عند امهِ فلما ثبت عنده ذلك قال لابن العجوز خذ جماعة من اصحابي واتني بها فاني اعطيك فوق ما وعدت. قال جزاك الله خيرًا يا سيدي فاني لا ازال اتذكر التفاتك اليّ منذ كنت ارافقك قبل ان صرت ملكًا وطالما دفعت عني ثمن الخمر ورددت طلب اصحاب الحانات واني اعرف انك تعطيني كل ما اطلبهُ فان مرادي افتح حانة للخمر فلا اعود ارى وجه امي المشوم القبيح لانها دائمًا تعنفني عن شرب المسكرات ومرافقة اصحابي فقال لهُ كن مطمئنًا فسوف يكون لك كل ما تطلبهُ ففرح واخذ جماعة الامير قطاع وسار بهم الى ان وصل الى بيتهِ فاقتلع الباب ودخل دون ان يطرقهُ واندفع من خلفهِ الجماعة الى ان راوا كليلة وكانت لا تزال على الحالة التي تقدم ذكرها وعقلها يتردد بقباحة عاجل وهو ابن العجوز وقلبها يوكد لها ان الشر سيكون عن يده الى ان دخل عليها الرجال فمسكوها بغتة وقالوا لها ان سيدنا يدعوك اليهِ. فبكت وناحت وتاكد عندها وقوعها في يده ودعت الله الى خلاصها وارادت ان تخلص منهم فلم تقدر وجعلت العجوز تشتم ولدها وتسبهُ فلطمها على وجهها القاها الى الارض وقال للرجال خذوا كليلة بالرغم عنها الم تسمعوا قول سيدكم فقبضوا عليها وساروا بها وهي غائبة عن الصواب الى ان ادخلوها على الامير قطاع فراها وعرف انها هي بنفسها. فطار من الفرح وزال ما بقلبهِ من الهم والترح وقال لها بتلطف لما فررت من قصرك وهربت مني بعد ان وعدت رسولي بقبولك لي زوجًا حلالاً قالت اني لم اقدم على هذا القول ولا قبلت قط وهل يخطر ببالك اني اوافق على زواجي وابي غائب عني وانا غريبة فلو كنت ممن يعقل لصبرت الى حين مجيء ابي فان امري بيده وليس بيدي ولا يمكن الان ان تنتهي غايتك مني ولو فعلت ما فعلت. قال ان امرك الان ليس بيدك ولا بيد ابيك بل هو بيدي وقد عولت على ان اتزوج بك بالرغم عنك. قالت انك لا تقدر ان تغصبني او تغتصبني قبل ان تراني قتيلة ومازلت قادرة على التحرك لا اطيعك قط على امر واني ارى من الان نفسي سائقة الى الموت ولا تفكر اني كمن لاقيت من النساء والبنات اللواتي يطعنك اما تخلصًا من شرك او طمعًا بمالك فاني اراك في اعيني قبيحًا ذربًا تفعل غير ما يرضي الله والناس. فارتجف من كلامها وقال لها ان اكرامي الك اوصلك الى هذه الدرجة حتى تشامخت وتكبرت واني الان اذلك فتقبلين رغمًا عنك متى رايت نفسك مسجونة محجورة متروكة من كل الناس ثم امر ان توضع في غرفة في مكان قذر وان يقام عليها الخفر وان لا يكلمها احد مطلقًا ويقدم لها الطعام في كل يوم مرة ويكون من الخبز الجاف فقط واوصى الحرس ان يسيئوا معاملتها وان يذلوها كل الاذلال واوصاهم كل الوصية ان لا يمسوا جسدها بسوء ولا يفعلوا غير ما يقهر نفسها وامرهم انهم متى راوا منها انها قد لانت وقبلت

بزواجهِ جاءوا بها اليهِ واعطوها كل ما من شانهِ ان يريحها . ففعلوا ما امرهم ووضعوها في غرفة صغيرة قذرة لا فراش فيها سوى قطع من القماش الخشن واقفلوا عليها الباب فكانت لا ترى احدًا ولا تسمع احدًا سوى الشرطة القائمين على حراستها عندما يأتونها بالخبز والماء و يسالونها اذا كانت قد قبلت ولانت ورجعت عن عنادها فتقول لهم اني لا ازال على عزمي واني ارى هذه الحالة احب اليّ كثيرًا من ان اكون زوجة لرجل شرير كسيدكم . وكانت ثابتة العزم والراي لا ترجع عن قول قالته لاسيما وهي تعرف من نفسها انها وعدت بهمنزار قبا حبيبها بالخلاص وترى من ذاتها انها مضطرة ان تحفظ حالها له وان تحمل العذاب لاجلهِ وتنكر ايضًا باسره فيهون عليها اسرها وما هي عليهِ . وكان املها قويًا بالخلاص من هذا العذاب الجهنمي ومن معاملة الامير قطاع لها لانها كانت تفكر باتيان ابيها من دمشق او باتيان الملك ضاراب لخلاص بهمنزار قبا فتنجو معهُ ولا يمكن ان يبقيها اذا تسهل لهُ الخلاص و يتقاعد عنها . و بقيت على هذه الحالة ايامًا وقطاع يسال عنها فيقال لهُ انها باقية على قولها فيشتغل بغيرها لانهُ كما تقدم كان كثير النسق والفساد الى ان كان ذات يوم سال الخفر عنها فاجابهُ بصلابة رايها فتعجب وقال اني لا ارى هذا العناد في محلهِ وليس واقع بلا سبب ولا شك انها تحب هذا الاسير الايراني الذي عندنا وتعلق الامل بزواجهِ عند خلاصهِ ولذلك فكرت بقتلهِ بحيث يقطع املها . فلما سمع رجال ديوانهِ كلامهُ خالفوه جميعهم وقال لهُ وزير ابيهِ هياش انك ان فعلت ذلك ارتكبت خطاء مبينًا لان الفرس على ما نسمع الان انهم قريبون جدًّا من الشام ومتى وصلوا اليها لا بد ان يفتحوها ومتى سالوا عن بهلوانهم فلا بد ان يقال لهم انهُ عندنا فيسيرون الينا ونحن لا قدرة لنا على مقاومتهم مع ان الوليد وقوة سلطانهِ وعظمة شانهِ وكثرة جنوده وقد اجتمع اليهِ كثيرون من الملوك والامراء برجالهم واجنادهم فتبددوا وهلك كثير منهم مع رجال قيصر و بهلوانهِ . فاذا جاء الملك ضاراب الى بلادنا خرجنا اليهِ وعرضنا عليهِ حالنا وقلنا لهُ ان لا ذنب علينا وان مسرور بن عتبة بعثهُ الينا فياخذه و يسير في طريقهِ ولا يتعرض لنا ولا نتعرض لهُ ويمنع الشر عن بلادنا وليس من عداوة بيننا و بين الفرس . ووافق كل رجال الديوان على كلامهِ وراوهُ صوابًا فتكدر هو منهُ ولما لم يرَ نفسهُ قادرًا على انفاذ ما به احتدم بهِ الغيظ واراد ان يقهر الوزير لانهُ كان على زمن ابيهِ فامر ان يسجن في الحال مع بهمنزار قبا وان يعامل بالاهانة والاحتقار . و بعد ان اخذ الى السجن قال الى الباقين اني ما فعلت معهُ ذلك الا خوفًا من انهُ اذا جاء الملك ضاراب يستعين بهِ عليَّ ويخبره بامري واني قتلت ابي فيجلب لي الويل والعذاب و ينزع الملك مني ويجردكم من خططكم لعلمهِ انكم من اخصائي ولذلك قصدت منعهُ من عملهِ وقيامهِ في السجن الى حين يعود الفرس من بلادنا واني اراكم قد اصبتم في عملكم وقولكم فاني متى جاء الفرس دفعت اليهم الاسير فيسيرون وتبقى كليلة في يدي فهي لا تفوتني و بعد عملهِ هذا اقام على المعاصي وهو لا يفتر

عنها ليلة واحدة كانه لم يكن ملكًا

هذا ولا بد للقارىء من ان يكون مشغل الفكر لجهة تركنا الملك ضاراب وولده فيروزشاه ورجال مملكتهِ وفرسانهِ الذين خرجوا من مصر يقصدون الشام فانهم ساروا على الترتيب الذي تقدم معنا ذكره مرارًا الى ان وصلوا الى قرب دمشق فجفلت بين ايديهم الوحوش من تلك البراري والجبال وفرت الاهالي من القرى والضياع الى المدينة خوفًا من السبي والنهب وهم لا يعلمون بحلم الملك ضاراب وعدم رغبتهِ بالتعدي على احد وبلغ الخبر مسرور بن عتبة بقدومهِ فجمع اليهِ رجالهُ وقال لهم هوذا الفرس قد جاءوا بلادنا واني اعلم ان لا طاقة لنا على دفاعهم انما اخاف اذا صالحناهم يغضب علينا الملك قيصر ويجازينا بالهلاك المبين وينزع البلاد منا ويسلمها الى سوانا ولذلك عزمت على ان ادافع يومًا واحدًا فمتى رايت الغلبة سلمت المدينة وهربت الى انطاكية وابقيتها لهم فمتى دخلوها ولم يروا فيها اسيرهم ساروا عنها اما الى جهة انطاكية واما الى جهة قيصر فان ساروا الى انطاكية اخذت الاسير وبقي ومن يكون قد تبعني منكم الى حلب ومنها الى بلاد الرومان الى حين ينتهي القتال بين الفرس والرومان فماذا تشيرون قالوا انا نرى كلامك صوابًا فاعمل على الدفاع يومًا واحدًا لان المدينة ليست بحصينة ولا نقدر على ان نلقى هجمات الفرس اكثر من نهار وفي اخره نستلم الابواب الاخر ونخرج منها ونبقي المدينة في يد الفرس الى حين يخرجون منها فنعود اليها

وبعد ان اتفقوا على هذا الامر اقاموا الجند عند الابواب مهيئة للطعان والضراب . حاملة الاسنة والحراب . تنتظر قدوم الملك ضاراب حتى اقبل على المدينة بجيوشهِ الجرارة وانتشرت في تلك الجهات انتشار الكواكب في السماء وهي مسرورة بما شاهدتهُ فيها من الرياض الانيقة الواسعة وما ينبعث عنها من الروائح الذكية العطرية وانهرها تتدفق عذبة وتنساب جداولها في رياضها وحياضها حتى انعشت فواد كل رجل منهم وسر الملك ضاراب مما شاهد ورأى وقال لوزيره طيطلوس اني ارى هنا الجنة الفيحاء يا سكان هذه البلاد ممن يموتون . قال نعم ان هذه البلاد هي افضل البلاد واثمارها اشهاها وازهارها ازكاها ورجالها افضلها وارقها ونساؤها اجملها والطفها وقد لقبها كثيرون بجنة الارض وفردوسها وسكانها يقيمون دائمًا على الحظ والانشراح لانها روضة انسهم ودوحة افكارهم فلا يقدرون على البعد عنها ولسكانها فيها اوصاف عديدة والغائب عنها يردد في فكره دائمًا

هذا الحمى ابن الرفيق الانجدُ ... قد يمم الخيف الفريق المنجدُ
انوا فلا داري بجلق بعدهم ... داري ولا عيشي لديها ارغدُ
وعلى الاكثة فتية نعمت بهم ... راح السرى والعيش فيهم تسجد

يتهافتون على الرجال كانهم ... قضب على كثب النقا تتأود

ولهًا على وادي النقا وا لهفتي ... لو لهفتي تجدي وهي تسعد

كانت عروس الدهر ايام لنا ... فيه ثلاث ليتها لي عوَّد

عهدي به مغنى الهوى تستامة ... عين مسهدة وقلب مكمد

ما بالهُ بعد الثلاثة اقفرت ... منهُ معالمهُ واقوى المعهد

جسمي باكناف الشآم مخيم ... وهواي بالركب اليماني مصعد

تالله هاتيك الليالي اسأرت ... في مهجتي نارًا تقوم وتقعد

وكأن مرمى كل موقع جمرة ... في القلب والاحشاء مني موقد

لله ايام بجرعاء الحمى ... والدهر مصقول الحواشي امله

ايام ظل الدهر غير مقلص ... عني وعيشي طاب فيه المورد

في حيث ريحان الشبيبة باسق ... والخيف مغنى للحسان وموعد

اذ منتداه مراد كل خريدة ... يصغو اليها الخاشعون العبد

ما لي اذا برق تالق بالحمى ... اودى بمهجتي المقيم المقعد

واذا نسيم الروض هب تبادرت ... وفق الصبابة ادمع تتردد

ومتى ظفرت من الزمان بناصر ... اخذت تفنده عليّ الحسد

وهي فوق ما توصف الم ترَ

كانما شجرات الدوح في خجل ... تبدو فيبلغ اقصى الحسن مبلغها

ارواح در تبيت المزن في بشر ... من الزمرد بالانواء تفرغها

ماجت بدرجة الاتناس واطردت ... كانما حولها ايدٍ تدغدغها

واذا ارسلت الشمس شعاعها اليها البستها من البهاء حلة تبتهج بها الانظار وتشتغل فيها الافكار كما قيل فيها

كان شعاع الشمس في كل غدوة ... على ورق الاشجار اول طالع

دنانير في كف الاشل يضمها ... لقبض تهوت من فروج الاصابع

وعليها الاغصان تتلاعب بالميلان فتجتمع وتفترق كانها تتهيء للفراق وكانها قائمة في عروشها تلتفت الى الامام والوراء

كانما الاغصان لما انثنت ... امام بدر التم في غيهبه

بنت مليك خلف شباكها ... تفرجت منهُ على موكبه

واذا حركها الصبا طاعت لهُ ومالت معهُ

وكانما الاغصان يثنيها الصبا والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد قامت وارخت شعرها في لجة والموج فيها يلعب

ومجمل القول فهي جامعة لكل معنى مهيج العقل شارح للصدر ربيعها لا يترك ولا يتخلى ذو العقل عن اقتطاف ثمار التفكه في ادواحها فيه

هذا الربيع وهذه ازهاره فالروض قد صدحت بهِ اطياره
ومشى النسيم بكاس نخبهِ وقد دبت باعطاف الغصون عقاره
ونبهت غيد الحمائم في الربا والدوح قد جست لنا اوتاره
والبان صف على الغصون نوافحًا منها تعطر للنسيم ازاره
حيث البنفسج بالشميم يهيجنا قد دب في خد الرياض عذاره
والنرجس المثنى قوام زبرجد يرنو باحداق اللجين نضاره
وشذا القرنفل بددتهُ يد الصبا والروض فاح شقيقهُ وبهاره
رقصت قيان غصونهِ طربًا وقد غنى الحمام فصفقت انهاره
والسنبل الغض ارتوى من طلهِ تسقى بكاس اللاز ورد عقاره
يتبسم الزهر المقطب ضاحكًا ومن النسيم تفككت ازراره

ولا زال طيطلوس يصف للملك ضاراب الشام ونواحيها وياتي لهُ بذكر راحتها وهناها وما اوجد الله فيها من الفاكهة التي ندرت في غيرها حتى تعشقها وتمنى ان تكون بلاده مثلها وشكر الله على صنعتهِ وكيف خلق لكل ارض خاصة وخص دمشق بما لم يخص بهِ سواها وتعجب من سعة صدر وزيره ومعرفتهِ بكل ما ذكره لهُ . و بعد ذلك امر بضرب الخيام في تلك الضواحي ليبعث الى مسرور ابن عتبة بكتاب يدعوه بهِ الى طاعتهِ والانقياد اليهِ . و بعد ان اخذ لنفسهِ الراحة امر وزيره طيطلوس فكتب

بسم الله الذي لا اله سواه ولا يعبد الاه فهو الحي الباقي الجبار القدير القادر الواقي

من الملك ضاراب ملك الفرس واليمن ومصر ونواحيها الى مسرور ابن عتبة صاحب الشام

اعلم ايها السيد الكريم اني ما اتيت هذه البلاد الا لاجل غاية واحده وهي خلاصي ابهمنزار قبا من اسركم حتى احوجتني الضرورة ان ادخل بلادكم في حوزتي وانشر عليها سلطاني وقد كنت غنيًا عن ذلك اولا تدعوني الى ذلك الضرورة واني لاعجب انك مع علمك بعلو سلطاني المعطى لي من الله ومشاهدتك اعمالي وافعال فرساني عيانًا في مصر جسرت على ان تصحب معك اسيرًا من رجالي فما ذلك الا من نوع المكابرة والجهل . ولذلك قبل ان ابدء معكم بحرب او اوصل اليكم اذى بعثت اليك بكتابي هذا ادعوك ان تاتي لطاعتي وتحضر معك بهمنزار قبا مكرمًا مبجلاً وتنزل عن

اسوارك الاعلام الرومانية وترفع الاعلام الفارسية وتنادي باسمي في كل ممالكتك وتدفع لي الجزية وتصير من الان وصاعدًا من عمالي وولاتي واياك من المخالفة فتندم حيث لا ينفعك الندم واني سالتك بذلك نصحًا لك كي يدوم ملكك بيدك وتحفظ ادمية رجالك من الاهراق وتصان ابنية هذه المدينة من الخراب ولا يبدل رونقها و بهجتها بالتلطخ بادمية العباد واني انذرك والسلام

و بعد ان ختم الكتاب ناوله الى شبرنك فاخذه ودخل المدينة وناوله الى مسرور بن عتبة وهو في ديوانه و بين اقرانه ففضه وعرف ما به ولذلك اجاب بما ياتي

بسم الله العلي العظيم

من مسرور بن عتبة صاحب دمشق الى الملك ضاراب سيد الفرس . اعلم اني اخذت كتابك وفهمت خطابك وعرفت بكل ما اشرت اليه واني اجيبك ان بهمنزار بهلوانك ليس هو عندي الان بل بعثته الى غير جهة ايقيم تحت عناية الملك قيصر سيد البلاد وآمر عمالها . وعليه فاني اجيبك اني لا اقدر على ارجاع بهمنزار اليك ولا يمكني تسليم المدينة عن طوع ما زلت حيًا حفظًا لمالك امري وهو الملك قيصر فاذا شئت ان نقاتلنا دافعنا عن المدينة بقدر جهدنا ولا نخون ارادة ولينا والسلام

و بعد الفراغ من الكتاب دفعه الى شبرنك فاخذه وعاد الى الملك ضاراب فدفعه اليه فقراه وعرف مكابرة مسرور بن عتبة ولذلك وطد العزم على تملك المدينة بقوة السلاح و بات على هذه النية ينتظر صباح اليوم الثاني الى ان اقبل مستعجلاً واشرقت شمسه بوضوح على تلك النواحي و بعث النسيم على القوم بواعث العطر الناتج عن تفتح الازهار . وحينئذٍ نهض الملك ضاراب فركب بموكبه وركب من حوله ابطاله وفرسانه وكلهم يزدرون بحرب ذاك اليوم لانهم يعلمون ان لا قوة بالشام تلقى صدمة واحد منهم وكانت طبولهم انذرت اهل الشام بوقوع الحرب منذ الليل فنهضت عساكرهم وتقدمت من الابواب لتدافع عنها وهي محاولة العزائم لعلمها انها لا تقدر على الثبات طويلاً كون الفرس اشد منهم باسًا واكثر عددًا ولم يكن الا القليل حتى هجم الايرانيون هجوم الاسود وفي مقدمتهم فيروزشاه وقد انقض على المدينة كانه الصاعقة الساحقة و بدا بالصيحات والضربات وتفريق الجماعات وفعل رجاله كفعله وكان صياح بهزاد يدوي كالرعود الشداد وهو ينثر الرووس بحسامه نثر ورق الشجر الجاف بزوابع الارياح . فاشتبك القومان . واختلف الضرب والطعان . وعلا الصياح من كل ناحية ومكان . وقامت القيامة . ووقع باهل الشام الندامة . وراوا الموت عيانًا . والهلاك بيانًا . وعرفوا ان الثبات . يقود اليهم الفناء والممات . اذ لم يكونوا من اهله . وليس لهم صبر على الدفاع وثقله . فاتخذوا الهرب حصنًا . والفرار مامنًا وركنًا . فرجعوا عن الابواب وتفرقوا في الاسواق . يطلبون الخبايا يقيمون فيها خوفًا من القتال والمحاق .

وتدفقت من ورائهم رجال الفرس كالسيول . وترجح عندهم نوال كل مقصود ومأمول . ودخلوا المحلات الرسمية فامتلكوها واقاموا فيها . وسر الملك ضاراب بهذا النصر والظفر . و بتملكه مدينة كمدينة الشام وامر ان يفتش على مسرور بن عتبة فاخبر انهُ هرب من اول النهار وثنا بنفسهِ و بعض اعيانهِ يقصدون انطاكية حيث انهُ كان قد بعث بهمنزار قبلا اليها لعلمهِ ان الشام لا تقدر على الثبات والدفاع في وجوههم اذ ليس فيها من الحصون المنيعة ما يمنع قوتهم فقال لا بد لي من تاثره وتخليص اسيره منهُ لانهُ قد طغى عليَّ وتمرد عن التسليم وظن ان الملك قيصر سيدفع عنهُ ما اعددت لهُ من الويل والعذاب .

و بعد ذلك امر الملك ضاراب العساكر والقواد ان تسير في المدينة وتدور في رياضها وتتفكه باثمارها مدة خمسة ايام اذ انهُ في اليوم السادس مزمع على الرحيل واوصى بالمحافظة على الراحة والسكينة وان لا احد منهم يتعدى على احد من الاهالي وان كل شيء يشترونهُ يدفعون ثمنهُ حالا بثمنهِ الاصلي و بذلك سرَّ اهالي الشام مزيد السرور لما راءوا من حلم الملك ضاراب وطاعة رجالهِ واداتهم وقالوا بانفسهم كيف ان الله لا يوفقهُ و يمد سلطانهُ وهو على تلك النية السليمة والاعمال الحليمة ورغبوا في الدخول تحت طاعتهِ فاقام عليهم حاكمًا من المدينة شريف الاصل والحسب واوصاه بالعدل والاستقامة وان يرسل اليهِ الجزية في كل عام و يبعث اليه بالاخبار عن المدينة وما يقع عليها وصارت منذ ذلك اليوم مدينة دمشق تحت حماية الفرس ناشرة الويتهم واعلامهم . وكانت عساكرهم في كل هذه المدة اخذة في الحظ والانشراح متفرقة في البساتين والرياض وما منهم الا من يسكر ويخمر وقد صرفوا خمسة ايام لم يروا مثلها في كل حياتهم وتمنوا ان يبقوا كل عمرهم في ذلك الفردوس النعيمي ولم يشعروا كيف انقضت الايام المطلوبة فقد كانت قصيرة عليهم كبقية ايام الفرح والنزهة . غير ان فيروزشاه صرف تلك الايام بفروغ صبر ونكد حظ وكان يرى المدينة ورياضها في عينيهِ سوداء كالقبر ولم يكن يسر الا بالتذكر بعين الحياة والتشوق اليها وكلما فكر ببعدها عنهُ تزيد بهِ ويلاته واكداره واعظم شيء كان يهيجهُ الى الذكرى موافقة المناخ واسباب الراحة الموجودة في ذاك المكان فكان يتمنى ان تكون حاضرة معهُ ليصرف الوقت على احب ما يروم و يشتهي في تلك الفسحات والادواح و بين تلك الازهار والاشجار

واما فرخوزاد فانهُ صرف هذه الايام مع محبوبتهِ انوش بنت الشاه سليم بمسرة لا توصف وفرح لا يقدر واقام معها كل الوقت بين شرب الخمور وقطف الزهور ومناشدة الاشعار . ومواصلة الافكار و بين تقبيل وعناق . وشرح هيام واشواق . حتى لم يكدرها من مكدرات الايام . لا رقيب ولا نمام . ولما انقضت تلك المدة امر الملك ضاراب بالتجمع والانضمام وفي نيتهِ ان يبارح الشام . وقد عزم على السفر الى انطاكية ليخلص منها بهمنزار و يسير من هناك الى بلاد الرومان . و بينما

كان يفكر بذلك وقد عزم على الركوب فامر كامل فرسانهِ وابطالهِ ان تتهيء على هذه النية واذا بهرز قد وصل اليهِ وهو بقلق واضطراب وكانت تدل حالتهُ على قتلهِ مسافة الطريق بالسرعة العجيبة ولما وقف بين يدي الملك ضاراب جفل منهُ كل من حضر الا فيروزشاه فانهُ انعطف خاطره اليهِ وتمنى ان يعرف ما وراءه من الاخبار ولذلك سالهُ في الحال . فقال لهُ اعلم يامولاي اني سرت في اثر سيف الدولة بحسب ما امرتني حتى وصلت الى بلاده بعد وصولهِ اليها بايام قليلة فوجدتهُ قد رفع اعلامنا المظفرة على اسواره ونادى باسم ملكنا وعمل بكل ما وعد ولما لم اقف لعين الحياة على خبر في تلك المدينة خطر لي ان اذهب الى ملاطية واسرق منها ما انا ساع في اثره واذا بعساكر قيصر جاءت ملاطية مع تمرتاش اخي تمرتاس الذي قتلتهُ الاميرة انوش وسال سيف الدولة ان يترك خدمتكم ويرجع الى خدمة الملك قيصر وينزل الاعلام عن الاسوار فامتنع وحصن المدينة وفي نيتهِ ان كل شيء فيها كافٍ للحصار الى حين قدومكم اليها وخلاصها من ايديهم ولم يخطر لهُ قط ان قهرًا ومهرًا سيخونانهِ ويفتحان المدينة في وسط الليل ولهذا السبب دخل الرومان البلد وفعلوا اقبح الفعائل وخرَّبوا جدرانها وكسروا اشجارها وسبوا نساءها ولم يراعوا حرمة الانسانية والناموس وكان الامير قهر اخو فهر ومهر لم يطعهن على الخيانة فقبض عليهِ تمرتاش وحاول كثيرًا اقناعه بان يكفر بكم ويرجع عن خدمتكم فلم يقبل فرماه الى الارض وامر ان يضرب خمسين سوطًا وكان يضرب الضرب الاليم وهو يصيح وينادي بمساعدة سيدي فيروزشاه فتاثرت لذلك وقلت لا بد لي من خلاصهِ في المساء الا اني لم اكن اعرف كيف سار سيف الدولة حينئذٍ لان لم يقف لهُ احد على خبر وعند المساء سطوت على خيمة قهر فانتشلتهُ منها وقطعت قيوده وسرت بهِ الى الفلا وقلت لهُ حيث صرت الان مطلق الايدي والارجل فسر الى دمشق واخبر الملك ضاراب بما حل على المدينة ليسرع الى انقاذها واما مزمع ان استخبر عن وجود عين الحياة فقط واعود اليك بالعجل فلم يقبل بل قال لي اني ابقى في مغارة هنا الى ان نعود فاسير برفقتك فوافقتهُ واتيت بهِ الى مغارة هناك فرايت فيها سيف الدولة وزوجتهُ وعين الحياة . فلما سمع فيروزشاه ذكر عين الحياة حبيبتهُ جعل قلبهُ يخفق وانعطف بانشغاف الى تتمة الحديث وهو يعجب كيف انها وجدت في تلك المغارة مع سيف الدولة واعار مزيد انتباههِ الى ان وصل بهروز الى تشكيها من الجوع وبكائها على كسرة خبز وانحلال قواها من الخوار والتعب فانفطرت مرارتهُ مما لحق بها ولم يطارق ذهنهُ قط ان يلومها في نفسهِ على تركها مصر وسفرها مع سيف الدولة بل كان يتوجع ويتالم من المصائب التي اصابتها واخيرًا امتلأ قلبهُ غيظًا عندما وصل بهروز الى عمل دلال العيار واغتنامهِ فرصة غيابهِ ورجوعه بعين الحياة الى ابيها وبقوده سيف الدولة وقهرًا الى الملك قيصر

قال ولما فرغ بهروز من سرد القصة حرفيًا وما وقع لهُ في سفرتهِ وما سمعهُ من عين الحياة وما

راه من عمل تمرتاش في ملاطية وكيف اسر وسبى ونهب حتى لم يبق في المدينة بيتاً عامراً فتحرك من الملك ضاراب غضبه وقال انهُ من الواجب ان لا نخلي قط عن سيف الدولة ولا نترك بلاده بيد الاعداء اللئام يفعلون الفحشاء و يسرفون في الاموال والامتعة ولذلك عزمت على ان اسير من هنا الى ملاطية ومن ثم اعود فابعث احد فرساني من هناك الى انطاكية الى خلاص بهمزار وامر في الحال ان تركب العساكر والفرسان على نية المسير الى انطاكية ولم يكن الا القليل حتى شوهد الملك ضاراب خارج مدينة الشام وهو سائر بموكبهِ وجحفلهِ العظيم والى جانبهِ ولده فيروز شاه سيف النقمة يعلو جواده الكمين الذي هو كالبرج الحصين وفي قلبهِ نار من الشوق تلتهب وتستعر وقد خطر ببالهِ كل ما جرى على عين الحياة وما لاقت من العذاب بسبب اصراره على حبهِ وما لاقى من اجلها من الحروب وعمل اجيا بهِ ومعة فامتلأت الدنيا في عينيهِ هموماً وغموماً وانشد يقول

ياعين ما طلب الزمان عنادي ... واصرَّ في كيدي وفي ابعادي
الا رآني قائماً متربصاً ... اعلاهُ بعزيمة وسداد
اسطو عليهِ بهمتي فاذيقهُ ... مر التاسي في ثبات جلاد
ودخت ارض المشرقين وغربها ... وسعيت نحوكم اسوق جوادي
اسد الجيوش بكاس علقم صارم ... ترك النفوس عدوة الاجساد
نظروا العذاب طليعة لملاكهم ... ورأوا المات غنيمة الصياد
طلبوا التبدد في الفلا فجمعتهم ... بهندي كتبوا على الانجاد
ودعيت وحش البر وهو ينوشهم ... يدعو الى موعد الاسعاد
تبعوا المواجد ماكين الى الوطا ... اذ انهم سمعوا صرير حدادي
لا شيء يجمعهم سوى ان تشتهي ... منهم تفرق شملك المعتاد
ملكتك النفس الابية عن رضا ... ووقفتك الجسم المريد الصادي
اني لاذكرك وذكرك دائماً ... احلى لدي من لذيذ رقادي
لا تقطعي مني الرجاء فانني ... ساعٍ اليك بهمة الاساد
اني لاذكرك وذكرك لم يزل ... دون الخلائق بغيتي ومرادي
لا تقطعي مني الرجاء وقد سعت ... حولي جيوش الفرس مثل جرادي
اني لاذكرك وذكرك نافعي ... ابداً وفيك يلذ لي انشادي
لا تقطعي مني الرجاء وصارمي ... تحت الصدور مآخذ الاعداد
اني لاذكرك وذكرك منعش ... قلبي واليك دائماً بموادي

وما وصل فيروزشاه على اخر انشاده حتى شعر من نفسهِ بفروغ صبر الى القتال والى الوصول الى بلاد قيصر ليعرف ماذا جرى على محبوبتهِ وكان ما يفكر بهِ ويخافهُ هو سعي طينور بكيدهِ وقد يمكن ان يزفها على ابن قيصر ويحرمهُ منها الى الابد لانهُ يؤكد انها لا ترضى بهِ ولذلك تميت نفسها وترمي بها الى الهلاك بالرغم عنها وقد وطد عزمهُ في هذه المرة ان يجعل جل اهتمامهِ الحصول عليها باي طريقة كانت وانتشالها من بين اعدائهِ واخراجها الى جيشهِ لتيم فيهِ الى حين الفراغ من الحرب اذا كان قد تاخر زفافها ومانع ابوها من تسليمها كما مانع في مصر

وكان بهزاد ايضًا سائرًا في مقدمة جيشهِ وهو كالاسد المتمرد فوق جوادهِ الذي اخذه من مصر وقفز بهِ السور وهو من خيول البحر كما تقدم الكلام عنهُ وهو يتمنى قرب الوصول الى ملاطية لينتقم من جيوش الرومان ويريهم كيف تتفاوت الفرسان . ولا زالت فرسان الفرس سائرة في ذلك الطريق تتقدم بسرعة غريبة يطلبون سرعة الوصول الى بلاد سيف الدولة والافراج عن اهلها الذين لحق بهم بسبب طاعتهم للملك ضاراب الويل والخراب واصبحوا في حالة الذل والاكتئاب الى ان وصلوا الى وادٍ بالقرب من ملاطية يقال لهُ وادي الزهور فيهِ الرياض منفتحة والمياه بالجداول سارحة فاستحسنهُ الملك ضاراب وامر ان تنزل العساكر فيهِ وقال لهم حيث لم يبقَ بيننا وبين ملاطية الا يومًا واحدًا وقد لاقينا من مشاق السفر ما دعونا الى الراحة ثلاثة ايام وفيما بعد نلحق بالمدينة ونقيم الحرب بعساكر تمرتاش القائمة عندها فنزل الجيش برمتهِ وانبسط في ذلك الوادي من يمينهِ وشمالهِ وانطلق العيارون يجسون تلك النواحي ويرون ما ربما يحتاجون الى معرفتهِ . قال ولما وصلت العساكر الى تلك النواحي جفلت منها سكان القرى والضياع وجاء كثير منهم الى تمرتاش بهلوان تخت الملك قيصر واخبروه بوصول الملك ضاراب ونزولهِ بوادي الزهور مع رجالهِ وفرسانهِ كافة فاظهر الفرح والاستبشار وقال لا بد لي من ان ابعث فاخبر الملك قيصر غير اني احتاج الى تفصيل كافٍ بعدد فرسانهم وابطالهم وكثرة جيشهم وقلتهِ ولذلك دعا بعياره كودك وقال لهُ اريدك ان تذهب هذه الساعة الى بين جيوش الفرس وتنظر معدل قوتهم وكم يمكن ان يكون عددهم على التقريب والحاصل اريد منك ان تاتيني بكلما يمكنك ان تنفعنا بهِ فاجاب بالطاعة وانطلق من تلك الساعة اسرع من البروق الساطعة حتى وصل قرب الوادي فعدل عن الطريق وتسلق اكمة عالية تكشف جوف الوادي وفيما هو في صعوده كان بهروز يطوف في تلك الجهة فراه عن بعد فاسرع الى عياري الفرس فاحضرهم وقال لهم انظروا ان كودك العيار يصعد الان الاكمة وفي نيتهِ اما يتعدر الينا في اول الليل او انهُ يقصد ان يتحقق وجودنا ويريد ان يعرف معدل عددنا وعددنا ولذلك اريد منكم ان يتفرق كل واحد في طريق فلا تدعوه يفر من جهة بل راقبوهُ اينما سار واما انا فاسير وراءهُ الى ظهر الاكمة فامسكهُ فاجابوه الى طلبهِ وسار

طارق وشبرنك وبدرفتات وشياغوس والاشوب كلٌ الى ناحية وتاثر بهروز كودك وانطلق خلفهُ وبينما كان واقفًا في ظهر الاكمة شاهد بهروز فلم تخفَ عليهِ حالتهُ . فقال في نفسهِ لا بد ان يكون هذا الرجل عيارًا من الفرس رآني فاتى في طلبي او انهُ يريد ان يعرف من انا فمن الموافق ان ابعد من هذه الاكمة وارجع من حيث اتيت الى ان يتيسر لي ما انا طالبهُ ولهذا انقلب راجعًا بقصد الفرار وما كاد ينتهي من الطريق حتى شاهد عيارًا فارسيًا يربط الطريق فضاق صدره وتاكد خباثتهم وانهم رابطون لهُ ليقبضوا عليهِ فترك ذاك الطريق وعرج الى سواها وما سار فيها الا القليل حتى نظر عيارًا ثانيًا وجعل يتنقل من جهة الى جهة وهو يركض املاً بالخلاص من يد بهروز الذي كان يطارده و يسعى خلفهُ ولا زالوا يتقربون منهُ وهو يفرُّ الى ان ادركهُ بهروز فانقض عليهِ وقبضهُ من عنقهِ ودفع بهِ الى الارض واخرج حبلاً من وسطهِ فربطهُ وقاده امامهُ كالبعير وقد احاطهُ بقية العيارين وساروا بهِ الى ان اوصلوه الى بين يدي الملك ضاراب وهو على تلك الحالة فنظر اليهِ وقال لهُ من انت ومن اين اتيت وما قصدك بصعودك الى ظهر الاكمة . قال انا من سكان هذه النواحي وقد عرفت بقدومكم ونظرت الى كثير من الفلاحين ساكني القرى مثلي قد فروا الى الجيش فقصدت ان اراكم لاحقق صحة الخبر واتيت المكان الذي راوني بهِ رجالك فادركوني وكنت اظن انهم يقصدون لي شرًا فسعيت لاتخلص منهم فلم اقدر فاشكر الله حيث اوقفني بين يديك وجعلني ان اسالك الرحمة والعفو وكان كودك يعرف باللسان الفارسي حق المعرفة كعادة عياري الملوك فانهم يتعلمون اللغات الاجنبية لحاجتهم اليها في مثل هذه الظروف فاعترضهُ بهروز وقال له اتكذب على حضرة الملك وتريد ان تتخلص من بين يديهِ وانت كودك العيار وقد رايتك مرارًا انسيت يوم اتيت سيف الدولة بكتاب تمرتاش حال وصولهِ الى ملاطية وكنت اذ ذاك متخفيًا في بلاده وقد عرفتك حق المعرفة و اتيتك بعد ذلك مرارًا ولا سيما عندما خلصت قهرمان من الاسر وفككتهُ من الوثاق فاقصر عن كذبك واحذر لنفسك واعرف في حضرة من انت وانفد فاذا النت كلامك وطلبت عفوه عفى عنك واجازك الجوائز الحسنة . ثم قال لهُ الملك ضاراب اعلم يا كودك ان حياتك الان بيدي ولا تظن اني اصدق قولك او اصغى اليك فقد ثبت عندي كل الثبوت انك عيار روماني ولا اريد ان اظلمك فاعرض عليك طاعتي وخدمتي فان قبلتها عفوت عنك والبستك ملابس عياري الفرس وعينت لك العلوفات والجرايات واقمت عندي معظمًا مكرمًا والا فالموت قريب منك جدًا ولك اسوة بعياري مصر فهم امامك الان وقد تركوا خدمة اسيادهم ودخلوا في طاعتي وراوا ما لم يروه عندما كانوا في خدمة مواليهم الاول

فلما سمع كودك كلام الملك خاف على نفسهِ من الموت وطمع في الحياة والخلاص وراى عياري الفرس حواليهِ كالمردة وعيونهم تقدح شرار النار وهم محدقون بهِ من كل جهة فخاف منهم وحدثتهُ

نفسهُ ان ينتظم بينهم ويدخل في سلكهم وطمع لما راهم مدججون بالثياب المذركشة و بوسط كل واحد نطاق من الحرير المذهب يحمل فيهِ خنجرًا مرصعًا بالماس والياقوت ولهذا قال للملك ضاراب اني اقبل بكل ما اشرت بهِ يا سيدي واني اعدك وعدًا صادقًا امينًا ان ابقى على خدمتك واصرف كل ما في قوتي في سبيل طاعتك والسعي بانفاذ اوامرك ولا اخلف لك عهدًا ولا ابوح بسر تحمله اليَّ واني اقول ذلك عن صدق نية وصفاء باطن واشهد عليَّ الله وسيدي المسيح صاحب الايمان الصحيح وهو شاهد على صدقي وعارف ما في ضميري واذا كنت لا تصدق قولي ولا تركن اليهِ فاقدم لك كفيلاً يكفلني عندك . قال ومن يكفلك على قولك هذا ويضمن لي انك لا تغش بي ولا تغدر برجالي ولا تفعل معي ما فعلهُ هلال العيار . قال ان كفيلي حاضر وهو معتبر عندك اعني بهِ بهروز العيار واني اعتقد الاعتقاد التام انهُ اذا وقع مني ما تكرهونهُ فهو قادر على ان يتاثرني و يلحق بي ولو طرت الى ما فوق السبع الطباق . قال بهروز لقد اصبت يا كودك فاني اضمنك بقوة قلب لعلمي انك صادق بكل ما قلتهُ ولا تحنث بيمينك ولا تخلف بقولك . ثم قال للملك ضاراب مرني يا سيدي باطلاقهِ فهو في عهدتي وتحت مسئوليتي واكد انهُ تكلم عن صفاء باطن ولا رجوع عن طاعتك حتى الموت والفناء . قال الملك اني صدقتهُ ولذلك اطلقت سبيلهُ ففك وثاقهُ واحضر لهُ ثوبًا من مثل ثيابك والبسه اياه وامر ان يعين اسمهُ بين عياريهِ وان يدفع لهُ المرتب عن كل شهر سلفًا . وبمدة قليلة تم كل ما امر بهِ الملك ولبس كودك ملابس الفرس وصار كواحد منهم وهو يكاد يطير من السرور والفرح واراد ان يظهر خدمتهُ للملك ضاراب و يقدم لهُ برهانًا على صدق قولهِ . فقال لهُ اعلم يا سيدي اني جئت من قبل تمرتاش وخرطوم فارسي الروم على امل ان اجس لهما اخباركم واتيهم بصدق اليقين عن مكان نزولكم وعددكم وعلى ما اظن انهم يقصدون ان يكبسوكم في الليل اينما وجدتم ولهذا خطر لي ان انصب لهم مكيدة يهلكون بها عن اخرهم . قال على ماذا عولت قال عولت على ان اذهب الى تمرتاش واقول لهُ ان الفرس نازلون في جوف الوادي وانهم امنون من طوارق الحدثان وازين لهُ وجه النجاح اذا سعى في كبسكم وسط الليل بحيث تكونون امنين من غدرانهِ ووصولهِ واخفي عنهُ كل ما جرى بيني و بينكم حتى اذا وافقني وجاء معي سبقتهُ واعلمتكم فتتنحون عن الخيام وتتركونهُ الى ان يدخل برجالهِ فتنقضون عليهم وتذبحونهم ذبح الغنم . قال الملك ان صح ذلك انعمت عليك مزيد الانعام واكرمتك وتكون قد وفيتني حق خدمتك وقدمت لي برهانًا كافيًا وافيًا لا انساه لك ابدًا . اجاب سوف ترى مني ما يسرك انما اريد ان تكونوا في الليلة الاتية على اتم التاهب والاستعداد حتى اي وقت وصلت اليكم يمكنكم ان تتفرقوا في رؤوس الوادي وتكمنوا الى ان يدخلوا الخيام على ظن منهم انكم داخلها

و بعد ذلك نزع كودك ثياب الفرس ولبس الملابس التي جاء فيها وودع الملك ضاراب وخرج

من بين يديهِ وسار في طريق ملاطية حتى وصل من الجيش الروماني فدخل على تمرتاش في اخر الليل اي عند بزوغ نور الصباح. فوجده قد استيقظ من نومهِ وجلس في صيوانهِ وهو مرتبك الافكار من اجلهِ . فلما راه فرح بهِ وقال ما وراءك من الاخبار . قال ورائي كل شيء ترغبهُ فقد سرت الى ان وصلت وادي الزهور واذا بالقوم نازلون هناك يسرحون ويمرحون وقد وافقهم المناخ وسرّوا منهُ وعولوا ان يقيموا بهِ ثلاثة ايام ريثما ترتاح عساكرهم من التعب الذي لاقوه في سفرهم وبعد ذلك ياتون هذه الناحية على نية الحرب والقتال . واما قوتهم فهي دون ما كان يظن لانهم بعدد لا يبلغ الثلاثمائة الف فارس وان الغربة والتعب ومقاساة الاسفار قد انهكتهم ومزقت ثيابهم وارمتهم في الياس ولما رايت ذلك خطر لي خاطر نقضي بهِ امرهم بليلة واحدة وهو قد فكرت ان نسير بجيوشنا في اول هذا النهار الى ان نصل الى الوادي في الليل فننتظر وقت دخولهم الخيام ونومهم ومن ثم نحدر اليهم ونذبح فيهم ونفنيهم بليلة واحدة عن اخرهم فلا يشرق الصباح الا وهم مبددون اي تبديد ولا رسم لهم في تلك الناحية سوى من يقتل منهم ومن يداس بحوافر خيولكم وتكتفون شرهم وترضون الملك الاكبر بهذا العمل ولا يحتاج الامر لاكثر من ذلك وربما وقعتم بالملك ضاراب وبولده فيروزشاه فتقودوهما الى حضرة الملك قيصر . فاعجب هذا الراي تمرتاش واتفق مع خرطوم عليهِ وقال لهُ لقد رايت صوابًا واني من هذه الساعة سابادر اليهِ ثم اصدر امره بركوب العساكر الرومية فركبت على ظهور خيولها وركب هو ايضًا والى جانبهِ خرطوم الرومي كانهما برجان حصينان . وسارت تلك العساكر وعددهم نحو مائتي الف فارس وفي نية تمرتاش انهُ سيعود فائزًا منتصرًا وانهُ يقضي اربهُ من جيوش الفرس وهو مصدق كل التصديق كلام كودك عياره ولم يطرق ذهنهُ قط ان اعداءه قبضوا عليهِ وقادوه ذليلاً وبعد ذلك ادخلوه في طاعتهم واخلص لهم النية والود

قال وداوموا في مسيرهم كل ذلك النهار الى ان وصلوا الى قرب وادي الزهور بعد غياب الشمس بساعة فطلب كودك من تمرتاش ان يستقروا في مكانهم وقال لهُ يجب ياسيدي ان تصبر هنا بالرجال الى ان اسير امامكم الى الفرس واراقبهم حتى اراهم قد دخلوا في خيامهم وناموا امنين فتفاجئونهم وهم على تلك الحالة وبذلك تنهون امرهم حالاً ولا يقتل من رجالنا واحد قط . قال اذهب ولا تبطيء علينا فاننا بانتظارك هنا . وحينئذٍ انطلق كودك نحو جيوش الفرس وهو اسرع من البرق عند لمعانهِ حتى جاء الى معسكرهم فوجدهم عاملين على الرجوع عن الخيام الى رووس الاكام فدنا من الملك ضاراب وقبل يديهِ وخبره بقدوم تمرتاش بالعساكر والاجناد وانهُ مزمع على كبس عساكره في وسط الليل . قال اني عرفت بقدومهم من بهروز لانهُ كان يراقب الطريق حتى تبينهم وتاكدهم وعاد اليَّ يخبرهم والان تراني مزمعًا على القيام بعيدًا عن الخيام من كل الجهات حتى

اذا توسطوا الوادي ودخلوا انحدر اليهم فرساننا فابلوهم بالويل والعمى

قال وكان بهروز بعد مضي كودك ذهب الى تلك الطريق يراقب من يقدم منها اخشاء من حادث يجد فوق الحسبان وبقي على ذلك الى حين تبين الرايات وعام منها بقدوم تمرتاش فتاكد لديه صدق عمل كودك فكر راجعاً الى الملك ضاراب واخبره بقدوم رجال الرومان وانهم صاروا على مقربة من تلك الجهات فقسم الملك جيوشه الى ثلاثة فرق فرقة تحت امرة ولده فيروزشاه تقيم عن اليمين والثانية تحت امرة بهزاد من جهة الشمال ومن الوراء انوش بنت الشاه سليم ومعها فرخوزاد وبقية الفرسان الشداد وعزم على اخلاء الخيام فوصل اليه كودك كما تقدم الكلام . ولما راى كودك تيقظهم وتحضرهم صبر نحو ساعتين الى ان انقطعت موخرة العساكر عن مركزها وغابت بعيدة عن جوف الوادي وقد هدأ الحال وسكنت الضوضاء ولم يعد يسمع صوت شيء قط ورجع الى تمرتاش ونادى مسروراً فرحاً وقال له بشراك ياسيدي فان القوم على غاية ما يكون من الراحة ولم يحسبوا قط حساب عمل مثل عملنا حتى انهم دخلوا خيامهم وناموا آمنين ولم يخطر لهم بخاطر ان احداً يقرب منهم فاسرع في هذا الوقت فهذه فرصة لا يمكن ان نضيعها واذا فزنا هذه المرة رفعنا عن بلادنا اثقال حرب طويلة اشغلت فكر الملك قيصر وحسب لها حساباً عظيماً وكاتب لاجلها الملوك والانصار وعول على محاربة الفرس وفي نيته انهم اصحاب بطش واقتدار . قال لا بد لي من ان افنيهم في هذه الليلة واريهم اعمال رجال الرومان واننا لسنا كمن لاقوا من الفرسان . ثم انه ركب والى جانبه خرطوم الرومي وحولها الجيوش كالجراد الزاحف الى ان قربوا من الوادي . فقال كودك يجب يا سيدي ان لا يبدي احد حراكاً خوفاً من انتباههم وتيقظهم فدخلوا بسكوت الى ان صاروا حول الخيام فصاحوا صياح الفرح وانحطوا عليها بهمة وحمية وتخللوها وفي نيتهم انهم نالوا ما تمنوا وظفروا بما طلبوا غير انهم ما استقروا الا القليل حتى ارعدت تلك الجهات باصوات الايرانيين وادوت كالصواعق يسمع لها صدى قوي في الوادي وغط رجال الفرس عليهم غط البواشق وقد اشهروا سيوفهم في ايديهم وبربروا بالسنتهم حتى ارتبك الرومانيون ولم يعرفوا من اي جهة الصياح واخذتهم الرعبة والمخافة ولم يشعروا الا ورجال الفرس قد احتاطوا بهم من كل مكان وفي مقدمتهم من جهة اليمين فيروزشاه ابن الملك ضاراب . مفرج الكروب . وآفة الحروب . وسيد الفرسان . وسلطان الشجعان . من عرفت البسالة قدره تخدمته . وتقربت منه واطاعته . ولما صار بين الاعداء صاح بصوته المعهود وتكنى بنفسه وابيه وادار دولاب الحرب . وجود باقدامه الطعن والضرب . وبدد الاقران . واهلك الفرسان . وانزل عليهم المصائب من كل مكان . واعمى بصائرهم وحير خواطرهم . وفعل مثل هذه الافعال . بهزاد الصارم الفصال . ابن فيلزور البهلوان . واكثر من الضرب والطعان . وخرق الصدور . وارسل سيفه الى النحور . فبدد الابطال على الرمال .

وتخلها من الالام باميا ل

قال وفي تلك الساعة اختلطت الفرسان ببعضها البعض اي اختلاط . وارتفع منها الصياح والعياط . وقامت القيامة . وفقدت السلامة . وحلت الندامة . ووقع على الرومان الويل والخسران ولم يعودوا يعرفوا طريقهم من اي مكان . ولا راوا خلاصًا من الفناء . وشرب كاس العماء . فصبروا وصلوا صلاة الممات واستغفروا ربهم ما جنتهُ ايديهم من القبائح مدة الحياة . ولا زالت الفرس تفعل فيهم بالصارم البتار . وترميهم من جهنم شجاعتها بشهب النار حتى جاء الصباح . وبان بنوره ولاح وتبين لمن بقي من الرومان طريق الهرب والفرار فاركنوا اليها وساروا على الاعقاب ورجال الفرس تضرب في اقفيتهم وتنزل بهم الويلات وفيروزشاه يصيح وينادي وينحدر انحدار الصواعق وبين يديهِ بهروز كانهُ النجم عند انخطافهِ وقد سار بهِ ومن خلفها الرجال والابطال وقاطع الرمان عن طريق ملاطية ومنعهم من ان يركبوها فساروا على غير طريق اي على الطريق المودية الى بلادهم وقد تقطعوا فرقًا صغيرة . وقتل منهم في ذلك الليل نحوًا من مائة الف فارس ما عدا المجاريح وللحال انحدر الملك ضاراب من المكان الذي كان مقيماً بهِ . وامر العساكر ان ترفع الخيام وتنقل الاحمال وتسير على اثر ولده فيروزشاه لانهُ تاكد انهُ لم يقبل ان يعود الى الوادي بل سار في طريق ملاطية ليملكها قبل ان يتمكن احد منها او تدخل الرومان اليها . وللحال اقلعت جيوش الفرس وسارت في اثر فيروزشاه وفي المقدمة الملك ضاراب وهو فرحان بما حل باعداه حتى لحق بولده وانضم العسكر الى بعضهِ البعض وساروا في تلك الارض وكان قد نجا من الحرب تمرتاش وخرطوم وهما لا يصدقان بالنجاة والخلاص من هول تلك الليلة التي لم تمر عليهما مثلها ولما بعدا عن الوادي وامنا لحاق الاعادي وقفا للراحة واخذ النفس ونظرا الى ما بقي معهما من الفرسان فوجداهم دون القليل فتاسفوا على ما حل بهم . وقال خرطوم ان هذه الليلة مشومة علينا وما كنا نسعى خلفهُ لنرمي بهِ اعداءنا بهِ وقعنا نحن . فبالحقيقة ان رجال الفرس ابطال صناديد منتبهون لعملهم فلم تخف عليهم حالتنا وما نحن عليهِ وقد اطلعوا على دسيستنا وعرفوا باطن سرنا . قال تمرتاش ان صدق ظني يكون كودك العيار قد عمل معنا هذا الملعوب ورمانا بهذه المصيبة الكبرى والا من اين لهم ان يعرفوا ذلك ثم افتقد كودك العيار فلم يقف لهُ على خبر فقال لا بد لي من القبض عليهِ واذا تحققت انهُ حالف الاعداء انزلت عليهِ عذابات الله باجمعها ثم قال لمن بقي معهُ من الموافقين ان لا نسير الى ملاطية لان الاعداء يقصدونها والاهالي مخالفون علينا فنهلك انفسنا بايدينا فوافقوه على كلامهِ وساروا الى جهة الملك قيصر ليخبروه بما وقع عليهم وما حل بهم وكيف ان الفرس اهلكت اكثر من نصفهم بدسيسة كودك

فهذا ما كان منهم واما ما كان من اهل ملاطية فانهم لما عرفوا بقدوم الملك ضاراب وفيروز

شاه فرحوا مزيد الفرح وايقنوا بالنجاح وطمعوا بخلاص اموالهم واسلابهم من رجال تمرتاش الذين نهبوها وارجاع بناتهم ونسائهم اللاتي سبوها وقد نظروا تمرتاش قد سار الى جهة وادي الزهور فايقنوا بوقوع الحرب هناك وباتوا ينتظرون النتيجة وهم يدعون الله الى نصرة الفرس وقدومهم الى المدينة وذلك تخلصاً من ظلم الرومان وتكرهاً بعمل تمرتاش فيهم مما تقدم ذكره بوقته. وفي اليوم الثاني بينما كان الاهالي ينظرون من اعالي الاسوار الى البر على امل ان يروا قادماً من هناك تبينت لهم الرايات تخفق وتلوح عن بعد فصبروا الى ان تأكدوها انها رايات الملك ضاراب فهبطوا من على الاسوار وخرجوا من المدينة وثاروا على جماعة الرومان فقبضوا عليهم وخرج منهم جماعة الى الخيام التي كان مقيم فيها تمرتاش برجاله فاوثقوا من تبقى هناك للمحافظة واقرنوا الكل الى بعضهم. وساروا الى ملاقاة الملك ضاراب فوجدوه يسير كانه الملاك مملوءاً من الهيبة والوقار والى جانبه الاسد الكاسر والليث القادر ولده فيروز شاه. فلما تحققوه نادوا له بالنصر والظفر وبكوا على حالتهم وحثوا التراب على رؤوسهم وناحوا نواح المصائب والاحزان وشكوا له كل ما حل بهم ووقع عليهم من ظلم الرومان. قال لهم اني اعرف ذلك حق المعرفة وقد وصلني الخبر وانا في دمشق ولذلك اسرعت لانقذكم من تمرتاش وظلمه واعيد اليكم كل ما سلب منكم. قالوا ان كل ما اخذه الرومان من مال وقماش وذهب وغيره باقٍ الان في الخيام لانه لم ياخذ معه شيئاً وكان في نيته انه يعود الى هذه الديار ولم يحسب حساب الفشل والانكسار فوعدهم بالخير وان يعيدهم احسن مما كانوا وان يرجع اليهم ملكهم باقرب آن فدعوا له وساروا في ركابه وبين يديه حتى جاء الخيام وشاهد كل ما هو فيها من المسلوب والمنهوب ورأى ايضاً كثيرات من النساء والبنات قائمات فيها فامر ان يوضع على الخيام حراس من اهالي ايران لبينما يدخل المدينة ويجمع لجنة تنظر في حوائج الناس فتعيدها الى اصحابها. ثم تقدم الى جهة المدينة فدخلها والناس يتقدمون بين يديه ويدعون له ولولده بطول العمر والبقاء حتى جاءوا الى قصر الاحكام فدخلوه وجلس الملك ضاراب ومن حوله رجاله وفرسانه وورد عليه اعيان المدينة ومصابوها وطلبوا اليه ان ينظر في امرهم فوعدهم بالجميل والخير وقال لهم اني اعرف ان كل ما صار عليكم هو بسبب طاعتكم لي ولذلك لم يهن عليَّ ان اتقاعد عنكم او اترككم عرضة لمظالم الظالمين ولا بد ان ارجع اليكم كل ما فقد منكم ففي الغد تاتون الى وزيري طيطلوس فهو عاقل حكيم يرجع اليكم ما فقد منكم كل على قدر مفقوده ثم انه قال لوزيره طيطلوس اريد منك ان تنظر الى امر سكان المدينة وتعيد عليهم ما ذهب منهم وتحضر كل الامتعة المسلوبة في الخيام ومن عرفت انه صاحب شيء منها فادفعها له وزده من مالنا ما يناسب مقامه فاجاب بالسمع والطاعة واخذ جماعة من الرجال الى الخيام وحمل كل ما فيها الى المدينة وصرف الجهد في تدبير ما هو لازم فيها وجعل يحضر كلاً بمفرده فمن اثبت ماله او ادعاه بعينه واشار الى اجناسه بحسب

وجوده وهيئتهِ دفعة له ومن تحقق انهُ فقد لهُ شيء وهلك دفع لهُ قيمتهُ من الخزينة حتى ارتفعت اصوات الدعا من كل جهة للملك ضاراب وشكروا الله على توليهِ عليهم وتمنوا ان يبقوا طول العمر تحت طاعتهِ وهان عليهم بذل حياتهم في سبيل خدمتهِ لما راوا فيهِ من فيضان الحلم والرقة ودفع طيطلوس ايضاً الاموال الغزيرة الى كامل عساكر ايران وامرها ان تشتري من المدينة كل ما يطيب لها وان لا تاخذ شيئاً بغير ثمن . وكان قصده بهذا ان يجعل رجال الفرس يكسبون المدينة الاموال ويعوضون عليهم ما قد خسروا ليعرفوا رفقهم وحلمهم

قال وبعد ان اخذ طيطلوس في اجراء ما تقدم دعا الملك ضاراب اليهِ كرمان شاه وقال لهُ اريد منك ان تذهب بمائة الف فارس من فرسانك الشداد مع بيلتا بهلوان تخنك وتسير الى انطاكية لخلاص بهزار قبا فاني مضطرب الفكر لاجلهِ ومن متوجبات الانسانية ان لا نغفل عنهُ ولا نتركهُ بيد الاعداء كل هذه المدة ومن الصعب ان اكون قادراً على انقاذ اضعف عساكري وارجع عن العمل او اتاخر عن الخلاص . واني اطلب اليك ان تستعمل كل الحكمة والدقة الى خلاصهِ بحيث لا ترجع الا بهِ ومهما امكنك ان تستعجل لا تتاخر قط لاننا الان نقيم في ملاطية مدة ايام ولا بد للقيصر من ان يسير الينا العساكر بعد قليل من الايام وينتشب بيننا القتال والنزال ونصبح في حاجة الرجال . وخذ برفقتك بدرفتات العيار فهو ماهر في صنعتهِ يخدمك بامانة وكما انهُ سعى في ادخالك الى الاسكندرية بادراكه وتدبيره لا بد لهُ من ان يدخلك الى انطاكية بحيلهِ وتدابيره فاجاب كرمان شاه بالسمع والطاعة وخرج من حضرة الملك ضاراب ودعا بيلتا فامره ان يستعد الى الذهاب في الصباح مع بقية الفرسان والابطال . ولما كان صباح اليوم التالي ركب كرمان شاه بجماعتهِ وودع الملك ضاراب وسار عن ملاطية يقصد مدينة انطاكية وكان يسمع انها حصينة جداً اسوارها من امتن اسوار المدن الكبرى المشهورة وابوابها من الحديد الذي يبلغ سمكهُ اكثر من عشرين قيراطاً قطعة واحدة طولاً وعرضاً . وبقي سائراً على ما تقدم الى ان وصل من انطاكية وقرب من جدرانها فانزل الجيوش في الخارج لياخذوا لانفسهم الراحة في اليوم الاول منتظرين الغد

فهذا ما كان معنا من سياق الملك ضاراب وما وقع لهُ في سفره الى ان وصل الى ملاطية ولنرجع الى اتمام ما كان حدث في انطاكية . فان الامير قطاع سجن كليلة بنت ملك الشام كما تقدم وجعل كل مدة يرسل فيراجعها عن نفسها ويقول لها ان لا خلاص لك من هذا السجن الا بقبولك باقتراني فان الناس اصبحت تلهج بي وبك ولم يعد يمكني الا ان اتخذك زوجة لابين للناس اني قادر على كل ما اقول . فتجيبهُ بالامتناع والنفور وانها مستعدة لان تلاقي الموت الزؤام قبل ان يخطر على ذهنها قط ان تتزوج بهِ او ترى نفسها بالقرب منهُ فكان يغتاظ من امرها ويكدره عملها غير ان حبهُ لها كان يبعث بهِ على الامل ويوكد عنده انها لا بد من ان تلين وتصغى وتسمع الى كل ما يريده ويسعى

فيه وبقيت هذه الحالة حالتها وهو باقٍ على الامل الى ان جاء ابوها الى المدينة فارًّا من الشام كما تقدم معنا الكلام ودخل المدينة منهزمًا ومعهُ بعض رجاله واعيان مدينته فترحب به الامير قطاع وظنَّ انه بواسطته يتزوج بها وانزلهُ بالقصر الذي كانت به بنتهُ وجاء اليه ولم يرضَ اليوم الاول ان يفاتحهُ بمثل هذا الحديث بل صبر عليه وابقى ذلك الى وقت اخر الا ان الامير نصر صاحب حلب اجتمع به وسلم عليه ثم شرح له كل ما كان من امر بنته مع الامير قطاع وكيف انها امتنعت كل الامتناع عن ان تقبل بقرانه فاحتاج الى ان يذلها ويعذبها بعد ان هربت واعاد عليه القصة من اولها من حين دخولهم انطاكية الى حين مجيئهِ فاغتاظ مسرور من هذا العمل وندم على ارسال بنته الى انطاكية وتاثر من سجنها وما تلاقيه من العذاب وصبر الى اليوم الثاني فجاء الى الامير قطاع وسالهُ في ان يسلمهُ بنتهُ كليلة . فقال لهُ اني احب ذلك انما بشرط ان تعدني بزواجها وان تقبل بي . قال اعلم انها لم تكن ادنى منك نسبًا بل هي بنت ملك فكيف ترضى بعد اذلالها وعذابها ان تتزوج بمن اوصل اليها الاذى ومع كل ذلك فاني اسالها فيه واساعدك عليهِ فاذا قبلت به امهينا امرها اليك والا فلا يكون الاغتصاب في مثل هذا الباب . وانك منذ الاول لم تعاملها حق المعاملة وقد قصدت ان تقترن بها بغياب ابيها وبدون اطلاعهِ وهي طائعة لي لا ترضى ذلك مطلقًا ولا تقبل بغير ما اقبلهُ انا . قال اني ما فعلت الا صوابًا وقد اخبرتها ان تكون عندي عزيزة كريمة واملكها بلادي فلم تصغِ اليَّ بل بقيت على الاصرار . واني الان اطلب اليك ان تذهب الى سجنها بامري وتسالها في فاذا قبلت احضرتها وزففتها في الحال وتركت سراحها ولا اصبر عليها يومًا واحدًا والا فاتركها اشهرًا واعوامًا على هذه الحالة الى ان تلين وتصغي من نفسها وتسعى بطاعتي من تلقاء نفسها . فاغاظ كلامهُ هذا مسرور ابن عتبة واحتار بما يجيبهُ وقد عجب من جهلهِ وعناده وعدم مراعاتهِ جانبهُ الا انهُ لم يكن قادرًا على مقاومتهِ ولذلك طلب ان يرى بنتهُ فاجابهُ وبعث معهُ رسولاً يامر السجان ان يسمح لهُ بمواجهة بنتهِ . ولما دخل عليها ونظر حالتها المرة تكدر عليها مزيد الكدر ورمى بنفسه على عنقها يقبلها وهو يبكي ويسكب الدموع على ما لحق بها من العذاب فقبلت يديهِ وعارضيهِ وبكت وسالتهُ عن حالتهِ فاخبرها بما كان من امر الفرس واستيلائهم على بلاده وهربهِ منها فلامتهُ على عملهِ وقالت لهُ كان من الواجب ان تنقاد الى امرهم وتعاملهم وتبقى في بلادك ولا تلاقي هذا الذل والعذاب . قال ان بلادي لا تخرج من يدي فلا بد لي من العود اليها وقد عولت ان ابعث بكتاب الى الملك قيصر اطلعهُ على كل ما جرى واخبره بامر الامير قطاع وفعلهُ معك فلا بد للملك قيصر من ان يجبره على اعادتك اليَّ واعادة بلادي ايضًا بعد انتصاره على الفرس . فالت اني لا ارى للرومان نصرة عليهم ولا بد من ان يقتلوا قيصر ويتولوا على بلاده ولا يبقى في وجههم من معارض انما هذا ليس من همنا الان انما الهم الاكبر ان تمنع عني قطاعًا الخبيث الغادر فهو يريد ان يرغمني على

القران به وانا اكره ذلك غاية الاكرام . لامرين خطيرين اولاً لجهله وقبائحه وشروره الكثيرة وقتله امه واباه واغضاب الله عليه . وثانياً . لكره قلبي له وبغضه فاني افضل الموت الف مرة من ان ارى وجهه مرة واحدة فلهذا اريد منك ان لا تعده بي قط ولا تغيظك حالتي الان فاني متيقنة اني لا ابقى على هذه الحالة زماناً ولا بد للملك ضاراب من ان ياتي انطاكية لخلاص فارسه المسجون الذي كان عندنا وبسببه يشنق علي ويتركني وبدون شك هو لا يبقي على الامير قطاع . قال ان كلا الامرين عندي خطيرين ولم ارَ من الموافق الا ان ابعث فاعلم قيصر بك وبأمري فهو يسعى في خلاصك ومتى تخلصت سرت بك اليه وابقى هناك الى حين انتهاء الحرب . قالت اني اسلم امري اليه تعالى فهو يدبرني بحكمته . ولم تقبل ان تطلع اباها على امرها وحبها لبهمنزار قبا اذ لم ترَ في ذلك فائدة

قال وبعد ان صرف ابوها نحواً من نصف ساعة عندها ودعها وخرج باكي العين شاكياً من حالتها وكيف تقدر ان تحتمل مثل هذه الالام والاوجاع التي يصعب على اشد الرجال حملها بعد ان كانت تتنعم في قصرها بكل اسباب التنعمات . ولما رجع رسول قطاع اليه ساله عما سمع من الكلام الذي وقع بين مسرور وكليلة فحكى له وانه سمعه يقول لها ان مراده يرسل كتاباً الى الملك قيصر . فنما به الغيظ وكدره مزيد الكدر وصبر الى الليل وغيظه ينمو في صدره حتى لم يعد في وسعه ان يكتمه بل حركه الى الانتقام من مسرور فدعا في الحال بعض اتباعه وقال له اريد منك ان تاخذ الان الف فارس وتفاجئ القصر القائم به مسرور بن عتبة فاقتله واقتل جميع اتباعه الذين معه ولا تبقِ على احد منهم فما فيهم من خير لنا لان كليلة تتامل بهم الخلاص وتزيد عتواً وعناداً فاجاب الرجل امره وسار الى القصر المقيم فيه مسرور فدخله بالرجال الذين معه واخذ في ان يذبح اعيان الشام الذين جاءوا مع مسرور وذبح مسروراً ولم يترك في القصر نفساً حية الا واماتها . وبعد ان اتم امر سيده خرج مسروراً حتى وصل اليه واخبره بانقراض الجميع ففرح مزيد الفرح وقال عملت خيراً فاني كنت اومل بواسطة ابيها زواجها واقناعها فكان منه ان حركها الى البقاء على العناد وقصد ان يشكوني الى قيصر ففجع الله الاثنين معاً وامر بالتشديد والتحفظ على كليلة وان يقللوا لها من الطعام والماء وان يهينوها كل الاهانة وان يمنعوا عنها خبر ابيها وما حل به بل امر السجان ان يقول لها ان لم تتزوج به لا يمكن ان تخرج من جهنم عذابها . فكانت تكابر وتصر على قولها وما زاد في اصرارها علمها بان الايرانيين وصلوا الى دمشق واستلموها وانهم لا بد ان ياتوا الى خلاص حبيبها فتتخلص بسببه وواسطته وانه لا يتركها قط دقيقة بعد خلاصه

وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام وصل كرمان شاه الى انطاكية برجال الفرس وفي نيتهم ان ينقذ بهمنزار كما تقدم الكلام . فلما وصل الى تلك الارض وشاهد ان الابواب مقفلة والاسوار منيعة

نزل برجاله حول المدينة وعزم على ان يبعث بكتاب الى الامير قطاع يامره بالطاعة والانقياد وان يسلم اليه بهنزار قبا فاخذ وكتب

من كرمان شاه ابن عم الملك ضاراب ملك بلاد فارس الى الامير قطاع صاحب انطاكية بعد ذكر الله والحمد له اخبرك ايها الامير انه بلغ سيدي وابن عمي الملك ان احد بهلواني بلاده وهو بهنزار قبا موجود في السجن عندك وقد بعثه مسرور بن عتبة صاحب الشام ليبقى امانة عندك ولذلك بعثني بمائة الف فارس من الفرسان الشداد رجاء ان اتيه به لانه عزيز عنده ومن خواص رجاله . فاطلب اليك الان بامر الملك ضاراب ان تسلم اليّ البهلوان المذكور بعد ان تطلق سبيله وتكرمه مزيد الاكرام . وبعد ذلك تدخل في طاعتنا وتصير من عمالنا فانزل عن اسوار مدينتك اعلام الرومان وارفع اعلام الفرس وناد باسم الملك ضاراب وانشر سلطته على بلادك فهو خير لك من الملك قيصر ولا تمتنع بنفسك وتكابر قط فاني قادر على ان ادك هذه الحصون وادخل اليك واجازيك المجازاة الصارمة والسلام ختام

وبعد ان طوى الكتاب سلمه الى بدر فتات وقال له اريد منك ان تاتيني بالجواب حالاً قال اني اخبرك ياسيدي بان خطر في ذهني خاطر لما نظرت الى هذه الاسوار فوجدتها منيعة جداً ولذلك اخاف ان يطول امرنا حولها فنصرف وقتاً طويلا دون جدوى ولهذا اخبرك انه اذا اجاب صاحب هذه المدينة بالايجاب رجعت اليك حالاً بالجواب واذا امتنع بقيت في المدينة الى ان يسهل لي منها طرق النصراي الى حين اتوصل الى طريقة اقدر بها ان ادخلكم المدينة فتتملكونها وتدخلونها والا ما النتيجة من اقامتنا حول الاسوار ومهاجمتنا الاحجار فهم يقفلون الابواب ويبقون داخلها على علمهم وشغلهم ونبقى نحن اشهراً واياماً عرضة للشمس والبرد فارجوك اذا ابطئت عليك لا يشغل بالك ولا تظن انه لحق بي سوء فاني مزمع على البقاء كما قلت لك . قال افعل ما بدا لك وفقك الله الى الصواب واعادك اليّ سالماً نائلاً ما تتمناه . ثم ودع بدر فتات كرمان شاه وسار لجهة المدينة وطرق الباب واخبر البواب انه رسول آت بكتاب من سيده ففتح له وادخله واقفل من ورائه فجا الى جهة قصر الامير قطاع ودفع اليه الكتاب فاخذه وقراه وعرف معناه وتحقق ان الملك ضاراب لم يحضر بكل جيوشه كما كان يظن بل قسم منها ولذلك استشار رجال ديوانه فيماذا يجيب وقال لهم ان كرمان شاه يتهددني ويطلب اليّ ليس فقط تسليم الاسير بل تسليم المدينة ايضاً اذ انه يريد ان نجعلها مدينة فارسية فندخل في طاعتهم ونصير عبيداً لهم . وهم دون المائة الف فارس . فقالوا له انه كان يخطر لنا ان نسلمهم الاسير اذا انصفونا ولم يطلبوا منا غيره واما الان فحيث قد تطرفوا بطلبهم فلا نسلمهم اياه ونعمل على محاربتهم لان المدينة حصينة جداً ولا يمكن ان يتمكنوا منها ولو صرفوا العمر والادهار وعندنا من الماكل والمؤن ما يكفينا لاشهر وسنين ولا نغضب الملك

قيصر ونَدعه يعادينا وقد يترجح لنا انهُ لا بد ان يفوز على الفرس فاذا عرف بعد فوزه بخروجنا عن طاعتهِ ودخولنا في يد الفرس لبرسل الينا جيوشهُ وجازانا على فعلنا . ولذلك نرى من الموافق ان ترسل جواب كرمان شاه بالامتناع وتطلب اليهِ ان يرحل من هذه البلاد والا لاقى منا ملاقاة الويل والعذاب فلا يستفيد من حصارنا شيئًا . فاجاب الامير قطاع على كتاب كرمان شاه كما قالوا لهُ وزاد من عنده بانهُ تهدده وحكى لهُ كلامًا غير لائق . ثم دفع الكتاب الى بدرفنات فاخذه ووضعهُ في جيبهِ وخرج من ديوانهِ مظهرًا انهُ يريد المسير الى سيده حتى تغلغل في المدينة واختبأ في خرابة من خرباتها فنزع ثيابهُ الظاهرة فاخفاها وكان يلبس تحتها ثوبًا مزقًا وسخًا ووضع على راسهِ قبعًا مشرمًا مثقبًا ونزع حذاءه من رجلهِ حتى اصبح من الفقراء الشحاذين واخذ عصاه في يده وجعل يطوف في المدينة من جهة الى ثانية يسال الاحسان ويبحث عن مكان السجن الذي فيهِ بهنزار وبقي بقية ذلك اليوم الى المساء حتى عرف المكان فاطمأن بالهُ واخذ يفكر في طريقة الدخول اليهِ حتى ترجح لهُ وجه الصواب فدنا من الباب وطرقهُ فخرج اليهِ السجان فرمى نفسهُ على اقدامهِ وهو يقبلها ويبكي بحرارة ويضرب على صدره ويرفع راسهُ الى السماء يدعو لهُ بطول العمر والسعادة ويطلب اليهِ ان يرحمهُ ويساعده فانهُ يريد ان يدخل على المسجونين يسالهم الاحسان والعطاء فلا بد من ان يحصل على ما يكفيهِ لقوت يوم ويومين . فقال لهُ الرجل اني اجبتك الى سوالك فما من خوف منك انما لا تقم كثيرًا في الداخل لان الان وقت الليل ولا يراك احد واني ساقفل الباب عليك من الخارج فلا تخرج الا بامري واذني ثم ادخله وهو حزين من حالتهِ ومتاثر من فقره فما صدق بدرفنات ان صار داخل السجن حتى هرول يسعى وسمع السجان قد اقفل الباب فاطمأن بالهُ ايضًا وقال بعد ان اقضي غرضي لا بد لهُ ان يفتح لي فاخرج . ثم اخذ يدور في غرف المسجونين ويدعو لهم بالخلاص ويسالهم العطاء فيدفعون اليهِ ما عندهم من كسر الخبز وغيرها ولا زال حتى جاء الى الغرفة التي فيها بهنزار قبا وهياش وزير الامير قطاع الذي امر بحبسهِ هناك فلما دخل عليهما عرف بهنزار فدنا منهُ وجلس الى جانبهِ وجعل يدعو لهُ بالخلاص وسالهُ الاحسان فلم يعرفهُ فاعطاه بعضًا من الدراهم فنظر اليها بازدراء وقال لهُ ما هذا العطاء فهو قليل من رجل مثلك في طبقة الملوك غير انهُ يقال عنكم انكم بخلاء وهذا مصدق عن الفرس . فقال لهُ ان هذا مكذوب عن الفرس فلسنا كما زعمتم ولو اتيتني وانا غير محبوس وفي جيشي لما اتيت مني الا الاحسان والعطاء الغزير فارجوك تعذرني فما بيدي غير ما اعطيتك . قال هذا العطاء لا يكفي في مقابلة اهتمامي بخلاصك واخراجك من هذا السجن . فضحك منهُ وقال لهُ اراك فضوليًا فمن اي البلاد انت قال انا من مصر وقد خرجت منها في هذه الايام مع جيوش الفرس على امل ان اشحذ في الجيش فاعيش فما كنت الاقي الا خلاف ما ظننت ولا احصل على كسرة خبز الا بعد التعب والجهد

العظيم . فلما سمع بهمنزار بذكر جيوش الفرس انعطف خاطره الى معرفة ما جرى على الملك ضاراب من بعد اسره وهل هو ساع في خلاصهِ وقد طال عليه المطال فقال لبدرفتات اني لا اصدق منك ذلك فهم يطعمون النقير ولا يتقاعدون عن المسكين واني اعطيك الان كل ما في وسعي ان اعطيكهُ انما اريد منك ان تخبرني بخبر جيش فارس بعد حصارهم المدينة ماذا صار بهم واين هم الان . فجعل يحكي كل ما كان من البداية الى النهاية وقال لهُ واني اتعجب من قلة عقل الملك ضاراب فانهُ لاجل رجل واحد من رجالهِ سار الى الشام فملكها وسار منها الى ملاطية وطرد جيوش قيصر عنها واقام فيها ومنها ارسل كرمانشاه لخلاص رجله فجاءوا هذه المدينة وانا معهم واقاموا في خارجها ففرح بهمنزار وكاد يطير من الفرح وثبت لديهِ ان قومه ساعون في خلاصهِ فانهم خارج البلد . ثم قال وماذا فعل كرمان شاه عند وصولهِ الى هذه المدينة وهل بدأ بالحرب . قال انهُ لم يبدأ بحرب ولكنهُ كتب كتابًا و بعثهُ مع بدرفتات العيار الى الامير قطاع فاخذه اليهِ وطلب منهُ ان يسلمهُ اياك فلم يقبل فرجع بدرفتات العيار وفي نيتهِ ان يتوصل اليك فاختفى عن الاعيان الى بعد الغروب فنزع ثيابهُ ولبس ثياب الشحاذين الفقراء وجاء الى هذا السجن فاحتال على حارسهِ ودخل اليهِ

قال فلما سمع بهمنزار كلامهُ تحقق انهُ بدرفتات فطار فؤاده فرحًا واستبشارًا وجعل يقبل بدرفتات وقال لهُ اني لم اعرفك في الاول . فاخبرني الان على ماذا عولت قال عولت على ان ابقى داخل المدينة اسعى للوقوف على منفذ لها ادخل بهِ اصحابي لنملكها بوقت قريب لاني ارى حصونها منيعة لا يمكن ان تفتح بالحصار . فقال لهُ الوزير هباش وكان يسمع الكلام وعرف انهُ قد آن وقت خلاصهِ انكم لو بقيتم الدهر خلف الاسوار لما بلغتم غاية من المدينة وعندي ان تسعوا اولاً بالوصول الى دهليز يبتدي من قصر الامير قطاع و ينتهي الى حفرة في خارج المدينة على بابها حجر يبلغ تربيعهُ ذراعًا لا يمكن ان تهتدوا اليهِ قط ولا يصل اليهِ الا الذي يعرفهُ . قال من اين يمكنا ان نصل الى هذا الدهليز وفي اي مكان من قصر الامير قطاع يبتدي . قال هو يبتدي من غرفة منامتهِ من قافعة تحت سريره فاذا قدرت ان تصل الى هناك سرت الى داخل الدهليز الى ان تنتهي الى بابهِ الخارجي فترفع الحجر وتصعد منهُ قال اني استعين بالله على قضاء هذه المهمة ولا بد لي من ان اهتدي الى هذا الدهليز وادخل فرسان الفرس منهُ ثم ودع بهمنزار قبلا ووعده بقرب الخلاص وسار الى البواب فدعاه ليفتح له الباب فاجابهُ اليهِ وقال هل حصل ما يكفيك . قال حصل ما يكفيني لي ولعائلتي هذه الليلة فقط . و بعد ان بعد عن السجن سار الى المكان الذي كان قد ترك فيهِ ثيابهُ فاخذ منهُ ما احتاج اليهِ واخفى الباقي وتزيَّ بزي شاب بسيط الحال طباخ وسار الى ان وقف بباب قصر الامير قطاع فاعترضهُ الحاجب فقال لهُ اني اريد طباخ الامير قطاع فان لي كلامًا احب ان

الجزء الرابع عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

وكل ما يلزم معها فمتى دعاني الامير قطاع اسرع انت وقدم المائدة وصف الصحون ورتبها كالعادة قال كن براحة فاني اعرف ما هو مطلوب مني وفي الغد ترى ما يسرك . فتركه وذهب فاقام بعد ذهابه قليلاً في غرفة الطعام يهيء شغله وقد وضع البنج في الحلوى وزاد منه . ولم يكن الا القليل حتى دعاه قطاع وسالة تقديم مائدة الحلوى فاجابه وقدمها له ولرفاقه فتقدموا ياكلون وهم من السكر في تيهان لا يعي احدهم على الاخر وما فرغوا من الطعام حتى رمتهم الى الارض مفاعيل البنج وغابوا عن هداهم وكان بدرفتات يراقبهم فلما شاهد منهم ذلك فرح غاية الفرح واسرع الى سرير الامير قطاع فرفعه فوجد داخله باب الدهليز بحسب ما دله عليه الوزير هياش فثبت عنده النجاح ونوال مراده فاخذ بيده مصباحًا ونزل الدهليز وسار فيه الى ان انتهى الى اخره فوجد بابه من الاخير مسدودًا في حجر فسحبها الى الداخل فقشع الخلاء فخرج اليه وفرح غاية الفرح ثم نظر الى ما حواليه فلم ير بدًّا من وضع المصباح في باب الدهليز خوفًا من ان يضيعه فلا يعود يهتدي اليه وانطلق حتى وصل الى الجيش فاعترضه الحارس فعرفه بنفسه ودخل الى ان وصل الى صيوان كرمان شاه فايقظه من نومه وحكى له كل ما توقع له من امر المدخل وقال له اريد منك ان تبعث معي من يدخل الدهليز فنقتل الامير قطاع ونسير الى الابواب فنفتحها ونتملك المدينة قبل وصول النهار . قال خذ معك خمسين فارسًا ومنهم بيلتنا بن فيلزور وانا انتظرك عند الابواب فاذا فتحتموها دخلت بكل العسكر ثم دعا ببيلتنا وبقية الفرسان وامرهم ان يلحقوا ببدرفتات فاخذوا اسلحتهم وعددهم وساروا الى ان وصلوا الى المدخل فدخلوه وساروا منه الى قصر الامير قطاع فدخلوا عليه فوجدوه على حالته مع رفاقه فتركوهم وخرجوا من القصر بعد ان قفلوا بابه واخذ مفتاحه بدرفتات وسار امامهم الى ان وصل الباب الكبير فهجم بيلتنا وجماعته على الحراس فقتلوهم وفتحوا الباب واذا بكرمان شاه قد اندفع اندفاع الماء من فوه الانابيب ودخل برجاله المدينة وكان قد تبين نور الصباح فاسرعوا الى الاسوار وهجموا على العساكر واعملوا فيهم الطعن والضرب وانتشب القتال فيما بينهم وكان بدرفتات قد عاد مسرعًا الى القصر فدخل اليه وشد الامير قطاع وجماعته بالحبال وتركهم فيه واقفل عليهم وعاد اسرع من السهم عند انطلاقه حتى وصل الى السجن وبيده خنجره فصاح في السجان فخرج اليه فقبض عليه وقال له ابعد عن الباب والا اعدمتك الحياة فقد دخلنا المدينة وتملكناها لاجل خلاص بهمنزار قبا وكان السجان قد سمع اصوات المتقاتلين وعرف

من ارتباك الاهالي ان الاعداء دخلوا البلد فلم يرَ بدًّا من التسليم فقال لبدرفتات اني لا امانع في شيء فاخرج اسيركم وخذه فدخل بدرفتات السجن وتقدم من بهمنزار وطمنهُ بالخلاص والنجاة واخذ المبرد فقطع قيوده وقيود الوزير هياش وخرج بهما من السجن واندفع المحابيس من ورائهم يسعون الى الفرار دون ممانع ولا حاجز . قال ولما تخلص بهمنزار قبا فرح غاية الفرح فتناول سلاحًا من بعض الفرسان وكر الى مساعدة المتقاتلين عند الاسوار فخاض المعركة وهو بقلب اشد من الصوان وقد اشفى قلبهُ من الاعداء ولم يتعالَ النهار جيدًا الا وتملكوا الاسوار واطاعهم كل من في المدينة لانهم كانوا يطلبون التخلص من ظلم الامير قطاع وسال بهمنزار عن مكان كليلة فدلوهُ عليهِ فاسرع وهو كالاسد الزائر حتى دخل الى سجنها فوجدها على تلك الحالة وكانت في ياس وكدر وقد ذبلت وتغير جمالها واصفر وجهها ولحق بها من معاملة السجان لها بكل انواع العذاب النحول والاضرار . فلما شاهدها كاد يغمى عليهِ وبعد ان قتل الحارس تقدم منها وعرفها بنفسهِ وبشرها بالخلاص واتيان عساكر الاعجام ففرحت غاية الفرح وثبت عندها الفرج وتقدمت من بهمنزار فقبلتهُ وشكرتهُ على اهتمامهِ وحكت لهُ كل ما كان من امر الامير قطاع ومعاملتهِ لها بالقساوة والعذاب فتكدر منهُ وقال لا بد لي من ان اقتلهُ بيدي ثم جاء بها الى القصر الذي كانت بهِ قبلاً فادخلها اليهِ وامرها ان تغير ملابسها وتغسل جسدها من الاقذار وعاد عنها بعد ان اقفل عليها الباب ورجع الى قصر الاحكام فوجد كرمان شاه قد دخلهُ وجلس فيهِ وحولهُ الرجال والابطال والعساكر الفارسية محيطة بهِ من كل جانب فتقدم منهُ وسلم عليهِ وسالهُ عن الملك ضاراب فحكي لهُ حالتهُ واهتمامهُ بهِ فشكر معروفهُ وجلس الى جانبهِ . ثم ان كرمان شاه بعث المنادين ينادون في المدينة ان يخرج كل الى عملهِ فما من خوف على المدينة وان لا احد من العسكر يتعرض لاحد من الاهالي ومن وقع عليهِ من احد ما يكدره جازاه بالقتل فامن رجال المدينة وخرجوا الى الاسواق ودارت الاعمال والاشغال كالعادة

وبعد ذلك احضر كرمان شاه الامير قطاع بين يديهِ وقال لما هذا العصيان والتكبر الا تعلم ان في وسعنا التسلط عليك وقتلك قال اني كنت اجهل قدرتكم وكنت اخاف ان يغضب عليَّ قيصر واما الان فحيث قد ملكتم البلاد بالرغم عني فاني معذور فها انا بين ايديكم وذنبي لا يستوجب القتل . فعمد كرمان شاه الى اطلاقهِ والعفو عنهُ فاعترض عليهِ بهمنزار قبا وقال لهُ لا تفعل ياسيدي فان لي دعوى عليهِ استحق لاجلها القتل والعذاب . قال وما هي دعواك قال سوف تراها وتسمعها ثم انهُ سار الى كليلة فاحضرها وكانت قد لبست الملابس الفاخرة وتطيبت وتزينت حتى رجع اليها بعض رونقها وكان فرحها عظيما جدًّا حيث ثبت لديها ان الفرس تملكوا البلاد وصارت بيدهم وانها منذ تلك الساعة تكون مع حبيبها فلا تفارقهُ وقد تملك نفسهُ وعادت اليهِ حريتهُ . ولما

جاء اليها بهنزار اخذها الى مجلس كرمان شاه وقال له اعلم ياسيدي ان هذه هي صاحبة الدعوى وهي التي تطلب قعل الامير قطاع وهذه هي كليلة بنت مسرور برج عنبة صاحب الشام فتعجب كرمان شاه من حسنها وجمالها وسالها عن قصتها فحكت له كل ما توقع لها من البداية مع بهنزار وكيف عاهدته وعاهدها ان تكون زوجة له حلالاً وكيف ان اباها بعثها لتقيم في انطاكية تامينًا عليها من سطوة الفرس وكيف ان الامير قطاع قتل اباه وامه لاجلها وكيف عاملها بعد ذلك بالعذاب وقد حافظت على نفسها كل المحافظة واحتملت منه الاهانة بعد ان هربت واختفت عند العجوز ام عاجل وان ابنها اخذ منها العقد وباعه ايضًا . وكانت تتكلم وبهنزار يحترق وكرمان شاه يتعجب من مودتها وعفتها ومحافظتها على نفسها وكرامتها وثباتها . وبعد ان انتهت من شرح قصتها لم يقدر الامير قطاع ان يجيب عليها بشيء وفي الحال قال بهنزار لكرمان شاه اهل لا يستحق القتل لاجل كل هذه الاعمال . قال لا ريب انه خبيث مرتكب قتل اباه وامه لاجل شهوته وقتل كثير بن ومراده يتعدى على بنات الملوك واني احكم بقتله . فلما سمع بهنزار هذا الكلام قبض على الامير قطاع وضربه بسيفه القاه الى الارض قطعتين وامر بدر فتات ان يرفعه الى الخارج ثم سال كرمان شاه ان يحضر له عاجل بن العجوز فبعث من احضره فلما حضر كان سكرانًا غير واعٍ على نفسه فتقدم منه بهنزار وفعل به ما فعل بالامير قطاع حتى اشتفى قلب كليلة وتهللت من الفرح وسرّت بعمل حبيبها وايقنت بدوام الهناء بعد ذاك العناء وكانت قد انبهرت من جمال كرمان شاه وتعجبت كثيرًا وقالت في نفسها اني كنت اظن ان حبيبي هو اجمل رجل في الدنيا حتى رايت له قرينًا فلا ريب ان رجال الفرس اعطيوا الجمال كما اعطيوا الشجاعة والاقبال . ثم طلبت الخروج من المجلس فسار بها بهنزار الى القصر ودخل بها وجعل يشكو لها ما لاقى من اجلها وتشكو له ما لاقت واحضر الطعام فاكلت واكل معها وصرفا الوقت على احب ما يكون من موجبات الحب والغرام . وبعد ذلك سارا الى غرفة المدام فاحضرا ما يحتاجان اليه منه وجلسا يتعاطيان الكوس على الصفاء والهناء وقد تذكروا ايام كانا يصرفانها في دمشق على مثل هذه الحالة في الروضة فهاجت من بهنزار الذكرى وحسب نفسه سعيدا بما لاقى بعد العذاب فانشد

بسمت فاذرت باللآلي ... ورنت بالحاظ الغزالِ
وتقلدت بكواكب الجو ... زاء في فلك الجمالِ
وانثت تميس بقامة ... خضعت لها السمر العوالي
هيفاء لم يثن معا ... طفها سوى خمر الدلال
فبانة تسمو النهـا ... لطفًا وتذري بالشمال
قد كحلت تلك العيو ... ن النجل بالسحر الحلال

يا خل صبري قد عفا وربوعهُ امست خوالي
قسماً بطلعتها التي ابداً تجل عن المثال
و بطرفها ذاك الذي يرمي المتيم بالنبال
وبمبسم يفتر عن كنز الجواهر واللآلي
و بطيب ايامي التي ولت كطيف في الخيال
و بصدق ودي في الهوى لم يثنهِ جور الليالي
ما اسفرت الا وعا د البدر في شكل الهلال

ثم شرب مهتزًّا من الطرب وفعلت هي كفعلهِ وقالت لهُ اني وان كنت لا انسى تلك الايام التي سلفت لنا في روضتي والهناء الذي صرفناه انما لا اقيس تلك بساعة من ساعاتنا هذه لان ذاك الوقت كان مشوبًا بالخوف فكنت لا ارتاح من جهتك واخاف من جهة ابي واما الان فلم يعد من مانع يحول دون اجتماعنا وقد ملكت انت نفسك وخرجت من سجنك وصرت المالك والقاضي ولهذا ارى نفسي سعيدة جدًّا واني لا افارقك حتى الموت وسنصرف الوقت على الهناء مع بعضنا و يكون جنبك لجنبي دائمًا فما نحن الا احرار . ثم اخذت كاسًا وانشدت فرحة

كوكب السعد بالنجاح انارا وجلى عن صدورنا الاكدارا
ردد الطرف في وجوه تراها حسنات تكفر الاوزارا
وغصون تسقى بماء نعيم قد ارتنا الشموس والاقمارا
وعلى الدوح للنسيم ايادٍ عن غصون تفكك الازرارا
فتجلى عرائسًا وعليها من جيوب الغمام تلقى نثارا
وترى الروض في شباب وحسن جعل النور برده المعطارا
نغمات للعندليب تنادي هاجمات الهوى البدار البدارا
فتنشق من الربا نفحات مهديات ما يدهش العطارا

وشربت عند انشادها وملأت كاسًا اخرى وناولتهُ وانشدت

يا لهف نفسي على دهر مضى وانا فيهِ بنار غرامي عدت محترقا
اشكو واشكر خوف اللوم ماصنعت يداه لي وغراب البين قد نعقا
اذهبت عمري لهوًا في هوى رشاءٍ حلو الشمائل منهُ المسك قد عبقا
يا عازلي في هواه لودريت بهِ لكنت لي عاذرًا فيما ترى شفقا
مذهب الخد في احداقهِ غنجٌ لي مذهب بالتجري في هواه رقا
ساومتهُ الوصل قال البعد من شيمي خذ في السما سلما او فاتخذ نفقا

حتى اذا كاد يثني السكر معطفهُ وخيل افراحوقد ارسلت طلقا
سرقت في الحال وصلاً عند غفلتهِ والطف الوصل في الايام ماسرقا

ونشر الهناء رواقهُ فوقهما واخذتهما دواعي المسرة تحت حمايتها فلم يعد لسلطان الاكدار عليهما من سبيل ولا لجيش المصائب اليهما من وصول وقد صرفا الوقت وما بعده كحبيبين حقيقين مخلصين الود . واخذ ايضاً كرمان شاه قصرًا خاصًا بنفسهِ اقام فيهِ مدة عشرة ايام اي مدة اقامتهِ وفي اثناء هذه المدة اعهد برئاسة الاحكام الى الوزير هياش فالبسهُ الوسام الفارسي وقال لهُ انك منذ الان الحاكم على هذه المدينة بدلا من الامير قطاع الذي لقي شر عملهِ و بما انك امين وطائع وعندك من العقل والحكمة ما لا يوجد عند غيرك لالزوم لان اوصيك باجراء الحلم والعدل والمساواة بين الرعية انما اطلب اليك ان تبعث في كل عام الاموال المضروبة الى الملك ضاراب بقدر ما يمكن ان تحمل هذه المدينة واذا احتجتم الى مدافعة او فاجئكم عدو فابعثوا اليهِ برسول فهو يفرج عنكم كل ما يقع عليكم واكر رطلبي بان تبقى على اسوارکم الاعلام الفارسية بحيث تبقون تحت حمايتنا فلا يجسر احد على الدنو منكم بسوء فاجابهُ الوزير الى كل ما طلب ووعده بالطاعة والانقياد الدائم وبعد مضي عشرة ايام رافت الاحوال وتدبرت امور المدينة ولم يعد من مانع يمنع الايرانيين عن السفر . فودعوا هياش الحاكم وركبوا راجعين على الطريق الذي جاءوا منهُ وهم تحت الوية النصر والظفر وفي مقدمتهم كرمان شاه والى جانبهِ بيلتا وهو كالنمر الحردان . وعلى جانبهِ الاخر بهمنزار قبا وهو فوق الجواد كانهُ طود من الاطواد وقد اركبوا كايلة بنت ملك الشام على هودج مخصوص وهي سائرة الى جانب محبوبها تراه ويراها من عن ناقتها وداموا على مسيرهم نحو ثلاثة ايام يسيرون في النهار ويرتاحون في الليل وفي اليوم الرابع دخلوا ارضًا واسعة فسيحة مملوءة من الغدران والاحراش والادغال فخطر لهم ان ينزلوا في تلك الارض ريثما يرتاحون و ياكلون الطعام ويعودون الى المسير ولذلك حولوا عن خيولهم وتفرقوا في تلك السهول وجلس كل الى الغذاء فتقدموا وسقوا خيولهم واقام بهمنزار مع كايلة وارتاحت واكلت وقامت تتمشى فتبعها بهمنزار يرافقها اينما قصدت حتى رات في اطراف المعسكر بئر عميقة ضيقة الباب فمدت راسها منهُ فلم ترَ اسفلهُ بل رأتهُ اسودًا مقتمًا لا يبان لهُ قرار . فلاح لها ان ترمي حجرًا فيهِ ففعلت واخذت حصاة صغيرة وقذفتها الى قعر البئر فما لبثت ان افلتت الحصاة من يدها حتى نظرت الى دخان كثيف تصاعد بسرعة منها فارتاعت وعولت ان ترجع الى الوراء فلم تقدر لانها نظرت باسرع من لمح البصر الى يد قوية مدت من وسط الدخان المتكاثف فقبضت عليها وانتشلتها من على الارض وغارت بها في اعماق البئر فصاحت واستجارت ببهمنزار فاخذف ليخلصها الا انها غابت عن ابصاره ولم يرها فاخذ يصفق بيديهِ كالمجنون فاسرعت الفرسان على نداه وقد شاهدوا كايلة سقطت الى البئر فنظروا اليها فراوها غير عميقة وفي اسفلها

حجارة وحصى واتربة ونحوها وليس فيها شي لا اخر فانذهلوا ونزلوا البئر ونزل بهنزار وفتش فلم يرَ سوى جدران البئر وهي من الصخر وليس من انس ولا من جان داخلها فزادت عليهِ الاكدار وجعل يلطم خدوده ويعض على بنوده ويتحسر كيف غابت عنهُ وانخطفت منهُ وهو لا يقدر ان يخلصها من خاطفها . فاخرجهُ كرمان شاه الى الخارج وقد حزن على حالتهِ وقال لهُ غياب كليلة لم يكن بارادتها ولا بد من ان يكون امر خفي اعدها ولا نقدر ان نعرف بعالم الغيب ولا اظن الا ان هذه البئر يسكنها جماعة من الجان ولا قدرة لنا على محاربتهم واغتصابها منهم فمن الموافق ان نرحل الى الملك ضاراب ونعرض امر كليلة عليهِ وعلى طيطلوس الحكيم فلا بد انهما يرشدانِنا الى ما بهِ الصواب . فاذا كان الذي اختطفها من جماعة الجان جاء فيروزشاه بالسيف الذي احضره من الاسكندرية المعد لقتل الجان وخلصها لك . فبكى بهنزار قبا البكاء الغزير وقال دعني يا سيدي وحدي هنا وسر فرجلاي لا تطاوعاني على المشي في ارض اختفت بها خطيبتي واخاف اذا غبت انا عن هذه الديار اعادها الذي اخذها الى الارض فتصبح وحيدة فريدة لا مونس ولا مساعد فتموت لا محالة قال لا يمكني ان اتركك لاني ما اتيت الا لاجلك فكيف ابقيك واسير ومع ذلك فاني اكرامًا لك اقيم هنا ثلاثة ايام فاذا حضرت اخذناها وسرنا واذا لم تحضر ولم يعدها الذي اخذها لا سبيل الى العودة بعد فنقطع الامل منها وننتظر الفرص المودية الى خلاصها من طريق اخر لا نعلمهُ الان فاتكل على الله واطلب اليهِ ان يساعدك ويرجعها اليك

فلما سمع كلامهُ جعل يبكي ويصلي اليهِ تعالى بقلب مفروح ومحروق ويرجو منهُ المساعدة والاغاثة . واقاموا في تلك الارض ثلاثة ايام وبهنزار لا يفارق باب البئر ظنًا منهُ انها تعاد او يسمع لها صوت او حركة فلم يظهر لهُ شي من ذلك ولا يرى بالبئر سوى الحجارة والاتربة وزاد بهِ الشوق وعظم عليهِ الكدر واحتار في امره ماذا يفعل فجاء اليهِ كرمان شاه وقال لهُ اريد منك ان تركب الان فلم يعد في وسعنا التاخير الا تعلم ان الملك ضاراب على مقالي الجمر من اجلنا وهو يخاف ان يلحق بنا اذى فاذا ابطانا القيناه في حفرة الياس والاضطراب فاذهب بنا الى طيطلوس فهو يعرف ويظهر من رملهِ اين راحت ومن الذي اخذها . فانقاد بهنزار قبا عند سماعه هذا الكلام وقال بنفسهِ لقد صدق كرمان شاه فما من وسيلة هنا للوقوف على اخبارها ومن الموافق ان اسعى في ايجاد الطرق القائدة الى الاستحصال عليها ولا بد من ان يساعدني سيدي فيروزشاه ثم انهُ نهض فركب جوادهُ وهو منكسر القلب والخاطر حزين للغاية وسارت العساكر عن تلك الارض وهو في موخرتها يسير وعيناه تضرب الى الوراء متلفتًا الى الارض التي فارقتهُ بها املاً ان يوقع نظره عليها فيرجع الى خلاصها الى ان غابت تلك النواحي عنهم وبعدوا كثيرًا فاكمد قلبهُ جدًا واسودت الدنيا في عينيهِ وسار لا يعي على نفسهِ منضمًا الى رفاقهِ وداموا هكذا حتى قاربوا

ملاطية فبعثوا بالاخبار الى الملك ضاراب بفوزهم وامتلاكهم المدينة وخلاص بهمنزار ففرح جدًا و بعث مصفر شاه ووزيره دوش الراي ان يخرجا مع من يريد من الفرسان لملاقاة القادمين فخرج جمع غفير من سائر الجيوش وسار جيش بهمنزار الخاص برمتهِ وعدده ثلاثون الفًا و بقي سائرًا الى ان التقي القادم بالخارج فترجلوا وسلموا على بعضهم البعض وهم فرحون كل الفرح وسلم الجميع على بهمنزار وهنأوهُ بالسلامة وهو عابس قاطب غير مسرور من هذه الملاقاة متكدر من غياب محبوبتهِ وقد كان يتمنى ان تكون حاضرة فترى عظيم اعتباره واعتبارها عند قومهِ وتشاهد عظمة رجال الفرس وعادوا جميعًا راجعين الى حضرة الملك ضاراب حتى وصلوا اليهِ ودخلوا عليهِ فترحب بهم وهنأهم بالسلامة والنصر وشكر كرمان شاه واهتمامهُ ومدح من بيلنا غاية المدح على بسالتهِ واقدامهِ وحكى لهُ كرمان شاه عما فعله بدر فتات من تسهيل دخولهم الى المدينة مع ان اسوارها اعظم من اسوار الاسكندرية لا يقدر على هدمها وخرقها احد وهي تكاد تكون قطعة واحدة وابوابها من الحديد السميك

فلما سمع الملك ضاراب وفيروزشاه و بقية الفرسان صدق خدمة بدرفتات سرّوا منهُ وعجبوا من تفننهِ في مهنتهِ واراد فيروزشاه ان لا يضيع لهُ تعبًا على مثل هذه الخدمة فقال لهُ لقد فعلت حسنًا يا بدرفتات واشتريت دم رجالنا بسعيك واجتهادك وقد ادخلتهم قبل الان الاسكندرية ودفعت عنهم ثقلة عظيمة والان قد ادخلتهم انطاكية وملكتهم اياها ولهذا لا ارغب لا انا ولا ابي ان نحرمك من المكافاة ثم دفع اليهِ عشرة الاف دينار ومثل ذلك الملك ضاراب وقال لهُ هذا مكافاة لفعلك وسعيك بالجد والامانة واني آمر كلًا من فرساني ايضًا ان ينعم عليك بما يروق في عينيهِ . وكان جميع الحاضرين معجبين من عملهِ مسرورين منهُ يحبون ان يكافئوه عليهِ قدوة لغيره من العيارين الذين دخلوا في خدمتهم مع انهم كانوا من الاعداء ليسعوا و يجتهدوا مثلهُ فافرغ عليهِ كل من انعامهِ على قدره حتى اصبح بدرفتات من اكبر اغنياء ذاك الزمان يقابل الملوك بكثرة مالهِ وتقدم في الاخير بهروز كبير عياري ايران وشد وسط بدرفتات بنطاق عريض مزركش بالحرير المنسوج ومرصع ببعض حجارة كريمة عند ربطتهِ وبصدرية خضراء مصفحة بالذهب من كل صدرها مشبكة بالحرير من ظهرها واعطاه خنجرًا مرصعًا بالحجارة الكريمة وقال اني بامر سيدي فيروزشاه ارفعهُ الى رتبة استاذ في هذا الفن كسيده طارق فهو مثلهُ في النشاط والخدمة . فسر بدرفتات مزيد السرور ورأى نفسهُ غنيًا وصار في الدرجة الاولى بين عياري ايران ولم يعد اعلى منهُ درجة ورتبة الا بهروز عيار فيروزشاه لانهُ سيدهم واميرهم ومجبورون الى طاعتهِ اذ لا بد لهم من رئيس واقدرهم قوة واشدهم قلبًا كون اباه كان غولًا . واقام الملك ضاراب بعد ذلك يتهيأ المسير الى عاصمة قيصر لمحاربة الرومان لانهُ كان هناك بانتظار كرمان شاه وعودتهِ من انطاكية .

و بعد ان تهيأ وتم له كل شيء ركب وسار بقصد الملك قيصر ومن خلفه الجيوش والفرسان وكان لما كسر الملك ضاراب تمرتاش وجاء ملاطية واستولى على الخيام والمؤن وكل ما هناك كما تقدم الكلام وجد في صيوان تمرتاش صبية رومانية ذات حسن باهر وجمال فائق فسالوها عن نفسها فقالت اني خليلة تمرتاش فابقاها عنده فلما سافر من ملاطية احضرها معه كاسيرة كيداً لصديقها بهلوان الرومان غير انه لم يكن محجور عليها كل الحجر ولا مقيدة بل كان يحرسها ويخدمها فارس واحد وكله بها الملك ضاراب وكان اسمها انس الصفا

قال فهذا ما كان من الملك ضاراب واما الملك قيصر فانه لما وصل اليه تمرتاش مهزوماً من امام الفرس وليس وراءه من الفرسان الا القليل كاد يغمى عليه ودخل قصره وبقي عدة ايام كالمجنون لانه تكدر مزيد الكدر وثبت عنده نجاح الايرانيين لانهم اخذوا مقدمة النجاح وبعد ذلك دخل عليه ولده وتمرتاش ووزيره بيد اخطل وقال له تمرتاش ان نصر الايرانيين كان بالحيلة والخداع والمكر ولم يلتق عسكرنا وعسكرهم دفعة واحدة وجهاً لوجه بل كان ذلك في الليل وما منا من يعرف رفيقه ولا عدوه من صديقه وقد وضعونا في الوسط واحتاطوا بنا من كل جهة ولو لم نكن من الاشداء لما خلص منا ولا فارس ولا يجب ان نتقاعد عنهم ونتركهم يعيثون في بلادنا ويدهموننا ونحن في غفلة عنهم . قال اني مكدر من ضياع رجالي بيوم واحد واني اعرف اني في النهاية لا بد ان افوز عليهم انما لا احب ان اخسر رجالاً من رجالي بهكذا مقدار . قال تمرتاش اننا نفوز عليهم اذا حاولناهم في القتال وطاولناهم واني موكد ان لا فارس فيهم يلقاني في الميدان ولذلك ساحصر القتال فيَّ فابارزهم واصطادهم واحداً بعد واحد الى ان اسحب فرسانهم باجمعهم ثم نهجم على بقية العسكر فنبددهم عن اخرهم . فسرّ هذا الكلام الملك قيصر وقال اني بعثت بالرسل الى العساكر لتحضر الى معونتي وعليه فاني احب المطاولة اذا قصد الفرس القدوم الى بلادنا والهجوم علينا ولذلك ارغب ان تبعثوا بالعيارين والارصاد حتى اذا راوهم قد خرجوا من ملاطية وجاءوا نحونا يأتون الينا بخبرهم فنستعد لهم ونلاقيهم بعيداً عن بلادنا اي في نصف الطريق . وخرج الملك قيصر الى ديوانه واخذ في عمله وتهيئة العساكر وتذخير الذخائر والمؤن وتعديد العدد حتى كانت المدينة في قيام وقعود

ودامت الحال على هذا المنوال مدة ايام وقد وضعت العيون والارصاد على ملاطية يراقبون جيوش الفرس وحركاتهم وينتظرون خروجهم منها . وكانت عين الحياة كل هذه المدة قائمة في القلعة على حالتها من الكدر والغم وليس لديها سوى امراة سيف الدولة وفي وقت الطعام يحضر اليهما محمولاً على الموائد فتاكلان الى ان تكتفيا فترتفع الموائد وتبقيان على حالتهما وفي كل يوم يحضر اليهما الامير فهد حاكم القلعة ويسال عين الحياة عن احتياجها وما ترغب فيه واذا كان لها من

غرض فتخبره عنهُ وكانت في اكثر الايام تسالهُ اذا كان عرف ان الحرب قد انتشبت بين الفرس والرومان فيجيبها بما يعرف الى ان كان ذات يوم جاء اليها وسالها عن احتياجها كالعادة فقالت لهُ لا اريد شيئًا سوى اني احب ان اتخلص من هذا الحبس ولذلك اريد ان اعرف اذا كان الفرس وصلوا هذه البلاد ام لا لاني موكدة اني لا اخرج من هذه القلعة الا ابعد نهاية الحرب واجلاء الفرس عن هذه البلاد وكانت ترغب في ان تصيره مركنًا اليها ولا يظن انها ميالة للفرس . فقال لها ان كامل احتياجاتنا تصل الينا في الاسبوع مرة من المدينة ولا سيما في هذه الايام فان انبوش ابن ملكنا يبعث اليَّ دائمًا بالاخبار والهدايا لك ويوصيني بمداراتك . وقد عرفت ممن جاء من قبلهِ بالامس ان الفرس جاءوا بلادنا وقربوا منها وطردوا تمرتاش من ملاطية بعد ان كسروه شر كسرة حتى تكدر ملكنا من عملهم ولازم القصر منفردًا مدة ايام . فلما سمعت عين الحياة هذا الكلام امتلات الدنيا في عينيها سرورًا واوعب قلبها فرحًا وثبت عندها قرب خلاصها من الحبس واستنشقت رائحة الحبيب بالقرب منها . وقالت للامير فهد اني اريد منك ان تستخبر لي دائمًا ممن ياتي اليك من المدينة عن احوال المتحاربين وما يكون من امرهم ومن الفائز ومن المتاخر منهم وتفصيل ما يقع دائمًا واني لا انسى لك هذا المعروف وساكافيك عليهِ عندما اكون قادرة على مكافاتك اي بعد نهاية هذه الحرب فوعدها بكل جميل وسار عنها وهو يعد نفسهُ بالخير منها و يقول في نفسهِ لا بد من انها تتزوج بملكنا وابن ملكنا الامير انبوش فاذا كانت مسرورة مني رفعت رتبتي وطلبت من زوجها ان يستوزرني او يقيمني حاكمًا في احدى جهات المملكة ولا بد من بذل الجهد في خدمتها وعمل كل ما يرضيها ولذلك صار يتردد اليها اكثر من اللازم وقد طلبت اليهِ ان يترك سيف الدولة لمواجهة زوجتهِ وان لا يزيد في التضييق عليهِ . وقالت لهُ اني اطلب اليك ذلك اكرامًا لزوجتهِ لانها تسليني في وحدتي ولولاها لمت من الوحدة والانفراد فقال لها اكرامًا لخاطرك سامنع المحافظة عنهُ وعن الامير قهر ولا اترك احدًا يعترضهما لاني امين من خروجهما كون القلعة حصينة الابواب فلا يتمكنان من الخروج قط . وصار سيف الدولة مطلق السراح من ذلك الحين يدخل ويخرج على عين الحياة وزوجتهِ دون مانع ولا حاجز وقد عرف من عين الحياة بوصول الملك ضاراب الى ملاطية وطرد تمرتاش منها واقامتهِ فيها ففرح غاية الفرح وقال لها لا بد من استيلاء الملك ضاراب على كل بلاد قيصر ونشر اعلامهُ عليها بسيف ولده السعيد فيروزشاه ولذلك صار من الموكد خلاصنا من هذه القلعة بقريب من الايام فلا نلبث ان نصير احرارًا ونتملك بالاعداء كما تملكوا بنا وتجبروا علينا

مضت كل هذه المدة وانبوش ابن الملك قيصر يقاسي الوجد والغرام و يلاقي مصاعب الشوق والهيام وهو لا يرى طريقة للوصول الى عين الحياة ولا الاجتماع بها وقد زادت عليهِ الحال مع تزايد

الايام حتى اصبح في قلق واضطراب فلم يرَ بدًّا من شرح حالهِ الى تمرتاش واطلاعه على امره وطلب معونتهِ علهُ يرى لهُ مخرجًا من هذا الضيق . قال ولما قوي براسهِ هذا الظن ذهب اليهِ وعرض حالهُ عليهِ وقال لهُ اني موكد انك قادر على اغاثتي ومعونتي فاسالك بحق تربة ابيك واجدادك ان ترى لي طريقة تنقذني بها من هذه الورطة فانهُ لم يعد لي صبر قط عن عين الحياة واخاف من ان تذهب من يدي لان اباها ممتنع عن تزويجها مني . قال اني ساذهب بك الى ابيها واسالهُ فيك وارى ماذا يقول لاني اساعدك بقدر جهدي . ثم سار الاثنان الى الشاه سرور ووزيره طيفور واولاده في القصر الذي كانوا يقيمون فيهِ فلاقوهما وترحبوا بهما . ولما اجتمعوا مع بعضهم البعض ودار الحديث فيما بينهم طلب تمرتاش من الشاه سرور ان يرحم انبوش ويرق لحالتهِ ويساعده بزواج بنتهِ والسماح لهُ بها وقال لهُ ايضًا في اخر الحديث انهُ قادر على حمايتها لانهُ ابن ملك من اكبر ملوك هذا العالم وكلنا بخدمتهِ وتحت طاعتهِ . فقال طيفور اني سالت سيدي مرارًا في ذلك فاظهر لي انهُ مقسم بالايمان العظيم ان لا يزف عين الحياة الا الى الذي يقتل فيروزشاه ويريحهُ منهُ وهو في قلق من اجل ذلك لانهُ يرغب في الامير انبوش ويشتاق الى تزويجهِ ببنتهِ كل الشوق وقد صار طلبهُ قريب الانجاز لاني اعلم ان الفرس لا يفلحون في هذه البلاد ولا تقام لهم قائمة ولا بد من قتل فيروزشاه واني لاعجب منهم لان لهم اكثر من شهرين مقيمين في ملاطية ولم يتقدموا الى جهتنا واظن ان كل ذلك خوفًا منكم وفي ظنهم انكم تقصدون حربهم هناك . فلما سمع انبوش هذا الكلام التهبت بهِ نار المروَّة وحركهُ غرامهُ الى التهور بنفسهِ والمخاطرة بها فقال للشاه سرور اني اقسم بالسيد المسيح وبالعذراء وكافة القديسين اني اقتل فيروزشاه واني اسير اليهِ منذ الغد بالعساكر والابطال واخذ معي تمرتاش وخرطوم ولا اعود الا براس فيروزشاه ليرتاح ضميرك منهُ لان ما جعلك ان تقسم هذه الاقسام الا خوفك على بنتك من سطوتهِ وعلى نفسك بل واني اتعهد لك كل التعهد فيما قلتهُ . فلما سمع طيفور منهُ ذلك شكره عليهِ ومثل ذلك فعل الشاه سرور وتعهدا لهُ انهُ باول يوم يقتل فيروزشاه يسلمانهِ عين الحياة ولا يمانعانهِ فيها فهون عليهِ غرامهُ ارتكاب هذه الاخطار وودع الجميع وخرج مع تمرتاش وقد قال لهُ اني ما وعدت هذا الوعد الا اتكالاً عليك وعلى اقوالك واريد منك ان ترافقني في الغد الى ملاطية فناخذ العساكر ونقيم الحرب هناك ولا بد لفيروزشاه من الخروج الى الميدان فنقتلهُ ومن ثم لم يعد من مانع . فوعده بكل جميل . قال وفي نفس ذلك الليل جاء الخبر الى الملك قيصر بنهوض عساكر الفرس من ملاطية يقصدونهُ بالرجال والابطال فدعا اليهِ تمرتاش وقال سر مع ولدي انبوش بثمانمائة الف فارس لملاقاة الفرس بعيدًا عن هذه البلاد واني سابعث اليك بالعساكر التي ترد اليَّ دائمًا وساكاتب اذا اقتضي الحال كل الملوك المجاورين واطلب منهم المساعدة من بدو وحضر حتى اني ازمعت اذا طال امركم مع الاعداء ان

استدعي المساعدة من الصين واطلب من ملكها امدادي بالعساكر حتى لا ابقي احداً الا واوري العداوة بينهُ وبين الفرس حتى تركب عليهم الدنيا باسرها فيعلم الملك ضاراب ايّنا اقدر على العناد والخصام . فاجابهُ بالسمع والطاعة وبات يتهيأ في تلك الليلة على نية السفر في الصباح وقد امر العساكر بالاستعداد لتركب في الغد

قال ولما كان صباح اليوم الثاني خرج انبوش ابن الملك قيصر وقد تقلد بسلاحه واعتد بعدتهِ وخرج تحت الرايات والاعلام وهو معتد بسلطانهِ ونخوة سلطان المكبر والعظمة حتى كان يراه يناديهِ بالخضوع ويعده بنوال المراد وركب بين يديهِ تمرتاش وخرطوم الرومي وانتشرت العساكر حاملة اسلحتها ورافعة الرايات والاعلام فوق رووس قوادها أُولي الموسيقات تعزف باصوات حربية بلحن روماني ولم يرَ انبوش نفسهُ في مثل هذه الحالة قبل ذلك اليوم ولذلك كان يبان امام وجههِ الامل الكبير مشنوعاً بنوالهِ كل ما يطلبهُ وصوّر لهُ الكبر انهُ سيقتل فيروزشاه وبعد قتلهِ يعود الى ابي عين الحياة براسهِ فيدفعهُ اليهِ ويأخذ منهُ بنتهُ زوجة

قال وبعد خروج انبوش بالعساكر من المدينة اجتمع طيفور بسيده الشاه سرور وقال بشراك ياسيدي فهوذا السعادة قد وفدت والاقبال قد تدرج اتياً نحونا وبعد ايام قليلة ترى اعداك قد قبض عليهم وسيقوا الى ما بين يديك وترى فيروزشاه قتيلاً بسيف انبوش الذي اخذ على نفسهِ العهد بقتلهِ ولا بد ان ينصب لهُ شرك المهالك ويبيده مع فرسانهِ واني نادم كل الندامة على ما توقع منا من القصور في البداية وكيف قصدنا الوليد وتركنا مثل هذا الملك النصراني صاحب الجنود والاعوان المسموع الكلمة بين ملوك الافرنج والعرب وعبدة الاوثان . فكدر هذا الكلام الشاه سرور واغتاظ منه وقال لهُ لا زلت تطمع نفسك بالمحال وترجو ما لا ينال اتظن ان احداً في الدنيا يقدر على ان يصل الى فيروزشاه بسوء وينال منهُ مراداً وسوف ترى انبوش وتمرتاش وغيرهما ممن يعتمد عليهم فريسة لسيف ابن الملك ضاراب ولا تمضي ايام قليلة حتى تراه بقومهِ متسلطاً على كل هذه البلاد وجالساً على تختها يسوقني اليهِ كالبعير وقد بين لي الزمان عين الحقيقة واراني ما كنت اجهله ففيروزشاه هو الرجل الوحيد في الدنيا وانت ما زلت تحطهُ من قلبي وتذريهِ امام اعوني فهل رأينا مثلهُ في كل البلدان والعواصم التي مررنا بها وزرناها فقبح الله من يعرف الحق ويتغاضى عنهُ ولا يلتفت اليهِ واني لو كنت اقدر على ان اتخلص من يد الملك قيصر ببنتي لفعلت وسرت بها الى الملك ضاراب والقيت نفسي على اقدامهِ وكنت تراهُ يقابلني بالاعزاز والاكرام ويعفو عني ويرجع عن اصراره بالانتقام مني ويقابلني باطواره الحسنة ولا سيما ان ابنهُ سيكون صهراً لي وبنتي لا نرضى معهم باهانتي فيدافع عني فيروزشاه ويرد اليَّ ملكي وبلادي او بالحري يسلطني على بلاد غيرها وارتاح من كل هذا العذاب . فلما سمع طيفور كلام سيده جرحه في وسط قلبهِ من الالم والكدر

وعرف ان سيده قد اصاب بنظره الا انهُ كان يتيقن كل اليقين ان الملك ضاراب اذا وقع بالشاه سرور يعفو عنهُ ولا يقتلهُ واذا اراد قتلهُ لا يوافقهُ عليهِ ولده فيروزشاه ولا يهون عليهِ ان يغيظ بنتهُ عين الحياة بقتلهِ مع انهُ يعلم انها لا ترضى باهانة ابيها وتحب ان تتزوج بهِ مع المحافظة على راحة ابيها الا انهُ اذا وقع هو بيد الملك ضاراب قتلهُ لا محالة واذا اراد ان يعفو عنهُ سالته عين الحياة بهلاكهِ لانه كان السبب في كل هذه الويلات والحروب. ولهذا السبب وطد العزم على التحيل على سيده ورجوعه عن هذا الفكر. فتنهد وبكى وقال له انسيت ياسيدي صدق خدمتي الك في كل الايام السالفة ومحافظتي على صالحك وخيرك وهل تظن اني كنت اقصد لك شرًّا او ارغب لك بسوء مع انك تتحقق اني صدوق صادق امين وكلما سالت نفسي ان تطيعني على موافقة فيروزشاه تاتي وتظهر لي انهُ تعدى علينا وخرق حرمتنا واذلنا ولولا اهتمامي بشرفك وناموسك لما رضيت لذاتي التشتت والعذاب والركض من بلد الى بلد تخلصًا من العار بل كنت وافقتك على زواجها من اليمن وارحتنا من كل هذه العذابات. وانت تعلم ان لا عداوة بيني وبين الفرس واني لا اكره فيروزشاه لولا هذه الغاية التي قدمتها وتعرفها انت منذ القدم. قال اني اعرف ان العداوة لم تكن في الاصل انما نمت بقلبك مع تكرار الحوادث وازدياد الايام وتداولها واني اسالك سؤالاً احب ان اعرف فكرك من جهتهِ وهو اريدك ان تفيدني الى اي جهة يا ترى يلوح في ذهنك ان نقصد ان فاز الفرس وقهر الرومان ولا بد ان تكون قد سهلت بنفسك طريقًا نسير بهِ. فلما سمع طيفور كلام الشاه سرور تاكد انهُ من باب التهكم وانهُ يريد ان يرجع عن عزمهِ وينضم الى الاعداء اذا سنحت له الفرصة. وقال لهُ اني اقصد ابواب الفرج ولا اخاف الموت في سبيل نوال الغاية فافعل ما انت فاعل واني اتكل من الان وصاعدًا على افكاري ولا ابدي شيئًا لك وسوف تتذكر ما تكون النتيجة. ثم اعرض طيفور عن الشاه سرور واضمر في نيتهِ الشر وانهُ يتفق مع الملك قيصر على زواج ابنهِ بعين الحياة رغمًا عنها قبل انتهاء الحرب ودون ارادة ابيها ولذلك يصبح ابيها عرضة لغضب الفرس او لغضب الرومان ويرى من نفسهِ سوء عملهِ واقام على هذه النية بنتظار الفرصة المناسبة لينفذ غايتهُ ويجبر سيده على تتبع اقوالهِ وارائهِ في كل زمان ومكان. وكذلك الشاه سرور بات صافي السريرة من جهة فيروزشاه وقد نوى كل النية انهُ اذا فاز الفرس زوجها بهِ واذا فاز الرومان زوجها بانبوش وجعل هذه الواقعة هي الاخيرة لعذابهِ ومصائبهِ فلا تمضي عليهِ بعد مصائب كالمصائب التي كان يلاقيها بانقياده لوزيره

قال ولا زال انبوش سائر بالعساكر كل ذلك النهار حتى امسى المساء فوصل الى ارض واسعة جدًّا محاطة بالاكام يقال لها ام الروض والى جانبها نهر يجري من الماء العذب فبات تلك الليلة في ذلك المكان ونزل بعسكره ورجالهِ الى ان كان الصباح نهض ودعا اليهِ تمرتاش وقال لهُ لقد

ثبت عندي الان ان الفرس اتون الينا ولذلك لا بد لهم من ان يصلوا الى هذه الناحية وعليهِ فقد اعتمدت ان لا نتقدم اكثر من اللازم وان نبقى هنا كون هذه الارض اوفق للقتال وهي قريبة من المدينة ولا احب البعد عنها اكثر من يوم واحد. قال لقد اصبت فافعل ما يبدو لك و يطيب بخاطرك ولذلك صرف كل ذلك النهار في ارض ام الروض الى ان كان العصر واذا باحد عياريهِ دخل عليهِ واخبره بانهُ شاهد طلائع الفرس تتقدم وتبين عن بعد راياتهم فقال الى تمرتاش اذهب بنا الى اكمة عالية نرى جيوش الفرس وما يكون منها وترتيبها ونقدر بفكرنا مقدار عددها قال اليك ما شئت. وفي الحال ذهب انبوش وتمرتاش وخرطوم وعلوا اكمة عالية الى جنب جيوشهم فشاهدوا عساكر الفرس قادمة كالغمامة السوداء وهي تتقدم الى الامام وفي مقدمتها سيامك سياقبا برجالهِ وابطالهِ ومن خلفه انوش بنت الشاه سليم برجال اليمن ومن بعده طهمور البهلوان ومرادخت الطبرستاني وعساكر مصر وايران والراية الفارسية تخفق بالهواء ولمعان البيضة تتوقد كالكوكب وتحتها الملك ضاراب والى جانبهِ ولده فيروزشاه كانهُ الاسد الغضوب فوق كمينهِ وفواده ملهوف الى انتشاب نار الوغى ليروي حسامهُ من الاعداء وخلف الجيش اي في موخرتهِ بهزاد الايراني ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد وهو يعلو جواده و يعتز بنفسهِ وكان يلوح لهُ انهُ سيفعل بالرومان العجائب و يظهر عظيم قوتهِ وسطوتهِ. ولما شاهد انبوش هذه العساكر واختلاطها من بلدان كثيرة قال لتمرتاش انهُ يسرني نظام الفرس وهم مرتبون احسن ترتيب. قال لهُ لا توخذ بالظواهر فالنظام لا يزيد في الاقدام ومتى قامت الحرب تراهم على غير هذا الانتظام. ثم نزلوا الى معسكرهم على نية ملاقاتهم في الصباح

ولما وصل الملك ضاراب الى تلك الارض ونظر الى جيوش الرومان نازلة على استعداد للحرب والقتال وقد اتخذوا لهم مراكز ومعاقل استحسن لنفسهِ مقامًا يقابل مقامهم وفرق جيوشهُ كلاً الى ناحية بحيث يقابل الجيشان بعضهما البعض. وامر عساكره ان تضرب اطنابها في تلك النواحي وكانت قد اعجبتهُ جدًا موقعها واستنسبها لوقوع المعارك حيث يتمكن منها فرسانهُ بالجولان والصول. فباتت تلك العساكر كل الليل تنتظر قدوم الصباح وقبل حلولهِ امر الملك ضاراب ان تضرب طبول الحرب تنبيهًا وانذارًا للرومان ليستعدوا لانفسهم ولا يفكرون ان الفرس غدروا بهم وعندما وقعت اشعة الشمس على تلك المواقع وانتشرت على اولئك القوم فاسرعوا الى خيولهم فشدوها وتقلدوا بسلاحهم واعتلوا فوق ظهورها وتقدموا الى ساحة القتال صفوفًا صفوفًا وعلى كل صف قائد من القواد مرأس عليهِ. ووقف الملك ضاراب في مركزه في مكان عالٍ بحيث ينظر الى ساحة القتال و يبعث باوامره الى جيوشهِ وقد رفعت فوق راسهِ الرايات والاعلام ووقفت بين ايديهِ الحراس والحافظون. وما استوى على جواده حتى تقدم منهُ ولده فقبل يديهِ وسالهُ

ان اسمح له بالقتال ويهبهُ الرضا والبركة ويدعو لهُ فاجابهُ الى طلبهِ واعطاه البركة فعاد الى جواده فرحًا ونقدم من بعده بهزاد وسالهُ السماح فاجابهُ فاندفع من امامهِ كالبحر الزاخر ونظر الى فيروز شاه فوجده امامهُ يخطف كالسنونو حتى وصل الى اطراف الجيش المصفوف وهناك اشار فيروز شاه الى جيوشهِ بالحملة فحملت لما راى عساكر الرومان قد تهيئت وتعدلت وفي مقدمتها تمرتاش فارسها وحاميها وخرطوم الرومي قائدها وواليها . فاجابت عساكر الرومان بالحمل الى الحرب والطعان واطلقت لخيولها الاعنة . وقومت بايديها الاسنة . ولم يكن الا قليل من الزمان . حتى اختلطت تلك الطوائف . ما بين مأمون وخائف . وشجاع وجبان . ومعزوز ومهان . واشتبكت العساكر اي اشتباك . واجهدت النفس الى المصادمة والعراك . ووطدت نفسها على الموت والهلاك . عندما رات ان لا رجوع لها ولا انفكاك . وسعت الابطال الى الدام . واضرمت نيران الوغى اي اضرام . ونقدم كل فارس ضرغام . وبطل هام . وتاخر كل جبان قليل الاهتمام . ضعيف العزم قوي الاوهام . وطلب الاختفاء بين تلك الاكام . خوفًا من الموت وشرب كاس الحمام . ولم يعد يسمع الا صوت الحسام . عند وقوعه على الجنات وقرقعة اللجم في رؤوس الجياد الصافنات وقد رفع الغبار الى فوق الرووس . وزهقت من تكاثفهِ النفوس . ومال كل وجه ضحوك الى العبوس وعلا انين الابطال . واشتكى الفرسان من ثقل القتال . لما شاهدت عظم تلك الاهوال . التي لم يسبق ان رات مثلها من غابر الاجيال . ولا سمعت بشبهها لا بزمن الاسكندر ولا بزمن ملوك بني الاصفر . وكان مسعر نار تلك الحرب وموقدها الفارس الاروع . والليث الصميدع . فخر بني فارس وسيدها ومشرفها ومجدها . من لم يخلق السيف الا ليديهِ . ولا طاب الظفر الا ان يحل عليهِ كوكب السعادة . ومعطي السيادة . رب البسالة ووالدها . ومحيي الشجاعة وعاضدها . فيروز شاه ابن الملك ضاراب نجمة الاقبال وكاشف الاوصاب . كيف لا وقد خرق تلك الجيوش بحملاتهِ . ومزق منها الصدور بصولاتهِ . وانزل عليها الويل نزول الامطار . واعمى منها الاحداق والابصار . والبسها ثوب الذل والشنار . بعد العز والفخار . واكتسى من دماء ابطالها الاشرار . ثياب الارجوان والجلنار . وهو لا يهدء بمكان ولا يقرلهُ قرار . ولا يترك لمن يقع بين يديهِ هدوءًا ولا اصطبار . بل كان يضربهُ بسيفهِ البتار . فيلقيهِ الى الى الارض يعض الرمال والحجار . وتنهشهُ الوحوش والاطيار . وكان ينظر الى كل جهة تجمعت بها فرق الاعداء فينقض عليها كالسهم الطيار ويشتتها بين الروابي والقفار . ولم يكن فعل بهزاد ادنى من فعلهِ . ولا شغلهُ اخف من شغلهِ . اذ انهُ كان قد فتح فاه وابتلع تلك الجموع . ولم يترك منهم الا كل ملسوع وموجوع . وخطف ارواح الرومان . وبعث بها الى وادي الهلاك والقلعان . وكذلك فرخوزاد ليث الطراد . وانوش بنت الشاه سليم . وبهنزار قبا البطل العظيم وطهور البهلوان ومرادخت الطبرستاني . وشبر بن الشبيلي

الطلقاني . وبيلنا وكرمان شاه . وسيامك وبصفر شاه . فانهم مالوا واي ميلان . وجالوا واي جولان . واظهروا بفنون الحرب اشكالاً بالوان . واودعوا لهم بين قبائل الرومان . موادع الخوف بوافع الهوان . حتى كادت تتشتت في البراري والقيعان . لولا ثبات تمرتاش البهلوان . فانه اخترق ايضاً صفوف الفرس وفعل فيها فعلاً يذكر . ويحمد ويشكر . ومثلهُ خرطوم الرومي الذي تقدم ذكره في غير هذا المكان . بما هو عليهِ من رفيع المنزلة بين الفرسان . حتى انهُ كان وهو على تلك الحالة التقى بطهمور فاخذ معهُ في المحاولة والمطاولة والمجاولة ولم يقبل ان يترك احدهما الاخر ويلتهي عنهُ . دون ان ينال غايتهُ منهُ . ودامت جهنم الحرب تتسعر وتزيد بالاتقاد . وفيروزشاه يقلبها بمقلب الاوصاب الشداد ويصب عليها صبيب البلايا . ويحيط بها من كل الجهات بالرزايا . حتى تمنت النفوس ان لا تكون . وتسترت عن عيون السلامة باصداف المنون . وارتاحت ضمائرها الى الهلاك . تخلصاً من عذابات ما نصب لها من الاشراك . وما صدقت عساكر الرومان ان رأت الشمس مالت الى جهة الغروب . حتى املت بالافراج والتخلص من الكروب . والرجوع عن الحرب الى الخيام . والعود بعد الياس الى حضن السلام . وفي تلك الساعة دقت طبول الانفصال . وعادت العساكر الى الوراء طالبة الخيام . وهي غير مصدقة انها تعود سالمة من ساحة القتال . وبعد ان نزلت عن خيولها واخذت لنفسها الراحة شغلت في تعداد من فقد منها ومن جرح فكان قد قتل من الرومان نحو مائتي الف فارس ومن الفرس نحو خمسين الفاً واسر طهمور احد بهلواني الملك ضاراب لانهُ كما تقدم كان قد التقى في خرطوم وتصادما صدام الابطال وتضاربا ضرباً احرّ من لهيب النار في الاشتعال الى ان قرب المساء فراى طهمور من نفسهِ التقصير وعلم انهُ غير قادر على الثبات فعول على التاخر الى الوراء الى ان ياتيهُ الله بالفرج فعلم منهُ خرطوم ذلك فانتض عليهِ وضايقهُ كل المضايقة وهو يحامي عن نفسهِ ويدافع ولا يريد ان يسلم نفسهُ حتى اصابت ضربة من خرطوم كتفهُ فتعتعتهُ وكاد يقع الى الارض فادركهُ وقبض عليهِ من صدره واقتلعهُ وسلمهُ الى احد الفرسان وامره ان يشد كتافهُ ففعل واخذ اسيراً الى جيوش الرومان

قال فلما بلغ الملك ضاراب فقدان كل تلك العساكر من رجالهِ واسر طهمور كاد يغيب عن الصواب وتكدر مزيد الكدر وقال ايفقد من رجالي هذا المقدار ويؤسر قائد من اكابر قوادي بمعركة مثل هذه المعركة وفرساني بها كاملة ورجالي مجتمعة الى بعضها على اني اعلم ان الاعداء قد هلك منهم اكثر من رجالنا باضعاف الاضعاف وقد شاهدت والدي وبهزاد وغيرهم من الفرسان وهم يزدردون عساكرهم ويعلكونهم الا اني رايت افعال تمرتاش فارس بلاد الرومان وما فعل فهو بالحقيقة افة من افات الزمان وبطل من الابطال الموصوفين عند الحرب والطعان واظن ان عيني لم ترَ مثلهُ في كل معاركنا غير طومار الزنجي واسال ربي ان يساعدنا عليهِ فنقتلهُ ونقتل فارسهم الاخر وهو خرطوم

الرومي ومتى قتلنا هذين الفارسين حفظنا دم كثير من رجالنا الذين يعز علينا فقدهم كونهم تغربوا معنا الى هذه البلاد وقاسوا لاجلنا الصعوبات الشداد . فقال فيروزشاه اذا كان الغد قتلت الاثنين معًا اينما كانا وفي اي مكان فما هما ممن يذكر لدي فرساننا الشداد . وفي الحال نهض الى بين يدي الملك ضاراب وقال له انت تعلم ياسيدي ان لنا من الحقوق على دولتكم ما لا تنكرونه منذ عهد جدي رستم زاد وابي فيلزور البهلوان وهو ان مبارزة الفرسان مخصوصة بنا معهودة الينا لا ينزعها احد منا لاننا نحن خلفها . قال صدقت ويشهد به ايضًا طيطلوس وكل من كان يعرف ذاك الزمان ويتصل علمه الى هذه الايام وماذا تقصد بهذا الان . قال اني اطلب اليك امرًا لا تحرمني منه وهو ان اخذ لنفسي عهدة البراز في هذا القتال فمن برز من الفرسان كنت له خصمًا وسوف ترى ما يحل باعدائك وبتمرتاش وخرطوم قال لك كل ما تطلبه فلست انا ممن يحرم رجالي حقوقهم وسوف اجزيك الجزاء الذي تستحقه ويكون لك كل ما انت ساعٍ في طلبه . قال ففرح بهزاد غاية الفرح وسر غاية السرور وايقن بنوال مراده وعاد الى مكانه مسرورًا فرحًا . وكان فرخوزاد حاضرًا فخاف من ان يعهد الى اخيه بوظيفة ابيه وان يكون البهلوان الاول في مملكة ايران مع انه هو الاكبر والاحق بها واخذ الحسد يلعب بعقله وبقلبه وصبر ليرى ما يكون من امره وبعد ان صرفوا تلك السهرة تفرقوا للمبيت في الخيام

فهذا ما كان منهم واما انبوش بن الملك قيصر فانه عندما عاد الى خيامه واجتمع من حواه فرسانه واعلموه أن ربع جيشه قد فقد تكدر واغتاظ . وقال ان دام الحال على هذا المنوال ومضى علينا يومان مثل هذا اليوم هلكنا عن اخرنا ولحق بنا المحاق . ثم التفت الى تمرتاش وخرطوم وقال لهما ان جل اتكالي في هذه الحرب عليكما وليس لي من يحمي الجيش غيركما ولولا كما لما تعهدت بقتل فيروزشاه للشاه سرور واجلاء الفرس عن بلادنا واراكما قد قصرتما كل التقصير فمتى بلغ ابي انقراض هذه العساكر يحل به الويل والحزن ولا ريب انه يتوجع ويتالم . فاجاب تمرتاش ان فرسان ايران كثيرة العدد وليس فينا نحن الا خرطوم وانا ولهذا ارى ان الحمل على بعضنا البعض يوافقهم اكثر مما يوافقنا على اننا لم نقصر في هذا النهار بل بذلنا الجهد في القتال واهلكنا قسما ليس بقليل وفوق كل ذلك فقد اسر خرطوم احد قواد الفرس العظام وهو طهمور البهلوان . وفي الغد ان شاء الله ناخذ عهدة القتال على انفسنا فاما ابرز انا واما خرطوم وبهذه الطريقة نصطاد قواد الفرس واحدًا بعد واحد حتى لا يبقى فيهم من يحمي قومهم وعند ذلك نحمل عليهم حملة واحدة فنبيدهم عن اخرهم . فلما سمع انبوش كلامه ارتاح ضميره وايقن بالنصر والظفر وفرح بهذا التدبير مزيد الفرح لما يعلم من شجاعة تمرتاش واقدامه وهو يظن ان لا احد من الفرسان يقدر ان يثبت امامه ثم امر ان يحضر طهمور الى ما بين يديه فاحضر وهو في وثاقه . فعنفه ووبخه . فقال له ليس نحن ممن يعنون

وانا لا نقبل بالذل والعار واذا ظهر لك الان ان احد رجالك اسرني فسوف ترى كل فرسانك بايدي الفرس ولي رجاء ان سيدي الملك ضاراب لا يتقاعد عني ولا بد ان يخلصني اينما كنت . قال لا تطمع بعد بالخلاص فما نحن ممن يتهاملون واني مرسلك من هذه الساعه الى ابي يفعل بك ما يختاره فاما ان يبقيك واما ان يقتلك . ثم دعا ببعض فرسانه الاشداء . وقال له خذ معك مائتي فارس وسر الى حضرة ابي وطمنهُ بالنصر والظفر واخبره بتعهد تمرتاش بقهر كل فرسان الفرس واسرهم . ثم سلمهُ طهمور فاخذه وسار واقام مع فرسانه الى اخر السهرة ومن بعد ذلك تفرقوا الى المنام وسار تمرتاش الى خيامهِ وكان بانتظار بعض خدامه لانهُ في صباح يوم القتال دعا باحد خدمهِ وقال لهُ اريد منك ان تنسل الى بين خيام الاعداء عند انشغالهم بالقتال وتنظر ان كانت انس الصفا في الجيش فاذا وجدتها وقدرت على خلاصها فلا تتاخر واذا لم تقدر فاسالها هل هي باقية على عهدي او اتخذت لها من رجال الفرس بديلاً . فلما عاد الى خيامهِ لم يكن بعد قد رجع الخادم فصبر نحو ٢ من ساعتين وهو مشغل الفكر من جهتهِ وقد حركة حبهُ لمحبوبتهِ وهاج عليهِ غرامهُ بسبب بعدها عنهُ وفي ذاك الوقت حضر الخادم ودخل عليهِ فوجده في قلق وهاجس وقد طار النوم من عينيهِ ولما راه انعطف اليهِ وقال لهُ ما وراءك من الاخبار وهل رايت انس الصفا وهل هي في جيش الاعداء او انهم ابقوها في ملاطية . قال كلا ياسيدي فهي بين جيوشهم وفي معسكرهم وكنت لما اختلط الجيشان اغتنمت الفرصة فطرت في السير ودخلت بين الخيام الى ان اوصلتني الصدف الى الصيوان التي فيهِ انس الصفا وكان عليهِ حارسًا واحدًا فقط فوقفت على بابهِ وانا بصفة شحاذ اسال الاحسان ولم يعرفني الحارس فقامت لتناولني كسرة من الخبز فقربت منها وقلت لها اني لست بشحاذ وقد بعثني سيدي تمرتاش لاراك اذا كنت بين الاعداء واسالك ان كنت لا تزالين باقية على حبهِ ولم تعلقي بسواه . فقالت لي اني لست مثلهُ ضعيفة الحب فقد اتخذتهُ خليلاً منذ القديم ولا ارجع عن عزمي انما قل لهُ انهُ من اكبر العار عليهِ ان يكون تمرتاش فارس بلاد الرومان وسيد ابطالها وصديقتهُ اسيرة عند اعدائهِ يتحكمون بها ولا يقدر على خلاصها من ايديهم

قال فلما سمع تمرتاش هذا الكلام اضطرم بهِ نار الكدر وراى من نفسهِ انهُ قاصر عن خلاصها وانهُ لا يقدر ان يخترق جيوش الفرس ويحجبها من بينهم ويعيدها اليهِ . ولذلك كان يزيد قلقهُ ويضطرب ولا يعرف ماذا يصنع وقد فكر انهُ في الغد اذا اشتبك القتال يبارز الابطال وياخذ لنفسهِ السيادة ويبذل الجهد في قضاء مصلحتهِ ونوال مراده ونام تلك الليلة وفي قلبهِ ما ليس يطيب الى ان كان الصباح نهضت الرجال من خيامها عندما سمعت الطبول تخفق طالبة الحرب والقتال والصدام والبراز . ولم يكن الا القليل حتى اصطف الصفان . وترتب الفريقان . وتقدمت الابطال والشجعان . فاسرعت الى السباق في ساحة الميدان . وتاخر الذليل الجبان . الى الموخرة طمعًا بالحياة

وخوناً من القلعان • واخذ كل فارس في ان يستعد للدفاع والعراك . واذا بجيش الرومان قد اضطرب وانشق الى شطرين وخرج من وسطه فارس طويل القامة عريض الهامة كانهُ البرج الحصين وهو غائص بسلاحه الى حد رقبته وعلى راسه خوذة من الفولاذ كانها القبة العالية و بين يديهِ الخدم والعبيد حتى وصل الى نصف الميدان فامر خدمهُ بالرجوع واطلق لجواده العنان الى جهة الشمال فاسرع بهِ كالبرق حتى كادت لا تراه العينان . ثم كر راجعاً الى جهة الجنوب وهو كالسرحان . والجواد من تحتهِ في هياج وغليان و بعد ذلك عاد الى نصف الميدان . ونادى بافصح لسان . بما يعرفهُ من لغة الرومان . وسال من عساكر الفرس البراز والطعان وفي يده عمد وثقلهُ نحو خمسمائة منّ تكاد لا تحملهُ الجبال وهو من الحديد الثقيل . قال وكان ذلك الفارس هو خرطوم الرومي الذي اسر طهمور . وما استقر في نصف الميدان حتى سمع من بين جيوش الفرس صوت كانهُ الرعد القاصف ادوت لهُ البراري والقيعان . وارتج لهُ ذلك المكان . وفارس خرج كالنجم في اللمعان . وفاجأ خرطوم بقلب اشد من الصوان . وكان هذا الفارس بهزاد ابن فيلزور البهلوان . صاحب الفعل المحمود بين الاخدان والاقران . وحامي حومة الطعان . ولم يكن الا القليل حتى اصطدما اصطدام اسود الدحال . والتطما التطام امواج البحر عند هبوب ريح الشمال . وارتفع فوقهما الغبار . حتى سترهما عن الابصار . واكثرا من الاشتباك . والمصادمة والعراك . ولم يعد يسمع من بينهما الا صوت وقوع السيوف على الدرق . ولا يرى من تحتهما الا ميازيب ومجاري تتدفق من فيضان العرق . وهما يهمهمان و يدمدمان . و يناديان و يصيحان . وكلٌ منهما يزيد في اظهار ما عنده وما تعلمهُ من فنون القتال . لينال من خصمه المنال . وقد احدقت بهما كل عين . وشخصت لنحوهما شواخص الفريقين . تنتظر ما يكون من مصادمتهما ومحاربتهما ومخاصمتهما . وكل معلق الامل بفوز فارسهِ ونصره . وكيد خصمهِ وقهره

قال وما جاء عصر ذاك النهار حتى وقع بخرطوم الملل والضجر وتضايق مع بهزاد كل المضايقة وعرف انهُ من الابطال الشداد وانهُ لا ينال منهُ المراد بغير ضرب العمد لان عمده كما تقدم كان ثقيلاً وعمد بهزاد كان لا يذكر لانهُ كان كفيروزشاه لا يحب القتال الا بالمهند الفصال . ولما راى خرطوم نفسهُ في هذه الحال تاخر الى الوراء وصاح ببهزاد وقال لهُ انما هذه الحالة لا تنفصل بيننا ولو اننا نصرف كل الايام بالصدام والافتراق والالتحام وقد جعل من فنون الحرب الانصاف بضرب العمد فان كنت من الابطال الشداد التي تصبر لضربي فاني اضربك ثلاث ضربات على نصف طارقتك فاذا كنت تقدر على حملها ولم يصبك اذى منها عدت فضربتني انت مقابلها و بهذه الافعال يظهر من منا القادر ومن الضعيف ومن الفائز ومن العاجز . فاجابهُ بهزاد على طلبهِ وقال لهُ ويلك اتظنني اعجز عن حمل ضرباتك وهي عندي كوقوع النور على اعيني في وقت الظلام فاضرب ثلاثاً

في ثلاثين . فما انا كما تظن او كما لاقيت من الفرسان ففرح خرطوم بكلامهِ وامل الفوز لانهُ كان يركن الى ثقل عمدهِ والى قوة ساعده وكان يطمعهُ نظره الى صغر بهزاد وصغر جسمهِ ولذلك لعب بجواده ورفع العمد بيده وطوحه في الهواء حتى صار يسمع لهُ دوي ورعيد وقرب من بهزاد وفاجأه ورفع يده الى السحاب وارسلها تهوي بالعمد بكل ما اعطاه الله من القوة والقدرة وثبت في ذهنهِ ان هذه الضربة ما تصل الى بهزاد الا وتسحقهُ هو والجواد وما لبث ان شعر بعمده وقد صدم بقوة ساعد متين وارتد مندفعًا الى العلاء حتى تالم من عند ابطهِ ولم يعد يقدر على رفعهِ ثانيًا بقوة او مقدرة وانبهر عقله وارتعب قلبهُ واصبح في انشغال بال لا يعي على نفسهِ وبهزاد ينظر اليهِ و يضحك منهُ وليس عنده بالهِ خبر منهُ بل انهُ صاح فيهِ وقال لهُ لما لا تضرب ضرباتك فانني بضربتك الاولى فزاد هذا الكلام في غيظهِ وكادت تنشق مرارتهُ لما راه يتهكم عليهِ ويظهر لهُ ان تلك الضربة غير محسوبة لانها ليست كالواجب ولا جاءت بالمطلوب الا انهُ راى نفسهُ مضطرًا الى اتمام عملهِ فاعاد الضرب ثانيًا وثالثًا دون ان يقضي بالغرض . ثم انهُ انزل العمد واخذ بيده الطارقة وقال لبهزاد افعل بدورك ما انت فاعل فما عمدك مما ياتي بالغرض . قال اني لا ارفع عمدًا على من مثلك واني اضربك ضربة واحدة بسيفي فهو ياتي بالمقصود ففرح خرطوم وقال في نفسهِ ان السيف خفيف فلا يؤثر في طارقتي واخذ الطارقة الى فوق راسهِ وانتظر عمل خصمهِ

قال واما بهزاد فانهُ اخترط سيفهُ من وسطهِ ولعب بهِ اشكالاً والوانًا واطلق لجواده العنان ذهابًا وايابًا واعين الفريقين تنظر اليهِ وهي تعلم ما يكون منهُ بل تنتظر نهاية هذه الحال وهي تتعجب من عملهِ حتى فاجأ خرطوم وصاح بصوت كالرعد القاصف وقال . انا بهزاد . انا بهزاد . انا خليفة فيلزور البهلوان ابن رستم زاد ورفع بيده الحسام حتى بان ابطهُ و بعثهُ على مداه بدفعة بقوة زنده فوقع على طارقة خرطوم وقد جمد يده بها وفي نيتهِ انها لا توثر بهِ حتى راى باسرع من البرق ان الطارقة تطايرت الى قطعتين ووصل السيف باسرع من لمح البصر الى خوذتهِ فقطعها ولم يكتف بل بقي منبعثًا الى راسهِ فشقهُ وهوى من هناك ياخذ حده في المسير حتى اخترط الجواد وما فعل السيف هذا الفعل الا وقد صفقت لهُ فرسان ايران تصفيق الافراح وعلا من بينها صوت فيروزشاه سيد فرسان العراك . وهو يقول لهُ لاشلت يداك . ولا كان من يمدح سواك . ونزلت الحملة على فرسان الرومان ووقعوا بالذل والخسران . ولم يبدوا قط حركة ولا ابدوا قولاً . وكانت الشمس قد اخذت في الاختباء فضربت طبول الانفصال ورجعت الفرسان عن الحرب والطعان وتقدم فيروزشاه على مراى من الجميع ولاقى بهزاد وفرح بهِ غاية الفرح وقبلهُ ما بين عينيهِ وقال لهُ مثلك تكون الفرسان والا فلا . وامر الملك ضاراب ان يحمل بهزاد على الايدي لانهُ امتلأ صدره فرحًا من عملهِ ولا سيما لما راى تلك الضربة التي لم يرَ مثلها الا ضربة ولده فيروزشاه لطومار الزنجي . وقال ان الله

اعطانا ما لم يعطهِ لغيرنا وقد قصر كل من يدعي انهُ يقطع بسيفهِ طارقة كهذه اسمك من حائط بنيان ودخل بهزاد والفرسان محيطة بهِ من كل مكان وهي فرحة بعملهِ مسرورة من اقدامهِ ولاقاه الملك ضاراب الى الباب وقبلهُ بين الاعيان ومدحه المدح الكثير وامر لهُ ان يجلس فجلس وجيء بالطعام فاكل معهُ وهو يثني عليهِ و يشكره و يظهر سروره من عملهِ . و بعد ان رفعت موائد الطعام جلس كل الى مقامهِ وجعلت تلقي الفرسان واحدًا بعد واحد حتى غاص الصيوان بالفرسان وانتظم الجميع كالسبحة وفي تلك الساعة قال الملك ضاراب ان كل من حضر في هذا الديوان يعلم ما لفيلزور بهلوان بلادي المرحوم الذي قتل في الدفاع عن مملكتي من الجاه وعلو المنزلة وكنت افضلهُ على كل انسان وقد كان ابوه ايضًا رستم زاد عند ابي بهمن ولذلك قد خطر لي ان ارفع بهزاد الى رتبة ابيهِ واشده سيدًا على فرساني وابطالي واستاذًا البهلواني بلادي والقبة بفارس فارس وحاميها واعقد لهُ على سبعين الف فارس كما كان لابيهِ والبسهُ القباء الاخضر والثوب المزركش المعد لمن هم في مثل هذه الوظيفة وكان بودي ابقي ذلك الى حين ايابي الى ايران غير ان اعترافي بالجميل وحبي لمكافاتهِ لم يدعني ان انغاضى ولا يطاوعني ان ابقي ذالك الى وقتهِ . ثم التفت الى طيطلوس وامره ان يتقدم الى بهزاد و يشد وسطهُ بنطاق البهلوانية ففعل وشده واحضر لهُ بدلة خضراء مزركشة بالذهب وقباء من الحرير الاخضر فالبسهُ اياها الملك ضاراب وناداه بحامي بلاد فارس وركنها . و بعد ان فرغ الملك ضاراب من عملهِ هناه بالوظيفة فقبل يديهِ وقال لهُ اني لا استحق ياسيدي لهذا الانعام فما انا الا خادمكم وعبدكم ودمي معد لان يجري على اقدامكم في سبيل طاعتكم فاجلسهُ الملك وتقدم كل من الفرسان وهناه بدوره

قال وكان فرخوزاد حاضرًا في الصيوان وشاهد ما وصل الى اخيهِ من انعام الملك ضاراب وانهُ اخذ منصب ابيهِ وتقلد خطتهُ مع انهُ هو احق منهُ كونهُ كبير اخوتهِ فغاظهُ عمل الملك ضاراب ولم تعد الدنيا تسعهُ ولعب بهِ الحسد الخبيث من اخيهِ وقال في نفسهِ ان تقاعدي قد اوصلني الى هذه الدرجة من الانحطاط ونفع اخي الى ان صار لهُ هذا المقام والاعتبار العظيمين . ثم خطر في ذهنهِ ان يبرز هو في الغد و يسبق اخاه الى مواقف القتال و ياخذ الجد لنفسهِ ولا سيما اذا برز تمرتاش فانهُ اقدر من خرطوم فيستحق لاجلهِ اكثر ما استحق اخوه . و بعد ذلك يعود فيطالب الملك ضاراب بحقوقهِ و بما هو اهل لهُ ولما قوي هذا الظن براسهِ وترجح عنده نوال المراد وطد العزم عليهِ وصبر الى اليوم الثاني . ولما انقضت السهرة خرج كلٌ الى صيوانهِ وهم يتحدثون بشجاعة بهزاد وما اعطاه الله من القوة والبسالة والاقدام

قال وكان لما رجع جيش الرومان الى الخيام اقام عزاء خرطوم وناحوا عليهِ مناحة كبيرة وحزنوا عليهِ شديدًا ولا سيما انبوش فانهُ لاح لهُ وجه التاخر وثبت عنده احباط مساعيهِ وان لا

سبيل لهُ بالنجاح الا بتمرتاش فاذا اصاب الاخر شيء وقع بهِ الفشل وحل برجالهِ العدم وانفرطوا مشتتين وتملك الفرس بلادهم وخرجت عين الحياة من يده فيموت حسرة في حبها هذا اذا ابقى عليهِ الايرانيين و بعد ان اجتمع الفؤاد الى ديوانهِ . قال لتمرتاش اني غير مومل بعد قتل خرطوم بالنجاح فما هذه الا دلائل التاخير والانكسار والحق يقال ان رجال الفرس ابطال صناديد ما منهم فارس الا و يلقى جيشاً برمتهِ . فقال لهُ تمرتاش اني كنت في هذا النهار لا اترك خرطوم يبرز الى الميدان فلم يقبل مني ولا طاعني وقد اطعتهُ لما كنت اعهد فيهِ البسالة الكافية لحمل مثل هذه المشاق ورفع مثل هذه الاثقال وما ظننت بنفسي الا انهُ يقتل على الاقل خمسين فارساً من فرسان الفرس ثم ابرز انا فاكمل على الباقين حتى رايتهُ قد ارتبك في قتال بهزاد وهو ولد لا نبات بعارضيهِ ولم يصلح ان يذكر بين الفرسان ولم يخطر لي قط انهُ يثبت امامهُ او يقدر على قتلهِ ولما تضاربا بالعمد وحبط مسعاه عند ما ضرب ثلاث ضربات خطر لي ان اقتحم الميدان او اسالك ان تضرب طبول الانفصال فيرجع من الميدان ولا يبقى عليهِ من خوف غير اني خفت من الفضيحة والعار . قال انبوش يا ليتك فعلت ما فعلت فما العار يحسب بشيء بالنسبة لهذه الخسارة العظيمة واني اريد منك في الغد ان تبرز انت الى الميدان وتحمل عن الفرسان ثقلة هذا البراز وترمي الاعداء بنار حربك والا طمعوا فينا كل الطمع ووقعنا بمصيبة لا خلاص لنا منها وخرجت البلاد من ايدينا وسرنا الى الخراب والدمار . قال كن براحة فما انا بجبان فسوف ترى مني ما يسرك وتعلم ان فرسان الفرس عندي كالاغنام كيف لا وقد لقبني ابوك بفارس الارض بالطول والعرض فاو لم اكن كفوًا لكل هذه الجيوش التي تجمعت ولاضعافها لما استحقيت مثل هذا اللقب . فاطمان خاطر انبوش وقال المساعدك الله على الاعداء فاني اعرف ما اوصلهُ الله اليك من الاقدام والبسالة وارجو من سيدي المسيح ان يكون النصر لنا وان لا تكون العذراء غضبة علينا

وفي الصباح التابع لتلك الليلة هبت الفرسان من مراقدها واشتغلت بالاستعداد فكان بعضها يشد حزام خيلهِ و بعضها يتقلد بسلاحه و بعضها قد بكر فاستوى على ظهر جواده . حتى كان يتصور للرائي ان القيامة قائمة في ذلك المكان وان يوم النشور قد آن لتؤدي النفوس الحسبان وركب تمرتاش على ظهر جواده وقلبهُ يشتغل عند محبوبتهِ انس الصفا وحتم على نفسهِ انهُ لا يعود في ذلك النهار الا ليفعل العجائب في عساكر الاعداء . و ينزل بهم الهلاك والدمار . واذا ساعدتهُ الظروف تخلص محبوبتهُ من بينهم وهو يفكر كيف انها بعيدة عنهُ تلاقي عذاب الاسر . وفكر ايضاً كيف يكون تمرتاش ويحتمل على نفسهِ العار ويبقى خليلتهُ في يد مغتصبيها فهذا زاد في هيجانهِ وانخطف الى وسط الميدان وقد سبق الجميع الى الجولان فصال وجال ولعب على ظهر الجواد وقلب الميدان على اشكال والوان بينما كانت الصفوف تصطف والجموع تترتب وتستعد وكان

بهزاد قد اسرع الى جواده فركبه وقصد ان يتبع تمرتاش ذاك النهار في خرطوم وما انتهى استعداده حتى نظر الى اخيه فرخوزاد قد انحدر من بين العساكر وصدم تمرتاش فاغتاظ من ذلك وخاف على اخيهِ لانه يعلم انه ليس من رجالهِ . وكان فرخوزاد كما تقدم معنا من الفرسان الاشداء وقد حسد اخاه على نعمتهِ واعتباره فقصد ان ياخذ لنفسهِ المقام الذي اخذه اخوه ولذلك سبقه الى البراز وفاجأ تمرتاش وهو في الميدان . واخذ معه في الحرب والطعان والصياح والجولان حتى نظرت اليهما الفرسان اسيء نظر بقلة الصبر والضجر . وهما في عراك وصدام . وافتراق والتحام . وضرب احر من لهيب النار عند الاضطرام . وتمرتاش يفيض في حربهِ وطعانهِ . كما يفيض البحر عند هيجانهِ . وفرخوزاد يلتقي ضرباتهِ . ويصبر على حملهِ وهجماتهِ . ونظر نفسهُ انهُ مغلوب وانهُ ليس من رجالهِ . ولا يقدر ان يثبت في قتالهِ . ولذلك ندم غاية الندم . وخاف من الهلاك والعدم . وصار يطلب من الله خلاص ذاك النهار . وان يسرع الليل بالاعتكار ليعود عن حرب خصمهِ بالسلامة ولا يظهر على نفسهِ الخوف والندامة . ويتخلص من التعنيف والملامة . قال ولما راى تمرتاش ان العصر قد قرب وما نال من خصمهِ مراداً خاف ان يمضي النهار دون الحصول على نتيجة ولا جدوى فصاح فيهِ وقال لهُ اني لا احب ان اظلمك ولا اريد ان اجور عليك . فاثبت لضربي وطعاني فاني اضربك ثلاث ضربات ثم تعود فتضربني عوضها ومن منا كان اثبت واقدر نال من الاخر مراده . قال افعل ما بدا لك فاني مطيع لك . فعاد تمرتاش الى الوراء ورفع العمد بيده واطلق لجواده العنان حتى قرب من فرخوزاد فضربهُ بهِ ضربة شديدة من زندمتين فالتقاها بطارقتهِ حتى سمع لها صوت ودوي وقرقعة ادوى لها ذاك المكان وشعر فرخوزاد بالم في كتفهِ وتخدر في زنده لان العمد كان ثقيلاً وزنهُ ستمائة منٍّ الا انهُ صبر وطلب من الله المعونة على ضربتيهِ الباقيتين . وفعلت بهِ الثانية اكثر ما فعلت الاولى وكاد يغيب صوابهُ الا انهُ تجلد وصبر عليها بما اعطاه الله من القوة والجلد . ثم ان تمرتاش صاح بهِ وقال لهُ هاك الثالثة فهي القاضية ورفع العمد بيده ولاحه بالهواء وارسلهُ يهوي على درقتهِ فقدم زنده وشد بنفسهِ على ظهر الجواد وطلب من الله ان يحفظهُ من ثقل هذه الضربة فوقعت على الدرقة وبالرغم عن قوة زنده وتصلبهِ وقعت الطارقة باندفاع العمد على الخوذة فشعر بانصداع في راسهِ حتى ضاع عقلهُ ولم يعد يعرف ماذا حل بهِ . وعول تمرتاش ان يدركهُ ويفاجئهُ لما راى بهزاد قد استعد وعزم على الانقضاض عليهِ الا ان انبوش ابن الملك قيصر اسرع فامر بان تضرب طبول الانفصال وان يرجع تمرتاش من ساحة القتال فلعب به الغضب من فوات خصمه وتحير من هذا العمل وتعجب كيف ان سيده امره بالرجوع عن الحرب بعد ان ثبت لديه فوزه ونجاحه وحسب لذلك حساباً عظيماً وعاد راجعاً وعادت معهُ رجال الرومان الذين كانوا بخدمته وحواليه ولما وصل الى الامير انبوش سالهُ عن السبب الذي دعاه الى ان يامر بضرب طبول الانفصال .

فقال لهُ اني خفت عليك ان يصير بك مثل ما صار بخرطوم لانهُ بعد ان ضرب بهزاد ثلاث ضربات ولم يرمهِ عن ظهر الجواد عاد هو فضربهُ بسيفهِ وقطعهُ وقد خفت ان يفعل معك خصمك اليوم مثل ما فعل ذاك لان ضرباتك قد فرغت ولم يبعد لك الحق الا بالدفاع عن نفسك فلطم تمرتاش على يديهِ تاسفًا وقال لهُ لقد اضعت منا فارسًا عظيمًا وسيدًا كريمًا كنا نتهرب بهِ الاعداء ونرمي بقلوبهم جمرة لا تطفى احر من جمرة خرطوم التي ارموها بقلوبنا . الم ترى ما حل بفرخوزاد عند وقوع الضربة الاخيرة فان يداه لم تعد تقدر على الحراك ولو نفخت عليهِ نفخة واحده لالقيتهُ الى الارض وكنت هممت ان اسالهُ ان يضربني بدوره ولا شك انهُ لا يقدر على حمل العمد ورفع السيف واني اوصيك يا سيدي ان لا تعود الى مثل هذا العمل مرة ثانية ولا تخف عليّ من فارس ولا من معسكر برمتهِ فما انا نظير خرطوم ولا غيره حتى ولو نظرتني باضيق شدة واشد ضيق وكنت تراني قادرًا الى التخلص والرجوع اليك فلا تطلبني ولا تدعوني . قال اني لم احسب هذا الحساب قط وجل ما حسبتهُ انك ستقع بيد خصمك واعاهدك ان لا ادعوك مرة ثانية من وسط المجال حتى تعود من نفسك . ثم انهما عادا الى الصيوان فنزلا فيهِ وصرفا ذاك الليل ينتظران الصباح

قال واما فرخوزاد فانهُ ما صدق ان سمع بضرب طبول الانفصال وشاهد تمرتاش عائدًا عنهُ بعد ان رماه بالالم والوجع واضاع منهُ كل قوته ولذلك كرّ راجعًا حتى وصل الى الجيش فلاقاه اخوه بهزاد ولم يقبل ان يلومهُ بكلمة بل مدحه على فعله وشكره على ثباته امام فارس ندر الزمان ان ياتي بمثله وعاد الى صيوان الملك ضاراب فوجده قد نزل فيه وعنده وزيراه طيطلوس ودوش الراي وولده فيروزشاه ولما راى الملك ضاراب فرخوزاد امره ان يجلس في مكانه وبعد ان جلس اخذ في ان يلومهُ ويعنفه وقال له انه من الامور الخارقة لهيبتي ان يبرز فارس دون استئذان مني وما ذلك الا تعديًا على غاياتي ومقاصدي لاني اعرف قوة الفارس ومعدل بسالته فارسل له فارسًا يفوقه ولو سالتني قبل ان تبرز لمنعتك لعلمي انك لست من رجال تمرتاش وان لا احد من فرساننا يقدر عليه الا اخوك بهزاد وولدي فيروزشاه ولولا وجودهما في جيشي لثبت عندي اننا نغلب لا محالة وانه يفعل بنا كل ما اراد . فزاد هذا الكلام في غيظ فرخوزاد وكادت تنشق مرارتهُ كيف ان الملك يفضل اخاه عليهِ وتمنى انهُ لم يخلق فخير لهُ من ان يكون اضعف بنانًا من اخيهِ الاخر وصبر على كيد الزمان . وقال في نفسهِ ما زال اخي حيًا لا مقام لي بين فرسان ايران ولا احد منهم يعتبرني . ثم تقدم فيروزشاه منهُ واوصاه ان لا يعود الى المخاطرة بنفسهِ وقال لهُ اعلم يا اخي ان ابي لا يقبل ان يقتل من رجالهِ اضعفهم وادناهم فكيف يقبل بفقدان من هو مثلك من اركان الجيش الفارسي على اني اعلم لو طلبت منهُ ان ابارز تمرتاش لمنعني مع علمهِ بانهُ لا يثبت امامي ساعة واحدة ولا سيما فقد اعهد بامر قتالهِ الى اخيك فلم يبدِ فرخوزاد كلمة بل صبر الى ان

...ت السهرة فقام مع من قام وتفرق كل الى مكانهِ ونام تلك الليلة ينتظر الصباح وهو مصرّ
...هِ على البراز وقد هان عليهِ ان يقتلهُ تمرتاش ولا يسمع هذا اللوم والتعنيف او ان يقتل
...اش وينال الشرف ويعرف كلٌّ من الفرسان مقدرتهُ رضي الملك ضاراب ام لم يرضَ

ولما اشرقت شمس الصباح تقدم الفريقان الى ساحة القتال صفوفًا صفوفًا البعض وراء البعض وبايديهم السيوف وعلى كل فرقة قائدها فسقط الى ساحة المجال تمرتاش وهو كالنمر الحردان واخذ في ان يصول ويجول فقصد بهزاد ان ينحدر اليهِ ويصدمهُ واذا بهِ قد راى اخاه فرخوزاد يستعد لسباقهِ . فاعترضهُ ووقف في طريقهِ وقال لهُ ارجع يا اخي فهذا اليوم يومي وقد حاربت امس بدورك ولا تغضب الملك ضاراب ولا ترمي بنفسك الى المهالك فما انت من رجال تمرتاش . قال اني اعلم اني ببرازهِ اهلك ولذلك سعيت وراءه فما انا ممن يرغب بعد بالحياة . قال لا تطمع انك تصل اليهِ فاني امنعك . قال لا تقدر على ان تمنعني وكما انك من اولاد فيلزور ولك الحق في السيادة فانا ايضًا . ونظر الملك ضاراب الى عمل فرخوزاد فاغتاظ منهُ وخاف من انهُ يسبق اخاه الى قتال تمرتاش فدعا ولده وقال لهُ سر الى فرخوزاد ودعهُ يرجع عن عناده والاَّ قيدتهُ والقيتهُ في العذاب وكان فيروزشاه يحب فرخوزاد لانهُ اخوه ورفيقهُ منذ البداية فلم يهن عليهِ بعملهِ ولذلك اطلق كيمتهُ نحو الميدان لفصل ما هو واقع بين الاخين الا انهُ قبل ان يصل كان بهزاد قد تكدر من اخيهِ لما راى كثرة عناده واصراره وسمع قباحة لفظهِ وسواد قلبهِ فدنا منهُ ولطمهُ بقفا يده فالقاه الى الارض بعيدًا عن الجواد فتركهُ يلملم نفسهُ واشار الى فيروزشاه ان ياخذه من الميدان . وانقض هو على تمرتاش كانقضاض الصواعق وقال لهُ ويلك لقد فرقت بين الاخين فكل منا يحب ان يفوز بقتلك وينال المجد والشرف . قال اني بانتظاركما فلما عاد اخوك وانا كفو لك ولهُ والتقيكما بوقت واحد فدعهُ ياتي لقتالي معك . قال لقد اخففت والله مساعيك ودنا يوم اجلك فلا تعاظم بنفسك ولا تظن ان بهزاد لهُ نظير بين العباد وسوف ترى مني الاهوال فودع الدنيا واستعد للارتحال فانك راكض خلف خرطوم بقدم الاستعجال . ثم انهما مدا ايديهما الى السيوف التي هي اقرب اشربه كاس الحتوف وجرداها من الاغماد . وعملا بها على الحرب والطراد . واكثرا من الصياح . والمجيء والرواح . وكانا ككفتي ميزان . يستويان في الرجحان . وهما يهدران كالغيلان ويزأران كاسود خفان . حتى سبح من تحتهما بالعرق الجوادان . ونظرت اليهما الابطال والشجعان تنتظر نتيجة ذاك الحرب والطعان . وقد تعلموا منهما من فنون القتال . ما لم يتعلموه من غيرهما من الابطال . وكان تمرتاش يرى بهزاد في الابتداء بعين الاستخفاف والازدراء . لانهُ صغير السن والجسم بالنسبة اليهِ فلما راه وشاهد فعلهُ علم انهُ من الابطال المغاوير . وان ليس لهُ بين الناس من نظير اذ كان يدور حواليهِ كالدولاب . ويسد في وجههِ كل باب . وينزل عليهِ ضربات حسامهِ باسرع

من سقوط الشهاب . حتى حار به وتعجب كل العجب وكاد يقع به الملل والتعب . ولم يترك له في ساحة الكفاح . طريقًا للسرح والمراح . ولم ترَ الطائفتان منهما غير شرار النار . تتطاير من وقع السيوف على الدرق من خلال ذاك الغبار . وكان بهزاد . وهو مع خصمهِ في طعان وطراد . قد راى الى القبيلتين وهما على غاية الاستعداد . ولاحت منهُ التفاتة الى فيروزشاه فوجده واقف في المقدمة مع اخيهِ فرخوزاد . و بين ايديهِ بهروز العيار كانهُ شهاب نار . فلعبت بهِ النخوة والمروة وزادة بهِ الشجاعة والقوة . واراد ان يري اخاه فعلهُ . و يعلم بقية الفرسان فضلهُ . فزاد على تمرتاش العيار . وصدمهُ صدمة ليث جبار فالتقاه بقوة عزم واصطبار . حتى كاد يحجبهما الغبار . عن اعين النظار . وداما تحت سواده يطلبان الاستتار . الى ان ينقضي ذاك النهار . الا ان بهزاد الاسد الكرار . والبطل المغوار . اتعب خصمهُ ورماه بالارتباك ولم يتركهُ يعرف من ابن ياتيهِ . ومن اي ناحية يفاجيهِ . حتى تضايق غاية الضيق وثبت عند الهلاك في موقف العراك . وندم كيف انهُ اوصى ابنوش ان لا يضرب طبول الانفصال . علهُ يتخلص من تلك الحال . وبينا هما في اشد قتال . واحر نزال . وكل من الابطال ينظر الى نحوهما بفروغ صبر . ينتظر نهاية هذا الامر . واذا ببهزاد قد رمى بسيفهِ الى الهواء وانقض باسرع من لمح البصر على تمرتاش وقبض على وسطهِ وصاح صيحة ادوت لها السهول والوديان . وقال هكذا تدوم اعداؤك ياسيدي فيروزشاه وتمطى بكل قوتهِ فاقتلعهُ من بحر السرج كانهُ العصفور بين يديهِ وحذفهُ الى الوراء فوقع على بضعة اذرع من فيروزشاه فامر بهروزان يقبض عليهِ و يشد كتافهُ وهو متعجب من عمل بهزاد وقد راى عساكر الرومان اهتزت من الغضب واندفعت تطلبهُ من كل ناحٍ فخاف عليهِ من الجيوش واشار الى الفرسان ان تحمل حملة واحدة وجرد بيده الحسام واقتحم ذاك الضباب بقلب لا يخاف الموت ولا يهاب . واشغل فيهم ضرب الحسام ورماهم بضرب احر من لهيب النار عند الاضطرام . وفعلت بقية الفرسان كفعلهِ في حربهِ . وعملوا كعملهِ واقتدوا بهِ ولم يكن الا القليل حتى اختلط القومان . يبيعان بسوق الحرب و يشتريان . وقد اشتد بينهما الحرب والطعان . من كل ناحية ومكان . واجهدت انفسها عساكر الرومان . املاً بخلاص فارسها من ايدي اهالي ايران . فلم ترَ امامها الا السيوس والعمدان . والموت يتقلب عليها باسرع ما كان . ويبعث النفوس بابخس الاثمان . وانتشرت الاجساد على بساط الصحصحان . فداستها حوافر الخيل وذهبت كالهباء المنثور ومحتها فلم ترسم الى يوم النشور . وذاقت من العذاب . مرارة الطعان الضراب وفعل فيروزشاه افعالهُ المعتادة فبدد الجموع وانزل عليهم البلايا . واذاقهم اشد الرزايا . وكان يخطف كالبرق من مكان الى مكان . ويقبض ارواح الفرسان . و يسلمها الى عزرائيل رفيق ركابهِ . ليبعث بها الى مقر عذابهِ حتى كادت تتفرق اولئك الفرسان . مما لحق بها من التشتيت والهوان . غير ان الليل كان قريب الاتيان . فرف باجنحتهِ على ذاك المكان وفي الحال

دقت طبول الانفصال . ورجع الفريقان عن الحرب والقتال . وقد اشفت الفرس غليلها وفعلت افعالا لم يسبق لها ان فعلتها في غير تلك الحرب ولو طال ذاك النهار لكانت نالت كل ما تمنت وبددت شمل رجال قيصر وانزلت بهم العبر الا انها صبرت تومل بالصباح نهاية الحرب والكفاح وتفريق ما بقي من العساكر وتتقدم من هناك الى المدينة فتستلمها

وكان الملك ضاراب واقفاً تحت الرايات والاعلام يشاهد افعال بهزاد وما فعل بسوق الحرب والطعان فزاد موقعهُ من قلبهِ لا سيما عند ما راه قد حمل تمرتاش بين يديهِ ورماه بالهواء على مسافة غير قريبة وتمنى ان يصل اليهِ ليكافئهُ على افعالهِ . وقال لوزيره طيطلوس وهو الى جانبهِ اني ارى بهزاد قد فاق على ابيهِ واجداده ولم يخلق افرس منهُ انسان الا ان كان ابي فيروزشاه . وقد تبين لي من افعالهِ انهُ لا يمكن ان يغلب قط من فارس او جبار فلا زالت هذه العائلة تخدم دولتي بامانة واجتهاد ولذلك احب ان ارفعها من رتبة البهلوانية الى رتبة الملوك فهم احق من غيرهم بالسيادة ومن يكن كبهزاد لا يقل بهِ ان يكون مالكاً على الدنيا باسرها فاي فارس يقدر ان يقارنهُ في طعان اوضراب . فقال لقد اصبت يا سيدي فهم يحملون عنا الاثقال . ويدفعون الاهوال . ولم نرَ منهم الا كل جميلاً نذكره جيلاً فجيلاً . ولما رجع بهزاد من ساحة القتال امر الملك ضاراب ان تلاقيهُ الفرسان بالترحيب والاكرام وتضرب امامهِ الموسيقات وتفرش لهُ الارض بالحرير والديباج وبقي على هذا الاحتفال حتى دخل صيوان الملك ضاراب فلاقاه وترحب بهِ واكرمهُ واجلسهُ في مقامهِ وشكره على فعالهِ ومدحه على بسالتهِ . وامر ان يبسط الطعام فبسطت الموائد وجلس كل من الحاضرين للاكل حتى اكتفوا ثم رفعت الموائد وقدمت الاشربة واذ ذاك امر الملك ضاراب بوضع تمرتاش تحت الحفظ والترسيم وان يقام على باب صيوانهِ الخفر وان يحضر لهُ الطعام والشراب وان لا يهان ليرى ماذا يصنع بهِ بعد انقضاء الحرب ففعلوا ومن ثم امر ايضاً وزيره طيطلوس ان ياتي بثياب ملكية مزركشة بالذهب وبقباء مزركش مرصع بالجواهر فاتى بما طلب فنهض الملك واخذ الثياب فافرغها على بهزاد واحدة فواحدة والبسهُ القباء المذكور حتى حسده كل من حضر ثم قال لهُ الملك انك انت الان لست باوطى من ابناء عمي خورشيد شاه وكرمان شاه ومصفرشاه ولذلك فقد ساويتك بهم وجعلتك في مصافهم وليكن اسمك من الان وصاعداً بهزاد شاه حامي بلاد ايران وتكون الثاني في مملكتي بعد والدي فيروزشاه في الرتبة والمنصب ويكون لك الراي الثاني والقول الثاني بعد قول وزيري طيطلوس ودوش الراي . فما ذلك الا باستحقاقك وقد حصلتهُ باقدامك وبسالتك واني لست ممن ينكرون الجميل ولا يجازون عليهِ . وبعد ذلك تقدمت كل الفرسان فهنأتهُ على ما وصل اليهِ وتقدم منهُ فيروزشاه وقال لهُ لا ريب ان ابي قد اصاب بعملهِ وانت عماد ملكنا ودعامتهِ ولما راى بهزاد نفسهُ بهذه الحالة انبهر وتعجب وشكر الله على هذه النعمة التي

لم تسبق لغيره وتقدم من الملك فقبل يديهِ وقال لهُ اوليتني يا سيدي جميلاً لا استحقهُ فما انا الا من بعض عبيد دولتكم وخدامها وكنت احب ان اعيش برتبة بهلوان كابي اذ ليس من حقوقنا ان نساويكم في العظمة والكرامة ولولا ان يقال عني اني جحدت انعامك ورفضت اكرامك لنزعت عني هذا الثوب ملتمسًا بقائي على ما انا وذلك كثير على عبد مثلي ان يفارن مولاه . فقال لهُ الملك ضاراب اني ما اوصلت اليك اكرامي الا لما وجدت انك تستحق ما فوقهُ وسوف ترى عند رجوعنا الى بلادنا ما يكون لك فوق ما وصل اليك الان . ولو فعلت دون ذلك لحط من قدري ولامني الناس على عدم مكافاتك وطالبني بهِ الله سبحانهُ وتعالى لانهُ ما خص بك هذه الشجاعة الا لتخدم وتكون السعادة دائمًا بين يديك

كل هذا وفرخوزاد جالس في مكانهِ وقلبهُ كاد ينشق من الغيظ والحنق وقد نظر الى نفسهِ بعين الازدراء لما راى ان الملك قد اهملهُ ولم يلتفت اليهِ ووجه بكل اعتنائه الى اخيهِ وصبر على امره وقد نوى الشر وان لا يصبر على هذه الاهانة التي لحقت بهِ وعدم التفات اخيهِ اليهِ ومقاسمتهِ في نعمتهِ كما هو الواجب عليهِ . ولما انقضت السهرة انفرطت سبحة ذاك الاجتماع وسار كل في ناحية وسار بهزاد الى صيوانهِ وهو مسرور الفؤاد فرحان غاية الفرح بما نالهُ من السعادة والاقبال ولما نزع عنهُ ثيابهُ ونزل في فراشهِ جعل يتصور كل ما كان من خرطوم وتمرتاش حتى طرق ذهنهُ عمل اخيهِ فرخوزاد وعناده لهُ وكيف انهُ حسدهُ على نعمتهِ ثم خطر لهُ انهُ مهمل من الملك وان الملك لم يوجه اليهِ بانعامهِ مع انهُ ابن فيلزور الاكبر وانفطر قلبهُ من اجل اخيهِ وقال في نفسهِ انهُ كان احب اليَّ ان ارى كل هذه الانعامات واصلة الى اخي من ان اراها عليَّ ويكون هو في غيظ مني متروكًا من عناية الملك واشتد بهِ حبهُ لاخيهِ حتى ضاق صدره وعيل صبره كيف لم يسال الملك ان يقسم الانعام بينهما ولذلك نهض من الفراش وقصد الخلاء ليشرح صدره ويستنشق النسيم وبينما هو كذلك وليس عليهِ من الثياب الا ثياب النوم البسيطة اذ سمع صوت حوافر خيل على مقربة منهُ وراى فارسًا فوق جواده يتقدم الى نحوه وقد ظهر منهُ بنور النجوم التي تنبعث الى الارض انهُ ملثم الى عينيهِ فصاح بهِ بهزاد وقال لهُ من انت وماذا تريد وكان امينًا من جهتهِ لعلمهِ ان لا عدو بين عساكره يقصده فلم يجبهُ ذاك الفارس بكلمة بل تقدم منهُ حتى لصق بهِ ورفع بيده العمد وضربهُ بهِ وهو على تلك الحالة . فلما راى بهزاد ان العمد وجه اليهِ ولا مناص لهُ منهُ لصق بالجواد وانتشل الفارس الى الارض غير ان العمد كان قد وقع على ظهره من بين اكتافهِ الى قدميهِ فرماه الى الارض على وجهه وصاح من الالم لقد قتلتني يا اخي وكان الضارب فرخوزاد لانهُ كما تقدم كان موجوعًا من اكرام اخيهِ عند الملك وقد حسده كل الحسد وظن بنفسهِ انهُ راض بهذا العمل وباذلال اخيهِ فذهب الى صيوانهِ واخذ كل ما يحتاجه وقال لم يبقَ لي اقامة بين الايرانيين ولا بد

من ان ابعد عنهم ولو تحملت ثقل العار وبعاد الاميرة انوش بنت الشاه سليم ولما اعتلى بظهر جواده قصد ان يدخل عليها فمنعهُ غيظهُ من اخيهِ وقال لا بد انها تلومني وتعنفني وترجعني عن عزمي على اني لا اقبل ان تراني ذليلاً مهانًا الى حد ان لا يفكر بي الملك فسار الى جهة صيوان اخيهِ وهو يقصد ان يوقع بهِ اذا تسهل لهُ ذلك قبل ان يبارح الجيش والا سار وبعد ولا يرجع الاّ ان يبعث الملك فيترضاه ولما وصل الى صيوان اخيهِ وجده اوحده كما تقدم الكلام وعرفهُ من صوتهِ ففرح غاية الفرح ودنا منهُ وضربهُ تلك الضربة ووقع الى الارض الا انهُ نهض خائفًا عند سماعهِ صوت اخيهِ قتلتني يا اخي وعاد الى جواده باسرع من لمح البصر وتيقن عنده ان اخاه قد مات فاطلق لجواده العنان وكان عند باب صيوان بهزاد بدرفتات العيار وهو في راحة ليس عند بالهِ خبر من كل ما ذكر الى ان سمع صوت بهزاد وقولهُ قتلتني يا اخي فنهض واسرع اليهِ بينما كان فرخوزاد يستعد للركوب والهرب ورفعهُ بين يديهِ فوجده كالخشبة يابسًا فخاف ان يكون قضى نحبه فصاح ونادى بالفرسان القريبين منهُ فجاءوا اليهِ فاعلمهم بالواقعة وانتشر الخبر من واحد الى اخر باسرع من نصف ساعة حتى ارتبك الجميع وخافوا على فرخوزاد وما منهم الا من ركض حافي الاقدام مكشوف الراس ضائع الحواس مما سمع عن بهزاد وعلا الصياح من كل ناح ولطمت الفرسان على خدودها وعضت الامراء على بنودها وبلغ الخبر الملك ضاراب وولده فيروزشاه ووزراءه فاضطربوا وارتاعوا واسرع فيروزشاه الى نحو بهزاد فوجده ملقى على احضان درفتات والناس تزدحم من حواليهِ وهي في بكاء ونواح فامر في الحال ان يحمل الى صيوان ابيهِ املًا ان يكون باق في جسمهِ بقية رمق فرفع وسارت الناس من حواليهِ وامامهِ وخلفهِ ما بين عبيد وخدام واسياد وانفار ولم يبق بين معسكر ايران واحد الاّ وتاسف ولحق بهِ الغيظ والحزن وركض ليطمأن عن بهزاد حتى كان الصياح اخذًا بالارتفاع من كل ناح

قال ولما وصلوا ببهزاد الى بين يدي الملك ضاراب ورآه على تلك الحالة حزن جدًّا ونزل عن سريره وبكى عليهِ وامر طيطلوس ان ينظر فيهِ . فلما راه طيطلوس قال لا تخف يا سيدي فان الضربة عظيمة جدًّا الا ان الامل بحياتهِ وطيد لانها واقعة في ظهره ولم تصل الى جوفهِ واذا هو الان ضائع من الالم والوجع فارتاح بال الجميع وتيقنوا عدم موتهِ . واخذ طيطلوس في الحال ان يسكب في فيهِ الادوية النافعة ويدهن جرحهُ بالمراهم ويعصبه بالضمادات وقد صرف غاية الجهد ووضع في انفهِ الروائح المنبهة وامر ان يفرك بدنهُ بالدهن لتعود حركات جسمهِ الى اصلها واخذ الدم في ان يجري وتعود الاعصاب الى وظائفها الاصلية وتحرك منهُ القوى حتى انهُ بنحو ساعات قليلة قدر ان يفتح عينيهِ وينظر ما حواليهِ ففرح الملك ضاراب وكل من احضر في ذلك المحضر ولا سيما فيروزشاه وطيطلوس ثم ان بهزاد تكلم من حلاوة الروح بعد ان اجهد نفسهُ وساق قواه بالرغم الى التكلم . فقال

للملك ضاراب بالله عليك يا سيدي ان تبحث وتفتش على اخي ولا تدعه يغيب عن المعسكر والا متى ... جرى بعده واني مسامحة بكل ما جرى منه بما هو الا اخي وليس العدو الحسود ... بيننا . ثم غاب ... وطيطلوس صارف الجهد الى مداراته ومداواته وامر الملك ... صيوان طيطلوس بتان ... ومداراة واوصى وزيره بصرف الجهد في مداراته ... وقد تعجب الجميع من كرامة اخلاق بهزاد وحبه لاخيه الحب المفرط حتى انه ... الاوجاع والالام ... ذكره وسامحه ... ان فعل معه ما فعل ... كل هذه ... من يده وصار كل واحد ... يلوم فرخزاد ويتكلم بحق ... وفيروزشاه ... لان فرخزاد كان رفيقه واخوه منذ بداية القصة ومع انه كان قد ... عمله كل الاستقباح لم ... ان ... اوماً وقال ... ما فعل هذا الفعل الا ... الى ركوب المعالي وقد ... هذه المرة واتكل ... نفسه ولو اتكل عليّ وعلى ابي ... لما منعناه عنه ما عدا رتبة ابيه فقد ... غير ان الباعث الذي بعثه الى التطرف بالعداوة هو احتقاره لاخيه به عن غير قصد فانه رماه الى الارض هذه المرة في نصف الميدان على مرأى من جميع الفرسان وفي مصر ايضاً فانه رماه ... الى الارض واوقع بقلبه النفور منه ومع كل ذلك فاني سابعث ... فرخزاد واصلح بينهما ... عمله ويقلع من قلبه عداوته لاخيه

قال وكانت ... منذ بداية الحال وهي تشاهد وتتألم ... الدنيا من جهاتها الاربع ولم تعد تعرف ... من شمالها لانها كانت من داخل ... تلوم فرخزاد على عمله هذا القبيح الا ان ... الى زوجها وعهدها به لم ... ان ... من قبل ان تنقل من مقامه او تطلب ... على ان تسمع بحقه ... ولذلك كانت احشاؤها ... الاحوال والتفكر ... فرخزاد ... ولا تعلم منه غيابه وهل في نيته ... الى قومه او قصد البعد والرحيل الى بلاد بعيدة على امل ان لا يعود اليهم في المستقبل ولما سمعت كلام فيروزشاه وانه سيصرف الجهد الى السؤال عنه وارجاعه الى اخيه وقلع جرثومة العداوة من ... فرحت غاية الفرح واطمأن بالها وكان ... الاتكال الامور واقدامها على المصائب و ... النادرة في غيرها من النساء والرجال تحملها على الصبر والتاني في عظائم الامور

وما ... بهزاد ... حتى كاد نور الصباح يبزغ واذا باحد الرجال قد دخل عليه وقال له اعلم ياسيدي ان تمرتاش قد فر وهرب ولم يره احد فاضطرب الملك ضاراب و ... مزيد الغضب و ... عن سبب فراره وكيف قدر ان يتخلص ويفك قيوده . قال لا نعلم ... انه هرب بينما كان القوم مشغولون ببهزاد وان التي ... وخاصة انس الصفا خليلته التي كانت في الجيش معنا فهنا ... الملك ضاراب وقال انه ينبغي ... هذا التهامل اكثر مما ...

فوات فارس مثل هذا الفارس وضياعه من يدنا . ثم احضر الحارس عليهِ والحارس على انس الصفا وسالها عن سبب فرارها فقالا لهُ اننا عند ارتباك القوم وانشغالهم ببهزاد ركضنا مع من ركض لننظر حالتهُ و يطمان قلبنا ونرجع حالاً ولم يخطر لنا قط ان احداً يقدم على تهريب محابيسنا واسرانا ولم نفكر ان انس الصفا تذهب الى الصيوان المحفوظ فيهِ تمرتاش وتفك وثاقهُ وتذهب بهِ وقد فتشنا الى اطرف المعسكر املاً ان نقع عليها فنعيدها الى الاسر فلم نرها واننا نعلم من انفسنا اننا نستحق القصاص والمجازاة على هذا التهامل والتهاون . ولذلك نطلب اليك ان تعاملنا بما نستحقهُ فلو امرت بقتلنا لكان ذلك قليل علينا . فقال الملك ضاراب عند سماعه كلامهما نعم انكما تستحقان المجازاة بالقتل على ضياع مثل تمرتاش من ايدينا غير انهُ لما كان لم يسبق منكم قبل الان عمل مثل هذا وكان سبب فراره هو انشغالكم ببهزاد وكدركم من اجلهِ فاعفو عنكم اكراماً لحبهِ واوصيكما بان لا تعودا مرة ثانية الى مثل هذا التهاون . فلما سمعا كلامهُ لم يصدقاه وقبلا يديهِ وخرجا بفرح وسرور وفي الصباح نهض الملك ضاراب فلم يرَ لعساكر الرومان من اثر في ذلك المكان فعلم انهم رحلوا في الليل من امر الروض وقصدوا المدينة ليطلعوا الملك قيصر على ما حل بهم ولذلك قال يجب ان نبقى هنا كل هذه المدة الى ان يشفى بهزاد غاية الشفاء و يقدر على ركوب الجواد والرجوع الى الحرب والطراد و يرتاح فكرنا من قبلهِ و بذلك يكون ايضاً قد ارتاح الجيش من الحروب مدة وعاد اليهِ نشاطهُ

قال وكان سبب غياب تمرتاش وفراره هو انهُ لما اخذ اسير وقيد الى خيام الفرس وضع تحت الحفظ والترسيم واقيم عليهِ الحرس و بفكر الملك ضاراب ان يرسلهُ في اليوم التالي الى ملاطية وشغل عنهُ بانعامهِ على بهزاد كما تقدم معنا الايراد ثم بما اصابهُ من اخيهِ وقد قلنا ان عموم عساكر الفرس اخبرت بموتهِ فاسرعت حزينة تبكي عليهِ ومن الجملة الحراس الذين على صيوان تمرتاس فانهم اغلقوا باب الصيوان وركضوا على امل ان يرجعوا حالاً بينما يكونوا قد وقفوا على الخبر الاكيد وكانت انس الصفا مقيمة بالقرب منهُ وقد عرفت من اول الليل باسره فتكدرت جداً وقطعت الرجاء من الخلاص لانها كانت تومل انهُ ينقذها مما هي بهِ وصبرت تنتظر ما يكون من امره . فلما قامت الغوغاء وارتفعت الضوضاء خرجت من الصيوان فلم ترى احداً عند بابهِ فسارت وقلبها يرجف خوفاً وخطر لها ان تصل اليهِ اذا ساعدتها الصدف واوصلتها التقادير . فوصلت الى صيوان بالقرب منها فلم ترَ عنده احداً ولا داخلهُ احدا فسارت الى غيره وما قطعت نحو خمس خيام حتى وصلت الى الصيوان المسجون بهِ تمرتاش فوجدت بابهُ مسدولاً الى الارض فعرفتهُ واذا بهِ داخلهُ ففرحت غاية الفرح ودافعت عليهِ بلهفة واخذت تحل كتافه حتى صار يقدر على الهرب فامرها ان تتبعهُ وخرج راكضاً وهي معهُ والقوم في اضطراب لا يعي الواحد على الاخر وكل من راها

يظن انهما من الايرانيين او من اتباعهم ولا يخطر لهم انهما تمرتاش وصاحبته حتى خرجا من المعسكر وهما بفرح لا يوصف ووصلا الى جيش الرومان فوجداه على اهبة الرحيل لان انبوش عند رجوع العساكر من القتال دخل خيمته حزينًا على تمرتاش وثبت لديهِ انهُ اذا بقي الى الغد اسرهو ايضًا او قتل وتبدد الجيش الباقي معهُ ولذلك اقام بانتظار غفلة الاعداء ودخولهم الى النوم ليذهب وامر قواده ان بعد نصف الليل بساعة يقلعون عن تلك الاراضي و يتقهقرون الى الوراء راجعين الى المدينة لانهم قريبون منها ولما كان الوقت المعين اخذوا في ان يحملوا الاحمال و يقلعوا اوتاد الخيام و يرفعونها على ظهور البغال وهم من اجل فارسهم وما حل بهم في قلق واضطراب واذا به قد وصل اليهم وعرفهم بنفسهِ ففرحوا بهِ غاية الفرح ولا سيا انبوش فهناه بالسلامة وسالهُ عن سبب خلاصهِ فحكى لهُ وقال اريد منك ان تديم العمل الان ونرحل من هذه الارض والا هلكنا عن اخرنا والحق يقال اننا لسنا من رجال الفرس فما هم من مصاف البشر بل اسود كواسر وان لم نستعن عليهم بالكثرة والا اهلكونا عن اخرنا واحدًا بعد واحد فقال لهُ اني عرفت ذلك وعليهِ فقد هيأت نفسي للرحيل . فركب تمرتاش واركب انس الصفا وسارت العساكر راجعة الى الوراء دون ان يبدي احدمنهم حركة او يرفع صوتًا وداموا في مسيرهم كل بقية تلك الليلة واكثر النهار التالي حتى وصلوا الى المدينة ودخلوا بحالة يرثى لها وهم مفشولون ودخلوا على الملك قيصر وشكوا اليهِ حالهم وما لاقوه من الملك ضاراب ورجالهِ وحكوا لهُ مفصلاً كل ما كان من امرهم فاضطرب وحل بهِ الخوف والوجل وشعر بانقراض دولتهِ اذا لم يستدرك امره و يدبر طريقة لارجاع الايرانيين عن بلاده فعقد في الحال مجلسًا واخبر قومهُ بكل ما جرى وكان من جملتهم الشاه سرور ووزيره طيفور فتكدر الجميع ولم يبد احدمنهم قولاً الا وزيره بيد اخطل فانهُ قال ان الراي عندي ان نستدعي بالعساكر من كل الجهات ونطلب اليها المعونة والمعاضدة ونطلب ايضًا من جهان ملك الصين ان يمدنا بالرجال والابطال وان يبعث الينا ببهلوان بلاده ومدبر دولتهِ وسيد فرسانها منكوخان ابن هلكوخان و باولاده السبعة فرسان هذا الزمان واذا لم نفعل ذلك والا تملكت الفرس بلادنا وافنونا عن اخرنا واذلوا نساءنا وسبوها . فقال الملك قيصر هذا لا بد منهُ ثم امر بيد اخطل ان يكتب الكتب و يبعثها و يكتب كتابًا الى جهان صاحب الصين يعرض عليهِ حالهُ و يطلعهُ على كل ما كان من الايرانيين . فاخذ الوزير يكتب الكتب المذكورة و يبعثها وكتب كتابًا الى جهان يقول لهُ فيهِ

من الملك قيصر ملك البلاد الرومانية وسلطان الطوائف النصرانية الى صديقهِ جهان ملك الصين ومحيي عبادة النار ما بين العالمين

اعلم ايها الاخ الصديق والصاحب والرفيق وحاكم بلاد الصين من مشرقها الى مغربها انهُ

خرج في بلاد الفرس ملك اسمه ضاراب بن بهمن وهو جبار عنيد وانه ولد اسمه فيروزشاه لم يبلغ الحلم بل هو بدرجة المراهق احب فتاة من احسن نساء العالم واجملهن اسمها عين الحياة بنت الشاه سرور صاحب تعز اليمن ونواحيها وطلب ان ياخذها من ابيها بالرغم فامتنع عليه ومسكه بعد ان اجرى في بلاده وقائع عديدة وقتل بروزويه رقاخوه طومار الزنجي وبعدان قبض عليه ومسكه سلمه الى هرزيك ملك جزائر الزنوج لانه كان قد ... بلده وبالاختصار فانه تخلص منه ... ملك بلاده وسطا عليها ورجع ... الى اليمن ليأخذ ... الرغم عن ابيها فوجد اباه ... نزل على تلك البلاد فاخذته بالثار ووقع ... طومار الزنجي المشهور ... فقتله فيروزشاه ايضاً وسطا على المدينة فهرب ابو عين الحياة الى مصر الى الوليد حاكمها وزوجته ... وقائع عديدة وحروب يطول شرحها تشيب من هولها الاطفال فانه فيروزشاه ... تلك البلاد ... فيها فهرب ابو عين الحياة عند ... مستجيراً بي فاجرته (وحكى ... ماوقع ... الايرانيين من البداية الى النهاية) ... ولا ... عرفت ... بلادي وقدموا الاسكندرية وسورية و... الشام وجاءوا ملاطية وكانت عساكرهم ... منهم القبائل وسكان الضياع ... عساكري ومن تم ... خرطوم الرومي ... وفارسها واسروا بهلوان ... قرتاش و... لا ... العساكر والابطال فكتبت الى كل عمالي من داخل البلاد واستنهضت همم اصحابي ... ان ... هذه الامة التي طغت وبغت و... هذه البلاد ولم تراعي ... الملوك ... فاني اسالك ... القديم الثابت ... ان تسارع الى ... انطالك ... تبعث الي بقائد عساكرك منكوخان ... الزمان ... فرسان ايران ويقتل فيروزشاه ويريحنا من شره ولا تتخلى ... في مثل هذه الضيقة ولا تترك العدو يتمكن منا ... تتغاضى عنا واني اخبرك ان ... من الاموال ... قرطاس ... اموال كل البلاد التي ... كوها ونهبوا اموال ... واخرجوا من الكنز الذي في مصر احمالاً كثيرة من الذهب والجواهر ونحو ذلك ... كانت هذه ... الفرس قائمون حول مدينتي ... واني ساحاول في القتال الى حين تجي رجالكم اليّ والسلام لكم والتحيات مني والاكرام

وبعد ان ... من كتابة هذا الكتاب سلمه لاحد فرسانه وقال له اريد منك ان ... الى ... بلاد الصين وتاتيني من ملكها بالجواب والك مني كل ما طلبت اذا جاءت اليّ عساكره قبل ان ينتشب القتال بيننا وبين الايرانيين . قال سوف ترى مني

ما يسرك وسار يقطع البراري والقفار مدة ايام لا ينام لا في ليل ولا في نهار الى ان ادخل على الملك جهان صاحب بلاد الصين وقبل الارض بين اعتاب سمائهِ لانهُ كان يسكن في قصر كبير متسع في وسطهِ قاعة فسيحة مفروشة بالبسط والحرير وحيطانها مرصعة بالجواهر والياقوت وبين سقفها قبة زرقاء مجللة من المرمر من ظهرها بالسرر الحريرية المحشوة من ريش النعام كان يقيم فيها الملك وفي وسط هذه القبة التي يلقبونها بالسماء نافذة صغيرة عند ما يحتاج الملك الى شيء دعا اثنين من حجابهِ يقومان ابداً بخدمتهِ من تلك النافذة وليس لاحد غيرهما ان ينظر وجه الملك لانهُ كان عندهم كالاله الا في السنة مرة فانهُ ينزل من سمائهِ ويذهب الى بيت الاصنام ليقدموا لها الذبائح امامهُ واذا وقعت حرب بينهُ وبين عدو لهُ واحتاج الامر الى قهر العدو ولم يروا بداً من نزول الملك خرج من سمائهِ وقهر ذاك العدو لان رجالهُ متى راوهُ انهُ في القتال رموا بانفسهم الى ايدي نيرانهِ فلا يعودون الا بالانتصار وكان لا يعرف شيئاً من احوال مملكتهِ وامورها لكبرها واتساعها ولا يطلع على اوراقها ورسائلها وما هو جار فيها ولا تقدم اليهِ الا رسائل الملوك فقط واذا حدث في المملكة امر مهم جداً جاء اليهِ هذان الحاجبان واطلعاه عليهِ واذا اراد احد ان يتشرف باعراض امر لديهِ سال عن ذلك فان اجاب دخل ذاك الرجل وراسهُ الى الارض اختشاء من ان تقع عينهُ على بهاء الملك في علائهِ فيلحق به الاذى وكانت اعمال المملكة بيد اثنين احدهما لتدبير الداخلية واسمهُ مهريار والاخر لقيادة الجيوش وحماية البلاد يقال لهُ منكوخان بن هلكوخان وكان هذا الكبير بطل صنديد وفارس شديد ولهُ سبعة اولاد ذكور معهُ في الرتبة والوظيفة واسماهم الغضبان والعاصي والنجد وابو القنابر وقتير وسعدان وحامي الحي وهم ابطال جبابرة

فلما وصل رسول قيصر وقف بين يدي جهان وراسهُ الى الارض وقد دفع الكتاب الى احد الحاجبين فاوصلهُ اليهِ وقراه لهُ فلما عرف ما بهِ ارغى وازبد وقام وقعد وصاح بالحاجب ان يسرع الى منكوخان ومهريار ويحضرهما الى ارض سمائهِ يعني الى ارض الغرفة القائم فوقها فاسرع وبعث من يدعوهما فلما حضرا ادخلا كبقية الناس اي ان كلاً من الحاجبين وضع يده على راس واحد وادخلهُ الى وسط الغرفة فطل الاله وبالحري الملك وقال لهما اعلما ان صديقي الملك قيصر ملك النصارى قد بعث يستجير بي من ظلم الفرس وغدرهم وقد داسوا بلاده وتملكوها كما تملكوا غيرها ولذلك حيث يعلم اني اقدر ملوك هذا الزمان وسلطان سلاطين الدنيا بعث اليَّ يطلب مني العساكر وطرد هذا العدو من بلاده وقد تحرك غضبي الى هلاك الفرس ومحو اثارهم من هذه الدنيا وعليهِ فاني امركما ان تبعثا نحواً من اربعمائة الف فارس الى معونة الملك قيصر ويسير على الجيش احدكما منكوخان مصحوباً باولاده ويأتيني براس فيروزشاه فارس الفرس وينهب اموالهم وجواهرهم ويأتيني من هناك بالنساء الجميلات وفي اولهن عين الحياة بنت الشاه سرور فقد وصفها

الي قيصر انها من اجمل نساء العالم . فاجابة بالطاعة وخرجا من القاعة لانفاذ امره ومعهما رسول الملك قيصر فجمعا الجيوش وعدداها والبساها العدد وفرقا عليها المؤن والذخائر وامراها ان تستعد لتخرج بعد ثلاثة ايام وفي اليوم الثالث ركب منكوخان على جواده وهو كانهُ البرج الحصين وخرج في مقدمة العساكر وحولهُ اولاده السبعة المتقدم ذكرهم وكلٌ يظن بنفسهِ انهُ يلقى جيش الفرس وحده وخفقت فوقهم الرايات الصينية وحملوا اصنامهم معهم ليعبدوها في الطريق ويسجدوا لها في وقت الصلاة واستلموا طريق بلاد الرومان وساروا على نية الوصول اليها وحرب الفرس فيها

قال الراوي ولنعد الى حديث الفرس فانهم اقاموا في ارض ام الروض كما تقدم معنا الكلام ينتظرون شفاء بهزاد من اوجاعه والامهِ وقد تبع جرحه النهاب وحمى الزمتهُ الفراش مدة ليست بقليلة وطيطلوس يلازم مداواته ويبذل الجهد فيها وهو لا يفارقه دائمًا لا في الليل ولا في النهار والملك ضاراب مشغل الفكر من اجله لا يبرح دقيقة من باله ودائمًا يسال وزيره عنهُ و يتمنى شفاءهُ وبهذا السبب طال المطال على فيروزشاه وزاد شغفهُ وشوقهُ الى عين الحياة وكان يحب ان يعرف ما هو حاصل عليها وفي اي مكان هي وهل براحة او بكدر وفي ذات ليلة اشتدت عليهِ الحال وهاج بهِ بلبالهُ فقلق في فراشهِ وضاق صدره ولم يرَ وسيلة الا بعث بهروز فدعاه اليهِ وشكا لهُ حاله وقال لهُ أأكون فيروزشاه وعندي عيار مثلك و يصعب عليَّ الحصول على غاية صغيرة لا نقدر على قضائها . قال وماذا تريد يا سيدي . قال ويلك الا تعرف رغبتي في الحصول على عين الحياة وحتى الساعة لم اقدر ان امنع اعدائي عنها وبسبب ما حصل لي من المصائب ولها من الاكدار صرت اتمنى ان تكون عندي دائمًا في الجيش وامام عينيَّ فيكون فكري مطمئنًا من نحوها . قال ان كنت ترغب في ذلك فاني سافصده من هذه الساعة ولا اعود اليك الا وعين الحياة معي ولا يشغل فكرك بهذا السبب فاني اسير الى المدينة واتجسس اخبارها واعرف اين هي فادخل عليها واعلمها بقصدك ولي رجاء وثيق انها تطيعني اليهِ وتاتي معي . قال لا ريب انها اذا اعلمتها غايتي واني بعثتك مخصصًا لا تتاخر بانفاذ طلبي . واياك من ان يراكم هلال العيار فهو خبيث محتال . قال اني احسب لهُ حسابًا لانهُ يعرفنا ولو تزيينا بالف زي انما ساحاول كثيرًا ان لا اندعهُ يرانا واني اطلب اليك ان تعطيني شياغوس النقاش وطارق العيار ليكونا برفقتي . قال خذهما معك فلا بد من وجوب رفيق لك في هذه المرة خوفًا من حدوث ما لم يكن بالحسبان . وفي الحال دعا بهروز بطارق وشياغوس واطلعهما على غاية سيده وامرهما ان يستعدا للمسير معهُ فاجاباه وفي نفس ذلك الليل خرجوا من بين جيوش ايران وقصدوا المدينة ليطلعوا على عين الحياة و ياتوا بها الى فيروزشاه ولا زالوا حتى دخلوها وهم بصفة رجال اليمن في الليل التالي ونزلوا باحد الفنادق في اطراف المدينة ولبس بهروز

ملابس الرومان وخرج الى الاسواق يتجسس اخبار عين الحياة حتى صادف رجلاً من عساكر الملك قائمًا في حانة لوحده يشرب الخمر فدخل وجلس بجانبهِ وسلم عليهِ والرجل في حالة متوسطة بين الثمول والصحو . واخذ معهُ بالحديث من جهة الى اخرى حتى اوصلهُ الى مسألة الحرب مع الايرانيين فقال لهُ وهل كنت انت بالحرب مع تمرتاش هذه المرة . قال نعم كنت وقد اصبت بجرح خفيف انما الحمد لله لم يطل امر شفائهِ فقال لهُ شكراً لله الذي ما وصل اليك ضررٌ وقبح الله رجال ايران فما هم الا ابطال شداد وكان في وسع ملكنا ان يمنعهم عنهُ . قال باي شيء يقدر على منعهم ودفعهم وهم لا يرجعون ما لم ياخذون بنت ملك اليمن عين الحياة . قال هل هي في المدينة لياخذوها واذا زوجها الملك بابنهِ فمن يقدر ان ياخذها حتى انهم هم نفسهم لا يعود لهم مطمع فيها فاما يتركونها و يذهبون واما تضعف شوكة فيروزشاه بهذا السبب ويخسر عقلهُ فلا تعود تقوم لهُ قائمة . قال هي الان في جزيرة الحديد المقيمة وسط البحر لا يقدر احد على الوصل اليها والدنو منها واما زواجها فلم يقبل بهِ ابوها الا بعد قتل فيروزشاه . فلما سمع بهروز بانها بعيدة عن البلد وانها في قلعة الحديد خطر لهُ ان يقصد تلك القلعة و يحتال على من بها و ياتي بعين الحياة فقال لهُ وهل تلك القلعة بعيدة عن هنا وما الموجب لوضعها فيه . قال الست انت من المدينة قال كلاّ بل انا من الضياع وما سبق لي ان اتيت هذه الناحية لاني احرث ارضي وازرعها دائمًا ولا اخرج منها . قال ان القلعة هي الى جهة الشمال تبعد عدة ايام عن المدينة في وسط البحر لا يقدر احد ان يدخلها الا من ابوابها الحديدية وقد خاف الملك قيصر من ان ياتي عيارو الفرس فيسطون عليها و يسرقونها لانهم كما قيل شياطين في صفة بشر ولاسيما يقال ان بينهم عيار اسمهُ بهروز ابن حرام لا يصطلى لهُ بنار يسلب الكحل من المقل ولا يوجد لهُ ثانٍ في هذا الزمان . قال حسنًا فعل فما من وسيلة لاحد بالوصول اليها في تلك القلعة

وبعد ان اقام بهروز مع النفر نحواً من ساعة ودعه وخرج الى الفندق الذي به رفاقهُ فقال لهم ان عين الحياة بعيدة عن البلد وهي في قلعة الحديد فهلموا بنا نقصد تلك الناحية عسى ان الظروف تساعدنا فندخل القلعة وناتي بعين الحياة . فقالوا افعل ما بدا لك . فقال البسا لبس رجال الرومان وضعا القبعات على رؤوسكما ولا تدعوا اثراً لحالتكما الاولى فقد عولت على امر ارجو منهُ نجاحًا . ثم كتب كتابًا الى امير القلعة عن لسان الشاه سرور يقول لهُ فيه سلم عين الحياة للرسل القادمين اليك فان الملك قيصر امرني ان احضرها واهيء امرها لتزف على والده انبوش ولا تتاخر عن ذلك الان لان العرس سيكون قريبًا فيغضب الملك . و بعد ذلك سار مع رفيقيه الى جهة البحر بسرعة حتى وصلوا اليه في نفس ذلك الاسبوع فوجدوا عند الشط مينا صغيرة عندها عدة قوارب راسية فحلوا احدها وركبوه وساروا عليه يجذفون حتى لاصقوا الجزيرة فنزلوا اليها ومشوا

بها وقد نظروا الى القلعة وهي كبيرة جداً انما لا نافذة لها يقدر ان يدخل منها احد وكلها من الحديد السميك فوقف بهروز متحيراً فلم يرَ اوفق من عرض المكتوب على الامير فهد محافظ القلعة فطرق الباب فخرج اليه الحرس وسالهُ عن غايته فاخبره ان بيده كتاب الى اميرهم . فقال لهُ اصبر الى ان ادعوه اليك ثم سار فدعاه فحضر واخذ التحرير من بهروز وقراه فاشتبه فيه ولاسيما ان الملك قيصر اوصاه ان لا يسلم عين الحياة الا لمن ياتيهِ بخاتمه الخصوصي ولذلك قال لهُ اين العلامة . قال وما هي العلامة فلم يعطني الشاه سرور علامة . قال اني لست بماذون ان اسلمها الا لمن ياتيني بعلامة منهُ وعلى هذا لا اقدر ان اسلمها لاحد . قال فربما نسي ان يعطيني العلامة وربما لم يكن عند الشاه سرور علم بعلامة بل اطاع امر الملك قيصر وبعث ليحضرها اليهِ لان زفافها على انبوش سيكون بعد بضعة ايام . قال لا مطمع بتسليمها بغير العلامة الماذون بها من قبل سيدي والا اماتني وجازاني بالهلاك والوبال . ولما لم ينجح بهروز في عملهِ كاد ينشق من الغيظ ولم يحسب حسابًا لهذه العلامة الا انهُ اظهر الجلد واخفى الكمد وقال للامير فهد سوف اتيك بهذه العلامة واترك الشاه سرور ان يطلبها من الملك ان امكن ان يسلمهُ اياها . قال لا اظن ان الملك يمكن ان يعطيكم هذه العلامة او يسلمها لغير ولده اووزيره فهي خاتم الاحكام . قال ان الملك يركن للشاه سرور ولذلك سوف يدفع اليهِ الخاتم واني الان احب سرعة الاستعجال خوفًا من العتب واللوم . والقي مسئولية هذا التاخير عليك قال افعل ما بدا لك فلا اخالف قول سيدي ولو عدمت نفسي . ثم اقفل الباب ودخل القلعة وصعد الى عين الحياة واخبرها بكل ما كان بينهُ وبين الثلاثة رجال وانهم يدعون انهم جاءوا من قبل ابيها بكتاب يطلبونها لتزف على انبوش . وكانت قبل ذاك الحين بفرح زائد وقد عرفت بكسرة الرومان ورجوعهم مقهورين وقتل خرطوم الرومي وبانت تنتظر الخلاص والافراج من تلك القلعة ومثلها كان سيف الدولة وزوجتهِ والامير قهر . الى ان جاءها محافظ القلعة واخبرها بما كان فاضطربت وشغل بالها وكانت تارة تفكر ان ذلك ربما كان حيلة من عياري ايران وطوراً تتصور انهُ ربما يكون الملك قيصر قد اقنع اباها بزواجها وبعث ياخذها فكانت تسر وتفرح عندما يخطر في ذهنها الامر الاول وتحزن وتتكدر غاية الكدر عندما يقوى عليها الفكر الاخير واصبحت باضطراب بين امرين لا تعلم الحقيقة وصبرت على حكم القضاء تنتظر الفرج منهُ تعالى والخلاص من هذا العذاب وتلك الوحدة

قال واما بهروز فانهُ عندما حبطت مساعيهِ قال لطارق ان الامر خطير فمن اين لنا ان نحصل على خاتم الملك قيصر وناتي بهِ الى هذا الامير ليسلمنا عين الحياة فهو متصلب في قولهِ ولم يخطر لي قط في البداية ان بين الملك والامير مثل هذه العلامة والقلعة حصينة لا نقدر على الدخول اليها من جهة قط . قال ان لا سبيل الا بالرجوع الى المدينة والقيام فيها الى ان يتسهل لنا طلبنا وربما

ساعدتنا التقادير وقدرنا ان ندخل قصر الملك قيصر فنسطو عليه بالليل وننزع خاتمة من يده .
قال ان بذلك صعوبة عظمى لان حوله من الحجاب الوف ولا يمكن الوصول اليه بسهولة انما ليس على الله من امر عسير ولا بد من ان يسهل لنا طلبنا ثم انهم نزلوا من القلعة الى القارب ومخروا به البحر حتى جاءوا الميناء فنزلوا منها وربطوا القارب بين القوارب دون ان يشتبه بهم احد من محافظي الميناء وقد ظنوا انهم من الرومان جاءوا القلعة بامر الملك قيصر ثم بعد ان بعدوا عن الشاطي سلكوا طريق المدينة يطلبون من الله الفرج الى ان امسا المساء فقصدوا المبيت في تلك الارض فعرجوا الى اكمة صغيرة هناك يبيتون عليها واذا بهم قد نظروا نورًا بالقرب منهم في سهل عند حضيض تلك الاكمة وعشر خيام مضروبة . فقال بهروز اصبروا انتم في هذه الارض فلا بد من المسير الى هذه الخيام والاكتشاف على من بها لاننا عند مسيرنا في المرة الاولى من هذه الارض لم نرَ هنا انيسًا ولا جليسًا ولا من يهب ولا من يدب ولا بد لسكان هذه الخيام من ان يكونوا سائرين في هذه الطريق الى الشاطي وربما الى القلعة لانه لا يودي الى غير جهة . ثم انطلق باسرع من البرق عن الاكمة حتى وصل الى بين تلك الخيام فتخللها وهو يستتر خوفًا من ان يعلم به احد من سكانها فتبين ان ما بها من الرومان فاختلط بينهم حتى جاء الصيوان الكبير فنظر الى داخله واذا به يرى الامير انبوش ابن الملك قيصر فكاد يطير من الفرح وترجح عنده انه ذاهب الى القلعة الى عين الحياة اما ليأتي بها واما ليصرف وقتًا عندها . وقال في نفسه لابد لي من قتله واعدامه ومنعه من نوال غايته كي لا يكون لفيروزشاه سيدي مزاحم في خطيبته وحبيبة قلبه وتاكد عنده انه لا بد ان يكون اصحب معه العلامة والا لا يسلمه اياها الامير فهد ولا يدعه يدخل وصبر عليه ينتظر انقضاء السهرة ونومه مع الامراء الذين حواليه

وكان السبب في مجيء انبوش الى تلك الارض هو انه بعد ان كسر من امام وجه الملك ضاراب ورجع الى ابيه مع تمرتاش كما تقدم معنا بقي في المدينة ينتظر الفرج وفي كل يوم يزيد هيامه وغرامه بعين الحياة حتى كاد يقع في علة السقام ولما اعياه الامر ولم يرَ وسيلة لنيل مقاصده وثبت عنده انه هالك لا محالة شكا حالة الى وزير ابيه بيد اخطل وقال له اذا لم ترَ لي وسيلة للتزوج بعين الحياة فاني هالك لا محالة ولم يعد لي من صبر على فراقها . فقال له بيد اخطل من المحال ان تنال غاية بدون رضاء طيفور وقد لاح لي انك تستعد لهدية فاخرة من الجواهر والالماس والذهب وتقدمها له وتقع عليه وتسأله المساعدة فاذا وعدك نلت الظفر وملكت عين الحياة قبل نهاية الحرب وقبل وصول الفرس الينا . فاستصوب انبوش راي وزير ابيه وقال اني ساحضر ما اشرت اليه واسير في الغد برفقتك الى الوزير طيفور ونقع عليه ونقدم له الرشوة عسى ان الله يلهمه الى مساعدتنا ثم ذهب الى قصر ابيه واختار من جواهر امه ما حلا في عينيه وغلا ثمنه وانحدر الى خزينة ابيه فاخذ

كثيراً من الدراهم كلها من الذهب الروماني وجاء الى بيد اخطل فعرض عليهِ ما احضره وطلب منهُ ان يسير معهُ فاجابهُ وسارا الى طيفور وهو في قصر الشاه سرور وانفردا بهِ في غرفتهِ وقال لهُ بيد اخطل لما كنا نعلم ان لا شيء ينتهي الا برايك وتدبيرك مع سيدك وانما نحن ايضاً لا نريد ان نقطع خيطاً الا بامرك اتيناك مستشيرين ومستجيرين فالتفت الى سوالنا ولا ترجعنا بالخيبة والفشل وذلك ان ابن ملكنا انبوش الحاضر امامك الان قد شغل بحب عين الحياة ولم يعد لهُ صبر عنها وراى نفسهُ قريباً من الهلاك اذ طال عليهِ امر فراقها وصعب عنده الوصول اليها . قال وماذا تريدان مني . قال نريد مساعدتك ونحن وقيعان عليك فدبر بحكمتك ما تستنسبهُ وتامر بهِ وقبل ان يتمكن طيفور من الجواب قام انبوش وقدم لهُ الهدية وطرح الجواهر والذهب بين يديهِ فانبهر منها وتاه عقلهُ وارتخت نفسهُ وسال ريقهُ واجاب على الفور نعم اني ساجهد النفس الى اقناع الشاه سرور وادعهُ ان يزف عين الحياة عليك وذلك من الامور الموافقة لنا ولكم ويجب ان نهتم بالعرس قبل ان يحصل ما لا يكون لنا في حساب . وعلى كل حال فانني موقن بنجاح مسعاي ولا اريد الا ان تحضر انت في الغد الى ديوان ابيك بينما يكون محتبكاً بالاعيان والامراء ويكون الشاه سرور وقتئذ وانا وحينئذ يتقدم الوزير ويطلب من ابيك ان يزفك على عين الحياة ويبين لهُ انشغافك بها وانك قد سقمت من حبها وليس من سبيل الا بالحصول عليها . ومن ثم اتكلم انا واحل عقدة القران واضرب اجلاً محدوداً يكون بوقت قريب واني كافل هذا الامر ضامنهُ واتعهد بهِ فلا تمضي الا ايام قليلة حتى ترى عين الحياة قرينة لك مطيعة لامرك تنال منها بغيتك ومرادك فشكره انبوش وهو لا يصدق بهذا الوعد وان طيفور قد اجاب بمساعدتهِ ثم انصرف مع وزير ابيهِ وهو مطمأن الخاطر ينتظر اتيان الغد ليتم ما هو بطلبهِ

وبعد ذهابهما قام طيفور الى سيده واقام عنده واخذ يضحك امامهُ ويمدحهُ ويثني على صفاتهِ وهو لا يلتفت اليهِ كالعادة ولا يعيره جانب الانتباه بل كان يكلمهُ تارة وتارة لا يجيبهُ وهو لا يفترعن عملهِ لانهُ كان يعلم انهُ عديم الثبات على الامور لا يحقد ولا يصر على قولهِ ولا عملهِ ودام في محادثتهِ ومكالمتهِ الى ان قال لهُ اني صرفت الليل الماضي دون نوم وانا افكر فيما مضى علينا من البداية الى هذا اليوم فارتعت من تذكري عظم الحوادث المارة علينا وعجبت كل العجب كيف قدرنا ان نثبت امامها ونقاومها بثبات لا يكل ولا يمل وكان كل تعجبي من ثباتك واقدامك ولو كان غيرك لكان حسم هذه الحوادث بان سلم بزواج بنتهِ لاي كان لاسيما وانت معتاد على الترف والبذخ وسعة العيش فتركت كل ذلك وتحملت اصعب الامور واشد المشاق وصرفت جل العناية لمقاومة عدوك . فقال الشاه سرور وهو يتمرمر هكذا قضى عليَّ الله اليس انت الذي كنت السبب في سوق كل هذه المصائب . قال وماذا يعنيني وهل فعلت شيئاً الا وكنت انت الموافق عليهِ ولا تظن اني كنت اقول

لك شيئاً ولا اشور عليك بشيء الا وقد سبق فكري الى قصدك وغايتك وما قلت قولاً الا بعد ان امعنت النظر فيهِ وتاكدت ان ميلك اليهِ اكثر مني . ولو كنت تحققت مخالفتك لي مرة واحدة لسكت وتركتك ان تزوج بنتك عين الحياة لاي كان ومع كل ذلك فهذا الامير انبوش ابن الملك قيصر صارف كل الجهد الى الاقتران منها فزوجها بهِ واحسم هذه المسالة ودع الرومان والفرس يشغلان بعضهما ولا شك ان فيروزشاه اذا تاكد ان عين الحياة قد تزوجت وفرغت يده منها قطع الرجاء ويئس من الوصول اليها فتضعف عزيمتهُ ولا يعود لهُ رجاء بالحصول عليها فاما ان يموت كمداً وعذاباً من محبتها واما ان يرجع برجالهِ اذا وجد صعوبة في الحرب والقتال واني ما كنت امنع زواج بنتك باحد الا وفي ظني ان طالبها يمنع عنها فيروزشاه ويرد الينا بلادنا . فانتبه الشاه سرور الى هذا الامر وبان لهُ وجه الامل فيهِ الا انهُ تردد في الموافقة عليهِ واطرق الى الارض متمعناً فلحظ ذلك منهُ طيفور فتركهُ على حالهِ وخرج الى غرفتهِ وهو يقول في نفسهِ لا بد من انهُ في الغد امام قيصر يخجل فيجيب ولا سيما اذا وجد ان قيصر مصرٌّ على طلبهِ ووجدني قد انعمت عنهُ واجبتهُ الى سوالهِ وبهذه الطريقة اكون قد نلت غايتي بالرغم عنهُ وقهرت فيروزشاه قهراً ما بعده قهر وماذا با ترى عدت انتظر من الشاه سرور والتقرب منهُ بعد ان صار امل الوصول الى بلاده مستحيل وغير ممكن الحصول

وفي اليوم الثاني اجتمع في ديوان قيصر كل من الاعيان والامراء والوزراء وجلسوا على حسب مراتبهم واحداً واحداً وجلس الشاه سرور ووزيره طيفور والخواجه ليان واولاد الشاه سرور كالعادة ودار الحديث فيما بينهم وطال جدال الحرب حتى انتهى بكلام بيد اخطل فوقف وقال اني لا ارى حسماً لهذه الحرب وقهراً للفرس الا بامر واحد لا بد منهُ كيف كان الحال . فتوجهت كل الخواطر اليهِ ومالوا بانظارهم نحوه وقال لهُ قيصر وما ذلك . قال هو ان تسعى في ان تزف عين الحياة على الامير انبوش وتحرم فيروزشاه منها وندعهُ مقطوع الامل خائب الرجاء لا يحسن عمل شيء البتة وبذلك يرجع عن بلادنا اذ لم يكن لهُ من غاية الا اخذها منا ولو انهُ حصل عليها اليوم اسار في الغد الى بلاده ولو راها في مصر وملكها لما جاء قط هذه البلاد ولا جرى بيننا وبينهُ حرب ولا قتال وامامنا امران نافعان اما ان نسلمهُ عين الحياة فياخذها ويرحل عنا وهذا غير ممكن بعد ان ثبت عندنا ان الامير انبوش عالق بحبها لا يريد قط سواها واما ان نحرمهُ منها ونزفها على الامير انبوش فيموت املهُ ولا يعود قادراً على القتال ولما فرغ من كلامهِ تاثره طيفور ووافق على كلامهِ وقال ان فيروزشاه اذا عرف بزواج عين الحياة بغيره يقع في فراش الاسقام ويموت كمداً لانهُ معاهد لها منذ البداية متيقن كل اليقين انهُ سيكون بعلاً لها وان بقوة سيفهِ سيحصل عليها وقد وضع كل قلبهِ وفكره عندها فاذا قطع الرجاء وقع باليأس والقنوط واني اوكد انهُ لا يعود يقدر على

حمل السيف و بضعفهِ تضعف قوة رجالهِ ولا يعودون قادرين على القتال ولا سبب يدعوهم اليهِ الان قتالهُ وقتالهم هو الان لاجل خلاصها من بينكم فاذا عرفوا ان لا نفع فيها ولو حصلوا عليها لا يقبل فيروزشاه بها اذ يكون قد صار لهُ في حبها شريك وان زهرة جمالها اقتطفها غيره . نعم ان هذا هو الامر الوحيد الذي يردع الفرس عنا واني منذ الاول اعلم ذلك الا اني كنت اصرف الجهد الى ابادة رجال الفرس على امل اننا نعود الى بلادنا و يصفو لنا الزمان ونرجع الى تعزاء اليمن واما الان فما من مطمع لنا في تلك البلاد واني اسال مولاي الملك قيصر ان يكرم عليهِ بولاية فيتولاها و يصرف بقية العمر فيها حاكمًا فلا يخسر بلاده ويحرم من اكرام غيره . فقال بيد اخطل حالاً ان ذلك لا بد منهُ واذا كان الامير انبوش صهره فاي بلاد من بلاد الرومان ليست لهُ اليس هو المالك عليها كلها و بنتهُ ملكتها وحاكمتها وامرها نافذ فيها وفوق كل ذلك فاني اسال سيدي الملك قيصر ان يخصهُ ببلاد و يقطعهُ اياها فيعتاض بها عن بلاده و يكون مستقلاً في احكامها . فقال قيصر اني لا احب ان امنع عنهُ بلدًا من بلادي فاي ناحية ارادها اقطعهُ اياها واني لا ارى لهُ الان اوفق من ملاطية فعند جلاء الفرس عنا يكون هو الحاكم فيها اذ ايس من الامل لسيف الدولة ان يرجع اليها ولا بد من قتلهِ وعليهِ فاني اطلب من الشاه سرور صديقي وعزيزي ان ينعم لابني ببنتهِ و يكون بذلك قد جعلني مديونًا لهُ ووفاني حق حبي لهُ وقدم لي برهانًا عن محبتهِ التي لا اشك فيها فاستحى الشاه سرور وسكت ولم يبدِ قط كلمة فاسرع طيفور وقال اني موكد ان سيدي الشاه سرور قد قبل من كل قلبهِ ان يكون الزفاف في هذه الايام ولا يبخل ببنتهِ على ابن صديقهِ وقد جرب الامتناع ولاقى اشد الاهوال دون الحصول على نتيجة ولم يعد في الامكان الا فروغنا من هذه الاهوال والمصائب وزواج عين الحياة وتركها وشانها مع زوجها واني بلسان سيدي الشاه سرور اقول لكم ان تبعثوا وتحضروها اليكم من قلعة الحديد وتزفوها حالاً قبل ان ياتي الفرس و ياخذونها و يمنعوننا عن مقاصدنا

قال ولما راى الشاه سرور ان وزيره وعموم الحاضرين قد وافقوا على هذا الراي لم يرَ بدًّا من الموافقة وقال في نفسه اني اقيم في ملاطية او في غيرها من هذه البلاد واترك بلاد اليمن فما من مطامع لي بعدها ولما راى انبوش ان الشاه سرور قد انعم واجاب فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وسال اباه ان يبعث من ياتي بعين الحياة . قال لا بد من ذلك . انما لما كنت اخاف على فقدانها امرت الامير فهد محافظ قلعة الحديد الموجودة هي بها الان ان لا يسلمها الا لمن يكون حاملاً خاتمي حتى اني ولو بعثت لهُ بكتاب من خطي وختمتهُ بخاتمي فلا يسلمها الا اذا راى نفس الخاتم ومن الموكد ان خاتمي لا اسلمهُ الا لرجلين وهما اما بيد اخطل وزيري واميني واما ولدي وولي العهد من بعدي . فقال بيد اخطل وقد خطر لهُ ان يبعث بانبوش الى جزيرة الحديد ليبل شوقهُ من عين الحياة قبل

بوقت و ياتي بها و برافقها في الطريق ونقع الالفة بينهما . ان من الصواب ان يذهب سيدي والدك مصحوبًا بعشرة من الامراء و بعضًا من العساكر و يحضرها على الاعزاز والاكرام . فوافقهُ الملك قيصر عليهِ وقال لولده انبوش سر انت من هذه الساعة واحضر عين الحياة ومتى انيت الى هنا عجلنا امر الزواج فلا تمضي ايام قليلة الا وتكون انت بعلاً لها . ففرح الامير انبوش وسال اباهُ ان يدفع اليهِ الخاتم فاعطاه اياه وامر عشرة من الامراء ان يرافقوه في طريقهِ الى قلعة الحديد فاطاعوه وذهب انبوش فاحضر من الثياب النفيسة والحلى الفاخرة ما يكل عن وصفهِ القلم وهو مسرور مزيد السرور من انجاز امره وقرب وقت قرانه بمن احبها . ثم دعا بالامراء فركب بهم وخرجوا من المدينة يقصدون جهة البحر وساروا على الطريق نفسهِ نحو ثلاثة ايام يسيرون في النهار و يبيتون في الليل حتى قربوا من البحر وثبت عندهم انهم في اليوم القادم يصلون الى جزيرة الحديد فنزلوا للمبيت في الارض التي رآهم بها بهروز كما تقدم الكلام فضربوا الخيام واكلوا وشربوا وانبوش مشغل الفكر بانهُ في اليوم الثاني سيلاقي عين الحياة و يجتمع بها وتكون برفقتهِ و يقدم لها من حبهِ ما يرضيها و يطرح لديها ما جاءها بهِ لتكون مسرورة منهُ وصرف الوقت بهذا الفكر وحولهُ الامراء وما منهم من يكلمهُ بكلمة لانهم يعلمون اهتمام افكاره بمقاصده . ثم انهم بعد صرف السهرة دخل كل الى خيمتهِ للمنام و بقي عند انبوش ثلاثة امراء ينامون معهُ فدخل كل منهم الى فراشهِ ونزل انبوش في سريره وهو لا يصدق ان يقدم عليهِ اليوم الثاني

فلما راى بهروز خلاء المكان قال الان وقت قضاء الاغراض ونوال المراد واسرع الى ظهر الصيوان فاقتلع الوتد ورفع طرفهُ قليلاً واشعل قطعة من البنج ورماها الى الداخل وارخى الطرف المرفوع حتى امتلا الصيوان من الدخان وثبت عنده ان الموجودين بهِ قد غرقوا بسبات النوم الثقيل وان قطعة البنج قد شملت الى اخرها ولم يبق منها شيء البتة فرفع طرف الصيوان ودخل منهُ بعد ان سحب الخنجر بيده ودنا من الامراء الثلاثة فذبحهم ثم دنا من انبوش وارسل خنجره الى صدره واعاده الى عنقهِ ففصل راسهُ بضربة و بعد ذلك فتش في ثيابهِ فوجد خاتم الملك قيصر ففرح غاية الفرح وسر مزيد السرور ووجد ايضًا الحلى والجواهر فاخذها وخرج من الصيوان وهو يكاد لا يصدق بما في يده و يتعجب من سرعة هذا التوفيق الذي وصل اليهِ من اقرب طريق واختطف الى رفيقيهِ طارق وشياغوس وحكى لهما ما كان من امر انبوش وانهُ حصل على الخاتم المطلوب ففرحا غاية الفرح وسرا مزيد السرور وقال لهُ طارق هيا بنا لنسرع الى الضفة قبل الصباح ونسير الى القلعة وناتي بعين الحياة في اليوم الثاني لاني موكد انهُ في الصباح تظهر حالة انبوش فيعود الامراء الى ابيهِ و يطلعونهُ على امره فيربط الطرقات بالعساكر ولا نعود نقدر على الخلاص . قال هيا بنا من هذه الساعة ثم اخذها وانحدروا مسرعين نحو الشاطي فوصلوا اليهِ في الصباح وركبوا قاربًا وساروا

الى الجزيرة فصعدوا عليها ودنوا من القلعة فطرقوا بابها ودعوا الامير فهد فجاء اليهم فقال له بهروز ان سيدنا الملك قيصر افتكر بعد غيابنا بالعلامة فبعثها مع رسول مخصوص من قبلهِ لنريك اياها ونطلب تسليم الاسارى الذين عندك ومن جملتهم عين الحياة فجفل الامير فهد من هذا الكلام وكاد لا يصدق ما يسمع وقال اروني العلامة فاراه بهروز الخاتم وقال له ان سيدي امر بعد اطلاعك عليهِ وتحققك اياه ان تعيده اليّ لارجعه معي اليهِ ولا ريب انهُ يكون مشغل البال خوفًا من ضياعه . وكان الامير فهد قد اشتبه في بادىءِ الامر بهولاءِ الثلاثة . وخاف جدًا من ان يكونوا من عياري الفرس الا انهُ لما راهم وقد عادوا بالخاتم تعجب جدا وامعن فيهِ فوجده نفس خاتم الملك . فلم يعد يسعهُ الا اجابة سوالهم . وفي الحال صعد امامهم السلم حتى انتهى الى غرفة عين الحياة فوجدها في كدر واضطراب تفكر بامر الرسل وهي لا تعلم من هم فلما راتهُ وقد جاء اليها انعطف فكرها الى انهُ جاء بحديث فقالت لهُ ما وراءك من الاخبار قال بشراك فانك ستزفين على سيدي الامير انبوش وتصيرين مالكة هذه البلاد فارجوك ان تذكريني لديهِ لاكون دائمًا بخدمتك وتحت انظارك فخفق قلبها وقلقت مزيد القلق وقالت الله من اطلعك على ذلك . قال ان الرسل قد عادوا ومعهم خاتم الملك وطلبوا تسليمك بالسرعة المقتضية . وكان اذ ذاك قد وصل بهروز فنظر الى عين الحياة فوجدها في حالة صعبة وقد علا وجهها الاصفرار وابتدأت ترتجف وتضطرب فخاف عليها من ان تقع الى الارض مائتة فاراد ان يسمعها صوتهُ لتدرك سر امره . فقال لها لا ينبغي ان تبطئي يا سيدتي فان سيدي بانتظارك وما وصلنا هذه القلعة الا بعد الجهد والياس واوصانا ان لا نتاخر دقيقة واحدة لانهُ علم ان بهروز العيار ساع في خلاصك

قال فلما سمعت كلامه هدأ روعها وتاكدت انهُ بهروز فكادت تطير فرحًا وتبين لها وجه الخلاص بحيلتهِ هذه فاجابته على الفور . اصبر قليلاً فان لي بعض حوائج ارغب في قضائها واذهب انت الى اسفل فسوف انحدر اليك مع امرأة سيف الدولة لان زوجها في الاسفل مسجونًا مع الامير قهر . قال ان سيدي الملك امرني ان اخذك مبجلة معظمة مع رفيقتك واما سيف الدولة والامير قهر فانهما سيبقيان في القيود لاني على ما اظن انهما يذهبان الى الموت فقد خطر له ان يعدمهما . ثم قال للامير فهد هيا فسلمنا اياهما ولا نتاخر فلا اقدر ان اذهب الا في هذه الساعة فسار بهِ الى السجن وسلمهُ سيف الدولة والامير قهر فدفعهما الى طارق وعاد فاخذ عين الحياة ونزل بها وهو لا يصدق انهُ يخرج من ذلك المكان ولما صار خارج القلعة وجد ان طارقا وشباغوس اخذا الاسيرين وخرجا قبلهُ فالتفت حينئذ الى الامير فهد وقال له اني اشكر معروفك لاعتنائك بسيدتنا والتفاتك لخدمتها ولا تواخذنا على اخذها منك في هذه الحيلة . فشعر الامير فهد بما كان وقال لم يخف عليّ قط امركم وكنت في شاغل من جهتكم قال ان كنت لا تزال في شك اخرج لنريك انفسنا من

نحن قال ماذا يهمني فاني فعلت بحسب امر سيدي . ثم اغلق الباب وعاد الى داخل القلعة وسار العيارون الثلاثة ومعهم سيف الدولة والامير قهر وعين الحياة ورفيقتها ولما وصلوا الى القارب فكوا قيودهما وعرفوهما بانفسهم ففرح سيف الدولة وبان لهُ وجه الفرج وقال ان الله لا يترك خائفيهِ المظلومين . قال لا بد لسيدي ان يكافيك على طاعتهِ بكل جميل واكرام ولا ينسى لك مفاداتك بنفسك وبلادك لاجلهِ وهم الان بحالة عز وانتصار ثم حكى لهم بهروز كل ما توقع من الاول الى الاخر بينما كانوا يسيرون على القارب . ولما وصلوا الى الشاطئ صعدوا منهُ وابعدوا عنهُ وصاروا في البرية وهناك وقف بهروز مطرقًا وقال لطارق ولسيف الدولة لا يمكننا ان نذهب على مثل هذه الحالة فلا بد ان نصدف في طريقنا احدًا فيعرفوننا ويلقون القبض علينا ولا سيما اذا كان بلغ الملك قيصر خبر قتل ابنهُ فيبعث بالعساكر والارصاد واكبر شيء يظهر حالتنا وجود عين الحياة معنا وامرأة سيف الدولة وسيف الدولة على هذه الصفة . قال طارق اني افكر بذلك ولهذا خطر لي ان تصبغ عين الحياة وسيف الدولة نسميها كعبدتين لان معي صباغ اسود لا يفرق عن العبيد السود مطلقًا . قال اصبت فاعطني اياه فاخرجه له فدفعهُ الى عين الحياة وقال ادخلي مع امراة سيف الدولة الى مغارة هنا واصطبغا بهذه الصبغة ونحن سنغير ملابسنا . ثم اعطى من تلك الصبغة الى سيف الدولة والامير قهر فاصطبغا وخرجا كعبدين اسودين بشدة اسوداد الليل فقال لهما كونا في خدمتنا فان بقاء كما على حالتكما يظهر لمن يرانا امرنا وبعد ذلك جاءت امراة سيف الدولة وعين الحياة مصبوغتين بذاك الصباغ ولم يكن السواد قادرًا ان يقلل شيئًا من جمال عين الحياة فان هيئة الحسن الطبيعية كانت لا تزال ترسل من جواذبها ما يكفي لانجذاب ابعد قلب عن الحب والميل الانقيادي اليهِ . وهكذا اصبح بهروز ورفيقاه بعد ان لبسوا ملابس رجال اليمن من الامراء وفي خدمتهم اربعة اشخاص من عبيد وعبدات ومن ثم استلموا طريق ام الروض مسرعين وهم غير مصدقين بالوصول

قال ولندع بهروز سائرًا ونرجع الى رجال الملك قيصر الذين كانوا مع ابنهِ في مسيره الى قلعة الحديد فانهم بعد ان قاموا في اليوم الثاني من رقادهم واستفقدوا ابن ملكهم وجدوه مذبوحًا مع الامراء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم فناحوا عليهِ وتكدروا جدًّا ولم يعلموا من الذي تجاسر على ركوب مثل هذا الامر الفظيع ولما لم يروا بدًّا من الرجوع الى الملك قيصر واطلاعهِ على واقعة الحال حملوا الجثة وساروا بها يبكون ويندبون وينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا المدينة على تلك الحالة ونعوا انبوش واشهروا خبر موتهِ فجفلت المدينة باسرها وارتاع سكانها باجمعهم وسقط الملك عن كرسيهِ عند وصول الخبر اليهِ ونتف لحيتهُ ومزق ثيابهُ وحزن الحزن الشديد واحضر الرجال الذين جاءوا بهِ واستعاد منهم الحديث فحكوا لهُ بالواقع وانهم لا يعلمون فاعل تلك

الجريمة فزاد بهِ الغضب وقال لا ريب ان هذا فعل عياري ايران فابعثوا في الحال بالعساكر ان تربط الطريق بين البحر وام الروض ومن وقفوا عليهِ او راوهُ ياتون بهِ الينا ولا يتركون احدًا قط لا غاد ولا رائح فاني لا اترك دم ابني يذهب هدرًا و ينفذ فيهِ سهم عدوه ولا بد ان اقتل بثاره ملوك ايران باجمعهم وافنيهم عن اخرهم ومن تلك الدقيقة ارسل بيد اخطل الوزير الرجال والفرسان وفرقهم في السهول والوعور وامرهم ان يقبضوا على كل رجل يرونهُ غريبًا او قريبًا و ياتون بهِ الى المدينة ووعد الملك قيصر ان من جاءه بقاتل ابنهِ اغناه واعطاه مزيد العطاء وجعلهُ من اخصائهِ فتامل كل من السائرين ان يتسهل لهُ نوال غاية الملك ولاسيما هلال العيار فان طمعهُ حركهُ الى الوقوف على ذلك القاتل والقبض عليهِ واكدت لهُ خبرتهُ ان القاتل هو بهروز ولا بد ان يكون عرف بسفر الامير انبوش فسطا عليهِ في الليل فقتلهُ وانتزع منهُ الخاتم وخلص عين الحياة وذهب بها الى فيروزشاه ولذلك جعل يخرج في النهار و يطوف في القفار يراقب الطرق على امل ان يرى عدو الملك وقاتل ابنهِ فياتيهِ بهِ . و بعد ان صار الجميع خارج المدينة وتفرقت الديادبة والارصاد اقام الملك مناحة ابنهِ وبكى عليهِ البكاء المر واجتمعت حولهُ النساء والرجال واكثر من ندبهِ كل ذاك النهار واليوم الثاني رفعوه الى مقبرة اجداده فدفنوه بها وامسى الملك بحزن شديد ينتظر عودة فرسانهِ وقبضهم على غريم ولده لياخذ بثاره

قال وكان اشدهم مصيبة طيفور لانهُ خاب املهُ وحبط مسعاه ولم تتم مقاصده فكادت مرارتهُ ان تنفطر وغاب وعيهُ واسودت الدنيا في عينيهِ وعرف ان الملك قيصر لا يرغب فيما بعد بعين الحياة وربما ينظر اليهِ والى الشاه سرور واولاده كاعداء الداء لانهم كانوا سبب موت ابنهِ واكثر غيظهِ كان من عدم التفات الشاه سرور اليهِ وانتباههِ الى كلامهِ وراى نفسهُ مهانًا من الجميع غير مسموع الكلمة من احد وخاف من ان تكون ايامهُ قد انتهت وقرب زمان انتقام الايرانيين منهُ لانهم قتلوا ابن الملك قيصر وربما كانوا استولوا على عين الحياة و بعد ايام قليلة يتملكون البلاد فلا يعوقهم عائق . و بقدر ما تكدر من قتل انبوش كان فرح الشاه سرور لان زواج بنتهِ بهِ كان على غير خاطره وكان يخاف من انهُ اذا تم قران عين الحياة وعلم فيروزشاه لا بد ان ينتقم منهُ اذا وقع بيده على انهُ ثبت لديهِ ان قيامهُ عند الملك قيصر صار منذ ذلك الحين قليل الاهمية و يكون كضيف الى ان ينتهي امر القتال وقد وطد عزمهُ انهُ اذا عادت اليهِ عين الحياة واطلقت من القلعة وملك قيادها اخذها وسار الى عساكر ايران ووقع على الملك ضاراب و زوج فيروزشاه بها واذا راى ان لا سبيل الى ذلك قتل نفسهُ وخلص من كل هذه المصائب او سعى بارسال اخيها اليها فيقتلها و يريح ذاتهُ من شر طلابها و يكون ذلك بطريقة خفية عن الجميع فيقال اذ ذاك انها ماتت موتًا عاديًا

قال و بينما كان بعض القواد الذين بعثهم الملك قيصر يطوف في تلك الجهات ومعهُ جماعة من الفرسان نظر عن بعد عدة اشخاص آتين وكانوا هولاء هم نفس بهروز والذين معهُ فاكمن لهم في جهة من الطريق وامر الفرسان ان تنقض عليهم عند وصولهم وتقبضهم ليرى من هم وكان بهروز يسير بسرعة اخنشاء من الوقوع بايدي الاعداء وهو يطلب الوصول الى جيوش الملك ضاراب بسلام الا انهُ ما وصل الى تلك الناحية حتى راى الفرسان قد داروا بهِ من كل مكان وقبضوا عليهِ وعلى من معهُ فلم يعمد الى الدفاع بل عمد الى الحيلة وقال للقائد لما هذه المعارضة ولم يسبق قبل ولا سمع ان يقبض على التجار وابناء السبيل قال من انتم ومن اين آتون . قال نحن في الاصل من اليمن انما نتاجر في جهات الارض وننتقل من بلد الى بلد وفي هذه الايام كنا في جهات الشام بعنا بضائعنا وربحنا ارباحًا موافقة وفكرنا في ان نبتاع بضائع لبلادنا غريبة فخطر لنا ان ناتي هذه البلاد ولا سيما ان سيدنا الشاه سرور عندكم ولما اتفقنا على هذا الراي خرجنا من دمشق نقصد هذه الجهة انما جهلنا الطريق جعلنا نتشتت فكنا تارة نهتدي وتارة نضيع وقد استدللنا من نحو ثلاثة ايام فقيل لنا ان المدينة قريبة من هنا فسرنا لكنا لم نسر في الطريق المستقيم وعرجنا على غير ارادة منا فاذا بنا قد وصلنا البحر فتكدرنا من ذلك . ثم استلمنا هذا الطريق وسرنا عليهِ ولا نعلم الى اين نتوصل . فبالله عليك ان تدلنا الى جهة المدينة علنا نصل اليها بامان قال ان سيدي الملك قيصر امرني ان اقبض على كل من اراه في طريقي وابعثهُ اليهِ ولذلك ساسير بكم اليهِ فاذا لم تكونوا المطلوبين اطلقكم واكون قد اوصلتكم الى المدينة . قال بهروز لا تسبب لنا الاهانة فما نحن من ادنياء الناس ولا لسيدك الملك فينا نفع . قال هذا لا بد منهُ وان كان يترجح لي انكم من اليمن ولكن خوفًا من اللوم والمحذور . ثم ساقهم امامهُ وسار وهم بحالة رديئة ولا سيما بهروز فانهُ كان امل بالخلاص وقرب الوصول الى فيروزشاه بعين الحياة فخاب قصده وانقطع املهُ وكان كل خوفهِ من هلال العيار لانهُ يوكد ان لا بد لهُ من ان يعرفهم و يعرف عين الحياة ولو اختفت تحت اي صفة كانت . الا انهُ راى ذاتهُ عاجزًا عن الدفاع ولا يقدر على المقاومة فسلم امره لله وسالهُ الخلاص وساروا جميعهم نحو المدينة والقائد في مقدمتهم وعند دخولهم اليها صادف مرور هلال العيار فتقدم منهم ليرى حالهم ودنا من القائد فسالهُ عن سبب رجوعهِ فاخبره بامر الذين معهُ وما سمع منهم فتقدم اليهم وعرفهم واحدًا واحدًا الا انهُ تكدر كيف انهم وقعوا في يد القائد ولم يقعوا في يده فقال في نفسهِ لا بد من اخذ انعام الملك فانال عنده رتبة عالية ولهذا السبب عمد الى خلاصهم منهُ وتسليمهم لهُ ليتاجر بهم امام الملك قيصر ويقبض عطاه وللحال دنا من القائد وقال له لقد اخطأت يا سيدي وتركت الطريق لينجو الغريم فهولاء الذين قبضت عليهم هم من تجار اليمن واني اعرفهم حق المعرفة ولا ريب ان عند وصولهم الى الملك قيصر يطلعونهُ على امرهم فيطلقهم وتعود انت بخفي حنين

و ينجو القاتل وتحرم الانعام . قال لقد اصبت فاني كنت اتردد في ذلك ولم يطرق ذهني قط ان
هولاء الرجال قتلوا ابن الملك واني ساعود من هذه الساعة الى ما كنت عليهِ قبلاً واسلمهم
اليك كونهم من جماعتكم تفعل بهم ما يليق من كرامتهم واعتذر عنا عندهم ثم امره ان ياخذهم وكرَّ
هو راجعًا الى محلهِ الاول نادمًا على قبضهِ عليهم واسرع ليقيم في الجهة التي كان فيها قبلاً واما هلال
فانهُ فرح غاية الفرح وامل الانعام العظيم والخير العميم الا انهُ خاف من ممانعتهم وان يتخلص احد
منهم قبل وصولهم الى الملك وخطر له ايضًا ان يبقيهم في مكان و يذهب الى الملك قيصر يشرط
عليهِ كثرة الانعام والاكرام فمال بهم وهم موثوقون بالحبال الى خربة داخل باب المدينة بابها الى
الداخل وظهرها الى الخارج فادخلهم الى تلك الخربة لا يقدرون على المدافعة والممانعة وهم موقنون
بالهلاك وقد ثبت عند بهروزانهُ عرفهم حق المعرفة وادرك قصده وغايتهُ فصبر على حكم القضاء
وهو في قلق واضطراب بوجود عين الحياة معهُ على تلك الحالة لانها تكون كبرهان عليهِ بقتل ابن
الملك ونزع الخاتم منهُ ولما دخلوا الخربة سد عليهم بابها واسرع الى جهة الملك قيصر وهو لا يصدق
في هذا النجاح بعد نفسهُ بالغناء العظيم والرتب العالية وان يكون مقدمًا عنده على غيره ولما دخل
الديوان وجده في صدره وهو لا يزال بثياب الاحزان يبكي و يندب ولده فوقف بين يديهِ وقال
لهُ اعلم ياسيدي اني قد وقعت على قاتل سيدي انبوش المتجاسر على اعدامهِ فمال الملك بكليتهِ اليه
وكذلك كل من حضر وقال الملك افد من هو هذا المرتكب الجاني فاعلمني بهِ واذا قدتهُ اليَّ
اعطيك المال الغزير واقطعك بلادًا برمتها . قال اعلم ياسيدي اني لما كنت متاثرًا من قتلهِ
وحزني عليهِ شديدًا كان يترجح في ان فاعل هذا الفعل هو بدون شك من عياري ايران فانسحبت
لوحدي واكمنت في بعض الطرقات واتخذت لي مسكنًا بين بعض الاكام على امل انهُ متى قطعت
الامل من مصادفة احد فيها دخلت خيام الاعداء واستعلمت عن القاتل اذ لا بد ان يكون عندهم
خبر بهِ . و بينما انا على مثل ذلك واذا لاح لي بعض جماعة آتين لجهة ام الروض فانحدرت اليهم
وكان الوقت اذ ذاك المساء فنزلوا في مغارة هناك وهم امنون من طوارق الحدثان فصبرت عليهم
الى منتصف الليل واتيت المغارة واشعلت البنج ثم دخلتها واذا انا ببهروز العيار ومعهُ طارق عيار
الوليد وشياغوس النقاش و برفقتهم ايضًا عبدان وعبدتان وكلهم قد وقعوا بفعل البنج فاوثقتهم
بالحبال وانا متاكد انهم هم المعتدون على سيدي و بعد ان اوثقتهم جيدًا وامنت شرهم ايقظتهم
ونامامت العبدين اللذين معهم واذا بهما سيف الدولة والامير قهر وكذلك العبدتين وهما عين الحياة
وامراة سيف الدولة فثبت لدي ماتوهمتهُ قبلا كل الثبوت اذ لا بد من انهم بعد قتل سيدي
المرحوم نزعوا الخاتم منهُ وساروا الى قلعة الحديد فاخرجوا من فيها بواسطتهِ وهم يلبسون ملابس
تجار اليمن وعلى ذلك قدتهم الى اطراف المدينة وابقيتهم في احدى الخربات لتامر لي بجماعة كي

احضرهم بين يديك اذا شئت احضارهم او تامر بقتل بهروز ورفاقهُ لانهم يستحقون القتل والعذاب فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام سقط عن قلبهِ بعض من الهم لانهُ كان يتشوق الى اخذ الثار من قاتل ولده . وقال لهلال خذ معك جماعة من حجابي واحضرهم جميعاً الى امامي بالصفة التي هم عليها واني احب ان اري الشاه سرور ابنته على تلك الحالة وميلها الايرانيين ولولا ذلك لماقبلت بالاتيان معهم وسلمتهم نفسها وامنتهم على جسدها ليصبغوه بتلك الصبغة رغبة بالخلاص منا . فوقع هذا الكلام على الشاه سرور احد من ضرب الحسام ولم يقدر ان يفه بكلمة وقد استحى من الحضور وتمنى ان لايكون قد خلق والتفت الى ابنهِ الشاه اسد وكان بجانبهِ وقال لهُ اذهب الى اختك ودبر امرها وامتها باي حيلة كانت ولا تدعها تحضر الى هذا المحضر على تلك الصفة فتزداد فضيحة وعارا ويحكي الجميع بعرضنا فالعن الله هلالاً وخبثه وقد كان احرى بهِ ان يخفي امرها ولا يظهره للملك قيصر. فاجاب الشاه اسد وسار بجانب هلال واخبره بامر ابيهِ فلم ينتبه اليهِ حق الانتباه طمعاً بنوال المال . وسار هلال وعشرة من الحجاب يقصدون تلك الخربة لاحضار من فيها الى ديوان الملك قيصر انفاذاً لامره

قال واما ما كان من بهروز وجماعتهُ فانهم بعد ان تركهم هلال وذهب الى جهة الملك قيصر كما تقدم معنا بقوا في حيرة واضطراب وخوف وقال بهروز لا ريب ان هذا الخبيث وضعنا هنا وذهب ليبيعنا بيعاً للملك واني اسال الله ان يهدينا الى طرق الخلاص لنعيد كيده في نحره . فقال شياغوس ان عندي طريق للخلاص سهل جداً . قال وما هي . قال لا اخفاكم ان الله قد خلق فيَّ عجيبة وان تكن في سواي وهي اني اذا وضعت الحديد بين اضراسي وضغطت عليهِ قطعتهُ فليدر احدكم كتافهُ فاحاول قطع طرف الحبل ومتى حل احدنا فك الباقين واطلقهم ففرحوا لذلك . وتقدم بهزاد وقال لهُ فك كتافي اولاً ففكهُ باسنانهِ وانطلقت يداه ففرح غاية الفرح وتامل بالنجاة وبادر الى فك وثاق الباقين ولم يكن الا نحو ساعة من غياب هلال العيار حتى اصبح كلهم بحرية تامة من جهة ربطهم . وبعد ذلك قال بهروز اني سانسلق هذا الحائط وارفعكم واحداً واحداً وادليكم الى الخارج وليكن ذلك بكل سرعة قبل مجيء هلال فانهُ لا يلبث ان يعود الى هنا . قالوا افعل ما بدا لك فالنجاة بالاقدام والتدبير . وفي الحال اخذ الحبال فشدها الى بعضها وقرب شياغوس من الحائط لانهُ كان طويلا جداً وصعد على اكتافهِ وارتفع من على راسهِ الى اعلى الحائط كانهُ فرخ من فروخ الجان ووقف عليهِ وانزل الحبل فربطت عين الحياة نفسها فسحبها ودلاها الى الخارج ففكت نفسها ثم سحب بعدها سيف الدولة وزوجتهُ وقهراً وطارقاً واحدا بعد واحد ولم يبق الا شياغوس وحده واذ كان مزمعاً ان يدلي لهُ الحبل سمع صوت هلال يفتح باب الخربة فارتبك بهروز من اتيانهِ وعلم انهُ اذا صبر لبينما يسحب شياغوس راه هلال فقاطع عليهم الطريق ومسكهم كلهم

ولذلك قفز الى الخارج وهو يتحسر ويتاسف على عدم مقدرتهِ لخلاص شياغوس وقال لمن معهُ هلموا بنا فلنذهب ركضاً فان هلال دخل الخربة ولا بد ان يعرف بهربنا فيتأثرنا بالرجال والفرسان ولا ينجينا الا الجري والركض لاننا مشاة وليس لنا خيل فتحملنا فاسرعوا في المسير وما بعدوا عن المدينة نحو نصف ساعة حتى اشرفوا على اول السهل فركبوه وساروا عليهِ يقصدون ارض ام الروض

ولما دخل هلال ومعهُ رجال الرومان لمسك بهروز ورفقائهِ لم يرَ الا شياغوس النقاش وحده وقد اصابهُ دوار قوي منعهُ عن الوقوف فرمى بنفسهِ الى الارض فدنا منهُ هلال العيار متعجباً وسالهُ عن بهروز وعين الحياة وبقية من معهما فلم يجبهُ بشيءٍ ولا رد عليهِ بكلمة فصاح بهِ وقال لهُ من خلصهم من هنا والى اين ساروا اعلمني والا نحرتك من الوريد الى الوريد فلم يسمع لهُ ولا اجابهُ وكان يقصد بذلك تطويل الوقت لبينما يتاكد ان بهروز قد صار في البراري وصار من الصعب لحاقهُ ومن ثم تقدم اليهِ بعض الرجال واشهر في وجههِ السيف وقال لهُ اعلمنا اين ذهب رفاقك والا قتلناك قال ان لذلك قصة طويلة لا احب ان احكيها الان ولا ابديها الا امام الملك قيصر فالحوا عليهِ فلم يستفيدوا شيئاً فالتزموا ان يحملوه الى الملك قيصر فحملوه الى هناك واوقفوه امام الملك وقال لهُ هلال اعلم ياسيدي ان هذا الرجل يدعى شياغوس النقاش وهو من رجال الملك ضاراب وقد كان مع بهروز وعين الحياة وسيف الدولة الذين اودعتهم الخربة فلما عدنا لنحضرهم بين يديك لم نرَ رفقاءهُ بل وجدناه وحده في ذلك المكان فسالنا عن الباقين فلم يخبرنا فاتينا بهِ اليك . فقال لهُ الملك اخبرنا يا شياغوس بالعجل اين ذهب رفاقك فنعفو عنك . قال اسمع لي ياسيدي فاني مطلعك على كل شيءٍ من البداية الى النهاية وسبب قتل ابنك . وذلك اني كنت انا قبل ان دخلت العيارة وتعاطيت هذه المهنة نقاشاً انقش الصور وازخرف القصور ولم يكن ابرع مني لاني تعلمت عند طيطلوس وزير الملك ضاراب ولا خفاك ان هذا الوزير من اعقل الناس واخبرهم واحكمهم ما ترك فناً الا وتعلمهُ ولا سمع بعلم الا واتقنهُ . فصاح بهِ الملك قيصر وقال لهُ ويلك ما معنى هذا الكلام فاننا نسالك عن رفاقك وانت تبعدنا بالحديث فاخبرنا اين ذهب بهروز والذين معهُ . قال اني ساوصلك يا سيدي الى هذا الحديث واعلمك بهم انما لا يطيب لك ان تعرف ذلك ما لم تطلع على كنه المسالة وما وراءها . واحب ايضاً ان اخبرك ان بهروز ابن غول ووجد في البرية فرباه

انتهى الجزء الرابع عشر من قصة فيروزشاه

وسيليهِ الخامس عشر عما قليل ان شاء الله

الجزء الخامس عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

فيلزور البهلوان بهلوان بلاد فارس وحاميها ابو بهزاد الذي قتل خرطوم واسر تمرتاش وفعل بكم الافعال العجيبة واذا شرحت لكم عن اعمال فيلزور تتعجبون غاية العجب اكثر ما تتعجبون من اعمال بهروز. فتمزعت احشاء الملك قيصر وقال له دع عنك الهذيان والفشار واخبرنا بخبر رفاقك واين ذهبوا. قال اعلم ياسيدي انهم لم يكونوا في الاصل رفاقي كلهم لان احدهم طارق العيار وهو من عياري الوليد وقد خدم سيدي الملك ضاراب لما راه كثير الحلم رقيق الحاشية يعرف قدر خدمه وحشمه ويراعيهم حق المراعاة حتى انهم يفدونه بانفسهم وبالحقيقة ان لا ملك على وجه الارض مثله والثاني هو سيف الدولة وهذا لم يكن ايضاً رفيقي لانه كان ملكاً وجرى له ما جرى وقبضتم عليه غدراً اذ ان فهر ومهر قد خاناه. واما ثالثهم فهي سيدتي عين الحياة ومن ابن لي ان اكون لها رفيقاً وهي سيدتي ومولاة الفرس اجمعهم لانها لاتلبث ان تصبح زوجة لفارس فرسان هذا الزمان وسيد مواليه الذي اذا ذكر اسمه عند الملوك الكبار اهتزت في كراسيها وخرت الى الارض سجداً واذا سالتني عنه ولم تتهمه فهو فيروزشاه مذل الاسود ومبيد الجبابرة العظام من اوجده الله نقمة لكل طاغٍ وباغٍ وقد جاء هذه البلاد ليدعها خراباً ولا يترك فيها عاصٍ وينشر الالوية الفارسية فوقها فتصبح كل هذه البلاد له وتحت طاعته ومن عانده كان جزاه الهلاك والاعدام وقد يشهد على كلامي هذا عدوك طيفور السامع الان قولي. فاغتاظ الملك قيصر من كلامه وتكدر من قوله وعزم على امر بقلته لولا انه محتاج لان يعرف سبب موت ابنه ومن الذي قتله وكيف كان خلاص عين وسيف الدولة. واما طيفور فانه غمر وانفطرت مرارته وعيل صبره فقال الملك دعك ياسيدي من هذا الهذيان وارسل العساكر في اثر الفارين فلاريب انهم يقصدون معسكرهم ويسيرون الى جهة ام الروض. قال صدقت واصبت ودعا في الحال بقائد من قواده وامره ان يركب بعشرة الاف فارس ويقصد ذاك الطريق ويقبض على كل من راه فيه ويبعثه اليه فامتثل القائد امره وسار مسرعاً الى انفاذ امر سيده. ولما راى شياغوس ان المطاولة لم تعد تفيد وان العساكر سارت في اثر بهروز تكدر لعلمه انهم لا يزالون في الطريق وانهم ما بعدوا الا القليل كونهم مشاة ولا يسيرون كما اثريهم وعليه فعاد الى كلامه والى ان يخبر الملك بواقعة الحال فاعاد عليه كل ما كان من امرهم الى ان التقوا بابنه وسار اليه بهروز ونزع منه الخاتم ورجع الى قلعة الحديد وجاء بعين الحياة وسار قاصداً ام الروض وقبل ان يصلوا اليها بساعات التقى بهم قائد من قواده فقبض عليهم وجاء بهم

يحضرهم اليه وعند وصولهم الى المدينة احتال عليه هلال واخذهم ليربح بواسطتهم الاموال الغزيرة
وبشرط عليه الشروط العائدة الى نفسه وخيره وسار بهم فوضعهم في خربة هناك ورجع بنهي عمله
معه وينال مواعيده . وحكى له ايضاً كيف تخلص بهروز والذين معه فلما سمع الملك قيصر هذا
الكلام امتلأ قلبه غيظاً من هلال ومن عمله وقال له لولم انيقن انك ناصح في خدمتي لامرت بقتلك
الان . انما لا بد من مجازاتك على تضييع قتلة ولدي من بدي ثم امران يضرب خمسين سوطاً على
رجليه فضرب حتى سال الدم منهما وبعد ان رفع من تحت السياط قال له الملك اني عفوت عنك
لما سبق منك من الجهد والجد في سبيل خدمتي واعدك اني انعم عليك اذا ارجعت اليّ قاتل ولدي
وانيتني بما يشفع عندي في ذلتك التي هي من اكبر الذلات . فصبر هلال على هذه الاهانة واراد
الانتقام من شياغيوس النقاش على ما سبب له من الضرب . فقال للملك ليس يا سيدي من امر
عسير عليّ فلا بد من ان اقود اليك كل قتلة ابنك وفوقهم اسيادهم . وبما ان شياغوس هذا هو
احدهم اي شريك بهروز في تعديه على سيدي الملك فامر بقتله وكل ما انيتك بواحد اريد منك
ان تقتله وتعدمه الحياة لنخلص من شره . قال اصبت ثم امران يوخذ شياغوس النقاش ويقطع
بالسيوف بحيث لا يبقى من لحمه قطعة كبيرة فاخذوه الى الخارج وقطعوه بالسيوف قطعاً والى هنا
الحد انتهت حياة شياغوس النقاش المسكين الذي كان سبب ايصال الحب الى قلب عين الحياة كما
تقدم معنا كلامه وخدم بعد ذلك دولة ايران بامانة وصداقة كعيار من مقدمي العيارين .

قال واما ما كان من العساكر التي سارت في اثر بهروز فانها سارت مسرعة على ظهور خيولها
لا ياخذها هدو ولا صبر حتى توصلت الى الطريق واذا بها رات الفارين يسيرون امامها وهم
مشاة فطمعت في مسكهم واطلقت الاعنة وكلهم يصيحون صياح الفرح بنوال المراد وكان بهروز يسير
مع رفاقه الى جهة عسكر الملك ضاراب وهم يسرعون في سيرهم حتى تعبت عين الحياة [illegible] عند
الدولة من المسير وخارت قواها فتكدر بهروز من ذلك وقال لها اذا كنتما لا تسيران بسرعة [illegible]
الاعداء فكانتا تسيران قليلا وتقعدان للراحة الى ان تبينوا من ورائهم عساكر الرومان وهي كالبحور
الزواخر وقد تفرقت من كل الجهات واطلقت نحوهم الاعنة فايقن بهروز بالتلاف وتكدر من هذا
الامر وقال لعين الحياة هيا يا سيدتي فاركضي علنا نتخلص من هولاء الرجال فلا قدرة لنا على
مقاومتهم فتتفوت قليلاً وركضت خوفاً من الوقوع في ايدي الاعداء انما لم يطل معها ذلك لانها لا
تقدر ان تخلق قوى جديدة فقصرت وقصر الجميع ما عدا بهروز وطارق فكانا يستنهضان همة
الجميع ويطلبان اليهم السرعة في الجري ولكن دون جدوى حتى وصلت اليهم العساكر ومسكتهم
واحداً بعد واحد ما عدا بهروز فانه انطلق في ذلك السهل كذكر النعام واندفعت من حوله الفرسان
تطلب القبض عليه دون ان يتيسر لها لانه لما راى ان في السهل لا سبيل له للنجاة اذا دام على ركضه

خوفًا من ان يكون في تفرق الفرسان من حواليه من يقطع عليه الطريق اذا كان جواده سابقًا ولذلك عرج الى جهة الجنوب وتسلق الاكام كالغزال في قفزاته حتى قصرت الخيل عن لحاقه وثبت عنده انها عاجزة عن مسكه فكرت راجعة تعض على اكفها من الغيظ لانه هو وحده المطلوب الى ان اجتمعت الى بعضها وكلها في تحرق وتحسر وكدر وغيظ من فوات بهروز ووقفوا يتشاورون فيما يفعلون وكان مجمل الغيظ والحنق والكدر والخوف والاضطراب واليأس والمصائب ونحوها منصبًّا على عين الحياة وتمنت ان تموت وطلبت الفناء والعدم ولا تصل بتلك الحالة امام الملك قيصر ويشاهدها الجميع كجارية سوداء هاربة الى نحو فيروزشاه لقضاء غايتها. وقد ثبت عندها ان لا نجاة لها الا بمساعدته تعالى لان رجال الفرس بعيدون عنها والفرسان الذين حولها كثيرون يبلغ عددهم نحوًا من عشرة الاف فارس لا يمكنها ان تحتال بالخلاص وقد اهانوها كل الاهانة واوثقوها كما توثق الرجال وما من واحد منتبه اليها بل يفكرون في القبض على بهروز ولذلك رفعت راسها الى السماء وفتحت اكفها بالدعاء وقالت اسالك يا اله السموات. ورافع الشدات. ودافع المصائب والويلات. وجامع الشمل بعد الشتات. ومعيد الابناء الى الامهات. وكاشف عن خليقتك الضعيفة الضيقات. يا ابا الرحمات. وباعث الخيرات. ومنبع الماء من الجمادات. يا من خلصت يوسف من الجب. وسكبت عليه مراحم الحنو والحب. وصيرته ملكًا وسيدًا نبيلًا بعد ان كان محبوسًا ومهانًا ذليلًا. واعدته الى ابيه يعقوب. بعد مقاساته الاوجاع والكروب. وحفظت دانيال في جب الاسود. وصببت عليه انابيب الاقبال والسعود. اسالك بانبيائك الكرام. ورسلك العظام. وكل من له عندك رفعة ومقام. ان تحفظني من هولاء الاعداء اللئام وتعيدني بامان وسلام الى فيروزشاه الليث الهمام. اذا كنت كتبت لي به نصيبًا بالحلال لا بالحرام. والا فعجل عليَّ بالهلاك والاعدام

قال وما فرغت عين الحياة من دعائها وهي تذرف دموع الحسرة والهم الا وسمعت صوتًا قد انحدر من بين تلك الاكام ارتجت له السهول والوديان واضطرب جيش الرومان باجمعه واهتزت الارض من تحته ومالت الاشجار ذات اليمين وذات الشمال كان عصفت بها عواصف الارياح الثقال. وفارس خرج من وادٍ في تلك الجهة راكب على جواد كانه الجبل في الارتفاع وهو من فوقه كالجبل الراسي وبيده عمد يبلغ طوله العشرة اذرع وعرضه ذراعان من الحديد الثقيل العيار وقد غط على تلك الفوارس كما يغط الباشق الكبير على العصافير الصغار وضرب فيهم بعمده المذكور. وانزل عليهم بلاء الله المشهور. وفرقهم بضرباته ذات اليمين وذات الشمال. وشردهم كما تشرد افراخ الجمال. حتى وصل الى عين الحياة فرفعها الى وراه واطلق سيف الدولة وزوجته وطارقًا وقهرًا وقال لهم سيروا فما من خوف عليكم فاني واقف لكم بالمحافظة ولا ادع احدًا يصل

اليكم . ثم مال ثانية الى جيوش الرومان واعاد عليها الضرب كما كان حتى ابعدها عن ذاك المكان .
ولم يترك لها من اثر فيه وعاد من حيث اتى وعين الحياة وراءه لا تعلم من هو ومن اين جاء حتى
كادت تغيب عن الهدى وقد ثبت عندها ان الله بعثهُ لها اجابة للدعاء . ولما راى بهروز هذه الحالة
تعجب غاية العجب واخذ يجري خلف ذاك الفارس المقنع وهو يجهل امره ولا يعلم من هو وجعل
يصيح و ينادي و يطلب اليه ان يقف ليكلمهُ فلم يصغ لهُ ولا التفت اليه بل باسرع من لمح البصر غاب
مختطفاً كالبرق عن عينيهِ فكاد ينشق من الحنق وهو لا يعلم شيئاً عن هذه الحالة ولا يعرف ابن مقر
عين الحياة ليخبر سيده بوجودها الا انهُ راى لا مندوحة لهُ عن العودة الى معسكر الملك ضاراب ليطلع
فيروزشاه على كل ما كان من امره عساه يرى طريقة يطلع بها على مكان وجود محبوبتهِ وجاء الى
سيف الدولة ومن معهُ وهناهم بالسلامة . وقال لهم لو فعل معنا ذاك الفارس رحمة لكان اعطانا عين
الحياة ولا بد من سر عجيب تحت هذه الظواهر التي رايناها في هذا الفارس فما هو من رجال الانس والا لما
قدر ان يفعل بعشرة الاف فارس هذا الفعل العظيم ببرهة وجيزة فهلموا بنا نخبر قومنا فهم اوسع منا
فكراً واكثر تبصراً ولا سيما الوزير طيطلوس مدبر مملكة الفرس وحكيمها وفيلسوفها . ثم ساروا
الى جهة معسكرهم

واما فرسان الرومان الذين تشتتوا في تلك القيعان فانهم داموا في مسيرهم وهم يلتفتون الى
الوراء خوفاً من ان يكون الفارس يتاثرهم حتى وصلوا المدينة فدخلوها آمنين ووقفوا بين يدي
قيصر وشرحوا لهُ كل ما توقع لهم من حين خروجهم الى حين رجوعهم فتعجب كل من حضر وشغلت
عقولهم بذاك الفارس و بفعلهِ الذي لم يسبق ان سمع بمثلهِ قط بين فرسان الزمان وصار كل يشتاق لان
يعرف من ذاك الفارس الذي خلص عين الحياة وفعل هذا الفعل لاجلها . ولا سيما الشاه سرور
فانهُ تاثر من غياب بنتهِ وتاقت نفسهُ الى ان يعرف من الذي قدم على مثل هذا العمل غير انهُ وجد
من نفسهِ سلوى فقال خير عندي ان تهلك وتعدم ولا اعود اراها فيما بعد من ان تحضر في تلك
الحالة بين هولاء الجماعة ولو حضرت ماذا يا ترى كان يحل بي انما الله لم يقصد لي اهانة ولا اراد
لي فضيحة بل بعث من عالم غيبهِ من ستر لي عرضي ومنع عني العار والتنديد وهكذا قد ارتاح ضميره
وبقي الملك قيصر في قلق واضطراب من كل هذه الحوادث المكدرة ومعاندة الدهر لهُ و بات ينتظر
قدوم عساكر الصين وفرسانها وابطالها ليضمها الى العساكر الكثيرة التي كانت ترد اليه يومياً
من جهات مختلفة

قال واما بهروز والذين بقيوا معهُ فانهم ساروا جميعاً حتى وصلوا الى ارض ام الروض الى
المكان المقيم فيه الملك ضاراب وكان فيروزشاه في مدة غياب بهروز مقيماً على الانتظار لا يعرف
كيف كانت احوالهُ وهل يتوفق الى المطلوب و ينال المرغوب او يرجع بخفي حنين لا جدوى ولا

نتيجة وبقي على ذلك مدة وقد طال عليهِ المطال وشغل بالهُ واضطرب من غياب عياريه كل هذه المدة دون ان يصل اليهِ منهم خبر وخاف من ان يكونوا قد وقعوا بيد الرومان ففعلوا بهم سوءًا اما اسروهم واما قتلوهم ودام على هذه الحال وهو في كل يوم يؤمل ان يصلوا اليهِ حتى كاد يقطع الرجاء من عودهم واذا بهم قد جاءوا ودخلوا المعسكر وانتشر خبر وصولهم بين الجميع ولا سيما خبر وصول سيف الدولة ففرح بهِ الملك ضاراب مزيد الفرح وهنأه بالسلامة والخلاص من يد الاعداء ووعده بالجميل والخير وانهُ يعوض عليهِ اضعاف ما لحق بهِ وان يجازي لهُ اعداءه بالويل والوبال فشكره على معروفهِ والتفاتهِ ومدح لهُ من عياره بهروز ومهارتهِ وكان فيروزشاه حاضرًا وهو يتقلب على جمرات الضجر يشتاق ان يعرف ماذا جرى على عين الحياة وكيف لم تحضر معهم وهل انهم وصلوا اليها او لم يتيسر لهم ذلك وقد ضاق صدره ولم يعد يقدر على احتمال السكوت فسأل بهروز ان يشرح ما كان من امر غيابهِ املاً ان يعرف شيئًا عن عين الحياة وسالهُ اذا كان راها او علم بمكان وجودها . فاجاب في الحال واخذ يشرح كل ما كان من امر غيابهم فكان فيروزشاه يسر عند ما يسمع بذكر محبوبتهِ وزاد سروره وسرور جميع من حضر عند ما سمعوا بقتل انبوش ابن الملك قيصر ونزع الخاتم ورجوعهم الى القلعة واخراج كل من فيها الا انهم اكمدوا وارتاعوا عند ما ذكر بهروز خبر وقوعهم بايدي الرومان واخذ هلال لهم وخلاصهم ما عدا شياغوس فانهُ وقع بايدي الرومان ولا يعلمون ماذا جرى بعد ذلك عليهِ حتى وصل بهروز الى حديث الفارس وانتشالهِ عين الحياة من بين فرسان الرومان وفعلهِ بهم العجائب وغيابهِ بعد ذلك بسرعة تحاكي لمعان البرق فارتبك كل من حضر لما سمعوا وتعجبوا من عمل هذا الفارس ومقدرتهِ ونظروا الى فيروزشاه فوجدوه ملقى على ظهره وقد اصابتهُ رجفة عصابية ولم يعد يبي على احدٍ وغاب عن وعيهِ فخاف عليهِ كل من حضر في ذاك المحضر ودنا منهُ ابوه وقال لهُ لا يجب ان تدع لقلة الصبر واسطة بالتسلط عليك ولا تقطع رجاءك واملك من الوصول الى عين الحياة . فالذي حفظها كل هذه المدة وصانها من مفاعيل المصائب والحوادث قادر ان يحفظها لك كل الحياة فلا يدنو منها احد بشيء فلم يبدِ حركة ولا اجاب بكلمة ولذلك دعا الملك ضاراب بطيطلوس فقرب منهُ وارتاع من حالتهِ وعجب كيف ان رجلاً مثل فيروزشاه قهر فرسان الزمان وسطا على ملكوها وخرب بلدانها ودك كل حصن منيع وارعب الاساد في مرابضها يقع من جرى خبر صغير صادر عن الحب والغرام . ولم يلمهُ على ما اصيب بهِ واخذ شيئًا من الروائح العطرية فوضعها في انفهِ وسقاه من المنعشات ما يتقوى بهِ قلب المهموم المحزون وقال لهُ اني اوكد لك ياسيدي ان عين الحياة هي الان بامان واطمئنان وراحة وما من خوف عليها قط وهي محفوظة لك عند الذي اخذها ولا بد ان يكون في ذلك سرٌّ عجيب موجب لهذا العمل وانت تعلم اني لا انظر الى خفايا الاحوال الا نظر الحكيم العاقل

ولا اوجه بافكاري الى مستقبل الايام الا بالصحة والصدق . فاجابهُ من نفس حزينة اني لست ممن تضعفهُ المصائب والاهوال ولا انا ممن يسلم نفسهُ الى اهواء الصعوبات الحادثة ولو كنت اعلم محل وجودها ولو كانت في قلب البحار او داخل جبال قاف لكنت تراني صابرًا معلقًا الامل باني سانغلب على كل الموانع وادوس المصاعب واصل اليها . وعند ما كانت عند الاعداء كنت تراني دائمًا في مسرة وحبور وهمتي في ازدياد ونمو لاني كنت اوكد اني لا انال غايتي ولا اصل اليها الاَّ بالبسالة والاقدام والصبر على المصائب فادافع واقاتل لازيل تلك الموانع اما الان وقد ضاع الرجاء وخاب الامل ولا اعرف مكانًا لها ولا ارى المكان الموجودة فيهِ . قال هي كما قلت لك في مكان امين محفوظة لك وسيظهر لنا كل هذا الخفي بعد قليل من الايام اي بعد تسلطنا على المدينة واني اظن وظني لا يخطئ قط ان الذي اخذها هو نفس الذي اخذ خطيبة بهنزار قبار من البشر وقد وعدتهُ وطمنتهُ برجوعها واتكفل لك واعدك الوعد الصادق اني ابذل الجهد الى استرجاعها فما هي بيد أُناس من الانس واشهد عليَّ ابوك وكامل فرسانك ووزرائك اني اعيدها اليك معززة مكرمة مصانة من كل ما يكدرك و يغضبك

قال فلما سمع فيروز شاه كلام طيطلوس ارتاح اليهِ ضميره نوعًا وركن اليهِ كل الركون لما يعلمهُ من سعة اطلاعهِ على خفايا الامور ومعارفهِ الفائقة على كل من سواه من رجال ذاك الزمان وفلاسفتهِ وصبر على مضض وعلق املهُ بعناية الله الا ان الفراق كان لا يزال موثرًا في داخلهِ . و بعد ان ارفض الديوان وخلا بنفسهِ جمع كل حواسهِ و بعثها الى جهات الارض الاربع يفحص فيها عن عين الحياة وهو يشتاق ان يعرف اين هي وفي اي مكان ومن الذي اخذها اليهِ وما هي غايتهُ يا ترى منها حتى كادت تعود اليهِ اضطراباته وقلاقلهُ فباح بما في ضميره وجعل يسلي نفسهُ على فراق محبوبتهِ بالشعر فقال :

اذا ما نسيم الريح من نحوكم اسرا	اطار شرار النار من كبدي الحرّا
ابرق سرى والليل قد رق برده	فاسرى بقلبي عندكم ونفى الصبرا
اكل نسيم مرَّ بي يستفزني	وكل وميض لاح لي جدد الذكرا
ويوم النوى لا كان اذ فتكت بنا	واظهر فينا الحب ايتهُ الكبرى
اقول لنفسي حين عافت حياتها	الا فافرحي هذا الحمام الك البشرى
وكم طالما قد كنت تستعجلينهُ	اذا ما تجافوا عنك او اظهروا هجرا
لعلّ الردى يشفيك من لاعج الاسى	فان الردى بالصب بعد النوى احرى
وياقلب ما هذا اللهيب اكلما	نضحت عليك الماء صيرتهُ جمرا
وهل تنطفي نار الغرم وكلما	خبت بدموعي اوقدتها يد الذكرى

يا صاحبي بالله غيب بذكرهم وجودي عني فهو ما زال لي سكرا
عسى ينقضي عصر الفراق بحالهِ سواءً حلا عندي بها العيش او مرّا
وان مت فادفني بعيشك صاحبي مع الغربا واكتب على شدتي سطرا
الا رحم الرحمن حرًّا قضى اسًى ولم يسلُ عن الفهِ ولم يرتكب غدرا

وكانت حالة فيروزشاه في هذه المرة اصعب من كل ما مضى وقلبهُ لم يكن يطيعهُ على السلوى والتصبر وحبهُ كان يحركهُ الى التشوق والاطلاع على حالة عين الحياة ومحل وجودها وان كان لا يطمع نفسهُ بالحصول عليها وبوجودها معهُ في الجيش ليراها وتراه وصار يريد ان يعرف اين هي وفي اي مكان وهل هي بامان او بعذاب وهل الذي اخذها يطلب زواجها ويغتصبها عليهِ او لا غرض لهُ فيها من ذلك وهذا كان يقلقهُ في اكثر احيانهِ واوقاتهِ . وكاد يضيق صبره ويخسر عقلهُ ويعدم حواسهُ لولا ملازمة واعتناء طيطلوس لهُ في اكثر اوقاتهِ وتسليتهُ لهُ وتعليلهُ بالاماني والمواعيد

ولم تكن حالة بهنزار قبا اقل صعوبة من حالتهِ ولا غرامهُ اشد غرامًا من غرامهِ فانهُ بعد ان ذاق ما ذاق من حلاوة العيش واطمأن بالهُ على محبوبتهِ كليلة وحصل عليها وجاء بها مسرورًا خطفت من البئر ولم يعد يعرف لها خبر ولا قدر ان يعلم من خطفها وفي اي مكان هي . وقد زاد غياب عين الحياة اضطرابهُ وهيج بلبالهُ وذكره بها وكيف ان امد بعادها قد طال وما وصل اليهِ قط علم عنها ولم يبرح ضميره الا بمواعيد طيطلوس وتطمينهِ وكان كغيره من العشاق يسلي نفسهُ بالاشعار والانغام وشرب العقار ليضيع عن الصواب ومما انشده وردده

اسلموني لسهادي وسقامي وانفرادي
ابدًا ينقص صبري واشتياقي في ازدياد
اترى يذكرني من ذكرهم وردي وزادي
اترى يذكرني من كنت اصفيهم ودادي
من لقلب بات يصلى جمر شوق وبعاد
عن لي برق كليل دونهُ بيض غواد
مثل نار قد بدت للعين من تحت رماد
قدح النار باحشا ئي من غير زناد
اذكر القلب زمانًا قد مضى حلو المبادي
في دمشق جادها جو د دموعي والعهاد
فهو ما بين حنين وخفوق واتقاد

كم ليالٍ قد قطعنا ... ها بانس واتحاد
ومدام مثل برد السماء في احشاء صادي
فوق ديباج من الرو ... ض المندى وسط وادي
فيه للانهار تصفيـ ... ـق كتصفيق الايادي
وبه للطير تسجيـ ... ـع كصوت مستعاد
وغزال غير مامو ... ن على نسك العباد
سلبت عيناه مني ... ثوب نسك [illegible]ادي
سرقت بالسحر والغنـ ... ـج رقادي وفوادي
خانني من بعد صبـ ... ـري كما خان رقادي
فرثى لي كل من يأ ... لفني حتى سهادي
وبكى لي كل من يبـ ... ـصرني حتى الاعادي

وكان الملك ضاراب ايضًا في قلق واضطراب وانشغال بال من جهة غياب عين الحياة وخاف كل الخوف ان يكون بعد مقاساتهِ كل هذه الاهوال وعذابهِ في الغربة والحروب ووصولهِ الى ابعد مكان عن بلاده في طلبها تفقد من يد ولده ولا يعود يطلع لها على خبر واثر فيهِ هذا الامر كثيرا وكان يرغب في ان يعرف الذي اخذها واخفاها من هو وفي اي مكان وكان يشتاق جدًّا الى نهاية حربهِ مع الرومان ليلتفت الى التفتيش والتحري عليها وجعل ديدنهُ الصلاة والسوال من الله ليتفت الى ولده ويجبر خاطره باعادتها اليهِ وزواجه بها واصبح ينتظر شفاء بهزاد شفاء تامًّا لانهُ كان يتقدم الى الصحة يومًا فيومًا تقدمًا تدريجيًّا جعل الجميع من جهتهِ بامان يوملون النجاح بسالتهِ ولم يقف قط احد منهم على خبر فرخوزاد بعد ان سالوا كثيرا وبحثوا كثيرا لان فيروزشاه كان يحبهُ حبًّا عظيما كونهُ كان رفيقهُ في بداية اسفاره وكان يتحمل عنهُ ثقل المصائب ويشاركهُ في الاحزان والاكدار والعذاب . ولم يكن يعهد فيهِ مثل هذا الغيظ الناتج عن الحسد الذميم مع انهُ من الابطال الصناديد والفرسان الاماجيد الذين هم بدرجة ثانية بالنسبة الى فيروزشاه وبهزاد وكان الملك ضاراب بانشغال فكر من جهتهِ ايضًا لا يحب ان يخسره ويضيعهُ لا سيما وهو ابن فيلزور الذي صرف العمر بخدمة دولتهِ والذب عنها والقتال عن حقوقها حتى انهُ قتل في سبيل صوالحها وكان ايضًا مشغل الفكر من جهة طهمور الذي كان قد اخذ اسيرًا وبعث الى المدينة القيصرية وبقي فيها مسجونًا متروكًا مع انهُ من عمد رجال الفرس ومقدميهم

قال ولنرجع بالحديث الى فرخوزاد فانهُ بعد ان ثبت عنده ان اخاه وقع الى الارض وظن بتاكيد انهُ قتل وفقد الحياة خرج هائمًا على وجههِ في الفلاة لا يعرف اي طريق يقصد ولا باي جهة

يسير ولما انفرد بنفسهِ وشعر بقباحة عملهِ انفطرت مرارتهُ وتاكد لديهِ انهُ ارتكب جريمة كبرى ضد الانسانية والدين وجعل ضميره يوبخهُ ويجسم عليهِ رداءة فعلهِ وحركهُ ارتباطهُ الاخوي بأخيه وحبهُ الطبيعي نحوهُ فابتدأ يبكي وهو هائم ويعض على كفيهِ ندامة وحرقة وتاسفًا وتمنى كثيرًا ان يقتل نفسهُ ولا يعيش بعد اخيهِ ساعة فيمنعهُ حب الذات ويرجعهُ له عن عملهِ واصبح بحالة صعبة جدًا وكلما تقدم بالمسير ثقل عليهِ ضميره وتهدده واهانهُ وعنفهُ حتى اصبح كالمجنون من تاثيرات الحزن والاسف الى ان اشرق النهار فبقي في مسيره ولم يقبل ان يعرج الى جهة بل قصد ان يبعد الى اقصى مكان ويعيش منفردًا بالجبال بين الآكام والتلال . ويعاشر الوحوش في الفلا ويبيت معها في المغائر ولم تعد نفسهُ تطيعهُ الى ان يرى بشرًا . وبقي سائرًا بسرعة فائقة الحد وهو لا يذوق زادًا ولا تطلب نفسهُ طعامًا ولم يذق سوى الماء الذي كان يشربهُ من الاعين التي كان يمر بها نحو خمسة ايام وفي اليوم السادس اقبل على ارض مرملة محرقة فركبها من الصباح وبقي سائرا فيها يطلب الجبل وكلما سار عليها كلما اشتد الحر وتلهبت الارض بنيران ولهيب ناتجين عن اشتعال الرمال بحرارة الشمس حتى تضايق كل المضايقة ولم يعد يقدر على المسير وعطش مزيد العطش ولم يكن قط ماء في تلك الارض فايقن بالهلاك وساق جواده يطلب الجبل وهو قاطع الرجاء من الوصول اليهِ لانهُ كان يراه الى جهة الشمال وبقي سائرًا يسال الله الفرج ولا يصادف الا اشتدادا وتلهبًا الى ان اخذت الشمس في النزول فشعر بالبرودة الا ان قلة الاكل والماء قد فعلا بجسمهِ فعلا زائدًا واضعفاه وخارت قواه حتى انهُ بالكاد اصبح قادرًا على ان يثبت في ظهر الجواد وبقي الى ان قطع تلك الارض الرملية واستلم اول الجبل فتسلقهُ على غير وعي وكان الجواد من تحتهِ ايضًا قد كلّ وملّ وخارت قواه وضعفت ولما صار على بعد في الجبل هب عليهِ النسيم البارد بعد ان كان جسمهُ يقاسي اشتعال العذاب من كل جهة وصوب فوقع الجواد من تحتهِ ووقع هو من فوقهِ غائبًا عن الصواب لا يعي على نفسهِ وشعر بان جسمهُ اخذ في الانحلال وانهُ سائر الى الدنيا الاخيرة وبقي ملقى على الارض كالمائت نحوا من نصف ساعة ولما كان الله لا يحب ان يفقده الحياة نظر اليهِ وشفق على حالتهِ ولم يرض بهلاكهِ فبعث لهُ من عالم الغيب من ينقذه من تلك الحالة ويرفعهُ من هذه الشدة والضيق . وذلك ان بالقرب من تلك الجبل الى جهة الجنوبية كان يسكن امير من امراء تلك البلاد يقال لهُ الامير دولاب وكان شابًا كريمًا وديعًا مشغلا بحب الصيد ومطاردة الغزلان فيسير من بلده دائمًا الى ذاك الجبل يصطاد منهُ الغزلان والارانب ويعود الى مقره وبالقضاء والقدر صادف مروره ذاك النهار من تلك الناحية بعد وصول فرخوزاد اليها بقليل وفي اثناء مروره نظر اليهِ فتعجب منهُ وارتاع من امره ونزل عن جواده اليهِ ونظر فيهِ فوجد جسمهُ لا يزال حارًا فامر بعض جماعتهِ ان يحملوه الى المدينة ويسيروا على عجل امامهُ علهُ يجد وسيلة الى شفائهِ وقال لهم

لابد ان يكون هذا الرجل من الامراء والفرسان الشداد لان يظهر على هيئته دلائل قوية للبسالة مع انهُ في حالة الاموات ولا بد ان يكون من اولاد الكرام والسادات العظام فحملوه وساروا بهِ وقطعوا الجبل حتى انتهوا الى المدينة فادخلهُ الامير دولاب الى قصره وامر ان يوتى بامهر طبيب في بلاده وامره ان يلازم معالجتهُ وان يطببهُ ووعده اذا شفي بالانعام الغزير. فنظر فيهِ الطبيب ولم يرَ في جسمهِ قط علة فثبت عنده ان الخوار والتضور قد غيباه عن الهدى فامر ان يوتى بالماء فسقاه وجعل يصرف العناية الى معالجتهِ بما ينفعهُ حتى تقوى جسمهُ قليلا فسقاه من مرق اللحم شيئًا فشيئًا الى ان فتح عيناه ونظر الى ما حولهِ فوجد نفسهُ بين قوم يعتنون بهِ فلم يبد حركة بل بقي على حالهِ لانهُ شعر باحتياجه الى الراحة فنام نومًا طويلا ولما استيقظ وجد الطبيب عنده فسقاه من مرق اللحم وطعمهُ فتقوى جسمهُ اكثر وقدر على التكلم و بعد على الوقوف ولم تمضِ ايام قليلة الا عاد الى حالتهِ الاولى وسلم على الامير دولاب وعرف انهُ هو الذي اعتنى بهِ واحياه بعد الموت فشكره مزيد الشكر وشعر بمعروفهِ واختار القيام عنده. فقال لهُ اني لا اقدر ان اكافيك ياسيدي على جميلك معي والتفاتك اليَّ وانقاذي من الهلاك وارجاع الحياة بعد ان كنت قد قطعت الرجاء من هذه الدنيا وتاكد عندي اني لا اعود فارى العالم مرة ثانية. قال الامير ان الله هو الذي بعثني اليك لاخدمك واسهل لك طريق الحياة وانا لا اعلم من انت ومن اين وصلت الى ذاك الجبل ولا اريد ان اعرف من اين انت لاني ما عملت معك المعروف لارجو عوضًا او لاعرف مع من عملتهُ انما لما رايت فيك دلائل الفضل وعلائم البسالة قلت في نفسي اني اخبرك بعد شفائك اما بالبقاء عندي واما بالذهاب عني وها انا الان اقدم لك قبيلتي وارضي واما كني تحكم فيها وتختار منها مايوافقك ويحلو لك فلا شيء ممنوع عنك منها. قال فرخوزاد اني كنت مسافرًا فضعت عن الطريق حتى وصلت الى الجبل وقد فرغ مني الزاد فقاسيت من الجوع وعذاب الحر وتعب الطريق ما اضعف مني قواي ورماني والجواد معًا الى الارض فندار كني الله بك و بعثك فانقذتني ولهذا تراني مشعرًا اكل الشعور بمعروفك معي وقد نذرت الان على نفسي ان ابقى في خدمتك و بين فرسانك ما امكني من العمر فارجوك ان تقبلني وسوف ترى مني ما يسر بهِ خاطرك واذا كان لك عدوٌ فابعثني اليهِ فاني كفو لكل من يقصد التعدي عليك وايصال الاذى اليك

فلما سمع الامير دولاب كلامهُ فرح بهِ غاية الفرح وسرَّ مزيد السرور وقال لفرخوزاد لقد قبلتك كاخ لي في هذه المدينة وشريك في حكمي ولا امنع عنك كلما تشتهيه. ثم عين لهُ مكانًا لسكنهِ واقام على خدمتهِ الجوار والعبيد وصار منذ ذلك الحين كامير في القبيلة يامر وينهي بما يراه الصواب حتى اعجب الامير دولاب من اعمالهِ واحوالهِ وتاكد لديهِ انهُ ابن ملك او وزير. غير ان بعض فرسان القبيلة كان اخذه منهُ الحسد فجاء الى الامير وقال لهُ لقد قدرت فرخوزاد فوق قدره وانت

لي انهُ من الفرسان الصناديد وعلى ما اظن انك مغشوش بهِ موهوم بظنك فاذا شئت اجمع في الغداعيان الطائفة وفرسان القبيلة الى ميدان اللعب فمتى حمي سوق الجريد وجرب نفسهُ مع فرساننا تبين لك انك على خلاف الحقيقة وان في ابطالنا كثير احسن منهُ واشد بسالة . قال ان ما يظهر لي ان لا احد من رجالنا يقدر على مناضلتهِ ومع ذلك فاني مجيب الى طلبك وفي الغد ابعث الى كامل فرسان الحي ان تحضر الى الميدان ويجرب الجميع انفسهم معهُ . ففرح الرجل وذهب مسرورًا بنجاح مقصده وفي كل ذهنهِ ان فرخوزاد لا يثبت امام جريدة احد من فرسانهم . وفي صباح اليوم الثاني اعلن الامير دولاب وجوب تجمع الفرسان الى ساحة الميدان ليدار دولاب لعب الجريد على سائر انواع الفنون الحربية اكرامًا لخاطر لرخوزاد فاجتمع كل رجال الحي من كبير وصغير واعتلت الفرسان فوق الصافنات وانحدروا الى ساحة النزال يطاردون بعضهم بعضًا وفرخوزاد راكب فوق جواده ينتظر ازدحام الاقدام حتى تم لهُ كل ما كان يشتهيهِ ونظر الى الفرسان الآخذين في الجولان وسط الميدان فوجدهم ينوفون عن المائتي فارس وللحال انحدر الى ما بين الفرسان وصاح فيها بصوت كالرعد القاصف ادوى منهُ المكان واخترق اولئك الرجال وصاح فيهم صيحات مردة الجان . وقال اريد منكم ايها الفرسان ان تقصدوني باجمعكم فمن اصابتني جريدتهُ اعترفت لهُ بالوحدانية والكمال في القتال ومن اصبتهُ خرج من ساحة المجال في الحال . فاجابوه الى طلبهِ واسرعوا من حواليهِ كالسلاهب وهم يريدون ان يعرفوا ثقل معرفتهِ باصدق عيار

قال وحمي المجال ودار من كل مكان وتفرقت الفرسان من حواليهِ الى فرق وجماعات وانحذفت اليهِ بضرب الجريد فتساقط عليهِ كالامطار فدخل تحت بطن الجواد وصاح بهِ بما تعلمهُ منهُ وعوده عليهِ فخرج كالبرق في اللمعان دون ان تصل اليهِ جريدة احد ولما انفرد الى جهة من جهات الميدان استوى في بحر سرجه كما كان وارسل جريدتهُ الى احد الفرسان فاصابت اثنين سوى فخرجا من بين الباقين وهما يتعجبان من سرعة قتالهِ . ثم عاد الى الامام واظهر التقصير حتى طمع بهِ الجميع وضايقوه فصاح بهم وشردهم عنهُ وبعد ذلك اصاب ثلاثة فخرجوا من بين الصفوف وجاءه الباقون فلم ينالوا منهُ مرادًا وكرّ عليهم فاصاب اربعة منهم ودام على مثل تلك الحال حتى اصاب سائر الابطال . وفضحهم في وسط الميدان فتاخروا الى الوراء وهم يعلمون انهم ليسوا من رجالهِ وانهُ من الجبابرة الذين لا يقاس بهم غيرهم وتقدم منهُ الامير دولاب وقبلهُ بين الاعيان وفرح بهِ مزيد الفرح وشكره على بسالتهِ وزادت محبته لهُ الدرهم قنطار وعادوا من ساحة الميدان الى البيوت وما منهم الا وفي قلبهِ الخوف والرعب من اعمال فرخوزاد وقد اخذ منزلة كبرى عند الجميع . وعاد هو ايضًا مسرور من اقتداره على الجميع ودخل منزلهُ وهو على تلك الحالة وقد قال في نفسهِ خير لي ان اقيم بين هولاء الاقوام اكون كرئيس عندهم يروني في اعينهم عظيمًا كبيرًا وفارسًا

جسيما ولا اقوم عند من تضيع بسالتي لديهم ولم يكن يخطر في ذهنهِ قط ان يرجع الى الايرانيين لانهُ يعلم من نفسهِ انهُ جني جناية كبرى لا تُمحى ولا تُكفر وكان يعتقد كل الاعتقاد ان اخاه قد قتل وقبر ولا اثر لهُ بينهم وجل ما يتمناه ان تصل اخباره الى الاميرة انوش فتاتي اليهِ وتقيم معهُ في ذاك المكان على الراحة والسعة لا شيء يكدرها وصبر على هذه النية منتظرا فعل الزمان وسعيهِ وماذا ياتي بهِ من امره . وصار يحضر دائمًا عند الامير دولاب ولا يفارقهُ ويذهب معهُ في اكثر الاحيان الى الصيد والقنص فيصطادون الغزلان ويقنصون الوحوش ويأتون بها محملة على ظهور الخيل الى ان كان ذات يوم بينما كان الامير جالسًا في ديوانهِ والى جانبهِ فرخوزاد وبعض رجالهِ واذا رسول قد دخل عليهِ وقبل يديهِ واعطاه كتابًا فضهُ وقراه وبعد ان فرغ منهُ ظهرت على وجههِ علائم الكدر والاضطراب واطرق الى الارض كانهُ وقع بمصيبة عظيمة فظهر حالهُ لدى الجميع وسالهُ فرخوزاد عما وقع بهِ وحل عليهِ وماهو ضمن ذاك الكتاب من موجبات الكدر والغيظ . فقال اعلم اني منذ بضعة اشهر ذهبت الى عمي الامير رخام فاقمت عنده اياما وخطبت منهُ ابنتهُ وصرفنا اياما على الحظ والانشراح وعدت من هناك على امل اني بعد ستة اشهر اذهب اليهِ ليزفني عليها بينما يكون قد دبر امرها وانا بانتظار الوقت الان لاذهب اليهِ واذ بهِ يقول لي الان ان رجلاً من الفرسان الصناديد جاء بقبيلتهِ اسمهُ الامير غيطم وطلب اليهِ ان يزفهُ عليها فامتنع واخبره انها مخطوبة لابن عمها فقصد ان ياخذها بالرغم عنهُ واشهر عليهِ الحرب فحاربهُ الى ان غلب بين يديهِ والجأ الى قلعة هناك مع حريمهِ ورجال الامير غيطم يحاصرونهُ فيها وهو يدعوني ان اسرع اليهِ وانقذه ولذلك تراني باضطراب وكدر من عمل هذا الامير واني اعلم انهُ بطل شديد الباس قوي المراس لا يصطلى لهُ بنار جبار من الجبابرة الكبار

قال فلما سمع فرخوزاد كلامهُ فرح غاية الفرح ووجد وسيلة لمكافاتهِ على جميلهِ معهُ ولذلك اجابهُ ان هذا الامر مما يزيد في شانك عند عمك وعروسك فاجمع رجالك في الحال وسر الى حرب هذا العاتي واني اعدك واتعهد لك بقتل الامير غيطم وتمزيق رجالهِ والافراج عن عمك الامير رخام باقرب وقت فسر دولاب من كلامهِ وجمع رجالهُ وامرهم بالركوب والمسير الى جهة عمهِ فساروا وفي مقدمتهم فرخوزاد كانهُ اسد من الاساد وهو مشتاق الى ملاقاة الفرسان ومنازلة الابطال والشجعان ليرى عملهُ للامير دولاب وداموا على المسير الى ان وصلوا الى ارض الامير رخام فوجدوا عساكر الاعداء منتشرة فيها وقد تملكت البيوت ونهبت الاموال وطردتهُ الى الجبل واقام غيطم على حصاره في قلعة هناك . ولما نظر فرخوزاد ذلك صاح وحمل على البيوت بمن وراءه من الابطال والفرسان وسطا سطوة جبار واشغل فيهم ضرب الصارم البتار كما تشتغل النار بالقش اليابس وباقل من ساعة قام الصياح . وارتفع من كل ناح . وحل على رجال غيطم الويل والعذاب . وذاقوا امر طعان

وضراب . فصبروا على الدفاع والقتال والثبات في المجال . الاَّ ان فرخوزاد ضيق عليها الطرقات وقادها الى حفر النكبات . وباسرع من اربع ساعات اخلاها عن البيوت واركبها سبل الشتات . وقد تخلت عما كانت قد نهبتهُ . ووصلت اليهِ وملكتهُ . وسارت مسرعة الى الجبل الى اميرها تخبره بما كان . ولما وصل اليهِ المنهزمون واخبروه بعمل فرخوزاد ودولاب وانهم طردوهم من البيوت تكدر مزيد الكدر وكان قد حصر القلعة كل الحصار وثبت عنده انهُ سيملك من فيها باقرب وقت ويحظى ببنت الامير رخام الاَّ انهُ كر راجعًا وهو من الغيظ على جانب عظيم وما بعد عن القلعة الا القليل حتى صادف رجال دولاب سائرين الى جهتهِ فصاح فيهم وحمل عليهم وفي نيتهِ انهُ يشتتهم بساعة من الزمان فالتقاه فرخوزاد واخذ معهُ في الكر والفر والاخذ والرد الى ان تبين لفرخوزاد فيهِ العجز والتقصير فصاح فيهِ صيحة ايرانية وضربهُ ضربة قوية وقعة على ام راسهِ فشقهُ الى تكة لباسه ومال عن جوادهِ الى الارض قتيلاً وفي دمائه جديلاً ولما راى قومهُ ما حل به وان رجال الامير دولاب قد فاجئتهم وقوم الامير رخام قد خرجوا من القلعة وثبت لديهم موت اميرهم اركنوا الى الفرار وتشتتوا في البراري والقفار فتأثرهم فرخوزاد واعمل سيفهُ فيهم حتى روى الارض من دمائهم وعاد من خلفهم وهو كالارجوان من عظم ما لحق بثيابه من ادمية الفرسان . ورجع بعد ذلك الى مقام رجاله الاميرين فتلقوه بالاحضان واثنوا على فعله وتعجبوا من بسالته وشجاعته واخذه الامير رخام الى البيوت فدخلوها بالافراح والمسرات شاكرين الله على ما اولاهم من النصر عن يد فرخوزاد وبعد ذلك عملوا الولائم والدعوات وعزموا على زواج دولاب ببنت عمه واكرامًا لخاطر فرخوزاد وترحبًا به وصرفوا نحوًا من اسبوعين على هذه الحالة وهم في حجر السرور والفرح يهتمون بالعرس ويصلحون شان العروس وبعد ذلك زفوه عليها واتاها مسرورًا وفرح بها غاية الفرح وسر مزيد السرور وفي اليوم الثاني استاذن من عمهِ بالرجوع الى الديار مع عروسهِ فاذن لهُ واوصاه بها وبمداراتها وسالهُ بالمحافظة على فرخوزاد وقال لهُ ان مثل هذا الفارس لا يهمل امره بل يقدم لهُ كل ما عز وهان فهو بطل من الابطال يندر وجود مثلهِ بين سادات هذا الزمان فاذا اقام في قبيلتك ملكت بهِ كل ما تريدهُ ونفذت سطوتك في كل مجاوريك وارتفعت منزلتك عند الملك قيصر ملك ملوك الرومان وسلطان سلاطين الافرنج وحاكم سورية وما حوالها . فوعده بكل جميل وساروا عائدين الى بلادهم مدة ايام حتى وصلوا اليها ودخلوها باحتفال عظيم وفرح بهم قومهم وكل من في الديار وفي ثاني الايام دخل على الامير دولاب احد اعيان قومهِ الذي كان تخلف في الحي لمحافظتهِ وقدم لهُ كتابًا وقال لهُ انهُ بعد مسيرك بيوم وصل الينا هذا الكتاب من الملك قيصر يدعوك بهِ ان تسير لنصرتهِ بابطالك وفرسانك لان الملك ضاراب ملك الفرس وسيدهم قد جاء بلاده ودخلها عنوة وسطا على عدة مدن وان عنده فرسان وابطال لا يصطلى لهم

بنار ولذلك اعتمد على ان يجمع عليه الفرسان من اربعة اقطار بلاده ولا يدع فارسًا الا ويدخل في هذه الحزب لينتقم منهم ويبيدهم عن اخرهم . فلما قرأ الامير دولاب هذا الكتاب وقع بامور صعاب واطرق الى الارض باكتئاب واضطراب وكادت تتدفق الدموع من عينيه فراى حالته فرخوزاد وعلم ما هو واقع بهِ . فقال لهُ لاي شيء انت في قلق واضطراب وماذا وقع على افكارك وقلبك من الخوف والوهم . قال اني سمعت من مدة ببسالة رجال الفرس واقدامهم وانهُ يندر وجود فارس في اربعة اقطار الدنيا كفرسانهم ولاسيا ابن ملكهم فيروز شاه وقد حكى لي بعض الروات عنهُ اخبارًا يكاد العقل لا يصدقها وهم الان في بلاد الملك قيصر والملك المذكور يدعوني ان اسير لخدمتهِ برجالي وحيث اني عائش تحت لوائهِ وفي مملكتهِ لا يسعني الامتناع واذا سرت فاني موكد بوقوع الصعوبات والمصائب وطول هذه الحرب مع اني كنت اعد نفسي كل الوعد بالحظ والانشراح مع زوجتي الجديدة وقلبي لا يطاوعني على تركها وفراقها بعد ان تزوجت بها ولم اقم معها في بلدي ولا يومًا وربما لحقني من تلك الحرب ضرٌّ او اصابتني يد المنية فاتركها ارملة لا ملجا ولا معين لها تقاسي عذاب الحزن والاكدار

قال وكان فرخوزاد على نار الهياج وانشغال البال من جهة قومهِ وهو يود ان يعرف ماذا جرى عليهم وماذا حل باخيهِ ويطلب ان يصل اليهِ خبر منهم حتى وجد هذه الفرصة واستنسب المسير الى بلاد قيصر تحت اسم ذاك الامير فقال لهُ هل ان الملك الاكبر يعرفك وجهًا بوجه . قال كلا فلم يسبق لي ان رايتهُ او راني انما اوامره تصل اليَّ دائمًا بطلب الاخرجة والاموال فارسلها لهُ كغيري من عمالهِ وامراء بلاده . قال اذا كان الامر كذلك فاني اسير اليهِ تحت اسم الامير دولاب واقاتل عنك بين يديهِ وابذل غاية المجهود حتى ابني لك عنده منزلة رفيعة ويعلم انك من اشد امرائهِ فلما سمع الامير دولاب هذا الكلام نزل على قلبهِ الذ من لذيذ الشراب وقال لهُ اني اشكرك على هذا الجميل والمعروف فاني اعهد اليك بالمسير عني قال ان لي بذلك الفرح الاكبر لاني اكون قد وفيتك بعض ما لك عليَّ من الجميل الذي لا انساه طول مدة حياتي واحب شيء لديّ هو اني اراك مع عروسك مرتاحًا قائمًا على الهناء والمسرة . ثم ان فرخوزاد اخذ نحو اربعة الاف فارس من فرسان القبيلة وودع الامير وخرج يقصد الملك قيصر حتى وصل اليهِ وانضم الى بقية العساكر التي كانت تجتمع لقتال الفرس وقد بعث علم بوصولهِ الى حضرة الملك وانهُ قائم مع الذين قائمين بانتظار اوامره للحرب والقتال

قال وكان الملك قيصر على مقالي النار ينتظر وصول عساكر الصين اليهِ او وصول خبر من جهان ملكهم لانهُ كان يعلم انهُ بدون مساعدة الصينيين لا يقدر على الثبات في وجه الفرس ويفرغ بالانتظار وهو متعجب من عدم اتيان الملك ضاراب الى بلاده بعد نصرتهِ على ولده وتمرتاش ولم

يكن عنده قط خبر بهزاد وما حل عليه من اخيه فرخوزاد الى ان جاءه الخبر بقرب وصول منكوخان واولاده مع العساكر والرجال ففرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وامل الخير والفوز على الاعداء وطردهم من بلاده والانتقام منهم بثار ولده المقتول . وخرج في رجاله ووزرائه على بعد يومين لملاقاتهم والموسيقات تضرب بانغام الاسترحاب والاكرام الى ان التقى قيصر بمنكوخان فسلم عليه وترحب به و باولاده جميعًا واظهر سروره فيهم ومثله فعلت امراؤه واعيانه وعادوا يرمحون وقلوبهم تصفق من الاستبشار والامال بنوال المراد حتى ضجت من ظهور مسراتهم وصياحهم بالافراح تلك الارض ولما قربوا من المدينة سال الملك قيصر منكوخان ان ينزل برجاله الى جهة من اطراف المدينة كان قد اعدها لنزولهم وهي واسعة رحبة محاطة من اكثر جهاتها بالاشجار والرياض فسر منكوخان من هذا المركز وامر رجاله ان تحط في تلك الارض وسار هو مع قيصر الى الديوان ليقدم له مكتوب سيده وجلس الملك ومن حوله سائر الاعيان والوزراء وجلس منكوخان بين اولاده السبعة وقدمت لهم كاسات الشراب وموجبات الترحاب و بعد ذلك سال الملك قيصر منكوخان عن سيده الملك جهان . فقال له انه بخير وامان وقد اغتاظ من عمل اعدائك وانزل بكل غضبه عليهم وتمنى ان يكون هو نفسه حاضر عندك ليبيدهم و يشتتهم في اقطار الارض الا انه لما كان يعلم اني قادر على انفاذ غاياته وما ربه بعثني اليك مع اولادي وقد دفع اليّ هذا الكتاب لاسلمه اليك مع تحياته وسلامه . ثم دفع اليه الكتاب فتناوله منه الملك قيصر ودفعه لوزيره بيد اخطل ففضه وقراه يرى فيه

من ملك ملوك العالم وسلطان سلاطينها الاله الاكبر والمعبود الاعظم الى صديقه الملك قيصر ملك النصارى والافرنج

بعد انزال بركاتي عليك واسكاب مراحمي وايصال مساعدتي اليك ابدي ايها الملك الامين الودود اني اخذت كتابكم وشكرت جنابكم على ملاذكم بي وطلبكم الامداد من لدن اعتنائي وكدرني جدًّا خبر وصول الملك ضاراب الفارسي الى بلادك وتعديه على جيوشك وطمعه بك ولذلك تراني مسرعًا الى اجابة سوالك ولم نقبل شيمتي الكريمة ان ترد طلبكم وتضيع ظنكم بي واظهارًا لاشتداد رغبتي بذلك ولاريكم عظم غضبي من هذا الملك الصعلوك المتعدي الطامع الذي لم يعرف حق قدره بعثت اليك بمنكوخان فارس بلادي ومدبر جيوشي واوحد ابطال هذا الزمان وفوق كل ذلك فاني امرته بان ياخذ اولاده الذين ضربت بشجاعتهم الامثال في كل مكان وان يكون معهم اربعمائة الف من فرسان الصين واوصيتهم كل الوصية بان يمسكوا لي الملك ضاراب و يبعثوه اليّ لاجازيه على فعله واقدمه تقدمة للنار وامرها ان تذيب جسده في الحال ولهذا اوصيك انت ايضًا ان تترك لرجالي الغنائم التي يغنمونها والاموال التي تصل ايديهم اليها وان تبعث لي مع

منكوخان الجواهر الموجودة مع الفرس التي ذكرت انهم جاءوا بها من اماكن متعددة . والامان والسلام لمن اطاعني وعبدني واعترف بقدرة نيراني . والويل والعذاب لمن عصاني وخرج عن طاعتي ولم يعترف بقوة مجدي وسلطاني

ولما قرأ الوزير بين اخطال هذا الكتاب لعن الجميع في قلوبهم الملك جهان ونعوذوا به من العزيز الرحمن . الا ان الملك قيصر اظهر فرحهُ ومسرتهُ وشكر من اعمالهِ ومدحهُ المدح الفائق وعمل وليمة فاخرة لمنكوخان وفي كل ظنهِ انهُ قادر على كبح الايرانيين ورد جماحهم وكيدهم وكان يعده المواعيد الفارغة ويتعهد لهُ انهُ من اول وقعة يامر اولاده بالبراز واحدًا بعد واحد فيفضحون جيوش الفرس ويبددون فرسانها وابطالها واذا اقتضى الامر وكان بين الاعداء من قدر ان يثبت امامهم برز هو الى الميدان وانزل على الجميع العذاب والهوان . ومن كلامهِ هذا كان الجميع بفرح وحبور لاسيما طيفور فانهُ تقدم من منكوخان وتقرب منهُ ومدحهُ ومدح سيده واظهر رغبتهُ في عبادتهِ وطلب اليهِ انهُ بعد الفراغ من القتال ياخذه معهُ ليقدم اليهِ طاعتهُ ويعترف بالوهيتهِ وعظمتهِ فوعده بكل جميل وخير واقاموا على انتظار وصول الايرانيين لينزلوا بهم الويلات والعذاب غير ان الشاه سرور كان كما تقدم معنا الكلام قد ثبت بعقلهِ كل الثبوت ان لا ملك من ملوك الدنيا يقدر على الفرس وان لا فارس من فرسان ذاك الزمان يقدر ان يقف امام فيروزشاه ولهذا لم يوخذ بكلام منكوخان ولا اغتر بعساكره وابطالهِ وترجح في ذهنهِ انهم لا يثبتون امام الملك ضاراب ورجالهِ يومًا واحدًا لعلمهِ ان السعادة قد وافقتهم على البقاء معهم والطاعة لهم والله قد خصهم بكل المزايا الحسنة والكريمة وجمع كل الشجاعة وخصهم بها وخص فيروزشاه وبهزاد ببسالة واقدام عجيبين لا يمكن ان يقف امامها فارس قط من فرسان العالم غير انهُ كان صابرًا على امره مكدرا من غياب بنتهِ يتمنى ان تكون في يده وتحت امره ليعدها بفيروزشاه ويطلب اليها ان تصلح بينهما وتطلب لهُ العفو من الملك ضاراب . ومن العجب انهُ عندما صفا باطنهُ وطاب قلبهُ لم يعد في وسعهِ الوصول الى بنتهِ وهذا الذي كان يقلقهُ لتاكده ان الملك ضاراب سيفوز على الرومان ويملك بلادهم ويقع هو في يده وما من شافع يشفع لهُ عنده غير حلمهِ ومحبة ولده لابنتهِ وعليهِ فانهُ بقي صابرًا على دهره منتظرًا خبر ظهور بنتهِ وهو يومل ان تظهر لفيروزشاه ويتملكها

قال فلنترك الرومان وشانهم وما هم عليهِ من امرهم ولنرجع الى الملك ضاراب فانهُ بقي صابرًا نحوًا من شهرين على شفاء بهزاد حتى عاد الى ما كان وقدر ان يعلو الجواد وينقل السلاح ولما راه على تلك الحال وتاكد بعينهِ شفاءه وانهُ لم يعطل من جسمهِ عضو فرح مزيد الفرح وامر ان يجعل يوم صلاة وسبح لله من كل جيشهِ من الكبير الى الصغير وان يشكر الجميع الله على منتهِ وسماحه بقيام بطل الفرس وجبارهم فاجاب الجميع امر الملك ورفعوا بادعيتهم لله سبحانهُ وتعالى وابدوا لهُ شعورهم

بنعمتهِ وفضلهِ عليهم وكان لادعيتهم ولصلاتهم غوغاء وضوضاء من الصباح الى المساء وما من
واحد امتنع او ترك الصلاة . ثم امر ان يصوم الجميع يومًا اخر لله عزَّ وجل وان لا يذوق احد منهم
طعامًا او شرابًا ففعلوا وكان تاثير ذلك فيهم عظيما وعن خضوع وخشوع لعزتهِ تعالى . ولما فرغوا
من ذلك وقدموا ما هو متوجب عليهِ لربهم امر الملك ضاراب ان يحتفل بوليمة ثلاثة ايام من نفقة
خزينتهِ نقام بها التهاني لبهزادوان ياتي كل فرد لتهنئتهِ بالسلامة فجرى ذلك وانتشرت اسباب
الحظ والهناء في كل الجيش ودار الغناء والرقص حتى لم يكن قد سبق مثل ذلك في جيش الفرس
وكل رجل من المجمعين في ذاك المكان حضر لبهزاد وهناه بالسلامة وهو وان كان مسرورًا بحب
الملك لهُ وفرحه وفرح رجال فارس اجمعهم بسلامتهِ الا انهُ كان مكدرًا من غياب اخيهِ فرخزاد
ويرى ان كل هذه الاحتفالات لاتنفع بشيء في جنب الوقوف على خبره . ولما انتهت مدة الاحتفال
امر الملك ضاراب بالتاهب للمسير الى مدينة الملك قيصر لمحاربتهِ و بعث بعياره شبرنك يكشف
لهُ خبر الاعداء ومقدار عددهم وفي اي جهة نازلين وهل هم خارج المدينة او داخلها وهل بنيتهم
القتال او مزمعون على الحصار فسار شبرنك وغاب مقدار يومين وكان وصولهُ الى المدينة يوم
وصول منكوخان بعساكره وراى كل ما كان من امره وعرف ما تلزمهُ معرفتهُ وعاد الى ملكه فاخبره
بكل ماراى ونظر وقال لهُ اني نظرت الجيوش قائمة في ضواحي المدينة على اهبة القتال وهم بالانتظار
وقد افرز مكان مخصوص لرجال الصين واحتفلوا بهم مزيد الاحتفال . فلم يهتم الملك ضاراب
لهذا الامر وقال لا اخاف رجال الصين ولا الهند مادمت متكلاً عليهِ تعالى وعندي من الفرسان ما لا
يوجد نظيرهم في غير مكان . و بعد ذلك امر عساكره بالركوب على الترتيب والانتظام وان تسير
كل راية فوق قائد من قواده وكل قائد يقود جيشهُ على حدة فكان ذلك و باقل من ساعة من
الزمان تحركت ركاب الملك ضاراب من ارض ام الروض وسارت رجالهُ متقدمة الى جهة البلد
نطلب القتال ونهاية هذه الحال . و بقيوا في مسيرهم يومًا كاملا حتى اشرفوا على المدينة وشاهدوا
عن بعد ابنيتها واسوارها وهي ذات ابنية فاخرة وقصورها شاهقة لم يروا قط مدينة انظم منها ولا
اجمل منظرًا وراوا في خارجها الجيوش وهي كالجراد المنتشر . ولما وصل الملك ضاراب الى مقابل
الاعداء امر عساكره بالنزول تجاهها وان تضرب كل فيئة خيامها الى جهة من تلك الارض وتنصب
عندها الرايات والاعلام فاجابوا امره وضربوا خيامهم وسرحوا انعامهم وفكوا خيولهم للراحة بقية
ذاك اليوم على امل انهم في اليوم الثاني يقومون الى الحرب والقتال

قال وكان لما بلغ وصول الفرس اذان تلك الجهات الى الملك قيصر اشتاق الى رويتهم فطلب
الفرجة عليهم من عن الاسوار فصعد مع منكوخان و بقية جماعتهِ الاعيان ولما وصلوا على ظهر
السور نظروا الى القادمين فوجدوهم على ذاك الانتظام الذي سبق ذكره في غير هذا المكان وكان

الى جانب قيصر طيفور يسالهُ عن كل فارس بمفرده ورأى في المقدمة سيامك سياقباحافظ مقدمة الجيوش تحت الراية المعهودة بهِ ورجالهُ كلهم بالجنات وعلى اكتافهم القسي والكنانات. وقد اخبره طيفور ان هولاء رجال السهام وانهم يرمون بها برشاقة لاتوجد بغيرهم من فرسان هذا الزمان ولا يمكن ان تخطي سهامهم. واخذت ان تتقدم من بعده الفرسان والشاهات وهو يعددها ويصفها ويذكر بسالة مقدميها حتى اراهم الملك ضاراب وهوتحت راية الاسد والشمس تخفق بالهواء وعلى راس العلم جوهرة كالنبراس تتقد عن مسافة بعيدة بما يبهر النواظر وعن يمين الملك ضاراب وزيره طيطلوس وعن شماله دوش الراي وبين يديه فارس فرسان ذاك الزمان وسيد الابطال والشجعان من سال عند ذكر اسمهِ جامد الصوان. فيروزشاه عروس الميدان. ولا زال يصف له حتى وصل الى الموخرة ونظر بهزاد شاه محفوفًا بسبعين الف من رجال الفرس الاشداء. فقال طيفور للملك قيصر وهذا ياسيدي بهزادالذي قتل خرطوم واسر تمرتاش وهو ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد حماة هذه الدولة وابطالها وهذه الرتبة مخصوصة بهم وقدخصهم الله بالبسالة والاقدام حتى انهُ يندر وجود مثلهم بين رجال الصدام. كل هذا ومنكوخان ينظر ويسمع و يبتهج من هذه العظمة ومن هذا الفخر الذي اعتادوا عليهِ رجال الفرس وهذا الترتيب وكيف انهم قسموا الى قسم وفرق وسلمت كل فرقة الى قائد ومن ثم عادوا عن الاسوار يصدرون الاوامر الى فرسانهم بالاستعداد والتاهب الى صباح اليوم الثاني

ولما كان صباح اليوم الثاني نهضت العساكر من مراقدها وعمدت الى اسلحتها فتقلدتها وجاءت خيولها فركبتها وانتظرت اوامر ساداتها وفرسانها لتعرف على اي وجه يكون القتال وركب الملك ضاراب واحتاط بهِ حرسهُ وركب فيروزشاه فوق كمينهِ وهو يتمنى ان ينتهي القتال في ذلك النهار ليهجر تلك الارض ويسير في البراري مفتشًا على عين الحياة في كل مكان. وركب بهروز وتقدم وفعلت مثلهُ جميع الفرسان والابطال ومثل ذلك صار في عساكر الاعداء فقد ركب منكوخان باولاده وامر ان يبرز احدهم في ذاك النهار ويطلب من رجال الفرس فرسانهم وان لا يعود حتى يقتل فيهم مقتلة عظيمة وركب الملك قيصر بالعظمة والجلال ورفعت فوق راسهِ الرايات الرومانية وبين يديهِ تمرتاش وجماعة الحراس والخدام. ولما اصطف الصفان. وترتب الفريقان. وعمدت الفرسان على الهجوم واذا باصغر اولاد منكوخان قد انحدر الى الميدان ولعب فيهِ ذهابًا وايابًا ومن ثم وقف في وسط الميدان وصاح معلنًا باسمهِ وشرف نسبهِ وطلب براز الفرسان فاستعد الامير سيامك وعول على ان يبرز اليهِ واذا بهِ يرى قد خرج من اطراف الجيش الفارسي فارسان ملثمان وقف احدها في الوسط بين الفريقين بعيدًا عن المجال والثاني صاح وانحدر الى ابن الوزير واخذ معهُ في القتال والصدام. قال وكان فيروزشاه والملك ضاراب وبقية ابطال ايران قد شاهدوهما ولم

يعرفها احد منهم وتاقت انفسهم الى الاطلاع على اخبارها ومن اين جاءا ولاسيما لما نظروا ان الذي صدم ابن الوزير هو من الابطال الشداد وانهٔ عارف بفنون الحرب والقتال حق المعرفة ثابت الحيل والقوى وضاق صدرهم من ذلك . وفي الحال امر فيروزشاه عياره بهروز ان يتقدم من الفارس الواقف في نصف الميدان منفرداً عن الفريقين ويسالهٔ عن حالهِ ومن اين اتيا فسار حتى قرب منهُ وقال لهُ ان سيدي فيروزشاه قد اشغلهُ امركما ولم يعرفكما ولذلك بعثني لاسالك عن نفسك فمن انت ومن رفيقك ومن اين جئتما . قال سر الى سيدك واخبره اننا نحن من احقر عبيده ومن لا ننكر فضلهُ ولا ننساه فهو علة راحتنا وسيد رقنا فانا هو قاهرشاه وهذا الذي في القتال هو اخي قادرشاه . فلما سمع بهروز كلامهُ عاد راجعاً مسروراً بهذا الخبر لعلمهِ ان سيده يسرُّ منهُ لانهُ كثيراً ما سمعهُ يذكر هذين الاسمين ويتشوق لملاقاة صاحبيهما وعندما وقف بين يديه اطلعهُ على ما سمعهُ من الفارس فصفق استبشاراً وفرحاً وتحقق عنده الخبر بما كان يراه من قتال قادرشاه وتقاطيع جسمهِ وشكر الله على عوده اليهِ بعد ان كان قد تركهُ في الجزيرة يضرب بالطبل لخلاصهِ وقد فداه بنفسهِ وقبل بالهلاك في سبيل حياتهِ وتمنى ان يعرف كيف خلص من ذاك المكان ووصل الى اخيهِ حتى جاءا معاً واقام ينتظر عودتهما من ساحة الميدان ليسلم عليهما ويسالهما عن حالتهما وعما كان منهما بعد مفارقتهِ لهما

قال واما قادرشاه فانهُ اخذ مع ابن الوزير في الطراد واشعلا نار الحرب ذات الاتقاد وكانا من معرفة فنون الحرب في درجة واحدة ومن المقدرة والشجاعة في ميزان واحد ولذلك طال بينهما المطال . وعملا على تلك الحال . وبقيا بالكر والفر الى قرب الزوال . دون ان ينال احدهما من الاخر منال . واذ ذاك ضربت طبول الانفصال . ورجع الاثنان الى الخيام . لاخذ الراحة والمنام ولما عاد قادرشاه الى جيش الايرانيين مع اخيهِ لاقاهما فيروزشاه وسلم عليهما واظهر مزيد فرحهِ بهما فقدما لهُ الشكر والامتنان وعادا معهُ الى صيوانهِ ونزعا عنهما ثياب السفر واكلوا من الطعام حتى اكتفوا وبعد ذلك اخذهما الى ابيهِ بينما كانت الفرسان والابطال تجتمع عنده لصرف السهرة كالعادة ولما وصلا بين يدي الملك ضاراب وسلما عليه وقبلا يديه ترحب بهما وامرهما بالجلوس فجلسا وبعد ان استراحا سالهما الملك عن حالهما وعن سبب مجيئهما الى المعسكر والقدوم الى نجدتهِ . واذ ذاك تقدم فيروزشاه من ابيهِ وقال لهُ اعلم يا ابي اني حكيت لك قبلاً عند خروجي من ايران الى تعزاء اليمن اني لقيت اثنين في قلعة يدعى احدهما قاهرشاه والاخر قادرشاه وحكيت لك ايضاً قصتهما مع عمهما وكيف اني اجبرتهُ الى زواج قاهرشاه بابنتهِ وان قادرشاه سار معي الى الجزيرة المطلسمة حيث اوصلنا المركب هناك وعندما طلبنا الخروج اقام قادرشاه يضرب الطبل حباً بخلاصي وقد قبل بهلاك نفسهِ املاً بذلك وبعد ان فارقتهُ لم اعد اعرف ماذا جرى عليهِ وها انذا الان

الاخوان قد وصلا الينا بعد ان اجتمعا ببعضهما ولا اعرف شيئاً من قصتهما واريد ان يطلعنا قادرشاه على قصته وسبب نجاته من تلك الجزيرة . فقال الملك اني انذكر ذلك ولا انساه وطالما فكرت به وشعرت بمعروف قادرشاه وجميله معك واحب ان اعرف من الذي خلصه من ذاك المكان واطلب اليه ان يحدثنا بقصته لنصرف السهرة فيها ونعرف كيف انتشله الله من ذاك الخطر المبين فاجاب قادرشاه طلب الملك ضاراب واخذ ان يحدثه بقصته بعد غياب فيروزشاه وما جرى عليه من الامور والاحوال . فقال

انه بعد ان فارقني سيدي فيروزشاه وانا اضرب على الطبل كل ذاك النهار حتى ثبت لدي نجاته و بعده وقد غاب المركب عن نظري و بقيت وحدي في تلك الجزيرة وحينئذٍ شعرت بثقل الوحدة ولم يكن الخوف من الخطر والموت على تلك الناحية قد فعل بقلبي بقدر ما فعل فيَّ فراق فيروزشاه و بعده عني وحرماني من القيام من خدمته بحسب مشتهاي ولذلك بكيت بكاء الثواكل وكان الزاد والمؤنة عندي كثيرة الا اني كنت لا التذ بالاكل فما كنت اكل الاَّ قليلاً واصرف بقية الوقت بالذكر والنظر في سبيل الخلاص علي اجد طريقة انجو بها من الجزيرة واعود الى انفاذ غاياتي من خدمة الذي فعل معي الجميل واحيى لي اخي وانقذنا من ظلم عمي على غير معرفة منه وعوض ان يقابلنا بالقساوة والانتقام اظهر نحونا من رقة الجانب والدعة والمساعدة ما تركنا حتى الساعة نشكر من فضله . ولما امسى المساء في تلك الناحية اشتدت عليَّ الحال وتكدرت جداً ولم اكن ارى قط انيساً بوانسني بل كنت ارى الطيور تلتفي اليها مع اختلاف اجناسها وصفاتها فمن بواشق جارحة وغربان ناعقة ورخاخ كبيرة وما شابه ذلك مما اقلقني وارعبني ولم انم كل تلك الليلة بل بقيت مستيقظاً اضرب اكثر الاحيان بالطبل كي لا تقرب مني تلك الطيور ولتعلم اني حي وقد خفت اذا نمت تظنني ميتاً فتحوم عليَّ لتاكل لحمي وثبت عندي ذلك لانها ما كانت تلتفي الى تلك الجزيرة الا لهذه الغاية اي لتاكل من لحوم الذين يسحبهم الطلسم بالرغم عنهم ويموتون هناك وكان يترجح لدي كثيراً انه لا تمضي ايام الا وادفن في بطون تلك الطيور . وكان اكبر شيء يخيفني وحسبت له حساباً ان الشجرة التي كنت تحتها كان قد نزل عليها طير من الرخ كبير الجثة هائل جداً بحيث ان الشجرة مع ضخامة ساقها مالت من وقوعه عليها وملاها من كل جهاتها وما قطعت ذاك الليل حتى تضايقت كل المضايقة ولاقيت اصعب المصاعب واشد المصائب وعندما اخذ نور النهار في ان يتقدم متدرجاً اليَّ كنت اسر وافرح ولا سيما عندما رايت تلك الطيور اخذت في ان تهاجر راحلة عني واكثرها ينظر اليَّ نظر الحنق والغيظ كيف انها لم تقدر ان تسطو عليَّ في ذاك اليوم وكيف ان الحياة ساعدتني عليها فانقذت منها ولا ريب انها كانت تعد نفسها بي وتعلم ان لا خلاص لي من الجزيرة فاموت عليها ومن ثم تعود الى انفاذ ما ربها بي وتمزيق جلدي احياناً . و بعد ان اقفرت

الجزيرة من كل ذي نفس غيري وارتفعت من فوق راسي تلك الغمامة السوداء التي كانت تظلل قسماً ليس بقليل منها اي ان طير الرخ الكبير الذي كان قائماً في اعالي الشجرة بارحها وغاب وانقشعت من بعده الانوار جلية واضحة ولما خلا في المكان و بعد عني الخطر الذى كان قريباً مني يتهددني شعرت بافتقاري الى الراحة فاتخذت حجراً هناك ماخذ الوسادة وغرقت بنوم ثقيل قضيت به اكثر من ثلاثة ارباع النهار ثم استيقظت من النوم مرتاحاً كل الراحة واذا بسلطان الجوع يحاربني فعمدت الى الطعام فاكلت حتى اكتفيت ومن ثم اخذ الليل في ان ينشر سواده شيئاً فشيئاً و يلف النهار سجاف نوره وعادت اليّ الهموم وعاودني الخوف والكدر وقد بدأت الطيور تلفي طائفة بعد طائفة وهي مرسلة اصواتها المتنوعة في ذاك الفضاء فيتالف منهُ عجيج وضجيج كان يوم القيامة قائم . ثم اسودت الارض من حولي بغتة وشعرت بثقل ريح قوية انبعثت من وقوع ذاك الطير على تلك الشجرة فكان قد وقع على قلبي وجاءني الخوف ثانياً كالاول وصرفت تلك الليلة كالليلة الاولى سائلاً منها قدوم الصباح وحلوله . الى ان جاء ببياضهِ يظلل بقايا سواد الليل فنمت الى العصر وقمت فاكلت وشربت وهكذا كانت حالتي مدة قيامي على تلك الجزيرة وكان يخطر لي احياناً انهُ لا بد من وقوع مركب ثانية عليها فيبعث لي الله من عالم غيبهِ من يسليني او يقوم مقامي بدق الطبل فانجو من الموت الذي كنت انتظره يوماً بعد يوم وهذا الخاطر وان كان ضعيفاً و يطرق ذهني بعد كثيرًا انما كان يقوي من امالي ويريني من خلال المحال طرق الخلاص فقطعت نحواً من اسبوع على ما تقدم دون جدوى ولا نتيجة وفي اخر ليلة من قيامي على تلك الجزيرة عاودتني الافكار وتراكمت عليّ فعدت انقل من قليلها الى كثيرها ومن كثيرها الى قليلها حتى فكرت اني كنت اسمع بالحكايات العجائزية وقوع اناسٍ على مثل هذه الجزيرة وطرق ذهني ان احدهم تخلص بواسطة طير الرخ وتذكرت ايضاً ان هذا الرخ قوي يحمل الانسان من مكان قريب الى مكان بعيد دون ان يشعر بثقلهِ او يضر بهِ . واذ ذاك تقوت امالي و بان لي وجه للخلاص جديد . وقلت في نفسي اني هالك لا محالة فبقائي على ما انا عليهِ عين الخطاء والغلط وانهُ وان كان خلاصي بواسطة هذا الطير لا يخلو من الخطر والضرر انما ذلك اخف بكثير من تقاعدي عن النظر الى الطرق المودية الى الخلاص وان من اللازم علي ان اختار اخف الضررين . وثبت في ذهني كل الثبوت اني اذا تعلقت بهذا الطائر يحملني فيلقيني الى غير ذاك المكان ربما يكون هناك عالم واناس اعيش بينهم او اذهب عنهم الى بلدي . وعند ذاك عمدت الى اجراء ما خطر لي وتسلقت الشجرة شيئاً فشيئاً حتى قاربت رجلي الطير فاقمت منتظراً تحريكة لا تعلق بها و بقيت على هذه الحالة الى ان كان الصباح فارسلت كل يدٍ من يديّ الى رجلٍ من رجليهِ وسألت مساعدتي من الله سبحانهُ وتعالى وان يتم لي امالي ونجاتي ولما شعر ذاك الطير العظيم بي صفق بجناحيهِ واخترق الجوّ سائراً بي وانا مدلى بالخلاء وقد نظرت

نفسي راكبًا خطراً كبير لا رتفاعي عن اليابسة بضعة اميال وكنت اتصور ان كل ما هو تحتي بحارٌ ومياه ولم اقوَ على ان انظر الى الاسفل خوفًا من ان تلعب برامي صفراء الوهم فتغيب بي عن الهدى وتضعف من قوتي فاترك مخلصي واهوي الى الاعماق ويعلم الله ماذا كان يحلّ بي ولهذا كنت موجهًا بكل قواي الى ان ابقى متمسكًا بارجل الطير ومرسلاً بكل افكاري الى جهة الخلاص وانهٔ سيلقيني في مكان ربما يكون سبيلاً لحياتي وخلاصي . وهكذا صرفت نحواً من نصف ساعة حتى اخذت يداي في ان تخدرا وشعرت بضعفهما وخفت من ان يطيل الطير طيرانهٔ فيرميني الضعف بالرغم عني الا ان هذا الامر لم يطل كثيراً الاني نظرتهٔ قد عرج الى جهة جبل هناك واخذ في الوطوء والنزول حتى استقر على راس الجبل وما من وقت فرحت بهِ زماني بطولهِ اكثر من ذاك لاني نظرت الى نفسي وقد تخلصت من الموت وعدت الى الارض اليابسة وترجح عندي ان لا بد بعد هذا الجبل من وجود اناس اقدر ان استانس بهم واتوصل منهم الى بلادي او الى بلاد فيها سيدي فيروزشاه وسبب هذا الفرح هو اني كنت افكر في الاول ان الزمان لم يعد يسمح لي ان اتشرف بالمسير في ركابهِ مرة ثانية فلما وقعت رجلاي على قمة ذاك الجبل طرق فكري قرب وصولي منهٔ فاوعب قلبي مسرة عظمى وفي الحال تركت رجلي ذاك الطائر وصفقت بيداي بشدة فنفر مني الى جهة ثانية وحينئذ اخذت في النزول عن ذاك الجبل وانا افكر في حالتي في الجزيرة ولا اقدر ان اعرف المسافة التي سارها بي مخلصي الطائر العظيم انما على ما اظن قد يمكن ان تكون مسافة عشرة ايام على الاقل . و بعد ان انتهيت من الجبل وصلت الى سهل يتخللهٔ عدة طرقات احيت بي الامال والرجاء وثبت عندي ان هذه الطرقات هي لاناس يقصدون ذاك الجبل للاحتطاب او لغايات اخرى فاستلمت طريقًا من هذه الطرقات وسرت فيهِ كل ذاك النهار حتى المساء وسرت نحو ساعة من الليل فتبينت انواراً عن بعد فاملت مصادفة الناس وان لا بد هناك من قوم يشعلون تلك الانوار فسرت نحوها وانا لا اصدق اني اصل اليها وارى من فيها وقطعت تلك الليلة سائراً ولم اقرب من المدينة الا عند بزوغ شمس اليوم التالي وعندما دنوت منها وجدت جماعة خارجين عنها وهم من الادميين فاتيت نحوهم وانا بفرح لا يوصف وسلمت عليهم بلغتي فلم يفهموا مني شيئًا بل نظروا اليَّ متعجبين مني واشاروا اليَّ اشارة السلام فعرفت انهم لا يعرفون بلغتنا وامعنت النظر فيهم واذا بهم كلهم عور وليس فيهم ذو عينين فتعجبت من هذا التصادف الغريب وقلت في نفسي لا ريب ان سكان هذه المدينة كلهم عور ومن ثم اخذوني وعادوا بي في اسواق المدينة يقصدون ملكهم وهكذا كان فاني ما صادفت احداً في طريقي الا وكان اعوراً اي بعين واحدة . ولما وقفت بين يدي حاكمهم نظرت فيهِ فاذا هو مثلهم وكامل رجال ديوانهِ نظيره فاخذتني الدهشة وعجبت من هذا الامر واظهرت خضوعي للملك والقيت عليهِ سلامي بالاشارة فاجابني ثم دعا برجل غريب كان

حاضراً في قصره يعرف اللغات الاجنبية فحضر بين يديهِ فامره ان يسالني عن حالتي فحكيت لهُ كل ما كان من امري في الجزيرة المطلسمة حتى وصلت اليهِ فاظهر على نفسهِ الاندهاش من تعلقي بالطائر حتى تخلصت وامر لي بعد ذلك بالطعام فاحضر لدي واكلت منهُ آكلا ذريعاً لاني كنت جائعاً وكان اكثره من الفاكهة اللذيذة و بعد ان اكتفيت امرلي بالجلوس الى جانب الترجمان . ثم امره ان يخبرني ان لا اتعجب من وجودهم على هذه الصفة بعين واحدة فانهم لم يكونوا في الاصل كذلك بل يلدون صحيحي الاعين انما تسلط عليهم جماعة من الطيور فتفقىء اعينهم ولا تنفك عنهم واذا تخبأ الواحد منهم داخل بيتهِ سنيناً واعواماً لا ينجو من شرها لانها تطوف حول البيت ولا تترك احداً يدخلهُ حتى يسهل لها طلبها وان لا بد في الغد ان اصبح مثلهم ومن الامر الغريب ان تلك الطيور متى اكلت عين الانسان لا تعود مرة اخرى الى التعرض اليهِ ولا تضر بعينهِ الباقية وعليهِ فقد اعتادوا منذ القديم ان يقدموا اولادهم لها فتاخذ عيناً وتبقي الثانية . فسالت الترجمان وكان مثلهم اعور وهل انت وقع عليك ما وقع عليهم . قال لي اني كنت مسافراً في قارب لي فسحبتني الرياح الى هذه الجزيرة مع قاربي فنزلت الى البر ودخلت بين هولاء الجماعة فجاءني طير وفقأ عيني فتالمت في البداية الا اني وجدت اخيراً سلوى بقيامي بين هولاء القوم وقلت في نفسي ليس من العدل ان ابقى بينهم دون ان اكون اعوراً مثلهم وقد قيل في المثل (اذا وجدت بين العوران فاقلع عينك) وقد انستني راحة المعيشة بلدي ووطني واخترت القيام في هذه المدينة لاني مكرم جداً من ملكها ومن اهلها جميعاً . فقلت لهُ ان ما اسمعهُ هو من العجب كيف ان الطير تسطو على الانسان مع ان الله سلطهُ عليها واعطاه السلطان الاول وهو العقل للتدرب والتدبير والتخلص عند الوقوع في الشدائد فهل لم تروا وسيلة لرفع هذه المضرة عن المدينة وقتل تلك الطيور وتنفيرها عنكم . فاخبر الملك بقولي فقال ان ما من وسيلة نقدر بها ان نتغلب على هذا العدو الالد واني ابذل كل ما في وسعي وما في يدي اذا بعث القدر لنا من يهدينا الى طريقة تدفع عنا هذه المصيبة . ففكرت في نفسي وخفت من ان يصيبني نفس ما اصابهم فامسي مثلهم بعين واحدة وعمدت الى استعمال الوسائط لقهر هذه الطيور فلم يطرق على فكري الا ان اتخذ لي قوساً اوتر بهِ سهماً وارمي بهِ كل طير يدنو مني وكنت عارفاً برمي السهام وعندما خطر لي هذا الخاطر ترجح في ذهني الفوز فاطلعت الملك ان يسمح لي باتخاذ طريقة لهلاك هذه الطيور ففرح جداً وامر الترجمان ان يلازمني وان لا يفارقني ويقدم لي كل ما انا باحتياج اليهِ ففعل وخرج معي بعد ان اوصاني الملك بالرجوع اليهِ في المساء للمبيت عنده كي يقوم باكرامي

و بعد ان خرجت من بين يديهِ ذهبت الى البرية واخذت الرياض من قوساً فربطتها بوتر واحكمت صنعها واتقنت عملها واتيت بعدة اسهم حددت رووسها على حسب ما اريد وجربت

القوس والسهام فاذا هي على اتم المراد لا تخطيء قط ففرحت بنجاح مسعاي ولم يعد لي الا ان استعد لملاقاة العدو فاقمت يومين في بيت الملك وانا على الاكرام والترحيب منتظرًا اليوم الذي تلقي به هذه الطيور تتفقد المدينة وتنظر من يلد فيها جديدًا ولم تفقأ عينه . وكان لهذا الملك بنت بيضاء الوجه يخالطه حمرة وقوامها لم يكن اقل لدونة من العوالي وكل ما فيها كان كامل الا ان ذهاب عينها كان يشوه وجهها . فلا يميل اليها القلب وعندما راتني أنستني وترحبت بي واظهرت ميلها اليَّ وقالت لي يا ليتك تبقى كامل العينين فتبقى فتنة للناظرين فلحظت منها غايتها وانها تعجب مني وترغب فيَّ فحسبت لذلك حسابًا وخفت من الوقوع بمصيبة جديدة تمنعني عن السفر من تلك المدينة الى بلادي وانا في شوق لذلك الا اني صبرت منتظرًا ابواب الفرج الى ان كان اليوم الثالث واذا بالطيور قد اقبلت فاخذت السهام واوترت واحدًا منها واطلقته على المتقدم فاصاب كبده وصاح متوجعًا ووقع الى الارض فاسرعت الى سهم اخر واطلقته على اخر فاصابه وقتله وكان كثير من الجموع وقوفًا يرون عملي ففرحوا بي جدًّا وجعلوا يصفقون بايديهم ويرون عملي بتعجب وانا ارمي من تلك الطيور حتى نفرت وتفرقت وشرد ما بقي منها الى جهة الجبال ودنا مني الملك وقبلني وسالني ان اعلم بعض رجاله هذه الحرفة حتى اذا تعلموها تغلبوا بها على هذا العدو فيما بعد الى الابد فيخلصون من شره فاجبت طلبه ودفع اليَّ عشرة رجال فعلمتهم كيف يصنعون القسي والسهام . ثم علمتهم الرمي وجربوا امامي مرارًا وقد وضعت لهم مرمى يرمونه بها ولما صاروا يحسنون الرمي فرحوا جدًّا وصاروا في كل يوم يتمرنون من انفسهم ويعلم بعضهم بعضًا كل ذاك الاسبوع ولما كان الاسبوع القادم عادت الطيور فتجمعت وجاءت منتقمة مني وقد دعت لمعونتها كثيرًا من ابناء جنسها بما كاد يحجب عين الشمس فاسرعت الى سلاحي ووضعت السهام بين يديَّ وجعلت اصيب بها قلوبها واكبادها وفعل مثلي الذين تعلموا رمي السهام من المدينة فقتلوا كثيرًا من الطيور ولم يبقَ الا القليل فشردوا كالاول خاسرين وعدنا نحن ظافرين وقد ثبت لدى الملك ان من يلد في تلك المدينة منذ ذلك الحين يبقى على عينيه وقد دفع عنهم هذا العدو دفعًا كاملاً ولم يعد من وسيلة له عليهم واذا عاودهم مرة ثانية عاملوه بالقتل والطرد . وعلى هذا وقعت من قلب الملك وسكان المدينة موقعًا عظيمًا وجعلوا يدعون لي ويترحبون بي ويكرمونني مزيد الاكرام وكان اشدهم حبًّا لي بنت الملك وقد ثبت عندها اني ابقى على حالي فلا يشوه وجهي العور وان لا ترى لها زوجًا في قومها غير اعور فصرفت كل غايتها في مراضاتي وكانت في بداية الامر تستعمل الاشارة في حديثها معي الا اني اخيرًا تعلمت بعضًا من لغتهم فصرت افهم كل ما يقولونه لي واقدر ان افهم كل ما اريده وهذا سرها جدًّا وجعلها ان تكاشفني بحبها وطلبت الي ذات يوم ان اوافق ابيها اذا طلب اليَّ ان يزوجني بها لانها سالته بذلك فقبل به واجابها اليه ووعدها انه يزفها عليَّ فلما سمعت

منها كلامها وقعت باليأس والكدر لاني كنت لا احب ان ابقى بتلك المدينة ولا يطرق فكري قط امر الزواج بل كانت كل افكاري موجهة الى ايجاد وسيلة للفرار من تلك المدينة والبعد عنها . فقلت لبنت الملك هذا لا يكون الان ولا بد من اجرائه غير ان من اللازم تاخيره ريثما اكون قد عرفت كيف اقدر ان اعيش بينهم . قالت ان ابي وعدني انه يقيمك بين رجاله ويقدمك على الجميع وتكون لك رتبة فوق كل رتبة من بعده وانت تستحق ذلك لانك خلصت بلاده ورجاله مما كانوا واقعين به قبلاً . ولما نظرت الى الحاحها تكدرت في داخلي ولم يهن عليّ ان اعدها واعاهدها او اجيبها بشيء مما تطلبه بل سكت صابراً على حكم القضاء وما يفعله بي الزمان ولم يكن يهمني او يشغلني الا فكر واحد وهو وصولي الى بين يدي فيروز شاه ولهذا كنت انشاغل عن كل شيء واكره في كل شيء ولا ارضى بغير النظر في الطريق الموصلة الى بلادي وكنت لا ارى طريقة للفرار من تلك المدينة ولا سبيلاً للبعاد عنها الا من جهة البحر وقد تذكرت ان الترجمان كان قال لي انه كان في قارب يحمله البحر الى هذا الشاطي . وقلت في نفسي لابد ان يكون ذاك القارب باقيًا الى هذا الحين غير مستعمل من احد وعلى هذا اتجهت الى الساحل افتش على غايتي واذا انا بالقارب في ناحية من البحر متروكًا غير ملتفت اليه ولا احد ينظر فيه فتبين لي وجه الخلاص وعدت الى المدينة وانا اشغل في تهيئة لوازمي وما احتاج اليه في سفري اذا نويت على ان اركب ذاك القارب وابعد عن تلك الناحية تخلصًا من زواجي ببنت الملك اذا دعاني اليه

وبعد ان مضى عليّ اكثر من شهرين وانا في تلك المدينة اتاهب واتعدد وقد وصلت الى شراع القارب ومجاذيفه واعددت الماكل اللازمة الكافية لي اثناء سفري بالبحار واذا بالملك قد دعاني وبش في وجهي وتلطف بي كل الملاطفة وقال لي اني لا انكر جميلاً فعلته معنا ومعروفًا اوصلته الينا ولهذا ارى نفسي مضطرًا لان اكافيك على عملك وذلك بان ازوجك ببنتي فهي تليق بك ولا تقبل بغيرك فاطرقت الى الارض مفكرًا بما اجيب فظن ان سكوتي هذا ناجم عن القبول والحياء بالتصريح فقال لي اني اعرف فيك الكمال واللياقة ولهذا لا تجيب عما يتردد في فكرك واني ساذهب من هذه الساعة الى بنتي وادعها تكون على استعداد لملاقاتك وساعد للزفاف الولائم والافراح وانحر النحور واجعل لكما يوم القران يومًا لم يكن مثله قبل . وحيث لم يكن لي من وريث ذكر يرث الملك من بعدي فاعهد اليك به وتكون انت الحاكم على هذه المدينة من بعدي فما اجبته بشيء وصبرت على حكم القضاء وفي نفسي اني انجو بعد ايام من تلك المدينة ولا ادع لبنت الملك مطمعًا فيّ . وسارعني الملك ظانًا ان حيائي من الدخول في مثل هذا الحديث منعني عن التكلم وكانه قد اقتنع من سكوتي بقبولي بزواج بنته وكنت ارى من نفسي اني ملتزم بان اراعي جانبه وان لا ارجع طلبه بالخيبة وجل ما كان يثبت لي املي وجود القارب . فمتى سرت وبعدت

عن تلك المدينة خلصت منها ولا يعود من سبيل للرجوع اليها فابقى بعيداً عنها وادع بنت الملك وشانها ولا اعود اعرف ماذا يحل عليها . ولما كمل لديَّ كل شيء وصرت اقدر ان ابارح المدينة بدون ريب وطدت العزم على المسير في الليل على القارب الى ما شاء الله وهكذا كان فاني عند اشتداد الظلام حملت كل ما كان عندي الى القارب وركبته لوحدي وخرجت من مينا تلك المدينة على اكف الرحمن لا اعرف نهاية مسيري الى اي مكان وصرفت ما بقي من الليل سائراً حتى اشرق الصباح وكانت الريح موافقة لي فانطلق القارب يمخر البحر فاراً من قباحة منظر اهل تلك المدينة وعند شروق النهار نظرت الى الوراء واذا انا بعيد عن المدينة بعداً شاسعاً ولم اعد اراها الا قليلا فثبت لدي خلاصي وتاكدت ان اهلها لا يروني وانهم وان فكروا بهربي منهم وبلغ ذلك بنت الملك وحركها حبها الى استرجاعي فلا يقدرون على الوصول اليَّ وهكذا بقيت سائرا بامان فرحًا بما اعطانيهِ الله من المساعدة ومخبيءٍ من الالتفات وتاكدت انهُ يقصد وصولي الى بلادي وارجاعي الى خدمة سيدي الذي نذرت على نفسي خدمتهُ ما زلت حيًا ودمت في القارب مسافرا ولديَّ كل ما تطلبهُ نفسي وتحتاجه من اسباب القوت والماء فكنت اجعل لاكلي اوقاتًا معينة اترك القارب فيها ومن ثم اعود فاخدم نفسي واعتني بقاربي وبقي القارب سائراً الي وكان البحر في كل هذه المدة هاديًا صافيًا والارياح ساكنة ملجمة عني الى ان مضى عليَّ نحواً من خمسة عشر يومًا على ذاك القارب لم اصل الى شاطيءٍ ولا ملت الى بر حتى سئمت نفسي من سير البحر وتعبت جداً من قلة النوم لاني كنت لا انام الا ساعة او اقل في كل يوم نومًا متقطعًا اختشاء من ان اصاب بمصيبة جديدة وتحسبًا من ان تختلف معي الرياح ويضطرب البحر وانا غير منتبه لنفسي وصرت اشتاق من نفسي ان اصل الى البر وارمي بكلي عليها ولا اعود مرة ثانية الى سفر البحر لا سيما وانا منفرد لا رفيق ولا انيس اصرف الوقت معهُ فكنت ارى اليوم سنة لا بل جيلا وخفت جداً من ان يطول الامر عليَّ ولا اصل الى الشاطي الا بعد قطع الياس والرجاء والضجر ومضت عليَّ خمسة ايام اخر حتى وصلت الى البر ففرحت جداً وشكرت الله على سلامتي ونزلت الشاطيء مسرورا واخذت من القارب كل ما كنت احتاجه من الثياب والطعام واتكلت على الله عزَّ وجل وجهرت في البر اسعى الى مدينة او قرية اصرف فيها ايامًا للراحة والسكينة وسحبني مسيري الى ارض واسعة كثيرة الاشجار يانعتها كانها الفردوس في اثماره وازهاره ففرحت جداً وقلت لابد من ان يكون خلف هذه الرياض قوم يسكنون

وبقيت في مسيري حتى تبين لي من خلالها قصر قائم شاهق فانعطف خاطري لنحوه ونما بي الامل الى الراحة حيث كنت تعبًا جداً مشتاقًا لملاقاة بني جنسي من اولاد ادم . ولما وصلت القصر فرحت جداً واذا انا ببابهِ مقفلاً فطرقتهُ طرقات متوالية حتى سمعت حركة من الداخل ثم تبينت

صبية عربية قد طلت من احدى نوافذ الشباك وهي كانها البدر في الاشراق فلما راتني سالتني عن حالي وماذا اريد فقلت لها اني غريب مسافر وقد تعبت من المسير فعرجت الى هذا القصر اطلب الراحة عندكم يومًا واحدا ومن ثم اعود الى حالي واكون قد استدللت منكم على الطريق الموصلة الى بلد التجيء اليه فنزلت الحيّ وفتحت الباب وانا متعجب من جمالها ورقتها وقالت لي انه لا يمكنك ان تنام هذه الليلة في هذا المكان بل اجلس عندك فاتيك بما عندي من الطعام وازودك ما يكفيك في طريقك الى ان تصل الى بلد من البلدان المجاورة واذا اطلت المقام في جانب هذا القصر قتلك صاحبه لا محالة لانه ظالم غاشم فاتك لا يخاف الله ولا يراعي حرمة الانسانية . ثم سمعت ان تلك الامراة قد تنهدت تنهدا عميقًا من فواد مقروح وترقرقت في اعينها دمعة مؤلمة جرح لها فوادي وثبت عندي انها مظلومة موجعة من صاحب القصر . فقلت لها بالله عليك ان تطلعيني على امرك ولا تكتمي عني امرا واعلمي ان الله بعثني اليك لانقذك اذا كنت مظلومة ممن ظلمك فقالت لست انت ممن يقدر على انقاذي ومساعدتي واما قصتي فسوف اطلعك عليها . ثم تركتني ودخلت القصر فغابت بضع دقائق ثم عادت اليّ بالطعام فوضعته امامي وقالت لي كل وارح نفسك بينما اكون قد اطلعتك على قصتي مختصرا وسر عن هذه النواحي فتنجو من الهلاك . فقلت لها لا يمكني قط ان امدد يدي لطعام من طعامك قبل ان اقضي مرامك واعرف امرك واذا كنت تظنين اني لا اقدر على مساعدتك فمتى عرفت قصتي وثبت لديك امري تعرفين مقدرتي وقوتي . ثم شرحت لها قصتي من البداية الى النهاية وهي تتعجب من امري ومن معاندة الزمان الذي ابعد عني وطني وبلادي وقالت لي اذًا انت ابن ملك قلت نعم واني من الشاهات وسوف يظهر لك ذلك . فاطلعيني على امرك وكوني براحة بال فاني عزمت ان لا انام ولا اكل ولا اتحرك من مكاني قبل ان افرج عنك وادفع ما يغيظك ويهينك . قالت اعلم ان قومي يسكنون في برية تبعد مقدار يوم من هذا القصر ويبلغ عددهم نحو خمسمائة نفس يعيشون من حراثة الارض وزراعتها وابي هو الرئيس عليهم ولي اخان ذكران فقط وبالقرب من مكان اقامتنا اي عن بعد نحو يومين الى الجنوب مدينة شهيرة يذهب قومنا اليها في السنة مرة او مرتين او ثلاث لاجل قضاء حوائجنا وما يلزمنا منها ولاجل بيع ما يحصل لنا من محصولات الارض ونحن مسرورون بهذه العيشة ولا عدو لنا وليس من سبب يكدر لنا راحتنا فكان من امرنا ان نصرف الوقت على الشغل في النهار والراحة في الليل وكان اخوي وابي يحبونني كثيرا ويعتنون بي ويهتمون بامري حتى بلغت اشدي وصرت كما تراني فشغف بي ابن عمي وخطبني من ابي فاجابه الى ذلك وعدت من ذلك اليوم لابن عمي وانا احبه حبًا عظيمًا اذ لم يكن لي رجاء بغيره لا سيما وقد تاكدت انه سيصبح زوجي وكنت معتادة على معاشرته والتباهر معه منذ الصغر غير ان الله سلط علينا صاحب هذا القصر وهو فارس صنديد وبطل شديد اسمه

الرماح وعنده عشرة من الرجال فجاء قومي وسطا عليهم فلم يكن فيهم من يقدر على مقاومته او قتاله واسر ابي واخوي وعمد على قتلهم فاستجاروا به وصالحوه على ان يدفعوا بي اليه وما فعلوا ذلك الا رغماً عنهم وتاكدوا انهم اذا مانعوا قتلهم واخذني بالغصب عنهم فاشتروا حياتهم بي اذ لا بد ان اكون غصيبة الامير رماح المذكور وبعد ان سلموني اليه اخذني وعاد بي الى هذا القصر وكان ذلك منذ ثلاثة ايام فوضعني فيه دون ان يقرب مني وهو في كل يوم يذهب الى الصيد مع رجاله فيصطاد الوحوش والغزلان والطيور فياتي بها في المساء تهيئة لهم ولطعامهم فاطبخه وقد سمعته يقول لجماعته انه لا لا يقرب مني ما لم يعد لهم وليمة كانه يريد ان يعمل لنفسه عرساً واحتفالاً واما انا فاني مقهورة من نفسي محزونة على ابن عمي اكره هذا الرجل واتمنى له الموت لانه لا يعرف الله ولا يراعي حرمة الانسانية ولولا املي بنجاة ابي وخلاصه من يده لما وافقته على مقصده بل كنت قتلت نفسي وعدمت الحياة الا اني اخاف على حياة ابي واخوي فهم لا يقدرون عليه ولا يستطيعون مقاومته فاذا عاندته وابعدته عني وقطعت رجاءه مني عاد اليهم فانتقم منهم ولذلك تراني حزينة كئيبة لا اسال خلاصي الا من الله سبحانه وتعالى . اما انت فلست في حاجة لان تخاطر بنفسك لاجلي فربما كان اقدر منك فيفتك بك وتكون اهلكت نفسك بيدك لاجل عمل المعروف مع من لا يهمك امرها واني لا اريد ذلك اختشاء من ان يصل اليك اذى بسببي فاكون كاني قد اهرقت دمك بيدي . واقبل ان اجعل نفسي ضحية لهذا الغاشم الظالم وامنعه من ضرر غيره وارفع شره عن عباد الله

فلما سمعت كلامها تاثرت منه واشتقت لقتل الامير رماح لاريها فعلي به فقلت لها كوني براحة فسوف يظهر لك فعلي وتري بعينيك ما افعله بعدوك هذا ليشتفي قلبك به وقد اقسمت اني لا اذوق طعامك ما لم اقتله مع جماعته واعدمه الحياة . انما اريد منك ان تقفلي الباب وترجعي الى مكانك وعند القتال قفي في النافذة وانظري مايكون من امرنا فدعت لي بالنصر وعادت الى داخل القصر وادمعها تذرف على خدودها فتحركت بي المروءة ووطدت كل العزم على اغاثة هذه الصبية ورفع الظلم عنها وارجاعها الى اهلها عسى ان الله سبحانه وتعالى يقرب مني الرجوع الى بلدي واهلي والى خدمة سيدي فيروزشاه فارى وجهه مرة ثانية . ثم افتقدت سيفي فوجدته لا يزال على حاله لاني منذ وقوعي على الجزيرة المطلسمة لم استعمله ولا اخرجته من غمده الى تلك الساعة فمسحته بخرقة من الغبار واعدته الى قرابه وكنت ارى نفسي محتاجاً الى جواد اركبه لاقاتل عليه جماعة من الفرسان فوق خيولهم غيران رجائي بمساعدته تعالى قوتني على انفاذ ماربي واجراء ما نويته فجلست الى ساق شجرة على بعد قليل من القصر واقمت بانتظار الامير وجماعته حتى قرب الوقت ومالت الشمس الى جهة الغروب واذا بهم قد اقبلوا من صدر البرية وجاءوا القصر وقبل ان يدنوا من بابه نظرني الامير فبعث احد جماعته اليّ ففرحت واملت باخذ جواده وانتصبت واقفاً على اقدامي الى ان دنا مني

واراد ان يسالني عن نفسي فما مكنته بل اخترطت سيفي باسرع من البرق وضربته به على وسطه فمال قتيلا وفي الحال تناولت طارقته وعلوت على جواده واشهرت السيف واذا بالامير قد امر جماعته ان تنقض عليّ وتقطعني بسيوفها جزاء على قتلي احدهم وكان الغيظ قد احرقه فبعثه على الانتقام واقام بانتظار رفاقه الذين ما لبثوا ان وصلوا اليّ حتى شاهدوا الموت الاحمر من يدي فاني بعد ان ركبت الجواد نظرت الى نفسي نظر الغدار وتاكد لي اني ابيدهم باجمعهم فصحت فيهم وارسلت السيف الى اختراق صدورهم واحدا بعد واحد حتى القيتهم جميعًا الى الارض ممددين ما منهم من عاد يرى الى هذه الدنيا بعين بصيرة . ولما انتهيت منهم كانت الشمس قد غابت انما لا يزال النور ناشرا ببعض لوائه على ذاك الفلا فلم اقبل ان اترك قتال الامير رماح او استانفه الى الغد بل اطلقت عنان الجواد الى نحوه لا سيما عندما نظرت الصبية واقفة في نافذة القصر تنظر الى فعلي وعلائم الفرح والسرور تطفح فوق جبينها الواضح اللامع . واما الامير فانه تقدم بجواده مني وقال لي من انت ايها الفارس الباسل فقد اعجبني قتالك وسرني نزالك ولم ارَ بعمري من هو مثلك في ساحة القتال . فقلت دعك من السوال عني واترك عنك المطاولة واستعد لحربي فاني عازم على هلاكك . قال اني احب ان اعرض عليك امرًا الك به الخير والراحة وذلك انك قتلت رفاقي ولم يبقَ منهم ولا واحد وارى نفسي محتاجًا الى رفيق يقيم معي و يساعدني في معيشتي فاذا شئت تعاهدنا على المحبة واقمنا مع بعضنا وكنت الك رفيقًا امينًا وكنت لي صديقًا صدوقًا فنلقي بهيبتنا في كل سكان هذه الاراضي فننهب اموالها وناتي ببناتها ونسائها ونعيش على الحظ والانشراح واني اخبرك ان عندي الان صبية من اجمل بنات العالم فيمكنا ان نصرف الوقت عليها الى ان نصل الى غيرها . فقلت له خابت آمالك وساءت احوالك اتظن ان الصبية تبقى الك عرضة لقبائحك وشرورك او تظن اني مثلك فاسد الطبع والعمل فاستعد لقتالي ولا مطمع الك بعد بها ثم صحت به وانحدفت عليه فتلقاني بقلب قوي وجنان جري واخذنا في القتال والحرب والنزال وكلٌّ منا يؤمل هلاك خصمه ونزع اسمه . وداما الضرب والطعان بيننا نحو ساعة من الزمان . حتى اشتد الظلام فخفت من ان يفوتني منه ما انا طالبه فصحت به وخبلته وفاجئته من جانبه وضربته بسيفي فالقيته الى الارض قتيلاً مفارقًا الحياة فسرني ذلك جدًا وشكرت الله على نصرتي وخلاصي من هولاء اللئام واتيت من الباب فطرقته واذا بالصبية قد اسرعت وفتحته وتلقتني بالترحيب والاكرام وجعلت تدعو لي وتسال الله بطول عمري فنزلت اليها وشكرتها على ذلك وقلت لها الان وقت الفرج وقد يمكني ان آكل كل ما اعددته من الطعام فما من مانع يمنعني بعد عن ان اكون مرتاحًا في هذا القصر هذه الليلة ولم يعد من خوف عليك من اعدائك فقد هلكوا جميعًا . قالت قد شاهدت بعيني فعلك ودهشت من قتالك وكنت خائفة عليك منهم اسال الله نجاتك وخلاصك

ثم دخلنا القصر فوجدتهُ واسعًا جيلاً فاقمت مع الصبية في هناء وراحة وقد احضرتني على مائدة الطعام فاكلت وإياها من لحم الغزلان الذي كانت طبختهُ في النهار من صيد الامير رماح في اليوم الماضي وبعد ان اكتفينا من الطعام قامت بي الى صفرة المدام وكانت معدة لهُ ولجماعتهِ فاقمنا عليها نشرب ونخمر هي تسكب لي وتسقيني وكنت ارى منها انها مالت اليَّ واحبتني فطلبت نفسي ان اقابلها بالمثل الاَّ اني وجدت اني غير قادر على ذلك واني محتاج الى السفر في الحال والرجوع الى بلادي فرددت جماح النفس وطلبت النوم فدلتني على الغرفة التي كان ينام الامير بها فنمت كل تلك الليلة مرتاحًا الى صباح الغد فنهضت من رقادي وغسلت وجهي وقلت لها هلمي لاذهب بك الى ابيك واهلك فما قيامنا بهذا القصر محمود قط واني لا ارغب في ان تبقي بعيدة عن اهلك وقومك. قالت حسنًا فكرت فاني متشوقة اليهم وعالمة انهم في مزيد كدر من اجلي وفي الحال ركبت جواد الامير واعددت لها جوادًا فركبتهُ بعد ان اصحبنا معنا زاد النهار وسرت وسارت الى جانبي وفي نيتها شيئًا تريد ان تفاتحني بهِ فيمنعها الحياء والخجل ولم يخفني امرها فاردت ان اريح ضميرها من هذا القبيل واخبرها بغايتي فقلت لها اني وددتك مودة صادقة وحببتك حبًا عظيماً ولولا رغبتي في سرعة سفري ورجوعي الى وطني لطلبت اليك ان تكوني زوجة لي غير ان هذا لا يمكني الان وقد نويت كل النية ان ازفك على ابن عمك وخطيبك كونهُ كان يحبك وتحبينهُ منذ البداية. فلما سمعت كلامي نظرت اليَّ والاحمرار يعلو وجهها وقالت لي وهي تتردد في الكلام كانها شعرت بالخيبة والفشل اني كنت احب ان اكافيك على معروفك بان ابقى بقيت عمري في خدمتك واني اسير معك الى بلادك قلت اولم تكوني لاخر قبلي لاجبتك الى ذلك انما من المحال ان احرم ابن عمك منك وكرامتك وتعقلك لا يقبل معك بذلك فكانها شعرت من نفسها بغلطها وسكتت على قطع الرجاء واليأس وبقيا سائرين الى جانب بعضنا كل ذاك النهار حتى قربنا من المكان المقيم بهِ قومها عند المساء فدخلناه وهو الى جانب حرش من السنوبر وقد نصبوا بينها الخيام الى بعضها ولم يكن عندهم علم قط بنا ولذلك اعترتهم الدهشة والرعشة لما راونا وفرحوا بنا مزيد الفرح واخذوا في ان يترحبوا فيَّ ويكرموني وقد سأل الصبية ابوها عن سبب رجوعها فحكت لهُ كل ما توقع لها معي وكيف اني قتلت الامير رماح وجماعتهُ وخلصتها منهم. فسروا مزيد السرور ووقعت في قلوبهم موقعًا عظيماً حتى كادوا لا يصدقون اني اقدر على هلاك عدوهم واكرموني مزيد الاكرام واحلوني محل السيد والملك وقدموا لديَّ كلما في وسعهم حتى عدت لااقدر على شكرهم وبقيت نحوًا من ثلاثة ايام على مثل هذا الاكرام وقد عادت اليَّ الصبية وراجعتني مرارًا بان اقبلها في خدمتي فرفضت ذلك وقلت لها اذا شئت ان ترضيني فارجعي الى ابن عمك وابقي بكل قلبك على حبهِ فتبقي براحة معهُ. فالتزمت اخيرًا ان تصغي الى كلامي وتنقاد الى امري وسلمت بنفسها اليَّ. وبعد مضي الثلاثة ايام دعوت بابيها

وأمرتهُ ان يزفها على ابن عمها فاجابني في الحال وزوجهُ بها وعمل لهُ وليمة فاخرة اكرامًا لي وعندما انتهى الزفاف سالت اباها الانصراف وطلبت اليهِ ان يهديني الى بلدٍ قريب من تلك الناحية تاتي اليها القوافل والمسافرين فاجابني الى ذلك وقال لي اني ابعث معك ولدي فيسير الى مدينة قريبة منها من كشمير العجم فيمكنك ان تسير منها فشكرتهُ على ذلك وفرحت غاية الفرح وفي نيتي ان اسافر من تلك المدينة الى كشمير العجم ومنها الى ايران بلد سيدي الذي اشتاق الى ملاقاتهِ وتقبيل يديهِ فزودني الرجل بما احتاج اليهِ في الطريق و ودعتهُ و ودعت بنتهُ وخرجت مع ولديهِ كل ذاك اليوم واليوم الثاني و في اليوم الثالث اقبلنا على تلك المدينة واذا بها عامرة وسكانها من الاعجام اصحاب الشغل والعمل والتجارة فسرني هذا الامر وترجح لدي وصولي الى غايتي ونوال ما انا طالبهُ فنزلت في فندق مخصوص للمسافرين وسأَلت صاحبهُ متى علم بسفر القافلة الى العاصمة اخبرني بها لاني مزمع على السفر اليها فوعدني واقمت بالانتظار بعد ان ودعت ابني الرجل اللذان جاءا يدلاني على المدينة . قال وكنت قد احضرت من قصر الامير رماح بعضًا من الدراهم والجواهر لاصرف ما احتاجهُ في سفري ولا اقع بالعوز والضنك الى ان كان ذات يوم جاءني صاحب الفندق واخبرني انهُ راى قافلة على اهبة الاستعداد والمسير الى بلاد الملك فشكرت فضلهُ وسرت الى رئيس تلك القافلة وتواعدت معهُ على المسير في الطريق برفقتهِ ورجعت احضرت لجوادي ما يلزمهُ من العلف واعددت الزاد اللازم لي في الطريق ودفعت اجرة الفندق وركبت مع القافلة وسرنا معًا عن تلك المدينة وكان رئيس تلك القافلة انيسًا بشوشًا فسرني مرافقتهُ والسفر معهُ وصرفنا قسمًا من الطريق على الضحك واللعب والحظ وقد فرح بي و بمعاشرتي كل الفرح ولما قربنا الى وادٍ يبعد نحو عشرة ايام عن المدينة التي خرجنا منها امرنا الرئيس ان ننزل الى ناحية من الارض ونصبر الى الليل وكان الوقت اذ ذاك بعد الظهر فسالتهُ عن السبب وقلت لهُ دعنا نسير بقية هذا النهار وفي المساء نبيت في المكان الذي نصل اليهِ . قال لا يمكننا السفر من هذا الوادي الا تسرقًا بحيث لا يرانا من فيهِ لان جماعة من الديلم يبلغ عددهم اكثر من خمسين نفسًا يسلبون المارة وينهبون ما تصل اليهِ ايديهم وقد اعتدت عند مروري من هذا المكان ان الف ارجل البغال والخيل باللباد فلا يسمع لها صوت واسير في وسط الظلام لا يراني احد ومتى نجوت من الوادي لا خوف عليَّ قط من احد . فقلت لهُ وهل كل خوفكم من خمسين فارسًا وانتم فوق المائة قال ان ليس فينا من يقدر على مقاومتهم قلت سر ولا تخف ضيرًا فسوف اريك ما افعل باعدائك قال انك لا تقدر ان تاتي بحركة بين ايديهم فهم ابطال صناديد قلت لا بد من قتالهم عن اخرهم ومنع شرهم عن عباد الله فاذا سرت معي كان خيرًا والا فافعل ما بدا لك واما انا فاني اقطع الوادي وحدي في هذه الساعة ومن تعرَّض لي اعدمتهُ الحياة . ثم اطلقت لجوادي العنان ودخلت فم الوادي فحاول صاحب القافلة ارجاعي فلم

يستفد شيئًا فالتزم ان يتاثرني بجماعتهِ وساروا من خلفي يرون اليّ وانا اتقدمهم حتى كدنا نتوسط الوادي واذا بجماعة الديلم قد صاحوا وانحدروا من بين تلك الروابي يبربرون بلغاتهم وفاجئني جماعة منهم وسار الباقون لجهة القافلة فقاطعتهم وصحت فيهم وابتدرتهم بضرب اسبق من رواشق الغمام فاخترقت الصدور وصبرت الرؤوس واجريت الدماء وفعلت فيهم العجائب حتى اشتد بعملي رجال القافلة فثبتوا في القتال وهم يرون فعلي وانا انخطف من جهة الى ثانية وكلما كثر الديلم على رجال القافلة عدت ففرقتهم عنهم واهلكت منهم جماعة حتى ما اقبل مساء ذاك اليوم الا والجميع تمددوا على بساط الرمال يكدمون الارض من وجع السيف اشباحًا بلا ارواح . وبعد ذلك دنا مني رئيس القافلة وشكرني على فعلي وقال لي اعذرني يا سيدي فاني لم اقدرك حق قدرك وقد قصرت بخدمتك في الماضي ولم اظنك انك من فرسان هذا الزمان واذا صدقني حذري تكون من امراء ايران الذين تضرب بهم الامثال في هذا الزمان . قلت لست ممن تظن ولا احسب انا من بعض عبيدهم بل انا من اهل الكوفة وخرجت في سفر مع رفيقي ونزلنا البحر فهاج بنا ورمانا على الجزيرة المطلسمة وحكيت له بعد ذلك كل ما كان من امري الى ان وصلت اليهِ فتعجب من حديثي ولازمني تلك الساعة ملازمة العبد للسيد وفعل مثلهُ قومهُ وصاروا يتحدثون بحديثي وبما راوا مني وبتنا تلك الليلة في الوادي وفي الصباح ركبنا ورفع الرجال الاحمال وساروا حتى قطعنا الوادي واخذنا في الطريق المستقيم نحو عشرة ايام اخر نسير في النهار ونتربص في الليل وفي اليوم الحادي عشر اقبلنا على المدينة المقصودة فدخلناها واردت ان اسير الى فندق اصرف فيهِ اياماً للراحة ومن ثم اسير الى ايران وقد ثبت لديَّ كل الثبوت اني بوصولي الى هناك اما اني اصادف فيروزشاه او اعرف بمكان وجوده فاسير اليهِ واقيم على خدمتهِ غير ان صاحب القافلة منعني من ذلك بالاقسام والحلف انهُ لا يدعني انزل في غير بيتهِ فاجبتهُ ودخلت مسكنهُ فلاقانا اهلهُ بالسلام والترحيب وصرف البغال الى الخان يبيتون فيهِ كالعادة واعد لي غرفة مخصوصة وقال لي ان القافلة من بلاد ايران لا يمكن ان نسير في هذه الايام ولا بد بعد مضي شهرين تمر قافلة من هنا فتسير معها فتامن على نفسك من الضياع وتتسلى في الطريق . فرايت في كلامهِ صوابًا وكان مسكن الرجل متقنًا جدًا فظهر لي انهُ من الاغنياء الكرماء الشرفاء وكان لهُ عدة اولاد ذكور شبان من المتوظفين في معسكر الملك وكانوا ياتون اليَّ كل ليلة الى غرفتي ويلازمونني ويبدون لديَّ كل ما يسرني ويرضيني

وذات ليلة بينما كنت في غرفتي دعاني صاحب المنزل الى غرفتهِ اصرف السهرة وكان عنده اذ ذاك اولاده وجماعة من اقاربهِ فذهبت اليهِ واقمنا على الاحاديث والاخبار وذكر فرسان الزمان وتفضيل احدهم على الاخر . فحكى صاحب المنزل عما شاهده مني وما راى من بسالتي واقدامي

واطنب في مدحي واذ ذاك قال له احد اولاده لاريب ان قادرشاه يحسب من الفرسان الصناديد
غير اني رايت في بلاد اليمن فارسًا من الفرسان حينا كنا في حرب تعزاء اليمن قد فتك في جيوشنا
فتكًا ذريعًا وقتل بيروز وميسرة اخوي طومار الزنجي وكنا اذذاك لا نعرف من ذاك الفارس
اما بعد كسرتنا ومجيئنا الى هذه البلاد سمعنا ان ابن ملك ايران قد قصد تلك البلاد لاجل عين
الحياة فترجح عندنا انه هو نفسه فلما سمعت من ابن صاحب المنزل هذا الكلام تاقت نفسي الى معرفة
حقيقته وقلت علي اقف على خبر جديد انا باحتياج اليه . ومن ثم سالته عن معنى كلامه وكيف
كان ذهابه الى تعزاء اليمن وما هي صفات ذاك الفارس . فقال ان ابن ملكنا الشاه روزكان قد
سمع بذكر عين الحياة بنت الشاه سرور فخطبها من ابيها فامتنع عن اجابته ولم يجبه اليه فسار بعساكره
لمحاربته واستنجد طومار الزنجي فبعث اليه باخويه بيروز وميسرة مع عساكره وابطاله وسرنا الى
تعزاء اليمن وحاربنا الشاه سرور فكسرناه شر كسرة وحشرناه الى المدينة وكنا ننتظر دخولنا المدينة
واستلامها بعد قليل واذا بفارس قد انحدر الينا في صباح يوم من قمة الجبل فتوسط الميدان وقتل
بيروز ومن ثم قتل ميسرة وبدد عساكرها وهربنا نحن خائفين من صولته فزعين من هيبته فانه كان
كالشهاب عند انقضاضه لا يضرب فارسًا الا ويمحقه ولا بطلا الا ويسحقه وكنا في تلك الاثناء قتلنا
احد اولاد الشاه سرور واسرنا واحدا فاتينا به الى هذه البلاد فما اقام الا اياما قليلة حتى توفي في
الاسر وكان في نية سيدنا ان يطلقه الى اهله لما عرفنا ان فيروزشاه ابن الملك ضاراب سيد العجم
وملكها الاكبر يرغب في زواج عين الحياة وعلى ما اظن ان الفارس المذكور هو نفس فيروزشاه وقد
ثبت عندنا فيما بعد ان طومار سار بعساكره وابطاله الى اليمن فصادف الملك ضاراب مع جيشه
ففتك بهم كل الفتك وكان يركب الفيلة فبرز اليه فيروزشاه وقتله . فصار قلبي يخفق عند سمعي
الذكر هذا الاسم المحبوب مني ولم اقدر ان اضبط نفسي عن البكاء فانزلت عيناي دمعة الذكرى
وظهرت حالي للجميع وسالني صاحب المنزل اذا كنت اعرفه فحركني اعترافي بالجميل ان احكي لهم
قصتي معه وماذا باداني وكيف ارجع الينا بلادنا وامننا من عمنا وازوج اخي بابنته . فما منهم الا من
شكره واثنى عليه وقالوا ان هذه الا ماثر العجم ومحامدهم . ثم سالت ابن صاحب البيت وهل لم يعد
يسمع بعد ذلك خبرًا عن فيروزشاه . فقال لي اننا لم نعد نسمع عنه خبرًا وجل ما نعلمه الان ان
جيوش الفرس مع ملكها ضاراب هي في بلاد اليمن وقد بعث ملكها يستدعي اولاد عمه كرمان شاه
وخورشيد شاه للمسير اليه الى هناك ولم نعرف بعد مسيرهم ماذا جرى وماذا كان . قلت اذن الملك
ضاراب ليس في بلاد فارس قال نعم فهو الان غائب عنها فشكرت الله الذي عرفت بوجود
فيروزشاه وسمعت شيئًا من اخباره وتاكدت انه في بلاد اليمن واني ساقصده الى هناك واطمأن
بالي نوعًا وبعد ان انقضت تلك السهرة ذهبت الى غرفتي فنمت مرتاحًا وقمت في الصباح وسالت

صاحب البيت ان يسال لي اذا كانت جاءت القافلة التي تذهب في طريق ايران فسار عني ثم حضر الي وقال لي حتى الساعة لم تحضر وعلى ما اظن انها تحضر في الاسبوع القادم فصبرت الى مضي الاسبوع الحالي وجاء الاسبوع الذي بعده فغاب عني الرجل ثم عاد وقال لي سالت فقيل لي ان لا بد من حضورها في هذه الايام لان التجار بانتظارها اسبوعاً بعد اسبوع فهي قريبة الوصول فصبرت على ما انا عليهِ من الانتظار وفي كل اسبوع اعلق الامل انها تحضر في الاسبوع القادم حتى مضى عليَّ نحواً من ستة اشهر في بيت صاحب القافلة فضاقت نفسي وقل صبري وقلت لهُ انا انتظر الى نهاية هذا الاسبوع فاذا لم تحضر القافلة سرت بنفسي منفرداً . قال اني لا ادعك تذهب وحدك يا سيدي فان الطريق كثير المسالك فقد يمكنك ان تضيع وتصل الى غير بلاد وليس في خدمتك احد ولا في خدمة جوادك وانت قائم عندي كانك قائم في بلادك وما احد يثقل عليك بشيء . قلت ان غايتي وجل مناي ان اسير الى بلادي لالتقي باخي قاهر شاه وانظر الى ماذا الت حالتهُ من بعدي

وما جاء اخر الاسبوع الا وجاءني الرجل واخبرني باتيان القافلة ووصولها فسررت جداً وشكرت الله على ذلك وطلبت اليهِ ان يعد لي لوازمي للسفر لاسير معها ولا اتاخر فاجاب طلبي وقبل سفرها جاء بي بصاحبها فعرفهُ بي واوصاه بخدمتي . واقمت الى اليوم الثاني فركبت وركب رجال القافلة ورفعوا الاحمال وسرنا جميعاً عن تلك المدينة بعد ان ودعت صاحب القافلة الاولى وشكرتهُ على اهتمامهِ بي ومعروفهِ معي . ودمنا في مسيرنا نحواً من خمسة عشر يوماً حتى وصلنا الى ايران فودعت اصحاب القافلة واتخذت لي مسكناً في احدى الفنادق اقمت فيهِ مقدار شهر للراحة والوقوف على خبر جديد من جهتك فلم اتمكن من ان اعرف شيئاً جديداً و بعد ذلك تاقت نفسي الى وطني والى ملاقاة اخي فخرجت وحدي حيث لم يعد من خوف عليَّ ان اضيع في الطريق اذ الطريق بين المدينتين مشهور مطروق فسرت فيهِ وكلما تقدمت كلما فرحت ونما سروري حتى وصلت الى القلعة المقيم فيها وهو المكان الذي تعرفنا بفيروزشاه فوجدت اخي مع زوجتهِ هناك براحة وامان فسلمت عليهِ وسلم عليَّ وفرحنا ببعضنا فرحاً لا يوصف وسالني عن رجوعي فحكيت لهُ كل ما تقدم معي في سفري فتعجب من ذلك مزيد العجب وشكر الله على وصولي سالماً اليهِ بعد مقاساة كل هذه الاهوال والشدائد والعذابات الاليمة الموجعة وسرنا الى عمنا الى الكوفة وسلمت عليهِ وحكيت لهُ ايضاً بقصتي واقمت عنده نحو شهر على الترحيب ورجعت الى القلعة الى اخي واخبرتهُ اني مزمع على المسير الى اليمن افحص عن مكان وجود فيروزشاه اذ بلغني انهُ سار الى هناك ابوه وجيوشهُ باجمعها ولا ريب انهم في قتال ونزال ومن الواجب علينا ان نقاتل بين ايديهم فاستحسن كلامي و بعث بزوجتهِ الى ابيها وركبنا وسرنا مدة ايام حتى وصلنا نعزاء اليمن واذا بها اثار اعمالكم باقية لا تمحى هناك فاقمنا فيها اياماً وسالنا

عنكم فقيل انكم تبعتم الشاه سرور الى مصر فثبت عندنا انكم في مصر فخرجنا من تعزاء وجئنا الى مصر مع مقاساة التعب في هذه الطرق لانها طويلة ونحن منفردين وكلما وصلنا الى مدينة لم وبلد نقيم فيها يومًا او يومين فقط لناخذ ما نحتاج اليهِ وما يلزمنا في الطريق الى ان جئنا مصر وكذلك لم نرَ احدًا هناك غير الارض التي كانت مفروشة باثار ادمية المقتولين واجسامهم ودخلنا المدينة فحكى لنا فيها عما كان لكم في مصر وانكم منذ بضعة اشهر خرجتم من المدينة بقصد المسير الى هذه البلاد فصرفنا نحو اسبوعين في احد فنادقها ثم بارحناها وركبنا الطريق الموصل الى هذه المدينة غير ان كثرة المسالك تذهب بنا احيانًا الى التعرج عن الطريق الى غيرها ثم نعود ثانية اليها لدى استدلالنا من المارة او سكان النواحي حتى انعم الله علينا بوصولنا في هذا اليوم الى هذه الجهة وشاهدناكم على اهبة الحرب والقتال وجرى ما جرى واني اشكر الله حيث اعادني الى خدمة من كانت تشتاق نفسي الى خدمتهِ واحب ان اراه في كل صباح

فلما فرغ قادرشاه من كلامهِ سرَّ بهِ فيروزشاه مزيد السرور وهناه بالسلامة ومدحه على حبهِ لهُ وكذلك الملك ضاراب وبقية الحضور وقد تعجبوا من قصتهِ وما لاقاه في اسفاره وشعر الملك ضاراب بفضلهِ فاراد ان يكافئهُ على ذلك فامر ان ينصب لهُ في صيوانهِ ولاخيهِ كرسيين من العاج بين اولاد عمو لانهما من الحكام والشاهات وافرغ عليهما ثوبين من الثياب الملكية الفارسية المزركشة بالذهب مع قباءين من خصائص حكام الفرس وهكذا اصبحا في راحة ونعمة تامة . ولما انقضت السهرة انصرف كل واحد الى محل منامتهِ وكان ضرب لقادرشاه واخيهِ صيوانًا بجانب صيوان فيروزشاه فذهبا اليهِ وباتا فيهِ وفي الصباح نهضت تلك الفوارس طالبة الحرب والقتال واصطف الفريقان في ذلك المكان وتعدد كل فارس وبطل وفي نية منكوخان ان ابنهُ في ذاك النهار يفعل في الاعداء الافعال الشنيعة وقد سرَّ من كثرة جيوش الفرس واتقان ملابسهم وزخارف امتعتهم وهو يعد نفسهُ بالاستيلاء عليها واخذها منهم بعد تفريقهم وتشتيتهم . ولما كمل انتظام القومين وترتيب الفريقين توسط ابن منكوخان الاكبر الميدان وصال وجال ولعب باربعة اركان الميدان وطلب البراز من فرسان ايران فعولوا الى النزول اليهِ واذا بفارس قد دخل من طرف الجيوش الى وسط الميدان وهو يصيح صياح الاسود الكواسر وهو راكب على جواد اسود كانهُ الليل الحالك وعليهِ الثياب السود من راسهِ الى قدمهِ وعلى وجههِ لثام اسود يستر وجههُ حتى لا يبان منهُ الا عينيهِ وصدم ابن منكوخان صدمة جبار لا يصطلى لهُ بنار واخذ معهُ في الصدام والقتال والكر والفر وارتفع من فوقهما الغبار حتى حجبهما عن الانظار وذلك الفارس يطاول ابن منكوخان ويراوغه ويلاعبهُ بالقتال وقد سد عليهِ كل الابواب ولم يترك لهُ منفذًا ولا مخرجًا حتى مضى قسم من النهار واخذت الشمس في ان تميل الى جهة الغرب بقصد الاستتار وحينئذ انقض ذاك الفارس الملثم على ابن منكوخان

الاول وضربهُ بسيفهِ ضربة الابطال فشقهُ الى نصفين وارماه في الارض قطعتين ثم مال بوجههِ الى رجال الفرس وصاح فيهم وقال ويلكم ايها الاقوام لا تظنوا اني جئت مساعدًا لكم او معينًا فكما قتلت فارسًا من اعدائكم لا بد لي من هلاك اخر منكم فليبرز لي فرسانكم وابطالكم لا ريها الموت الاحمر وما اتم كلامهُ حتى قامت الضوضاء في جيوش الفرس وتعجبوا من امره واذا بعبد الخالق القير واني قد برز اليهِ وصدمهُ واخذ معهُ في القتال والمحاولة والنزال واتسع عليهما المجال . وارتفع عليهما الغبار واكثرا من الصياح . وفاضا في الحرب والكفاح . كما تفيض زواخر الامطار . الى ان جاء الغروب ودقت طبول الانفصال وعندها باسرع من لمح البصر تقدم الفارس المذكور من عبد الخالق وقبض عليهِ من درعه واقتلعهُ من بحر سرجه ورفعهُ على يده كانهُ العصفور ودار بعنان جواده الى جهة الخلاء وصاح فيهِ فخرج من تحتهِ كالبرق الخاطف وباقل من دقيقة غاب عن الابصار ولم يعد يرى لهُ اثر وعلا الصراخ من كلا الطائفتين وقد رجعوا الى الخيام وهم في اكدار واوهام لا يعرف احد منهم هذا الفارس وكيف قتل واحدا من الصينيين واستاسر اخر من الايرانيين . ورجع الملك ضارات الى خيامهِ وهو مغموم ومكمود لا يدري يمينهُ من شمالهِ وجلس في صيوانهِ يفكر في امر ذاك النهار وما كان من امر فارسهِ ولما اجتمع من حواليهِ رجالهُ قال لهم لقد كنت علقت الامل في الاول بقتال هذا الفارس لاني تميزتهُ بعين اختباري واذا هو من الابطال الشداد عارف بكل فنون الطراد ولم يخطر لي قط انهُ يكون لنا عدوًا وينتشل منا فارسًا صنديدًا او بطلا مجيدًا كعبد الخالق احد بهلواني مملكتي . فقال لهُ طيطلوس واني اعجب انا ايضًا من هذا الامر ولا بد من سر دعا هذا الفارس لمثل هذه الاعمال فهو لا يمكن ان يكون عدوًا لنا ولاهل الصين بوقت واحد واننا نسال الله ان يكشف لنا امره وعلى ظني انهُ في الغد يحضر ايضًا للقتال ولا نعلم ماذا يكون من امره وهل يظهر لنا اسمهُ او يبقى مستترًا واعظم عجبي من سرعة جواده فانهُ انطلق انطلاق الارياح حتى ان الابصار لم تقدر ان تلحقهُ

واما منكوخان ابن هلكوخان فانهُ رجع حزينًا الى صيوانهِ يبكي ولده وينوح عليهِ وقد شاهد مصرعه بعينيهِ وجاء اليهِ الملك قيصر وبقية الاعيان يعزوه بهِ ويسلوه عنهُ . فقال لهم لا ريب ان النار مكدرة منا ولم ترضَ علينا في هذا اليوم ولا اعرف من ابن حضر هذا الفارس لانهُ ليس بايراني ولا روماني فهو غريب الشكل والوطن قتل ابني واسر فارسًا من الاعداء فقال الملك قيصر نعم انهُ ليس منا ولا من الاعداء ولا يسكن بيننا ولا بين الاعداء ولا عرف احد منا امرًا عنهُ واني موكد انهُ سياتي في الغد ايضًا لاستئناف قتالهِ . فقال منكوخان اذا حضر في الغد برزت اليهِ واخذت منهُ بالثار وانزلت عليهِ البلايا والاكدار وجعلتهُ عبرة للانظار . فقام اليهِ ولده الثاني وقال لهُ لا يمكن ان يدعك تبرز الى مثل هذا الفارس ونحن في قيد الحياة واذا كان اخي قد قتل في هذه الارض فمعلوم

عندك ان روحه تقمصت في الصين ولا ريب انها جاءت جسداً شريفاً واذا كان رضى الاله علينا ومحبة النار لنا لا نخاف من ان تحل ارواحنا باجساد غير طاهرة فكن على يقين باني لا بدّ في الغد من اخذ الثار بيدي واريك كيف افعل بقاتل اخي اذا عاود المجيء الى بين الصفوف مرة ثانية والا قتلت في ثاره مئات من فرسان الفرس . فاطمأن بال منكوخان من كلام ابنهِ وارتاح بالهُ وباتوا تلك الليلة ينتظرون الغد

قال ولما كان صباح اليوم الثاني هبت الفرسان من مراقدها وركبت على ظهور خيولها وتقدمت قوادها ترتبها وتصفها . واذا بابن منكوخان الثاني قد سبق الجميع الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وسال رجال ايران ان تقبل عليهِ وتاتي فرسانها اليهِ واذا بالصياح قد قام من بين تلك الروابي وانقض من بينها فارس بملابس حمراء على جواد احمر كانهُ الشهاب واطلق لجواده العنان ولعب في وسط الميدان اشكالاً والوان . حتى تحيرت منهُ الابطال والفرسان . ولما راوا اخف منهُ بين الشجعان . واحدقوا اليهِ بالاعيان . ينتظرون نهاية فعلهِ في وسط الميدان . واذا بهِ قد صدم ابن منكوخان . واخذ معهُ في الحرب والطعان . والقتال والجولان . وقد اظهر من شجاعتهِ العجائب . وابان في حربهِ الغرائب . حتى ارتبك خصمهُ وضاق عليهِ المجال . وغاب عن وعيهِ فلم يرَ لهُ خلاصاً ولا انفلال وثبت عنده انهُ سيلحق باخيهِ باسرع حال . وبقي ذاك الفارس يلاعبهِ كما يلاعب الهر الفار عند وقوعه بين يديهِ قبل ان ينزل بهِ الهلاك والبوار حتى فات الظهر واذ ذاك صاح بهِ وضربهُ ضربة قوية وقعت على وسطهِ فقطعتهُ وانحذف الى الارض كالجذع الممدود وقبل ان وصل الى الارض تركهُ ومال بانظاره الى جهة الفرس وصاح فيهم وطلب برازهم واذا ببهمنزار قبا قد صار امامهُ فصاح بهِ وتصادم واياه وكان بهمنزار من الابطال الشداد . ذو معرفة بفنون الحرب والطراد . ولهذا علقت فرسان الفرس الامال بنوال المراد . واصبحت تنظر نهاية العمل بين الاثنين . وما تكون النتيجة . من هذين الفارسين . ودار دولاب الحرب بينهما اي دوران . والقى عليهما ملك الاقدام ما لهُ من العظمة والسلطان . فجاد كل في طاعتهِ بما عنده وداما على مثل هذا الشان الى قرب الغروب واذا بالفارس قد صاح كالعادة ولاصق بهمنزار الى جانبهِ ومد يده اليه باسرع من وقع البصر واقتلعهُ من بحر سرجه ودار براس جواده وصاح بهِ فانخطف وغاب وفي يده بهمنزار غير مبال بهِ وبثقلهِ وعند غيابهِ ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن القتال . وهما في اسوء حال . ولا سيما الملك ضاراب . فانهُ كان في اكتئاب واضطراب . يقاسي من الغم والكدر اعظم عذاب . وجاء الى صيوانهِ لا يعرف ما امامهُ وما بين يديهِ . واجتمعت حولهُ ابطالهُ وفرسانه . فقال لهم اريد منكم ان تفكروا في امر هذا الفارس وتروا لنا الطريق الوحيدة التي يمكن ان نطلع على امره ونعرف مكان وجوده واني اخاف اذا دامت الحال على هذا المنوال مدة ايام اخذ كل ابطالنا

وفرساننا واحدًا بعد واحد وعلى ما يظهر لي انهُ نادر المثال في هذا الزمان ليس لهُ ثان قط. فقال طيطلوس اني لحظت من امره شيئًا واحدًا جعلني بامان واطمئنان من جهتهِ لانهُ وان كان يظهر لنا العداوة و ياتينا كخصم الا انه [illegible] يكون صديقًا لنا مختفٍ عنا والدليل انهُ عند مبارزتهِ لاعدائنا يقتل من يكون امامهُ منهم وعند محاربتهِ لرجالنا ياسر من يحاربهُ ولا يوصل اليهِ اذى وهذا مما ينبغي الالتفات اليهِ والنظر فيهِ. قال الملك وان كان على ما نقدم لا بد من الاكتشاف على خبره والاستطلاع على امره لنعلم من هو فاذا صح ما ظننتهُ دعوناه الينا وانسنابهِ واقمناه مقام الصديق الامين والصاحب المعين والا نظرنا في هلاكهِ واسترجاع اسيرينا من بين يديهِ لانهُ اما يكون صديقًا او عدوًّا. فقال طيطلوس دع هذا الامر عليَّ فاني افكر في طريقة توصلنا اليهِ والى الاستطلاع على امره ولذلك ارتاح فكر الملك ضاواب نوعًا وهدأ بالهُ وعاد ينتظر عمل وزيره طيطلوس ومثلهُ بقية الفرسان والابطال

قال وكان فيروزشاه كل هذه المدة مشغل البال على عين الحياة لا يسمع لها خبرا ولا يعرف بمكان وجودها ولا باي مكان هي وكثيرًا ما افتكر في ان يترك الجيش ويتوغل في تلك البراري والقفار يفتش عليها ولا يرجع الا بها الا ان خوفهُ من الاعداء على جيوشهِ كان يمنعهُ وكان يخاف جدًّا ان تحل بغيابهِ عليهم مصيبة جديدة فينتظر النهاية وفي كل فكره انهُ بعد الفراغ من الحرب يسير منفردا مع عياره بهروز في البحث والتفتيش على مقرها. ولا ريب ان من كان مثلهُ صرف كل حياتهِ اي منذ وعى الى نفسهِ على حب فتاة واحدة لم يتغير قط عن حبها ولا سلاها دقيقة وكان وهو تحت اثقل المصائب واشد الاهوال يتذكرها و يبعث بافكاره اليها ويرى من نفسهِ انهُ في عظيم حاجة لان يجعل الذكرى سلوة لهُ وتعزية. فكيف يرتاح فكره و يهدا ضميره وهو براحة مطلق الحرية وهي في يد من يجهلهُ ولا يعلم ماحل عليها هناك. ولما كانت تلك الحالة حالتهُ ونظر ما نظر من امر هذا الفارس اشتبه بامره وتكدر من عملهِ ومرات كثيرة ما كان يطلب ان يبرز اليهِ لينهي امره فيمنعهُ مانع من قلبهِ بالرغم عنهُ فيتردد الى ان يسبقهُ غيره وكان لا يعلم سببًا لذلك ولا يعرف القضايا الموجبة اللازمة لهُ ليتخذها في قهراميالهِ والنزول اليهِ ولما خلا في تلك الليلة بنفسهِ زادت عليهِ الهواجس والقلق وعظم عليهِ الحال واخذ يعدد في فكره كل ما كان من امره من حين البداية حتى ذلك اليوم وتذكر بهاء جمالها ورقة حديثها وعذوبة الفاظها وقولها لهُ في كل مرة يجتمع بها اني لك ولا احول عن حبك واذا ارغمت اسلم بنفسي الى الموت وهذا الذي كان يخيفهُ اكثر من كل شيء من انها تسلم بنفسها الى الهلاك اذا قصد الاعداء الوصول اليها او رغمها على تركه ولما حل بهِ ما حل ولم ياخذه نوم دعا اليهِ بهروز العيار عياره الخصوصي وكاتم اسراره واطلعهُ على امره وقال لهُ ان لاشيء يهمني الا ان اعرف بمكان وجود عين الحياة وفي اي مكان هي. قال هذا لا يفوتنا ولا يغيب عنا ولا بد من ان نصل

اليهِ بعد ايام قليلة على اني الان في محاربة مع افكاري فاني تارة اصادقها وطوراً اكذبها. قال لماذا وما هو الشيء الذي تشير اليهِ افكارك. قال اني في المرة الاولى والثانية من مجيء هذا الفارس خطر لي انهُ ربما يكون نفس الفارس الذي استخلص عين الحياة من رجال الملك قيصر يوم كنت عائداً بها من المدينة اليك ولهذا قد عزمت مراراً ان اتبع آثار هذا الفارس واعرف مكان اقامتهِ وفي اي جهة ينام عند رجوعه من القتال غير اني كنت اتردد واقول ان ذلك اشد باساً من هذا واعظم مراساً وحتى الساعة لا اعرف الحقيقة والمرجح عندي انهُ هو نفسهُ. فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام سقط على قلبهِ اشهى من لذيذ الطعام وفكر ربما يكون صحيحًا ولذلك لم يعد ياخذه صبر ولا توانٍ وقال لبهروز اني ارى في ذلك وجهاً كبيرا للصواب وعلى اي وجه كان فاننا مضطرون للاستطلاع على امره ومعرفة حقيقتهِ فسر امامي من هذه الساعة لندخل في الوادي ونداوم المسير حتى نصل الى مكان وجوده. قال ليس هذا بصواب ياسيدي فاننا اذا سرنا وحدنا في هذا الليل ربما لا نهتدي الى ما نحن في حاجة اليهِ من كشف خبره ويأتي النهار ونحن بعيدون عنهُ غير ان من الموافق ان نصبر الى الغد فمتى جاء ترصدناه الى ان يعود فنتاثره شيئًا فشيئًا ونسير على اثره حتى نصل الى مكانهِ فاما اني النجدة واستاسره واما ان اقتلهُ اذا تبين لنا انهُ عدو. فلما سمع منهُ فيروزشاه ما اشار بهِ راه صوابًا. قال اذن دعنا عند انشغاله بالقتال ننفرد الى اطراف الجيش وعند عودتهِ نسير امامهُ دون ان يعلم بنا احد ونقطع عليهِ الطريق ونكمن في جهات البر الى ان يمر ومن ثم نعود نبصر فيما يلزم. اتخاذه او اتئذ معهُ قال ان ذلك عين الحكمة والادراك ونسالهُ تعالى المساعدة والمعاضدة والهداية الى مكان وجود عين الحياة وهكذا صبر فيروزشاه ينتظر اتيان ذلك الفارس في اليوم القادم وفي كل فكره انهُ يلتقي بهِ القفر وحيدين منفردين ويسالهُ عن حالهِ ويطلع على امره واذا كابر وقصد الحرب قتلهُ واعدمهُ الحياة

فهذا ما كان من رجال ايران وابن ملكهم واما ما كان من الملك قيصر ورجالهُ فانهم عادوا في ذلك اليوم بغيظ وحنق وكدر اكثر من اليوم السابق وكذلك منكوخان فانهُ اصبح بحالة هم ونكد وحزن مفرط وقد وقعة الضربة عليهِ دون غيره فقد قتل لهُ ولدان وصار هو صاحب الثار اكثر من غيره واشتعل فؤاده والتهب من عمل ذلك الفارس الذي تقوى على ولديهِ وقتلهما وترك في فؤاده من اجلهما ناراً تتلظى. قال وعندما استقر في صيوانهِ جاءه الملك قيصر وطيفور وبيداخطل والشاه سرور وجماعة الاعيان والامراء كاليوم الاول يعزونهُ ويسالونهُ على فقد ولديهِ المقتولين. وبعد ان دار بينهما الكلام. قال الملك قيصر اني احب ان اخسر نصف اموالي ونصف مملكتي واقهر ذاك الفارس او اجعلهُ يكون خصم الايرانيين محضًا. لانهُ يظهر انهُ لا يريد الضر فينا وحدنا بل فينا وفيهم واحب من كل قلبي ان اوصل اليهِ واعرفهُ من هو وما هي غايتهُ. قال طيفور على ما

يظهر انهُ يقصد العداوة ويريدها لنا اكثر مما يريدها للفرس فقد تجاسر ومد يده الى ولدي منكوخان وقتلهما دون ان يفعل فيهما ما فعلهُ فيهم فانهُ اخذ منهم اسيرين دون ان يضربهما او يلقي عليهما شر بطشهِ واقتداره ولهذا يظهر لنا ان في المسالة سر عجيب لا بد من ظهوره لنا عند اجراء البحث والتفتيش عليهِ ولهذا فقد فكرت في ان ننيط بامر الوقوف على خبره هلال العيار فهو قادر كل المقدرة على انفاذ مآربنا وغايتنا . فقال الملك قيصر اذا فعل هلال هذا الامر وجاءني بما انا طالبهُ اعطيتهُ نصف اموالي او قطعتهُ قطائع وضياعاً وكافئتهُ بكل ما طلب . وكان هلال حاضراً فسمع مواعيد الملك وكلامهُ فهان عليهِ بذل حياتهِ في سبيل غناه وحركه طمعهُ الى ان يسلك اصعب المخاطر لنوال المال والغنى العظيم . وفي الحال اجاب الملك قائلاً اني اوكد لك ياسيدي اني في الليل القادم او فيما بعده اتيتك بالخبر اليقين وجعلتك مسرورا مني كل السرور واني قد عزمت ان اصبر الى الغد فمتى رايت الفارس المقصود قد عاد الى القتال انطلقت من جهة جيوشنا الى اطراف الوادي واكمنت هناك حتى اراه قد عاد من عملهِ ولا بد لهُ من المرور في الطريق الذي ياتي منهُ وحينئذ اتبعهُ من خلفهِ الى ان اعرف مكان وجوده فاذا سهل عليَّ القبض عليهِ فعلت ذلك وجئت بهِ ماسورا مكتوفاً الى ما بين ايديكم تفعلون بهِ غايتكم واذا رايتهُ وقد حال دون غايتي موانع وصعب عليَّ القبض عليهِ عدت اليكم وعرفتكم بمكانهِ واخذت العساكر فنكبسهُ في وسط الظلام ونأتي بهِ اسيرا ذليلا تنفذون بهِ ما استحقهُ . فلما سمع الجميع كلامهُ شكروه عليهِ ولاسيما منكوخان فانهُ علق فيهِ كبير امل وقال لهُ اذا تممت ما قلت يا هلال خير لك بان تطلب مني كلما اردت فافعلهُ لك فاني مقهور من هذا اللص المخفي الذي لا يريد ان يظهر امره . فوعدهم بكل جميل وخير وبات تلك الليلة على نية انهُ في الصباح يتوغل في الوادي ويقصد الطريق التي يمر عليها فارس النهار فيكمن فيهِ وينتظر عودتهُ من الحرب يسير خلفهُ ويعرف امره وكذلك الملك قيصر ورجالهُ امسوا على مثل هذه النية يوملون ان هلالاً يكشف الغطاء

قال ولما كان اليوم الثاني نهضت العساكر من رقادها وانصرفت الى خيولها لما رات ان الشمس قد بدات بالظهور وبعثت باشعتها على تلك السهول وتعدد كل فارس بعدده وتزود بالطعام الذي يحتاجهُ عند الوقوف في معارك القتال وبالماء الذي هو ضروري لبل ريقهِ عند اشتداد نار الحرب المعطشة المهلكة . ومن ثم اخذت الفوارس ان تتقدم الى ساحة الميدان اقواماً وفئات كل على جانب وتحت حكم يدار بحسب طلب قائده . ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان وانتظم القومان . برز ابن منكوخان الى ساحة الميدان . واطلق لجواده العنان . فمر من تحتهِ كالبرق في اللمعان . ثم كر راجعاً الى وسط المجال واشار الى الفرسان بالبراز وسرعة الانجاز فعولت ان تخرج اليهِ واذا بالفارس الملثم قد خرج كالعادة من اطراف تلك الجيوش وهو يصيح وينادي وقد

انقض على ابن منكوخان وكان الابن الثالث فرعبة واخذ معهُ في العراك والصدام . والافتراق والالتحام . وضرب اشدوقوعًا من رسل الحمام . وبينما كان الفارسان في القتال وكان فيروزشاه ينظر الى هذه الاحوال . وخطر لهُ اجراء ما قد فكر بهِ بالامس وهو انهُ يسير الى اطراف الجيش للاطلاع على حالته ولهذا السبب قال بهروز الان وقت استغنام الفرصة واتمام ما نوينا عليهِ بالامس . قال اليك ما طلبت فاني بانتظار امرك فسر واني اسير في ركابك ثم انفرد الى جهة الوادي وقاما عند بابهِ ينتظران رجوع الفارس وما يكون من امره . واما هلال العيار فانهُ سار من جهة ثانية الى الوادي قبل ان سار فيروزشاه وتعمق الى الداخل واكمن ينتظر عودتهُ لينهي خطتهُ وما جاء لاجلهِ . قال ودام القتال بين ابن منكوخان الصيني وبين هذا الفارس اكثر من نصف النهار الى ان جاء الوقت المعين الذي قتل به اخوتهُ وعندها صاح بهِ وضربهُ بحسامهِ فالقاه الى الارض قتيلاً ودار بعنانهِ الى جهة رجال ايران وسالهم ان يتقدموا اليهِ فاسرع اليه قادرشاه وجاولهُ بقية ذلك النهار الى ان قرب الغروب فانقض عليهِ واقتلعهُ من سرجهِ وحملهُ في يده وصاح بالجواد فر بهِ كالطير في الاسراع ووقع على الايرانيين الخمول والكدر وعادوا وهم ياسفون على قادرشاه وكادوا من الغيظ ان ينشقوا وثبت عند الملك ضاراب انهُ ان اهمل امر هذا الفارس انتشل فرسانهُ واحدًا بعد واحد فلا يبقي منهم احدًا ولما عاد الى صيوانهِ افتقد ولده فيروزشاه فلم يره فسال عنهُ فلم يعلمهُ احد بسبب غيابهِ بل قيل لهُ انهُ غائب عن الجيش هو وبهروز العيار فاضطرب الملك لذلك وشغل بال جميع الحضور وقال لطيطلوس اني اخاف من وقوع ابني بمصيبة كبرى توجبني الى ان اصرف شيخوختي بالحزن والكدر قال وكان طيطلوس كما تقدم من فلاسفة الزمان وعقلائهِ وحيدًا بين اقرانهِ وكان يقول للملك مرارًا ان لا بد من زواج ابنهِ بعين الحياة ومثل ذلك قال في نفس ذاك الوقت اعلم ان ابنك لا يصاب قط بنكبة كوني اعرف واعترف ان الله لا يترك من يتمسك بحبالهِ وانهُ سبحانهُ وتعالى يعلم ان ولدك وحيد وانهُ اذا اصيب بنكبة او حلت عليهِ مصيبة يكون الله سبحانهُ وتعالى ظالم وحاشاه من ذلك فهو ينبوع العدل ومصدر الرحمة وهو يعلم انكم مطيعون وصاياه تفعلون غايتهُ وتنشرون اسمهُ في اقطار العالم وعليهِ فليرتح ضميرك يا سيدي فما هو الا سار بارادتهِ واختياره للتفتيش على عين الحياة وقلبي ينبهني انهُ سيعود الينا بها وتبقى بيننا الى يوم الزفاف وليكن موكدًا لديك ان الله كتب لهُ نصيبًا عليها فلا يمحي ما كتبهُ قط ولا تمحيهِ المصائب مهما تكاثرت والدليل ان بهروز رفيقهُ ولا بد ان يعود الينا بعد يومين او ثلاثة ايام باذنهِ تعالى . فارتاح خاطر الملك اذ ذاك وصبر على حكم الله تعالى وعلق امالهُ برحمتهِ وسالهُ نهاية الحال على غاية المنال

ووقع ايضًا الغيظ والهم على منكوخان لفقد ولده الثالث وعمل لهُ مناحة كبرى وذم الزمان

الذي بعث الفارس المار ذكره من حيث لا يعلمون ليهلك اولاده ظلمًا وعدوانًا . وكان الملك قيصر ورجالهُ يعزونهُ على فقده ويطيبون بخاطره باخذ الثار وانهُ لا بد في نفس اليوم القادم ياتي هلال بالاخبار ويعلمون معنى ذاك السر الخفي ويطلعون على امر هذا العدو الالد . وهكذا كان الفريقان بالانتظار ليعلمون حالة هذا الملثم الذي انزل الخوف على الرومان وحل بالكدر على اهالي ايران وجعل لهُ في الطائفتين حديثًا ذا شان وبات كل ملك ووزير وامير من اعظم اهل ذاك الزمان في قلق واضطراب يرغب في الاكتشاف على امره يعرف من هو ومن ابن جاء

قال وفيما كان الفارس عائدًا من وسط الميدان وحاملا قادرشاه كما تقدم الكلام التقى بهِ فيروزشاه في اول الوادي وكان كامنًا لهُ ولما نظر قادرشاه معهُ لعبت بهِ النخوة الفارسية ولم يعد يقدر على الصبر وضاق جلده . فصاح بهِ وقال لهُ ويلك ايها العاتي قف مكانك واستعد لملاقات الاهوال فقد بغيت وظلمت وانت كاتم امرك لا تظهره لاحد حتى اوجبتني ان اتقيك على انفراد واعرف امرك وانزل بك الويل والحاق . فلما سمع الفارس كلامهُ لم يفه بكلمة بل القى قادرشاه الى الارض واخترط من وسطهِ الحسام وحمل على فيروزشاه حملات الاسد الهجام والليث الضرغام . فالتقاه بقلب لا يخاف شرب كاس الحمام واخذ معهُ في العراك والصدام . والافتراق والالتحام . والمهاجمة والالتزام . وكان الليل قد اخذ في ان يشتد بالظلام . ولولا صفاء الجو بانوار الكواكب . لاسودت تمامًا تلك الجوانب . انما كان بهيق من النور يبعث اليهما . فيظهرهما الى بعضهما ويكشفهما . وهما في همهمة وبربرة ودمدمة . قلوبهما تكاد تنشق من الحنق وكل منهما يتمنى ان يكون لهُ على الاخر السبق . وان يفوز على خصمهِ ليكسب عليهِ الشرف والافتخار . ويعثر بالفوز والانتصار . وكان يشعل الصارم البتار على الدرق شعلات نار . فيزيد لديهما بهيق الكواكب بالانوار . وكانت الخيل من تحتهما من احسن خيول الزمان . فساعدتهما على الثبات لدى الضرب والطعان . والوقوف في ذاك الميدان . وقد راى ذاك الفارس خصمهُ ثقيل العيار . فزاد عليهِ الدرهم قنطار . واظهر كل قوتهِ . في مساجلتهِ ومناضلتهِ . وكذلك فيروزشاه وجد فارسًا ليس كالفرسان وشجاعًا لم يرَ مثلهُ بين فرسان الزمان وعلم ان لا ينجيهِ من بين يديهِ . وينيلهُ الفوز عليهِ الا الثبات والاقدام . واظهار جميع ما تعلمهُ من فنون الحرب والصدام

هذا وكان قادرشاه واقفًا الى جانب ينظر ما يقع بين الاثنين وهما تارة يظهران عندما يقربان منهُ وطورًا يختفيان عندما يبعدان عنهُ وقد حار عقلهُ ولبهُ مما شاهد وراى وعلم ان فيروزشاه وخصمهُ من اشد الفرسان ولذلك كان خائر العزم من ان ينتصر عليهِ خصمهُ او يصل اليهِ الاذى منهُ . واما بهروز فانهُ كان كفرخ من فروخ الجان لا يستقر في مكان . بل كان ملاصقًا لمولاه يقفز من خلفهِ ولا يفارقهُ دقيقة وهو ساحب بيده خنجره ينتظر نهاية العمل بين الاثنين يستعد عند وقوع

مكروه على فيروزشاه ان ينقض هو بنفسهِ على الفارس فيعدمهُ الحياة . وكانت الحرب عاقدة بين الاثنين باعثة بعزيتها الى الفارسين . وهما يفيضان . كما تفيض البحور عند الهيجان . دون ان ياخذهما تعب او ملال . من معاناة القتال . بل كانت ضرباتهما تشتد كلما طال عليهما المطال . وعزائمهما تتقوى كلما اوسعا في المجال . حتى مضى عليهما اكثر من خمس ساعات وهما على تلك الحال . يتعاركان عراك الاسود . ويهجمان هجمات الفهود . وما منهما من يقدر ان يصل الى الاخر او ينال منهُ منال . وعند ذلك نظر الفارس قتال فيروزشاه فتعجب منهُ واراد ان يوهمهُ بصياحه فصاح صيحة قوية اشبه بصياح الجان . ارتجفت منهُ الجبال والوديان وصمت منها الاذان . الا ان فيروزشاه لم يؤخذ من هذا الصوت ولاضعفت عزيمتهُ . وما اثر بهِ ولا قلت همتهُ . بل تعجب منهُ وعلم ان خصمهُ ليس من الانس فارغى وازبد وهاج كما تهيج فحول الجمال وغاب صوابهُ ولعب بهِ الغيظ والحنق وصاح صيحة تكاد ان تقابل قوة صياح ذاك . ورفع الحسام الى ما فوق راسهِ وقال خذها ضربة من يد فيروزشاه . حبيب عين الحياه . مبيد الانس والجان . وقاهر العفاريت والمردان . ونزل بالسيف يهوي فتاكد الفارس انهُ مقتول لامحال عندما شاهد عمل فيروزشاه وخاف عليهِ من ان يفعل بهِ الغيظ ما لايرضاه . فرمى بنفسهِ الى الارض باسرع من لمح البصر . وصاح العفو ياسيدي فاسمع عن جاريتك واعطها الامان . فما هي ممن يثبت امامك في الميدان . فلما سمع كلامها وعلم انها من ربات الخدور اخذه الاندهاش والانبهار وكاد يغيب عن الصواب كيف قدرت ان تثبت امامهُ كل هذا الوقت مع ان اشد الابطال بسالة كطومار الزنجي وغيره لم يقدر ان يقف امامهُ ساعة من الزمان ثم نظر اليها وقد تقدمت منهُ والقت السيف بين رجلي جواده وقالت لاتواخذني ياسيدي بعملي فما تجاسرت ان فعلت هذه الافعال الا لاختبر ما اعطاك الله من القوة التي ندرت ان وجدت بغيرك من فرسان هذا الزمان لامن انس ولا من جان واكد اني ما قصدت الجيوش المجتمعة من الرومان والفرس الا لاجلك و بسببك . قال من انت وما سبب فعلك هذا ولماذا كان بسببي قالت سوف تعلم من انا متى وصلت الى قصري واطلعت على من فيهِ . قال واين مكانك وهل هو بعيد من هنا قالت لابل هو قريب جدًّا الا انهُ مظلل بالاشجار الغضة لايمكن لغيري ان يدخلهُ او يعرف مكانهُ وقد اقمتهُ في هذه الايام لاصرف بهِ ايام الحرب التي تكون بينكم و بين الرومان ولانفذ غايتي التي سوف تعلمها وتتاكدها وقد حصلت عليها بمساعدة القضاء والقدر فهلمَّ بنا نسير لتعلم من انا وتنظرني على نور المصباح وتتاكد قولي وما تسمعهُ مني . وكان بهروز قد انقض على السيف فاخذه خوفًا من ان يكون كلامها هذا خداع واحتيال . ثم امرها ان تركب وتسير فقالت اني لا اركب الان واني اسير بين يديك كخادمة لكن مر صديقك قادرشاه ان يركب لنصل باقرب آن فاجابها ودعا قادرشاه الى الركوب وكان غائب الصواب مما سمع وراى وهو لا يصدق بالخلاص

و بنجاته من يد ذاك الفارس وفي الحال ركب وسار الى جانب فيروزشاه و بهروز بين ايديهما والفارس يسير الى جانبه ايضاً يقصدون مكانه

وقد تقدم معنا ان هلال العيار كان قد ربض في نصف الوادي من النهار ينتظر عودة الفارس لينهي خطته و يعود و بقي صابراً الى ان اشتد الليل ظلاماً واخذت ساعاته في ان تتقدم واحدة بعد واحدة وكلما طال الوقت زاد بهِ قلقهُ وضاق صدره وعيل صبره ولم يكن يعرف سبب هذا التعويق وما هو الموجب لتاخر الفارس القائم بانتظاره الى هذا الوقت مع انهُ كان قبل تلك الليلة يرجع من ساحة القتال منذ غياب الشمس ولا يلبث ان يتوغل في الوادي بسرعة البرق حتى يغيب عن الاعيان وتناقلت بهِ الافكار و يقدر اموراً لم تكن في بال فظن تارة انهُ قتل في الميدان من احد من رجال الرومان او من ابطال الفرس او ربما يكون بهزاد او فيروزشاه قد نزل اليه وانهى عمره وهذا الفكر جعلهُ ان يفكر بالرجوع الى معسكره و يستعلم عن ذلك الفارس من الملك قيصر و يسال عن عدم رجوعهِ الا انهُ خطر لهُ ربما يكون قد سار من غير طريق ولم تكن هذه الطريق الموصلة الى محل سكنهِ وندم غاية الندم لتوغلهِ الى اواسط الوادي و بعده عن مكان تجمع العساكر وهذا الفكر الاخير جعلهُ في ارتباك عظيم لا يعرف ماذا يصنع ايرجع الى الجيش او انهُ يتقدم الى الامام و يسير فاحصاً عن الفارس او يلبس في مكانهِ ينتظر النهار ليعلم مروره ومن اين يخرج وهذا رجح لهُ وجه الفوز وقال الاجدر بي ان اصبر الى الغد وعند انبثاق نور الصباح اصعد الى ظهر الوادي فابصر كل ما فيهِ وارى الفارس من اين يخرج واذا لم اره يكون قد قتل فارجع حزيناً كئيباً خاسراً المال الموعود بهِ من الملك قيصر ومن منكوخان وبقي صابراً على نفسهِ الى ان مضى نصف الليل واذا بهِ يسمع صوت اقدام خيل مقبلة لجهتهِ وصوت اناس يتكلمون ففرح غاية الفرح وقال لا بد ان يكون الفارس نفسهُ قد جاء من هذا المكان ومعهُ اما اسيره واما رفيق له كان ينتظره في فم الوادي ولا اشك انه هو لان لا يمكن لغيره ان يسلك هذه الوادي في مثل هذا الوقت ولهذا السبب مال الى جهة الطريق واكمن في طرفها ينتظر مرور القادمين حتى دنوا منهُ واجتازوا بقربهِ فوجدهم اربعة انفار فارسين وراجلين فتعجب ولم يعرفهم لان الليل كان مظلماً وكان يرى من بريق الكواكب اشباحهم دون ان يتاكدهم فصبر الى ان فاتوه فانطلق من خلفهم ينظر الى اين ينتهون وهو فرح جداً يترجح لهُ ان الفارس المقصود لا بد ان يكون معهم و بقي على مسيره لا يظهر لوطىء اقدامه صوتاً خوفاً من ان يطلعوا على امره

قال وكان اولئك الاشخاص هم فيروزشاه ورفاقهُ الذين تقدم ذكرهم و بقوا في مسيرهم غير منتبهين الى احدٍ ولا يظنهم ان احداً يطلع على امرهم وكان فيروزشاه مشغل الفكر يحب ان يصل الى قصر تلك الجارية ليعلم من هي وهو على مقالي الجمر من اجلها يشتاق ان يعرف قصتها وخبرها

ومن هي وكيف قدرت ان تقدم على مثل هذه الاعمال واكثر عجبه من شجاعتها واقدامها وبسالتها وثباتها في القتال ثبات صناديد الابطال وبقي على مثل ذلك حتى دخلت بهم الادغال الملتفة وقربت من القصر فطرقت بابه واذا بالخدم قد اسرعت ففتحت لها وقالوا لها لقد اطلت الغياب هذه الليلة يا سيدتنا فاننا من اجلك على مقالي النار . قالت اني ما اطلت غيابي هذه الليلة الا اقتضاء مصلحتي فقد وفقني الله الى ما هو الصواب ونلت ما انا طالبته ثم همست باذن الخدم والتفتت الى فيروزشاه وقالت له سر يا سيدي مع هذا الخادم الى الغرفة التي يوصلك اليها فاني اذهب الان الى غرفتي لانزع عني ثيابي واخذ لنفسي الراحة ومن ثم اعود فاجتمع بك واشرح لك عن قصتي وسبب قتالي معك ونزولي الى الميدان وتكون انت قد اخذت لنفسك الراحة واكلت شيئًا من الطعام فانك لا ريب جائع نشتاق الاكل ولم تاكل كل هذا النهار وفوق ذلك فانك صرفت الليل ايضًا بلا اكل واتعبت نفسك بقتالي . فقال لم يعد لي من صبر ولا اطيق ان اتقاعد عن الاطلاع على امرك قالت ان ذلك لا يفوتك وسوف تعلم كل شيء ويظهر لك كل شيء ولا تفكر الا بالخير ولا تظن بي الا كل خير فما انا ممن يقصد لك ضرًّا وحاشاي من ان اجسر على مقاومة سيدي ومولاي او افعل غير ما يرضيه فاجاب طلبها وسار وراء الخادم الى غرفة الطعام واذا بها قد هيئت المائدة فيها وعليها من كل الوان الطعام من طيوز ودجاج ولحوم ضان مطبوخًا اشكالاً والوانًا وحلويات متنوعة مما تتوق النفس الى اكله وكان فيروزشاه جائعًا فجلس عليها واراد ان يمد يده فقال له بهروز لا تفعل ياسيدي فاننا وان كنا في حجر الامان انما لا يجب ان نخاطر بانفسنا ولا نترك سبيل التيقظ والانتباه ثم دعا الخادم وامره ان ياكل امامهم من كل اصناف الطعام ففعل واكل من كامل الاوعية حتى ارتاح فكرهم وعلموا ان الطعام صحيحًا . وفي الحال جلسوا ياكلون وهم يتعجبون من تلك الآنية الذهبية المزركشة بالحجارة الكريمة التي لم تكن في قصور اعظم الملوك ولم يروا مثلها قط قبل ذلك اليوم وبعد ان انتهوا من الطعام واكتفوا نهضوا فغسلوا ايديهم وانتظروا امر صاحبة القصر واذا بالخادم قد دعا فيروزشاه وقال له اتبعني ياسيدي فنهض ومشى خلفه فخرج من الغرفة الى الدار ثم تسلقا سلمًا طويلاً وكان بهروز باثره خوفًا عليه حتى انتهوا من السلم الى دار علوية وسيعة جدًّا فيها عدة مقاصير وبين تلك المقاصير مقصورة الى زاوية الدار مشعلة بالانوار تفوح منها روائح العطر والند فسار الخادم الى جهتها ومن خلفه فيروزشاه وبهروز يتاثره وقبل ان يقرب من الغرفة وقف مرتاعًا وذلك انه سمع صوتًا محبوبًا منه جدًّا مألوفًا ومطبوعًا في ذهنه وصاحب ذلك الصوت يقول

احريق ام غرامُ وجنون ام هيامُ

واشتياق ام نزاعٌ وحنين ام حمامُ

ودموعٌ ام بحارٌ وزفيرٌ ام ضرامُ
وذبول ما بجسمي ام خفاءٌ ام سقامُ
والذي قد قاله اللا حي ملامٌ ام خصامُ
والذي تنقله الريـ ح كلامٌ ام سلامُ
ومحياك ام الشمـ س ام البدر التمامُ
والذي في فلك الغا طر شهد ام مدامُ
والذي يهتز في بر ديك غصن ام قوامُ
وحلال قتل من لم يجنِ ذنباً ام حرامُ
لا وما يفعله العشـ ق بقلبي والامام
اترى ذنبي زفيري كلما ناح الحمامُ
ام تراه سهري الدا ئمُ والخلق نيام
ام بكائي كلما لا ح من البرق ابتسام
ان تكن هذي ذنوبي في الهوى فهي عظام
ولئن اثبت لي بالا زور جسم او منام
فسيمحوا هذه الآ ثار دمعي والغرام
طال في الغربة يا ربـ ة اوطاني المقام
غاب عن سكني فا لـ ليل في عيني قتام
ونهاري منذ فارقـ ـت محيـاه ظلام
كل انس بعدها عنـ ـدي وزر واثام
وعلى الدنيا اذا ما فقد الالف السلام

وكان يسمع الانشاد وقلبه يخفق ويهلع من الفرح والمسرة لان الصوت صوت عين الحياة والانشاد انشادها وقد تاكدها بعينها فوقف في باب الغرفة مندهشاً لا يعرف ماذا يقول ولا ماذا ينتهي اليه امره لان ملاقاتهما على غير انتظار اثر فيه كما اثر فيها فبقيا ينظران الى بعضهما ولساناهما لا يحسن التكلم ليندفع مترجماً عن كثرة حبوره وسروره وبقيا نحواً من خمس دقائق على هذه الحالة الى ان زادت حال عين الحياة فصاحت بعد ذاك ورمت بنفسها الى الارض غائبة عن الهدى فتالم لذلك ودنا منها ورفعها عن الارض وكان الخادم حاضراً فجاءه بماء الزهر وبالمنبهات فسكبوا على وجهها وسقوها من كل ما هو نافع في مثل هذه الحالة حتى اخذت تعي على نفسها شيئاً فشيئاً ونظرت الى فيروزشاه نظرة الحب وقالت اصحيح ما ارى هل انت فيروزشاه ام شبح بعث يخيل لي ويعذب

قلبي . فاذرف دموع الفرح عند سماعهِ كلامها الصادر عن صفاء النية والثبات على الحب والمودة الاكيدة ولذلك قال لها انا هو من تركتهِ يقاسي بعدك نزاع الاوجاع والالام و يلاقي اشد المصائب والمصاعب واني اشكر الله الذي اوصلني اليك وجعلني ان اسر بلقياك مرة ثانية وقد وطدت العزم من الان وصاعدًا ان لا ادعك تبعدين عني ولولا حالت دون ذلك موانع العالم باجمعها فانك ما زلت بيدي اصبحت مالكًا كل ما اشتهيه وارغبهُ وسواك لا ارغب شيئًا ولا اطلب شيئًا ولوانك سلمت نفسك الي في مصر لما احتاج الامر الى معاناة كل هذه المشاق التي لاقيناها ونلاقيها غير انهُ سرّني منك عملك هذا وطاعتك لابيك وحبك لحفظ شرف اسمك بين بنات العالم اجمع . فلم تجب بكلمة بل نظرت اليهِ وتنهدت من فؤاد قريح مجروح و بقيت في حالتها مقدار نصف ساعة وهو الى جانبها يطيب بخاطرها و يظهر لها فرحه بوجودها الى ان قدرت على الجلوس جيدًا وغنا بقلبها جيش القوة تدريجًا وامكنها ان تمسك نفسها فقامت اليهِ وجددت السلام عليهِ . وكان بهروز لما راى اجتماعه بها لم يقبل ان يبقى هناك فعاد الى المكان المقيم فيهِ قادرشاه وتركهُ مع محبوبتهِ يتشاكيان لواعج الحب والغرام ومثل ذلك الخادم فانهُ بعد ان ثبت لديهِ رجوع عين الحياة الى وعيها غاب عنهما وتركهما وعندهما كل ما يحتاجانهِ ونظر فيروزشاه الى الغرفة فوجد بواطي المدام مصفوفة على المائدة والرياحين موضوعة في اوعية من الذهب الوهاج المنقوش والكوس من الذهب ايضًا بما يدهش العقول وعلى اطراف المائدة ايضًا مباخر من الذهب تنوح منها روائح العود والعنبر بما جعل تلك الغرفة محل انس وطرب . فسال عن ذلك عين الحياة وقال لها لمن اعد هذا وما سبب مجيئك الى هذا القصر ومن الذي جاء بك وكيف كان قيامك هنا هل كنت براحة او لحق بك اهانة فابدي لي كل ما وقع عليك ولا تخفي حرفًا واحدًا لاني مزمع ان اجازي صاحب هذا القصر على فعلهِ ان خيرًا وان شرًا

قالت ليس لهذا القصر صاحب ذكر انما الذي جاء بي هو الفارس الذي راه بهروز وقد فتك برجال الرومان وانتشلني من بينهم وانا على تلك الحالة اي بصفة العبيد . ولما دخلت القصر قال لي ذلك الفارس لا ترهبين امرًا في هذا الموضع ولا تخافي ضرًا فما من ذكر في هذا القصر سوى خادم واحد مسن وهو الذي كان هنا الان . ثم كشف لي الفارس عن وجههِ واراني انهُ امراة ثم اعاد لثامهُ وادخلني وسلمني الى هذا الخادم واوصاه بخدمتي واكرامي . فقلت لها لما تاكدتها انها امراة وانا مندهشة من عملها بالله عليك ان تذهبي بي الى جيش الفرس الى فيروزشاه . فقالت لي لا يمكن ذلك الان بل اني مزمعة على ان احضره اليك الى هذا القصر بعد قليل من الايام فكوني براحة واستعدي لملاقاتهِ وعدي نفسك بالاجتماع بهِ في هذا القصر الاجتماع الذي لا يعقبهُ فراق مؤلم فيما بعد . فسررت لكلامها وسرت مع الخادم الى هذه الغرفة التي تراني بها الان وكنت لا ارى احدًا قط سواه

وسوى امراتين خادمتين صفتهما غريبة جداً يحضران اليّ في كل مرة فتنزعان عني ثيابي وتاتياني بثياب فاخرة مطيبة و بعد ان تنهيان عملهما تقبلان يدي وتبارحاني . وفي يوم دخولي الاول الى هذا القصر جاءتاني وغسلا بدني من السواد و بالحقيقة اني كنت مسرورة في هذا القصر بالانفراد عن الناس و بالراحة من النظر الى وجوه المعتدين وانا اعد نفسي من يوم الى اخر بالاجتماع بك و باتيانك الى هذا القصر حتى كانت هذه الليلة فسهرت قليلاً ونمت وفيما انا نائمة الان طرق عليّ الخادم الباب وقال لي من الخارج اسرعي الى لبس ثيابك فساعود اليك قليلاً بما يسرك فتاكد عندي قرب مجيئك اليّ فنهضت ولبست ثيابي وفتحت الباب واذا بالخادم قد عاد اليّ بالشموع فوضعها وصف المدام كما تراه وقال لي ان سيدتي اخبرتني ان اجيئك باحد امراء الفرس ليخبرك عن فيروز شاه لانه رافقها اليك فشغل قلبي لذلك وضميري ولم اعرف من هذا الذي وعدني بمجيئه الى ان دخلت عليّ انت فاشكر الله الذي جمعني بك وبالحقيقة ان حضورك هو العلة الوحيدة التي تكفل لي الراحة الابدية وهاهذا صفرة المدام تدعونا لتمضية بقية هذا الوقت بالحظ والانشراح فنظر الى نفسه بالسعادة والاقبال واخذها من يدها واجلسها الى جانبه وسكب لها خمراً واعطاها وفعلت هي كذلك وهما بالحظ والانشراح والسرور والفرح وذاق فيروزشاه من لذة النظر الى محبوبته ومعاطاة الخمر معها ما جعله بغاية من الفرح والمسرة وتامل في محاسنها و باح بما في ضميره من اجلها انشد

ابت لحاظك الا ان تريق دمي	فعن اراقته ياعين اغناك
في فيك راحٌ وشهدُ الهبا كبدي	واحرّ قلباه ان لم ارتشف فاك
حذرت ناظرك المغري بسفك دمي	لما اقتضي الحال من تحذير اغراك
فنكر الهجر تمييزيه بمعرفة	واعرب الوجد افعالي باسماك
يا كعبة حجها قلبي وطاف بها	دملا جعلت صفا خديك مسعاك
وفي محارب صدغيك التي انعقدت	امسى تهجد طرفي الخاشع الباكي
انهي الى خصرك الواهي ضنا كبدي	عسى برقته يرثي لمضناك
وارتجي ان تجودي لي ولو بكرى	ليشهد الطرف في الاحلام مراك
زوري اكتتامًا بابل الشعر واستتري	كي لا يبين صباح الثغر مسراك

انتهى الجزء الخامس عشر من قصة فيروزشاه

ويليه السادس عشر عما قليل ان شاء الله

الجزء السادس عشر

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

ولا يروعك وسواس الحليّ اذا ... اخفيت عن وحيه آثار ممشاك
فما اضا الصبح لولاك ابتسمت له ... ولا دجى الليل الا جن صدغاك
ولا روى عنبري الصدغ مسنده ... الا لينقله عن طيب رياك
وعاذل رام تشبيهًا فأفحمه ... دليل حسن اقامته ادلاك
وقلت ترجو شبيهًا وهو ممتنع ... ولو تصور حسنًا ما تداعاك
فان حكى البدر زاهي وجنتيك سنا ... فالحسن يشهد للمحكي لا الحاكي
وان رنا الظبي عن جفنيك ملتفتًا ... فالسحر يوهم أن الظبي جفناك
من ابن للظبي اصداغ معقربة ... تحمي الشقيق الذي ابداه خداك
وكيف للظبي الحاظ ملوزرة ... تعلو الوشيج الذي هزته عطفاك
ما البدر ما الشمس ما الظبي الغرير وما ... زهر الربى وغصون البان لولاك
باهي على الغيد واسبي الزهر بهجتها ... فالغيد والزهر من اسرار مصاك
مليكة الحسن رفقًا بالكئيب ولا ... تبغي عليّ فاني من رعاياك
انزه الطرف عن رويا سواك كما ... اوحد القلب عن تثليث اشراك

...ه بحرية قادته اليها اللواعج الكامنة في قلبه من مفاعيل الحب القديم وهو لا يصدق ان عاد اليه وقتًا من اوقات اجتماعه بها منفردا بخلوة ليس من عذول ولا رقيب واما عين الحياة ...كلامه لعلمها انه الرجل الوحيد الذي القت كل رجائها عليه وسلمته قلبها واعتمدت ... كل ايام حياتها وكان عقلها وخبرتها باحوال الزمان وابنائه جعلها ان لا تخجل من ...حبته وعاهدته وعاهدها عهدًا صحيحًا ثابتًا ان يكون زوجها وتكون زوجته ولهذا اخذت في ...الخمر وتسقيه واشتاقت الى ان تصفه بنفس ما وصفها وتنشد من الشعر ما يطيب به خاطرها فتناولت كاسًا وشربتها وانشدت

بحار الطرف في دلّ عجيب ... يهزك هزة الغصن الرطيب
فيرجع من رآك بقلب صبّ ... ومقلة ساهر باكٍ كئيب
أسحرٌ ما بطرفك ام حسامٌ ... يسلّ على القلوب بلا ذنوب
وورد ما بخدك ام دماء ... سفكت بصارم اللحظ الغضوب

تصون اشفوني برد الثنايا | مخافة ان يذيب فمن مذيبي
بما في وجنتيك وما بقلبي | من الجمر المندى واللهيب
يعزّ عليّ ان يبدو جهادًا | جمالك للعيون وللقلوب
و.ولي بان تدني الاماني | خيالك من اخي امل كذوب
ترى الدهر البخيل يجود يومًا | فيسمح باللقاء بلا رقيب
ونصغى لي فاشكو ما اقاسي | كما يشكو العليل الى الطبيب
فلي كبد يقطعها اشتياقي | وقلب لا يقر من الوجيب
وان اعيا اللسان بيان ما بي | شكوت اليك بالدمع الصبيب
كفاني منك يا مولاي هذا | وهذا منك لي اوفى نصيب

ولما انتهت من انشادها سرّ منهُ فيروزشاه وشكرها عليهِ وسر منها مزيد السرور وقال في نفسهِ كيف انها ثبتت كل هذه المدة مع تقلب الايام وكثرت الحوادث على ان تفي بحقوق الحب وتحفظهُ كل الحفظ حتى اصبحت كالمجنونة وهذا الذي كان يسره ويزيده فيها رغبة فوق ماهو عليهِ من جنون الحب . وهكذا حالة العاشقين والا فلا اي ان يكون الحب متبادلاً متعادلاً لا تضعفهُ الحوادث ولا يقال منهُ البعاد ودامت عين الحياة مع محبوبها ومحبوبها معها على تلك الحالة اكثر من ساعة واذا بصاحبة القصر قد دخلت عليهما فترحب بها فيروزشاه واجلسها الى جانبهما وامعن بها فوجدها انها من بنات الجان فقال اريد منك ان تحكي لي عن السبب الذي دعاك الى اخذ عين الحياة والى عمل ما عملت في الميدان . فاني في رغبة الى ذلك . قالت اني ساطلعك على كل شيء انما اخبرك اني في هذه الساعة بينما كنت آتية الى هنا نظرت شخصًا يتلصص بين زوايا القصر كانهُ الصل عند انسيابه فقبضت عليهِ وسالتهُ عن نفسهِ فقال لي انهُ من عياري ايران وانهُ جاء يفتش على سيده فيروزشاه لانهُ كان غائبًا عن الجيش فلم اصدقهُ بل قبضت عليهِ واتيت لاطلعك على امره . قال احضريهِ اليَّ لنعلم من هو واذا كان من عيارينا عرفناه . فامرت ان يؤتى بهِ وكان هذا هو نفس هلال العيار فانهُ بقي مناثرهم الى ان دخلوا القصر فدخل وانسل الى جهة جدران القصر وانساب من تحتها من جهة الى جهة وقد عرف فيروزشاه وبهروز فانشغل بالهُ واراد ان يعرف قصتهما واكمن في زاوية القصر ينتظر غفلة واذا بصاحبة القصر قد مرت فنظرتهُ وقبضت عليه وجاءت فسالت فيروزشاه فامرها ان تحضره ولما حضر نظر اليهِ فعرفهُ وكاد يطير من الفرح وقال وقعت يا هلال فاني موفق في هذه السفرة من فضلهِ تعالى ثم قال لصاحبة القصر هذا من عياري الاعداء ومن اكرهم خباثة وخداعًا واحتيالاً . فقالت لهُ ماذا تريد ان تفعل بهِ . قال مرادي ان اقطع اذنيه وانفهُ وابقيه مكتوفًا لارجع بهِ الى ابي يحاكمهُ ويقتله لانه يشتاق الى موتهِ كما يشتاق الى موت طيفور . فاجابت

طلبه وفي الحال تناولت سكيناً وقطعت بها اذني هلال وانفهٔ واخذتهٔ الى غرفة ابقته بها مربوط الايدي بالحبال وعادت الى فيروزشاه وجلست معه على المائدة واخذت تحكي له قصتها فقالت

اعلم يا سيدي ان سبب كل ما تقدم هو انت وذلك اني من بنات الجان اسمي المرهنقبولي اخت من اجمل بنات الانس والجان اسمها جهان افروز وكنا ناتي اكثر الليالي الى القلعة التي كان فيها الكنز في الاسكندرية فنقيم في اعاليها ونصرف اكثر الاوقات هناك على الحظ والغناء والانشراح الى ان كان اليوم الذي جئت بهِ فراتك اختي وسالتني عنك فاخبرتها بكل ما انت عليهِ من العظمة والسعادة فطلبت مني ان اجمعها بك واظهرت لي انها احبتك وتعلقت بك فحكيت لها قصتك مع عين الحياة وانهٔ كاد يخرب الدنيا لاجلها. فقالت لا بد لي من الاجتماع بهِ والا فاني اموت من هذه الساعة فطمنتها وقلت لها ان ذلك لا يمكن الان ولا بد لي ان ازوجهٔ بك قبل ان يتزوج بعين الحياة وادعهٔ يعرفك قبل ان يعرفها. فارتاح لذلك بالها واطمأن خاطرها وعلقت آمالها على وعدي. واخذت منذ تلك الساعة اراقب اعمالكم واوافقكم من مكان الى مكان وفيما كنتم انتم في ملاطية وبعثتم بكرمان شاه الى انطاكية سرت مع جيوشهِ الى تلك البلاد الاحظ امرهم واراقب احوالهم حتى اذا وقعوا بمصيبة انتشلتهم منها فلم يتصعب عليهم شيء ولما كانوا في الطريق قصدت ان انتشل من بينهم كليلة بنت صاحب الشام فاختطفتها من البئر واختفيت فيهِ ولم يقدروا ان يعرفوا من الذي اخذها. ثم لما رجعنا الى هذه النواحي انيت هذا المكان فابتنيت فيهِ قصراً وهو هذا القصر الذي نحن فيهِ واقمت انتظر الحرب ان تقع بينكم لا جعل لي شغلاً في افكاركم يشغلكم والقي في اعداكم الرعب والخوف. وفيما انا على مثل ذلك وجدت عين الحياة مع بهروز وسيف الدولة وقد ادركهم الرومان ومسكوهم وقصدوا الرجوع بهم فانحدرت اليهم وخلصتهم واخذت عين الحياة اليَّ لان اختي جهان افروز كانت لا تزال دائمًا تلح عليَّ وهي خائفة من ان تتزوج بعين الحياة قبلها وانا اعدها ان لا يمكن ذلك ولا ادعهٔ يتم حتى جئتها بعين الحياة وقلت لها هانذا خطيبة من تحبينهٔ عندنا ولم يعد يمكنهٔ ان يتزوج بها قبلك. فارتاح بالها. ولما كانت عين الحياة تستحق الاكرام والاعتبار اقمنا على خدمتها وهي لم تعرف احداً منا وبقيت منتظرة ان اصل اليك خبرنا لتعرف بامرنا حتى وقعت الحرب وجاءت جيوش الصين مع جيوش الرومان فلبست ملابس الرجال وفعلت ما فعلت وكنت نويت ان ابيد جيوش الرومان على هذه الطريقة فلم تسمح لي بل اسرعت اليَّ وكان ما كان. ولهذا ارجو منك العفو يا سيدي على ما سبق مني في قتالك فاني تجاسرت على ما ليس من حقي واني اعترف انك اشد باساً من كل خليقة ربك في زمانك هذا من انس وجان ولا يمكن لاشدهم بسالة واقدامًا واقواهم حيلاً وبطشًا ان يثبت او يقف امامك اكثر من ساعة او ساعتين

قال فلما سمع فيروزشاه كلامها تعجب منها ومن حديثها واطرق الى الارض برهة ثم رفع راسهُ وقال لها اني ارغب في ان لا اضيع لك قولاً ولا ادعك تخلفين وعدك مع اختك غير ان امري ليس بيدي فقد سلمت كل امري الى عين الحياة فهي وحدها تقدر ان تفصل هذا المشكل وتامر به بما تريد فاذا قبلت تزوجت باختك والا فلا مطمع لها بذلك . فنظرت المرهفة الى عين الحياة وسالتها الانصاف والرحمة فقالت اني لست ممن تتلاعب بهم الغيرة والحسد وانكم عملتم معي معروفاً كبيراً لا انساه الى الابد وذلك انك خلصتني من ايدي الرومان وانا بتلك الحالة الشنيعة وسترت امري ومنعت عني الفضيحة وتلم الصيت واكبر معروف فعلتهِ معي هو انك كنت السبب باجتماعي بفيروزشاه وتقربي منهُ وحصوله عليَّ بعد ان كنت اشتاق ذلك ولو في المنام وعليه فاني ارغب من كل قلبي ان تزوج اختك بهِ ولو كان ذلك قبلي حيث ذكرت انها مظلومة بحبهِ لا تطيق صبراً على ذلك واحب ان يرحمها عسى ان الدهر يساعده على رحمتي . فسر فيروزشاه من هذا الكلام وثبت عنده ان عين الحياة ما اجابت الى ذلك الا مراضاة للمرهفة ولهُ فتغلبت على اميالها وانها وان كانت لا ترضى في حبيبهِ شريكاً لكنها وجدت نفسها مضطرة الى ذلك كما وجد نفسهُ هو انهُ مضطرٌ اليهِ وعليهِ قال للمرهفة واني اعدك ايضاً بايفاء الوعد الذي وعدت به اختك جهان افروز فصفقت من الفرح واسرعت الى اختها فاخبرتها بما كان وجاءت بها الى فيروزشاه وامرتها ان تقبل يديهِ ففعلت ولما راها وشاهد حسنها العجيب اندهش وحار وعلم انها وحيدة في عصرها غير ان قلبهُ لم يمل اليها كل الميل كما كان يميل الى عين الحياة كونها هي وحدها المالكة الوحيدة عليهِ منذ الصغر . واجلس جهان افروز الى جانب عين الحياة وجعل يسر نفسهُ بالنظر اليهما . ثم قال للمرهفة اريد منك ان تاتي بكليلة والفرسان الذين عندك اليَّ فانهم من فرساني وابطالي ولا اريد ان اصبر عليهم . كثر مما صبرت فقالت لا باس من ذلك فاني احضرهم اليك ولا تخف عليهم فانهم عندي على الاكرام والارحاب وما من امر يكدرهم قط ثم سارت الى الطابق الاسفل وجاءت بهم جميعاً وقدمتهم لفيروزشاه فترحب بهم وهناهم بالسلامة فقبلوا يديهِ وشكروه وكان اعظمهم دهشة بهزار قبل عند مشاهدتهِ كليلة وكاد يغمى عليهِ من عظم الفرح والسرور الذي لم يكن ينتظره واصابها هي ايضاً مثل ما اصابهُ وجلسوا مع فيروزشاه على تلك المائدة يصرفون بقية الليل على الحظ والهناء حتى اذا جاء الصباح ناموا قليلاً ثم ساروا الى معسكرهم

قال وكان هلال مربوط الايدي كما تقدم معنا في غرفة وضعتهُ فيها المرهفة وبعد ان بعدت عنهُ وجد نفسهُ متالماً من عظم الجراح والاوجاع بسبب قطع اذنيهِ وانفهِ غير انهُ خوفاً من الموت اذ كان يعلم انهُ لا بد ان يقتل اذا وقف امام الملك ضارابٍ اخذ ان يتغلب على اوجاعه ويتجلد ويتصبر لينظر في طريقة يقدر بها على الخلاص من ذاك القصر وبعد ان صرف كل فكره الى ذلك

تبين له وجه الفرج فتقدم من الشمعة التي كانت تضيء في الغرفة الموضوع فيها واحرق الحبل المربوط به على لهيبها حتى احترق وانطلقت ايديه فاستغنم هذه الفرصة وخرج كالبرق في السرعة وانسل الى الخارج دون ان يراه احد لان المرهمة كانت اذ ذاك امام فيروزشاه تحكي له قصتها وبعد ان بعد عن القصر فرح جداً وامل بالخلاص ونسي لفرحه اوجاعه وسار قاصداً جهة الملك قيصر وفي نفسه انه يطلعه على خبر فيروزشاه وعين الحياة وانهما في القصر في نصف الوادي ووعد نفسه كل الوعد بالانتقام منه جزاء لفعله معه لانه قطع له اذنيه وانفه فلم تعد تخفى حالته على احد ولا عاد يقدر ان يتعاطى مهنة العيارة وبقي مسرعاً في مسيره حتى قطع الوادي ودخل بين الجيوش وجاء الى خيمة الملك قيصر عند انبثاق نور الصباح فدخل عليه وهو في تلك الحال فاندهش منه وقال له ماذا حل عليك ومن الذي فعل بك هذا الفعل الشنيع فقال له ان الذي فعل معي ذلك هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب . قال ومن اين وصل اليك وهل هذا الفارس هو الذي كان ياتي الميدان قال كلاّ بل هو مقيم في قصر بنصف الوادي يشرب ويخمر ويسكر مع عين الحياة غير مكترث بحوادث الدهر ونكباته . قال ومن الذي اوصله الى هناك قال لا اعلم ذلك ولا سالت عنه بل ما صدقت ان نجوت بنفسي فاتيت مسرعاً لاعلمك بذلك واطلب اليك ان تصحبني بخمسين الف فارس فندخل الوادي وننقض عليه وناخذ منه بالثار . فلما سمع الملك قيصر كلامه فرح بهذا الخبر وقال احسنت بذلك فاننا نقدر في مثل هذه الساعة ان نتدبر الى مسكه وهلاكه ومن بعده يهون علينا كل امر عسير . ثم دعا الملك قيصر بنكوخان واولاده والشاه سرور وطيفور والوليد حاكم مصر واطلعهم جميعاً على ما سمعه من هلال العيار وان فيروزشاه مقيم مع عين الحياة في الوادي مشتغل بشرب العقار والحظ والهناء غير ملتفت الى ما سيحل عليه وان هلالاً راه هناك على هذه الحالة وجاء في بخبره وذلك بعد ان وقع بيده وقطع له اذنيه وانفه فتكدر الجميع على هلال وما حل به ما عدا الشاه سرور فانه شمت به وود انه كان مات لانه فضح بنته امام الجميع وحكى عنها انها مقيمة مع فيروزشاه على انفراد بين الكاس والعقار ولحق به من الخجل والعار ما لم يلحق به قبل ذلك الان . واما بنكوخان صفق من السرور وقال الان يسهل علينا اخذ الثار من سيد الفرس وفي مثل هذه الساعة يجب ان نسير الى مكان وجوده فنحيط بالقصر القائم فيه ونهلكه ونعدمه الحياة فقال طيفور اني اوكد لكم انكم ستقبضون عليه لا محالة . غير ان من اللازم ان تصبروا الى المساء وتحت اجنحة الظلام تبعثون بالعساكر فلا يدري بها احد ولا يراها احد والا اذا بعثتم بها الان راتها الفرس واطلعت على امرها وعرفت بمكان مسيرها فتسير في اثرها ويضيع الربح الذي نؤمل به لا بل كدنا نحصل عليه وهذه فرصة لا يمكن ان نضيعها او نتقاعد عنها فاستحسن الجميع كلامه وصبروا الى المساء

قال ولم تقع حرب في ذاك النهار بين الطائفتين لان الملك ضاراب كان مشغل البال لغياب ولده و بهروز ويحب ان يعرف الى ابن سارا وفي اي جهة توجها وخاف ايضًا انهُ اذا باشر حربًا جاء ذاك الفارس وقتل في جيوشهِ بغياب ولده وكذلك الرومان فانهم لم يرغبوا بمباشرة حرب في ذاك النهار بل صبروا يعدون انفسهم بالفوز في المساء يرجون نجاحًا اعظم من نجاح قتال ذاك النهار ولما كان المساء جمع الملك قيصر خمسين الف فارس من الفرسان الشداد تحت امرة قائد من قواده العظام وامر هلالا ان يسير بهم الى الوادي عند نصف الليل بحيث يكون الكل نيام فلا يشعر بهم احد ولا يعلم بمسيرهم عدوّهم . وعند ما انتصف الليل اخذ هلال الفرسان وسار بهم وهو يعد نفسهُ كل الوعد بالقبض على فيروزشاه والاتيان به اسيرًا الى منكوخان والملك قيصر و ينال انعامها بدلاً من اذنيهِ وانفه المقطوعين و بقي في مسيره الى حين الصباح وفي الصباح وصل الى القصر وقرب منهُ . وكان فيروزشاه مقيماً في ذاك النصر المقدم ذكره وقد صرف اليوم الثاني مع عين الحياة ولم تدعه المرهفة ان يذهب وقالت لهُ لا باس على قومك من احد واننا في الغد نسير باجمعنا و يفرح ابوك بنا مزيد الفرح . ولما عرفوا بفرار هلال تكدروا مزيد الكدر وقال فيروزشاه اني كنت احسب ان اقود هذا الكلب الى امام ابي لينتقم منهُ جزاء على فعلهِ لانهُ خانهُ وغدر بهِ واحنث معهُ بوعده . فقالت لهُ لا يفر من ايدينا فاني في كل ساعة اقدر على ان امسكهُ واقوده اليك ومتى وصلنا الى الجيش اتيتك بهِ كما كان مقيدًا وتركت اباك يفعل بهِ ما اراد . فاقاموا بقية ذاك اليوم في القصر وتلك الليلة والمرهفة تقدم لهم الماكل الطيبة والخمور الصافية وهم على غاية ما يرام من الهناء والحبور وجهان افروز وعين الحياة في محبة ووفاق وكلٌ منهما تبدي للثانية ما عندها من محبة فيروزشاه فتساعدها الاخرى بالتصبر والتجلد فقد حل الزمان وان الاوان وكليلة وبهمنزار قبا في جنة من النعيم يشكران الزمان الذي اعادها الى بعضهما وسمح لها بالاجتماع على مثل تلك الحالة . وفي صباح اليوم الثاني نهضت المرهفة من رقادها باكرًا ونظرت الى البر فرات العساكر مقبلة مع هلال فادركت سر المسالة وجاءت فيروزشاه فحكت لهُ . وقالت لهُ اذا شئت مرني ياسيدي فاسير الى هذه العساكر وابددها . قال لا يمكن ذلك بل من الواجب ان نخرج اليها كلنا ونحاربها حربًا عاديًا ونشتتها ومن ثم نسير الى ابي فاني لم اعد اصبر اكثر من يومين ولا بد ان يكون لاجلي على مقالي النار . فاجابتهُ وجاءت بالخيل لسائر الفرسان واوصت اختها جهان افروز بعين الحياة وكليلة وركبت فوق جوادها وركب فيروزشاه على كمينهِ كانهُ البرج الحصين ولما خرجوا من القصر قال فيروزشاه للمرهفة اني اقصد الجهة الشمالية حيث قائد العسكر مقيم فاقتلهُ واعدمهُ الحياة وافرق من حواليهِ كل قومهِ واقصدي انت الجهة اليمنى ولندع بهمنزار قبا وعبد الخالق القير واني وقادرشاه يقصدون القلب فنوقع بهم وقعة لم يروا مثلها قط ونبددهم بساعة واحدة واوصيكم ان من

وقع بيده. هلال يقبض عليهِ ولا يتركه يفر فاني اريد ان اقوده الى ابي لينتقم منهُ فوعده بهروز بانهُ لا يتركه يفر ولا بد ان يقبض عليهِ اذا راه و بينما كانت المرهفة وضيوفها يستعدون للقتال كانت عساكر الرومان تتقدم شيئًا فشيئًا

قال الراوي فلم يشعروا الا وصوت فيروزشاه ينادي باصواتهِ القوية وقد اطلق عنان جواده واشهر بيده الحسام كانهُ قضاء الله اذا انحدر على انسان وكذلك المرهفة فانها ابرقت وارعدت وازبدت وامطرت وهي تنادي مناداة الفخر وتتوعد القوم بالهلاك والقلعان والدمار والهوان . ولم يكن الا دقائق قليلة حتى اضطرب ذاك الجيش واختبط وقام بهِ الصياح من كل جهة وناح ودار بهِ دولاب خطف الاعمار وقصفها من بعد الامان والاستبشار . وراحت الارواح . تركض مستجيرة من عالم الاشباح ولم يكن يرى في تلك الساعة الا الدماء الفائرة والخيول الغائرة والاكف الطائرة واشعل فيروزشاه نار تلك الحرب والطراد . واقام في جهنم القتال لعذاب الفرسان والاجناد . قيام الحاسب والوقاد . فكان يختطف النفوس العاصية و يرمي بها الى لهيب غضب سيفهِ الرنان فتذوب في بلك النيران كما يذوب في وجه الهواء الدخان . وكان يصيح و ينادي في نداه انا فيروزشاه حبيب عين الحياه . حتى اوقع الرعب في القلوب . وانزل انابيب المصائب والكروب . واحل على اعدائهِ الغضب والانتقام فكان جزاؤُهم منهُ الانقراض والاعدام . وكانت الخيل تلطم بعضها هاربة من وجههِ املا بالخلاص من حربهِ والنجاة من لهيب طعنهِ وضربه الا انها كانت كمن يهرب من الدب فيقع في الجب اي ان المرهفة كانت ذات باس واقتدار عجيب فقارنت فيروزشاه في عملها وسطت كما تسطو الاساد . وقطعت المعاصم والاوراد . واجرت الدماء من الصدور . كما تجري في كانون الشتاء النهور . وسدت عليهم طريق الفرار على امل ان لا ينجو منهم قط فارس بل تهلكهم عن اخرهم ولا تبقي الا على كل جريح وسقيم واما بقية الفرسان فانهم دخلوا في الوسط واقاموا فيهِ سوق الطعان والضراب . واجهدوا انفسهم على الثبات والاقدام في مثل هذا الموقف غير ان فيروزشاه كان لا يغفل عنهم بل كان يختطف في كل آونة الى جهتهم فاذا وجدهم مغلوبين افرج عنهم وفرق المزدحمين ووسع لهم المجال ثم عاد عنهم الى الجهة التي جاء منها وكان يوكد ان المرهفة قادرة على حمل ما اعهد اليها ولذلك لم يقصد جهتها بل كان مطمئنًا مرتاحًا عالمًا انها ستفرق من حواليها . و بقيت الحرب عاقدة على مثل ذلك اكثر من ثلاث ساعات وعزرائيل قابض الارواح يتناول من فرسان الرومان واحدًا بعد واحد واثنين بعد اثنين وعشرة بعد عشرة وعشرين بعد عشرين و يسلمهم الى ايدي الفناء حتى كادوا يضمحلون وراوا ان لا خلاص لهم الا بالهرب والفرار فالوى الباقون عنان خيولهم وانطلقوا يسرعون الى جهة المعسكر يطلبون الاختفاء من وجه فيروزشاه والمرهفة ومن معهما من فرسان ايران فتتبعوهم حتى ابعدوهم عن تلك الناحية واجلوهم عنها تمامًا ولم يبق منهم الا القليل

والباقون انبسطوا متمددين على بساط الارض تدوسهم حوافر الخيل وتاكل لحومهم الوحوش والطيور . واما بهروز فانهُ كان في الاول لا يفارق مولاه حتى تاكد تقهقر الاعداء من امام وجههِ فاستل الخنجر ومال فيما بينهم مفتشاً على هلال وكل من وقع في طريقهِ اعدمهُ الحياة الى ان توصل الى غايتهِ وهو انهُ رأى هلالاً فاراً يطلب النجاة فانقض عليهِ كالجندل وقبضهُ من عنقهِ ودفعهُ الى الارض واخرج حبلاً فربط بهِ ايديه وقاده مسروراً بعمله مشتفياً بعدوه

وعند رجوعهِ من ساحة القتال و بعد الاعداء عن المجال قدمهُ لسيده وحكى لهُ عنهُ فقال لهُ كن انت حارساً عليهِ ولا تغفل عنهُ فاني مزمع ان اقدمهُ في هذا اليوم الى ابي فهو متحرق من عملهِ وخباثتهِ كما اني انا ايضاً ملدوغ من عقارب كيده وذبابات غدره ولا ريب انهُ سيموت شرّ ميتة ليكون عبرة لغيره . فابقاه بهروز عنده واما فيروزشاه فانهُ سال المرهنة المسير الى معسكر ابيهِ فاجابتهُ وعادت الى القصر فاركبت من فيهِ من النساء كل واحدة في هودج واخرجت الاموال وما كان ثميناً من مفروشات القصر وانطلقت مبعدة عن تلك الجهة سائرة بين يدي صاحب هذه القصة و بطلها وقد انتهت ما كانت تطلبهُ وسرت اسرور اختها بن احبتهُ كما كان مسروره هو بعين الحياة وحصولهِ عليها واتيانهِ بها بعد ان صرف الايام والليالي بعيداً عنها مشتاقاً الى نظرة واحدة منها ووجد نفسهُ سنعمة لا تجحد وعرف ان الله قرب ايام اجتماعهِ وزواجهِ بها بحيث يكون قد انتهى وقت العذاب وكان يزيد سروره عندما يتاكد ان اباه سيفرح و يسر بها ايضاً وانهُ كان كل تلك المدة وما مضى عليهِ من الاعوام والشهور يحارب في سبيل الحصول عليها دون ان يراها او يعلم صورتها ومثلهُ كانت كل رجال ايران . ولما كاد يقرب من الجيش اي بعد ان خرجوا من فم الوادي بعث بهروزان يسرع الى ابيهِ و يطلعهُ على امره و يعلمهُ بوصولهِ ووصول المرهنة وعين الحياة ومن معهم فاجابهُ وانطلق بسرعة تحاكي وميض البرق وكان الملك مضطرباً في قلق واضطراب لغياب ولده عن الجيش مقدار يومين لا يعرف في اي جهة سار ربقي على مثل تلك الحالة الى ان وقف بين يديهِ بهروز وشرح لهُ عن اتيان سيده ومن معهُ فسقطت ابراج الهم عن قلبهِ وانصبت دمعة الفرح من عينيهِ وقال احقيق ما تقول هل عاد ولدي والفرسان الذين اسروا من جيشي ومعهم الفارس الذي اسرهم وهل حقيق ما تقولهُ من اني سارى بعد قليل خطيبة ولدي وانظرها في يده وتحت حوزتهِ فافرح بعد ايام بزفافهِ واراه مسروراً بها منعماً بعيشتهِ وكان يتكلم والدموع تنحدر من عينيهِ لانهُ وان كان صارم الامر شديد القلب غير انهُ كان رقيق الحاشية عصبي المزاج يتاثر من اقل الاشياء تبعثهُ الى ذلك حواسهُ وشعوره . وفي الحال نهض وقال يجب عليَّ ان اسير بنفسي اكراماً لولدي ولاقي خطيبتهُ واترحب بها مزيد الترحيب وعند نهوضهِ نهض كل من كان حاضراً وركب الجميع وشاع خبر وصول فيروزشاه بعين الحياة بين كل الجيش فازدحموا سائرين يتسابقون ليروا الفتاة

التي اختارها ملكهم وابن ملكهم وسيدهم والتي صرفوا كل هذه المدة بالحروب ومقاساة الاهوال لاجلها ولاجل زواجها به . ولما قرب فيروزشاه من ابيه ترجل الى الارض وسعى على اقدامه الى ان دنا منهُ ففعل ابوه مثله وضمهُ الى صدره وهو يهنئهُ بنجاحه فقبل يديه وقدم لهُ المرهفة وقال له هذه يا سيدي من كانت تاتي الميدان وتفعل تلك الافعال العجيبة وهي من بنات الجان صاحبة بطش واقدام وبسالة تندر بمثلها من فرسان الانس والجان . وقد فعلت كل ما فعلت طمعاً بان تقدم اليّ اختها زوجة وساطلعك على كل ما كان من امرها وتقدمت المرهفة من الملك ضاراب وقبلت يديه فشكرها على معروفها وكيف انها اوصلت عين الحياة الى ابنه وكانت الواسطة الكبرى لهنائه وراحته ومنع عذابه . ثم تقدمت منهُ عين الحياة وهي تشرق بانوار البهاء والجمال كانها حورية قد خرجت من الجنان لم ترَ عينهُ قط من هي اجمل منها وابهى من محاسنها واندهش مما شاهده فيها وقال في نفسه لقد اصاب ولدي بشدة تعلقه بهذا الملاك المجازي واما هي فانها قبلت يديه واطرقت الى الارض فامرها ان تعود الى هودجها وهنأ ابنهُ بها . ومن بعدها تقدمت جهان افروز وابدت فروض الطاعة والخضوع للملك فترحب بها وهناها بولده ومن ثم سلم على كل فرسانه الغائبين وكر راجعاً والى جانبه ولده والفرسان تزدحم من كل جهة لترى عين الحياة وما منهم الا من يتعجب ويفرح لذلك وهم ينادون لهُ بالنصر ودوام السرور ويدعون له ولحبيبته بطول العمر والبقاء حتى كادت تسد الطريق ولم يكن من يقدر ان يدرك حالة رجال الفرس وقوة فرحهم في ذلك اليوم ولما وصلوا الى الخيام نزلوا عن خيولهم وانزلوا عين الحياة ومن معها في صيوان مخصوص ضربوه لهم من الحرير الابيض سجافاته من الاقمشة الفارسية الفاخرة وعلى اعمدته الذهبية قطع من الجواهر الكبيرة كل واحدة بقدر البيضة واقيم عليه الحراس وفيه الخدم والجوار وهو مقطع الى غرف ومساكن اشبه بالقصور المبنية خص واحدة منها لعين الحياة والثانية لجهان افروز والثالثة لفيروز شاه والباقين للجوار والعبيد واقام فيروزشاه مع حبيبته ينتظر ما كتبهُ الله لهُ في نصيبه . وضرب الى المرهفة صيوانًا مخصوصاً خصص لها به الخدم والعبيد واخذ بهمنزار قبا كليلة اليه وضرب لها صيوانًا بقرب صيوانه ولما اجتمع جميع الفرسان في صيوان الملك ضاراب حكى فيروزشاه لابيه منفصلاً كامل ما وقع لهُ مع المرهفة وما سمعهُ منها من قصتها وما هو السبب الذي دعاها الى سلوك هذا السبيل والاتيان الى تلك الناحية . وكان الجميع يتعجبون من توفيقه وسعادته وعلو منزلته حتى صارت الانس والجان تطلب خدمتهُ وتسعى في التقرب منه ومثل ذلك جرى على ابيه وشكر الله على هذه المنة العظيمة وشعر بقرب الهناء والراحة . وقال اني لا اقدر ان اني حق الشكر لمن جعل لنا بين خليقته منزلة اولى ورفعة وعلو شان واطلب منه تعالى ان ينهي اعمالنا بالخير والنجاح ويقرب منا ايام رجوعنا الى بلادنا واكبر شكري هو كوني ارى كل فرساني وابطالي مقيمين حولي غير

غائب منهم الا فرخوزاد ولا بد لي من الوقوف على خبره وارجاعهِ الينا مكرمًا واصفح لهُ عن ذنبهِ وكذلك طهمور فانهُ اسير في جيوش الاعداء ولا اعرف كيف كانت حالتهُ واني ان كنت اتذكر موت فارس بلادي وحاميها من خدمها بامانة وصرف كل العمر في تشييد دعائم تقدمها وفلاحها ورفع اسمها بين الممالك وهو فيلزور البهلوان الا اني اتعزى عندما افكر انهُ لا يزال في ديواني خليفتهُ وفرعهُ الذكي بهزاد الجبار من فاق كل فارس وبطل باقدامهِ وبسالتهِ . واسر لما ارى نفسي اني قادر على مكافاتهِ ورفع منزلتهِ وتقدمهِ مني وارتقائهِ الى الرتبة الملكية . ولولا غياب شياغوس بين الاعداء وعدم علمي خبرًا عنهُ وانشغال بالي من قبلهِ لقلت الان اني ارى نفسي كاني في نفس اليوم الذي خرجت فيهِ من ايران غير خاسر احدًا من رجالي انما لا بد لي من الوقوف على خبره والاستكشاف على امرهِ وخلاص ظيفور وبذلك اكون على اتم ما يكون من السرور والافراح فقال بهروز يجب يا سيدي ان تفرّق الاموال عن روح شياغوس فقد كان صادق الخدمة في دولتكم وكنت اظن منذ الاول ان الملك قيصر لا يبقي عليهِ ولا يتركهُ حيًا لانهُ كان شريكًا بقتل ابنهِ انبوش . وثبت لي ذلك من هلال العيار فسالتهُ في اثناء الطريق فاطلعني على انهُ قتل اقبح قتلة اي ان الملك امر بتقطيعهِ قطعًا قطعًا بسيوف رجالهِ ولذلك اقسمت اني لا بد ان اخذ بنفسي ثاره واقتل بهِ نفس الملك لانهُ كان رفيقًا لي في اسفاري واعمالي يسمع لامري ولا يعصاني قط كبقية العيارين الذين سلمتني امر النظر اليهم فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام تكدر مزيد الكدر وبكى عليهِ وكذلك جميع الحاضرين وحزنوا لموتهِ ولا سيما فيروزشاه لانهُ تذكر فعلهُ الحسن معهُ وخدمتهُ السابقة والقاء محبتهِ في قلب محبوبتهِ عين الحياة

ومن ثم امر بهروز ان ياتيهُ بهلال ويقدمهُ من ابيهِ ليحاكمهُ على افعالهِ فسار اليهِ واحضره الى بين يدي الملك وهو بايشم حالة من جرى قطع اذنيهِ وانفهِ ولما وقف في الوسط قال لهُ الملك ضاراب اتذكر يا هلال ما فعلتهُ معي في ايران وكيف انك احنثت الوعد واخلفتهُ ونكرت جميلي معك وخنتني وقصدت هلاك ابني واخذه في الليل من بين جيشي لتسلمهُ الى رجال اليمن ولما لم يساعدك القدر اخذت بفرخوزاد وخورشيد شاه الى الاعداء ولو لم يساعدهما الله لقتلا وذاقا الممات وفوق كل ذلك فانك كنت صارفًا كل الجهد الى معاندة اعمالي وفضح عياري بلادي وتوصلت اخيرًا الى ان كنت المسبب في قتل شياغوس وفوق كل ذلك فانك ذهبت في هذه المرة الاخيرة الى مسك ولدي واتيت بالعساكر الرومانية والصينية الى الوادي وفي نيتك ان تقبض عليهِ وتسلمهُ الى الاعداء فهل تنكر شيئًا من ذلك فلم يبدِ كلمة ولا عارض بكلمة ثم نظر الملك الى وزيره طيطلوس وبقية رجاله وقال اني اسالكم الحكم عليهِ بما تقتضيهِ العدالة والحق ومجازاتهُ بما يستحقهُ على افعالهِ . فاجابوه الى طلبهِ وبعد المذاكرة حكموا عليهِ بالاعدام واعرضوا ذلك على الملك . قال لقد اصبتم

واني كنت احب لن ارفق بهِ واعفو عنهُ غير انهُ ليس ممن يستحق وفي بقائهِ عظيم ضرر علينا ولا نامن شره . ثم سلمهُ الى بهروز وقال لهُ امتهُ الميتة التي تختارها انت واجعلهُ عبرة لغيره فلا يفعل الذين يوعدون بالطاعة فعلهُ ولا يخونون من يدخلوا في حوزتهم ولا يحتالون على الملوك الكبار . فاجاب بهروز واخذه من حضرة الملك لانفاذ الحكم بهِ في اليوم الثاني ومن ثم تفرق الجميع الى خيامهم في تلك الليلة وفي الصباح اجتمع الناس افواجًا وجاءت الفرسان من كل جهة ومكان لحضور موت هلال واذا ببهروز قد جاء بهِ واحضر معهُ خشبة عالية فرفعهُ عليها واخذ خنجره بيده بعد ان جرده من كل ثيابهِ وجعل يوخز بهِ بدنهُ ما بين كل وخزة واخرى مقدار قيراط حتى جرحه في كل بدنهِ جراحًا خفيفة رفيعة بدأ الدم يسيل منها كالانابيب وهو يتالم ويشاهد بعينيهِ اعمال عدوهِ ولا يقدر ان يتخلص من بين يديهِ او يدافع عن نفسهِ بل كان يرى ادميتهُ تسيل من انابيب جسده معذبًا باوجاعهِ وايديهِ مربوطة ثم قال لهُ بهروز اتتذكر يا هلال وانت على اخر رمق من حياتك انك غدرت بي واخذت مني عين الحياة وسيف الدولة وزوجتهُ والامير قهر يوم كانوا في المغارة قرب ملاطية نعم اني لا انسى ذلك ولا انساه قط لانهُ لم يقدر احد حتى اليوم ان يقهرني و يغيظني الا انت في تلك المرة ولذلك جازيتك هذه المجازاة . وكان الجميع ينظرون الى هلال مشتفين بهِ وقد استحسنوا هذه الميتة القبيحة . وما جاء اخر ذلك النهار حتى كانت روحهُ قد فارقت جسده وحينئذ امر الملك بدفنهِ اكرامًا لكرامة جبلتهِ تعالى وقال اني احزن عندما اعلم بموت احد الاعداء اذ لا يطيب لدي اهراق الدماء انما القصاص جعل من الله فهو ضروري لا صلاح نفوس عبيده وهو الذي اقام الملوك للحكم بالحق والعدل وارجو من الله ان لا يجعلني ولا يقدرني ان اظلم احدًا من ابناء جنسي الادمي . واني ارجو ميتة لطيفور مثل هذه عقابًا لهُ على افعالهِ لانهُ كان السبب في اهراق كل هذه الادمية وهلاك كل هذه النفوس التي هلكت بسبب هذه الحرب . ثم امر ضاربي طبول الحرب ان يضربوها قبل صباح اليوم الثاني تنذيرًا للاعداء بالحرب والقتال وقال لا بد في هذين اليومين ان تنتهي الحرب بيننا وبين الرومان وقد هون الله علينا كل امر عسير

واما فيروزشاه فانهُ بعد ان خرج من ديوان ابيهِ سار الى صيوانهِ واجتمع بعين الحياة وصرف معها وقتًا على الحظ والانشراح وقال لها ان الحرب لا بد ان تنتهي بعد ايام قليلة ونرتاح من كل هذه المصائب ويطيب لنا الوقت فان الاعداء اخذوا في الاضمحلال وانت الان في يدي وما من مانع يمنعنا بعد استيلائنا على بلاد قيصر من الزفاف والزواج ونوال المراد وفي هذا اليوم قد قتلنا هلالاً شر قتلة وارتحنا من شروره ولم يعد بين الرومان من عيار قط نخاف ان يسطو علينا ويقدم الينا لا في ليل ولا في نهار . ولما سمعت عين الحياة كلامهُ بكت واظهرت التالم واطرقت غير مبدية كلمة . فارتاع لذلك وسالها عنهُ . فقالت انظن ان يحلو لي العيش او يطيب الهناء اذا لحق بابي

او باحد اخوتي ادنى ضرر او اذى اليس ان ابي هو الذي رباني واحبني واكرمني كل العمر وميزني على كل اخوتي اليس هو الذي اوصاني الله بطاعتهِ واكرامهِ ووضع عليّ الفروض اللازمة في خضوعي لهُ اأكون عين الحياة وحبيبي و بعلي فيروزشاه ويقال عني اني بعت ابي واهنتهُ اكراماً لاميالي ورغائبي وهذا الذي يبكيني ويهمني دائمًا . وهذا الذي يشغلني ويجعلني على الدوام في حزن نعم اني لا انكر حبك عندي وتفضيلك على والدي انما لا يمكن لي ان اعيش براحة بتيمة مقطوعة ولا شيء يسرني الا ان اكون جامعة على محبتك وطاعة ابي بوقت واحد ونكون انت وهو على اتفاق وحب وانا اعرف اكيدًا واتيقن ان ابي يرغب في التقرب منك وطالما رغب في ذلك منذ الاول غير ان امتناعهُ كان بمشورة طيفور وتقدمهُ عنده . فقال لها ان كان ما يغيظك هو بعد ابيك عنك فاني اصرف الجهد الى استرضائهِ ولا بد من وقوعهِ بايدينا وحينئذ استعطف بخاطره واسالهُ الرضا عني وعنك وهذا ما ارغب فيهِ اكثر منك وفوق كل ذلك فاني احمل ابي على ان يعفو عنهُ ويصفح لهُ عن زلاتهِ ويكتفي بقصاص طيفور فقط وان كان قد اصرّ على هلاك ابيك لكنهُ لا يرضى بكدرك وكدر عيشتك في حياتك فقامت اليهِ وقبلتهُ فرحة وقالت لهُ هذا الذي ارجوه منك وغيره فلا وانت تعرف من نفسك محبة ابيك لك ومحبتك لهُ وغيرتك عليهِ اليس انت كامل الصفات وعهدك لي كعهدي بك . فكرر عليها الوعد وقال لها اني اقسم لك ان لا اقرب منك الا بارادة ابيك انما لا اقبل قط ببعدك عني بارادتي دقيقة واحدة ولو هلكت جيوش العالم باجمعها واندكت مدنها وقتلت ملوكها وسادانها . فقالت هذا الذي ارجوه طول العمر ولا اكرههُ قط واني لو بقيت طول عمري بلا زواج وفي يدك لا اطلبهُ قط وجل غايتي ان ارى وجهك في الصباح والمساء بل وفي كل ساعة ودقيقة . فسره كلامها وفرح لاجلهِ ونوى كل النية على استجلاب خاطر ابيها وحملهِ على قبولهِ بهِ وعول على ان يعهد بذلك الى بهروز فيسير اليهِ و يطلب منهُ الحضور الى جيوش الفرس اذا كان يقبل ذلك والا احضره بالرغم عنهُ مبنجًا ومن ثم يترضاه بنفسه

قال فهذا ما كان من امر جيوش الفرس واما ما كان من الملك قيصر ومنكوخان وجماعتهما فانهم بقيوا على انتظار هلال وان يعود اليهم بفيروزشاه مقيدًا مع عين الحياة كل ذلك النهار الى المساء وفي المساء جاءت اليهم الرجال الذين هربوا من الوادي وهم منقطعون من خمسة وعشرين ينظرون الى الامام والوراء خائفين من ان يكون الفرسان في اثرهم . ولما وقفوا بين يدي الملك حكوا لهُ كل ما وقع عليهم من فيروزشاه ورفاقه فتكدر مزيد الكدر وكادت مرارتهُ تنشق من الغيظ والحنق وجرى على قلب منكوخان اكثر مما وقع على قلبه وخاف من ان يكون تبديد جيوش الصين في تلك البلاد على يد رجال الفرس ولهذا اخذ يفكر في الانتقام منهم باي وسيلة كانت واستشار الملك قيصر فيما يفعلون فقال لا شيء ينجينا من هولاء الابطال الا الثبات في الميدان وعندي

انا لا نبلغ منهم مراداً الا بهمتك و بطشك وبركة الهتك و بسالة اولادك . فانتفخ منكوخان من هذا الكلام وقال اني ساسال مولاي وولي امر الصينيين ان يتحنن علينا و يساعدنا و يخولنا النصر على هولاء الاوباش و بعد ان انصرفوا من صيوان الملك قيصر سار منكوخان الى صيوانهٔ ودخلهٔ مايوساً مكدراً واذا بطيفور قد دخل عليه وجلس عنده بباحثهٔ في امر القتال ثم قال لهٔ اخيراً اعلم يا سيدي انك غريب في هذه البلاد وليس في الرومان من يقدر على الدفاع والثبات ولذلك خطر لي ان ابدي اليك رايًا فيه الصواب والتوفيق . قال ابدِ ما في ضميرك لعل يكون ذلك خير وتوفيق ياتينا بالنصر الحميد . قال اني اوكد لك ان الفرس سيستولون على بلاد قيصر لكثرة فرسانهم وابطالهم ولاسيما وهم على اشتداد عزم وهمة والرومان في خوف منهم ولولا ان تاتي اليهم بالجيوش الصينية لسلموا بلادهم الى اعدائهم لجبانتهم وضعفهم ومن اين لهم ان يثبتوا ثبات الصينيين او يقاتلوا قتالهم ولهذا خطر لي خاطر نافع وهو ان نتدبر الى تدبير واسطة ترغم اهل ايران على المسير الى الصين برجالهم وفرسانهم وهناك تذبحونهم ذبح الاغنام وتهلكونهم عن اخرهم وعلى ذلك تنقرض هذه الدولة و يغضب عليها ملككم . قال اني افكر في ذلك ولي ثقة كبرى اذا وصلوا الى هناك ونزل لحربهم ملكنا جهان اهلكهم عن اخرهم وارسل بغضبهِ عليهم واستعبدهم استعباد الارقاء العبيد غير اني لا اجد طريقة الى ذلك ولا يمكنهم ان يدوسوا بلادنا او يصلوا اليها وما من سبب يدعوهم الى هذه الغاية . قال اني وجدت لذلك طريقًا نافعًا ناجحًا وهو انهُ موجود عند الملك قيصر اسير من الفرس اسمهُ طهمور احد بهلواني بلاده وامرائها وهو عزيز عنده جداً ففي الغد اطلبهُ اليك واهوِ عندك الى حين ترى الغلبة ونتاكد ان لا رجاء بالنصر على الفرس وحينئذ تاخذ معك هذا الاسير ونقصد بلاد الصين وتبقيه عندكم في السجن الى حين يقصدونكم لاجل خلاصه فتاخذ لاولادك بالثار منهم فتقتلهُ وتقتل كل بطل منهم وعلى هذا تكون قد احسنت التدبير وفعلت فعل الرجل الخبير وارضيت مولاك كل الرضا لكن يجب ان لا نطلع الملك قيصر على فكرك بل اطلب منهُ هذا الاسير مدعيًا انك تحب ان تبقيه عندك لتاخذ من عذابه ثارك وتروي ظماء فوادك من مجازاته بالضرب والتعذيب . فوافق كلام طيفور خاطر منكوخان وسرَّ منهُ مزيد السرور وقال لهُ انك من اعظم الرجال حكمة واوسعهم رايًا وتدبيراً ويليق بك ان تكون دائمًا في دواوين الملوك الكبار واني اعدك عند وصولنا الى عاصمة الصين ادخل بك الى قصر ملكنا واشرفك بالوقوف تحت سمائه واساله ان ينظر اليك ويكرمك واحكي لهُ عن حكمتك ومساعدتك لرجاله وهو لا ريب يعرف قدر الذي مثلك حنكتهم الايام وقلبتهم التجارب فاصبحوا وحيدين ايامهم . فعلق طيفور امالهُ بمواعيد منكوخان ونظر الى مستقبله نظر الراحة والامان وقال في نفسه خير لي ان اعيش في تلك البلاد على عبادة غير الله مكرمًا من ان ابقى هنا مرذولاً مرفوضاً مستحيراً والملك ضاراب يسعى في

طلبي والحصول عليَّ لقتلي واهلاكي

وبعد ان اتفق مع منكوخان على مثل هذا الشان رجع الى صيوانه ونام مرتاحًا مسرورًا بعد نفسهُ بأنهُ صار وزيرًا من وزراء ملك الصين وان كلمتهُ صارت نافذة في كل تلك البلاد ونام تلك الليلة. وفي صباح اليوم التالي ضربت طبول الفرس تدعو الرومان ان تستعد وتتهيأ للقتال والنزال وتطلب من رجال الفرس الاستعداد ايضًا منذرة بان ذاك اليوم يوم قتال وحرب ونزال وعلى هذا خرجت الفرسان من مراقدها وتفقدت سروج خيولها ونقلت اسلحتها وانتظرت الى ان نادى النفير الاخير يطلب منهم التقدم الى ساحة القتال فتقدموا بهمة وحمية وترتبوا صفوفًا صفوفًا. وتقدمت قوادهم توعز اليهم بالتعليمات. واذا بفيروزشاه صاح من جهة اليمين صياح الاسود وانحدر انحدار الصواعق وانقض على الرومان فاجابهُ بمثل صوته بهزاد وانحذف الى جهة الشمال وانحط على عساكر الصين انحطاط القضاء المنزل فاقتدت بهما المرهفة وصاحت في وسط العسكر وحملت حملت تزيح الجبال من مراكزها ورات العساكر اعمال هذه الفرسان الثلاثة فانسرت قلوبها وامرها الملك ضاراب بالحملة باجمعها فهزت الاعلام واطلقت الاعنة واسرعت تطلب الفتك والقتال وكان في مقدمتها انوش بنت الشاه سليم فاخترقت الصفوف وتعتعت الميئات والالوف وفعلت افعال الابطال الشداد وكذلك بهنزار قبا فانهُ حمل برجاله يظهر شجاعتهُ واقدامهُ وحمل ايضًا عبد الخالق الفيرواني ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشبيلي الطلقاني وبهنزار قلي وسيف الدولة صاحب ملاطية والامير قهر وحمل ايضًا خورشيد شاه ومصفر شاه وجمشيد شاه وكرمان شاه وبيلتا ابن فيلزور البهلوان. فاهتزت لحملتهم السهول والجبال. والتقتهم عساكر الرومان والصين في مثل تلك الحال. صابرة على شدة الحرب والقتال. ماخوذة بكثرة الفرسان والابطال. عالمة انها لا تثبت كثيرًا امامهم في ساحة المجال. الا اذا ثبت منكوخان باولاده الباقين. وابدوا من الشجاعة والاقدام ما تشتد بهِ ظهورهم اجمعين. وكان منكوخان قد حمل على الفرس وفي نيتهِ انهُ ياخذ لنفسهِ منهم بالثار. وينزل عليهم البلاء والدمار واوصى اولاده بان تختار دائمًا الفرسان الشداد. فتاسرها او تقتلها في وقت الطراد. وكذلك تمرتاش بهلوان الملك قيصر. فانهُ فرح بهذه الحملة وفي نيتهِ انهُ يلتقي ببهزاد فيتوصل اليهِ من اي باب كان وربما قتلهُ واخذ لنفسهِ منهُ بالثار غير ان بهزاد كان هذه المرة في عساكر الصين فلم يرَ احدهما الاخر وكان الى جهة تمرتاش اسد الاساد وفارس ميدان الطراد. فيروزشاه ابن الملك ضاراب. الذي انزل على الاعداء انابيب العذاب. وسد في وجوههم كل طريق وباب

قال ولم تكن الا ساعة من الزمان. حتى اختلطت الفرسان بالفرسان. وكثر الخوف وقل الامان. وحكم الموت بكل مالهُ من السلطان ونشر حكمهُ على ذاك المكان. واخذ ينتقد كل من

لهُ ويقدر عليهِ . ويمكنهُ مع مساعدة خصمهِ ان يصل اليهِ . حتى اسود بياض النهار . واظلمت الشمس واحتجبت الانوار . وارتفع النقع والغبار . وانتشر في الافاق اكثف انتشار . ورفع ما فوقهُ روائع المجد باسر الاسرار . وبعث الى ما تحتهُ بواعث الهموم والاكدار . وارسل اليهم رسل النحوس والاخطار حتى عميت من المتقاتلين الابصار . وتفتحت عيون الهلاك باوجه النظار . واندفعت دوافق الدماء تسيل مسيل الامطار . وتجدولت في اقنية الارض تجدول الانهار . وانسابت في رياض الوغى بايشم بوار . والبست الارض بما هي عليهِ من الاحمرار . حلة تظهر باقبح اظهار . واثمرت المنون بانضج الاثمار . وازهرت المنايا بمكاره الازهار . وكانت الحرب عاقدة البنود على الاعمار . وموسدة النفوس في سرر الدمار . فلله در فيرونرشاه الاسد الكرار . والفارس المغوار . والبطل الذي لا يصطلى لهُ بنار . فانهُ ولد شيوخ المصائب من ارحام الابكار . وفرق بين فراقد الامال بالصارم البتار . وشتت متجمعات الجيوش بعزمهِ الثقيل العيار . وساعدت افعالهُ الاقدار . لانتشار صيتهِ في سائر الامصار . وكذلك بهزاد الفارس الجبار . الذي ندر وجود مثلهِ في جميع الاقطار . فقد قدم الاعداء ضحايا وعرَّضها للنكبات والاضرار . وخلط اجساد الاشرار . بابدان الابرار . وداس بحوافر جوادهِ الرووس فسحقها مع الاحجار . وارهب من الصينيين الكبار مع الصغار . وفيما هو يجول ويزأر كالليث الهدار . اذ التقى باحد اولاد منكوخان رئيس عصبة الكفار . فضربهُ بحسامهِ واذا براسهِ قد طار . ومثل ذلك فعل باخيهِ الخبيث الغدار . وقد قتلهما ومددها على رمال القفار واما المرهفة فانها اظهرت ما عندها من القوة والاقتدار . وقلبت الجيوش من الشمال الى اليمين ومن اليمين الى اليسار . وابعدت عنهم الرجاء بالتجلد والاصطبار . فاندثروا من قوائم سيفها اي اندثار وشاهدوا عزرائيل يخدم ركابها خدمة العبيد للاحرار . وهكذا كانت تفعل بقية فرسان الفرس ومن معهم من الانصار . حتى خيل للاسماع والابصار . ان يوم الحشر قد صار . وجاء ميخائيل وجبرائيل يعربان نفوس الخطاة من الاخيار . فانكر الاب الابن والجار للجار . وهز هزيز الاصوات فارتفع كبركان نار . يتطاير منهُ اللهيب والشرار . وفرقع الى الجو منفجرًا اي انفجار . وكان الملك ضاراب صاحب الشرف والافتخار . وطيطلوس ذو الهيبة والوقار . ومن حواليهما من رجال الحكمة والفخار ينظرون الى هذه الحرب باندهاش وانبهار . وما منهم الأ من تاه عقلهُ من شدة هذه الوقعة وحار واعتزت منهم النفوس والافكار . بما كانوا يرونهُ عن بعد من عمل فيرونرشاه وما يبديهِ في ذلك المضمار . وهو يفيض في حربهِ كما تفيض البحار . وينحذف على فرق الرومان انحذاف كواسر الاطيار وينادي انا حبيب عين الحياة ذات العفة والاطهار . ودام القتال متسعًا الى ان علا الشمس الاصفرار ومالت الى الغرب طالبة الاختفاء والاستتار . وبعث الليل بجيوش الظلام والاعتكار

قال وفي تلك الساعة ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى عن الحرب والقتال

وهم لا يصدقون بقرب الزوال والرجوع عن تلك الحال ولا سيما رجال الرومان فانهُ وقع عليهم من القتل والجرح واقع الخوف وتاخروا كل التاخير واصيبوا بالبلاء والعذاب وكذلك رجال الصين ومنكوخان ابن هلكوخان . واما رجال ايران فرجعوا على الفرج والسرور وهم يتمنون ان يكون قد طال ذاك النهار لينهوا تلك الحرب دفعة واحدة ولا يعودون مرة ثانية اليها لان النصر قد عاهدهم ووعدهم بالخدمة والطاعة ولما رجعوا الى الصيوان تلقى الملك ضاراب ابنهُ بالاحضان وقبلهُ ما بين الاعيان وشكره على ما راه منهُ في ذلك اليوم العظيم الشان . فقال لهُ اعلم يا ابي اني لم افعل شيئًا استحق عليهِ المدح والثناء فما انا الا ملزوم بحماية الدولة الفارسية ووقايتها من الاعداء ولا يتعجب مني من يعرف ان ابي فارس ميدان السباق وسيد سادات القتال وقد سار ذكره بكل الافاق . واذا لم اكن بهذه الدرجة التي تراها فيَّ والا لا استحق ان ادعى ابنك ولا يليق بي ان اقاتل بين رجال فارس الست انا ملكهم وابن ملكهم وقائدهم وهل يحمد القايد اذا قاتل اكثر من النفر فانذهل ابوه من كلامهِ وكذلك كل من حضر و بعد ان اكلوا الطعام واكتفوا منهُ شكروا الله عليهِ وجلسوا للحديث باعمال النهار فقال الملك ضاراب انهُ قلما مرَّ علينا يوم مثل هذا اليوم كثير الاهوال فاني كنت ارى فرساني كشعلة نار تتقد في وسط اتون من اللهيب الاحمر وهو يلتهم الاعداء كما تلتهم النار القش اليابس وكنت اشفق على صياحهم و بكائهم واتام من انينهم وعنينهم ولولا ان الحرب محللة منهُ تعالى حفظًا لما يتبعها من السلام ولحقوق الدول المقامة بيمين الحق سبحانهُ وتعالى لحرمت على نفسي اهراق دماء عباده الذين خلقهم لتسبيحهِ وتمجيده فقال طيطاوس ان الله جعل الحرب سيف انتقام لهُ فمن طغى وبغى وكفر بعث اليهِ من جنسهِ من ينتقم منهُ قصاصًا على فعلهِ وجبره وعلى هذا فاننا لانخاف نحن بوسًا فان الله بعثنا نقمة لغيرنا وجعلنا قضيب تاديب لمن ترك وصيتهُ ولم يعمل بها ولا التفت اليهِ واني وان كنت اعلم ذلك انما لا اسر بقتال عباد الله وعبّاده واهل كتابهِ واسأَلهُ تعالى ان ينهي امرنا على خير و يسير بنا الى خير . قال صدقت ولذلك احب ان اشر في الغد بين كل عساكري ورجالي باوامري انهم يترفقوا باموراخصامهم وان يتاكدوا اني لا ارغب الاضرار بالناس وهكذا ايضًا عند دخولنا هذه المدينة فاننا مزمعون ان نقيم فيها زمانًا ليس بقليل اذ انها تكون محط راحتنا وهنائنا فلا يمد احد من قومي يده الى احدٍ من اهلها او يطمع بحاجة من حوائجهم ومن رغب شيئًا او مالت نفسهُ الى شيء فليبتاعه بالدرهم والدينار ولا يظلم احد احدًا ولا تميل عين احد الى جارية بكرًا كانت او ثيبة وارعوا في كل اعمالكم جانب الحق واجروا بحسب ما اوصيكم وابعدوا عن المعاصي . واني على يقين اننا بعد يومين او ثلاثة ايام على الاكثر ندخل المدينة ونتسلط عليها ونجلس فوق عروشها ونرفع راياتنا فوق اسوارها وحصونها وقلاعها فتصبح البلاد بلادًا فارسية وسكانها منقادون الينا بالرغم عنهم وبما يروه منا من الحلم والاستقامة فاجاب طيطلوس ان ذلك

صار قريب لدينا وما من امر يعيقنا عنهُ مع مساعدة الباري سبحانهُ وتعالى واني اطلب اليك ياسيدي الملك ان نجعل زفاف فيروزشاه على عين الحياه في هذه المدينة ونحتفل بعرسهِ فيها فهي من المدن الشهيرة بالزين واسباب الحظ والسرور لاسيما واننا نعلم انهُ قد تعذب لاجلها كثير و تعذبنا نحن لعذابهِ فنغسل اقذار تلك المصائب التي مرّت علينا في اليمن ومصر وغيرها بايام سرور وهناء ونجعل ايضًا زفاف خورشيد شاه وبهمنزار قبا ومصفرشاه بيوم واحد. فاجاب الملك ضاراب طلبهُ وقال لهُ لقد نظرت موضع النظر واننا بعونهِ تعالى سنقيم اعراس فرساني مع عرس ابني غير ان ذلك يحتاج الى تبصر وتدبير فان تاج الملوك وكولندان بعيدتان عنا ينبغي احضارها. واكثر شيء ارغب فيهِ هو زفاف فرخوزاد معهم واريد ان اعرف مكانهُ لابعث فاحضره الينا. فقال لهُ بهروز العيار اعلم يا سيدي اني بينما كنت مرافقًا لسيدي فيروزشاه اثناء القتال كنت ارى بين الاعداء فارسًا كفرخوزاد بالتمام يحمل حملات الاسود الكواسر ويهجم هجمات الفرس دون شك ولا ارتياب انما عند وقوع احد من رجالنا بين يديهِ يكف عنهُ و يعرض ولا يقرب منهُ باذى ولا بشر ولولا ضرورة انتباهي وتيقظي وحرصي على سيدي فيروزشاه خوفًا من ان يغدر بهِ اللئام لتتبعت ذاك الفارس وتاكدتهُ كل التاكيد وما رجح لديَّ ذلك هو انهُ كان يتتبع خطوات فيروز شاه ويرمقهُ كانهُ يميل اليهِ انما لا يرغب في ان يقرب منهُ. فقال الملك لا يبعد ان يكون فرخوزاد بين عساكر الملك قيصر مختفيًا في صفة الرومان او غيرهم من انصارهم ولذلك فاني اعهد بخطة الاكتشاف على ذلك الى بدرفتات بان يراقبهُ واذا تاكده ينظر الى اي جهة يسير وفي اي ناحية يقيم وفي المساء ابعث من ياتي به الينا و يترضاه فان اجاب كان ذلك من توفيق العناية فاصفح عنهُ واسامحهُ على فعلهِ والا فلا اعود فاذكره مرة ثانية. فاجاب بدرفتات انهُ في الغد لا بد من الاكتشاف على ذلك ولا ادع المساء ياتي الا بصحة الخبر

قال و بعد ان انقضت السهرة وانفرطت سبحة ذاك الاجتماع سار فيروزشاه الى صيوانهِ فوجد محبوبتيه بانتظاره فحياها وسلم عليهما فترحبتا بهِ وهنئتاه بالسلامة من حرب ذاك النهار وسالتاه عن نتيجة القتال قال ان الحرب لا تدوم اكثر من يومين بعد ولا يظن ان الاعداء يقدرون على الثبات امامنا اكثر من ذلك لان كثيرهم قد اصبح قليلاً وفقد منهم كل فارس وبطل وكادوا يضمحلون اي اضمحلال ويفنون اي فناء. فلما سمعت عين الحياة منهُ ذلك فرحت الا انها تنهدت وقالت لهُ لقد وعدتني ياسيدي خيرًا وعاهدتني صدقًا انك تحضر ابي اليك لتترضاه واخاف عند وقوع القتال تقع على ابي مصيبة فنعدمهُ الحياة وتبقيني من بعده في حزن و ياس عليهِ البس الحداد طول العمر. فتكدر من قولها وقال لها لا اخلف بقولي وقد قلت لك ان لا احدًا يضر بهِ ولا بد من ان ابعث اليهِ فاحضره اليَّ واسالك ان تكتبي لهُ كتابًا فاوصلهُ اليهِ ونطلب منهُ ان ياتي

الى جيشنا فاننا بانتظاره واطلب من ابي ايضاً ان يكتب له كتاباً يترضاه بهِ ويظهر لهُ قبولهُ بقيامهِ بيننا ومسامحتهِ اياه عن كل ما اذنب بهِ ضدنا . قال فسرت عين الحياة من ذلك واخذت فكتبت الى ابيها كتاباً وهو

من عين الحياة بنت الشاه سرور وخطيبة فيروزشاه الى ابيها

بعد تقديم مزيد الاعتبار لعنايتهِ تعالى والشكر على رحمتهِ وفضلهِ ابدي ان الزمان ما كان ليسمح لنا بالهناء والراحة واقام على عنادنا اياماً ليست بقليلة ولا خفاك ما اصبنا بهِ من العذاب في كل هذه المدة والتشتت من مكان الى مكان ونحن في كل هذه المدة على نار الكدر وانت اعلم بكل هذه الامور التي كنا في غنى عنها وقد تسببت لنا بواسطة اراء طيفور الخبيث الذي قادنا بالرغم عن معرفتنا بحسن مستقبلنا الى ابعد البلاد وضيع منا بلادنا . ولا خفاك ايضاً اني منذ البداية اميل الى فيروزشاه وارضاه ولا الام على ذلك لاني اعطيت من النيرة ما جعلني ان انظر الامور على حقيقتها وقد تاكد عندي انهُ الرجل الوحيد الذي يمكني ان القي عليهِ اتكالي في حياتي واكد لي قلبي انهُ هو الذي كتب الله لي نصيباً عليهِ ولم تكن هذه المحبة اختيارية بل ارغمت عليها من قبلهِ تعالى فهو وحده الذي رمى حبهُ بقلبي وجعلهُ سيدي ومحبوبي بوقت واحد تهيئة لراحتي ورغبة بسعادتي ولو نظرت انت نظري وابعدت عنك المفسدين لكنت الان بنعمة عظمى وبلادك في نمو وازدياد وصهرك في خدمتك يعينك على اعداك ويبيد لك كل من يجسر على ان يعاديك او يقاومك . واني كنت الان مزمعة ان اسلم بنفسي الى فيروزشاه واسير الى بلاده وتنقضي هذه الاسباب الا اني كنت اعلم ان ذلك يغضبك ويحسب عصاوة مني على سلطتك المعطاة لك من الله عليّ فكنت اتحمل المشاق واتقلب على جمر الحوادث التي وقعت علينا ومع كل ذلك فان امالي نت تنمو بي من جهة محبتي لفيروزشاه ورغبتي في ان يجمع بيننا الزمان ويقربنا من بعضنا . والان فقد وصل اليّ واخذني الى صيوانهِ بالرغم عن كل الموانع التي وقفت في وجه قصده . واني لا انكر عليك سروري وفرحي من ذلك لكني ارى من خلال هذه المسرات والافراح نوعاً من الالام الموجعة وهو انك بعيد عني مع اخوتي ولهذا كنت اسال فيروزشاه استعمال الاسباب الموصلة بيني وبينك بحيث تكون قائماً في جيوش ايران مكرماً معززاً مرفوع المقام وقد وعدني بكل جميل وفرح وانهُ لا يكون زفاف ولا فرح الا برضاك وحضورك فصبرت الى ان تاكدت قرب اندثار الرومان وانصارهم فخفت من ان يلحق بك ضرر او يصل اليك احد باذى فسالتهُ انفاذ وعده فامرني ان اكتب اليك كتاباً اعلمك بكل ما هو واقع وانهُ قد سامحك عن كل ما مضى ورغب في حضورك وفوق كل ذلك فقد وعدني انهُ سيصحب كتابي هذا بكتاب من يدهِ بنفس هذا المعنى حائزاً على ما يسرك . وعليهِ فاني اسالك ان لا تضيع مثل هذه الفرصة ولا تحدثك نفسك بان تشاور طيفور

وتطلعهُ على امرك بل احضر حالاً فهو مبغض للايرانيين ولا بد لهم من قتلو و بغضهُ هذا يحملهُ على ان يوشي لك بالانتقال من مكان الى مكان والاصرار على العداوة . اما الان فلا يفيدك غير الانقياد الى محبة فيروزشاه والحضور اليهِ واطلب السماح منهُ على ما سبق فهو كريم حليم يعتبر قدومك اليهِ من اعظم اسباب الفرح ترضية لي . واذا اطلعت طيفور على امرك وحكيت لهُ ما اخبرتك بهِ وانتقلت واياه من هذه النواحي تصرفون العمر مشتتين من ناحية الى اخرى واخيرا تموتون بالاحزان غرباء مرفوضين من كل مساعد ونصير لان غاية الفرس انا وقد حصلوا عليَّ وصرت بايديهم فالتزم ان اجاريهم واقبل ببعدك اذا رفضته انت انما احزن العمر مكدرة من اجلك فاتمام سعادتي وسعادتك متوقف على قبولك وانسحابك من بين الرومان واتيانك مع العيار الذي يوصل اليك هذا المكتوب والسلام عليك مكررة تقبيل ايديك والسؤال منك بالحضور الينا في نفس هذه الساعة اي الساعة التي تطلع بها على افكارنا

ثم ختمت الكتاب وسلمتهُ الى فيروزشاه فاخذه منها وقد سر من كتابتها وعرف انها محبة لابيها ترغب في حضوره وانهُ اذا بقي غائبًا عنها لا ترتاح قط ولا يطيب لها الهناء وحسب ذلك منها فضيلة وكرامة وحسن طوية وتربية واوعب قلبهُ فرحًا من اعمالها وقال لها لقد جملك الله بكل الصفات وفضلك على غيرك من النوع البشري النسائي فانت وحيدة بينهن . قالت اني اعرف فيَّ ذلك وليس هذا الا بارادة الهية لانهُ لا يقبل ان يهيئ لك زوجة غير كاملة فاوجدني على ما انا عليهِ لاصلح ان اكون قريبة منك واحسن في عينيك ويليق بي ان ابقى العمر ملكة لفارس وقرينة لفيروز شاه فزاد اعجابهُ من كلامها . و بعد ذلك انصرف كل الى فراشهِ ينام مرتاحًا الى حين اتيان النهار التالي

قال واما الملك قيصر وجماعتهُ فانهم بعد ان رجعوا من القتال وصاروا بين الخيام وامنوا على انفسهم من الاخصام اقاموا يندبون حظوظهم و يتدبرون بامورهم ولا يعرفون ماذا يفعلون . وما انام الملك قيصر الا القليل حتى جاءه منكوخان وطيفور وكان طيفور سار اليهِ وهو على غاية ما يكون من الحزن على اولاده فعزاه وطلب اليهِ ان لا ينسى طهمور وان يصحبهُ معهُ الى عاصمة الصين اذ لا بد لهم من المسير الى هناك لان الفرس قد توفقوا الى النوز والانتصار . ولما دخل منكوخان قام لهُ الملك قيصر على الاقدام واجلسهُ الى جانبهِ وترحب بهِ وعزاه بولديهِ المقتولين في ذاك النهار و بعد ان جلسا وارتاح بهما المقام قال منكوخان اني فقدت خمسة من اولادي في هذه الحرب واني افضلها على كل جيوش ايران وملوكهم واني حزين جدًا على اخذ الثار ولا اعلم من اي باب يمكن ان اتوصل اليهِ حتى عرفت اخيرًا ان عندك اسير منهم اسمهُ طهمور من امرائهم فسرني ذلك واتيت اطلبهُ لابقيهُ عندي واعذبهُ كل يوم بقدر جهدي تشفيًا منهُ على ذلك يطفي لي بعضًا من لوعتي

واشتداد حزني . فاجابهُ الملك قيصر الى طلبهِ وامر ان ينقل طهمور الى صيوانهِ وقال لهُ اننا مكدرون
لفقد اولادك اكثر من كدرك عليهم لانهم قتلوا ظلمًا بهذه الحرب ففجع الله الفرس واهلكهم فكلهم فرسان
وابطالٌ وما كان اغنانا عن مباشرة الحرب معهم وقد قتلوا لي ولدًا وحيدًا واحرقوا قلبي على موتهِ
فقال طيفور ان كل ما كان هو بقضاء وقدر فابنك مات بسماح منهُ تعالى وكذلك اولاد سيدي
منكوخان فانهم سينالون شرف التقمص في الصين ويجوزون على اعظم جسد وابره فيها ولهذا لا بد
لمنكوخان ان يتعزى ويفرح . وبعد هذا الكلام دار حديث القتال وتدبير الحرب وما هي الوسيلة
للثبات فسدت في وجوههم الوسائل والابواب . واخيرًا قال الملك قيصر اني اوكد ان ثبات
الفرس بفرسانهم وابطالهم ولا سيما بفيروزشاه وبهزاد ومتى قتل هذان الاثنان عاد النصر الينا
وقهرناهم واذللناهم وعندي ان لا فارس يقدر بيننا على ذلك الا ان كان تمرتاش لا سيما وان لهُ ثار
على بهزاد فاجاب تمرتاش انهُ في الغد يتولى امر القتال بنفسهِ ويرجع شرفهُ الذي افقده اياه خصمهُ
باسره وقهره وهكذا انفرط ذاك الديوان يوملون في الغد نجاح تمرتاش عسى ان التقادير تساعده
على بهزاد وفيروزشاه فيقتلهما او ياسرهما ويكون لهُ السبق على غيره . واما الشاه سرور فانهُ عاد
من صيوان الملك قيصر وهو على ما هو عليهِ من الغيظ والكدر سمع ان الملك قيصر قد لعن
السبب الذي اوجب وصول الفرس الى بلاده ولام نفسهُ كل اللوم على ما سبق منهُ وعلى انقياده
الى طيفور وحبهِ لهُ واستماعهِ لكلامهِ . مع انهُ في هذه الايام تركهُ لوحده ولم يعد يجتمع بهِ الا القليل
واذا اجتمع بهِ يظهر لهُ كل عناد كانهُ لم يكن ملكهُ وهكذا كان قائمًا على تبكيت الضمير والحنق
من عملهِ ومن طيفور ونفسهُ تميل الى مصافاة الايرانيين وهو لا يعرف السبيل المؤدي الى ذلك
ويخاف ان سار اليهم ينتقمون منهُ او لا يصفحون عنهُ وليس عنده من خادم او عيار يركن اليهِ
ليرسلهُ الى فيروزشاه يسالهُ العفو عنهُ ويطلب من بنتهِ اذا كانت موجودة في الجيش ان ترفع
خضوعهُ الى الملك ضاراب وتسال لهُ السماح منهُ ولهذا كان كاحقر الناس ورعاعهم فاقد الراحة
والامن مبلبل البال بعيد الانصار ليس في يده ولا بارة الفرد ولا خادم عنده يخدمهُ بامانة بل كان
الذين ياتونهُ بالاكل من الرومان قد عينهم لهُ الملك قيصر منذ اول دخولهِ الى تلك البلاد وخاف
ان يبعث باحد اولاده فيصابون بمصيبة لم تكن في البال . ولذلك اجتمع بوالديهِ واستشارهما فيما اذا
يفعل . فقالا لهُ ان لا شيء ينفعنا الان الا الصبر على رحمتهِ تعالى فان الحرب قريبة النهاية فبعدها
اما نسلم بانفسنا الى الايرانيين ونتكل على عفوهم فاذا اجابوا كان اكرامًا منهم والا فلهم الحق ان
ينتقموا منا كل الانتقام لاننا كنا السبب في عذابهم وعذابنا وكل اللوم عليك وعلى طيفور هذا
الخبيث الذي بعد عنك الان واختار منكوخان وتواطئ واياه فجازاه الله شرًا على فعلهِ . ثم ان
الشاه سرور بات تلك الليلة مضطربًا ينتظر ما تخبأ لهُ في زوايا الزمان

قال ولما كان صباح اليوم التالي ضربت طبول الحرب فايقظت الفرسان ونهضت من مراقدها كحسب عادتها تطلب الحرب والقتال فركبت خيولها وتقلدت بنصولها وطلبت ساحة القتال واصطفت من اليمين ومن الشمال . وعولت على الهجوم على بعضها البعض واذا بتمرتاش قد توسط الميدان وهو على جواده المعهود ولعب به على الاربعة اركان . حتى حير الخواطر والاذهان ثم وقف في الوسط واشار الى الفرس اشارة الاستهزاء وقال ابعثوا لي ببهزاد لاخذ لنفسي منه بالثار واعدمه الحياة وادعكم تبكون عليه طول الزمان . قال وما انتهى تمرتاش من كلامه حتى فاجاه بهزاد لانه لما راه في وسط الميدان فرح به غاية الفرح واشتاق الى قتاله ليعيده الى اسره او يهلكه و يعدمه هذه الدنيا ولما قرب منه صدمه صدمة جبار وقال له و يلك اتجسر مرة ثانية ان تنازلني وتطلب القتال وقد شاهدت بعينيك ما حل بك ولولا تخلصك انس الصفا لكنت دخلت القبور منذ شهور انما اعادك الله الى بين يدي هذه المرة لانتقم منك ولا ابقي عليك فموتك خير من اسرك . قال ما رجعت اليك الا وفي نيتي ان الدهر لايدوم لك فيومك قد مضى و يومي با لنصر قد آن ولا بد لي من ان اجازيك بنفس فعلك . ثم انطبقا على بعضهما انطباق الاسود . ونهما تهامت الفهود . واخذا في الطعان والطراد . والتقرب والابتعاد . والصراخ والصياح . والفيضان بالحرب والكفاح . حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق . واخذهما الاضطراب والقلق . ونادى فوقهما منادي المنايا . محيطًا بهما بجيوش البلايا والرزايا . ووقف عزرائيل منتظرًا قدوم احدهما اليه لياخذ بروحه الى محلها ولم تكن الاساعة حتى ارتفع فوقهما الغبار . وغيبهما عن الابصار . وهما في اشد قتال وحرب ونزال • وكان تمرتاش كما تقدم معنا في غير هذه المرة انه من الصناديد والأبطال المعدودين في ذلك الزمان . والذين تضرب بهم الامثال في كل مكان . ولهذا ثبت بين يدي بهزاد ثبات الاسود لانه عرف مقدار خبرته بالقتال وقوته في الجولان والنزال فابدى كل ماعنده واراد ان يوهم بهزاد و يرهبه و يوقعه بالخوف منه فجعل يصيح و يزمجر و ينقل من مكان الى مكان الاّ ان بهزاد كان قد اخذ عليه النفوذ قبل الان . وعرف من نفسه انه اقل درجة منه وانه يعجز عن ان يخيفه فلم يحسب له حساب بل كان يقابله بالمثل و يفيض في حربه وقتاله و يبذل كل استطاعته في قهره وكيده وقد عول تلك المرة ان لايتركه يبعد من امامه الا قتيلاً ليفتخر بفعله هذا على سواه من الابطال الشداد . وكانت الفرسان من الفرس واقفة تنظر النهاية وقد سار فيروزشاه الى جهة الشمال في هذه المرة وعزم على الهجوم على عساكر الصين اذا انقضت الحال وذهبت المرهفة الى اليمين فوقفت هناك تنظر ايضًا نهاية الحرب بين بهزاد وتمرتاش لتنهي امر الباقين من عساكر الرومان الذين تركهم لها فيروزشاه واما عساكر الرومان فانهم يوملون الفرج والنجاح و يطلبون من الله ان يقتل تمرتاش بهزاد . و ينال منه غاية المراد . هذا والفارسين في حرب قوية المقدار .

تقدح من حوافر خيلها شهب النار ويتطاير من افرندي سيفها الشرار . وهما ظللان بذلك الغبار .
يتواريان الانظار . كانهما اشباح تميل في قتام الاعتكار . وما انتصف النهار حتى سمعوا صيحة اهتزت لها
تلك السهول والوديان ومالت اليها الفرسان بالعيان وقائل يقول لعينيك يافيروزشاه فارس
فرسان هذا الزمان . فانظر الى عدوك وماذا يحل به الان . وهاك ضربة من يد بهزاد ابن فيلزور
البهلوان ابن رستم زاد . ثم رفع بيده الحسام وقد تمكن من تمرتاش من الامام وتمطى بكل قوته وضربه
بضربة فارسية وقعت على درقته فسمع لها قرقعة واحتكاك فانقطعت الطارقة وتطايرت من يد
تمرتاش ووقع السيف على رقبته بخفة بهزاد وسرعة معرفته بفن السيف فاطارت الراس عن الجسد
و باسرع من لمح البصر رفسهُ برجله فالقاه الى الارض ممدداً كانهُ النخلة السحوق حتى اندهشت من
عظم تلك الضربة الفرسان واخذتهم الحيرة والانبهات . ونظر بهزاد الى جهة فيروزشاه فوجده قد
صاح وحمل ليكمل بقية ذلك النهار وينزل على الاعداء نوازل البوار فصاح هو وحمل على القلب
حملات الاسود وفعلت المرهفة مثلهُ وفي الحال امر الملك ضاراب بقية الابطال ان تحمل حملة
واحدة فهزت اعمدتها وانحدرت الى ساحة القتال وانطبقت على الاعداء انطباق الغمامة السوداء
وهي تصيح مفتخرة باسمها و بلقبها فالتقتها عساكر الصين والرومان . وما منهم الا من قلبهُ من الخوف
ملآن وجميعهم ايقنوا بالهلاك والقلعان . والتشتيت عن الاهل والخلان . وقامت الحرب على
ساق وقدم . وتقدم الشجاع وهجم . وتاخر الجبان خوفًا من الهلاك والعدم . واختلطت ببعضها تلك
الطوائف والامم

قال وكان الملك ضاراب كعادتهِ ينظر الى الحرب ويتحدث مع طيطلوس بشجاعة بهزاد وقال
لهُ لولا ان اكون محتاجًا ان ابني واحداً من عائلة رستم زاد في ديواني ليكون كفارس بلادي وحاميها
لا سيا وان ابني سيملك مكاني فلا يعود يقرب الحرب والقتال وفقًا لشريعة الفرس الا بعد الياس
والجهد لرفعة رتبة بهزاد الى ان اسلمهُ هذه البلاد واجعلهُ حاكماً عليها ومالكًا فيها عوضًا من قيصر
لانهُ يستحق ان يكون من الملوك العظام . قال انى افكر في امره ياسيدي فليس لهُ ثان في هذا الزمان
الا ان كان سيدي فيروزشاه وقد تبينت من حربهِ مع تمرتاش هذه المرة واختبرت عظم مقدرته
فوجدت انهُ قد فاق على ابائهِ واجداده فما هو الا وحيد الزمان وفارسهُ . وما جاء اخر ذلك النهار
حتى تاخرت رجال الرومان كل التاخير وانبسطت تلك الارض مفروشة من جثث قتلاها ومغطاة
بالادمية وعند اقبال الظلام ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن الحرب والقتال . وهما في
حالتين متناقضتين فان جيوش الرومان رجعت مقهورة مكمودة ذاقت الحيل والقوي ورجال الملك
ضاراب عادوا منصورين ظافرين فرحين باعمال بهزاد وفيروزشاه الذي اهلك اكثر من نصف
عساكر الصين واكمل على اولاد منكوخان الباقين لانهُ التقى بهما في الميدان والحقهما باخوتهما وتركهما

عبرة للناظرين وابقى اباها حزينًا عليها كل العمر . ولما رجع الملك قيصر الى ديوانهِ اجتمع اليهِ كل من بقي من فرسانهِ وشكوا اليهِ ما لقيوا من الفرس وما وصل اليهم منهم . وكيف انهم فتكوا بهم فتك الاسود ولم يبق منهم الا القليل . فقال لهم لولا اني افعل قبيحًا اذا تركت عساكر الصين خارج المدينة لدخلت في هذه الليلة البلد وقفلت ابوابها واقمت على الحصار الى ان اعقد صلحًا مع الايرانيين ومع كل ذلك فاني في الغد ابعث الى الملك ضاراب واطلب اليهِ هدنة في القتال لبينما نكون قد اجرينا صلحًا معهُ وارضيناه على المصالحة والوفاق وهكذا اتفقوا واملوا الخير والنجاح والخلاص من هذه الحالة ومن اثقال تلك الحرب

واما الملك ضاراب فانهُ عند عودتهِ الى صيوانهِ تلقى بهزاد وشكره على فعلهِ ومدحه كل المدح واجلسهُ في مكانهِ ومن ثم جاءت الفرسان فتجمعت الى مراكزها وكل جلس في كرسيهِ ولما انتظم الديوان كعادتهِ احسن انتظام ووقف العيارون في مراكزهم في خدمة اسيادهم واذا ببدر فتاك قد وقف بين يدي الملك ضاراب وقال لهُ اعلم ياسيدي اني اجريت ما امرتني بهِ في هذا النهار وراقبت الفارس الذي اشار اليهِ بهروز ودلني عليهِ واذا هو نفس فرخوزاد وبقيت اراقبه الى ان عرفت مقره في هذا المساء وفي اي جهة نازل من عساكر الاعداء فهو يقود جيشًا من البادية . ولا اعرف سببًا لذلك ففرح الملك لهذا الخبر وقال لابد لنا من احضاره الينا ومصالحتهِ مع اخيهِ فوقف بهزاد وقال اني ياسيدي في شوق عظيم لهذا الامر وانا اريده من كل قلبي واني منذ اول يوم احببت ان يكون عندي وليس لهُ في قلبي ادنى بغض او عداوة بل بعكس ذلك وعلى هذا فاني اسالك الان امام هولاء الابطال والفرسان وادعهم ان يكونوا شهودًا عليَّ اني اتنازل عن هذا المنصب اليهِ واعيش من تحت يده وبحسب ارادتهِ فما هو الا اكبر مني سنًا ولهُ الحق ان ياخذ لنفسهِ المقام ويغضب اذا رآني قد نزعتهُ منهُ وفوق كل ذلك فارجوك ايضًا ان تنعم عليهِ ولا تتركه مغتاظًا ومكدرًا وقد يكفيني ان اكون كبقية البهلوانين بل كعيار في الدولة اقاتل عند الاقتضاء واخدم سيدي فيروز شاه وقت السلم وجل ما ارغبهُ ان اراه في الصباح وفي المساء . فتاثر الملك من كلامهِ وتعجب من حسن طويتهِ وصفاء باطنهِ . وقال لهُ لقد احسنت قولك واني اذا جاء اخوك انعم عليهِ مزيد الانعام ولا ادعه متكدرًا قط انما من صالح الدولة ونفع الامة الفارسية واحياء اسم عائلتكم وذكر ابائك واجدادك ان تكون انت رئيس بهلواني مملكتي وسيدها واميرها واستاذ فرسانها فمن اخترتهُ بهلوان كان ومن نزعتهُ نزع والك الحق بالامر والنهي على الجميع . وقد قلدتك فوق كل ذلك رتبة الملوك وناديتك بهزاد شاه ولا ارجع عنهُ قط وسيكون لك هذا اللقب مؤبدًا وساجعلك في ديواني دائمًا ولا انسى كل الخدمة التي امحضتها لدولتي في هذه الحرب واخلصتها لها وازيدك اني اقطعك ولاية من ولايات ايران تكون لك وفي يدك تذهب اليها اي وقت شئت وتقيم عليها الحكام والامراء من

قبلك . ثم التفت الملك ضاراب الى بهروز وقال له اريد منك هذه الليلة ان تذهب الى عساكر الاعداء مع بدر فتات وتدخل على فرخوزاد وتدعوه ان يحضر الى ديواني وذلك بعد ان ينام الرومان واخبره اني عفوت عنهُ وسامحتهُ ومثل ذلك اخوه بهزاد فقد ترك له حقوقهُ ولا يسا له بما سبق من فعلهِ فاذا جاء حالاً كان لهُ الخير والصلاح والا فاني لا اعود بعد ذلك الى مسامحتهِ واذا وقع بيدي حاكمتهُ محاكمة المجرم واحرمهُ من حلمي وعفوي فحذره من كل ذلك وانصحهُ . قال اني اكفل مجيئه طائعاً صاغراً نادماً على فعلهِ

وبعد ذلك قال فيروزشاه لابيهِ اني اجسر يا ابي ان التمس منك شيئاً لا اظن تمنعني عنهُ فما انا الا ابنك على كل حال وقد سببت لك ولجيشك عذاباً واتعاباً اولاي لما وصلتم اليها وقد كنت منذ اول علوقي بعين الحياة ارغب في تخفيف الاثقال والمتاعب عنكم غير ان الدهر احوجكم اليها ومحبتكم لي حملتكم على عدم تركي وعلى معاضدتي ومساعدتي ولولاك ولولا حنوك الابوي لاصابتني المصائب وربما كنت قد قتلت واهلكتني الاعداء اذ اني اعترف اني وحدي لا اقدر على حمل كل هذه المشاق الا اذا رافقتني بركات ادعيتك المقدسة المقبولة عند الله تعالى . فرقرقت دمعة الحب في اعين الملك ضاراب ومسح وجههُ بمنديلهِ وقال له ماذا تريد فابده فلا شيء ممنوع عنك واذا طلبت الي ان البسك التاج الفارسي ارفعهُ الان بيدي ووضعتهُ على راسك لانك احق به مني وعموم اهل فارس يطلبونهُ في الصباح والمساء وهم يريدون موتهم في خدمتك افضل من حياتهم بعيدين عنك فاوجز غايتك ولا تخش باساً بطلبك هذا . قال اني اطلب منك شيئاً ربما كان عندك افضل من هذا التاج وعندي انهُ ايضاً احب منهُ وذلك اني ارجوك ان تكتب كتاباً الى الشاه سرور تطلب اليه الحضور الينا وترك جيش الرومان وتظهر له عفوك ورحمتك واني اعلم وان كان في ذلك صعوبة عليك ان تتنازل لمثل هذا العدو الالد وترجع عن قسم اقسمتهُ انما محبتي اكبر شفيع يشفع عندك بمثل هذه الصعوبة اي بازالتها . وعند ما فرغ فيروزشاه من كلامهِ هذا رمى بنفسهِ على اقدام ابيهِ ليقبلها فرفعهُ اليهِ وقبلهُ في جبينهِ وقال له اني وان كنت اخاف من ارجاع طلبي بالخيبة ومكابرة الشاه سرور وامتناعه عن الحضور الا اجيب طلبك اكراماً لك ولعين الحياة وحباً براحتك وراحتها واعرف ان طيبة قلبها وحسن تربيتها وسلامة اخلاقها لا تطيعها على ابعاد ابيها . وقهره وذلك فرض عليها فهي محقة به مدفوعة اليهِ بالواجبات التي تطلبها منها الحقوق الابوية . ثم ان الملك ضاراب امر وزيره طيطلوس ان يكتب الى الشاه سرور كتاباً يترضاه بهِ ويسالهُ السلامة والوفاق وان ياتي الى معسكر الفرس ويبلغهُ عفوه له ومسامحتهُ عن ذنوبهِ فكتب طيطلوس ما ياتي

باسم الله الرحمن الرحيم الحليم العليم الكريم

من الملك ضاراب ملك الاعجام وسلطانها وفاتح اليمن ومصر والشام وما حواليها الى الشاه

سرور نسيبي وقريبي وعم ولدي

اما بعد فاني اكتب اليك الان بقلب صاف ونية سليمة لا بحقد ولا بكدر ليكن موكداً عندك اني حتى الساعة ارضى واقبل ان تاتي اليَّ وتعترف بخطاك فترى مني غير ما تظنهُ وما يقولهُ لك المفسدون ولا احب ان اطيل معك في العتاب والملام فانت اعلم ما سببت لنا من الاتعاب والعذاب وما القيت على عواتقنا من الاحمال الثقيلة وما كلفتنا باعمالك السالفة من فقد الفرسان والابطال ان كان في تعزاء اليمن او في مصر حتى مرات عديدة كدنا نمحق عن اخرنا وتساعدنا الاقدار وتدفع عنا الاخطار بسيف ولدي فيروزشاه كل ذلك لاجل زواجه ببنتك عين الحياة وانت تمانع وتدافع وترفض طلبهُ اما بغضاً منك واما اجابة لطلب المفسدين . حتى قدتنا الى هذه البلاد وجرى لنا فيها ما جرى واوصلتنا يد العناية الى ان فتكنا باعدائنا وكدنا نفرقهم ونشتتهم كل فريق في طريق ولما كان ولدي فيروزشاه قد صرف كل الجهد والعناية حتى اخرج بنتك من قلعة الحديد وقتل انبوش ابن الملك قيصر الذي كان يطمع نفسهُ فيها وتغلب بحسن حظهِ ومهارة عياره بهروز على كل الصعوبات والموانع وجاء بها الى جيشي مكرمة محترمة عزيزة طلبت اليهِ ان يجمعها [illegible] ويحضرك اليها ويترضاك لتاتي من جهنم العذاب الى جنان الراحة والرافة فوعدها كل الوعد وانهُ لا يدع باباً من ابواب مراضاتك الا واستعملهُ لانك حموه على كل حال وابو عروسه . وعليهِ فقد استشارني في ذلك وطلب مني ان اكتب اليك اسالك الحضور الى ديواني وانت على غير الصفات التي كانت فيك قبلا اي انهُ من الواجب عليك ان تفكر كل الفكر وتتاكد كل التاكد اني اذا اتيتني بخلوص نية وانعمت الى ابني ببنتك زوجة وزففتهُ عليها برضاك اعدتك الى نعمتك ونسيت كل ما كان بيننا من الاحقاد والضغائن واني بعثت اليك بهذا الكتاب لاطلعك منهُ على عفوي عنك وتركي كل ضغينة واذا امتنعت او حاولت غير ما اخبرك بهِ تكون قد اخطات بحق نفسك وقدت ذاتك الى العذاب بيدك لان لا مطمع بعد للرومان بالنجاح والامان ولا سبيل لخلاص عين الحياة من ايدينا واذا امتنعت عن الاتيان والانضمام الينا زففناها على فيروزشاه كيف كان الحال وتكون قد احرمت نفسك من الراحة التي تنتظرك والسلامة التي ترغب فيها والسبب الوحيد الذي دعاني الى بعث هذا الكتاب هو اولاً انشغال بال عين الحياة من جهتك وهي في بكاء تسرُّ من كل شيء انما بعدك عنها وعدم الوفاق بيننا يبكيها وثانياً اني لا ارغب ان ازف ابني على بنت من بنات سادات هذا الزمان كبنتك دون ان يكون اباها حاضراً و ينتهي الزفاف على الطريقة المالوفة عند الله والناس ونحن اجمعنا نرغب ذلك ونتطلبهُ ونريد حضورك بيننا فاعقل الى خيرك وارجع عن غيك واسرع الى نفعك وآتِ الينا فنكرمك ونسامحك والسلام

و بعد ان فرغ طيطلوس من كتابة الكتاب دفعهُ الى الملك ضاراب فختمهُ وسلمهُ الى ولده

فقبل ايديهِ وشكره وقد سر منهُ كل السرور وصار يطلب منهُ تعالى ان ياتي الشاه سرور ولا يتاخر عن الحضور . وبقي صابرًا الى ان ارفض المجلس وسار كل الى ناحية فدفع فيروزشاه الكتابين الى بهروز وقال لهُ اوصيك ان توصلها الى الشاه سرور وتسالهُ الاتيان الينا وبلغهُ مزيد سلامي وكثير احترامي واني اتخذه ابًا لا اقبل قط باهانتهِ ومثل ذلك ابي وان عين الحياة في شوق اليهِ . فاجابهُ الى سوالهِ وقال لهُ اعلم ياسيدي اني مزمع ان افعل في هذه المرة في جيوش الرومان فعلاً يذكر بعد الان ولم يعد بينهم قط من عيار نخافهُ فقد مات هلال وانقضت معهُ المخاوف ولذلك ساصحب معي كل عيارينا . ثم ان بهروز دعا بطارق وبدرفتات وشبرنك والاشوب وكودك وكامل العيارين والبسهم ملابس الرومان واوعز اليهم بغايتهِ ودبرهم بمعرفتهِ وساروا من تلك الساعة الى عساكر الرومان وتخللوها وسار بهروز مع بدرفتات وكودك الى الجهة التي فيها فرخوزاد ووصلوا الى صيوانهِ ودخلوا عليهِ فايقظوه من نومهِ فانتبه اليهم وقال من اين انتم فقال لهُ بهروز اننا نحن من جيوش الرومان وقد علم الملك قيصر بما انت عليهِ من القوة والبطش ووصل اليهِ خبرك فبعثنا اليك لنسير اليهِ في الغد فيرفع منزلتك ويرقيك اعلى الدرجات . قال ان الذي بلغ الملك ذلك قد اخطا وكذب فما انا قط بهذه الصفات . قال بهروز لا بد من مسيرك الى الملك فلا تكابر فقد بعثنا اليك نعرض عليك طاعةً قال اني لا ارغب في الحضور الان ولا بعد الان . قال احمل ذلك اكرامًا لي لانك صديقي وصديق مولاي ومحبهُ وقد اوصاني كل الوصية ان اعرض عليك طلبهُ قال من اين اعرفك وانا لم ارك قط قبل الان ولا نظرتك عيني قال حتى هذه الدرجة انسيت من لازمك مدة طويلة ثم رفع اللثام عن وجههِ فعرفهُ وقال لهُ ابهروز انت قال اصبت فقد ارسلني الملك ضاراب وفيروزشاه واخوك بهزاد لاطلعك على رضاهم منك فقد عرف كلهم انك بين اعدائهم فخافوا ان يلحق بك اذى فاحضر اليهم الان وهم مسامحوك عن كل ما صدر منك وما منهم من يذكر قط عملك . وقد اوصاني الملك ضاراب ان اقول لك انهُ عفا عنك كل العفو ولم يقصد الك ضرًا ولا يحاكمك على ذنبك هذا اذا اتيت صاغرًا طائعًا الان واعترفت بذنبك وخطائك وفوق رضاه عنك وعفوه ينعم عليك ويوصل اكرامهُ اليك والا اذا امتنعت اصر على محاكمتك وقاصك وعندي ان تذهب الان فما انت الا من امراء فارس حائزًا على صفات كرامهم وما وقع منك على سبيل الخطاء مغفور لك وعندما خرجت الى الخارج تبعني سيدي فيروزشاه وقال لي قل لفرخوزاد اني الهُ بالانتظار واني على نية ملاقاتهِ في الغد بين رجالنا وهو يزيد شوق اليك فلا تنسي حقوق الاخاء والمحبة التي كانت بينكما . فسقطت من اعينهِ ادمع الذكرى وقال نعم اني مخطئ ومجرم ولكني سامير الى امي التي ربيت في حجرها والى الذي اطعمني من خيرات انعامهِ فيقبلانني لاني كنت ميتًا بعثت وضالاً فوجدت . واني من هذه الساعة سأترك هذه العساكر وشانها وارجع الى معسكري

وقومي . ثم نهض فلبس ثيابهُ واخذ سلاحه وسال العيارين ان يسيروا معهُ فقال لهُ بهروز سر انت وحدك فما من خوف عليك قط من احد واننا سنقضي مهام اخرى ولا نحب ان ناتي هذا المعسكر ونرجع عنهُ بدون ان نوثر فيهِ فانتظرنا في اول جيوش الفرس فقال وفقكم الله الى طلبكم وسار الى جهة الجيوش نتقدموا هم الى جهة خيام الملك قيصر فوجدوا صيوانهُ مضروبًا في الوسط فعرفوهُ من ارتفاع العلم فوقهُ ومن حسن انتساقهِ وانتظامهِ وجاء بهروز من قفاه وقلع الوتد المضروب عليهِ وانسل كالافعى الى الداخل ودار في جهاتهِ من ناحية الى اخرى حتى وصل الى المكان النائم فيهِ الملك قيصر فاستل خنجره وضربهُ بهِ في صدره فاخترقهُ وتركه مضرجًا بدمائهِ مقتولا وخرج باسرع من البرق وقصد صيوانًا اخر من الصواوين الكبيرة فدخلهُ واذا بهِ صيوان الشاه سرور فايقظهُ من نومهِ وقد فرح بهذا التوفيق والتسهيل فارتعب الشاه سرور وخاف لانهُ كان في تلك الايام محزونًا كئيبًا يخاف اقل الاشياء لا يعرف كيف ينبغي ان يتصرف وهو محتقر مهان حزين . فلما استيقظ خائفًا سال بهروز ورفاقه من انتم فقال لهُ نحن عيارون الفرس . فزاد خوفهُ وارتبك بامره وايقن بالهلاك وقال انا بجيرتكم لا تفعلون بي ضرًّا ولا تقصدون لي شرًّا بل خذوني الى سيدكم فاذا عفى عني كان كرمًا منهُ واذا قتلني فاقتل هناك جزاء على فعلي فقال لا تخف فما اتينا الا لنطلب اليك المسير الى جيوش ايران الى حضرة الملك ضاراب فقد عفا عنك واتيناك بكتابين احدهما منهُ والاخر من عين الحياة

ثم انهم دفعوا اليهِ الكتابين فاخذها وقراها وسر مزيد السرور وجعل يقبل الارض ويشكر الله وقال اني اقبل ان اكون عبدًا عند رجال الفرس ولا سيدًا عند غيرهم وقد كنت مغشوشًا فما هم بالحقيقة الا كرماء العالم وافضلهم في هذا الزمان وها اني من هذه الساعة اسير معكم ارمي بنفسي على اقدام ولدي فيروزشاه وهو يقبلني لاني اعلم انهُ يفتش عليّ كالنعجة الضالة ليرجعني اليهِ ولا يسال عن ذنبي . فقال لهُ بهروز لقد اصبت في مسيرك اليهم فانهم يكرمونك وتكون انت السيد بينهم وامرك نافذ عليهم الست انت ابو عين الحياة وهي الان مالكة الفرس باجمعهم وامرها نافذ فيهم كلهم كونها زوجة فيروزشاه وهو بمنزلة المعبود عند قومهِ فخذ معك اولادك وسر من هذه الساعة ولا تبطئ قط لان في الغد لا بد من الاستيلاء على هذه المدينة وعلى كل من فيها بعد اجراء محاكمة كل جانٍ وقتل كل مدافع فكن عليهم انت ممن يحكمون ولا تكن ممن يحكم اوما من مطمع بعد لرجال الرومان او لغيرهم بالنجاح والفوز . قال اني اعرف ذلك ولي عدة ايام اطلب من الله الفرج والخلاص من هذه البلاد ومن بين هولاء القوم لانهم احطوا من قدري جدًّا وانزلوني منزلة الاحتقار والازدراء ولاسيما وزيري طيفور الخبيث . قال سر انت مع بدرفتات ونحن سنذهب الى صيوان طيفور فنقبض عليهِ وناخذه الى ملكنا يفعل بهِ ما يستحقهُ . قال ان صيوانهُ قريب من

صيواني الى جهة اليمين . قال اننا لا نضيع عنهُ بل اعجل بالمسير وسر امامنا خوفًا من ان نتعوق فيقع بك غيرنا لان جيش الرومان مملوءٌ الان من العيارين يعيثون بهِ و يقتلون في امرائهِ وفرسانهِ ولا يبقون منهُ احدًا . فنهض الشاه سرور في الحال وسار الى اولاده فايقظهم وطلب اليهم ان يتبعوه فاجابوه وساروا من خلفهِ وامامهم كودك العيار ليخرج بهم من الجيش و يوصلهم الى الناحية المقيم فيها فرخوزاد على الانتظار وسار بهروز بدرقتات الى جهة صيوان طيفور وما وصلوا اليهِ حتى شاهدوا طارقًا خارجًا منهُ وحاملاً طيفور على اكتافهِ وهو مبنج ومكتوف الايدي فعرفهُ بهروز وقال لهُ ماذا عملت يا طارق قال انهيت كل عمل مع رفاقي الاشوب وشبرنك فاني بعد ان فارقتكم دخلت الى صيوان كبير فاذا بهِ الوليد ملك مصر سيدي الاول فاوقعت بهِ وقتلتهُ واعدمتهُ الحياة فسرت منهُ الى غيره واذا باحد امراء الرومان ففعلت كذلك ومثل هذا فعل العيارون فانهم تفرقوا واخذوا يقصدون الخيام الممتازة و يقتلون سكانها وهم في آمان اذ ما من عيار قط يجول نخاف منهُ ونحسب لهُ حسابًا ومن ثم جئت انا الى هذا الصيوان فوجدت هذا الخبيث المحتال طيفور فلم اقبل ان اقتلهُ بل سعيت في اسره فبنجتهُ وحملتهُ على عاتقي بعد ان ربطتهُ بالحبال وها انا آخذه الى حضرة سيدي الملك ضاراب لعلمي انهُ يرغب في ان يقتلهُ امام عينيهِ وهذا الذي فعلتهُ هو تطبيقًا لامرك وما اوعزت الينا بهِ قال حسنًا فعلتم ثم كروا راجعين الى جهة معسكرهم وداموا في المسير حتى خرجوا من عساكر الرومان وجاءوا عساكر ايران فراوا فرخوزاد والشاه سرور واولاده وسائر العيارين بالانتظار ففرح بهم بهروز وسار الى جهة فيروزشاه يطلعهُ على ما وقع لهم و يقدم لهُ عمهُ الشاه سرور وفرخوزاد

قال وكان فيروزشاه بعد مسير بهروز من عندهِ سار الى صيوانهِ ودخل على عين الحياة فوجدها مع جهان افروز بانتظاره كالعادة فحياها وجلس بينهما مدة وهو في حظ وانشراح ومن ثم سالتهُ عين الحياة اذا كان بعث الكتاب الى ابيها قال بعثتهُ مع عياري وارسلت ايضًا كتابًا من ابي يدعوه اليهِ و يعده بالاكرام والانعام واني على يقين ثابت ان اباك واخوتك يأتون هذه الليلة الينا ولا يمتنعون قط قالت اني اشعر بذلك وضميري يقول لي بهِ وعليهِ فاني عولت ان لا انام هذه الليلة قبل ان ياتي بهروز بالخبر اليقين . فقال لها اليك ما ترغبين . ثم صرف جهان افروز وقال لها اذهبي الى فراشك الان واني سابقى مع عين الحياة بانتظار ابيها واخوتها او بالحري بانتظار العيارين لنرى بعد عودتهم ماذا فعلوا فامتثلت وذهبت و بقيت عين الحياة مع فيروزشاه يتعاطيان الخمور و يتشاكيان الحب والهيام . وقد قال لها اهل كنت تظنين ان الدهر يسمح لنا بمثل هذا الاجتماع ونحن على انفراد خالون من الحسود والرقيب . قالت اني كنت انتظر مثل هذا انما لم اكن صدق وقوعهُ وحتى الساعة تراني غير مصدقة بالحالة التي انا فيها و بالنعيم الحاصلة عليهِ والسعادة

الواقعة فيها ولا اعرف من نفسي اني يقظة انا ام في منام وهل من اكلمهُ هو حبيبي او خيالهُ الوهمي نعم ان لذة ساعة من اجتماعي بك في هذه المدة قد انستني الماضي وما بهِ وما لاقيتهُ منهُ كأني لم اتعذب بفراق ولا ببعاد ولا قاسيت عذابًا ولا اتعابًا . قال ان ذلك منتهى غايتي ان لا يفكر احدنا بما مضى فان الدهر كثير التقلب حاربنا مدة ليست بقليلة وجار علينا جورًا عظيماً انما كان لا يصل الى منتهى جوره وظلمهِ بل كان يراعي جانبنا والان اراه قد وافق على مساعدتنا لما رآنا نثبت لضرباتهِ وشداتهِ ولا نقع عندها فافرحي وسري وكوني امينة منهُ من الان فصاعدًا فما هو ممن يدوم على حاله بل اذا جار في الاول وفى بالاخير واذا وفى بالاول ظلم بالاخير . ثم داما على مثل تلك الحالة يتشاكيان الحب ويتحادثان بالغرام واصلهِ وفصلهِ . الى ان دخل عليهما بهروز واخبرهما بوصول الشاه سرور واولاده فنهض فيروزشاه مسرورًا ومثلهُ عين الحياة وركضا الى باب الصيوان واذا بهم قد دخلوا فتلقياهم بالترحيب والاكرام ورمت عين الحياة بنفسها على ابيها تقبل ايديهِ وتبكي من عظم فرحها ومسرتها وكذلك فعلت مع اخوتها وقبلوها وسروا بها وسلموا على فيروزشاه وسلم عليهم وادخلهم الى الغرفة التي كان مقيماً فيها مع عين الحياة واجلسهم الى جانبهِ ونما فرحه عند ما شاهد فرخوزاد ايضًا وهناه بالسلامة وقال لهُ اني كنت من اجلك على مقالي النار ولا تظن ان احدًا غيري سيلومك على فعلك لان ابي واخاك اصرا ان لا يذكرا شيئًا مما وقع غير اني احب ان الومك لحبي ومواخاتي لك وقد كان احرى ان تاتي اليَّ وتطلب مني كل ما في ضميرك فانيلك مرادك ولا ادع في نفسك حاجة . قال اني اعرف من نفسي خطاءي وجريمتي ولذلك جئت معتذرًا متسامحًا فكن انت السبيل الوحيد لتقدمي لابيك قال لا باس عليك . ومثل ذلك قال الشاه سرور وقال اني اعرف بكل ما وقع مني وبكل ما اوصلته اليكم من العذاب والاتعاب غير اني اعترف الان بذنبي واطلب اليك ان توصلني الى ابيك وتسالهُ العفو عني شفاها وان يقبلني دخيلاً عليهِ . قال انت الان في صدر رجال الفرس والآمر والناهي فيهم وما من احد يحقد عليك او يعصى لك امرًا ألست انت سبب علة وجود عين الحياة فبماذا اقدر ان اكافيك فكن براحة واعتبر نفسك انك بين الاعجام بمنزلة الملك ضاراب لا بل نفس ابي المذكور يراعيك ولا يرد لك طلبًا كانك الامر عليهِ اكرامًا لابنتك عين الحياة التي هي بعد قليل ستصبح زوجة لابنهِ وملكة كل فارس واليمن ومصر والرومان اي على اكثر من نصف الكرة الارضية وما من احد الا ويرى من نفسه وجوب الطاعة لها . فسر الشاه سرور من هذا الكلام وتقدم منهُ وقبلهُ وقال لهُ بالحقيقة انت ابني وصهري المستحق الاعتبار والاكرام . فلما سمع فيروزشاه كلمة صهري وابني شعر من نفسهِ بحاسة الفرح ومثل ذلك عين الحياة وما كانت قبل ذلك تصدق ان تسمع من ابيها مثل هذا الكلام وشكرت الله على هذه المنة العظيمة واحست من نفسها بسعادة فوق العادة لانها قدرت ان

تجمع بينهُ وبين ابيها وتصلح بينهما وترفع الاحقاد والضغائن التي كانت كامنة بينهما حتى حصلت عليهِ ونالتهُ باقرب وقت بعد وصولها الى يد حبيبها

ثم استعاد فيروزشاه من عياريهِ ما كان من امرهم وما فعلوا في جيوش الرومان فاعادوا عليهِ كل ما كان من حالهم وانهم قتلوا الوليد والملك قيصر وسائر الملوك والامراء والقواد الذين تجمعوا في ذاك المكان وجاءوا بطيفور اسيراً مقيداً وعندما سمع منهم هذا الكلام كاد لا يصدقهُ وقال اين هو طيفور الان قالوا هو مع طارق العيار محافظ عليهِ ينتظر امرك ليدخلهُ عليك . قال اني لا اريد ان انظره الان بل من الواجب ان اسير بكم الى ابي تطلعونهُ على ما اجريتم وما فعلتم في جيوش الرومان ومن قتلتم وبمن جئتم . ثم سار امامهم وكان الوقت اذ ذاك اخر الليل ولم يبق للصباح الا نحو ساعة من الزمان ودخل عليهِ وايقظهُ من نومهِ وجميعهم من خلفهِ يسيرون . ولما استيقظ الملك ووجد ابنهُ والعيارون والشاهسرور واولاده وفرخوزاد امرهم ان يجلسوا وبعث فاحضر طيطلوس وبهزاد ودوش الراسي وجماعة الابطال والفرسان فحضروا باجمعهم لا يعرفون السبب الموجب الطالب في مثل هذه الساعة ولما انتظم الديوان اصلح بين فرخوزاد وبهزاد . وامر للاول بثوب ملكي كاخيهِ وقال من حيث انك ابن لفيلزور واخ لبهزاد فارفع رتبتك الان واسامحك عن كل ما صدر منك كونك قد سمعت امري واتيت حالاً مع عياري ولو لم تحضر لعلمت انك عاص فوجهت بكل انتقامي ضدك وانزلت عليك باشد قصاصي غير انهُ يظهر لي انك نادم على ما وقع منك وما وقع لا يمكن رده . فقال فرخوزاد اني قد اخطات بحق اخي بهزاد وما ذلك الا من فعل الشيطان فقد وسوس لي حتى قدمت لارتكاب جريمة من اكبر الجرائم واي شيء احب عندي من ان ارى اخي واعز الناس لديَّ سائداً على الجميع اليس هو خليفة ذاك البطل السعيد الذكر الذي ربانا على الحب والوفق فقبح الله الجهل وعدم التبصر وها انا معترف بذنبي شاعر بكل ما وقع مني من خطاء . فتحرك الحب الاخوي الصحيح في قلب بهزاد فالتفت الى من حضر وقال اني لا اتذكر ان اخي فعل معي شيئاً يستحق ان الومهُ عليهِ واعنفهُ ومعظم ما وقع بيننا اني تجاسرت عليهِ مع انهُ اكبر مني وولي عهد ابي وقد قبلت المقام مع انهُ كان من الواجب تركه لهُ فهو ميراث ابيهِ الخصوصي الان اشهدكم عليَّ جميعاً اني تنازلت لهُ عن المقام واسال سيدي الملك ضاراب صاحب الرحمة الكرامة ان يقبل ذلك ويعتبر اني لا ازال فيهِ حيث ابقى في حدمته الى الابد ولا يحرم اخي من ابيهِ . فاعترض فرخوزاد وقال لا اقبل مطلقاً ان انزع منك مقاماً انت احق بهِ مني والبق عليهِ مهما جرى واسال الملك ضاراب سيدي ان لا يسمع لمثل هذا الكلام . فاجاب الملك ضاراب بمقام قد وجهتهُ منذ الاول الى احدكما بهزاد ولا يعزل منهُ قط الا بسماح من الله ومع كل هذا فاني اترك فرخوزاد بل اطلب ان يكون شريكاً لاخيهِ في الرتبة والراي الان الى ان يهدا بنا الحال

وبروق البال فاوجه اليه بقطيعة يحكم فيها مع زوجته انوش التي خدمة جيوشنا خدمة الابطال الاشداء فهي افضل بنت استحقت منا الوفاء والانعام والاعزاز والاكرام . ثم البس فرخوزاد ثوب الملك وهناه به الجميع وفرح بكل ما وصل اليه من الانعام وشكر الله على بقاء اخيه سالماً واعان فعال الشر والحدة التي عمت ابصاره فلم يعد يعرف واجبات الاخاء ومثل ذلك كان بهزاد وقد فرح باخيه وبرجوعه كل الفرح

قال وبعد ان اصلح الملك بين فرخوزاد واخيه قدم منه الشاه سرور واولاده وانعم عليهم كثير الانعام وقال لهم اني لا اجل ان اعيدكم الى بلادكم واوطانكم وان كان ما وقع منكم هو على سبيل العناد والغيظ وها قد عفوت عن كل هفن تلك وبدلتها بالرضاء والشكر من اتيانكم اليَّ ودخولكم عليَّ وهذا احسبه من تمام السعود والحظوظ الواجبة لراحة ولدي وهناه فوقف الشاه سرور وبكي بكاء الفرح وقال ارجوك ياسيدي ان تقبلني عبداً عندكم فقد كنت في جهل عظيم وكان غشاء من البغض يستر اعيني قد اوجده فيَّ طيفور واني منذ الاول كنت انظر الى فيروزشاه نظر الحب والميل وكلما ابديته الى طيفور لامني وعنفني ونسب اليَّ الجبن والخوف وعدم الشرف وكنت اظنه ناصحاً لي محباً لخيري ولا اعلم ان ذلك ناتج عن بغض في قلبه وحسد كون صهري فيروزشاه لم يطلب مساعدته ومسعاه بمثل هذه الغاية وعليه فاني مديون لحلمكم وعدلكم ورقتكم وكرامتكم وكان يخيفني جداً انكم لا تبقون عليَّ اذا لجئت اليكم فكنت اصدق ذلك لعلمي بما جنت يداي ضدكم وليس عندي الان ما اقدمه لكم الا الشكر والثناء . فاثنى عليه الملك ضاراب وقال له دع ذكر الماضي فما انت الا صرت واحداً منا وعما قليل يتصل النسب بيننا ويختلط الدم بالدم ويكون لك علينا من الحقوق النسبية ما يدعونا الى السعي خلفه ولا انكر ان ما كنت تبديه ات من العناد والحقد ضد مملكتي وضد ابني فيروزشاه كانت تغسله ابنتك عين الحياة بحكمتها وتبصرها بالوفاء والحب

وبعد ان فرغ من الشاه سرور واجلسه الى جانبه طلب ان يتقدم اليه العيارون ويعرضون عليه ما كان منهم اثناء دخولهم الى معسكر الرومان وما وقع منهم هناك . فتقدم اليه بهروز وشرح له مفصلاً كل ما كان من امرهم وما فعلوه في الرومان وانهم ذبحوا الملك قيصر ووزيره وامراءه وكذلك الوليد حاكم مصر وان الاعداء سيصبحون هذا النهار بحزن وكدر والم متوجعين مما اصاب ملوكهم وساداتهم واخبرك اخيراً ان طارق العيار قد جاء بطيفور معه وهو ينتظر امرك ليدخله عليك فسر الملك ضاراب مزيد السرور وقال هل لم يقصد احد منكم عساكر الصين قال كلاً لانها منفردة لوحدها بعيدة عن الرومان . قال وهل لم تقفوا على خبر لطهمور قال لم يكن قط بين الرومان ولم نعلم بمكان وجوده . فقال اني لا انكر لكم هذه الخدمة وامر ان يدفع لكل عيار ثوباً

مزركشًا وخنجرًا مرصعًا والف دينار من الذهب فسروا مزيد السرور وفرحوا بهذه الانعامات الزيدة . ثم امران يقدموا اليه طيفور فجاءوا به مكتوفًا واوقفوه بين يديه فقال له ماذا رايت بنفسك ايها الخائن الغشاش قد قرب الله منك يوم مصرعك على يد من كان لولا اعمالك الشريرة اكرمك واجزلك العطايا غير انك لست ممن يكرمون ولا تستحق الا الموت والعذاب . فاجاب بجراءة اني اعرف يا سيدي ما انا عليه واوكد ان كل ما فعلته توجبني عليه الانسانية وحقوق الخدمة واذا كنت ترغب في قتلي تكون قد ظلمتني وما رعيت العدل والحلم ومع كل ذلك فان كنت انا ممن يظلم فما انت ممن يظلم فارفق بي واعلم اني امين على خدمة سيدي وما فعلت الا ما وجب عليَّ فعله . وما طلبت قط مرة من سيدي الشاه سرور ان يصر على عداوتك الا بعد ان يبدي لي كل افكاره ويظهر لي انه يرغب فيها وما انا على كل حال الا وزيره وملزوم بمراعاته . فقال الملك ضاراب اني لا اقتلك ما لم اثبت عليك الوف من الخيانات التي ارتكبتها ضدنا وسوف اعين لجنة خصوصية لمحاكمتك والحكم عليك بما ترتابه . قال واني اشتهي من هذا الامر لاثبت براءتي وعدم خطائي واني لست المسئول ضدكم ومن ثم امر الملك ان يوخذ الى تحت الحفظ وان يقام عليه عيار مخصوص لا يفارقه الى حين النهاية من الحرب فينظرون في امره فرفع الى خيمة خصوصية واقاموا عليه بدرقتات وبعد ذلك قال الملك ضاراب لرجاله الان وقت النظر فيماذا نفعل لان النهار قد اقبل ولا يمكننا الا ان ننهي بقية العمل في هذا النهار فنفرق هذه الجيوش ونستولي على المدينة دفعة واحدة واني اوصيكم ان من يدخل منكم المدينة لا يضر باحد ولا يوذي احدًا ومن اضر من اتباعكم احدًا وقت التامين فعاملوه بالضرب والقتل . ثم انه فرق عساكره الى فرق واقسام وامرها ان تندفع على الاعداء دفعة واحدة فمن قاوم قتلته ومن اطاع تركته وامر ايضًا ان تضرب طبول الحرب والكفاح تنذيرًا للقوم بالهجوم

قال وكان الرومان غير عالمين بما حل بهم الى الصباح وفي الصباح دخل على الملك قيصر امين اسراره وبعض خدمه فوجدوه في فراشه والدم يسيل منه الى الارض وقد تغطى وجه الفراش منه فعلموا انه مقتول فصاحوا وناحوا وبكوا من شدة التحرق وجرى مثل ذلك في خيمة الوليد والوزير وارتفع الصياح من كل ناح وشاع خبر قتل الملك قيصر وانتشر فحزن الجميع وبكوا وعلموا ان امرهم قد آل الى الخراب والدمار ووصل الخبر ايضًا الى منكوخان فجفل وارتاع وسال عن طيفور فقيل له انه مفقود لا يعلمون عنه خبرًا فثبت لديه تفريق الجيوش في ذاك النهار وانهم لا يثبتون اكثر من ساعات قليلة ولهذا دعا بابطاله واوصى في معسكره ان يتهيئوا للهرب عند اشتداد القتال وقال لهم قاتلوا نحو ثلاث ساعات ثم انضموا الى بعضكم واقصدوا الهرب شيئًا فشيئًا والتاخير من الطريق التي جئنا منها واني سافعل بالاعداء فعلًا اجعلهم يتاثرون منه ثم سلم طهمور الى جماعة

من الفرسان واوصاهم بالحفظ عليه وان يكونوا في موخرة المعسكر حتى اذا اخذوا في الهرب يكونون هم في الاول وبعد ذلك دعا بمائة فارس من فرسانه الاشداء وقال اريد منكم عند اشتباك القتال ان ترافقوني دائمًا ولا تبعدوا عني واي فارس وقع امامي الى الارض فانقضوا عليه وكتفوه ومن طاولني وطاولته في القتال وثبت امامي صوبوا سهامكم الى جواده فاقتلوه من تحته ومتى وقع الى الارض اوثقوه فاني احب ان انتقد منهم الفرسان واصحبهم معي الى بلاد الصين واجعلهم في حرقة عليهم كي يجبروا على المسير الى تلك البلاد . فاجابوا طلبه ولما سمع صوت طبول الفرس ركب بفرسانه ودربهم اعظم تدريب ورتبهم اعظم ترتيب وامرهم بكل ما خطر في فكره

قال وفي تلك الساعة ركبت جيوش الفرس على اتم ترتيب وانتظام وكل فرقة سارت الى ناحية و بعضها قصد ابواب المدينة وهجموا هجمة واحدة و في مقدمتهم اسد الاساد وفارس ميدان الطراد فيروزشاه و بهزاد . وبقية الفرسان الاجواد . وانقضوا على قوم الرومان انقضاض الاسود الكواسر فالتزم الاعداء ان يركبوا و يباشروا الحرب والقتال وهم على اخر نفس من معاناة الياس والاحزان وقطع الرجاء ولم يكن الا القليل حتى اختلط القومان . ودار بينهم دولاب الحرب والطعان . وكثر القيل والقال . بين الفرسان والابطال . وكان يومًا عظيم الاهوال . لم يرَ مثلهُ على الرومان من عظيم الاجيال . فيه ذاقوا الهلاك والوبال . ولعب بهم لاعب الفناء والدمار . واورثهم موارث المصائب والبوار . وسدت في وجوههم طرق الهرب والفرار . فلم يروا اوفق من ان يسلموا بانفسهم ضحايا الى سيوف اهل ايران . ويختاروا لذواتهم الموت والطعان . وعمى الله قلوبهم عن طلب العفو والامان . فذهبوا ذرى الارياح . وحلت عليهم المصائب من كل ناح . وجودت الفرس فيهم الضراب وانزلت عليهم انابيب العذاب . وتركت فيهم اثرًا لا يمحى الى يوم الحشر . وذكرًا يتذكرونهُ من بعدهم طول الدهر . فاغمدت في صدورهم نصولها . والبست اكحاف جماجمهم حوافر نعولها .

واما منكوخان ابن هلكوخان . الكافر بدين الديان فانهُ تلقى الفرق التي جاءت نحوه بقلب اقوى من الصوان . وجاولهم مدة من الزمان . وجعل يتاخر امامهم الى الوراء شيئًا فشيئًا برجاله وابطاله وفرسانه ورجاله . وهو يصول ويجول . و يهمهم كالغول . الى ان وقعت عينهُ على قادرشاه وهو ينقض على الابطال والفرسان . كانهُ فرخ من فروخ الجان . و يضرب ضرب الابطال والشجعان . فمال اليه . وانقض عليه . واخذ سلسلة من الحديد بها عدة شناكل وارسلها نحوه بخفة اسرع من لمح البصر فوقعت تلك الشناكل على زرديته فعلقت اطرفها فاجتذبهُ بقوته ومقدرته والقاه الى الارض واذا برجاله الذين اوصاهم ان يصحبوه قد انقضوا عليهِ واوثقوا كتافهُ وارسلوه الى الموخرة ليضم الى طهور هذا وعساكر الصين تتاخر شيئًا فشيئًا كما اوصاها ثم دام يصول ويجول من مكان الى مكان حتى وقعت عينهُ على بهمنزار قلي يطارد العساكر و يطعن بها ففاجاه وفعل معهُ مثل ما فعل مع

قادرشاه ورماه بالشناكل الى الارض دون ان يقرب منهُ او يصل اليهِ فاوثقتهُ الغساكر وضمته الى رفيقيهِ هذا والحرب قائمة بين تلك الجموع والامم . لا يعلم الفارس ما حل باخيهِ وما جرى عليهِ وما صار فيهِ . وبقي منكوخان يحاول ان يرى فارساً اخر يفعل بهِ ما فعلهُ بغيره فقادتهُ الصدف الى ان التقى بسيامك سياقبا . وهو يزيد نيران تلك الحرب اضطراماً ولهبا . ويضرب بعمده الابطال والفرسان . فيمددها على بساط الصحصحان . كانهُ الاسد الكاسر او الذئب الجارح فمال منكوخان الى نحوهِ ورفع السلسلة الى الهواء ورمى بالشناكل عليهِ فسمع سيامك صوت خشيشها ومال بنظره اليها فوجدها نازلة اليهِ فمال عنها وتستر منها بدرقتهِ وصاح في منكوخان وانقض عليهِ وهو مندهش من خبثهِ وبما يقاتل ولما راى ذلك اللعين ان عملهُ قد خاب عمد الى سيفهِ فاخترطهُ والتقى سيامك وكان من الابطال الشداد فانسع بينهما سوق الحرب والطراد . فافترقا والتحما وصاحا وهمها . ووقع بينهما قتال شديد يفك الزرد النضيد . وبينما هما على مثل تلك الحال واذا برجال منكوخان قد عمدت الى النبال . وصوبتها الى جواد سيامك فقتلتهُ ووقع الى الارض فانقض عليهِ الصينيون باسرع من لمح البصر واوثقوه وشاهد رجال سيامك ما حل باميرهم فهاجوا وماجوا وانحدفوا على الصينيين يطلبون خلاصهُ فاشتبكوا ببعضهم اي اشتباك . وحل عليهم سلطان الوبال والهلاك . وقتل من الفريقين قوم كثير . وانفجرت منهم الادمية كالماء الغزير . الا ان منكوخان لما راى صعوبة الحال . وان لاقدرة لهُ على الثبات في المجال . اكتفى بمن اسر واشار الى عساكره بالهرب والانفلال . فالووا عنان خيولهم واطلقوها الى جهة بلادهم يرتجون الخلاص من اولئك الأسود الزائرة والذئاب الكاسرة . وتبعهم رجال الفرس يضربون باقفيتهم الى ان غابوا عن تلك الارض ولم يبقَ لهم اثر فيها ومن ثم رجعوا عنهم بعد ان اهلكوا اكثر من نصفهم وهم يتحسرون ويتحرقون على غياب سيامك وعلموا باسر قادرشاه وبهمنزار قلي وكان الملك ضاراب قد اباد بعساكره عساكر الرومان وشتتهم في كل ناحية ومكان . واهلك منهم قسماً كبيراً لا يدرك مقداره وتكومت اكواماً من جثثهم بما يدعي اشد القلوب قساوة الى الرحمة والرفق وبعد ذلك امر بضرب طبول الرجوع عنهم لما وجدان لا بقية فيهم . وكان فيروزشاه قد توصل الى باب المدينة فمنع الدخول اليها الى ان هدا الحال وراق البال وبطل الحرب والقتال . ومن ثم بعث بعياره الى الاهالي يخبرونهم بموت ملكهم وامرائهِ وتشتيت فرسانهِ وابطالهِ وانهم ان اطاعوا عفا عنهم واعادهم الى اماكنهم كما كانوا والا دخل بالعساكر الى المدينة واهلك كل من عصى ومانع فارتجف الاهالي وخافوا سوء المسير ولم يروا بدًّا من الطاعة فخرجوا من مساكنهم ووضعوا المناديل في رقابهم وجعلوا يصيحون الامان الامان فامرهم فيروزشاه ان يتقدموا الى جهة ابيهِ وكان الملك ضاراب قد اقام في صيوانهِ فتقدم اليهِ اعيان المدينة ودعوا لهُ بالنصر والاقبال وقدموا لهُ طاعتهم وقالوا

له انا لسنا نحن رجال قتال . بل رجال اموال . فمن تزوج بامنا صار عمنا وها قد اتيناك طائعين فان عفوت عنا بقينا في طاعتك كل العمر والاّ فانت حرٌّ ان تفعل بنا ما تختار وليس فينا من يتجاسر على مقاومتك وعنادك لانك الرجل الوحيد الذي اختصك الله لنفسه واعهد اليك بالنصر والظفر وان ترعى عباده بحلم ورأفة . فطيب بخاطرهم وقال لهم لا تخافوا قط من ضرٍّ ولا من اذى فما انتم الان الا من رعايا دولتي وقد دخلتم في حوزتي فابقوا في اماكنكم على البيع والشراء والاخذ والعطاء ومن اذاكم او فعل معكم قبيحًا اطلعوني على امره لاهلكه واعدمه الحياة ومن من قومي اخذ شيئًا كان جزاءه القتل لان المساواة مسئول بها من الله فلا تنكرون بسوء فاني احلم عليكم من ملككم الذي ذهب بيومه فشكروه على قوله وسروا من عدله ورحمته ودعوا له بطول العمر والعز والبقاء وعادوا من بين يديه مسرورين وفرحين جدًّا وهم يقولون لبعضهم ان مثل هذا الملك يجب ان يفوز ويسود لانه عادل وحليم والله يحب الذين مثله فلا يقطع لهم من النصر رجاء واما الظالمون فينالون جزاء ما يفعلون ودخلوا المدينة ونشروا بها راية الامان والسلام وعادوا كانه لم يتغير عليهم قط ملك ولا اصيبوا بامر من الامور

هذا وبعد ذلك نظر الملك ضاراب الى فرسانه وكانوا يردون اليه واحدًا بعد واحد ويجلسون في مراكزهم بعد ان يهنئوه بالنصر والظفر فوجد سيامك سياقبا وبهنزار قلي وقادرشاه غائبين عن الصيوان فسال عنهم فقيل له ما راوه من فعل منكوخان وكيف انه اسر سيامك بالحيل والخداع قال لا ريب انهم جميعهم في اسره لانهم كانوا على جيشه فتكدر من ذلك مزيد الكدر ولطم على اكفه وقال لا ننتهي من مصيبة الا ونقع في ثانية ولا يزال لنا عند الدهر بعض بغض وعناد فغياب فرساني ما يحزنني ويتركني دائمًا في هم ونكد الا ان ذلك كله من الله سبحانه وتعالى فهو صاحب الامر والنهي وربما اراد في ان يذهب بنا الى الصين لخلاصهم وهلاك ملكها العاتي الجبار . وبعد هذا امر عساكره ان تنقل جثث الموتى فتاويها التراب وتدفنها وتنظف الارض من الادمية كي لا يفسد المناخ فتنشو الامراض فيما بينهم . فاجابوا واخذوا يفعلون ما امرهم به الملك واما هو فانه ركب وامر حاشيته وبطانته ان تركب لركوبه وتنزل معه المدينة ليدخل الى ديوان قيصر ويجلس فيه وينام في قصره ويقيم هناك معهم حيث في نيته ان يزف ابنة فهروزشاه على عين الحياة وكذلك فرسانه واولاد عمه الذين اتخذوا لهم خطيبات في هذه الحرب . فركب الجميع وساروا معه وبين يديه حتى دخل المدينة فخرج اهلها الى ملاقاته ومشوا بين يديه ينادون بالادعية له ولولده حتى وصل الى صيوان الملك قيصر فدخله وهو يتعجب من حسن اتقانه واثاثه وبنيانه وجلس على كرسيه وكانت من العاج مجللة بشبكة من اللؤلوء الغالي واكثر الكراسي من هذا الباب الا انها اصغر واخف وهي مصنوفة على احسن ترتيب ونظام الاصغر فالاصغر وارض القصر مفروشة بالنقوش

الملونة بما يدهش الابصار وكذلك السقف والحيطان فانها كانت مدهونة بالدهانات الزيتونية ومنقوش عليها الصور والتماثيل والوقائع التي كان يفعلها رجال الرومان القدماء وصور مشاهيرهم امتازوا على سواهم

ولما جلس الملك ضاراب واستقر به المقام وجلس من حواليهِ جميع الابطال والفرسان على اختلاف رتبهم ومناصبهم سال طيطلوس فيما يجب ان يفعل بعد الان . قال اعلم يا سيدي ان لدينا امور كثيرة ينبغي ان نسعى فيها انما فلنترك ذلك الى الغد حيث الان قد قرب وقت العشاء ومن اللازم ان ننقل النساء الى داخل المدينة ونفرض لكل فارس فيها قصرًا ونفتش اولاً على طهمور اهل هو في المدينة او اصيب بنكبة . قال اصبت بذلك ثم دعا باحد الرومان من الذين كانوا بخدمة الملك قيصر وسالهُ عنهُ فقال لهُ اعلم يا سيدي ان طهمور هو الان مع منكوخان وعلى ما اظن انهُ اخذهُ معهُ الى بلاده اسيرًا وذلك انهُ لما كان قتل من اولاده جماعة طلب ان يسلَّم اليهِ لياخذ لنفسهِ بالثار من عذابهِ ولا اعلم من الذي دلهُ عليهِ واخبره بوجوده عندنا وقد سمعت الملك قيصر يقول لوزيره لا بد ان الذي اخبر منكوخان بذلك هو طيفور لانهُ لازمهُ وصار يقيم اكثر الوقت معهُ وعندهُ ولا يعود الا وقت المنام فينام في صيوانهِ قرب صيوان الشاه سرور . فتكدر الملك ضاراب من هذا الخبر وقال لا ريب ان طيفور هو الذي سالهُ في ان ياخذه فلعنهُ الله من خبيث مخادع فلا بد من قتلهِ كيف كان الحال لان اذاه متواصل الينا غير منقطع قط فهو مثل العقرب كيفما مال لسع فاوجع واني اسال الله ان يقدرني على خلاصهم وارجاعهم اليَّ فهو السميع المجيب ولو لم يكن لي اكثر من ست سنوات خرجت من بلادي وانا كالغريب المشتت انتقل من جهة الى ثانية من المشرق الى المغرب لسرت الان حالاً انما لوعة ابني على خطيبتهِ واحتياجه الى الزواج يلزمني ان انقاعد الان عن كل ذلك وابقيهِ الى حيث يشاء ربي سبحانهُ وتعالى . ثم امر الفرسان ان تنقل بكل امتعتها الى المدينة وتاتي بما هنالك من البنات فتقيم كل واحدة بقصر يليق بشانها استعدادًا للزفاف فذهب الجميع الى الخارج وسار بهمنزار قبا الى كلبلة بنت ملك الشام فبلغها خبر الملك وجاء بها وهما في فرح لا يوصف بعد ان انفسهما بقرب الاجتماع وكذلك فرخونراد فانهُ قرب من انوش وعرض عليها امر الملك وسالها ان تاتي معهُ المدينة . فقالت اني اشكر الله على حلول وقت الافراح . ولهذا فاني اخبرك الان اني سانزع هذا الثوب عني ولا اعود اليهِ فيما بعد ولا يليق بي ان اباشر حربًا ولا قتالاً بل اقيم كبقية الزوجات فاوصيك برجالي وابطالي وان تصرف مزيد العناية الى وقايتهم ومراعاتهم . فوعدها بكل خير ومن ثم نزعت عنها ملابس الفرسان ولبست ملابس النساء وافرغت عليها من الحلى والحلل ما جملها وزاد في بهاء محاسنها حتى كاد يضيع عقل فرخونراد وعاد بها الى المدينة ودخل القصر الذي اعد لها

واما فيروزشاه فانه دخل الى صيوانه وكان بهروز قائمًا كل تلك المدة عند بابه للمحافظة عليه وعند دخوله لاقته جهان افروز فسلمت عليه وسلم عليها وقال لها اني في كل هذا النهار ما رايت اختك المرهفة ولا اعلم سببًا لغيابها . قالت انه بعد خروجك من هنا الى ابيك جاءت واخبرتني انها ذاهبة الى بلادنا لان عدوًا قادرًا قصد التسلط عليها وجاء بعض اعوانها فاخبرها وقد اوصتني ان ابلغك سلامها واوصتني بخدمتك والانقياد لامرك وان ابقى عندك دائمًا وقالت لي انها لا ترغب منك الا القيام بوعدك والمحافظة عليّ ومراعاتي . اذ انها لا تعلم اذا كانت تعود فتراك مرة ثانية او لا فاذا انتصرت على هذا العدو وارجعته عادت الى خدمتك والا فلا تعود فتاتي ثانية . اذ تكون قد قتلت او اسرت . فحزن فيروزشاه لغيابها وقال انه يصعب عليّ ذلك جدًا ولا كنت احب ان ابعد عنها او اتقاعد عن نصرتها فليتها صبرت واخبرتني بامرها . قالت ان ذلك لا يمكن اولًا لانك من الانس وثانيًا لانك في حاجة الى الزفاف والراحة . وبعد ذلك دخل على عين الحياة فوجدها مع ابيها واخوتها براحة تامة وسرور وانشراح فقاموا له وسلموا عليه وقربت منه عين الحياة وهنانه بالسلامة ونهاية هذه الحرب وقرب ايام الراحة . فقال لها ان الله قد استجاب دعانا وقرب منا زمن الافراح والاطمئنان ويسرني الان ان اراك مع ابيك على اتم سرور وفرح كونك كنت دائمًا تسالينني في ذلك والان فاني اتيت لاذهب بك وبجهان افروز الى المدينة لان ابي قد اعد لنا قصرًا عظيمًا من قصور الملك قيصر وهو القصر الذي كان ازمع ان يتزوج به انبوش ابنه وسينكر في الغد ما يلزم اتخاذه بحيث يكون العرس في هذه المدينة والحمد لله قد زالت كل الموانع والعوائق ولم يبق من سبب يوخر اجتماعنا فهلموا بنا جميعًا لندخل البلد ولتاخذ كل واحدة منكما ثيابها وحلاها وما هي في حاجة اليه فنهضت عين الحياة الى تدبير امرها وكذلك جهان افروز وسلموا كلما يلزم لها الى بهروز واوصوه بصحبهم معه الى القصر . ثم ركب فيروزشاه واركب خطيبتيه واركب ايضًا الشاه سرور واولاده وخرجوا من الصيوان وجاءوا المدينة على اجنحة السرور ودخلوا القصر المعد لهم فوجدوا ان الخدم قد هيئته وزينته واشعلته بالانوار حتى صار يجلو للانظار ولما دخلت اليه عين الحياة قالت الى فيروزشاه كم كنت تعيسة لو ادخلت اليه قبل الان اسيرة لما كان انبوش يطالبني زواجي وقد ذهب الى قلعة الحديد لياتي بي اليه فاشكر الله على هذه المنة فهو مغير الاحوال ومقلبها وحاشاه ان يظلم قط عباده . فقال لها لو تم ذلك لكنت انا في اللحود منذ ذلك الحين لاني لا اطيق ان اسمع انك قبلت بغيري او بالحري ارغمت فزففت على غيري وما كان يجعلني ان احمل ثقل الحوادث بالصبر الجميل هو ما كنت اعلمه من صدق حبك وممانعتك من الموافقة على غيري قالت كثيرًا ما كان يخطر لي اني اميت نفسي قتلًا اذا وصلت الى حالة ارى ذاتي مضطرة فيها الى التسليم لغيرك ودخل فيروزشاه بها فانزلها في غرفة فاخرة تليق بشانها وفعل مثل ذلك لجهان ولم

افروز واقام معهم في ذالك القصر كل تلك الليلة على الحظ والهناء وذهب الشاه سرور باولاده الى القصر الذي كان فيه قبلاً . واما بقية الفرسان والملوك مثل خورشيد شاه وجمشيد شاه وكرمان شاه ومصفر شاه فكل منهم نزل في قصر مخصوص اعدلهُ وناموا جميعًا تلك الليلة براحة واطمئنان ينتظرون الغد وبقي بدر فتات بين العساكر محافظًا على طيفور ليبما يطلبهُ منهُ الملك ضاراب وقد بذل كل الجهد في عذابهِ

قال وانقضت تلك الليلة على الجميع بحسب ما تقدم وفيروزشاه اسرّ الجميع وافرحهم وقد اقام مع عين الحياة وجهان افروز في ذاك القصر وكان اعد لهُ الخدم مائدة الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم نهضوا الى مائدة المدام فجلسوا عليها واخذوا يتعاطون المدام ويتناشدون الاشعار ويطربون بالغناء وكان صوت جهان افروز جميلاً جدًّا مسكرًا ووجدت الدهر قد راق لها وطاب عيشها بحبيبها فارادت ان تسليهُ بغنائها فرفعت صوتها منشدة بما ياتي

قد صفا ماء النعيم ... في محياه الوسيم
قربهُ جنة عدني ... وتنائيهِ جحيمي
ان رنا نيم بالا ... حاظ غزلان الصريم
او تثنى اخجل الاغـ ... صان بالقد القويم
او تغنى بلبل البلبا ... ل بالشد والرخيم
واذا قام يدير الرا ... ح في الليل البهيم
كشف الليل سناه ... وانجلى ليل الهموم
يقرع الجام بدرٍّ ... منهُ في ثغر نظيم
فاذا غب من الرا ... ح احتسى لب النديم
يا حياتي وحمامي ... وحميمي وغريمي
لمَ لا ترثي لجسم ... من تجنيك سقيم
رقّ حتى قد حكى رقـ ... ـة انفاس النسيم

وكانت جهان افروز تنشد وفيروزشاه وعين الحياة ماخوذان بحسن صوتها ورقة انشادها حتى كاد ذاك القصر يرقص طربًا من معني ورخامة ذاك الصوت وحسدتها عليهِ عين الحياة واما فيروزشاه فانهُ سرّ لذلك كل السرور واخذ كاسًا من الخمر فسقاها بيده ثم اخذ هو ايضًا كاسًا وانشد ما

لو صرت من سقمي شبيه سواك ... ما اخترت من دون الانام سواكِ
لا فزت من اشراك حبك سالمًا ... ان شبت دين هواك بالاشراكِ

اخربت قلبي اذ ملكت صميمة | اكذا يكون تصرف الملاك
كيف استبحت دم المحب ولم يكن | قلبي عصاك ولا شققت عصاك
هل عندم الوجنات رخص في دمي | ام طرفك الفتاك قد افتاك
اصغيت سمعـــاً للوشاة فتارة | اخشى عليك وتارة اخشاك
زعم العداة بان حسنك ناقص | حاشاك من قول العدا حاشاك
قالوا حكيت البدر وهي نقيصة | البدر لو يعطى المنى لحكاك

ولما سمعت جهان افروز انشاده سرت بو كل السرور وكان يقع على قلبها احلى من النوم على اعين النعسان لانها كانت لا تصدق ان تسمع منهُ مثل هذا الكلام وانهُ يخلص في حبها الى درجة ان ينزلها منزلة اولى و يعاملها ببعض المعاملة التي يعامل بها عين الحياة اذ ان تلك هي محبوبتهُ الاصلية التي سلم كل قلبهِ لها منذ اول صبائهِ ومنذ لعب بو لاعب الوجد والغرام وعاهدها ان يكون بكليتهِ لها وتكون هي بكليتها لهُ اما هي فانها دخيلة على هواه ارادت ان تحببهُ بذاتها باعمالها وتحيلهُ بواسطة اختها المرهفة ان يستحي الى اجابة طلبها وكانت تتاكد ان منزلتها عندهُ هي ادنى درجة من منزلة عين الحياة انما كانت ترى في ذاتها انها سعيدة بالاجتماع بو و بتسليمهِ لها بكل ما يسره . ومن بعد ذلك اخذ كاساً وملاها وسقاها الى عين الحياة و بعد ان شربت انشدت

صاد الاسود بمقلة وسناء | وسبى العقول بطلعة وسناء
واتى بازرق ثوبهِ متوشحاً | فكانهُ بدرٌ بدا بسماء
خجلت بدور الافق منهُ عندما | وافى بتلك الطلعة الحسناء
والقضب خرّت سجداً لما بدا | متخطراً بالقامة الهيفاء
وبليل طرتهِ ضللت وانني | من صبح غرتهِ وجدت هدائي
فتبارك الرحمن ما احلاه من | رشإٍ غدا مرعاه بالاحشاء
ما كنت احسب قبل اني صدتهُ | ان الاسود فرائس لظباء
حتى طعنت باسمر من قدهِ | وقتلت من الحاظهِ بظباء
فاذا رنا واذا انثنى لا تذكروا | بيض الظبا مع صعدة سمراء
سلطان حسن في الملاحة قدهُ | قد خصهُ من شعره بلواء
و بوجنتيهِ عجائب من بعضها | نار يشب ضرامها بالمـــاء
من رام يحيى فليمت في حبهِ | حتى يعدّ غداً من الاحياء

وشاهد فيروزشاه عند انشادها هذه الابيات احمراراً صادراً عن خفقان قلب لانها كانت تنظر اليهِ نظر المغرق الولهان وتنشد بما يدعوها اليهِ الحب الكامن في قلبها وقد اهدتهُ كل شعائرها ولم

بعد ترى لها بابًا للشكوى من الزمان على الفراق والبعد بل كانت كل شكواها من الخفقان الذي كان يحدث لها عند تكلمها معهُ لانها كانت من سرورها لا تعرف من اي جهة تقدم لهُ نفسها وتكافيهِ على حبهِ ولا ترى وسيلة لسروره غير اظهار ما هو كامن في قلبها وكان يعرف منها ذلك ويتأكد انها وان كانت تخجل عند اباحتها باسرارها لهُ انما ترى من نفسها انها مضطرة الى ذلك ارضاء لهُ وان شدة الحب تدعوها بالرغم عن اميالها واطوارها الى التطرف بهِ ولذلك قد اعتادت ان تصفهُ وبصفها وتشكو لهُ ويشكو لها وعلى ذلك سكبت كاسًا وقابلتهُ بالمثل اي انها سقتهُ اياها وسالتهُ الانشاد فانشدها

هجم الصباح فاين يا ليل المفر	وجياده بالنصر واضحة الغرر
اوما تراه نضى لحربك يا دجى	عضبًا ثقيلاً كاد يخطف البصر
ودعا اليك وقد اماط لثامهُ	كالليث كشر للفريسة واكفهر
لا تغترر وترى الهزيمة مغنمًا	فطلائع الاصباح خصت بالظفر
وكحيلة الاجفان لولا لحظها	لم ادرِ ان الشمس تطلع في السحر
ايهٍ ولولا نبت سالف خدها	لم ادرِ ان الآس ينبت في الشرر
شمس على الارداف ارخت شعرها	لتريك ان المسك في الورد انتشر
ولوت على الاجفان سالف عنبر	فحمت بعقرب صدغها ورد الخفر
وارت بلال الخال يرقب في دجى	ليل العذار صبيح مبسمها الاغر
يا ظبية الوعساء يا برء الاسى	يا مطمع الاهواء يا قيد النظر
اظبا جفونك ام ضيا عينيك قد	ترك الفؤاد اسير تخييل الفكر
فاذا نفرت نفرت عن عين المهى	واذا سفرت سفرت عن وجه القمر

فمالت عين الحياة من انشاده طربًا ودرت من نفسها انها باعظم نعيم يطيب لها ان تصرف العمر بطولهِ على تلك الحالة دون ان تفكر بما سواها وكان فيروزشاه يرى ايضًا من نفسهِ سعادة تلك العيشة وراحتها وبات يحسد نفسهُ على ما هي فيهِ من الفرح وعيناه تنتقل من واحدة الى الثانية ولسانهُ يمدح في جمالها وهما تمدحان منهُ ومن اوصافهِ وتسكبان لهُ الخمر وتسقيانهِ . وداموا على مثل ذلك الحال الى ان لاح جيش الصباح بطلائع نوره فذهب كل منهم الى غرفتهِ لينام بضع ساعات وتاخذ النفس راحة

وفي صباح اليوم الثاني جلس الملك ضاراب في ديوانهِ الجديد وجمع اليوزراء وكبراء دولتهِ واستشارهم في امر الزفاف فقال طيطلوس ان ذلك عائد اليك مناط بك . قال اني كنت احب ان اذهب الى ايران وازف ولدي هناك لانهُ وطنهُ انما ذلك لا يمكن قط اذ ان لا بد من بعث هنا

الجيوش الى الصين بعد زمان لاسيا واني ارى موافقة هذه البلاد لنا وحسن مناخها وعليهِ فاني ارى ذاتي مضطرًا الان ابعث فاستحضر الملكة من ابران لتاتي وتشاهد ولدها وتفرح بزفافهِ ولا ريب انها بمزيد شوق الى ذلك وقد مضى مدة طويلة دون ان تعرف عنا خبرًا وهذا الامر اهم لدينا من كل الاشياء ولا يصير زفاف دون ان تكون حاضرة وان كان بذلك كبير عاقة انما كل آتٍ قريب فقال طيطلوس ان ذلك واجب علينا فهي سيدتنا وليس لها غير هذا الولد ومن العدل ان يوخر العرس الى حين مجيئها ولا بد ايضًا من الاتيان بكولندان بنت ملك الاسكندرية وبتاج الملوك بنت المنذر بن النعمان صاحب لدن الطائف وبطوران تخت بنت الوليد ملك مصر وبالشاه سليم ابي الاميرة انوش خطيبة فرخوزاد ليكون الفرح كاملاً شاملاً ولا يبقى بعد ذلك لوم احد علينا لان كل الفرسان والابطال لولا املهم بزفاف فيروزشاه لتزوجوا جميعًا غير انهم كانوا صابرين لبعد زفاف مولاي ولدك والان ينبغي ان يكون العرس واحدًا فنغسل اقذار تلك الايام الماضية التي صرفناها بالعذاب والمحن. فقال الملك ضاراب اني افكر بذلك ولهذا اطلب من كل رجالي وابطالي ان يكونوا حاضرين هذه الافراح ومن منهم شاء ان يتزوج فلا يتاخر قط من كل عساكري كبيرًا كان او صغيرا ويكون مصروف هذه الافراح من الخزينة الفارسية اكرامًا لولدي فيروزشاه ولزوجتهِ عين الحياة ولهذا فاني افوضك ايها الوزير الخبير والعاقل الحكيم بتدبير هذه الامور وترتيبها وان تكتب الكتب الى الملكة تمرتاج زوجتي وسائر الذين ذكرت وكن انت رئيس هذا العمل واني اسلم زمام مصاريف العرس واحتياجاتهِ الى رفيقك الثاني دوش الراي فيكون كل ما يصرف ويفرق من يدهِ بمعرفتك ومعرفتهِ. قال اني انتظر لمثل هذا اليوم فاخدم سيدي فيروزشاه فان فرحي بهِ اعظم من كل فرح. وبعد ذلك اخذ طيطلوس فكتب لتمرتاج زوجة الملك ضاراب كتابًا يقول فيهِ

بسم الله المفرح المنعم لا اله الا هو وحده

من طيطلوس وزير الملك ضاراب الى سيدتي تمرتاج ملكة بلاد فارس ووالدة فيروزشاه صاحب الفعل الجميل والفضل الغزير

اعلمي ايتها السيدة الكريمة المبرورة وتاج المخدرات وفخر المحصنات اننا منذ خرجنا من اليمن اتينا الى مصر الى حرب الوليد حاكمها وصرفنا زمانًا ليس بقليل في محاربتهِ ولاقينا من الاهوال والمصائب ما يكل القلم عن وصفهِ الا انهُ بمساعدتهِ تعالى قد انتصرنا على تلك البلاد وفزنا على ملكها وتملكناها وادخلناها في حوزتنا وحيث لم يتيسر لنا هناك الحصول على عين الحياة ولا رايناها بل ترجح عندنا انها سارت مع ابيها الى بلاد الرومان الى الملك قيصر وعليهِ فاتينا البلاد المذكورة بعد ان دوخنا في طريقنا كثيرًا من البلاد كدمشق وانطاكية وغيرها وعند وصولنا الى الرومان

باشرنا الحرب معهم مدة ليس بقليلة حتى بمساعدته تعالى تملكنا بلاد الرومان وفزنا على كل معاند ومخاصم فيها ودخلت عين الحياة في حوزة ولدك وراق لنا العيش وانعم منا البال ولهذا اختار سيدي الملك ضاراب ان يزف ابنة في هذه البلاد لانها عجيبة جدًا وطاب له المناخ بها ولذلك سلم الي بامر تدبير الزفاف وان اكتب كتابًا لك التمس منك الحضور مع بهزاد الذي ارسلة سيدي الملك لخدمتك في الطريق اذ لا يمكن ان يكون الزفاف بدون حضورك ومعاينتك فافرحي به وانعمي بولدك الذي ساد على كل اقرانه في زمانه وادعي من نساء ايران من يطيب لك ويروق في عينك حضورها فقد قرب اليوم المنتظر وجاء الزمان المناسب لان نفرح ونبتهج ابقاك الله فخرًا للدولة الفارسية ومصباح حكمة ينير كل نيرة وادامك معنا لافراحنا ومسراتنا والسلام

وبعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب كتب كتابًا اخر الى الشاه سليم يدعوه للحضور الى زواج بنته وقد كتب فيه

بسم الله العظيم الرحيم

من طيطلوس الحكيم وزير الدولة الفارسية الى الشاه سليم حاكم البلاد اليمنية

بعد السلام عليك وتقديم الاحترام اليك اخبرك ايها الصديق الكريم والمحب الحميم اعلم اننا بحوله تعالى قد توفقنا الى الغاية المطلوبة وذلك اننا انتصرنا على المصريين وتملكنا بلادهم فهرب الشاه سرور وبنته الى بلاد الرومان الى الملك قيصر فحضرنا الى هذه البلاد وفعلنا فيها الافعال التي تذكر حتى انتصرنا وملكنا البلاد وراقت امورنا ولذلك عمدنا على زفاف سيدنا وابن ملكنا فيروزشاه ابن الملك ضاراب هذه الايام في بلاد الرومان اذ انها دخلت في يدنا واهلكنا ملكها وكل انصاره ونوينا ايضًا على زفاف فرخوزاد وكل بطل ايراني او نفر يرغب في الزواج بحيث تكون الايام ايام فرح وسرور ويعم الفرح الجميع من الصغير الى الكبير ولهذا امرني سيدي الملك ان اكتب اليك كتابًا ادعوك لحضور زفاف ولده فيروزشاه على عين الحياة وحضور زفاف فرخو زاد على السيدة انوش كر بنتكم صاحبة الافعال المحمودة وقد بعث سيدي الملك ضاراب بهزاد بطل ايران وحاميها لياتي بزوجته الملكة من ايران ثم يمر من تعزاء اليمن فيكون حضوركم معه وتمرون على لدن الطائف فتاتون بتاج الملوك بنت المنذر بن النعمان لنزفها ومن ثم طوران تخت بنت ملك مصر وكوالندان بنت ملك الاسكندرية فان لهن علينا عهودًا ومواثيق ونسالة تعالى دوام افراحكم ومسراتكم مع طول عمركم الى الابد والسلام

ثم طوى الكتاب وختمه وقال للملك ضاراب لما كان من الواجب علينا القيام بحق خدمة سيدتي الملكة رفعة لشانها ولذلك ارى ان تامر بهزاد ان يسير لهذه المهمة مع خمسة الاف فارس من الفرسان الكرام اي من الامراء والاعيان فياتون ايران ويمشون في خدمة الملكة ومن ثم يعودون

الى تلك العواصم والبلدان فيانون منها بكولندان وتاج الملوك وطوران تخت والشاه سليم . فقال الملك لقد اصبت في هذا ايها الحكيم العاقل الخبير فان من الضرورة ان يكون بين ايديهم بطل من ابطالنا يمنع عنهم طوارق الحدثان اذا لاسمح الله وقع لهم مانع في الطريق وإن كنت لا اخاف من احد يسطو عليهم اذ ان البلاد من حد ايران الى هنا هي في يدي وتحت طاعتي الا انه ربما صدف مرور عدو فيها لا نعلمه وعدا عن ذلك فمن الضرورة ان يكون مع الملكة من هو احب الناس عندي كابني فيروزشاه او بهزاد الذي هو بمنزلتهِ . واما بهزاد فانهُ فرح فرحًا لا يوصف واظهر الملك ذلك وقال لي اني احب ياسيدي ان اخدم بين يدي سيدتي الملكة واي شرف ارجوه اكبر من هذا ولو انتدب مولاي طيطلوس فيري اليها لصعب عندي وكدرني انما أظر بحكمتهِ موضع النظر واراد ان يعهد الي بمثل هذه الخدمة كاجبار خاطر من قبلهِ . فمدحه الملك على مثل هذا الكلام وامره ان ينتخب لهُ خمسة الاف امير وفارس من رجال ايران ليصحبهم معهُ في سفرتهِ وقال لهُ سر في طريقك على بنات الملوك فاحضرهن معك واحضر الشاه سليم ابو السيدة انوش لانهُ من عمالنا المخلصين . وبعد ان انتهى تدبير امر بهزاد نهض خورشيد شاه وتقدم من الملك ضاراب وقال لهُ لقد سمعت ياسيدي انكم قد بعثتم لاحضار تاج الملوك بنت المنذر بن النعمان وهي التي خطبتها في الاول لنفسي وعاهدتها ان اكون لها بعلاً وتكون لي زوجة ولا انظر الى غيرها ومن ثم ايضًا بعثتم لاحضار كولندان بنت صاحب الاسكندرية والثانية ايضًا لما طلبت اليَّ ان اخلص لها الود والوفاء واعاهدها ان اكون لها بعلاً اجبتها اليهِ وانا باضطرار الى ذلك وعاهدتها ان احفظ ودها ولا ارغب في غيرها ومتى جاءتا لا يمكنني ان افي لهما العهد معًا يعني لا احب ان اكون بعلاً الاثنتين فماذا يا ترى يكون من امرهما ومن منهما الواجب عليَّ مراعاة خاطرها ومن منهما يمكني رد طلبها وكسر خاطرها مع انهما الاثنتان قد عملتا معنا معروفًا واكرمتاني مزيد الاكرام . فاجاب الملك ضاراب اننا لا ننكسر بخاطر واحدة فمن مالت اليها نفسك فاجعلها زوجة لك ومن تركتها زوجناها بغيرك من الامراء ولا نتغاضى عنها بعد ان تكون قد عملت معنا معروفًا واكرمت رجالنا . وكان خورشيد شاه عندما كان بالاسكندرية راى من كرمان شاه بعض ميل من كولندان وانهُ كان ينظر اليها نظر المتعجب من ذلك انما كان لا يبدي شيئًا من دلائل الحب لعلمهِ بحبهِ لها وبحبها لهُ ولهذا قال للملك ضاراب اني لا افضل واحدة منهما على الثانية كونهما بدرجة واحدة من الحسن والاوصاف الحميدة انما لما كان سبق مني اليمين والعهد لتاج الملوك فمن الضرورة ان افي لها بوعدي وانما اسالك ان تسال ابن عمي كرمان شاه ان يقبلها زوجة لهُ واطلب ذلك حبًا بهِ لانها من السيدات اللواتي يندر وجود مثلهن في هذه الايام حسنًا وادبًا واكرامًا لها ايضًا بحيث تكون قد بدلتني بمن هو احسن مني حسنًا وكرمًا واليق لطفًا وادبًا ومتى وصلت هي الى هنا تعرض عليها ذلك

وتدعها ان تقبل ولا ريب انها تفرح به وتسر مزيد السرور . فلم يسع كرمان شاه الا الاجابة والرضا لان قلبه كان يشتعل بمحبة كولندان وهو لا يقدر ان يبديه او يبوح به اكرامًا لخورشيد شاه وما صدق ان سمع منه هذا الكلام حتى اجاب على ذلك وقال لولا اني اعلم ان ابن عمي هو في ارتباك من ذلك كالحجر بين شاقوفين وانه لا يرغب في كولندان مراضاة لتاج الملوك لما وافقته على ذلك بل كنت ارغب من كل قلبي ان اراه مسرورًا متنعماً والان حيث طلب اليّ ذلك تخلصاً من اللوم والعتب من احدى خطيبتيه فقد اجبته اليه ومتى جاءت فاطلب اليك ان تدعوها اليه وتعرض عليها امر خورشيد شاه وعدم اقتداره على القيام بوعده . فشكرهما الملك ضاراب على ذلك وقال يسرني ان ارى جميع رجالي وابناء عمي على وفاق وحب واني منذ وصول كولندان دعوتها الى اتمام هذا القصد وسألتها اجابة طلبنا

وفي اليوم الثاني ركب بهزاد بالامراء والاعيان الذين انتخبهم ليصحبوه في خدمة الملكة ثمرتاج ام فيروزشاه وودع الملك ضاراب وسائر الابطال والفرسان وخرج من مدينة قيصر قاصداً اجراء خطته وبقي الملك بتدبير اموره في المدينة مع بقية رجاله الى ان كان اليوم الخامس من دخولهم فيها واذ ذاك جمع الملك ضاراب ديوانه وقال اريد منكم ان تحاكموا طيفور فليس من نفع في بقائه ونخاف من ان يتخلص من الاسر اذا تغاضينا عنه ويفلت من ايدينا الى حيث لا نعلم ولا اريد ان اعدمه ظلمًا بدون ان يكون مستحقًا ذلك باتفاق الجميع كي لا اكون مسئولاً بين يدي العناية الالهية وامام الطبيعة الانسانية لا سيما وان من العدل ان لا يكون الملك مستبداً بكل اجراءاته لا سيما عند تحكمه بخليقة الله التي هو منها ونظيرها وقد امنه الله عليها كيف لا وهو لا يقدر ان يوجد واحداً مثلها وان كان يتسلط على مئات الوف منها وهذا ما لا يترك ضميري ان يرتاح اليه فاحكموا فيه بالعدل والامانة والا فانتم مسئولون لدى الله والملك فان كان مستحقًا للقصاص فاحكموا به فان القصاص ايضًا هو من الوجوب الشرعي اللازم في دواوين الملوك حفظًا لانتظام الهيئة العامة ودفعًا للاضرار التي تنتج عند عدمه . فاجابوه اليه وامر طيطلوس كبير الديوان ان يؤتى بطيفور فاسرع بهروز واحضره مقيداً الى بين ايديهم وعند دخوله نظر فيهم الى اليمين ثم الى الشمال ونظر الى الملك وقال حياك الله ايها الملك العادل الرحوم الكريم الذي اوجده الله كاملاً في جميع صفاته وزينه بالرقة والرحمة . فاجاب الملك تحيته ونظر الى الارض متواضعًا ثم قال لطيفور لست بعادل ولا راحم فالمعدلة الكاملة والمرحمة التامة هما من خصائصه تعالى وما انا الا عبد من عبيده اسلك الخطية وكثيرًا اعمل ما لا يرضيه . وها قد احضرتك الان لا لاظلمك بل لابدي امامك ضعفي وعجزي عن ان اعرف كيف اقوم برعية الرعايا المسلمين اليّ واني وان كنت اقدر الان بكلمة واحدة ان انفذ فيك القصاص غير ان الله سبحانه وتعالى جعل للملوك الدواوين والمعاونين

ليستشيروهم في امورهم ووضعت الشريعة لتكون كقضيب تاديب على كل باغ ولذلك قد طلبت من رجال مجلسي ان يحاكموك و يحكموا عليك بما تستحق حتى اذا راوا انك بريء من كل ما اتهمت به منعوا عنك المحاكمة وردوا الدعوى فاجازيك بالاحسان عوض القصاص . قال اني اريد ذلك وارغبهُ واسالهُ تعالى ان يظهر لديك براءتي لاني طالما كنت اعرف من نفسي اني ساحوز عندك بالمقام والرتب والمناصب اذا وجدت في ديوانك و وافق سيدي الشاه سرور على التقرب منكم والرضا الى طلبكم ولو اطاعني منذ البداية لما وصلنا الى هذه البلاد غير انهُ كان لا يرغب في زواج بنتهِ بفيروزشاه فجارينهُ عليهِ كوني وزيره وملتزم على الدوام بانفاذ مقاصده وعضدها

قال الشاه سرور اني منذ البداية كنت استشيره واخبره اني اميل الى فيروزشاه وارغب فيهِ فيمانع في ذلك و يبين لي انهُ مخل بشرفي وناموسي ان لم يكن على الطريقة المالوفة . فانكر طيفور رغبة الشاه سرور بفيروزشاه وقال لو كان يرغب فيهِ وفي صالح بنتهِ لما قدرت ان اقنعهُ وهل سمعتم ان ملكًا من الملوك الكبار يقاد الى اراء وزيره بالرغم عنهُ لاسيما وهو يوكد انها معاكسة لصالحهِ وعليهِ فاني ما كنت اقول لهُ امرًا الا اسنادا لقولهِ اليس هو آمري وولي نعمتي فما من سبيل لي بان ارجعهُ عن امر يريده حتماً ولي دليل وشاهد ان الوزير طيطلوس ملزوم على الدوام بمراضاة الملك ضاراب والسعي في كل ما يوافق مقاصده . فاجاب طيطلوس اننا نعرف ذلك انما على الوزير العاقل ان ينصح مولاه و يقوده بارائهِ وحكمتهِ الى ما بهِ الصواب وان كان الملك لا يصغى الى كلامهِ فلا يسلم معهُ بخراب بلاده كما فعلت انت واني اوكد كل التاكيد انك لو سعيت بنصيحة الشاه سرور لاجاب في الحال . قال اني صرفت الجهد في اول الامر فلم استفد شيئًا واخيرًا حبًا بكرامة سيدي حملت ثقل اوامره على عواتقي حفظًا على الامانة الواجبة عليّ نعم ان من الموكد ان الآمر يقدر على اجبار المامور غير ان المامور لا يقدر على اجبار الآمر فالشاه سرور هو وحده المخطيء ولست انا فلو شاء منذ اول وجود فيروزشاه في بلادنا معاملتهُ بالرفق واللين لما جسرت على منعهِ . فعند ذلك تقدم فيروزشاه بحضور هيئة المجلس وقال ايمكن لهذا الخائن ان ينكر ما ادعيهِ الان عليهِ من انهُ عند مجيء هورنك بعساكره الى تعزاء اليمن طلب الشاه سليم اطلاقنا من الاسر وارجاع سلاحنا الينا لندفع هذا العدو عنهم فمانع هو في ذلك وجعلنا وسيلة للمصالحة والسلام وسلمنا لهورنك ليقتلنا في ثار ولده . فاجاب طيفور اني لا انكر ذلك انما ما فعلتهُ كان من قبيل السعي في منع القتل عنك وعن فرخوزاد لان الشاه سرور كان قد اصر كل الاصرار على قتلكما واهلاككما فاتخذت هذا الامر وسيلة لابعادكما عن القتل املاً انهُ يسهل لكما الله من يخلصكما اذا طال في اجلكما وهكذا كان اليس كنتما اذ ذاك في اشد السجون عذابًا وقدمتما للذبح وحصل التاخير في ذاك الوقت باشارتي وقد قيل في الامثال لا تعمل خيرًا فلا تلقى شرًا . فقال الشاه سرور اني اشهد عليهِ اني كنت ازمعت

على اطلاقها عندما عرفت انها من شرفاء هذا العالم وابناء ملوك فمنعني وهو الذي بين لي الاسباب الموجبة لبقائها وقال لي مرارا ان فيروز شاه قد خرق ناموسك وحرمتك وقصد الايقاع بحريمك على غفلة منك لانه قبض عليه وهو يتسلق السطوح والجدران من مكان وجوده الى تصر عين الحياة وبسبب اقواله كانت تحركني نخوة المحاماة عن العرض فاصغى له ولم اكن في البداية اعرف ما هو حاصل بين بنتي وفيروز شاه من الحب الطاهر ولا اعلم باجتماعها قط . فقال الملك ضاراب اني لا انكر كون ولدي قد سلك في اول الامر سبيلا غير مناسب اخطا به غير اني عندما جئت الى نعزاء اليمن في طلبه لم اصادف ما كنت اظنه من التواطىء والاتحاد

قال وعند ذلك تقدم بهروز وقال اني شاهدته بعيني وسمعته باذني يحرك طومار الزنجي الى قتل فيلزور البهلوان وبقية الابطال الذين كانوا في اسره في نعزاء اليمن ولولا وصولي في نفس تلك الساعة بكتاب سيدي فيروز شاه لقضى عليهم جميعًا فدافع طيفور عن نفسه وجعلت تتقدم عليه الشكايات وتعدد الذنوب التي ارتكبها في مصر وغيرها حتى انتهوا الى الملك قيصر وقدم الشاه سرور عليه البرهان باتفاقه مع الملك قيصر واجباره على زواج بنته بانبوش مع انه كان يكره ذلك ولا يقبل به وبعد ان قتل انبوش وراى عدم اعتباره مني اتفق مع منكوخان على الكفر والعداوة وبعد ان ثبت على طيفور كل هذه الارتكابات ووجدانه مخطئ كل الخطاء ولم يقبل ان يعترف بخطائه وراى طيطلوس وبقية الفرسان والامراء انه استحق القتل لخباثته وتركه اخيرًا عبادة الله وميله الى مجاراة اهل الصين في عباداتهم طمعًا برضاهم حكموا عليه بالقتل وسلموه الى بهروز العيار لينفذ فيه الحكم المذكور فاخذه وابقاه الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني بعث فنادى بقتل طيفور خارج المدينة بين عساكر ايران واخرجه الى تلك الناحية فاجتمع عليه الوف من الناس يشاهدون مصرعه ليشتفوا منه وما من رجل بين كل عساكر الرومان والاعجام وغيرهم شفق عليه او تحسر على موته بل كان الجميع يطلبونه برغبة راغبين فيه . ثم ان بهروز جرد طيفور من ثيابه ودعا بكامل العيارين وامرهم ان ياتي كل منهم بسوط ففعلوا وقال لهم فليضرب به قبل موته كل واحد عشرين سوطًا دفعة واحدة ففعلوا حتى زهقت روحه وغاب من الالم والوجع وبعد ان فرغوا رجعوا عنه فرش على وجهه الماء ليعي الى نفسه ويرى موته فلا يموت غائبًا . وبعد ان وعى الى نفسه اخذ بهروز الخيطان الرفيعة فشدها على جسمه حتى دخلت في لحمه وانفجرت الدماء تتدفق من جسمه كالسحاب من كل ناحية وصوب وهو يصيح ويستغيث وما من راحم او مغيث حتى قرب من الموت وصار على اخر وعيه من مفارقته الحياة . فامر بهروز العيارين ان تنهب جسمه بخناجرها وان يقطع كما قطع شياغوس ففعلوا وقطعوه وذهبت روحه الى النار وبئس القرار وقد اشتفى به الجميع وارتاحوا ولا سيما الشاه سرور فان قلبه كان مملوءًا من بغضه بعد تلك المحبة والانقياد الاعمى ولما بلغ عين الحياة موته

سرّت مزيد السرور وشكرت الله على نوال ما تشتهيهِ من عدوها الذي حملها كل هذه الاثقال المتقدم ذكرها

وبعد ان ارتاح بال الملك ضاراب ووجد ان لا شيء بعد يكدره تقدم منهُ فرخوزاد وسالهُ ان يبعث الى الامير دولاب الذي كان عنده يستدعيهِ وقد اعتنى بهِ وانتشلهُ من الموت فقال لهُ لقد اصبت ومن العدل ان نكافي فاعل الجميل معنا على جميلهِ كما اننا نقاص فاعل الشر على شروره . ثم بعث فاحضره مع رسول مخصوص فلما حضر وجد فرخوزاد في ديوان الملك ضاراب فخاف في بادىء الامر الا ان فرخوزاد تقدم منهُ وسلم عليهِ وقال لهُ الملك ضاراب اننا لا ننسى لك جميلاً فعلتهُ مع رجل ايراني من رجالي لا بل مع امير وسيد من قومي وقد بعثت اليك لاكافيك على هذا الجميل فقال اعلم ياسيدي اني ما فعلت شيئًا الا وجب عليَّ فعلهُ قيامًا بحقوق الانسانية ومع كل ذلك فاني لم اعرفهُ ان كان ايرانيًا او رومانيًا او غير ذلك ولم ارد ان اعرف ذلك كي لا اكون قد فعلت [illegible] ممن اكافى وكان ذلك لخيري ونفعي فقد كافاني هو نفسهُ وقاتل لي عدوًّا فقتلهُ [illegible]تي وهذا الجميل هو اعظم جدًّا من كل جميل ومعروف . فسر الملك ضاراب من [illegible] قال لهُ اعرفك بهِ الان واخبرك من هو فهو فرخوزاد ابن فيلزور البهلوان بهلوان [illegible]ادي وقد رماه الله بيدك ولم يقبل ان يوصلهُ الى غيرك والا ربما لوكان وقع بيد [illegible]يب بمصيبة كبرى ولهذا اردت ان اكافيك فاطلب اما ان تاتي بقومك فتقيم بين [illegible]ك كرسيٌّ في ديواني كبقية الامراء او اطلب مقاطعة فاقيمك عليها حاكمًا . قال اني [illegible] ان انشرف دائمًا بالمثول امامك وبين يديك فاذا كنت تسمح لي بان ابقى على ما [illegible]نك فتلك منة لا اظن احصل عليها . قال اذن اذهب فأت بقومك الى بين قومي [illegible] لك العلوفات والمعينات كبقية رجالي المنازين ففعل وجاء المدينة واقام بقومهِ بين قوم [illegible]اد اي رجال اليمن الذين جاءوا مع انوش حيث استلم قيادتهم هو وصار الملك ضاراب [illegible] في هناء وراحة منتظر مجيء زوجتهِ لاتمام الزفاف وهو يقيم في المدينة يومان ويخرج [illegible] وبين عساكره خمسة ايام في الفلاة وفرخوزاد مع انوش في مسرة وحبور مقيمان في كل [illegible] على المصافات والمودة وشرب العقار ومثل ذلك كان بهمنزار قبا مع كليلة بنت ملك الشام [illegible] بفيروزشاه فانهُ كان لا يخرج في اليوم الا ساعة فقط فياتي الى ابيهِ ويقبل ايديهِ ويستاذن منهُ ثم يعود الى قصره على ما هو عليهِ من دواعي الانس والصفا واما طيطلوس فانهُ داوم اعداد المعدات وتهيئة ما يلزم للعرس من مفروشات واحتفالات وولائم ونحوها

هذا ما كان من هولاء واما بهزاد فانهُ سار عائدًا من الطريق الذي جاءوا منهُ وبين يديهِ امراء الفرس المتقدم ذكرهم ولا زال يتقدم حتى قرب من مصر فخرج الى ملتقاه الشاه صالح مع وزرائهِ

وادخلوه المدينة ومن بعد ذلك سالوه عن الملك ضاراب فاخبرهم بكل ما كان من امره وقال
للشاه صالح ان سيدي الملك بعثني لاحضر له زوجته تمرتاج ام فيروزشاه حيث في نيته زواج ولده
هناك ولهذا السبب عمد ان يزف ايضاً كل فرسانه وابطاله وابناء عمه بيوم واحد ولاجله امرني ان
احضر معي طوران تخت اثناء رجوعي من ايران وان ادعو من كل امراء مصر من يرغب في حضور
هذا العرس المسير معي كي يكون العرس شاملاً كاملاً فارجوك ان تهيأ اختك وتجهز امرها حتى
اذا مررت وقت رجوعي اصحبها معي فلا اتاخر بذلك . فاجابه واقام يومين في مصر وسار منها الى
الاسكندرية وعرض على كواندان الامر نفسه وطلب ان تكون على استعداد الى حين رجوعه
ذهب من هناك الى لدن الطائف فالتقته تاج الملوك وسالته عن حالته فحكى لها ما جاء لاجله ففرحت
في داخلها وكانت تتقلى كغيرها من بنات الملوك لانقطاع خبر الفرس عنهن كل هذه المدة في
الرومان ومصر . قال و بعد ان اقام في الطائف نحو ثلاثة ايام ودع من هناك وانطلق الى تخت
اليمن الى حضرة الشاه سليم فخرج لملتقاه عندما علم بقدومه وهو مشتاق لان يعرف ماذا جرى على
الفرس في تلك البلاد وعلى بنته انوش التي ارسلها لمعونتهم فلما التقا ببهزاد ترحب به واحتفل به
الاحتفال كرامة له . و بعد ان قرأ مكتوب الملك ضاراب قال لا بد من المسير معك ...
باشتياق عظيم الى تقبيل ايديه . و بعد ان صرف ايضاً نحو ثلاثة ايام في تلك المدينة ودع الشاه
سليم وسار يقصد ايران بجماعته الى ان دخلها محفوفاً بالتعظيم والاكرام لان اهل المدينة ...
بقدومه خرجوا عن بكرة ابيهم ليسلموا عليه وليعرفوا ما سبب مجيئه وما وراءه من الاخبار ...
صرفوا اكثر من ست سنوات لا يعلمون امراً عن ملكهم ورجالهم ولهذا كانوا باضطراب وقلق ينتظرون
يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر الاستطلاع على خبر جديد يصل اليهم منه فلما عرفوا هذه المرة بقدوم
بهزاد خرجوا باجمعهم تشوقاً الى ما تقدم وفي مقدمتهم امين المدينة ولما راوه سالوه عن سبب حضوره
فنادى بينهم بنصر الفرس على اليمن ومصر الى حد بلاد الرومان واخبرهم بعرس فيروزشاه هناك
ففرحوا مزيد الفرح واخذوا في ان يصفقوا و يرقصوا و يطربوا ودارت الولائم فيما بينهم

واما بهزاد فانه سار الى حضرة الملكة تمرتاج فسلم عليها و بشرها بكل مسرة ودفع اليها كتاب
طيطلوس فقرته وفرحت الفرح العظيم وشكرت الله على مثل هذه المنة الكبرى وقالت لبهزاد
ان الله معنا على كل حال وان كنت ارغب في ان يكون زفاف ابني في بلاده لكن من ارادة العناية

انتهى الجزء السادس عشر من قصة فيروزشاه

وسيليه السابع عشر عما قليل ان شاء الله !

الجزء السابع عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

ان لا يكون هنا واني ساستعد للرحيل بعد ايام الى بلاد الرومان فقط لما كنت اعرف ان كثيرًا من رعايا دولتنا يرغبون في حضور عرس ملكهم وابن ملكهم ومن احبوه الحب الزائد اطلب اليك ان تبعث المنادين ينادون في المدينة ان بعد عشرة ايام نسير عنها الى حضور عرس فيروزشاه فمن يقبل في مرافقتنا فليكن حاضرًا وان مصاريف السفر والطريق هي على خزينة ايران . فاجاب سوالها وامر امين المدينة ان يفعل ذلك ففعل واخذت الناس في ان تستعد للمسير وذهب بهزاد الى قصر ابيهِ واجتمع بوالدتهِ ونعى لها اباه فبكت و بكى عليهِ مدة ثلاثة ايام وعملوا لهُ مناحة كبرى وجددوا لهُ العزاء في ايران ثلاثة ايام والناس ترد افواجًا افواجًا للتعزية . ومن ثم اخبر والدتهُ بما انعم عليهِ الملك ضاراب وانهُ رفعهُ الى رتبة عائلتهِ وان اخاه فرخوزاد سيزف على انوش بنت الشاه سليم ففرحت وهيأت نفسها للمسير معهم الى بلاد الرومان لتحضر عرس ولدها فرخوزاد وتكون برفقة الملكة تمرتاج

هذا و بقي بهزاد في المدينة نحو عشرة ايام والمدينة في استعداد وفرح ولما انقضت المدة طلبت تمرتاج من بهزاد ان يركب في اول الجميع بجماعتهِ و يخرج الى الخارج لتتبعهُ الاهالي الذين رغبوا في السفر معهم . فخرج بهزاد في المقدمة ورفع العلم الفارسي المخصوص بهِ فوق راسهِ وامر ان يتبعهُ كل من يرغب في المسير الى الملك ضاراب ليشاهد زفاف فيروزشاه وما استقر في خارج البلد حتى ازدحمت حواليهِ الاقدام وغاصت تلك الارض بالابطال والفرسان والاهالي من شيوخ وشبان واطفال ما بلغ عددهم اكثر من خمسين الف نفس وتبعهم بعض نساء الامراء واولادهم واطفالهم حتى كان لهم مشهد عظيم جدًا ومن بعد ذلك خرجت الملكة وهي مزينة بابهر الزين في هودج من الحرير مجلل بالمنسوجات المزركشة بالفضة والذهب ومشى بين يديها بهزاد وجماعة الامراء والاعيان وكان الى جانب الملكة ام فرخوزاد و بعض الجواري المختصات بها لاجل خدمتها واذ ذاك تحركت ركابهم من ايران وخرجوا عنها بعد ان اوصوا امين المدينة الذي قائم بصفة الحاكم عليها بالتيقظ والانتباه ومشت بين ايديهم الاحمال مرفوعة على ظهور الجمال من تحف ايران ومن مصنوعات العجم لتقدم في عرس فيروزشاه واخذت الملكة شيئًا كثيرًا من مثل هذا لتزين به عرس والدها واصحبت معها من الجواهر ما يندر وجوده لتفرغهُ على كنتها يوم زفافها ودام المسير نحو اربعين يومًا تقريبًا حتى وصلوا الى تعزاء اليمن واسرع المبشرون يبشرون الشاه سليم بقدوم

الملكة فامر ان تخرج الموسيقات اليمنية والسناجق باجمعها وان تركب الامراء والاعيان باحسن ترتيب ونظام لملاقاة تلك السيدة الجليلة وخرجت زوجة الشاه سليم ونساؤه ولما التقوا بها قدموا لها الاكرام والترحيب وهنأوها بالسلامة وعادوا بين ايديها يطربون ويغنون مظهرين فرحهم الى ان ادخلوها المدينة وانزلوها في القصر الذي كان لعين الحياة وحكى لها بهزاد عنه فقالت اني اسر ان اقيم في مكان كانت تقيم فيه قبلاً كنتي ومن احبها والدي واني دون ان اعرفها او اراها فقلبي مملوء من الشوق اليها والحب الفائق الحد واني اتمنى ان اصل اليها واشاهدها واروي شوقي منها غير ان كل آت قريب . ثم امرت بهزاد ان يطلب من الشاه سليم سرعة المسير اذ لا يمكنها ان تقيم اكثر من خمسة ايام فقط للراحة فاجاب وباقل من المدة المذكورة هيأ الشاه سليم كل شيء وامرت ايضاً الملكة ان ينادى في نعزاء اليمن ان من يرغب في حضور زفاف فيروزشاه على سيدتهم القديمة عين الحياة فليخرج معهم على نفقة الدولة وكان كثير من الاهالي يرغبون ذلك فما صدقوا ان سمعوا حتى حملوا ثيابهم واستعدوا مزيد الاستعداد وخرجوا مع رجال ايران وكاد عددهم ينوف عن اربعين الف نفس وبينهم الشاه سليم رافعاً الرايات اليمنية المخصوصة بملوكها وساداتها وبعد ان سارت الجموع الى شطرين الفرس من اليمين واليمنيون من الشمال ركبت الملكة هودجها المكلل بتيجان الهيبة والوقار ومشى بين ايديها بهزاد كالعادة برفاقه وقد قالت له اني لا احب ان انزل في مكان بعد او ادخل مدينة الا في مصر للراحة ومن ثم اسير الى الرومان دفعة واحدة لاني اعلم ان الملك ووالدي هم بالانتظار يطلبون حضوري ولو على اجنحة البرق ولذلك ارغب جداً ان لا اضيع من الوقت ساعة فابعث امامنا رسولين احدهما الى لدن الطائف لتركب تاج الملوك بمن يريد ان يركب وتسير بقومها بين رجالنا والاخر الى الاسكندرية الى كولندان لتاتي الى مصر برجالها الذين يرغبون حضور هذا الزفاف وبهذه الاعمال نختصر الوقت اختصاراً مناسباً وندع الملتقى والمواجهة الى بلاد الرومان فالوقت ثمين الان فاجاب طلبها وفعل ما امرته ان يفعل

ولما قربوا من لدن الطائف بقيت الجموع سائرة ونقدم بهزاد من المدينة فوجد تاج الملوك بالانتظار فامرها ان تركب في هودجها وتسير بقومها فامتثلت وهي لا تصدق انها سائرة الى ملتقى خورشيد شاه وانها ستنضم الى جنبه بعد قليل من الايام وركب معها من قومها نحو خمسة الاف نفس من كبار قومها وساروا في جنب جيوش الفرس بعد ان حملوا من بلدهم الاحمال النفيسة من الاطياب والمفاخر ليقدموها في عرس فيروزشاه وعرس سيدتهم تاج الملوك وداموا في مسيرهم على هذا الترتيب ينزلون وقت الليل وقبل بزوغ الشمس يركبون واكثر الاوقات ياكلون على ظهور الخيول حتى قربوا من مصر وشاهدوا اسوارها عن بعد فارسل بهزاد رسولاً يخبر الشاه صالح ووزيره ابا الخير بقدوم الملكة زوجة الملك ضاراب وكان المصريون على استعداد لذلك فخرجوا

عن بكرة ابيهم نساء ورجالاً احتفالاً بها ولمقامها والنساء تزغرط والاولاد تنادي بالفرح والموسيقات تعزف بالتهاني وادخلوها الى المدينة على احسن اكرام واحتفال وادخلوها قصر طوران تخت فتلقتها وترحبت بها وقبلت يدها وكان القصر مزينًا بابهى زينة وافخرها وانزلتها في الغرفة التي كانت تقيم فيها عين الحياة وبعد ان استقر بها المقام جاءت اليها طوران تخت وقبلت يدها وجلست الى جانبها تحدثها بما وقع لها مع عين الحياة ومجيء فيروزشاه الى القصر ليلاً فتعجبت وارسلت على خدودها دمعة رقيقة وقالت ان محبة ابني لها محبة الآلهة ولولا ذلك لما كان يخاطر بنفسه لاجلها ولا كان جرّ كل هذه الملوك والفرسان للمحاربة ست سنوات واهلك الوفا ومئات الوف من الابطال لاجلها ولولا تستحق ذلك لما فعل . وكانت تمرتاج تنظر الى طوران تخت وتعجب من حسنها وجمالها وبهائها ولين قوامها وقالت لا ريب ان مصفرشاه يستحقها فهي جميلة الوجه والمعنى وهو كذلك وكانت تتمنى ونفسها تشتاق ان ترى عين الحياة اتعلم هل هي على كل هذه الاوصاف المحكي عنها لتكتسب هذه المحبة العظيمة من ابنها حتى انه مرارًا كثيرة ما فداها بنفسه وطلب الهلاك لاجلها وكانت تحبها لحب ابنها دون ان تقدر ان تتصور معنى جمالها لانها لم ترها قط ولا وصفها احدامامها . ولما عرفت الملكة بعمل ابي الخير الجزار واحيائهِ لوالدها دعته اليها وانعمت عليه وقالت له اني لا انكر معروفًا عملته مع ولدي ولذلك اطلب اليك ان تسير الى الرومان لتحضر عرسهُ وتنادي في المدينة ايضًا ان كل من رغب في المسير معنا فلا يتاخر ولا ريب ان ولدي يشتاق اليك ويحب من كل قلبه ان يراك في يوم عرسه حاضرًا فرحه لانه يتذكر معروفك ولا اظن ان احدا عامله مثلما عاملته . ففرح ابو الخير من مجابرتها ورقة خطابها وشكرها وقال لها من انا يا سيدتي لاكرم منك ومن ولدك فاني عبد من اضعف عبيدكم وقد رفعني سيدي الملك الى رتبة الوزارة وجعل لي مقامًا بين هذا العالم وصرت غنيًا بعد ان كنت فقيرا واني احب من كل قلبي ان انشرف في خدمة اعتابهِ يوم زفافهِ فاثنت عليهِ مزيد الثناء وقالت له من الواجب ان تكون انت من اقرب الناس اليهِ

ثم انه خرج من بين ايديها وهو يردد الشكر لها ويتعجب من انسها ولطفها وقال لا ريب انها تستحق ان تكون ملكة لفارس ولغيرها وزوجة للملك ضاراب واماًّ لفيروزشاه لانها اكرم النساء ادبًا ولطفًا وخصها الله بكل فضيلة . وبعد خمسة ايام من وصول الملكة الى مصر وصلت كولندان برجال الاسكندرية وكان يبلغ عددهم نحو ٣٠ الف نفس وبلغ ذلك الملكة فامرت ان تبقى في الخارج مع قومها وفي هودجها وامرت بهزاد ان يخرج الى الخارج وينادي بالرحيل ففعل وسار الى كولندان فترحب بها وقال لها ان الملكة كانت بانتظارك وهي في هذه الساعة طالبة مبارحة هذه الديار فطلبت اليه ان يقدم احترامها وشكرها للملكة . وكان الجميع ولا سيما البنات

يرغبون في سرعة المسير الى الملكة . وباقل من ساعة خرجت اهل مصر من كبار وصغار ما يبلغ عددهم نحو مائة الف نفس في خدمة طوران تخت وبين ايديهم الهدايا والتحف ما غلا وندر وقدم الشاه صالح خراج مصر الى الملك ضاراب في ذلك اليوم من كل موجدات مصر فحمل نحو مائتي الف جمل تحمل الاحمال على ظهورها الحنطة المصرية ومثلها وغيرها تحمل من كل ما يليق بان يقدم في عرس فيروزشاه . وبعد ذلك خرجت الملكة تمرتاج راكبت في الهودج وركبت طوران تخت في هودج اخر وسارت بين قومها المصريين ومن ثم سار الجميع مودعين اهالي مصر وديارهم وداموا في مسيرهم عدة ايام وكلما قربوا من مدينة او بلد وعرف اهلها خرجوا للتقائهم وقدموا الملكة احترامهم وافرغوا بين يديها الهدايا والتحف وسار منهم جماعة لحضور هذا العرس العظيم حتى ضاقت الارض منهم وامتلأت من كل جوانبها حتى من كان واقف في اول القوم لا يقدر ان يدرك اخرهم قط وكذلك من وقف بين الاحمال من الاول لا يمكن ان يدرك الاخر وكان نحو ثلاثين الف عبد تسوق الجمال والاحمال ومثلها في مقدمتها راكبة على ظهور الخيول لتقودها وراءها ونحو ثلاثين الف راع تسوق القطعان والمواشي وما هو من فصيلتها . والكل يتقدمون شيئًا فشيئًا حتى قربوا من ملاطية وشاهدت الملكة اثار الوقائع هناك واستفهمت من بهزاد فاخبرها بما وقع عندها وما كان من امر صاحبها سيف الدولة وخرجت اهل ملاطية لالاقاتها وطلبوا اليها ان تعرج فترتاح عندهم قليلاً فاجابت الى ذلك ودخلت المدينة باحتفال عظيم واقامت في القصر التي كانت فيه عين الحياة مع امراة سيف الدولة وبعثت من هناك الرسل الى الملك ضاراب تعلمه بقرب وصولها وانها ستقيم في انطاكية يومين او ثلاثة ايام كي ترتاح من التعب الذي لاقته في سفرها هذا كونها كانت تسير بسرعة كلية

وبعد ان اقامت نحو ثلاثة ايام في المدينة على اكرام وترحيب وولائم فاخرة ركبت وسارت وامرت الجموع ان تسير وكانت منقسمة الى قسمين كما تقدم واحدًا الى اليمين والاخر الى الشمال وبين يديها بهزاد وجماعته وما بعدت يومين عن المدينة حتى وصلت اطراف الجماعة الى مدينة قيصر مع ان الملكة كانت تبعد عدة ايام ولهذا خرج الملك ضاراب بنفسه وخرج ولده فيروزشاه وطيطلوس الحكيم ودوش الراي وسيف الدولة وجميع فرسان فارس وانصارهم والموسيقات تعزف باصوات الهناء اكرامًا وترحبًا بملكتهم وساروا بترتيب وانتظام في وسط القادمين حتى التقوا بتمرتاج وهي في هودجها فسلموا عليها وهي فيه وهنأوها بالسلامة واحدًا بعد واحد وكلهم يتعجبون مما صحبت معها وما جاءت به وتاكدوا انه سيكون لفيروزشاه عرسًا لم يسبق لغيره تجتمع به الالوف ومئات الالوف والملايين من الناس وتفرغ لاجله الخزائن والصناديق ونحوها وتنحر فيه الجمال والنياق القطعان مما لا يمكن عده وحصره . ثم تقدم الشاه سليم من الملك ضاراب وولده وسلم عليهما وهنأهما

بالانتصار والظفر فترحبا بهِ كثيرًا وشكراه على غيرتهِ ومعروفهِ واهتمامهِ وابديا لهُ كل موانسة ولطف وفعلا ذلك مع كافة الامراء الاتين والرعايا صغارًا وكبارًا ثم تقدم فرخوزاد من الشاه سليم وقبل يديهِ فقبلهُ وبكي كل منهما بكاء الفرح بملتقى الاخر وسالهُ عن بنتهِ فاخبرهُ انها في راحة تامة وكذلك الشاه سرور فانهُ سلم عليهِ وهناه بالسلامة وبعد ذلك ساروا راجعين الى المدينة وامر الملك طيطلوس ان ينزل تلك الجموع في منازل موافقة كلٌ على حدة في ضواحي المدينة بحسب ترتيبهِ وتدبيره فاجاب الى ذلك واسرع الى هذه المهمة حتى اقام كل فريق في ناحية وضربت لهم الخيام وعينت لهم الخدم لتقديم الموائد والاطعمة ودخلت الملكة الى المدينة وقد فرشت لها الاسواق بالاقمشة الفاخرة لتدوس عليها ومعها الامراء والاعيان الى قصر الملك واخذ البنات الاتين معها الى قصر مخصوص ودخلت القصر فرحت من كل ما تشاهد وترى وكان اكثر سرورها بولدها وقد اخذتهُ الى جانبهِ وهي لا تفارقهُ وتنظر الى وجههِ نظر الحنو والرافة وتشكر الله على سلامتهِ وعلى انها عاشت ورأتهُ سالمًا ولما استقر بها المقام قدمت لها الماكل والمشارب ثم طلبت الراحة والمنام فانصرف عنها الجميع وهم يوملون بقرب يوم الزفاف اذ لم يكن من مانع بعد يمنع او يبعد ثم دخلت الملكة غرفة المنام بعد ان قبلت ولدها الوف قبلات وتبكي وتشكر الله وهو يقبل يديها ونامت مرتاحة وسار فيروزشاه الى قصره واجتمع بجهان افروز وعين الحياة فلاقتاه كالعادة واكرمتاه وهنأتاه بسلامة امهِ ووصولها اليهِ فشكرها وقال ان من اللازم ان نصرف هذه الليلة بالحظ والسرور والفرح اذ اني اعلم ان امي في الغد تاخذكما اليها ولا اعود اراكما الى حين الزفاف حيث ذلك واجب في مثل هذه الظروف فهي بنفسها تقوم بشانكما وشان جميع بنات الملوك . فاجابتاه الى طلبهِ وروقتا المدام وصرفتا ليلة بالانس والصفاء معهُ لم يسبق ان صرفوا مثلها الى حين الصباح

قال ولنعد الى طيطلوس الحكيم وما وقع لهُ في كل هذه الاثناء وهو انهُ لما اقام الامراء بعد تملكهم المدينة في قصورها واخذ كل واحد قصرًا لنفسهِ يقيم فيهِ اخذ طيطلوس قصرًا لهُ مع خدمهِ وحشمهِ وقد سرَّ من انتظامهِ وكان في ذاك القصر جارية تصلح شانهُ وترتب اموره واثاثهُ في كل صباح ومساء وتفرشهُ بحسب مشتهاها وهي رومانية لا تعرف الفارسية ولا غيرها وكانت من الحسن على جانب عظيم جدًا بيضاء اللون صافية الخد مشربة بحمرة ذات قدّ قويم ولين وانعطاف على اتم ما يكون من الحسن الذي يروق في عين من هو كطيطلوس خبير باحوال العالم يعرف الحسن الكامل ويعلم الصفات الحسنة . ولما وقعت عينهُ عليها تحركت فيهِ لواعج الوجد بالرغم عنهُ واراد ان يضبط نفسهُ ويمنعها عن سلوك هذا السبيل فخرج من القصر وطاف في جهات المدينة لوحده دون نتيجة لانهُ كلما اجتهد ليبعد عنهُ هذا التصور تطرق تلك الجارية افكاره وتلوح امام عينيهِ بقدها وجمالها وبهائها فيزيد بهِ الوجد واينما سار يتبعهُ . الى انهُ اخيرًا وعي الى نفسهِ وقال ما هذا

الامر يا ترى اليس ذلك من تدبيرات العناية فاني عشت عمرًا طويلا دون ان اعرف فتاة او اميل الى فتاة وكنت ارى من ذاتي اني اقدر على رد جماح النفس بما اعطيت من الحكمة والجلد اما الان فلا سبيل للهرب من العشق فهو سلطان كل ميل ولا يرد قط بفضيلة ولا بصبر فالعشق وحده هو الذي يتسلط على عقول الحكماء والملوك والامراء والافراد ولا يفرق قط بين احد ولا يكرم احدا فاذا جاء انسانًا تحكم فيه بقدرته ومن مانعهُ زاد عليهِ وضيق بكل طرقهِ وطرائقهِ ورماه بالقرش والعذاب ولا يراعي لا حكمة ولا فلسفة ولا ادبًا ولا معرفة ولا سلطانًا . وماذا يا ترى يمنعني عن ان اتخذ هذه الجارية حليلة واساوي غيري من ابناء الملوك والوزراء وهي في يدي وتحت سلطاني . ثم فكر في الارض برهة وقال وماذا يا ترى يقال عني اذا اخذت جارية وهي خادمة في القصر الا يوجد بين بنات الملوك والامراء من يصلح لي وباي طريقة يمكن ان اخبر الملك ضارابًا بذلك ولا ريب ان الجميع يهزأون بي في عقولهم ويحكي الناس بحقي فيقولون تزوج بجارية اعدت لخدمة القصر واصلاحه

قال وبعد ذلك عاد الى القصر وهو معتمد على الزواج بها ولم يرَ مانعًا قط الا ما يتصوره من دناءة اصلها وانحطاط قدره بين رجال فارس وهذا كان يشغلهُ ويهتم الى تدبيره وبعد ان دخل القصر وقع نظره عليها فتحركت فيهِ اللواعج وهاج بهِ الغرام فدعاها اليهِ وكان يعرف اللسان الروماني فاظهر لها كل لطف ورقة وكرامة فقابلتهُ بالمثل وابدت لديهِ من الرقة واللطف ما زاد في هواه وصرف كل السهرة على تلك الحالة كلما بعدت عنهُ ساعة وانفرد بنفسهِ يتبلبل بالهُ ويضيع صوابهُ فيعود الى طلبها ويدعوها اليهِ ويكلمها كلامًا خارجًا عن دائرة الحب والشكوى حتى لحظت منهُ كل ما هو واقع فيه فصبرت عليهِ ولم تقبل ان تبدي اقل حركة تجيب بها على افكاره بل كانت تظهر لهُ من الوداعة واللطف واللين ما يظهر لهُ انها ليست من الجواري بل هي من درجة عالية . فقصد امتحانها ليعلم ما هي عليهِ من المعارف والاداب فوجدها مهذبة كل التهذيب عارفة بالتاريخ والجغرافية واحوال الممالك والبلدان وقالت لهُ في اخر كلامها اني شاعرة اقول الشعر جيدًا بالرومانية حتى يندر بين قومي من يقولهُ مثلي فسر من كلامها وقال لها هل لك ان تسمعيني شيئًا من شعرك لارى رقتهُ فلا ريب ولا شك انهُ يكون بديعًا لطيفًا لكونهِ صادرًا من فتاة اتقنت الحكمة والتهذيب حتى اصبحت على غاية ما يرام . فانشدتهُ باللغة الرومانية ما يقرب معناه بالعربية قولها تمدحهُ

ابا سيدًا حاز المكارم واللطفا ... ومن شاوه في حلبة الفضل لايخفى
لمثلك يعنو القول نظمت عقده ... وقرطت اذان المعالي بها شنفا
وكم لك في طرق البلاغة من يد ... هصرت بها غصن الوداد مع الاكفا
فذلك قد افرزت للفضل اعينًا ... فشارف ذرى العلياء وامدد لها كفا

تحظى بها نعمى عليك مفاضة — وترشف معسول الاماني بها رشفا
دهاك بها انسان عين اولي النهى — الوكة اشواق من الاخلص الاصفا
نهاديكم عرف الرياض تحية — وننشر من صفو الوداد لكم صحفا

وكانت تنشد بلغتها الرومانية وفي لسانها لثغة تزيد في حلاوة انشادها وحديثها حتى خيل للوزير طيطلوس العاقل الحكيم ان كامل العشق برمتهِ واوائلهِ واخره قد وقع عليهِ فلم يبقَ لهُ من صبر ولا جلد وكان ينطق بما انطوى في ضميره فمنعتهُ عزة نفسهِ من ان يكلم جارية بهذا الشان او يفاتحها بغرام وحب لجهال العالم وشبانها وعظم عليهِ الحال حتى كاد يفقد عقلهُ و يغيب عن وعيهِ ولحظت هي منهُ ذلك وعرفت ان بقاءها عنده يضر براحتهِ فقصدت ان تدعهُ ينام وثبت لديها كل الثبوت انهُ وصل الى الدرجة الاخيرة من حبها . فقالت لهُ اعلم يا سيدي ان النعس قد فعل بي اشده حتى لم اعد اقدر ان ابقى بين يديك فاسمح لي ان اذهب الى فراشي انام هذه الليلة كوني تعبة . فقال لها لا ريب اني ارغب في راحتك فاذهبي الى فراشك ونامي امينة مطمانة فقبلت يديهِ وخرجت مظهرة كل ادب واحتشام . و بعد ان بعدت عنهُ زاد بهِ الشوق فاخذ يفكر في محاسنها وفيما هي عليهِ من الحسن والجمال والرقة والاداب وتلاعبت بهِ البلابل وحركتهُ دواعي الحب فاراد ان يلهي نفسهُ بالنوم فلم يقدر فعاد الى مكانهِ واشعل غليونهُ وهو يتعجب من نفسهِ ومن افكاره وكلما اخذ ان يلوم قلبهُ على هذا التطرف بالحب عاد اليهِ واقنعهُ انهُ مضطر اليهِ وانهُ لا يقدر على تركهِ . ولم يرَ وسيلة تخفف من مصائبهِ الا التهائهِ بالقصائد والشكوى فيها فجعل ينشد

فديتك لو وطئت على جفون — لما كادت تنبه من كراها
وقد سدلت غدائرها لتخفى — اذا ابتسمت صباحًا في دجاها
وفي طرف الخباء ليوث حرب — تدور عليهم ابدًا رحاها
خشيت بسدلها في الحي من ان — يهب اشطهم ادنى شذاها
بدت فوجمت من دهش كاني — نظرت الى وداع من لقاها
وقد حصرت حياء عن نظيم — فسيفهُ نثارًا مقلتاها
فلا انسى وقد آنست وطابا — ندي بما يحدثنيهِ فاها
حمام في الغصون تنوح شوقًا — تبوح بسر ما يطوي حشاها
فكان الغصن لي غصنًا وكان الـ — حمام لنا بان جمت نواها
فقمت لموقف التوديع اطوي الـ — ضلوع من الشجون على لظاها
فلم اك ان ارى من بعدها في الـ — [illegible] احسن من حلاها

وكان عندما ينشد الشعر يبرد بعضًا من غليلهِ فيضحك من نفسهِ كيف انهُ علق بالحب والغرام

وهوى جارية من الرومان مع ان اكبر بنات العالم كانت ترغب في ان تكون زوجة له لمقامهِ واعتباره بين رجال فارس ولحكمتهِ وادابهِ وتعقلهِ ولا يستقر على مثل هذا الضحك حتى يجد من قلبهِ منبهًا قويًا يسهل لديهِ طرق الغرام ويطلعهُ على سرائره وان ليس في الحسن جارية او سيدة فسيان عنده يزور كل من يطيب له ان يزوره وكان يتعجب كيف ان جارية مثل هذه تربت على الخدمة والضنك قدرت ان تتعلم مثل هذه العلوم وتعي في صدرها معارف يعجز على حمل مثلها غيرها من عقلاء الرجال لا بل من الملوك والوزراء . ولم ياخذه نوم كل تلك الليلة وفي الصباح نهض وخرج من غرفتهِ على امل ان يراها فلم يرها فعلم انها نائمة فخرج الى ديوان الملك وكان ذلك قصدًا منها لانها حاولت ان تبقى الى بعد خروجه اختشاء من ان يشغلهُ مرآها فلا يخرج الى الديوان وربما خرج هائمًا متاثرًا من جمالها وبهائها فتظهر حالتهُ حالاً الا انها في المساء اصلحت نفسها اصلاحًا مرتبًا محمولاً على الادب والوقار ولاقته وحينئذ وقدمت له الطعام بيدها فجلس على المائدة ياكل وخرجت من امامهِ الى ان اكتفى ثم قام الى غرفتهِ ودعاها واخذ يشاغلها باحاديث العالم وامور الدين فوجدها على اقوى جانب تعي في صدرها اديان العالم وعباداتهم الى اخر السهرة ثم استاذنت وخرجت وصرف تلك الليلة كالليلة الاولى وفي الصباح نهض وسأل عنها فقيل له نائمة فانتبه الى غايتها وشكر ذلك منها كل الشكر وخرج الى ديوانهِ وهو لا يصدق ان ينصرف ذلك النهار حتى يعود الى قصره ويشاهدها ولما انقضى وانفرط الديوان رجع وهو مهموم من حالتهِ يحب ان يطلعها على امره ويبوح لها بغرامهِ وقال في نفسهِ الى متى هذا التهامل فاني ان صبرت على ذلك مدة ايام اصبت بمرض اليس انا طيطلوس المعروف بالحكمة والتدبير فاين ذهب عقلي وتدبيري وممن استمد المعونة واطلب اليهِ التدبير واذا كانت جارية لا باس فتلك قسمة لي من الله تعالى ونصيب كتب لي ومن الموافق ان احلها محل الاميرات من النساء وارفع شانها واخفي امرها الى حين زفاف فيروزشاه فاظهره وابديهِ علنًا وهذا ضروري لاني تاكدت ان لا مفرَّ منهُ ولا مهرب قط واذا كنت اعلم ذلك فلما الاصرار على العناد . وعول ان يفاتحها بحبهِ تلك الليلة ويطلعها على اسرار قلبهِ ويمنعها من الخدمة ويحلها محل السيدات

قال ولما دخل القصر وجدها بانتظاره فتلقتهُ بالترحيب والاكرام وابدت له من الرقة والعذوبة ما اسكره ودخلت بهِ الى غرفة الطعام فجلس على المائدة وجلست الى جانبهِ واخذت تاكل معهُ كالسيدات وهو يتعجب من ذلك كيف وعت الى افكاره وسعت فيها قبل ان فاتحها وثبت عنده انها ادركت حبهُ وبعد ان فرغ من الطعام ونهضا عن المائدة . قالت له اني اسالك شيئًا ياسيدي اريد منك ان تجيبني عليهِ . قال وما هو فاوجزي واكدي اني لا اخلف لك قولاً ولا امنعك من شيء تطلبينهُ . قالت اني وان كنت اعلم انك من عقلاء الناس وفلاسفتهم وقد يندر

وجود من هو مثلك في هذا الزمان وانك لاترغب في مجالسة النساء على صفرة المدام انما لي كلاماً اريد ان اطلعك عليه واخبرك به ولا يمكن ذلك الا عند معاطاة الخمور . وقد اعددت بواطي المدام على النسق اللائق بشانك وكرامتك . فاطرق الى الارض وقال اني لا اسر من مجالسة من مثلك قط كونك لست من النساء الجاهلات انما اكره التطرف بشرب العقار . قالت لا باس في هذه المرة وليس من سبب يمنعك عنه لاسيما وهو المساعد لما ابديه . فقال اليك ما تطلبين . وقد وجد نفسه مضطراً الى الانقياد اليها بالرغم عن غايته وعما تدعوه اليه رتبته وحكمته وتعقله فسار واياها الى غرفة المدام فوجد هناك صفرة ممدودة عليها من كل اجناس الزهور والرياحين والفاكهة الطيبة والاثمار اللذيذة والحلويات الطيبة وزجاجتين من الخمر صغيرتين فقط وكل الانية من الذهب الوهاج المنقوش والى المائدة كرسيان من الابنوس جلس هو على واحدة وجلست هي الى جانبه . وقالت له اريد منك ياسيدي ان تعلم قبل كل شيء من انا ليرتاح ضميرك وبالك واني اعلم ان شدة الحب اوصلتك الى درجة نهاية فغاب عن ذهنك ان تسالني عن نسبي مع انه كان لديك من المسوغات ما يدعوك الى ذلك كوني لو كنت جارية لما كنت حائزة على المعارف ولا تعلمت قط حتى ارى من نفسي اني اقدر ان ارضيك بها . فلما سمع منها هذا الكلام ظن نفسه انه في منام ورأى ذلك منها عين الحكمة والتعقل واللطف والتبصر الا انه قال لها اني ما كنت اظن انك تجهلين امري وقد عرفت موكداً انك في رغبة لاجابة طلبي ولولا ذلك لما ادركته مني وعرفت ما لا ابديه الك حتى الان . قالت اني عرفت حالتك وما انا ممن يجهل حالة الناس ولاسيما في مثل هذه الظروف التي لاتخفى دواخلها ولا يمكن لصاحبها ان يكتمها انما كنت انتظر منك ان تستفصي عن نسبي وتعرف من انا لتقلع من ذهنك ما يشغلك وتفكر به دائماً وهو اني جارية او خادمة في هذا القصر والصحيح اني انا نور بنت الوزير بيد اخطل وزير الملك قيصر وقد صرف عليَّ كل ما عزَّ وهان حتى علمني العلوم النادرة في غيري اذ اني وحيدة له وكان يحبني حباً عظيماً ويستشيرني في كل اموره ويفعل كل ما اقوله له حتى اني منذ بداية هذه الحرب قلت له ان يطلع الملك قيصر على نتائجها وينصحه ان يرجع عن عزمه ولا يفتح حرباً مع الملك ضاراب لانه لايقدر على مقاومته . غير ان ذلك لم يكن لتعلق انبوش ابنه بعين الحياة ورغبته بزواجها ولما بلغني مقتل ابي وما وقع على الملك قيصر وجماعته حزنت عليه وصبرت على امري وتظاهرت باني خادمة القصر لاعرف كيف يكون منتهى امري وخوفاً من ان اكون مطمعاً لبعض الشبان الجهلاء وقد طلبني في زمن ابي كثير من الشبان الامراء فامتنع اذ كنت اعلم انهم رجال قصف وخلاعة لا رجال حكمة وادب ونويت ان لم يقسم لي الدهر ببعل اسر من اداب يكون خبيراً بمثل هذا الارتباط المقدس وواجباته صرفت العمر عزبة . ولما دخلت انت هذا القصر وجدت نوعاً من السلوى والتعزية وشكرت الله على وجودي بين

لديك ولو كنت ابقى كل العمر خادمة ولم افرح زماني بطوله فرحًا يقوم مقام هذا الفرح لان ابي لا بل سائر الذين علموني كانوا يذكرون ان لا رجل في الدنيا اعرف واعلم من طيطلوس الحكيم الفارسي فقد جمع بين كل علم وادب وفن ورياضة وحكمة وساد على الامراء والوزراء والملوك والاعيان حتى اخترق صيتهُ السبع الطباق وسار من المغرب الى المشرق ومن الشمال الى الجنوب واي شيء احب لدي من ان اصرف العمر بين يديك وقد شاهدت منك اضعاف ما كنت اسمعهُ عنك فكرامة اخلاقك وسعة صدرك اشغلا بالي وارمياني بخلوص مودة وعشق فاني اعشق صفاتك فارجوك ان تعاملني معاملة الاب الحنون والمخلص الرؤوف ولا تبعدني عنك العمر بطولهِ فانت الغاية القصوى والمراد . ثم اشارت تمدحه بهذه الابيات

انت يا من تنقاد طوعًا اليهِ ... وامتثالاً قلوبنا واختيارا
ما تاخرت عن مديحك الا ... لامور تشتت الافكارا
انت ممن يقبل الدهر كفيهِ ... ويبدي اذا غضبت اعتذارا
اضعفتني الاهوال عن كل شيء ... لم تدع لي لحمل ظلي اقتدارا
وحظوظ اذا عتبت عليها ... نسجت لي من الهوى اعذارا
غصت بحر القريض بالفكر حتى ... لك اهدي من اللآلي الكبارا
فلعلي انيت منها بنذر ... وقصوري بالعفو منك استجارا
كم اناس ما ان لهم في شعور ... يطلبون الاشعار منا اختبارا
وغبي يظن ان حاز كتبًا ... انها الفضل حاملاً اسفارا
بك فخر القريض شرقًا وغربًا ... ونرى عند جاهك المقدارا
كل بيت اذا تاملت معنا ... هُ يقينًا حسبتني سحارا
كل بيت تكاد تشربهُ الار ... واح لطفًا اذا ادير عقارا
او روتهُ الرواة يومًا ... للمصونات هتكت استارا
ليس يحكي من راح ما اعتراهُ ... مقعد من سعى اليك وسارا
كل طرف يغض من وهج الشمـ ... ـس وانت المنور الابصارا

فلما سمع الوزير طيطلوس كلامها ورقة معناها كاد يغيب عن الوعي وتاه عقلهُ من رقة معانيها وطيبة قلبها وميلها اليهِ واظهار ما ابدتهُ نحوهِ وما زاده فرحًا وكاد لا يصدقهُ ما سمعهُ منها من انها بنت وزير خطير وانها من كرماء النساء واعقلهن فقال لها لا انكر اني احبك ولدي الك الان حبي واظهره عيانًا وما زادني فيك حبًا هو ما شاهدتهُ منك من التهذيب والتربية واني احب الان ان اتخذك زوجة ومدبرة لملكي ومن كنت انت زوجتهُ وصاحبة بيتهِ كان سعيدًا ناجحًا وما اوصلني

الله اليك الا ليقرن حكمتي بحكمتك ويجعل نسلنا اذا قدر الله سعيدًا واني اعرف ذلك ان الله سبحانهُ وتعالى قد ابقاني الى هذه الايام بلا زواج دون ان افكر بهِ قط حتى اوصلني اليك فحببني بك وارغمني الى مفاعيل الطبيعة فقالت لهُ من اين لي مثل هذه السعادة العظيمة ان انشرف بتقبيل ايديك في المساء والصباح قال اني اعاهدك واتخذك لي زوجة وقد ارتاح ضميري وصرت منذ الان خطيبة وعند مجيء الملكة نقام الافراح وتزفين عليَّ وأُزف عليك والان فاشربي مسرورة وكوني مرتاحة . فقبلت يديهِ وشكرتهُ على معروفهِ وقبولهِ لها زوجة ثم قدمت لهُ الرياحين ورشتهُ بماء الورد وسكبت كاسًا من الخمر فسقتهُ وانشدت

قدم الراح يانديمي لعلي ... اعقر الهم ان شربت العقارا
واجل كاساتها عليَّ وزمزم ... باسم من صير العقول حيارى
قهوة مثل دمعة العين في الكا ... س صفاء فالليل زاد اعتكارا
وادرها اذا النجوم تجلت ... وشهدنا من زهرها الانوارا
وكان السماء روضة حسن ... اطلعت في مقامنا ازهارا
والثريا كانها في الدجى غيـ ... ـد تلففن بالشعور عذارى
وكان الهلال يحكي وقد را ... ح من الغرب زورقًا او سوارا
فاسقني من يديك ترى الفجـ ... ـر عن الصباح قد اماط الازارا
وصل الليل بالنهار فان العيـ ... ـش اهناه ما يكون جهارا
في رياض حكى بها الزهر والورد ... د النضيران فضة ونضارا
وكان الاقاح فيها ثغورٌ ... عن غوالي الجمان تبدي افترارا
وحكى النهر معصماً وسوارًا ... يتلوى وارقمًا سيارا
فاترع الكاس لا عدمتك صرفًا ... فعلى الصرف نصرف الاعمارا
واعتقد انها حرام وزور ... لا توافق يهودها والنصارى
واسال العفو فالكريم رحيم ... قابل التوب يغفر الاوزارا

ثم سقتهُ ثانيًا وثالثًا حتى ذاق لذة اجتماع ومؤانسة ومعاشرة اعادت اليهِ ايام الشباب التي صرفها بترك اللهو والبعد عن مغازلة الغادات على ان الله سبحانهُ وتعالى جعل بالمرء خصائص قابلة لسلوك مثل هذا السبيل في زمان الحياة ليؤهلهُ بان يكون فيما بعد صاحب عائلة ورب بيت وخلق فيهِ في ايام الشباب والصباء ان انثى او ذكرًا اميالاً تحصر على الاكثر في الغرام واسبابهِ واوتاده وافكارًا تتنقل وتخطر في دماغ كل من شبان هذه الجبلة تطلبًا للارتباط ورغبة في ايجاد المساعد الوحيد الذي هو الزوجة للتعاضد في مثل هذه الحياة ودفعها ومن المقرر الثابت ان كل شاب او

صبية منذ وصولهِ الى اول درجة من الترعرع يرى ان امهالهُ تطلب شيئًا ربما كان لا يعرفهُ ونفسهُ تسالهُ ان يدخل ابوابًا يجهل طرقها ومعابرها وما تلك الا بتدبيرات العناية الالهية التي تقوي تلك الاميال وتنميها وتقودها اخيرا الى الاصغار بالارتباط بذاك المساعد المتقدم ذكره ومن ثم على الغالب تعود تلك الاميال الى التاخر والضعف ولا يعود في المرء البصير همة للسعي في ذاك الطريق . غير ان طيطلوس لما كان قد حارب تلك الاميال منذ بداية حياتهِ واهلكها بالتعليم والتهذيب بقيت كامنة في ضميره تنتظر الوقت المناسب لتتسلط عليهِ وتتحكم فيهِ ومن ثم تبتعد عنهُ بعد قضاء مصلحتها منهُ وهكذا كان يغازل و يشتكي و يتحبب كانهُ في سن الفتوة ولما لعب بهِ الغرام ودارت الخمرة براسهِ جاش الشعر في خاطره فانشد

نقض الجرح وكان اندملا	وامتلا القلب وقد كان خلا
عاده داء الهوى من بعد ما	راح قد افرق عنهُ وسلا
مالهُ تزعجهُ زفراتهُ	كلما اشتاق صبًا او شمألا
واذا شام بروقًا لمعت	غلب الدمع الحشا فانهملا
ومتى ابصر بدرًا طالعًا	ظنهُ عنهُ الذي قد افلا
عاش في ارغد عيش برهة	ممتزجًا راق حالاً وحلا
ليس يدري الهم حتى ان راى	ليتهُ لم يرَ تلك المقلا
فعلت فيهِ بطرف لو رمت	حجرًا صلدًا بهِ لانفعلا
كيف لا يجرح قلبي طرفهُ	واذا السيف تحرك قتلا
بابي الريم الذي من لحظهِ	سرق الظبي الكحيل الكحلا
لايم الصب على الحب الذي	حيف لحظيهِ يبيح الاجلا
والذي يصبو لاحداق المها	لم يمت الا بها مجدلا
خل عنك اللوم بالله فقد	سبق السيف اليهِ العذلا
ويح قلبي من هوى ذي غنج	ظالم في حكمهِ لو عدلا
ما لهُ حملهُ ما لم يطق	اتراه ظن قلبي جبلا
غصن البان الذي في قده	سلب اللين القنا والاسلا
يا خليلي بلا امر سلا	في فوادي لحظها ما فعلا
امقيم معهُ يصحبها	ام دعاه للردى فامتثلا

وبالاختصار فقد صرف طيطلوس ليلة من الذ الليالي التي مرت عليهِ باجمعها ترك حكمتهُ وعلمهُ ومعارفهُ الى جنب وسلك سبيل الخلاعة والحب والزهو مع المحافظة على الاداب والعفة

وجاء النهار وهو مع حبيبته الجديدة على مثل تلك الحالة المتقدم ذكرها وفي الصباح ذهب كل منهما الى فراشه فنام فيه ريثما استراح ثم خرج طيطلوس الى ديوان الملك وهو مسرور في قلبه مرتاح في ضميره وكان يصرف تلك الايام بتدبير معدات العرس وما هم باحتياج اليه وصار في كل مساء بعد الانصراف من السهرة عند الملك ضاراب يعود فيرى خطيبته بانتظاره وقد هيئت له الصفرة المعتادة فينهي ليلته على تلك الحالة وقد اخفى امره عن الجميع ينتظر الوقت المناسب وهو قدوم الملكة والمباشرة بالافراح ليطلع الملك على امره ودام على مثل ذلك الى ان جاءت الملكة كما تقدم واحتفل بها واخذت الى القصر الذي اعد لها وحينئذ وجد ان لا بد من اطلاع الملك والامراء على امره اذ كان يجب ان يتزوج علنًا كبقية رجال الفرس فصبر الى ان كان المساء واجتمع في ديوان الملك الامراء والشاهات والملوك والعمال والوزراء يهنئونه بقدوم زوجته ويتشاورون بامر العرس ومعداته وان يبدأ في اليوم التالي بالافراح والزينة . فقال الملك ان هذا بانتظاره غير انه مفوض لخاطر الملكة تمرتاج ولا ريب انها في الغد تطلب ان تعرض عليها البنات واحدة بعد واحدة لتراهن وترى عين الحياة ومن ثم نستشيرها في ماذا يكون وعلى اي طريقة تريد ان يكون هذا الزفاف وكيف تقام فيه الافراح . وعند ذلك وقف طيطلوس الحكيم وقال اعلم ايها الملك المعظم اني خدمت دولتكم بامانة واستقامة واخلصت فيها بكل اعمالي وصرفت كل ما اعطانيه الله من الحكمة والمعرفة حتى كنت اكتسب رضاك ورضا اهل وطني وقومي باجمعهم وكان ذلك يهمني ويشغلني نظرًا الى المستقبل وما كمن فيه واني كبقية الجبلة البشرية اعرف ان المرء لا يمكن ان يخلد في هذه الحياة وانه لا بد من يوم يحل فيه جسده ويرجع الى اصله هكذا الله اراد وعمل وكان همي الوحيد ان اموت دون ان اترك من نسلي ذكرًا لخدمة هذه الدولة من بعدي او ان اعلم او اهذب فتى يليق ان يكون بين ايدي سيدي الملك او بالحري بين يدي سيدي فيروزشاه ونسله من بعده غير اني كنت لا اسلك هذا السبيل لعلمي ان النسل لا يوجد الا بالزواج وكنت لا ارغبه اوانئذ اذ ان نفسي كانت بانشغال عنه لا صبا واني كنت احب ان اتزوج بفتاة مهذبة عاقلة حتى اذا سمح الله بارسال البنين تكون قادرة على تربيتهم بما يرضي الله ويؤهلهم لان يكونوا في دواوين الملوك وان يكون لهم ذكر وشان واعمال حسنة يحيون به ذكري من بعدي . واما الان فقد وفقني الله الى المطلوب وقادني بالرغم عني الى الوصول الى ما كنت اطلبه سابقًا وارغب فيه فاني بالقضاء والقدر اقمت في قصر بيد اخطل الوزير وزير الملك قيصر واذا فيه بنت له جمعت من الصنائع الحسنة ما يندر وجودها في غيرها فصرفت هذه المدة معها امتحنها في كل العلوم العقلية والرياضية فاذا هي آية الحكمة ما تركت فنًا الا وتعلمته كانها تاريخ الاعصر ومرآة ادابه ونبذة المعارف وصفحاتها وعليه فقد ملت بكليتي اليها واحببتها وسالتها الاقتران فاجابتني عن حكمة منها وقالت لي انها كانت

لا ترغب الزواج باحد الا بمن اعطي من الحكمة ما اعطيت ترقية لادابها وعليهِ فانها قبلت بذلك تعشقًا منها للمعارف والفنون . واني الان اعرض عليك ان تضعني في مصاف الذين يرغبون في الزفاف ويكون لهم عرس في هذه الايام على اني وان صرت الان كهلاً الا اني بالزواج شابًا اذ لم يكن زففت قبل الان على غادة فهذه هي الامراة الاولى التي اخترتها فمن الواجب ان اعاملها معاملة تليق بسنها وجمالها وصفاتها لانها شابة وجميلة وليست بادنى من غيرها من اللاتي سيتزوجن في هذه الايام ويقام لهن مقام في صدر هذه الافراح

قال فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام من وزيره طيطلوس فرح غاية الفرح وقام اليهِ فقبلهُ وقال لهُ لا شيء يسرني اعظم من هذا الخبر فانت وحدك قد سببت لي هذا السرور اليس من الضرورة ان تدخل سلك السبيل البشري وتكون كواحد من اعضائهِ متمتعاً بمثل هذه النعم المعينة منهُ تعالى اليس من الضرورة ان يكون لك بنين و بنات ليقام لك الى الابد ذكر في الدولة الفارسية اهل او لم يتزوج فيلزور البهلوان و ياتي بالاولاد النافعين الذين اخلفوه وفاقوه اعتزت دولة الفرس وانتصرت اليس ابني فيروزشاه و بهزاد هما اللذان اقاما في صدر المجد وكل منهما جعل لابائهِ مدحًا عظيمًا في قومهِ وفي غيرهم وانتفعت المملكة منهم . والان فقد لقيت ما طالما كنت اتمناه وذلك بتدبيره تعالى لانهُ لا يريد ان يحرم هذه الدولة من الانتفاع بل في نيتهِ ان تبقى يد اسماعيل الى الابد معتزة بالمجد والانتصار واني ساعد لك مركزًا في هذا العرس فوق كل مركز لانك احق به من غيرك . ففرح طيطلوس من كلام الملك وسر مزيد السرور وكذلك جميع الامراء والقواد والوزراء فانهم شكروا طيطلوس على اهتمامهِ بالزواج على امل ان يروا من نسلهِ من يقوم مقامهُ بعد وفاتهِ ومن ثم انفرط الجميع من ديوان الملك وذهبوا الى قصورهم يتحدثون بامره وذهب هو الى قصره فوجدها تحوبه نور بانتظاره على حسب العادة فقبلت يده وقبلها وذهبت الى غرفة الطعام فاكلا واكتفيا واخبرها بكل ما كان لهُ مع الملك وامرها ان تكون على استعداد لتقدم في الغد الى الملكة تمرتاج مع بقية البنات وربما تقيم في قصرها الى حين الزواج ففرحت بذلك ووعدتهُ بطاعة امره وصرف تلك الليلة كالعادة ومن ثم عادا الى المنام

وفي اليوم التالي نهضت الملكة من مرقدها وجلست في سريرها ودعت اليها الملك ضاراب فجاءها وسالها عن حاجتها فقالت لهُ اريد منك يا سيدي الملك اجابة لسوالي قبل المباشرة بالعرس وبقيام الافراح والمسرات الى ما اسالك فيهِ الان قال مري فاني انفذ لك امرك على اسرع ما يكون ولا بد من النظر في رغائبك . قالت انت تعلم اني بشوق زائد الى عين الحياة خطيبة ولدي وان قلبي ملهوف لروٴيتها وقد مضى الان اكثر من ثمان سنوات منذ خروج ابني من ايران وانا اسمع بحديثها واتشوق الى روٴيتها لارى ما هي عليهِ من المحاسن والصفات كيف لا وقد ملك كثير

من الناس وخربت عدة ممالك وانحط قدر الملوك بل وقتل جماعة منهم ورث صيتها في مشرق الارض ومغربها كل ذلك ما يستدعي ان اتشوق اليها ولهذا السبب فكرت امرًا واحدًا وهو ان ادخل كل البنات اللواتي جئن ليزفن على الامراء يوم عرس ولدي كي لا يقال اني افضل عين الحياة على غيرها لاسيما وانا احب ان ابين لامراء فارس وشاهاتها شوقي الى خطيباتهن ومعاملتهن كاولادي ومما اريد ايضًا ان تبقى البنات في قصري وتحت نظري اقيم بينهن الافراح وفي الاخير اصلح شانهن بمعرفتي وازف كل واحدة على طالبها فتخرج من قصري اليه وليس من الصواب ان يبقى كل خطيب مع خطيبته ولا اريد ايضًا ان تبقى عين الحياة وجهان افروز عند ولدي الى يوم زفافه وان تزف وهي في يده ومن الموافق ان تبعدا عنه قبل الدخول بها عدة ايام اي ايام الافراح انماء لشوقه وتهيئة لذلك اليوم . فقال لها الملك حسنًا تفعلين واني منذ هذه الساعة سأصدر امري ان ياتي كل امير بمحبوبته اليك على حسب مشتهاك ويكون لك ما تطلبين ومن ذلك الوقت خرج الى ديوانه ودعا اليه جميع القواد والامراء وامر خورشيد شاه ان ياتي بتاج الملوك وكولندان الى قصر الملكة لتراهما ولتعرض على كولندان وجوب زواجها بكرمان شاه ثم امر فرخوزاد ان ياتي باوش ايضًا وامر مصفرشاه وطيطلوس وبهنزار قبا ان ياتوا بطوران تخت ونور وكابلة الى الملكة وامر ولده فيروز شاه ان يذهب بعين الحياة وجهان افروز الى والدته . فاجاب الجميع وسار كل الى قصره ينفذ امر الملك وعاد الملك الى زوجته فاخبرها بقرب مجيء البنات اليها فنهضت من سريرها ولبست ملابسها الفاخرة المرصعة بالجواهر واليواقيت وارخت عليها مشلحًا طويلاً من النسيج الفارسي الكشميري مشغولاً من دائره بالحرير الملون وفي كل حبكة من تلك الحرير ماسة بقدر الجوزة ولبست على راسها التاج المختص بها المرصع بكل حجر كريم حتى اصبحت كانها الشمس تضيء في رابعة النهار وكانت كما تقدم الكلام جميلة الوجه والطلعة فسرّ الملك ضاراب من عملها وكان قد مضى عليه عدة سنين وهو لم يرَها في مثل هذه الزينة ثم ذهبت الى غرفة الاستقبال وجلست على كرسي من العاج والى جانبها الملك واقامت بالانتظار واذا بخورشيد شاه قد ادخل عليها كولندان وتاج الملوك فنظرت اليها وهما في حللها الفاخرة وعليهما من الملابس ما يدهش العقول وتعجبت من حسنها وجمالها وسالت الملك ضاراب عنهما فقال ان احداهما هي تاج الملوك بنت المنذر ابن النعمان صاحب الطائف والثانية كولندان بنت صاحب الاسكندرية ثم حكى لها خبر خورشيد شاه معهما وبعد ذلك تقدمتا منها وقبلتا يديها فقامت لهما وترحبت بهما وقبلتهما بين الاعيان واكرمتهما مزيد الاكرام واجلستهما الى جهة من القاعة وقالت لخورشيد شاه يهناك يا ابن عمي بما اعطيت فان الله قد قسم لك نصيبًا من السعادة في هذه الحياة واننا نفرح الان لفرحك فما انت الا كولدي فيروز شاه يسرّني أن اراك مرتاحًا منعماً . وكان الملك ضاراب قد بعث وراء كرمان شاه فحضر ابين يديه

فامره ان يجلس الى جنب كولندان كما جلس خورشيد شاه الى جنب تاج الملوك ثم قال لكولندان اعلمي ايتها الابنة الكريمة اني اشعر بما صنعتهِ معنا من الجميل اثناء وجود ابن عمي خورشيد شاه اسيرًا في الاسكندرية وما سهلت لجيوشي من الطرق لفتح تلك المدينة ولذلك لا انسى قط اننا ملزومون بمكافاتك على مثل هذا الجميل وان ابن عمي المذكور كان قد عاهدك ان يكون لك زوجًا وتكونين لهُ اهلاً في ذلك الوقت الا انهُ كان قد سبق منهُ مثل ذلك العهد الى تاج الملوك بنت المنذر بن النعمان الحاضرة امامك الان وقد بادتنا بالمعروف كما باديتنا انت ايضًا وانتشلتهُ مع فرخوزاد من الاسر وسلمتها ايضًا المدينة وعليهِ فقد فكرت واخترت ان ازفك على ابن عمي كرمان شاه الحاضر امامك الان فهو يحبك ويرغب فيك ولا اظن انك تمنعين طلبي فهما في درجة واحدة حسنًا ونسبًا وادبًا فاقبلي مني ما اطلبهُ اليك واستقلي بزوج واحد كما ان خورشيد شاه يرغب ايضًا ان يستقل بزوجة واحدة . فلما سمعت كولندان هذا الكلام اطرقت الى الارض حياء وخجلاً وقد احمرّ وجهها وكادت تختنق من الحياء فقالت لها الملكة انك لست انت الان في مقام تخجلين من التصريح فيهِ بما في ضميرك لاننا في حاجة كلية الى جوابك ومن اللياقة ان تجيبي الملك على غايتهِ فهو ينظر في صالحك ويرغب لك الخير وما من امل بخورشيد شاه فاسرعي بالجواب فقامت اذ ذاك ثانية ودنت من الملكة فقبلت ايديها وايدي الملك بعدها وقالت وهي مطرقة الى الارض اني لا احب ان اجيب في مثل هذا المعنى لاني ارى من نفسي اني جارية بيد سيدي الملك يدبرني بحسب معرفتهِ ويقدم لي ما يريدهُ املي في وسعي ان اخالفهُ وهو بمقام اب نصوح حنون بصير ينظر في امري نظر الرافة والحب على اني وان كنت قد عاهدت خورشيد شاه في الاول فالان انا اعتبر كرمان شاه اعتبار المعين المساعد وارجو منهُ ان يقبلني خادمة في بيتهِ ولي بذلك شرف كبير لا انساه منهُ قط ومن الصواب والحكمة ان اكون مختصة بهِ بحيث تكون تاج الملوك مختصة بمن عاهدتهُ وعاهدها قبلا واني اجدد لديكم الان العهد لكرمان شاه واخلصهُ الحب والطاعة . فلما سمع كرمان شاه منها هذا الكلام فرح غاية الفرح وسرّ مزيد السرور وحسب نفسهُ سعيدًا وقام الى الملك وقال لهُ ان كولندان قبلت بي عن طيب خاطر وصفاء باطن تكرمًا منها لطيبة اصلها وما اعطاها الله اياه من العقل والحكمة وعليهِ فاني اعاهدها بحضورك على ان اكون لها بعلا امينًا احافظ على راحتها وارعى لها الحب ماحييت فشكره الملك وشكرها واثنى عليها . وحينئذٍ امرت الملكة ان يعطى لكل من كولندان وتاج الملوك ثوبًا من الحرير المنسوج بالزراكش الفضية من صنعة الفرس فدفع اليهما وافرغ عليهما وما استقرّت لحظة بعد ذلك حتى نظرت الى باب القاعة فشاهدت صبية تدهش العقول قد اعطيت من الجمال قسمًا كبيرًا وعليها الحلى والحلل الفاخرة فسالت الملكة عنها فقال لها الملك هذه انوش بنت الشاه سليم صاحبة الفعل الحسن المحمود هذه التي رفعت الشدة عنا

في مصر بعد ان كنا في الضيق وهي خطيبة فرخوزاد فلاقتها الملكة بكل بشاشة واكرام وترحبت بها واجلستها مع فرخوزاد الى جانب من القاعة وهنأته بها وامرت ان يدفع لها ايضاً ثوباً من مثل الثوبين المتقدم ذكرها فشكراها عليه وانوش تتعجب من بهاء الملكة ورقة جانبها ولين معاملتها وهي مسرورة منها كل السرور ثم نظرت الملكة الى خارج الباب واذا بها ترى صبية بيضاء بلون الياسمين قد تزينت باحسن ثوب وهي تميل وتخطر كانها غصن البان يحمل من فوقه بدرا عظيم الاشراق بهي المنظر. فاندهشت الملكة من محاسنها وسالت الملك عنها فقال لها هذه كليلة بنت صاحب دمشق خطيبة بهنزار قبا وقد اخذ اسيرا الى الشام فاحبته وتسببت بخلاصه ثم حكى لها بالاختصار كل ما وقع له معها. وبعد ذلك تقدمت كليلة من الملكة وسلمت عليها وقبلت يديها ومدحتها واثنت على انسها ولطفها فشكرتها والبستها ثوباً فاخرا من مثل الثياب التي البستها لبقية البنات وامرتها ان تجلس الى جانب مع بهنزار قبا بالقرب من كولندان وكرمان شاه فجلسا وهما من الفرح والسرور لا يعيان على هذه الدنيا ولذاتها واي خير فيها. وما استقرت على كرسيها حتى مالت الملكة بانظارها عنها الى الخارج ووقعت انظارها على ذات حسن باهر باهي مجملة باكاليل اللطف والظرف والكمال ومن خلفها طيطلوس. فسالت الملك عنها فقال لها اني قبل الان لم ارها غير اني اظن انها بنت بيد اخطل الوزير وزير الملك قيصر وقد خطبها لنفسه طيطلوس لما وجد فيها من التهذيب والكمال. فاظهرت على نفسها الفرح ولاقت طيطلوس بكل ما يليق بشانه وبسنه ومقامه وهيئت لها مكاناً معتبرا في القاعة المقيمة فيها وافرغت عليها حلة مدبجة وهنأت طيطلوس بها وقد سرت منها كل السرور لانها وجدتها على جانب عظيم من الحسن والجمال والتعقل والفصاحة التي لم ترها قبل في غيرها من البنات وبعد ان جلس طيطلوس وخطيبته نور دخل على الملكة مصفر شاه والى جانبه طوران تخت بنت الوليد ملك مصر وكانت قد رأتها قبل ذلك الوقت فسلمت عليها وترحبت بها كغيرها من البنات والبستها ثوباً مثل تلك الاثواب. وبعد دقائق قليلة شعرت الملكة تمرتاح من نفسها بحاسة مفرحة فوق العادة وسمعت وطئ اقدام خفيفة لطيفة انتبهت اليها بكليتها وقد رأت فتاة من ابدع خلقه تعالى حسناً تسير وطلائع الحسن تتقدمها وجيش من الهيبة والوقار يحيط بوجهها وبدر من اجلى واجمل الانوار حل محل الهالة حول بدر ذاك الوجه الحقيقي الفاضح المسبي الكثير الجاذبية فاندهشت الملكة من هذا الجمال النادر المثال وصاحت على غير انتباه ان كانت هذه عين الحياة بنت الشاه سرور فيا السعادة ولدي ونهضت واقفة بالرغم عنها فقال الملك هي التي سعينا لاجلها من ايران الى بلاد الرومان فوجهت كلامها اليها قائلة تستحقين ايها القمر الشارق والظبي النافر والغصن القويم ان تقع الحروب لاجلك بين ممالك العالم ليس فقط ست سنوات بل ثلاثين سنة تستحقين ايتها الابنة الكاملة البديعة ان

تاتي ملكة ايران ليس من بلادها فقط الى هذه البلاد بل الى اقصى بلاد العالم تستحقين ايتها المحبوبة من الاله ومن الطبيعة ان تكوني سلطانة في ايران وملكة عليها وزوجة لفيروزشاه ثم اندفقت ادمع الفرح من عينيها واسرعت اليها فلاقتها وقبلتها وهي تبكي مدهوشة من بهائها واندفعت بعوامل الحب الذي كان كامن في قلبها قبل ان تعرفها الى ان تضمها الى صدرها وتقبلها في وجنتيها اللامعتين وهي لا تعرف ماذا تقول او ماذا تفعل بل اخذتها من يدها وهي لا تعي على ولدها ولا على جهان افروز التي كانت اتية من خلفها ولا انتبهت اليها في الحال الا بعد ان اجلست عين الحياة الى جانبها وصرفت اكثر من نصف ساعة تقبلها وتنظر اليها وتضمها وهي تقبل ايديها وتشكر من انسها ومجابرتها . ثم نظرت الى جهان افروز وسالت عنها فاخبرها الملك انها ايضاً كنتها وانها من بنات الجان واخبرها بقصتها وما كان من امر اختها المرهفة فتعجبت من ذلك ومالت اليها فقبلتها واجلستها الى جانبها الاخر ودعت ولدها فقبلته وهنأته بمحبوبتيه وقالت له انك لم تخطئ يا ولدي بكل ما فعلته بسبب عين الحياة فهي فوق ما كنت اظن وما فعلت شيئاً الا واستحقت اكثر من ذلك باضعاف نعم هذه هي الفتاة الوحيدة التي يليق بان تكون زوجة لفيروزشاه ابن الملك ضاراب فارس هذا الزمان وانسانه واجمل رجال ايران وجهاً وعملاً وصفة فاهنأ بها وبجهان افروز وانعم وتنعم حياتك اطولها ولا ريب انك سعيد من الله مسعود بعنايته لا توثر فيك الحوادث مهما كانت في جنب توفيقات الباري ثم قالت الملكة انت تعرف اني صرفت ثماني سنوات التلوع على فراق والدي وبعده عني كوني وحيداً لي وبعد ذلك لاقيت من الاكدار ومحاربة الافكار والهموم بسبب هذا الفراق وبسبب محاربتكم مع الاعداء وانقطاع اخباركم عني كل هذه المدة الطويلة وكل ذلك قد نسيته في هذه الساعة وقد كنت اخاف ان لا اكون راضية من جمال عين الحياة فبالحقيقة قد اعطيت ما لم يعط الى غيرها . فقال الملك واني نظيرك صرفت ست سنوات انتقل من بلد الى بلد وانهض من حرب فاقع في غيرها دون ان اراها انما كنت افكر اني ملزوم الى ذلك لان ولدي يحبها ويريدها ولهذا كنت اشعر بميل غريزي اليها واشتاق ان افدي بنفسي وعساكري في سبيل حصوله عليها . والان قد زالت والحمد لله كل هذه الاخطار ولم يعد من عائق يمنع غسل تلك الاقذار بماء الراحة والفرح الكامل الجامع لكل الاسباب المسرة واني بحوله تعالى قد عولت على ان اجعل زفاف ولدي وبقية الامراء بيوم واحد محفوفاً بالاستعدادات التي لم يسبق لها نظير قط كي تضرب الامثال فيه من بعد به ويقال عن كل يوم طرب يوم زفاف فيروزشاه لا شيء اقدر ان ابديه اعظم من سروري في هذه الايام السعيدة ولا الوم احداً من امرائي على تهوره بالحب كما اني لا الوم ايضاً بنات الملوك اللاتي تبعننا رغبة فينا ولكل فتاة من الفتيات الحق في ان تحب من تريد وان كان من غير جنسها وبعيد عن معتقدها بشرط ان تكون خصيصة له وليس من العدل ان تلام الابنة بسعيها في ظروف

مثل هذه الظروف اذ لا يمكن ان تضيع ايام صباها وتجعل شبو بيتها فريسة لانياب القهر والحكم وكم من حبيبين يصرفان الوقت يحترقان دون بلوغ غاية والظروف تمنعهما من نوال الوصال وتحول دون اجتماعهما وعلى هذا فاني اعذر الجميع وافرح لفرحهم واطلب من الله ان يتم سرورنا على احسن ما نشتهي ليجتمع كل محبوب بحبيبته بعد ذاك العذاب والبعاد وقطع الرجاء ومقاسات اشد الاهوال

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

قال وكانت قاعة الجلوس القائمين فيها ترجح من محاسنهم وما عليهن من الحلى الذهبية والفضية وقد دفعت الملكة لجهان افروز ثوبًا نادر المثال كانه الكوكب في اللمعان وافرغت ايضًا على عين الحياة ثوبًا من اجمل الثياب كانت تستعد لعمله منذ كانت في ايران وقد رصعته بالحجارة الكريمة وجعلت ازراره من الجواهر تلمع في صدرها حتى الارض لانها كانت تعلم ان لا بد لهما من اجتماعها بهما وانها تحضر زفاف ولدها ولذلك شغلت ثلاثة اثواب مخصوصة واحد عند اول ملاقاتها وهو هذا والثاني لتلبسها اياه في يوم زفافها تتجلى به اتتيه على سواها والثالث وهو ابيض لتلبسه في ثاني يوم الزفاف . ثم ان الملكة قالت الملك ولجميع الحضور اعلموا اني قد نويت ان ابقي عندي البنات هذه المدة فلا احد منكم يرى خطيبته قبل يوم العرس وذلك من الواجب اللائق اذ ان مرادي ان ادبر امرهن واصلح شانهن واقوم بافراحهن وياخذ كل واحد عروسة من قصري لاسيما واني عزمت ان ابقى خمسة عشر يومًا مع البنات وسائر النساء اللاتي يرغبن الحضور في هذا العرس في فسحة خارج المدينة يكون فيها الفرح واسباب الحظ قائمة من كل ناحية وانصب ميدان سباق وهريج ولعب سلاح بين البنات ممن يرغبن مقارنة الرجال واجعل اياما منها للغناء والموسيقات والمسرات الكاملة وتكون في هذه المدة الولائم قائمة والذبائح مشغلة كل النواحي والخمور تدار على جميعهن واطلب اجراء ذلك الان من حضرة سيدي الملك وان لا يكون بين هولاء البنات ذكر قط بل يكون جميع المدعوين نساء وبناتًا وكذلك الخادمات والطابخات والناحرات الاغنام وساقيات الخمور والمغنيات من جنسنا لتكون حرية كل منهن كاملة تسرُّ وتفرح حسب مشتهاها دون ان يراقبها او يلاحظها ذكر البتة وفي نفس هذه المدة يكون الفرح قائمًا بين كل من الرجال ان قيامهم على الطريقة التي يختارها سيدي الملك . فلما سمع الملك ضاراب كلامها اجابها اليه . قال لها ان البنات سيسلمن اليك من هذه الساعة وساقوم لك بطلبك فتذهبين الى خارج المدينة من جهة غربيها وانصب لكن الخيام واجعل كل ما تطلبينه حاضرًا بعد يومين واقيم بعيدًا عنكن الخفر من عساكري بحيث يجازى كل ذكر ايًا كان يرغب في المرور من تلك الجهة فاسرحن وامرحن فاليوم يوم عرس فيروزشاه . واني ساقيم مثل هذا الاحتفال بين رجالي وفي عساكري على النسق

الذي اشتهيو و بعد نهاية الايام المذكورة ندخل المدينة انزف كل امير على عروسو فيكون اليوم الاول مخصوصاً لفيروز شاه على جهان افروز والثاني لعين الحياة و بقية البنات ليفرح الجميع بوقت واحد و يسرون معاً

قال و بعد ان قدم لهم الشراب ممزوجاً بماء الزهر والسكر في كاسات من الذهب على صوان من ذهب ايضاً دعتهم الملكة لتناول الغداء عندها فاكلوا واقاموا باقي النهار الى المساء وفي المساء خرج كل واحد منهم مودعاً حبيبتهُ متالماً من فراقها ولولا يعدون انفسهم بالاجتماع بهن بعد قليل من ايام الاجتماع المطلوب والمرغوب والمنتظر منذ ايام لما قدروا على الصبر وسار كل واحد الى قصره ينتظرون ما يكون من امر هذا الزفاف وتدبيراتهِ . وفي صباح اليوم الثاني خرج الملك مع طيطلوس الى غربي المدينة واختارا مكاناً للنساء موافقاً لطلب الملكة فامر الملك ان تنتقد كل حصاة منهُ وان يمهد من كل جهاتهِ وتضرب فيهِ الخيام الكثيرة لقيام من اراد حضور هذا الاحتفال من نساء المدينة ومن النساء اللاتي اتين برفقة الملكة قمرتاج . وامر ان يضربوا صيواناً كبيراً لتقيم فيهِ الملكة نفسها مع كنتيها عين الحياة وجهان افروز و يضرب الى جانبهِ الصواوين الفاخرة للعروسات . ودام الشغل كل ذاك النهار بطولهِ في تلك الارض واليوم الثاني والاستعدادات قائمة على ساق وقدم والموائد تنقل الى تلك الخيام والخمور تحمل والات الطرب والملاهي حتى كمل كل ما يحتاج اليهِ وما طلبتهُ الملكة و بعد ان انتهى عمل كل شيء جاء الملك الى الملكة واخبرها باتمام كل شيء على حسب مشتهاها فخرجت الى المحل المذكور ونظرت فيهِ فاعجبها ترتيبهُ ونظامهُ ومن ثم قالت للملك اني اريد منك ياسيدي ان تبعث المنادين ينادون في المدينة اني قائمة باحتفال ولدي فيروز شاه واني ادعو كل امراة و بنت الى حضور هذا الاحتفال العظيم فمن رغبت منهن فلتذهب من نفسها الى الخيام وتقيم فيها ومدتهُ تكون الى ١٥ يوماً ثم سالتهُ ايضاً ان ينقل النساء اللاتي جئن من ايران وتعزاء اليمن ومصر وغيرها الى تلك الخيام اذ انهن اتين مع رجالهن لهذه الغاية ففعل الملك ما سالتهُ وارتاح بالهُ من جهتهن وذهب لقيام الولائم وعمل العرس بين الرجال . وخرجت الملكة مزينة باحسن زينة ولبست التاج الفارسي المرصع بالجواهر المتقدم الذكر وجلست في صدر صيوانها واخذ النساء والبنات يردن اليها و يقدمن التهاني لها بزفاف ولدها ثم يقبلن ايديها وتخرجن الى الخيام ليقمن بها وكانت قد قسمت الخادمات الى فرق ونواحي فلكل خمسين خيمة خادمات مخصوصات تقمن بواجبات ضيفاتهن وعين جماعة منهن لتفريق ما يلزم من الطعام على كل ناحية كل يوم بيومهِ واختص بعضهن لتناول المعدات التي ترد في كل يوم من خدم الملك وتهيئتها ونحر القطعان في كل صباح وتوزيعها على الترتيب حتى لا يكون خلل قط ولا ينقص احد قط شيئاً من الماكل والمشارب واسباب الحظ وكان موجود اكثر من مائتي الف انثى في دعوة الملكة ولم يكن قط

واحدة مهملة او غير معتنى بها وصرفت الملكة اليوم الاول والثاني لتلقى الواردات عليها والمغنيات وهي جالسة كما تقدم واجواق من المغنيات مع اختلاف اجناسهن تغنين بالالحان المطربة الشجية فكانت الايرانيات تاخذن وقتًا للغناء على النسق الايراني واليمنيات على حسب عادتهن والمصريات تغنين بالالحان المصرية والروميات كذلك وكل جوق بدوره يضرب بالاته و يغني بنغمه . وفي اليوم الثالث امرت الملكة بنقل كرسيها الى الخارج الى الميدان المتروك في نصف الخيام فامرمعان نوضع في صدره وان تصف الكراسي من اليمين والشمال صفوفًا صفوفًا على احسن ترتيب ونظام وجلست بعد ذلك على كرسيها وهو مرتفع فوق الجميع كانها الكوكب في اللمعان وجلس على الكراسي عموم نساء الامراء والوزراء والاعيان والقواد والسادات حتى احتبك الميدان من كل جهاته ووقف بقية النساء المتفرجات من خلفهن صفوفًا صفوفًا و بعد ان انتهى الاجتماع ضربت صنوج المغنيات بالحان حربية محركة الى مثل هذه الالعاب . واذ ذاك امرت تمرتاج ان تبرز الى الوسط كل فتاة لها معرفة والمام بهذا الفن وفي الحال نهضت انوش بنت الشاه سليم واستاذنت من الملكة وقبلت ايديها فاذنتها و بعد ذلك تناولت سيفًا وطارقة وتوسطت الساحة والتفتت ذات اليمين وذات الشمال ثم ذكرت الله ودعت للمملكة الفارسية بالانتصار والفوز للملك ضاراب وابنه ورجاله وابطاله بطول العمر والبقاء ثم رفعت السيف فادارته بالهواء على اخف حركة وادقها ثم قفزت قفزات الغزال وضربت به على الطارقة فسمع له صوت وقرقعة وجعلت تدور في تلك الساحة كانها المنجنيق وهي تلعب باعجب لعب وادقه حتى انبهر منها كل من شاهدها ثم سالت البرازمن النساء وفي الحال نهضت عروسة ذاك المحفل و بدر سمائه عين الحياة بنت الشاه سرور واستاذنت من حماتها فاذنت لها وسقطت الى الوسط وقد خففت ما عليها من الثياب وربطت ضفائرها كالعصابة فوق راسها وحسرت قليلاً من اذيال ثوبها وتناولت سيفًا وطارقة وفعلت كما فعلت انوش وقد كشفت زنودها فارسلت انوارًا وبروقًا شديدا اللمعان اخذا بابصار الجميع وكاد يغيبهن عن الصواب ولا سيما انوش فانها اندهشت من اشراق جبينها وبياض زنودها ومن عملها وكانت لا تظن في الاول انها تحسن حمل السيف فرات منها انها قادرة على اللعب به وعارفة بفنونه تديره بايديها برشاقة وخفة عجيبتين وتقفز من اليمين الى الشمال كانها الظبي النافر من الصياد . ومن ثم فاجأت انوش وصدمتها فتلقتها بصدر رحيب واخذتا في القتال والمحاولة في الجال . وقد تقدم معنا ان عين الحياة كانت عارفة بفنون الحرب عالمة بعض ابوابها ذات قلب قوي وجنان جري فاخذت باعمالها عقول الجميع ولاسيما الملكة تمرتاج فانها انعطفت خواطرها اليها وصار قلبها متعلق بها وخائفة من ان تجرح احداها الثانية وكانت تسر عندما تراهما قد افترقتا للتنقل في اطراف الساحة واللعب بالسيف والرقص فيه وشكرت الله انه جمع فيها كل الصفات وخصها

ببياض وجه واشراق طلعة وهيبة ووقار حتى انهُ لم يكن بين تلك النساء واحدة قط تضاهيها في حسنها فكانت ينبوع المحاسن التي اكتسبتها جميعهن فما من فتاة الا وتنظر اليها في نفس تلك الساعة وهي مع انوش على مثل تلك الحالة غير ان انوش كانت ابسل واشجع وقد تعودت الغارات ومقاتلة الرجال وخوض المعامع ورمي السهام حتى انهُ كان يندر ان يقاس بمثلها اشد الرجال بسالة ومع ذلك فقد تبينت فيها الاقدام فارادت مطاولتها وهي ماخوذة الابصار من اشراق جبينها وبياضها وعين الحياة تزيد في عملها وتجود في قتالها الى ان مضى عليها اكثر من ساعتين وحينئذ نظرت الملكة الى انهما قد غاصتا بالعرق فخافت من تعب عين الحياة وثبت لديها مقدرة انوش عليها وتغاضيها عن ان تظهر لها ذلك فامرتهما بترك السلاح والرجوع عن الساحة الى مراكزهما وفي الحال اطاعتا امرها وعادتا اليها فقبلتا يديها وقبلتهما بمزيد الفرح والسرور وبعد ان جلستا امرت ان يقدم لكل واحدة منهما كاسًا منعشًا من الشراب المفرح للقلوب فشربتا واستراحتا . وبعد ذلك امرت الملكة ان يتقدم من النساء من اراد فاخذت النساء تلعب في تلك الساحة وترقص في ميدان القتال بالسيوف على ما تعلمن عليها كل ذاك النهار ومن ثم امرت الملكة بالانصراف وان تذهب كل فتاة الى مقرها ليعدن في الصباح الى ما يشابه هذا العمل

قال وكان الملك ضاراب كما تقدم قد خرج الى بين عساكره واخرج الموسيقات الملوكية المتعددة وزين الخيام بالزهور والرياحين ورفع فوق كل صيوان علم فارسي واجتمعت الفرسان من كل ناحية ومكان يتهيئون ويستعدون للقيام بهذه الافراح بين يدي الملك وكلهم يدعون لهُ بدوام الافراح ويهنون فيروزشاه بزفافهِ مقدار ثلاثة ايام وفي صباح اليوم الرابع امر الملك ان ينتصب مضمار القتال ويتقدم بين يديهِ الفرسان والابطال ليدبرهم بحسب معرفتهِ وان يركب كل على جواده ففعل الجميع وركب الملك ضاراب فوق جواده كانهُ البرج الحصين ورفع فوق راسهِ العلم الكبير الفارسي وهو علم الاسد والشمس فاخذ يخفق فوق راسهِ اخفاق الهيبة والوقار وفيهِ من علائم الافراح والمسرات ما يبين للراءي انهُ مشترك مع القوم فيها . ثم امر الملك ان تضرب بين يديهِ الموسيقات ساعة من الزمان بالاستعداد للقتال كما لو كانوا يتهيئون لقتال الاعداء فجعلت الطبول تضرب والموسيقات تعزف كانها تنذرهم بوقوع القتال . ثم امر الملك ولده فيروز شاه ان يتقدم اليهِ ففعل وهو على كميتهِ كانهُ الجبل الراسي . وبعد ذلك دعا بهزاد فدنا منهُ ووقف بين يديهِ وهو ايضًا على جواده الذي جاء بهِ من مصر اي فرس البحر فدفع ليد كل واحد علمًا وقال لترأسا هذا القتال الاسمي كل منكما يكون في ناحية واوصيكما بعدالة القتال وان لا يظهر فيهِ احقاد وضغائن وان تجنبا ان يوذي احد من جماعتكما الاخر فليكن على سبيل اللعب والمزاح . ثم انهُ قسم الفرسان جميعهم الى قسمين تحت قيادة كل منهما قسمًا وترتبوا بعد ذلك على احسن ترتيب

وابهى نظام ووقف الملك ضاراب في صدر الميدان وامر الموسيقات ان تعزف بالالحان المهيجة وفي الحال هزّ فيروزشاه علمهُ واقتحم الرجال كانهُ الاسد الرئبال وفعل مثلهُ بهزاد وكان تحت قيادة كل منهما الف فارس من فرسان ايران وابطالها فدارت الحرب على رحاها . واجتهدت الفرسان بما يزيد في ارتفاعها وعلاها . واشتبك كل فارس باخر واخذ معهُ في المحاولة والمناضلة والمجاولة وبقية الابطال والفرسان تنظر عن بعيد بالعيان . وتتعجب من سرعة قتال رجال ايران وخفة جريهم في وسط الميدان . وانتقالهم كفروخ الجان من مكان الى مكان . وبقي القتال على مثل هذا الحال الى قرب الزوال . فاشار الملك ضاراب بضرب طبول الانفصال وان يرجع الفريقان من ساحة المجال فانفصل الجمعان في الحال وجاءوا من الملك ضاراب فقبلوا يديهِ كل بمفرده وشكرهم على ما شاهده منهم في ذلك النهار . وعاد الى الخيام والموسيقات بين يديهِ وتفرقت الاقوام لمناولة الطعام حيث ان الخدم قد هيئتهُ ومن بعد ذلك اخذوا في الهرج والمرج واللعب والمزاح كل ذلك اليوم وفي الصباح امر الملك بنصب ساحة الصراع والعراك بين الفرسان والابطال وانقطع ذاك النهار على تلك الحال وفي المساء عادوا الى الخيام حسب العادة وفي اليوم الذي بعده رجعوا الى الميدان وامر الملك ان ياخذ القوم في انتصاب ميدان لسباق الخيل وعين جوائز وحددها لمن يسبق في الاول ومن يسبق في الثاني وهكذا صرفوا الى اليوم العاشر على مثل هذه الاحوال وبعد ذلك امر الملك ايضًا ان يبطل القتال وفروعه وياخذ القوم في الولائم وشرب الخمور والعقار والدق بالدفوف والرقص في كل مكان وان يكون الجميع مسرورين ولديهم من اسباب الحظ والهناء ما يكفيهم وقامت الافراح في كل ناح وعلت اصوات المغنين حتى ضج ذاك البر من اربع جهاته ورقصت المداين والبلدان من الطرب والسرور وكان النساء ايضًا على مثل هذه الحالة واصواتهن مرتفعة الى الجو الاعلى فبعضهن يزغرط وبعضهن يغني وبعضهن يرقص وبعضهن يصفق بالايدي وغيرهن يضرب بالدفوف وكن من شرب العقار في كل نهار يصبحن بلا وعي ولا ادراك فيطفن من مكان الى مكان

قال صاحب الحديث انهُ في كل صباح كان يذبح مائتي الف راس من الخرفان وتقدم لعمل الاطعمة للرجال ومثل نصفهِ للنساء فكان الجميع ياكلون ويشبعون من فضل الملك وخيره ويدعون لهُ بدوام الافراح والهناء وكان نحو عشرة الاف نفس تطبخ الطعام وتصلح شانهُ ونحو عشرين الف تمد الموائد وتضع الماكل عليها وتفرقها في النواحي وبعد ان يفرغ الناس من الطعام ترفعها وتعيدها وما يبقى من الماكل يوخذ فيوضع في البراري لتاكلهُ وحوش البر وطيور الفلاة . ومثل هذا العدد كان قائمًا لتقديم الخمور والفاكهة كل ذلك عينهُ الوزير طيطلوس بحكمتهِ ومعرفتهِ واوصى بهِ بان لا يترك احد بدون اكرام من المدعوين الذين جاءوا بقصد حضور زفاف فيروزشاه

لانهُ ملكهم وسيدهم فيكونون بذلك راضين من الخاص الى الدون ومن الصغير الى الكبير وكان مثل هذا جار بين الساء والجميع يطلبون ان تطال تلك الايام وتمد فلا تنتهي غير ان ايام الهناء على الدوام قصيرة تنقضي دون ان يشعر بها بعكس ايام الاكدار فانها ترى طويلة مملة لا تنقضي على المصاب الا بعد الياس والضجر . ولما قرب انقضاء تلك الايام المذكورة وصارت على وشك النهاية امر الملك طيطلوس ان يامر بتزيين المدينة وتنويرها ليدخلوا اليها ويجروا ختام الزفاف فيها فبوشر بهذا العمل الذي امر بهِ الملك . ولما كان اليوم الرابع عشر جلس الملك في صيوانهِ على كرسيهِ الخصوصي وجلس الى جانبهِ ابنهُ يرتاحون ذاك النهار ما كانوا عليهِ . ولما استقر بهم الجلوس تقدم طيطلوس من الملك ضاراب فهناه بانقضاء هذه الافراح على ما يرام وختامها بشكر الجميع على ما لاقوه من عمهِ ثم اشار الى فيروزشاه يمدحه ويهنئهُ ويقول

ايا سيداً ما زلت اسالهُ لطفنا ويا ماجداً لم الق حقاً لهُ اكفنا
تنزهت شاناً واجتليت محاسناً وحليت سمعي حيث صار لهُ شنفا
لعمرك للعلياء ادركت يافعا فهزت معانيها الحسان الك العطفا
وكم حزت من غادات خدر مسجفٍ بغيداء جيد قد اباحت لك الرشفا
فقابل حلاها بالقبول فانها غريبة وصف فيك اعربت الوصفا
ودم بالهنا طول الزمان مؤيداً لدولة ايران نعززها لطفاً
زفافك هذا اليوم حل قلوبنا بابهج اوقات نهز بها عطفا

فشكره الملك ضاراب على ذلك واثنى عليهِ فيروزشاه وقبل يديهِ ثم تقدم بعده دوش الراي وفعل كما فعل طيطلوس ثم اشار ايضاً يهنئهُ

اجدُّ غرامي وهو للجسم ناحل واحيي بافكاري الهوى وهو قاتلُ
ولم ارَ مثلي حافظاً سنن الهوى اذا اعرضت عنهُ الصدور الاوائلُ
اذا احدثت عيني لغيرك نظرةً تطهرها غدران دمعي المراسلُ
لناظرك الفتان بالسحر آية عليها رسول الدمع في الخد سايلُ
فتى عمرت منهُ المعالي ولم تكن تعمر ممن بان الا المنازلُ
سراج لبيت الملك اذ هو مظلم وحلى لجيد الدهر اذ هو عاطلُ
ومنهُ الدين الله سيف وناصر وفيهِ لبيت الله حامٍ وحاملُ
اخو الباس والنعمى فاما حماسة واما حسام صادق القول فاعلُ
اذا افترَّ ثغر البيض في افق كفهِ بكت سحب اجفان الجراح الهواملُ
من القوم حلوا ذروة المجد والتقى فهم سيف سما العليا البدور الكواملُ

يروغون من تحت الدروع كانما تسير بهم تحت السروج المهاكلُ

أأجدك النعماء عندي وقد نمت نمو الربى جادت عليها المواطلُ

فدم لايام المسرة رونقـــًا يزيدك رب العرش ما انت سائلُ

وعش بالمنا دهرًا فسعدك ظاهر وجدك مسعود ومجدك كاملُ

وبعد ان فرغ دوش الراي من انشاده عاد الى مكانهِ بعد ان شكره الملك ضاراب وفيروزشاه ثم تقدم سيف الدولة صاحب ملاطية فهنأَهُ بهذا الزفاف السعيد وشكر من افضال الدولة الايرانية الفخيمة وانعامها عليهِ وقربهُ منها ثم اشار بعد ذلك يهنئ فيروزشاه بما ياتي

كوكب السعد بالنجاح انارا وجلا عن صدورها الاكدارا

ردد الطرف في وجوهٍ تراها حسنات تكفر الاوزارا

وغصون تسقى بماء نعيم قد ارتني الشموس والاقمارا

وزوات تقدمت فاضاءت وافاضت على الورى انوارا

تجلى عرائسًا وعليها من جيوب الغمام تلقى نثارا

وترى الروض في شباب وحسن جعل النور برده المعطارا

فننشق من الربى نفحات مهديات ما يدهش الابصارا

واغتنم صحبة الاعاظم واعلم ان فيهم قد نلتقي الافخارا

وتمتع بمدح فرع كريم من اصول زكت علا وفخارا

فتراه في السلم احلم من كا ن وفي العزم صارمًا بتارا

قد محا ظلمة الخطوب صباح مسفر من جبينهِ اسفارا

اترانا نحتاج المسك طيبًا وثناه قد عطر الاقطارا

ان اباءه الكرام هم النا س جلالاً ورفعة واعتبارا

وهم غرس نعمة في البرايا وهبات تدفقت انهارا

وبحور السماح منهم اكفٌ تطعم العنبر الرطيب النارا

واشترى منهم النفوس كريم ودعاهم اعزة احرارا

ايها السيد المعظم شانًا عزك الله رفعــة واقتدارا

واهنا اليوم بالزفاف ودم في هذه الدنيا تخجل الاقمارا

واقتل الوقت بالسرور زمانًا فزمان السرور نحوك سارا

وبعد ان جلس سيف الدولة في مكانهِ تقدم بعده الشاه سرور وقدم شكره للملك ومدح من صهره ثم اشار بهنئهُ بهذه الابيات

هذه ليلة السرور التي كلُّ ولِيٍّ بمثلها مسرورُ
وانا اليوم في طلابك كالدو لاب تجري دموعه ويدور
وتمام السرور عندي ان امـ كن من وجهك الجميل الحضور

فقام اليه فيروزشاه وقبل يديه وشكره على مجابرته وهو يحمد الزمان الذي قاده الى الوفاق والرضاء بينهُ وبين عمهِ ليكون زمن العرس رائقًا ما من شيء يشوبهُ وبعد ان رجع الشاه سرور جلس على كرسيه وقلبهُ مملوءٌ من الفرح والسرور . ثم تقدم بهزاد الى نحو فيروزشاه فقبلهُ وهناه بالعرس واشار يقول

لا تغش يا ربع الحبيب همودا فلقد اخذت على العهاد عهودا
وليغنينَّ فراك عن صوب الحيا صوب المدامع ان طلبت مزيدا
كم غادرت بفناك يوم وداعنا سحب المدامع منهلاً مورودا
ولكم سكبت عليك وابراد دمعي في ذلك اليوم الطويل مريدا
ولقد عهدت بك الفناء سوابحًا بظلال شعبك والحسان الغيدا
وحملت اعباء الفراق وثقلهُ فرداً وحاربت الزمان وحيدا
ورعيت انجمهُ فاكسبت السها سقمي واكسب جفني التسهيدا
نجم تدين لهُ النجوم خواضعًا ملك تخرُّ لهُ الملوك سجودا
غيث يريك من السيوف بوارقًا ومن الجياد زلازلاً ورعودا
راي يرى ما تحت اطباق الثرى وعلا تمهد الى السماء صعودا
يا ايها الملك الذي ملك الورى فغدت لدولتهِ العباد عبيدا
كم غارة شعواء حين شهدتها اعطيت فيها النصر والتابيدا
في نارها كنت الخليل وانما عند التماس حديدها داوودا
اخفيت وجه الارض من جنث العدى حتى جعلت الك الوحوش وفودا
زوجت ابكار العدا بنوسهم وجعلت اطراف الرماح شهودا
كفروا فامنت الروؤس لانها خرت لسيفك ركعًا وسجودا
ضاقت على القتلى الفلاة باسرها فجعلت اكباد النسور لحودا
وجرت على الخيل الدماء مذالة فكانما كسيت بهن جلودا
يا ويح قوم اغضبوك بجهلهم وراوا قريب الفتح منك بعيدا
وتحصنوا في قلعة لم يعلموا ان سوف تشهد يومها الموعودا
حتى رميت حصونها بكتائب شهب وقدت لها الجياد القودا

من فتية كسروا غمود سيوفهم ... واستبدلوا قلل الرؤوس غمودا
نزعوا الدروع عن الجسوم واسبغوا ... فوق الجسوم من القلوب حديدا
مروا بها خزر العيون فارجفت ... جزعًا وكادت بالكماة تميدا
لو لم يورد خدها منهم حيا ... جعلوا الدماء لخدها تورِيدا
قذفت بمن فيها اليك كانما ... علمتها من راحتيك الجودا
قالوا وقد وجدوا اباسك رهبة ... ومخافة تذر الفصيح بليدا
سالوا البقاء فكان مانعك الحيا ... من ان يرى الك سائل مردودا
لو شئت ما ابقت صفاحك يافعًا ... منهم ولا تركت قناك وليدا
نبذوا السلاح مخافة لما راوا ... رايات جيشك قد ملأن البيدا
ظنوا السحاب اذا نشأن عجاجة ... والبرق بيضًا والرعود بنودا
سكروا وما سكروا بكاس مدامة ... لكن عذاب الله كان شديدا
اوليتهم لما اطاعوا انعمًا ... لا نستطيع لبعضها تحديدا
فانظر تجد مع كل نفس منهم ... من فيض برك سائنًا وشهيدا
وصفا الزمان ونلت منه مرادكم ... وجلت اياديك الليالي السودا
وفرشت فيا بيننا سرر الهنا ... وجعلت وقت الحاضرين سعيدا
فاهنا ونم متوسدًا حجر المنا ... ابقاك ربك بالورى مقصودا

ثم جلس بهزاد شاه في مكانه وتقدم بعده فرخوزاد ابن فيلزور البهلوان فهنأ فيروز شاه بزوال البؤس وايام الهناء واشار يقول

امولاي يا انسان عين زمانه ... ومن شك في هذا فليس بانسان
لقد جل ما اوتيته من فضائل ... فضاق بتعدادي لا اطوق امكاني
سررت بها اهل المودة والولا ... ولكنها اودت بحاسدك الشاني
فاجهدت في اوصاف قدرك طاقتي ... وحاولت لمس النيرين فاعياني
تفضل بصفح عن قصور مدائحي ... فوصفك لا ينهيه مثلي بتبيان
فانت ابن بيت لم يزالوا يقابلوا ... اساءة من يجني بصفح واحسان
لانتم بدور العلوم والندى ... اذا غاب بدر لاح بدر بها ثاني
بقيتم لعصر انتم فجر ليله ... وفخر بنيه من صدور واعيان
ودمتم مدى الايام بالانس والصفا ... بكثرة انعام وصحة ابدان
نقيمون اوقات السرور بنعمة ... ندوم وافراح و بشر واحسان

ثم تقدم بعده مصفر شاه فقبله في عارضيه وهناه تهنية الاهل والخلان واشار بمدحه و بطرح لديه تهانيه وانشد

هزّوا القد ودوا رهقوا الاجفانا   او ما رايت البان والغزلانا
وثنوا معاطفهم وقد لاحوا فهل   ابصرت اقماراً علت اغصانا
وجلوا بروق مباسم ما اومضت   الا وامطر دمعيَ العقيانا
و بمجتني منهن خود خدها   قد شاكل النعمان والسوسانا
حرست باسود شعرها اعطافها   وكذا الاسود تحرس الكثبانا
وجلت معاطفها الشهود ولم اكن   شاهدت بانًا اثمر الرومانا
ناديت مبسمها المنضد دره   يا جوهراً كيف اعتديت جمانا
ودعوت بلبل خال ورد خدودها   يا عنبراً ابداً حمى مرجانا
قسمًا ولولا ان ريقك قرقف   ماسمت يا غصن النقا نشوانا
والقضب ماست في الغلائل عندما   صاغت ازاهرها لها تيجانا
والصبح اظهر آية يمحو بها   صبغ الظلام لخلعة السلطانا
مولى اذا ملنا لبث صفاته   كي نستمد الروح والريحانا
املى علينا مجده فاذا انثنى   همنا فلا ندري الذي املانا
متهلل طلق اذا وعد الغنى   بالبشر اطبع بره الاحسانا
كالغيم ما سطعت لوامع برقه   الا واهدت غيثة الهتانا
شرف اليه و بيت ملك شامخ   بعلا الكمال بناله ابوانا
يقظان الحج قد جلا بجبينه   وحسامه الظلماء والاظعانا
ملك تشامخ ملكه فلاجل ذا   اضحى الملوك لعزه عبدانا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه   والليث لا يتخوف السرحانا
بطل اذا رمقت لواحظ سمره   فرّت لها ضم الكلا عميانا
كم ليث غاب صيرته فريسة   ارماحه كي تقري العقبانا
امتقل الصيد الكماة برعبه   لمن ادخرت السيف والمرانا
لم تكتسي اعداك اذ حاربتهم   صافي الدروع بل اكتسوا اكفانا
عاودت اوجههم بحيث لقيتهم   اقفاهم وعيونهم اذ قانا
وكان منطقة بصفحة طرسه   زهر بروض نقط الغدارانا
من معشرهم في الندا سحب وان   جنّ الوغى فتراهم شهبانا

جعلوا السروج ارائكًا لنزالهم … والسمر قضبا والظبا خلجانا
والنبل نورًا والحمام مطاعمًا … والنقع روضًا والعدا اضيفانا
صيدا اذا غابت جفون سيوفهم … جعلوا الطلا لسيوفهم اجفانا
وليهنكم في الدهر ان سناكم … سر القلوب وشنف الاذانا
خدم الزمان ركابكم فاخصكم … بهنائه ووفاكم الاحسانا
انا بهذا الدهر كوكبة نضي … ء على الملوك ترفعًا ومكانا

وبعد ان انتهى مصفرشاه من كلامه رجع الى مكانه فجلس وقام بعده كرمان شاه فقبل يد الملك وتقدم من فيروزشاه فقبله وهناه بهذا الزفاف السعيد وانشد

ايا ملكًا احيى مكارم من مضى … بحسن السجايا او بيمن نقية
واني وان باكرت بالمدح منفدا … لداع اعلياكم بجنح الدجنة
جواهر لفظ قد حلت وتكررت … اليكم بها لا للانام وسيلتي
فانت ملاذي واعتمادي وغايتي … وعزي وسلطاني وامني ومنيتي
وغوثي وفخري وافتخاري وعدتي … وكهفي ومطلوبي وكنزي وعمدتي
ولا زلت في عز وجاه ورفعة … ونصر وملك وافتخار وقدرة
ويسر وخير وارتقاء وعزة … وامن ويمن واقتراح وبهجة
ودم ما رنت روض باحداق نرجس … ومهما شدت ورق باعواد دوحة

ومن ثم قام خورشيد شاه واشار يقول مهنئًا ومادحًا

يا زهر روض يقتطف … وهلال تم في سدف
اشرب هنيًا فالطلا … احلا شراب يرتشف
وانشق ازاهر روضة … خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنايا غادة … حوت الملاحة والظرف
يا من علا اعلى الشرف … اذ حاز بالنسب الشرف
اصبحت منهاج الهدا … ونهجت منهج من سلف
اوضحت شاكلة الصوا … ب فكنت عن سلف خلف
لولم تكن روضًا لما … ابديت زهرا يقتطف
يا بدر مجد قد اضا … وسحاب جود قد وكف
لا زالت دهرك جامعًا … جمل المحاسن واللطف
ولقيت اسباب الهنا … ووقيت دائرة التلف

مامد زاخر راجز   وابان درا من صدف

وعاد خورشيد شاه محفوفًا بثناء الملك ووالده شاكرًا التفاتهما وعنايتهما و بعد ان استقر به المقام نهض الخواجه ليان وقبل يدي الملك ثم قبل يدي فيروزشاه ومدحه على كرمه وجوده وقال له طالما ياسيدي كنت انتظر مثل هذا اليوم السعيد الذي اتمكن به من ان اقف بين يديك واهديك حق ما لك عليَّ من الجميل والمعروف فانت السبب الوحيد لاحياء اسمي وارتقائي ووجودي في دواوين الملوك و بين اصحاب المقامات ثم انشد يقول

فؤاد صبا لم يرجعنهُ حذارُ   ووجد لهُ بين الضلوع قرارُ
وشوق كمين في الجوانح هاجه   بعيد التاني زفرة واوار
ذكرت والذكرى ترجعها النوى   غداة استقل الظاعنون وساروا
نناء واوجسمي في المعاهد قاطن   وصبري يحدوهم وقلبي جار
وليل سرينا فيهِ والقلب ذاكر   زمان التداني والدموع غزار
بكينا فادمينا المحاجر حرقة   وفاضت عيون دونهن بحار
ولما وصلنا الديار عشية   وطاب لنا بعد البعاد جوار
لثمنا بها الاعتاب نبدي تحية   وقد زاد منا عند ذاك وقار
وكحلت اجفاني باثمد تربها   فصحت وهل يشفي العيون غبار
ولولا ظباه من اغر ممجد   لما لاح في قطر السماء منار
ولولا سطاه في الاعادي وباسهُ   لما سار في جوّ الحروب غبار
ولولا نداه اذ يؤمل آمل   لما عم كل العالمين يسار
جزل لهُ في كل يوم مواهب   فليس لراج عن حماه فرار
يصول وفي ايديهِ سمر كانها   لظى طار منها للمنون شرار
اذا جال في الميدان خلت غضنفرًا   على اجدل فيهِ العقول تحار
لهُ اذنا سمع اذا صاح صائح   تشوق لاوان عراه نفار
كانهما اذ ذاك راس براعة   مثقفة قد حرفتهُ شفار
تسابقهُ ريح الصبا فيفوتها   فيلحقها غيظ لذاك وعار
طليق الحيا قد يستهل حياؤه   ببشر على حر الجبين يمار
فلو كان للبدر المنير بهاؤه   لكان لهُ وسط السماء قرار
ولو كان للبحر الخضيم نوالهُ   لما كان في الدنيا فلا وقفار
فيا فارس الهيجاء دمت مكرمًا   تقاد لهُ طول الزمان مهار

ويا ملكاً مالت اليهِ قلوبنا　　تهنى فان الانس فيك يدار
وجد لدخيل جاء يخدم بابكم　　بلطف بهِ كل الانام تحار

وبعد ان جلس الخواجه ليان مكانهُ ومدحه فيه وشكره على انشاده وخلوصهِ ووعده بكل جميل ومعروف وانهُ سيكون عنده على الدوام معززاً مكرماً وتقدمت من بعده الفرسان والابطال والقواد واحداً بعد واحد وكل منهم يقدم لهُ التهنئة ويمدحه بقصيدة ويعود الى مكانه وكان بين كل مرة تضرب الموسيقى الايرانية بانغام السرور والتهاني اجابة لطلب الملك ولما فرغ الجميع من تهانيهم لهُ وما تقدم ذكره تذكر ما مر عليهِ وما عرّض بهِ رجالهُ وخطر بباله ما لاقى من الاهوال وكيف تغلب على كل الصعوبات التي حالت دون غايته الى ان نال مراده وهو لا يصدق ان ذلك اليوم يوم زفافهِ وخطر لهُ ما جعلهُ ان يردد منشداً

شفّها السير واقتحام البوادي　　ونزولي في كل يوم بوادي
ومقيلي ظلّ المطية والتر　　ب فراشي وساعداها وسادي
وضجيعي ماضي المضارب عضب　　اصلحتهُ القيون من عهد عاد
ابيض اخضر الحديدة مما　　شق قدماً مرائر الاساد
وقميصي درع كأن عراها　　حبك النمل او عيون الجراد
ونديمي لفظي وفكري انيسي　　وسروري مائي وصبري زادي
ودليلي حسن التوسم في البيـ　　ـد لبادي الاعلام والاطواد
واذا ما هدى الظلام فكم لي　　من نجوم السماء في الليل هاد
ذاك اني لا تقبل الضيم نفسي　　ولو اني افترشت شوك القتاد
هذه عادتي وقد كنت طفلاً　　وشديد عليّ غير اعتيادي
فاذا سرت احسب الارض ملكي　　وجميع الاقطار طوع قيادي
واذا ما اقمت فالناس اهلي　　اينما كنت والبلاد بلادي
قد تبيت العلياء جهداً لجدي　　وركوبي اخطارها واجتهادي
وبلفظي اذا نطقت وفضلي　　وجدالي عن منصبي وجلادي
غير اني وان انيت من النظـ　　ـم بلفظ يذيب قلب الجماد
انما مفخري بنفسي وقومي　　وقناتي وصارمي وجوادي
معشر اصبحت فضائلهم في الا　　رض تتلى بالسن الحساد
البسوا الاملين اثواب عزّ　　واذلوا اعناق اهل العناد
كم عنيد ابدى لنا زخرف القو　　ل واخفى في القلب قدح الزناد

ورمانا من غدره بسهام | نشبت في القلوب والاكباد
فسرينا اليو في انجم السمر | ر بغاب يسير بالاساد
واتينا من الخيول بسيل | سال فوق الهضاب قبل الوهاد
وبرزنا من الكماة باطوا | د حلوم تسربى على اطواد
كلما حاولوا الهوادة منا | شاهدوا الخيل مشرفات الهواد
واخذنا حقوقنا بسيوف | غنيت بالدما عن الاغماد
فكان السيوف عاصف ريح | وهم في هبوبها قوم عاد
ولئن فلت الحوادث حدي | فلقد اخلص الزمان انتقادي
ولقد نلت من منى النفس ما رمـ | ت وادركت منهُ فوق مرادي
وتحققت انما العيش اطوا | رٌ وكلٌ مصيره لنفاد

وانقضى ذاك النهار على مثل تلك الحال يظهر كلٌ لفيروزشاه هناءه وسروره بهذا الزفاف السعيد وعند المساء قال الملك ضاراب لوزيره ولبقية امرائهِ واعيانهِ اننا قد صرفنا اربعة عشر يومًا في هذا المكان على الحظ والهناء دون ان يرسل لنا الله ما يكدرنا او يبعث علينا امرًا نكرهه ولذلك ارى من الواجب ان نجعل يوم غد هو اليوم الاخير يوم صلاة وصوم وعبادة لله عز وجل لنقدم لهُ شكرنا وشعورنا برحمتهِ وعدلهِ والتفاتهِ الينا منذ البداية الى النهاية فهو الاله الواجب علينا التمسك باذياله ورحمتهِ الى الابد لانهُ وان نسيناه ايامًا فهو لا ينسانا قط بل ينظر الينا ويساعدنا في كل دقيقة وساعة. وعليهِ فليكن معلومًا عندكم ذلك لتكونوا على استعداد لمثل هذا اليوم الذي هو عندنا من اهم الايام وافضلها وبدونهِ لا يمكن ان ينتهي زفاف فاجاب الجميع طلبهُ وعرفوا اضطرارهم الى ذلك كون قلوبهم كانت مملوءة من حبهِ تعالى وخوفهِ. وبعث الملك بامره الى الملكة يأذنها ان تصرف نفس ذاك اليوم على هذا النمط المتقدم ذكره لتكون العبادة عبادة وهكذا كان فان اليوم الخامس عشر صرف بالشكر لله والصوم والصلاة حتى كان في كل مكان وفي كل جهة ترتفع الاصوات بالصلاة فلا يسمع غير ذكر الله سبحانهُ وتعالى وتردد اسمهِ طول ذاك النهار الى ان انقضى الى مسائهِ وعند المساء تناولوا الطعام مشعرين برحمتهِ تعالى وبقبول صلاتهم اليهِ وبعد العشاء جلسوا الى صيوان الملك واجتمعوا حواليهِ فامرهم ان يكونوا في صباح الغد على استعداد للدخول الى المدينة حيث انقضت ايام الافراح في الخارج وان الذين يدخلوا هم الاعيان والامراء والقواد فاجابوه الى طلبهِ ثم سال الملك طيطلوس اذا كان قد انتهى العمل من زينة المدينة وتنويرها. فاجابهُ ان هذا قد انتهى عملهُ اذ ان العاملين قد حضروا اليهِ واخبروه بذلك. فسر الملك منهُ وباتوا تلك الليلة على نية الذهاب الى المدينة في الغد

قال وكان للمدينة اربعة وعشرين بابًا كبيرا اقيم على كل باب قبة من النحاس الاصفر وعلى اعلاها دواليب تدور حاملة الانوار تديرها معها وعلى عواميد القبة قناديل من الزجاج الكثير الالوان ما بين احمر واخضر واصفر وماشاكلها وهي محاطة بفروع الرياحين الحاملة الازهار الحمراء والبيضاء والصفراء ومثل ذلك كان اعلى كل باب وجانباه اي انها كانت مغطاة بالرياحين وفي وسطها الانوار المختلفة الالوان وفوق كل باب ثلاثة اعلام كبيرة فارسية واحد في الوسط وهو الاكبر والى جانبيهِ اثنان اصغر منهُ ومثل هذا كانت جميع اسواق المدينة وقصورها فقد علقت عليها القناديل الملونة تحيط بها من كل جهة بحيث تغطي جدرانها فلا يرى منها شيء البتة سوى القناديل المذكورة وكان قصر الملك ضاراب هو القصر الكبير في المدينة وكان موقعهُ في وسط المدينة تمامًا ولهذا علقت القناديل مرسلة من كل باب من ابواب المدينة الى القصر المذكور اي انهُ ربطت حبال طويلة مرسلة من الابواب الى اعالي القصر المذكور وعلق في تلك الحبال القناديل واخذت التدابير اللازمة في كل الجهات للتنوير في اثناء الليل وامر طيطلوس ان تفرش اسواق المدينة من قصر الملك ضاراب الى قصر زوجتهِ القائمة فيهِ مع البنات بالمنسوجات العجمية الثقيلة التي هي من نوع السجادات ومن قصر الملكة ايضًا الى قصر ولدها فيروزشاه بحيث لا تمشي العروس الا على السجادات فلا تدوس بارجلها الارض او بلاط الاسواق وان تزاد الانوار في تلك الطرقات وتحف بالزهور والرياحين من كل جهاتها وكان كل ما امر بهِ ودبره قد انتهى بوقت قريب لان كل ذلك قد تهيا منذ دخولهم المدينة قبل اتيان الملكة الى حين العاذة اليهِ

قال وفي صباح اليوم السادس عشر نهض الملك ضاراب فركب على جوادهِ وامر الامراء والشاهات ان تركب وتنزل المدينة فركب الجميع وساروا بعد ان اوصوا العساكر بالمحافظة على السكينة ومداومة الافراح مدة ثلاثة ايام اخر لوحدهم اي الى اليوم الاخير الذي ينتهي بهِ زفاف فيروزشاه على عين الحياة وكذلك زفاف بقية الامراء وعين لهم ما هو من اسباب هذا الهناء ليدوم عندهم الثلاثة ايام المذكورة ونزل محفوفًا بكبراء قومهِ حتى دخل المدينة معهم وكلهم يتعجبون من هذا الترتيب الذي تقدم ذكره ومن عمل طيطلوس ورسمهِ الذي كان برسمهِ للعاملين والشاغلين بمثل هذه الامور ودخلوا قصر الملك فوجدوه مفروشًا بالمفروشات الجديدة الذهبية والحريرية كلها جديدة كانت قد هيئت منذ اشهر لمثل ذلك اليوم وكذلك الاواني وبقية الاثاث فانهُ كان جديدًا ومن الدرجة الاولى في الحسن والاتقان وغلاء الثمن وكانت كل حيطان القصر من الداخل مغطاة بالسجادات الفارسية الملكية التي كانت تشغل للملوك وهي التي احضرتها معها الملكة من ايران استعدادًا لمثل هذا اليوم فقدمتها لتفرش في قصور الفرسان وقصر الملك وكانت كرسي الملك مجللة بوشاح من الذهب وعليها اي على مكان جلوسهِ فيها قماش من الحرير الناعم جدًّا محشوٌّ من

ريش النعام الناعم ايضًا وهكذا كانت الى جانبهِ كرسي ولده صاحب هذه القصة وعريس ذاك الاحتفال وكانت كامل كراسي الامراء تقاربها في الشكل والهيئة الا انها كانت اصغر منها مقدارًا ولما دخل الملك واستقر بهِ المقام قال لرجالهِ وامرائهِ فليذهب الان كل منكم الى مكانهِ ياخذ لنفسهِ الراحة ويبيت هذه الليلة على سرير الهناء على امل ان تعودوا الينا في الغد فيكون الغد مخصوصًا لزفاف ولدي على جهان افروز في مسائهِ واليوم الذي بعده يكون زفافهُ على عين الحياة بنت الشاه سرور وكذلك يكون زفاف بقية الامراء في نفس اليوم المذكور وهو الذي كنت انتظره منذ سنين واعوام انا وبقية قومي ورجالي وكثير من العالم ايضًا المحبين لنا الراغبين في مصلحتنا فاجابوا طلبهُ وذهب كل الى مكانهِ وكان فيروزشاه يرى من نفسهِ انقباضًا وكدرًا فاستاذن من ابيهِ ايضًا وذهب الى قصره الخصوصي فوجده على ابهى واسنى ما يكون من الحسن والرونق يزيد قصر ابيهِ اتقانًا وجمالاً غير انهُ لم يفكر بذلك بل كان يرى من نفسهِ غيظًا وكدرًا كيف انهُ يزف على جهان افروز قبل عين الحياة مع انهُ لا يفضلها عليها ولا يرغب فيها وكيف يمكنهُ ان يعيش معها كل تلك العمر وهي تطلب مفارقة عين الحياة ومزاحمتها فيهِ ويذم الزمان الذي جاءه بها واوصلها اليهِ مع انهُ كان في غنى عنها وما بعثت اليهِ الا لتمزج فرحه باكدار وكان اكثر همهِ وغيظهِ عندما يفكر ان عين الحياة ستتكدر في الغد اذا شعرت بزفافهِ على جهان افروز فعلاً ودخولهِ بها وانها مهما كانت كريمة الاخلاق لا بد ان تتاثر من ذلك اذ ان الطبيعة النسائية تتغلب عليها وتجبرها الى ان ترى من نفسها انها اتخذت شريكًا بهِ فتلعب بها الغيرة وتمسي عرضة للغيظ والحنق . واكبر شيء كان يكدره ما سبق منهُ من الوعد لجهان افروز مع انها لم تلاقي في الحب ما لاقتهُ هي ولا تحملت لاجلهِ ما تحملتهُ من المصائب والاهوال والتشتت من مكان الى مكان حتى اصبحت في اقصى ممالك العالم وابعدها مشتتة عن بلادها . وكثيرًا ما فكر في الاحتناث بوعده ورجوعه عن محبة جهان افروز الا انهُ يرى اضطراره الى ذلك اكرامًا لاختها المرهفة ولوعده لها بانهُ سيدخل عليها قبل عين الحياة . وصرف كل تلك الليلة بمثل تلك الافكار الى ان استقر اخيرًا ان يبقى على ما هو عليهِ وان يقوم بصادق وعده حفظًا لشرفهِ وناموسهِ وانهُ متى اجتمع بعين الحياة يعتذر اليها وهي من نفسها تعلم انهُ لا يحب جهان افروز بتعشق ولا يميل اليها قط من ذاتهِ وتعلم ايضًا انها مالكة لكل قلبهِ وحدها دون غيرها وان لا يسر مزيد السرور الا بالاجتماع بها والتقرب منها وهذا الفكر اراحه . وقال سوف بعد ذلك تظهر الايام لها ما يجعلها بامان واطمئنان وسترى بعد هذا الزفاف خلوصي لها واعتنائي بها اكثر من تلك

هذا وكانت تمرتاج الملكة قد دخلت المدينة بعد نهاية احتفالها بمن معها من النساء والبنات وتفرقن عنها كلٌّ الى ناحية واخذت الى قصرها البنات اللاتي عندها من قبل ودخلت القصر

واقامت فيه ذاك النهار تصلح شان جهان افروز لعلمها انها ستزف في اليوم الثاني على ولدها وهيئت لها كل ما تحتاجه واخرجت لها ملابس العرس وجعلتها على اتم الاستعداد ودبرت من بعدها شان الباقيات على امل انهن في اليوم الذي بعده يكون زفافهن على الامراء وكانت افرحهن جهان افروز لانها فكرت في ان تكون في مقدمة عليهن وعلى عين الحياة وانها عن قريب تنال غايتها وما كانت تتمناه من فيروزشاه وصرفت كل هذا الوقت منذ رانة في الاسكندرية الى هذا اليوم على الامل والرجاء تنتظر هذا اليوم لتحسب من نفسها انها زوجة له وقد قربت الى نوال غايتها وحازت السباق على الجميع واعد لها يومًا مخصوصًا وباتت على فراشها بالسرور والفرح تتمنى انقضاء تلك الليلة لتكون في اليوم الثاني مع فيروزشاه . وكانت حالتها هذه بخلاف حالة عين الحياة التي شعرت في ذلك اليوم بعظم الغيظ والكدر من مسابقة جهان افروز لها الى حبيبها واثرت فيها هذه الحالة ولعب بها نوع من الغيرة والحسد ولو لم ترَ سلوى من نفسها لانفطرت مرارتها وانشق فوادها واصيبت بالجنون لكنها قالت في نفسها ماذا يا ترى اقدر ان اعمل اليس هو نفسه يقبل ذلك ويسرني ان افعل غايته وارادته واني اعرف معرفة اكيدة انه لا يفضلها عليّ ولا يحبها بقدر حبي عنده والبرهان ان كل قلبه عندي وطالما وجه اليّ باميالهِ واعرض عنها وقال لي اني انا التي ساصبح ملكة ايران ويقدم التاج لي وحدي واشاركه في حياتهِ وملكهِ وهذا دليل قوي على ارتفاع منزلتي عنده على سواي وهو يحبني بخلوص زائد ولا يمكن ان يرجع عن حبي وقد عاهدني ولا يكذب قط بعهده ولا يرجع عنهُ كيف لا وقد لاقى من اجلي عذابًا من اشد العذابات واصعبها ورمى بنفسهِ مرات كثيرة الى المهالك والمخاطر طمعًا باستماع كلمة مني او املاً بنظرة من وجهي على ان هذه الدخيلة لم تكن ولا وقعت من افكاره ولا سعى وراءها قط بل هي سعت وراءه وطلبته فهي التي تعشقتهُ وليس هو الذي يعشقها . ولما فكرت اخيرًا انها في المعتدية لم تقدر ان تضبط نفسها من زيادة الحنق منها والغيظ من مزاحمتها واجهدت كثيرًا ان تطرد عنها هذه الافكار وتتسلى عنها بغيرها فلم يطعها قلبها بل اخذ في ان يحارب افكارها ليتسلط على تعقلها ليقنعها انها بشر وانها من جملة النساء اللاتي تفعل بهن الغيرة الى حد الجنون كما تفعل بالرجال اصحاب النخوة والمروّة اذ لا يقدرون على السماح لاحد ان ينظر الى نسائهن . وكانت حرب قوية قائمة داخلها بما اقلقها كل تلك الليلة ولم ياخذها نوم قط واخيرًا قالت لا خلاص لي من هذه الورطة الوبيلة الا بالاتكال على سيدي ومخلصي فيروزشاه فسوف اعرض عليهِ امري واسالهُ ان يتسبب بابعادها عنا فلا تكون على الدوام مزاحمة لي بهِ ومن ثم يكون لي وحدي . وما من مخاصم بهِ ولا شريك يحاسبني وقد صدق من قال

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ... ولكن جنى ذنبًا يأول الى الترك
اراد شريكًا بالمحبة بيننا ... وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

وذلك مشهور في كل نفس انثى كانت او ذكرًا وما من لزوم للبحث عنهُ والاخذ فيهِ وما من احد يلوم عين الحياة على مثل هذه الافكار الصادرة عن قلب مملوء بالحب والخلوص . وعندما فكرت بالاتكال عليهِ ارتاحت نوعًا وصبرت الى حين الاجتماع بهِ فتعرضهُ عليهِ . وكانت هذه الافكار ليست تشغل فقط فيروز شاه وعين الحياة بل كانت موضوع بحث واهتمام عموم امراء إيران وشاهاتها ومن هم في تلك الدعوة يتعجبون من وقوع هذا الامر الذي وقع بالصدفة فالجأ فيروز شاه الى ان يتخذ لهُ زوجة قبل عين الحياة ويزف عليها قبلها وهي تنظر وترى

قال ولما كان صباح اليوم الثاني من دخولهم المدينة نهض الجميع من مراقدهم ولبسوا ملابسهم النظيفة وجاءوا قصر الملك ومثلهم فيروز شاه فانهُ نهض متكدرًا من نفسهِ وخرج الى قصر ابيهِ ودخل عليهِ وقبل يديهِ وجلس وهو منقبض وظهر من حالتهِ انهُ غير راضٍ من هذا الزفاف كل الرضا ولم يخفَ امره على احد انما كان ذلك بالقضاء والقدر والصدفة العجيبة . ولهذا امر الملك الموسيقات ان تحضر الى قصره في الحال وان تقام في المدينة كل اسباب الزينة واللهو وان يطرب الجميع وان تدار الخمور على الحضور قاصدًا بذلك ان يلهي ولده عن حالتهِ فجرى ذلك واخذ الفرح يدور على الجميع كانهُ مكلف من نفسهِ الى ذلك لا ياتي بالغرض المطلوب لا من فيروز شاه ولا من رجالهِ الذين كانوا يفرحون لفرحهِ ويتكدرون لكدره ولحظ هو من نفسهِ المركز الواقع فيهِ وانهُ محتاج الى طرد هذه الافكار من راسهِ واظهار كل سرور وفرح حبًا بقومهِ واقاربهِ ومن حواليهِ فجعل يضحك ويفرح دون ان يقدر على اخفاء ما يظهر على وجههِ من الادلة الظاهرة . وعلى ذلك طلب الملك ضاراب من طيطلوس ان يقنع ولده بترك هذه الاوهام من راسهِ وان يبين لهُ وجوب القيام بالعرس بفرح وطرد كل هم وكدر يطرأ عليهِ . فتقدم طيطلوس منهُ وقال لهُ ان حالتك هذه التي ترغب ان تخفيها هي ظاهرة للعيان وقد لحظها منك كل من هو في هذا المكان ولا سيما ابوك . وهذا عين الغلط منك وان كنا نعلم انك صادق الحب لعين الحياة فقد استدللنا منك انك كاره في هذا الزفاف على جهان افروز مع انك وعدتها بهِ وعدًا فارسيًا ولا يمكن الرجوع عنهُ قط وانت تعلم ان الله سبحانهُ وتعالى قد سمح للرجال ان يتخذ الواحد منهم اكثر من زوجة لانهُ خلقهن للتعاون لنا والتعاضد وسلطنا عليهن وسلم بايدينا زمام امرهن وجعلهن وسيلة لنعمتنا وبالة كبرى لاحياء جبلتهِ التي خلقها واوجدها بحيث تكثر وتتناسل والسبب الوحيد في منحنا هذا الامتياز بان الرجل يقدر ان ياخذ اكثر من واحدة بوقت واحد رغبة في اكثار النسل بحيث ان الرجل اذا اكتفى بواحدة ربما تكون عاقر فلا تلد قط فيلتزم الى اخذ غيرها لاحياء نسلهِ وايجاد من يقوم بمصالحهِ بعده واذا اتخذ اثنتين او ثلاث وكن كلهن والودات كان ذلك افضل واحسن في عيني الله سبحانهُ وتعالى لانماء خليقتهِ وهذا السبب الوحيد في خلقهِ للنساء مع امور اخرى كثيرة ضرورية لارتباط

الرجل باكثر من زوجة يعرفها كل انسان . فاذا كان الله سبحانهُ وتعالى منحنا هذه السلطة وخيرنا باتخاذ النساء فلا نتكدر من حكمهِ علينا بهن ومن اللازم اللازب الان ان تسر سرورًا عظيمًا لعلمك ان لا بد من زفافك على جهان افروز ولا تقدر ان ترجع عنهُ وانت ساع فيهِ وانها ستصبح في نهاية هذا اليوم زوجتك من لحمك ودمك . فقال فيروزشاه اني اعرف ذلك غير اني لا احب ان اسرَّ بزواج هذه كسروري بزواج عين الحياة وكما ان الله سبحانهُ وتعالى منحنا السلطة ولم يحرم علينا ان نتخذ اكثر من واحدة كذلك خيرنا فيهن ولم يمنعنا من تفضيل بعضهن على البعض وليس من العدل ان اكون بزفاف جهان افروز بحالة كالحالة التي يجب ان اكون بها يوم زفاف عين الحياة ومع كل ذلك فاني افعل ارادة ابي واسلم بامري اليهِ تعالى ان يرمي التعزية بقلب عين الحياة كي لا تكون غيورة من هذه الدخيلة . ومن تلك الساعة اخذ ان يتدرج الى مساواة قومهِ بالفرح والسرور والغبطة والحبور مؤملاً انهُ لا بد من مضي ذاك النهار وتلك الليلة واتيان الغد فيزف على عين الحياة

قال وصرف ذاك النهار بالحظ والمسرات التكليفية والماكل والمشارب الى ان كان المساء فاشعلت المدينة بالانوار ولعبت في افاقها الانوار النارية من كل مكان وقام الغناء في كل ناحية . ثم نهض الملك ضاراب وامر ان ينهض الجميع و يسيرون الى قصر الملكة لاجراء الزفاف فيهِ وكتابة العقد فنهضوا جميعًا وساروا الى قصر الملكة وكانت جهان افروز قد تزينت بافخر الملابس التي كانت قد اعدتها لمثل ذاك اليوم وهي من صنعة الجان تكاد تدهش الابصار بما زاد في حسنها وجمالها حتى كانت فتنة للناظرين وبهجة للرائين ولما راها فيروزشاه كاد يوخذ بذاك الجمال الباهر ولولا تعلقهِ التعلق الشديد بعين الحياة لاتخذها معبود الهُ الا انهُ صبر على نفسهِ وقال هي ليلة فتنقضي وفي الحال نهض طيطلوس فاخذ العروس وقدمها من الملك فقبلت ايديهِ وايدي الملكة وهي لا تقدر ان تصف عظم الفرح الواقعة فيهِ و بعد ذلك تقدمت من فيروزشاه وكتب عقد الزفاف على النسق الفارسي المعروف عندهم في ذلك الزمان وحينئذٍ تقدم الجميع فهنأ وا فيروزشاه وكانت الملكة قد اعدت المعدات اللازمة عند اجتماع الآتين اليها فامرت ان يقدم لهم الشراب ونحوه و بالاختصار بعد ان صرفت السهرة في قصر الملكة امر الملك ان يسير ولده الى قصره محفوفًا بالامراء والعظماء وان الموسيقات تعزف امامهُ الى حين وصولهِ الى قصره ومن ثم يرجعون عنهُ الى مساكنهم ليرتاحوا تلك الليلة اذ ان في الليلة التي بعدها يكون امرهم طويلاً وسهرهم كثيرًا وفرحهم اعظم عظيمًا . وهكذا كان فان الجميع ساروا بين يدي فيروزشاه الى قصره حتى دخلهُ ومن ثم تفرقوا عنهُ وذهب كل الى مكانهِ ودخل فيروزشاه وهو وحيد مع جهان افروز ورأى من نفسهِ انها صارت زوجتهُ شرعًا وانهُ مضطر ان يعاملها كمعاملة الزوجات فاخذها اليهِ

وترحب بها وكانت عنده طول تلك الليلة وقد صرفوا ليلة هناء لم يصرف مثلها فيروزشاه منذ خلق الى ذاك اليوم و بعد ان نال كل منهما هناءه على احب ما يرغب تكرارا وانبثق نور النهار واخذ الصباح في ان يتقدم حينئذ نهضت جهان افروز فقبلت يديه وقالت له اعلم ياسيدي اني اريد ان اطلب اليك امرًا ولا احب ان تمنعني منه قط لاني صرت الان في يدك وتحت امرك ومسئولة بك وبراحتك . قال قولي مهما اردت فاني لا امنعك من امر تريدينه . قالت احب اولاً ان تقسم لي بحياة ابيك ومحبة عين الحياة ان لا تمنعني منه . فاقسم لها بطلبها . فقالت له اعلم يا سيدي اني كنت احترق وقتًا طويلا على مثل هذه الليلة وقد نلتها كرمًا منك ولطفًا واذ كنت احب عين الحياة كما تحبها انت وقد تعلق قلبي بها مثلك لما وجدت فيها من كرامة الاخلاق ورقة الجانب لا سيما وهي نفسها التي سبقت فقبلت ان اكون زوجة لك قبلها وقد قبلت انت بعدها ذلك بالرغم عن احساساتك وارادتك فانت معذور على كل حال لانك عاهدتها قبلي واخلصتها الود واخترتها منذ عدة سنوات شريكة لحياتك وزوجة بيتك فوجدت من نفسي ثقلة عظيمة لا اقدر ان احملها قط وكنت مرارا كثيرة افكر في ان ارجع عن طلبي وابعد عنك فلا اكدر عيشتك بها ولا اكدر عيشها بك ولا اكون بينكما علة كدر غير ان حبي كان يمنعني ونطلبات قلبي لا تطيعني ان ارفض سعادة اعدها لي الزمان واختارتها لي الصدف فالتزمت ان اصبر لبعد هذه الليلة بحيث نلت مرادي واطفيت تلك الجمرات التي كانت تستعر بنيران حبي لك حتى صرت اقدر ان اقول .

واقول للعذال موتوا حسرة هذا الحبيب وها انا المتمتع

وارى من ذاتي الان وان كنت اعد نفسي منك بلذات عظيمة وبسعادة عيشة ابدية بالتقرب اليك والنظر في وجهك غير اني سا تغلب على امبالي فاقهرها ترضية لعين الحياة وخدمة لك واسير عنكما الى بلادي وما ذلك الا لاكون كعين الحياة كريمة الاخلاق فاترك لها من تحبه ولا اقبل ان تكون اعظم مني كرامة ولا اريد منك ان تمانعني في ذلك . قال كيف يكون ذلك بعد ان صرت زوجتي واصبحت مضطرًا للمحافظة عليك . قالت انت اقسمت لي فلا يمكن ان تحنث بقسمك وترجع عنه واني اقسم لك بحبك الذي هو افضل ما اعتبره في هذه الدنيا اني ابقى محافظة عليه واصون نفسي حتى انقضاء عمري وابقى غير ذكرك لا اذكر . فشعر فيروزشاه كأن همًا عظيمًا سقط عن قلبه ووجد في داخله راحة كبرى وقال لها حيث اقسمت لك فلا بد من القيام بقسمي فلا امنعك شيئًا تختارينه قط ثم ودعها وودعته الوداع الاخير وخرجت من امامه باكية العين حزينة القلب وسارت الى بلادها لا تعود فيما بعد ولا تذكر في هذه القصة . و بعد ان ذهبت من امام فيروزشاه تاثر لرحيلها وحزن حزنًا موقتًا لانها على كل حال صارت من لحمه ودمه وعرفها معرفة الزوج للزوجة

وبقي نحواً من ساعة على حالتهِ الى ان اشرقت الشمس فنهض من فراشهِ ولبس ثيابهُ واذا بابيهِ قد
دخل عليه مع طيطلوس الحكيم ودوش الراي ليهنئوه بما مضى عليهِ فلاقاهم وترحب بهم واخبرهم
بما كان من جهان افروز وانها اختارت الرحيل الى بلادها وانها لا ترجع فيما بعد اليهم فتاثروا
من ذلك الا انهم قالوا ان الخير في بعدها لعين الحياة ولك وقد نظرت موضع النظر وفعلت الفعل
الجميل الحسن . ثم اقاموا في قصره نحو ساعة وخرجوا وذهبوا الى الملكة فاخبروها بما تقدم ففرحت
واخبرت عين الحياة . وذهب الملك الى قصره لقيام عرس ابنهِ في ذلك النهار وبقية الامراء
وزفافهم على البنات في تلك الليلة

قال وبعد ان ذهب الملك من قصر ولده نهض فصلى لله وهو مسرور بما سيلاقيهِ في ذلك
النهار ثم دخل غرفة اللبس فافرغ عليهِ ثوباً محلى بالذهب مرصعاً بالالماس والياقوت مخرجاً بالاخرجة
الذهبية في كل جهاتهِ واخرج سيفاً مجوهراً مصفحاً بالذهب مرصعاً ايضاً بالحجارة الكريمة من اعلاه
الى اسفلهِ فتمنطق بهِ في وسطهِ ووضع على راسهِ قبعة من الذهب الخاص في اعلاها نجمة من الجوهر
محاطة بشعاع ذهبي حتى اصبح من راسهِ الى قدمه محاطاً بالذهب . ولما انتهى من لبس ثيابهِ تقدم
احد خدمهِ واخبره ان الموسيقات عند الباب بانتظاره وقد اعدلهُ جواده الكميت للركوب ليسير
الى قصر ابيهِ فخرج الى الخارج واذا بالجواد مسرجاً بسرج من الذهب الخاص المرصع بالحجارة
الكريمة ايضاً فركبهُ وفي الحال ضربت الموسيقات امامهُ بالحان التهاني وكانت طوائف من العساكر
واقفة الى الجانبين صفوفاً من قصره الى قصر ابيهِ فحين ارتفاعهِ على ظهر الجواد ضج الجميع وصاحوا
بصوت واحد فليحيَ فيروزشاه وليهنا ملكنا ورفعوا بسيوفهم علامة السلام لهُ فسار بتلك العظمة
والاحتفال وهو يحيي رجالهُ عن الجانبين وهم يدعون له بالنصر وطول العمر والاقبال وبقي سائراً
وكان كما تقدم ارض الطريق مفروشة بالسجادات العجمية حتى وصل من قصر ابيهِ فنزل عن جوادهِ
واذا بطيطلوس ودوش الراي ينتظرانهِ في الخارج وعليهما الملابس الرسمية الذهبية والوسامات
الفارسية تلمع عليهما ولما دخل باب القصر تقدما منه ووضع كل منهما يده تحت ابطهِ وسارا بهِ الى
باب قاعة الجلوس فخرج ابوه الملك ضارباً الى ملاقاتهِ عند بابها وعند ما راه خر ساجداً بين
يديهِ وقال لهُ امنحني البركة يا ابي فرفع يديهِ فوق راسهِ وقال لهُ فليباركك الرب يا ابني وليكن
فرحك كاملاً ولتحيَ بايامك دولة الفرس ثم رفعهُ وقبلهُ فقبل يديهِ وسار كل الى كرسيهِ وجلس
عليها . وبعد ان استقر بهِ الجلوس امر الملك ان تسير الموسيقات الى قصر ابن عمهِ كرمان شاه وان
يوتى بهِ على مثل هذا الاحتفال ففعلوا وجاءوا بهِ مكرماً معظماً فدخل على الملك وقبل ايديهِ وقبل
فيروزشاه فقبلهُ وكان عليهِ من الملابس الرسمية الذهبية ما هو من ملابس الملوك وبعد ان جلس
اتي بصفرشاه ومن ثم بخورشيد شاه وفرخوزاد وكلهم بالملابس الرسمية الملوكية واجتمع في القاعة الشاه

سرور والشاه سليم وسيف الدولة والجميع عليهم ثياب الافراح وكذلك بهزاد فانهُ لبس ملابس ابيهِ المختصة بهِ كلها من الذهب الوهاج ووضع على راسهِ القباء الاخضر المذهب الذي انعم بهِ عليهِ الملك وبالاختصار ان تلك الغرفة كانت مملوّة من الذهب بما لا يثمن بثمن ولا يقدر بحساب وبعد ان تم اجتماع الجميع امر الملك ان ينهضوا الى مائدة الطعام فقاموا واكلوا حتى اكتفوا وكانت المائدة وما عليها من الذهب الخالص ثم رجعوا الى مراكزهم وجلسوا على كراسيهم فامر الملك ان يدار عليهم الخمر والنقولات وان تضرب الموسيقات باصواتها المفرحة وان يغني المغنون وان يصرف به ذاك النهار باعظم ما يكون من اسباب الفرح والسرور وهكذا صار . وكان فيروز شاه فرحاً جداً تطفح على وجههِ في كل دقيقة علائم المسرات والاستبشار وهو يحيي الجميع ويظهر منتهى سروره وفرحه بما هو فيهِ وهذا الذي كان يزيد في سرورهم ويبرهن الى ابيهِ والى الجميع خاوص وده لعين الحياة وانهُ يحبها محبة لا انقاس بها محبة حتى اصبح معنى الحظ والفرح بخلاف اليوم السابق فانهُ كان غير مسرور من نفسهِ . وانقضى ذاك النهار على مثل تلك الحالة والجميع في بسط وانشراح ولا سيما فرخوزاد وكرمان شاه ومصفر شاه وخورشيد شاه وبهنزار قبا فان كلاً منهم يعد نفسهُ انهُ سيلاقي بعد ساعات قليلة حبيبتهُ ويذهب بها الى خلوتهِ وتنقضي تسوُّلات غرامهِ وهم يرفسون بارجلهم ذاك الوقت القصير الضيق

ولما كان المساء اشتغل ذاك القصر بالانوار من كل جهاتهِ ومثلهُ المدينة باجمعها حتى لم يعد يرى قط بيت او سكن او قصر كبيراً كان او صغيراً دون تنوير من الخارج من الاعلى الى الاسفل كل هذا والموسيقات تضرب من كل الجهات على حسب ما تقدم وكانت الملكة تمرتاج قد سالت الملك ان يتناول الطعام في ذاك المساء في قصرها مع كامل الامراء والاعيان ولذلك امر ان يسير الجميع الى هناك فركب الملك وركب الى جانبهِ فيروز شاه وركب من بعده الجميع واحداً بعد واحد على تلك الصفة وساروا بين طوائف العساكر من المتفرجين الى قصر الملكة حتى دخلوا واذا بها قد فرشت ارضهُ من الباب الى كامل الغرف من المخمل الحريري الغالي الثمن ليدوس عليهِ والدها ولما استقر بهم الجلوس قدم لهم الشراب ثم دعيوا الى غرفة الطعام فاكلوا واكتفوا وعادوا الى مكانهم ينتظرون امر الملكة لاجراء العقد

قال وكانت الملكة تمرتاج قد اصلحت بيدها شان العروسات باجمعهن على حسب ما اشتهت والبستهن الملابس الفاخرة وزينتهن بابهى الحلى والجواهر ووضعت على روُّوسهن اكاليل من الزهور البيضاء وافرغت على كل واحدة وشاحاً من الكشمير المرصع بالاخرجة الذهبية وكانت ابهاهن منظراً وهيئة عين الحياة لانها البستها ذاك الثوب الذي كانت تعده منذ زمان لمثل هذه الليلة البهية الانيسة وجعلت كل ما عليها من الراس الى القدم من الجواهر الثمينة اللامعة ووضعت بين

رجليها كرسيًا من الذهب تضعها عليهِ حتى كانت تبهج كل من راها وقد زاد هذا في محاسنها التي
كانت تشرق في ذاك المحفل باشد الانوار واللمعان . ولما اتى الملك ورجالهُ الى القصر وضعت فوق
كل واحدة من العروسات شوراء رفيعة من الحرير الابيض . وعند فراغهم من الاكل وارتياحهم
قليلاً دعتهم للدخول لكتابة العقد فدخلوا جميعًا وكانت قد هيأَت لهم محلات الجلوس فجلس
كل في مكانهِ وقد نظر فيروزشاه الى عين الحياة نظرة الحب الخالص فكاد يقع الى الارض من
عظم ما اصابهُ لانهُ اندهش بما هي عليهِ وما اعطاها الله من الحسن الذي كان يزيد بها كل دقيقة
وكذلك عين الحياة فانها سرقت نظرة منهُ بطرف عينها فوجدتهُ على تلك الحالة وهو مجلل بالذهب
والانوار وجهه اللامع تسطع وتلمع وتضيء ضياء الاقمار ولولا تحول بنظرها حالاً عنهُ لوقعت الى الارض
دون شك انما تجلدت وصبرت على نفسها وجعل قلبها يخفق وهي تسكنهُ وخافت من الفضيحة
وجعلت تعود بنظرها اليهِ مرة بعد مرة اسيء انها كانت في كل فترة تبعث بنظرة خفية اليهِ ثم تحول
عنهُ بسرعة واصبحت غير واعية للحالة التي هي فيها وهكذا كان فعل كل فتاة مع فتاها . ولما استقر
بهم الجلوس امرت الملكة ان يقدم الى الجميع الشراب فشربوا ثم امرت احدى الخدم ان يقدموا
على صينية من الذهب تاجًا مرصعًا كانت قد اعدتهُ لتلبسهُ لعين الحياة في وقت عقدها فاتى بهِ
وكان اشبه باكليل في دائره جواهر كل واحد منها بقدر الجوزة مشغولة على احسن ترتيب ونظام
واتقن صفة منقوش بالذهب في كل جهاتهِ نقشًا بديعًا وكان لمعان ذاك التاج يشبه لمعان البرق
الخاطف حتى انهُ كاد يقارن تاج الملك الذي على راسهِ وهو التاج الفارسي بفخمة مجوهراتهِ او تاج
الملكة وهو تاج ملكها بهيئتهِ وتركيبهِ . ولما دخل الخدم بذاك التاج محمولاً على صينية من الذهب
على ايديهم قالت الملكة اني استاذن من سيدي الملك ان يسمح لولده فيروزشاه ان يلبس زوجتهُ
هذا التاج بحسب العادة لانها ستصبح الملكة في بلاد فارس والمالكة على اهلها وستلبس ذات يوم
التاج المرفوع الان على راسي ومن الواجب حفظًا لعادة فارس ان تزين بهذا التاج الذي هو
بمقام الاكليل رمزًا عن التاج الحقيقي الذي يرفعهُ الى راسها بعد قليل من الايام حيث يشاء الله
سبحانهُ وتعالى فاجاب الملك سوالها وطلب الى فيروزشاه ان يتقدم الى عين الحياة ويقدم لها التاج
عن الصينية ويرفعهُ الى راسها . فاجاب هذا الطلب غير انهُ كان يرتجف من داخلهِ لما اعتراه من
الخفقان عندما امعن بها النظر جيدًا ورفع التاج وقرب منها فوقفت اجلالاً لهُ ودنت منهُ
وقد اخفضت راسها قليلا وهي مطرقة الى الارض فوضعهُ عليها ورجع الى ابيهِ فقبل يديهِ ويدي
والدتهِ وجلس في مكانهِ ولما وضع التاج على راس عين الحياة وجدت من نفسها انها دخلت في
درجات الملكات الفارسيات وهي لا تصدق بذلك وقد زادت بهاء فوق بهاء وجمالا فوق جمال
واخذت الانوار تندفق وتتموج من فوق راسها على جبينها فتلطمها امواج الحسن بما هي عليهِ من

القوة والفيضان وتدفعها دفعاً قوياً بما يحصل من الالتطام والتقاء القوتين وهكذا كانت كأنها ينبوع لكل حسن وجمال ومصدر لكل زينة ورونق ولم تكن بنات الملوك بين يديها الا كالخادمات امام السيدة لانهن وان كن جميلات ذلك الزمان انما جمالهن كان كالخادم عند جمالها

وبعد ان استقرت الملكة نحواً من ربع ساعة وعاد كل شيء كما كان اخرجت علبة من الذهب مرصعة باثمن الحجارة الكريمة ففتحتها واخرجت منها عقداً من الجواهر الكبيرة كل واحدة بقدر البيضة يساوي ملك ملك وتقدمت من عين الحياة فالبستها اياه في عنقها وكان وهو في يدها يشرق ويلمع بلمعان البرق حتى اندهش منه الجميع الا انه لما صار على عنقها اختفى ما هو به من الرونق والبهجة واكمد لمعانه بما غطاه من بياض عنقها ولمعانه ثم ان الملكة اخرجت عقداً اخر ادنى منه درجة والبسته انوش بيدها واخرجت ثالثاً فالبسته كليلة ورابعاً فعلقته بعنق طوران تخت وخامساً بعنق تاج الملوك وسادساً بعنق كولندان وسابعاً بعنق نور وكلما البست فتاة عقداً قبلت يدها على هذه المنة والاكرام ولما انتهت الملكة من عملها ومن تقديم هداياها الى العروسات عادت الى كرسيها وسالت الملك اجراء العمل بكتابة العقد فامر طيطلوس الوزير بذلك فنهض في الحال وعقد لعين الحياة على فيروزشاه وطلب لها البركة من الله سبحانه وتعالى وسال اباه ان يباركه فباركه واهداه الرضا ودعا له بالتوفيق والسعادة وطول العمر والبنين واذ ذاك صفق له الجميع فرحاً واستبشاراً وصاحوا فليحيَ سيد الفرس وملكهم ثم جلس الى جانب عروسه ومن ثم كتب عقد مصفرشاه على طوران تخت بنت الزليخا ملك مصر ودعا له بالتوفيق معها واجلسه الى جانبها ومن بعده عقد لتاج الملوك بنت النعمان بن المنذر صاحب لدن الطائف على خورشيدشاه ابن عم الملك ضاراب ومن بعده عقد لكولندان بنت صاحب الاسكندرية على كرمان شاه وهناه الجميع ومن بعده عقد لفرخزاد على انوش بنت الشاه سليم وفرح الجميع له ولا سيما اخوه بهزادشاه بطل ايران وبهلوانها فانه تقدم منه وهناه وقبله في جبينه وبين عارضيه فقبله هو ايضاً واظهر له شكره وكانت قلوبهما قد رقت وصفت وامتلأت من الحب والحنو . وبعد ان انتهى طيطلوس من عمله طلب من دوش الراي ان يعقد له على نور بنت الونهريد الخطل وزير الملك قيصر فكتب له كتابه ووقع الشهود على كل عقد وشهدوا على كل عريس وعروس وبعد ان انتهى كل عمل امر الملك اولاً بضرب موسيقات التهاني في نفس ذلك المحفل ففعلوا وكانت الملكة قد استحضرت جوقاً من المغنيات فامرتهن بضرب الالات والغناء وكن من الروميات فضربن الالات وغنين الغناء المطرب حتى كان المكان يرقص من عظم الفرح ومن طربه بعذوبة الفاظهن وحسن اصواتهن قال وبقين على مثل ذلك الى ان مضى قسم كبير من الليل والخمور تدار على الحضور بامر الملكة من كل انواعها وقبل انقضاء السهرة امرت الملكة ان تحضر مائدة الحلوى المعدة لمثل هذا العرس

فاحضرت ونهض الجميع اليها ووجدوا من طيب الماكل التي كانت الملكة قد امرت بصنعها ما ياخذ بشهوة كل انسان فانها كانت من الذ الانواع المعروفة من ملوك الفرس وغيرهم وبعد انقضاء مدة الاكل والاكتفاء نهضوا الجميع يشكرون من الملكة ومن حسن انعامها واكرامها للجميع واعتنائها بهم

وبعد ان راق لهم الوقت مدة نصف ساعة قال الملك ضاراب الان قد انتهى الوقت ولم يبقَ من وسيلة للتطويل لان الليل اوشك ان ينقضي وصار من اللازم علينا ان نطوف في المدينة بالعروسات والعرسان ومن وصل الى قصره ادخلناه اليه وذلك رغبة بان يدور الجميع على اهل المدينة لانهم لا يزالون بالانتظار وكثير منهم ومن رجالنا ورعايانا وغيرهم قد دخلوا المدينة واقاموا على جدرانها وسطوحها وفي طرقاتها املاً بان يروا ملكهم وعروسه ذاهبًا بمثل هذا الاحتفال الى قصره وعليه اكرامًا لهم وحبًا باجابة رغائبهم اريد ان اطوف بولدي وزوجته وامراء مملكتي ونسائهم في الشوارع الى ان يدخل كل سيد الى قصره ومن ثم نعود اذ لا بد اذ ذاك ان يكون قد اشرق الصباح او كاد يشرق . فوافقه الجميع على رايه وتعجبوا من حلمه ورقته وانتباهه الى صالح رعيته واهتمامه بها في كل زمان ومكان ولا سيما الشاه سرور فانه اندهش من كل هذه الاعمال التي كان يراها ويسمعها وهو يندم نفسه على ما فرط منه بحق صهره فيروزشاه وكان ينظر اليه وهو جالس الى جانب بنته نظر المتعجب من جماله وقد عرف اذ ذاك حق المعرفة وكشف الحجاب الكثيف الذي كان يستر اعينه ان فيروزشاه هو اجمل رجل في ذاك الزمان كما انه اشجع رجل وابسل فارس فيه وان لا يليق ان يكون لعين الحياة زوجًا غيره فما خلقت الا له وما خلق الا لها وكثيرًا ما كان يحدث نفسه بنفسه ويقول ابن طيطور اللعين الخبيث ينهض من حفرة هلاكه وياتي الى هذا المحضر فيرى هذين القمرين اللذين لا نظير لها في هذه الدنيا وهل من العدالة والراي ان يمنعا عن بعضهما

وبعد ان فرغ الملك ضاراب من كلامه نهض واقفًا ووقف من حواليه جميع رجاله وابناء عمه من الكبير الى الصغير واخذ كل امير بيد امير وكل فتاة بيد عروس وخرجوا الى الخارج وكانت الخيول مسرجة بالسروج الذهبية بعضها للرجال وبعضها للنساء فركب الجميع وفي مقدمتهم عين الحياة بتلك الصفة البهجة كالكوكب الوضاح ومشت الموسيقات بين ايديهم تعزف باصوات الهناء والفرح واحدة بعد واحدة . وامر الملك ان يحمل بين يدي عين الحياة احمال الذهب من اليمين واليسار فترمي بها على الناس لتلتقطها وهكذا كان فان عين الحياة اخذت تقبض من تلك الاحمال قبضة بعد قبضة وترش بها على المتفرجين والعساكر الذين كانوا وقوفًا على جانبي الطريق فكانت الاقدام تزدحم للالتقاط فكانت اكفها مصدر الغنى لكثيرين من الناس من الرومان وغيرهم اذ ان

الذهب كان يتساقط من سماء يديها كتساقط الامطار من صدر السماء ولهذا كان الدعاء قائمًا من كل مكان للملك ضاراب وولده لانهما ينبوع الكرم والرحمة وقد افرغا الخزائن واخرجا الذهب الذي جاءا به من حد ايران الى بلاد الرومان فافرغوه بيوم واحد حتى ان الارض كانت تفرح وتبسم ضاحكة من مرور عين الحياة عليها حيث انها قد مزجت ترابها بالذهب . وما مشوا الا القليل حتى مروا بقصر مصفرشاه فامره الملك ان يدخل اليه بعروسه طوران تخت فاستاذنه ودخل بها وكان قصره مزينًا ومفروشًا بالفرش الفاخرة فسلم على عروسه ودخل بها الى غرفة النوم وهو مملوء من السرور والفرح . واما الملك ضاراب فانه سار مع من تقدم ذكرهم على تلك الصفة من العظمة والرونق حتى مروا بقصر خورشيد شاه فامره الملك ان يدخل بعروسه ثمرتاج الى قصره وينفرد به فاجاب واخذها من يدها بعد ان استاذن منه بالدخول ودعا له بطول العمر والبقاء والعز والارتقاء ودخل القصر قاصدًا غرفة المنامة حيث كانت سرر المنامة معدة لمثل تلك الليلة المنتظرة

وسار الملك ضاراب وعين الحياة على حالتها ترش الذهب من اليمين الى الشمال والناس تلتقط وفيروزشاه يحيي الجميع بابتسام وبشاشة وهم يدعون له ويتمنون بقاءه امامهم لامتلاء اشواقهم من النظر اليه والشاه سرور يسير من خلف بنته وصهره والى جانبه الخواجه ليان وهو ماخوذ من هذا العمل متعجب من تلك الحالة البهجة وقد قال للخواجه ليان اني لا اقدر ان اكافئك ايها الرجل الامين المحب لدولتي وشخصي لانك انت بالحقيقة السبب الوحيد الذي قاد هذا الرجل العظيم في العالم الينا واوصله الى بلادنا ولو كنت ذو عقل وحكمة منذ الاول لما اخترت سواه لي صهرًا غير ان الله قد اعمى بصيرتي عن النظر الى الصواب وابعد عني معرفة الحقيقة وذاك اللعين طيفور الزمني الى ابداء كل هذا العناء حتى خسرت ملكي ووطني واهلي ولو لم تداركني عين الحياة بما اعطيت من الحكمة والدراية وما ارتبطت به من الحب لخوي لخسرت نفسي ايضًا خسارة الموت والهلاك الا انها كانت تعرف حق المعرفة ان العناية الالهية تسر مزيد السرور اذا حافظت على طاعتي وحبي وسهلت لي طرق الراحة وعليه فقد اجهدت نفسها لتوفق بيني وبين فيروزشاه وتجمعنا على المحبة والسلام ولم تقبل ان تسلم ذاتها له دون ان اكون معه على اتم رضا ووفاق . قال انها مصيبة بذلك حكيمة نظرت موضع النظر ورات الى مستقبلها بعين الصواب لانها لو قبلت ان تكون زوجة لفيروزشاه غير ملتفتة اليك لما لقيت من الهناء والراحة بل كانت في كدر داخلي وعذاب ضمير اذ تكون قد باعت اباها بيع الخيانة والاهانة وكانت تذم من العالم اجمع وتلام من الكبير الى الصغير لان زوجة فيروزشاه تكون ذات موقع في السنة الملوك وابنائهم ووزرائهم وامرائهم وعرسها يكون له شان في كل زمان ومكان فكانت حينئذ تذكر بالاستهزاء والاحتقار فيقال

انها اخذت سبية وقبلت لغايتها بهلاك ابيها او بعده عنها وعلى هذا فهي الان كاملة في كل شيء الم ترَ ان هذا الاحتفال العظيم التي في فيهِ لم يسبق ان سمع بمثلهِ قط منذ بداية الخليقة الى هذا اليوم قد اجتمع فيهِ من الناس مئات الالوف والوف الالوف من الرجال والنساء من اقاصي الارض حتى ادانيها وبذر فيهِ من الذهب ما لا يقدر بحساب كان نهرًا يتدفق على الناس من كل جهة فكيفما ملت وجدت الذهب مكومًا وموجودا ومبذورًا بعضهُ على الارض وبعضهُ في السقوف وبعضهُ تحت الارض كانهُ تراب لا بل ادنى من التراب فاشكر الله على مثل هذه النعمة التي اوصلتك اليها حتى اصبح اول رجل في الدنيا زوجًا لبنتك ومساعدًا لك ومعينًا لامورك ولكل احوالك وبالحقيقة انك ستلاقي خيرًا بعد ان لاقيت عذابًا واهوالاً . قال اعلم اني في حيرة عظيمة من اموري لا اعرف ما تنتهي اليهِ احوالي لان الشاه سليم قد صار صاحب بلادي وحاكمها وسيدها وقد نصبهُ الملك ضاراب عليها ووعده بكل جميل ولا يمكن ان يحنث بوعده معهُ لان الفرس اصحاب صدق ووفاء فلا يمكن ان يرجعوا بقول عزموا عليهِ ونووه ولهذا اريد منك لانك مقبول الكلمة عند صهري ويمكنك ان تذكرني عنده بعد انتهائهِ من زفافهِ واني ساطلب ايضًا من بنتي عين الحياة ان تذكرني امامهُ ونسالهُ ارجاع ملكي او غيره بحيث يعاد اليَّ جاهي وسلطاني واكون حاكمًا لا محكومًا ولا تفقد من يدي تلك السلطة التي استلمتها من ابائي واجدادي على اني مرارا كثيرة نويت ان اسعى بذلك فيمنعني الحياء واصبر نفسي واقول لا بد لهم من ذواتهم ان ينتبهوا اليهِ ولا يمكن ان ينسوني ويتغاضوا عني واني اخاف ان يكونوا بحيرة من ذلك مرتبكين بيني وبين الشاه سليم . قال لا بد من النظر في ذلك بعد هذا اليوم واني اظن ان صهرك لم يغفل عنهُ قط انما من الواجب عليهم ان لا يفكرون بهِ ولا يبدونهُ الا بعد نهاية الزفاف بحيث تحضر زفاف بنتك واني ارى من المناسب ان نقسم مملكة اليمن الى قسمين قسم لك وقسم للشاه سليم ويضاف عليها بعض ملحقات من البلاد التي دخلت في ايديهم قال اني اقبل ذلك ولا ارفضهُ وعلى كل حال فان الله يدبر امري بحكمتهِ ورحمتهِ والملك ضاراب يعاملني بعدلهِ وكرامتهِ واني اشعر من نفسي ان حالتي ستكون احسن من الاول بكثير لان صهري قادر على كل شيء وبيده كل شيء وهو سيكون السيد على كل هذه البلاد التي دخلت في يده وتسلط عليها من بلاد ايران حتى بلاد الرومان قال اصبت بهِ فهو وحده الذي يقدر ان ينفع ويضرُّ غير اني ارى انهُ من الضرورة بعد مدة من الزمان ان الفرس يسيرون الى بلاد الصين لتخليص امرائهم منها ولا يمكن للملك ضاراب قط ان يتركهم او يتغاضى عنهم ولا يمكن لملك الصين ان يسلمهم دون حرب وقتال بل يبقيهم عنده الى حين وصول الفرس اليهم حيث يجعلهم مفتاح شر وعناد

كل هذا يجرى بين الشاه سرور والخواجه لبان وهما سائران في ذاك الحفل الى جانب بعضهما

والملك ضاراب وفير ورشاه و باقي الامراء والفرسان سائرون على اتم ترتيب ونظام مشغلون بالافراح والمسرات و بما يلاقون من اجواق المتفرجين الى ان وصلوا الى قرب قصر كرمان شاه فوقفوا عنده وتقدم اذ ذاك من الملك ضاراب وقبل يديه واستاذنه بالدخول الى القصر بعروسه فاجابه وقبله وهنأه باتمام فرحه ومسرته على كل خير وتوفيق ودخل كرمان شاه وادخل معه كولندان بنت الاسكندر صاحب الاسكندرية وهو لا يصدق بان ينال منها مراداً او يجتمع بها بمثل هذه الخلوة وكان قلبه مولعاً بحبها منذ راها في الاسكندرية دون ان يسمح له الزمان ان يجتمع بها او يحكي لها ما بقلبه بل كان يتحمل ثقل هواها وهو قاطع الرجاء منها لعلمه انها ستكون زوجة لخورشيد شاه وان الحب بينهما مكين ولا يمكنه ان يزاحمه بها . قال وسار الملك بتلك الابهة والاحتفال على الطرقات من مكان الى مكان حتى قرب من قصر فرخوزاد فوقف واستوقف الجميع والموسيقات تضرب على مثل ما هي عليه لا تفتر دقيقة واحدة عن العزف والغناء واذ ذاك تقدم فرخوزاد من الملك فقبل يديه وسأله الاذن بالدخول الى قصره . وفي الحال انحدرت دمعة رقيقة من عيني الملك وقال له اهنأ ايها النسل الكريم لامين دولتي المرحوم فيلزور الذي قتل ظلماً في هذه الحرب وصرف كل العمر في خدمتي وطاعتي وان لا شيء احب لدي من ان ارى نفسي قادراً على مكافاة اولاده الذين تركهم في مملكتي يخدمونها نفس خدمته واعظم امر اشتهيه في زماني كله هو ان يكون ذلك الامين حاضراً معنا الان يشاهد ويرى مجد اولاده وعظمتهم وفرحهم فوقع كلامه هذا في قلوب الجميع وما منهم الا من بكى على فيلزور وتذكره لانه صاحب الفضل عليهم واستاذ بهلواني ايران ومحب الجميع . ثم ان الملك ضاراب قال لفرخوزاد ادخل الان سعيداً مع زوجتك ويسرني ان اراك مسروراً كما يسرني ان ارى اخاك بهزاد قائماً في منصب ابيه يجبي له ذلك الاسم الشريف المحبو من كل رجال ايران . واذ ذاك قبل فرخوزاد يد الملك ضاراب ويد عمه الشاه سليم وقبله كل منهما ودخل الى قصره بعروسه انوش وهي الى جانبه كانها البدر المنير مسرورة السروره لانها لاقت من هواه عظيماً املاً بتلك الليلة كما لاقى هو ايضاً وقد خطبا بعضهما قبل كل امير وفتاة من رجال ايران اي منذ اكثر من ست سنوات من حين مسير فير وزشاه من ايران وافترافه ووقوعه في المدينة السيلمية وليس في الاعادة افادة ولهذا دخل بها الى غرفة منامه وانفرد بها اوحده يشكر الزمان الذي عاد فبادله بالاجتماع

وكان فرح الشاه سليم بزفاف بنته على فرخوزاد ليس باقل من فرح الملك ضاراب بزواج ابنه بعين الحياة لانها كانت وحيدة له معبوده محبة الاهله لا يهمه شيء من هذه الدنيا الا امرها وكان ايضاً يحب فرخوزاد محبة الابن الامين الصادق منذ وقع في مدينته الى ذلك اليوم وكان اعظم شيء يسره ايضاً خلوصه لدولة ايران ووقوعه عندهم بارفع مكان واعلى درجة حتى انهم كانوا

يعتبرونهُ اعتباراً عظيماً و يفضلونهُ على سواه وكان يهير مع تلك الحفلة وهو يطلب منهُ تعالى ان يزيد في هناء بنتهِ وان يرزقها الله البنين وتدوم مع صهرهِ على الوفاق وطول العمر وقد سرَّ ما سمعهُ من الملك باظهار عواطفهِ وشعوره نحو صهره والتفاتهِ اليهِ كونهُ ابن فيلزور البهلوان الذي كان الرجل الاول في مملكة ايران بنسبة طبطلوس وزيره الاول بخلاف الشاه سرور فان بعض الحسد الذي كان مجبولاً عليهِ تحرك اذ ذاك في فواده وحسب ان محبة الملك لفرخوزاد ولاولاد فيلزور تزيد في رفعة مقام الشاه سليم وتقدمهُ اكثر فاكثر من الملك ولهذا قال للخواجه ليان ان منزلة الشاه سليم تنمو على الدوام عند الملك ضاراب ومن هذا ارى ان لا بد من بقائهِ في منصبهِ ولا يمكن للملك ان يفصلهُ منهُ واذا فصلهُ وقصد ان يعيد اليَّ ملكي تتكدر اولاد فيلزور وهم لا يرغب في كدرهم فما من وسيلة ارى للرجوع الى تعزاء اليمن والتسلط عليها كالاول . فعلم الخواجه ليان انهُ حسد الشاه سليم من ذاك الاعتبار غير انهُ قال لهُ كن مرتاحاً ياسيدي وانظر الى الامور بعين بصيرة اليس صهرك هو عند الملك ضاراب اعز من صهر الشاه سليم واحب عنده من كل انسان بل هو احب من نفسهِ ايضاً اليست بنتك كنتهُ ومحبوبة اليهِ اكثر بكثير من انوش بنت الشاه سليم فانت على كل حال افضل في عين الملك واحب عنده وعند ولده من الشاه سليم لكنهُ صادق الخدمة معهما مخلص الحب لهما ولدولتهما فلا بد من مكافاتهِ واعتباره على كل حال واما ما فعلتهُ انت معهم من القبائح والعداوة وما سببتهُ لهم من العذاب والحروب قد اصبح الان نسياً منسياً ولا اظن ان احداً منهم يذكره فيما بعد او يفكر بهِ لانهم كرماء الاخلاق صافون البواطن لا ياخذون المجرم بجريمتهِ اذا تاب اليهم واعترف بذنبهِ فارفع من ذهنك كل هذه الاوهام وعندي ان الملك سيعيدك الى ما كنت عليهِ غير ملتفت الى الماضي وذلك مراضاة لبنتك عين الحياة التي اصبحت كواحدة منهم بل سيدة عظيمة فيهم ولا يمكن اذا سالت زوجها امراً يمنعها منه او يرجعها عنه لانها عنده افضل من العالم اجمع وافضل من كل ممالكها وملوكها لانهُ وهو يحبها بتعشق عجيب قوي لا نظير لهُ . فاطمأن فكر الشاه سرور من كلام وزيره الخواجه ليان وراى انهُ يقدر ان يعود الى ملكه اذا اعتنت بنتهُ عين الحياة بامره وسالت زوجها فيهِ وطلبت اليهِ ان يكرمهُ ويحسن معاملتهُ ومما زاده اطمئناناً ما يعلمهُ في بنتهِ من الميل اليهِ والرغبة في صالحهِ وكان يسير الى جانبهِ ايضاً ولداه الشاه اسد والشاه ليث وهما كابيهما ماخوذان من كلما يشاهدان و ينظران من ذلك الاحتفال وكان يقع على قلوبهما ما يقع على قلب ابيهما وتحركهما تلك الاعمال الى محبة الفخار والمجد ويتمنيان ان يكون لكل منهما احتفالاً مثل هذا الاحتفال وكانت مزية الطمع مولدة فيهما اصلية وصلت اليهما بالارث ولذلك كانا يتمنيان ان يكون كل ذاك الذهب الذي يبذل من ايدي اختهما هو لهما ومن عجب العجائب ان تكون عين الحياة بنتاً للشاه سرور اذ لم يكن فيها ولا صفة قط من صفاتهِ

و بل كل ما كان فيها كان وحيداً ومحبوباً يندر وجوده في غيرها من النساء والرجال وقد يظهر ان الله ما زينها بتلك الصفات الحسنة الا ليجعلها بعين فيروزشاه وبصلحها انكون زوجة له وان تحمل على قلوب الناس منشبعة الى بيتو بجيوش الدعاء والاستحسان ومروا بعد ذلك على قصر بهمتزارقبا وامروه بالدخول الى قصره فدخل بزوجته كليلة بعد ان قبل يدي الملك وشكره وكان يزيد شوق اليها يكاد لا يصدق اجتماعه بها

قال وبقي الملك ضاراب في مسيره بعد ادخال فرخوزاد الى قصره في صدر ذاك المحفل المشهود من كل انسان حتى وصل الى قصر بيد اخطل الوزير وهو القصر الذي اقام فيه طيطلوس الوزير فوقف الملك هناك وامر الناس بالوقوف ودعا طيطلوس ان يدخل بعروسه الى قصره . فقال له اني لا ارغب في ذلك يا سيدي الان بل من الواجب عليّ ان ابقى بخدمة سيدي فيروزشاه الى حين وصوله الى مكانه بحيث اكون قد اتممت ما انا بانتظاره لانه سيدي وعلى العبد القيام بخدمة السيد فقال الملك ان هذا لا يمكن قط ولا ارغبه وليس من العدل الا معاملتك كبقية اهلي وقومي مع انك انت افضل من الجميع عندي ولا يمكن لدولة ايران ان تسري بدون رايك او تعتز بغير حكمتك فلهذا انت ميزان تقدمها ونجاحها فادخل واهنأ بعرسك هذا وافرح كفرح غيرك ولا يليق بنا ان ندعوك الى مرافقتنا الى اكثر من هذا لاسيما واننا قد انتهينا من المسير وبعد دقائق قليلة نصل الى قصر ابي فندخله اليه ومن ثم يعود كلٌّ الى حال سبيله وما حاجة بعد لمرافقتك فاجاب طيطلوس سؤال الملك ودنا منه فتصافحا وتوادعا ودخل طيطلوس الى قصره مصحباً معه نور وهو مسرور بها وهي مسرورة به وقد ثبت عندها انها زوجة لاعقل رجل في العالم واحكم رجل وانه رفيع المقام بما يقابل درجة الملك ضاراب اكرامًا واعتبارًا في الدولة الفارسية ومن ثم دخل واباها الى غرفة منامته

قال صاحب الحديث وهكذا قد انتهى اجتماع كل محبوب بمحبوبته من تلك البنات اللاتي تقدم ذكر حديثهن معنا في هذه القصة منذ بدايتها الى تلك الساعة ولم يبق الا فيروزشاه الذي بقي سائرًا مع ابيه قاصداً قصره لان مصفرشاه دخل على محبوبته طوران تخت وصرف معها بقية تلك الليلة على المسرة والهناء ونال منها كل ما كان يتمناه غير انها لا تاتي منه بولد قط بل تكون عاقر . وكذلك خورشيد شاه فانه اختلى بزوجته واتاها من عظم شوق زائد ودام على التقبيل والعناق

انتهى الجزء السابع عشر من قصة فيروزشاه
ويليه الثامن عشر عما قليل ان شاء الله

الجزء الثامن عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

وبث اشواق وشكوى فراق تقضى وتمضي ولم يبق لهُ اثر وهذه اي تاج الملوك تحمل منهُ بالبطل شير واه وسياتي معنا ذكره في ما ياتي من هذه القصة ان شاء الله وبقي معها على تلك الحالة الى اليوم الثاني واما كرمان شاه فانهُ يلد لهُ ذكر يدعى شيرزاد يخرج إفة عظمى وطامة كبرى ويكون لهُ حديث يذكر وليس كرمان شاه كان مع عروستهِ باقل هناء وبسط من غيره بل لاقى مثلما لاقوا وشاهد مثلما شاهدوا وكانت صاحبة غنج وخلاعة ودلال فاسكرتهُ حتى كادت تغيبهُ عن الهدى وفرخو زاد مع عروستهِ بالحظ والسرور وكانت تتلقاه ملاقاة المشتاق الولهان حتى انقضى عليهِ ما بقي من ذلك الليل بما زاده في انوش محبة وتعلقًا وقد سلمتهُ بنفسها تسليم الزوجة للزوج فنال منها حلالاً كل ما كان يتمناه ويتطلبهُ منذ سنين وهي تروح منهُ حامل بولد ذكر يدعى اردوان وهذا ايضًا يكون لهُ من هذه القصة نصيب عظيم وحديث يحكى فيما بعد ومثلهُ جرى على طيطلوس فانهُ نظر الى عروسهِ نظر الشاب الى الشابة واحلها منهُ محل الرضا وصرف اخر ليلتهِ معها بما امر بهِ الله تعالى وكتبهُ على جبين كل ذكر وانثى واحلهُ في راس كل مخلوق من خليقتهِ انسانًا كان او حيوانًا قيامًا بوظيفة التناسل وسنة التوارث التي سنها عليهم واحياء وانشاء للشغل بالارض وما عليها وتدبير امورها وتحسينها على الدوام . وقد قيل انهُ ياتي لطيطلوس الحكيم من زوجتهِ هذه نور ولد ذكر يدعى بزرجمهر ويكون حكيماً عاقلاً كابيهِ ويكون لهُ كغيره شان في دولة فارس ويكون محبوبًا من الجميع كابيهِ ايضًا ولا ياتي لهُ غيره ومثلهُ كان عمل بهمنزار تبا احد بهلوانية الفرس غير انهُ لاقى من زوجتهِ كليلة ما سره جدًّا وجعلهُ بارفع درجة من البسط والانشراح لانها كما تقدم كانت من نساء الشام الموصوفات بالرقة واللطف وحسن المسايرة والدلال والقصف وهكذا قد انقضى عرس اولئك الامراء والشاهات والقواد وتم عليهم بوجه السرور الاخير دون مكدر او حدث مانع يمنع من قضاء اغراضهم واتمام افراحهم

واما فيروزشاه فانهُ بقي سائرًا الى جانب ابيهِ ومن جانبهِ الاخر عين الحياة على جواد عال مسرج بالذهب كما تقدم وهي تنثر الذهب فوق الرؤوس على مثل ما تقدم ومن خلفهم بقية الملوك والامراء والوزراء والشاهات حتى قربوا من قصر فيروزشاه واذا هو برجع ونور باشد الانوار وقد تجمع حولهُ الوف من الناس ينتظرون وصول العروس والعريس اليهِ وكان الوقت اذ ذاك اخر الليل وكادت انوار النهار ان تكشف ظلمة سواده الاخير وعند وصول الجميع الى تلك

الساحة صاح الناس صياح الافراح والمسرة وصفقوا بايديهم لعظم الفرح وكان كثيرات من
النساء فوق الجدران والسطوح تزغرطن وتبدين اصوات الفرح والهناء مجيبات الرجال على
اصوات الدعاء والافراح . ولما وقف فيروزشاه امام قصره وقف الجميع لوقوفه ونظر الى ابيه
منتظراً امره واذا بالملك قد دعا بالشاه سرور وسأله ان ينزل بنته عن جوادها بيده الى الارض
ويقدمها لخطيبها فيروزشاه تسليم الرضاء والقبول من كل خاطره وقلبه ليقبل يده وينال منه
المسامحة وينال منه المكافاة عن هذا التسليم . وكان باقٍ بين يدي عين الحياة شيء من الذهب
المحمول على رؤوس العبيد فنثرته كله على القوم الموجودين قبل نزولها عن الجواد ومن ثم تقدم
ابوها اليها وانزلها بالطف وتأنٍ . وكذلك فيروزشاه نزل عن جواده وتقدم من عمه فقبل يديه
وقال له اطلب منك يا عمي السماح عن كل غلط وذنب صدر مني فيما مضى لاني كنت السبب في
كل هذه الاسباب السابقة ولو لم اطلب زواج بنتك لما وصلت الى هذه البلاد غريباً مشتتاً بعيداً
عن الوطن . قال بل انا ارجو منك السماح لان الله الان قد انار بصيرتي وعرفت خطائي وذنبي
الذي ارتكبته واني لو قبلت منك منذ البداية لما وصلت الى مثل هذه الحالة ونزع ملكي مني ولحق
بي من الاهانة ما لم يلحق بغيري من ادنى الناس واني الان اشكر الله واحمده على منته فلم يقبل باهانتي
بل قربني منكم وقربكم مني حتى قادني الى الصواب وجعلني ان ازوجك بنتي برضائي وقبولي وها هي
الان صارت زوجتك وبين يديك وما من حاجة ان اوصيك بها . ثم سلمه اياها وكان قلب عين الحياة
مملوءاً من الفرح بهذا الوفاق والحب وشدت على يد فيروزشاه فادرك غايتها وعرف بعظم شعورها
ولما كان هو ايضاً قد امتلأ من الفرح والسرور ولم يعد من عظم السعادة يعرف في اي درجة هو
او ماذا يكافئ عمه والدها قال له اني اشعر الان بسعادة عظيمة ونعمة كبرى ولا انكر مقدار هذا
التسليم الذي سلمتني اياه وكم هو كبير عندي وعظيم وثمين الى ما فوق افكار البشر وعليه فاني احب
ان اكافيك بما من حقك ولا اضيعه سدى فهو اغلى من ممالك العالم واثمنها واطلب الى ابي ان يصادق
على ما اقوله وهو اني ارجع اليك ملكك وبلادك في نفس هذه الساعة وهذه الدقيقة ويكون لك
بدلا من طيفور الخواجه ليان وكلما غاب عنك وفقد منك يعاد اليك وتزاد فوقه واني اتوسط
على الشاه سليم ببلاد الرومان فيكون احد القياصرة الذين ملكوها ونكون له مدة حياته واني افرح
الان بحيث ارى ذاتي قادراً ان اكافيك بما ترضاه وان كان لا يحسب شيئاً بالنسبة الى هذه الجوهرة
التي فوضت امرها اليَّ ولكنها بمساعدة الباري . فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام كاد لا يصدقه
ووقع على عنق صهره يقبله ويسكب دموع الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه وتعالى على منته
العظيمة فقبل يديه . وقال الملك ضاراب لقد اصبت يا والدي ونظرت موضع النظر واني اجيبك
الى وعدك هذا

قال ومن ثم دخل فيروزشاه وعين الحياة الى القصر وكانت ارضهُ مفروشة بالاقمشة الكشميرية الثمينة المقدار من عمل الفرس التي هي اثمن من كل قماش وعليها كثير من الزراكش الذهبية والفضية تدوسها عين الحياة بارجلها . قال و بعد ان دخل الى القصر العريس والعروس ذهب الباقون يتفرقون كل الى مكانه وانفض ذات العرس على احب ما يرام واشهى ما يطلب . ولما صار فيروز شاه في غرفته المعدة المنامة تلقى عين الحياة بكل ترحيب واكرام وهنأ نفسهُ بها وعاملها بكل رقة ولين وحكى لها عن جهان افروز وما قالتهُ عنها وكيف انها طنبت البعاد ترضية لها وكيف ان طلبها حاز القبول عنده وتلقاه بفرح لانهُ كان من اجل ذلك في شاغل عظيم و بلبال اعظم وصرف يومًا ثقيلا جدًّا بالغم والكدر لم يسبق لهُ ان نظر مثلهُ قط . فحكت لهُ هي ايضًا ما حل عليها من جرى الافكار التي وقعت عليها في نفس ذاك اليوم وكيف انها لم تنم كل تلك الليلة وقالت لهُ اخيرًا انني وان كنت عرضت لمناعيل الطبيعة وتالمت جدًّا من جرى مزاحمتها لي فيك انما يصعب عليَّ جدًّا ان اسمع مثل هذا الكلام من انها غلبت على اميالها وتحملت ظلم بعادك لاجلي مع انها اصبحت زوجتك بسنة الله وشريعتهِ مثلي وما من شيء اريده الان وان كنت قبل ذلك اطلب بعادها هو ان الاقيها واشكرها على احساناتها واودعها ومع هذا فان الله سبحانهُ وتعالى قد دبر امرنا بحكمتهِ وما حاجة لذكر ما مضى . وحينئذ صعد الى سريره المعد لمنامتهِ وهو من الديباج المحشو بريش النعام فغرق في وسطهِ ونامت هي الى جانبهِ لقضاء فروض الزواج واطفاء لواعج الوجد والغرام ومساواة من سبقهُ من المتزوجين وكان الوقت اذ ذاك صباحًا على الناس وليلاً عليهِ ودام طول ذاك النهار والليلة التي بعده وهو على سريره يتنعم بمحاسن عين الحياة و يسر من جمال كتب لاجلهِ ولم يخرج من سريره الا وقت العشاء وعند مناولة الطعام ولما كان صباح اليوم الثاني نهض مسرورًا منعم البال فرحان القلب يردد قول من قال

لله ليلة انس قد ظفرت بها	قضيتها سهرًا احلى من الوسن
قربتها وعيون الدهر غافلة	عني ولم اخش فيها حادث الزمن
في خلوة رحبة الاكتاف عاطرة الا	انفاس قد جلست في منظر حسن
فتارة فرط اشواقي يرنحها	وتارة طول شكواها يرنحني
وبات ظبي تناجينا لواحظهُ	بين الورى هي كانت منشأ الفتن
تعزى الشمول الى معنى شمائلهِ	واللاذ يشبه منهُ رقة البدن
بتنا كغصنين في روض يرنحنا	ريح الصبا فحنا غصنًا على غصن
وبات عندي شك في معانقتي	اياه حتى حسبت الطيف صاحبني
يا ليلة منهُ ارضاني الزمان بها	عنهُ على انهُ قد كان يسخطني

وخرج من خلوته وتطيب واقام في قاعة الجلوس الى ان جاء ابوه وعمه والامراء فهنأوه الهناء الكامل واقاموا عنده نحوًا من ساعة وانصرفوا عنه الى منازلهم وبقي ابوه وعمه ومن ثم اخذ المهنون والمباركون يردون اليه كل ذاك النهار وكذلك عين الحياة فانها بعد ان خرجت من خلوتها لبست ثوبًا ابيض كانت قد اعدته لها حماتها من ايران لصباح يوم الزفاف وخرجت الى غرفة ثانية كبيرة وجاءت اليها حماتها اي الملكة تمرتاج وهنا تها ونقطتها باعلى الناخرة والجواهر الثمينة وقبلتها مرارا وهي تقبل ايديها وبقيت عندها كل ذلك النهار والنساء ترد للتهاني حتى المساء وانصرف كل الى مكانه ومن ثم عاد فيروزشاه مع زوجته الى الانفراد فجلسا على الطعام واخذا ياكلان ويطعمان بعضهما حتى اكتفيا وبعد ذلك جلسا على صفرة المدام وصرفا قسمًا من تلك الليلة عليها وهما على احسن ما يكون من السرور والهناء تسقيه ويسقيها وتقبله ويقبلها وتعانقه ويعانقها حتى دارت براسهما الخمرة فقاما الى المنام وفي الصباح خرجا كاليوم الاول . قال وصرف فيروزشاه اكثر من ثلاثة اشهر على تلك الحالة ما خرج من قصره قط ولا ترك زوجته يومًا واحدا الى ان ظهر عليها الحبل ففرح مزيد الفرح وعرف ابوه بذلك فزاد فرحه فوق فرح وثبت عنده وجود وريث ثالث الممالك وعزم في نيته ان جاءت بولد ذكر يدعيه بهمن كاسم ابيه وكذلك الملكة تمرتاج فانها فرحت مزيد الفرح واعطت ووهبت واقامت تنتظر يوم الولادة

وفي كل هذه المدة كان الملك قائم مع امرائه ووزرائه على حسب العادة لا يهتمون بامر ولا يفكرون بشيء والذين جاءوا لحضور هذا الزفاف يتفرقون الى بلادهم قومًا بعد قوم واميرًا بعد امير الى ان مضى اربعة اشهر واذ ذاك دعا الملك بولده فيروزشاه ان يخرج من قصره الى ديوانه فاطاع وخرج واجتمع عند الملك وزرائه وامرائه من الكبير الى الصغير وحينئذ قال لهم اعلموا اني ما دعيتكم الا لامور خطيرة يقتضي النظر فيها والراي في تدبيرها وهي اولاً مسألة الشاه سرور والشاه سليم فان والدي قد سمح لعمو بالرجوع الى ملكه واعادته الى بلاده كما كان وزاده فوق كل ذلك ان سألني ان اضيف الى ملكه بعض بلاد دخلت في يدنا وهذا لا بد منه وقد اجبت طلبه وقد اشار والدي ايضًا الى انه قلد رئاسة مملكة الرومان واعهد بحكومتها الى الشاه سليم بدلاً من اليمن وهي على كل حال اوسع ملكًا واكثر سكانًا واغزر مالاً وقد اصاب في ذلك ومن اللازم النظر فيه اهل يقبل كل منهما ما اعهد اليه من والدي . وفي الحال نهض الشاه سليم وقال ان ما اشار والدك هو كبير عليّ ولا استحقه ومن اين لي ياسيدي ان اقدر على القيام بمهام مملكة مثل هذه المملكة واشكر نعمتكم اذ قد رفعوني قدري وانعم عليّ بما لا استحقه . والحق يقال اني كنت مزمعًا ان في مثل هذا الاجتماع بعد نهاية الزفاف ان اتخلى عن تعزاء اليمن واسلم بعرشها الى صاحبها وملكها واعود الى بلادي الى المدينة السليمية وكفاني فخرًا واكرامًا منكم ان قبلتم بنتي زوجة لاحد اعيانكم وامرائكم

ومن اللازم اولاً واخرًا ان اسلم اوري اليكم فمهما امرتم به فاني اقوم بهِ واني ان بقيت في بلاد الرومان حاكمًا فاكون عليها كعامل لكم ادفع الجزية في كل عام . فشكره الملك ضاراب على رقتهِ ولطفهِ وانعامه وبارك لهُ الجميع بمملكة الرومان وامر الملك ضاراب ان يقدم لهُ التاج القيصري فتقدم اليهِ ورفعهُ على راسه واجلسوه على كرسي قيصرية واصبح منذ ذلك الحين حاكمًا على بلاد الرومان وامر الملك ايضًا طيطلوس في ان يكتب الى عموم الولاة والحكام والملوك المجاورين بقيام الشاه سليم ملكًا عليهم . ثم بعد ذلك قال لرجال ديوانه وان امرًا اخر اريد ان اجربه وهو ارجاع سيف الدولة الى ملاطية حاكمًا عليها مستقلا وازيده فوقها حكومة انطاكية وحلب وما جاورها فيعاد امرها اليه فهو من العظام الذين خدموا دولتي بامانة واستقامة وصدق . فسر سيف الدولة مزيد السرور عند سماعه هذا الكلام وشكر الملك عليهِ وامر طيطلوس من الملك ان يكتب الى حكام تلك البلاد بذلك ويدعوهم الى طاعة ملكهم الجديد

وبعد ان فرغ من كل ما تقدم قال من حيث قد راق البال من هذه الجهة ولم يبق علينا ما نفكر فيهِ الا امرا واحدا وهو لديَّ اهم من كل شيء وقد دعوتكم لاجلهِ لتتخابروا بهِ وتعرضوا عليَّ بافكاركم من قبلهِ وذلك اني مشغل البال على الدوام من جهة الامراء الذين في الصين وليس في وسعي ان اتقاعد عن ارجاعهم اليَّ ولو هلكت وهلك كل رجالي ومملكتي اليس هم الذين قاتلوا امامنا واسروا بسببنا فليس من العدل ان اتقاعد عنهم او نرجع الى بلادنا دون ان يكونوا معنا فابدوا رايكم في ذلك وما ترونهُ موافقًا . فاطرق الجميع يفكرون في ذلك ومن ثم تكلم طيطلوس فقال اعلم ياسيدي ان من العدل والاصابة ارجاع رجالنا والسعي خلفهم وان كانوا من ادنى خدمنا فكم بالحري هم من السادات والامراء والقواد غير انهُ قبل المباشرة بالعمل او الفكر بامر اخر خطر لي ان نبعث بكتاب الى جهان ملك الصين نسالهُ اطلاقهم وارجاعهم الينا حسماً للنزاع وتركًا للحروب اذ ليس بيننا وبينهُ من عداوة اصلية اساسية فاذا اجاب كان ذلك من مراحمهِ تعالى والا يكون الله سبحانهُ وتعالى قسم لنا نصيبًا بالحرب وقدَّر على رجالنا ان تدوس تلك البلاد البعيدة فلما سمع الملك والباقون هذا الكلام راوه صوابًا وعليهِ طلب الملك منهُ ان يكتب الكتاب الى جهان ليبعثهُ مع الرسل فاخذ طيطلوس وكتب

بسم الله الحي الذي لا يغفل ولا ينام بيده الامر والنهي وهو على كل شيء قدير

من الملك ضاراب سلطان الاعجام وفاتح اليمن ومصر والرومان وقاهر الملوك العظام الى جهان صاحب الصين وحاكمها

اعلم ايها الملك المعظم ان الاله الذي اعبده هو وحده الذي يجب ان يعبد ويكون الهًا لكل من هبَّ ودب لانهُ هو صانع الخليقة وواجدها تكونت بامره الكائنات وسارت بحسب ارادتهِ

ومشتهاه ولذلك تراه لما كنا مطيعين وصاباه عاملين على طاعته ينظر الينا و يسير امامنا و يساعدنا على كل حروبنا والبرهان اننا نحن فيئة قليلة في عيني الملوك الكبار خرجنا من بلادنا واستولينا على اليمن بقوة السيف وكذلك على السودان اجمع وقد لنا هورنك وطومار الزنجي وكان هو المتوي والمساعد سبحانه لا اله الا هو ثم جئنا من اليمن الى مصر ندوخ البلاد في طريقنا فتسعى الى طاعتنا ولا خفاك ما كان عليه ملك مصر من العظمة والقوة ونفوذ الكلمة فاغتصبنا بلاده بقوة السيف وفتحناها ونشرنا عليها الاعلام النارسية ودخلت في يدنا ثم جئنا اليمن ننشر سطوتنا على كل العواصم التي نمر فيها حتى بمساعدته تعالى استولينا اخيرا على بلاد الرومان وقتلنا الملك قيصر وصارت البلاد بلاد نارسية و بالقضاء والقدر وقع بيد رجالك الذين بعثتهم لنصرة الرومان بعض قومي وهم ظهور وسنا الذين سبا قبا و مهتزار قلي واخذوا الى بلادكم اسارى ولا ريب انهم باقون الان عندكم وعليه فقد بعثت اليك هذا الكتاب اولا لاذكرك بالله سبحانه وتعالى واعرض عليك طاعته وعبادته فتنال الخير العظيم في هذه الدنيا وسعادة الاخرة ولا ينالك الخير فيكون حياتك بالنار واخرتك بالنار والعذاب ونانيا لما كان ليس من عداوة اصلية بيننا وبينكم ولم نتصدكم قط بشر بل انك انت المبتدي بالشر والعداوة حيث بعثت عساكرك لمساعدة عدونا علينا دون ان يكون سبق لنا سابق اذى اليك ولانه الذي نعبده لم يشأ ان تنفذ فينا سهام الاخصام بل ساعدنا ففرقناهم ونال قومك بسبح منه نصيبا كنصيبهم بناء على ما تقدم اطلب اليك ان تبعث الي برجالي القائمين في اسرك على الاكرام والراحة و بهذا تكون قد رفعت من بيننا سببا عظيما ومنعت انتشاب حرب قوية وجعلت بيننا روابط حسنة ولك في ذلك اجر حقن دماء عباده تعالى . وليكن موكدا عندك ايها الملك العظيم انه لا اترك رجالي قط ولو سعيت لكي تقلني الي اغلب او اقهر ومع ما اعرفه من مساعدة الهي لي وما اعطاني اياه من السلطان والقوة ارغب جيدا في السلم والامان ولا احب ان اصل اذية الى احد من عباده تعالى وقد وضحت لديك غايتي ومقاصدي فاذا كنت عاقلا حكيما تلقاها بملتقى القبول واعمل بموجبها ولا تدع الكبر والعظمة تنتج في نفسك فتلقيك على بساط الندم فيما بعد والسلام على من وعى الى نفسه وعمل بارادة رب الانام

وبعد ان انتهى طيطلوس من كتابة المكتوب قراه على الملك فاعجبه ثم ختمه بختمه ودعا بشبرنك العيار فدفعه اليه وقال له خذ معك عشرة فرسان من فرساني واحمل ما تحتاج اليه في طريقك من المال ذهابا وايابا لان البلاد بعيدة والطريق طويلة وادخل على ملك الصين فادفع اليه كتابي واتني منه بالجواب حالا واسرع مهما امكن من السرعة فاني قائم على الانتظار فاخذ الكتاب منه وقبل يديه وخرج من حضرته وانتخب عشرة رجال لمرافقته في الطريق وحمل احمال الطعام وما يحتاج اليه وخرج بهم من قيصرية يقصد بلاد الصين . واقام الملك ضاراب من بعده ينتظر

عودته وفيروز شاه عاد الى القيام عند عين الحياة لا يخرج الا قليلاً وكذلك مصفر شاه وبقية الذين زوجناهم بهذه القصة منذ امد قريب واما بهزاد فانهُ صرف بقية العمر بلا زواج لانهُ كان لا يرغب فيه وقد سالهُ الملك ذلك لاحياء النسل فلم يقبل وقال لداني اعلم ان ذلك واجب عليَّ انما لم تطلبه نفسي حتى الساعة ولا اريد ان اترك خدمتك ساعة

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من منكوخان وزير الصين فاننا كما قد تركناه مهزوماً مع رجالهِ من بلاد الرومان وسائراً الى بكين عاصمة الصين وهو حزين جداً على اولاده الذين قتلوا من سيوف اهل ايران وعلى ما فقد من عساكره الذين جاء معتزاً بهم وفي فكره انهُ يعود بالغنائم والاموال ومعهُ اسارى ايران السابق ذكرهم وبقي في مسيره عدة ايام وليال يقطع تلك المهامه والقفار ويمر على البلدان والضياع حتى قرب من بلاد الصين ولم يبقَ بينهُ وبين العاصمة الا يوماً واحداً فنزل بمن معهُ هناك واقام يوماً ريثما استراح وفي اليوم الثاني امر العساكر ان يسيروا مشاة الى المدينة وان يكثروا من الصياح والبكاء والنواح ويحثوا التراب على رؤوسهم وعند وصولهم ابواب المدينة ينادون بالويل والفناء ويلطمون على وجوههم حتى يسمع لهم صوت عظيم فاجابوه الى طلبهِ وساروا بين يديهِ وهو ايضاً ماش على رجليهِ مكشوف الراس ينوح ويبكي اولاده المقتولين حتى وصلوا الى المدينة وهناك ايضاً اكثروا من البكاء وزادوا في الصياح حتى ارتجت المدينة من اصواتهم وشاع خبر وصولهم على تلك الحالة وانتشر ما حل بهم في كل المدينة حالاً فتاثر الجميع لحالهم وسمع جهان ذلك وهو في اعلى سمائه فسال حجابه المباطين بحقيقة عن السبب فشرحوا لهُ كل ما سمعوه وما هو واقع من الوزير منكوخان فحزن جداً حزناً ممزوجاً بالغيظ والغضب وارغى وازبد وذم الزمان ولعن الفرس الف لعنة وتغضب عليهم ودعى لهم بالمحاق والخراب وامر في الحال ان يوتى بمنكوخان اليهِ ليعرض عليه تفصيل ما كان من امره فاسرعوا اليهِ واحضروه بين يديهِ وهو مطرق الى الارض ممزق الثياب مكشوف الراس بحالة يرثى لها . فقال لهُ جهان احك لي ماذا جرى عليك ومن قدر ان يصل بشره اليك وانت محفوظ ببركات الالهة ورحمتي !! . قال اعلم يا سيدي ان الذي فعل معنا هذه الافعال هم الفرس رجال الملك ضاراب الذي جاء لقتال الملك قيصر وقد قتلوا لي اولادي باجمعهم واحرموني لذيذ الرقاد وقد اوقعوا بالعساكر وشتتوها وانا اجهد النفس الى الثبات واطلب من النار ان تبعث بغضبها اليهم فتحرقهم بشدة حرارتها فلم تسمع ولم تجب لان لا وجود لعبادتها في تلك النواحي فهم يعبدون الهاً يقولون انهُ محجوب لا يرونهُ وينكرون ان للنار قدرة وما اشبه ذلك يجريها عند الحاجة دون ان يعلموا السبب واي متى تكون ولهذا السبب ارى ان النار غضبت عليهم وهجرت تلك الجهات وابتعدت عنها ولا تريد ان يكون لها اسم او نفوذ بين اولئك الكفرة . واني اخبرك يا سيدي والهي بالحق ان بين الفرس رجال وابطال يندر وجود

مثلهم في هذا الزمان ولا سيما فيروزشاه ابن الملك ضاراب وبهزاد ابن فيلزور البهلوان فهما آفتا الحرب والقتال ولا اظن ان احدًا يقدر على التغلب عليهما في هذا العالم الا اذا كان مرفوقًا برضاك عليه وايصال بركتك اليه واني في الوقعة الاخيرة انتقمت لنفسي من الفرس فقتلت كثيرًا منهم وامرت اربعة فرسان وابطال من الامراء المعززين عند الملك ضاراب على امل انه يسعى خلفهم ويأتي لخلاصهم الى هذه البلاد فترسل حينئذ بغضبك عليهم او اذا شئت ان تتنازل من علو سمائك فتلاقيهم وتبددهم وتنثرهم في الارض كالهباء المنثور . قال لقد اصبت باسرك هولاء الرجال الذين ذكرتهم فاحفظ عليهم ودعهم يكونون في السجن الى حين مجيء ملكهم اليهم انما مع زيادة الحفظ لا تدع احدا يوصل اليهم اذى فان حفظ صحة ابدانهم مطلوب منا الى الالهة حتى اذا انتصرنا على الفرس وساعدتنا عليهم قدمنا لها تقدمة منهم فيكونون صحيحي الابدان سمناء الاجسام . واما انت فاني اعزيك على اولادك واني اسال الك النار ان تعين لهم مكانًا شديدًا من اماكنها وانها لا تحل بارواحهم الا في اجسام محبوبة منها قائمة في وسطها او بين يديها

واما من جهة الملك ضاراب فاني سانتظره بعض اشهر فاذا جاء الى انقاذ قومه جازيته على فعاله بما استحقه واذا خاف من سطوتي وامتنع عن الاتيان الى بلادي ورضي بهلاك رجاله وتخلى عنهم سرت اليه بنفسي ونزعت ملكه منه واتيت به لاقدمه للنار في يوم عيدها واني ارى نفسي محتاجًا لان اسيرلهس فقط لاجله بل لاجل كل الملوك الطاغين الباغين الذين اتخذوا عبادة غير عبادتها حتى اني ارى احتياجي ايضا ان املك الدنيا باسرها فاضمنها الى ملكي وبلادي وتكون مملكة الصين حاكمة على العالم اجمع

قال فلما سمع منكوخان كلام جهان قبل الارض تكرارا بين يديه وخرج الى خارج قصره وجاء بالاسارى فوضعهم بالسجن وامر بالمحافظة عليهم وان يوضعوا في امنع السجون واحصنها انما يكرمون ولا يهانون وتقدم لهم الماكل اللذيذة الطيبة . ففعلوا وبعد ذلك اقيمت المناحة في المدينة على الذين قتلوا وفقدوا مقدار ثلاثين يومًا على التمام وبعد ذلك اقاموا على الانتظار ينتظرون ما يكون من الملك ضاراب الى ان مضى اكثر من سنة دون ان يحصلوا على نتيجة وبعد السنة وصل اليهم شبرنك بكتاب سيده الذي تقدم ذكره وسال عن قصر الملك في المدينة واخبر انه جاء بكتاب من ملك الفرس فاخذوه الى دار الوزير مدبر المدينة ولما وصل اليه دفع له الكتاب مختومًا ومعنونًا باسم جهان صاحب الصين فلما راى الوزير ذلك لم يفضه لانه كما تقدم كان لا يعرض على الملك الا بكتابات الملوك فقط وما سواها لا يعرض عليه ولذلك اخذه وسار الى قصر الملك وطلب الى حجابه ان يطلعوه على قدومه حيث يعرض عليه امرا مهمًا فدخلوا اليه ونادوه واطلعوه على طلب مدبر مملكته فسمح له بالدخول . ولما صار الوزير بين يديه وهو مطرق الى الارض لا يرفع

راسهُ الى فوق اذ لا يسمح لهُ ان ينظر الاله وهو في سمائهِ وكان كما تقدم لا يقدر احد ان ينظر الى وجه الملك وهو في اعالي مجده بل عند خروجه يحق لكل رجل كبيرًا كان او صغيرًا السجود لهُ والتقرب منهُ . ولما صار في وسط القاعة ويد الحجاب على راسه طلّ الملك براسه وسالهُ عن سبب مجيئه فاخبره ان رسلا جاءوا من قبل الملك ضاراب يحملون كتابًا اليه . فامرهُ ان يقراه فقراه ولما فرغ اضطرب جهان وغضب وقال لهُ ايظن هذا الرجل الجمجمي عابد الاوهام اني كغيري من ضعفاء الملوك اخافهُ او احسب لهُ حسابًا او ارضى بذكر الهه ولهذا اريد منك ان تجيبهُ على كتابهِ بما استحق وتخبره ان لابد من موتهِ وهلاكه وتبديد جماعته واني لا اسلم اليه جماعتهُ قط واذا جاء بنفسه قرنتهُ اليهم مع والده وبددت رجالهُ واذا لم يات استعرت النار وسرت بنفسي اليه واديتهُ على فعله . فخرج الوزير عند سماعه كلامهُ وسار الى دار الحكومة وكتب الى الملك ضاراب ما ياتي

من جهان اله الصين ورسول النار الى الملك ضاراب ملك بلاد العجم والفرس الساكنين في قرنة الدنيا

اعلم ايها الرجل العاتي انهُ وصلني كتابك وفهمت ما تضمنهُ وعجبت من تعديك حدود قدرك وافتخارك بنفسك والملك كانك فاقد الحس اعمى البصيرة من جهة المعبود الوحيد الذي يجب ان يكرم ويراعى لانها ينبوع كل خير تنفع من يستمد بمعونتها ويحتاجها لقضاء اي امر اراده وتضر من يدنو منها ولا يعتبر قوة سلطانها بخلاف الملك الغير منظور واما طلبك رجالك الاسرى عندنا فقد امرت ببقائهم عندنا الى الابد في السجن لا اخرجهم منهُ الا امواتًا او اقدمهم ضحية للنار عند الاقتضاء واذا اطمعتك النفس بالمسير الينا والقدوم علينا املاً بخلاصهم قرناك اليهم وجازيناك الجازاة التي تستحقها لانك قتلت رجالنا وبددت فيئة من عساكرنا وعلى كل حال لابد من ملاقاتك واما بانتظارك في بلادي عدة شهور واعوام فاذا لم تات اليّ في الاخر سرت انا اليك لاجعل بلادك كلها صينية واضيف ما بقي من ممالك العالم خارجًا عن طاعتي اليها ولا تعتز بوالدك ورجالك فلدي من الابطال والفرسان كثير مثلهُ وعندي من الجيوش والابطال ما هو بعدد الرمل والحصى حتى ان ملوك الهند والسند وغيرها يسمع اليّ وينقاد لامري فادع الى ذلك والسلام الى من خدم النار ورضي بعبادتها وكانت راضية عليهِ

وبعد ان فرغ الوزير من كتابة الكتاب وقعهُ باسم جهان ودفعهُ الى شبرنك وجماعتهِ فاخذوه وعادوا سائرين الى بلادهم الى ملكهم حتى وصلوا اليهِ بعد معاناة مشاق السفر وطول الطريق وعند وصولهم دخلوا عليهِ ودفعوا اليهِ الكتاب فتلاه طيطلوس على الجميع وهم يتعجبون من الملك جهان وافتخاره بنفسهِ وادعائهِ وبعد ان سمع الملك ضاراب ذلك ثبت لديهِ وقوع الحرب بينهُ وبين الصينيين ولذلك قال لرجالهِ انهُ لم يبق من شك بانتشاب هذه الحرب وبعد ايام قليلة تتفرق من

هذه البلاد لتدبير امورنا نعم ان حربنا مع الصين هي حرب قوية لم نلاق قط مثلها لكثرة جيوشهم وفرسانهم التي هي اشبه بالجراد المنتشر غير اني ارجح اننا سنفوز عليهم بمساعدته تعالى وهو لا يقبل ان يهملنا و يترك الكفرة وعبدة النار تتسلط علينا وتفعل بنا ما لا يطاق امام عينيهِ واذ كان لا بد لنا من ذلك فاطلب اليكم النظر فيهِ وكيف يكون مسيرنا والرحيل من هذه البلاد وتعديل قوتنا وما يلزم لنا في مثل هذه الحرب . فقال لهُ طيطلوس اني اسال الملك ان لا يعجل في مثل هذه الحرب بل من اللازم تهيئة كل ما يلزم فيها وعندي من الراي والاصابة ان يسير في هذه الحرب الفرسان والابطال فقط اذ ان بلادنا اصبحت عرضة للخراب والاهمال كل هذه المدة حتى انهُ ربما يظن سكان تلك النواحي وملوكها اننا تركناها او لم يعد في وسعنا ان نرجع اليها فينفذون قوتهم فيها ولا سيما اذا تاكدوا اننا سرنا باجمعنا الى الصين وهي بلاد بعيدة موصولة باخر الدنيا فماذا يا ترى يكون من امرهم واعظم شيء ارى وجوب النظر فيهِ هو ان كثيرًا من رجالنا قد طعنوا بالسن واضعفتهم الحوادث في هذه الحروب والجراح والنساء ايضًا اللاتي لا يمكن حملهن الى تلك البلاد مع اولادهن ومن الاصابة ان يذهب بهمن سيدي الملك و يصحب معهُ بعض البهلوانية و ياخذ النساء الى ايران ويرجع الى كرسيهِ وكرسي ابيهِ واجداده ولدينا من الابطال والفرسان ما يكفي للقيام بكل مهام . و يلزم لنا جيوش كثيرة واستعداد عظيم ففي اثناء عودتهِ يمر على العواصم والبلاد فيقيم بقدر ما يمكن لجمع العساكر والمؤن و يرسلها الى هنا بلدًا بعد بلد وعاصمة بعد عاصمة فينضم الجميع الى ما تنتخبهُ من بقية عسكرنا الحالي من الذين لا تزال اجسامهم قادرة قوية وقد تحنكوا بالحروب واختبروا احوالها فقال الملك ضاراب ان هذا العمل يحتاج الى وقت طويل ولا يمكن ان ينقضي بسنة او سنتين قال ولئن كان في ذلك طويل وقت انما يجب التاني بالعمل والتبصر فيهِ بحيث لا يكون في تدبيرنا نقص ولا يخفى بعد الصين عنا فاذا كان لدينا ما يكفي من كل وجه فزنا بالمطلوب والا اذا وقع بنا النقص واحتجنا الى زيادة عسكر لا يمكننا ان نحصل عليهِ في الحال ولا بعد سنة فتتاخر امورنا ونسير الى الخراب والانقراض . فوافق الجميع راي طيطلوس وقر قرارهم ان يعملوا بوجبهِ وكذلك الملك ضاراب فاستحسنهُ لانهُ كان بشوق زائد الى بلاده وخائفًا عليها من عدو او امر اخر لبعده عنها وربما انقطع الامل من رجوعه اليها

قال وكانت في تلك الاثناء قد ولدت عين الحياة ولدًا ذكرًا ذات حسن وجمال وبهاء يشبه اباه خلقة وهيئة وفرح بهِ فيروزشاه والملك ضاراب وكان ليوم ولادتهِ عظيم احتفال وفرح بين الفرس اعظم من يوم الزفاف وقد دعاه الملك ضاراب بهمن كاسم ابيهِ . وفي نفس ذلك الاسبوع ولدت ايضًا انوش ذكرًا فدعا الملك اسمهُ اردوان وكذلك كولندان ولدت ذكرا صبوح الوجه جميل الطلعة كبير الجثة فدعوا اسمهُ شيروه وولدت ايضًا تاج الملوك ولدًا عليهِ سمة الابطال ودلائل

الشجاعة منذ الصغر دعوه اشيرزاد وفي الاخير ولدت نور بنت بيدا خطال زوجة طيطلوس ولداً دعوه بزرجمهر واقاموا الافراح مدة ليست بقليلة وكل اب مسرور بولده فرح به الى ان ثبت وجوب ذهابهم الى الصين فاختاروا فراقهم وارجاعهم مع امهاتهن الى ايران من ان يصحبوهم الى تلك البلاد البعيدة خوفاً من ان يطرأ عليهم امر او يصابون بامر

وبقي الملك ضاراب في قيصرية نحواً من نصف سنة بعد ذلك حتى هيأ كل ما يلزمه ودبر ما يحتاج اليه وبعث امامه كل ملك من الملوك الى بلاده يدبر ما هم في حاجة اليه ويجمع الرجال ويبعثها الى مركز اجتماعها العام فسار سيف الدولة والشاه سرور وامراء العواصم والاعيان الى مثل هذه الغاية وبعد مضي السنة اشهر جمع الملك اليه عساكره وامر طيطلوس وولده فيروزشاه وبهزاد شاه ان ينتخبوا منهم من يصلح للحرب وينتقدوا من لا يصلح لياخذهم معه الى ايران ففعلوا وجعلوا ينتقدون واحداً بعد واحد حتى فرغوا فكان مجمل ما اختاره من الاشداء نحو مائتي الف فارس والباقون سالوا الملك استصحابهم معه فجمعهم الى بعضهم وامرهم ان يتهيئوا للمسير وعاد الى المدينة وامر كل رجل ان يصلح امر زوجته ويعد لها ما تحتاجه اذ انه عزم على الرحيل بعد ثلاثة ايام وهكذا كان وقد ودع كل رجل زوجته وابنه وحزن لفراقهما مزيد الحزن وسال الله الرجوع اليهما والاجتماع بهما وكذلك النساء بكين على فراق ازواجهن وبعدهن عنهم ولا سيما عين الحياة فانها كانت في حزن شديد لفراق زوجها تذم الزمان الذي ما افرحها حتى ابكاها وما سرها حتى احزنها وحسبت كل المدة التي نقضت معه بالهناء لا تحسب بشيء في جنب ذاك الفراق الطويل الذي لا تعرف نهاية مدته فطلبت اليه ان يصحبها معه . فقال لها اني كنت ارغب في ذلك لكن ليس من سبيل اليه اولاً لجارا تو بقية الامراء والفرسان الذين يفعلون كفعله ويقتدون به على الدوام وثانياً اجابة لطلب ابيه ودفعاً للعذاب والتعب الذي يلحق بها اذا سارت معه وخوفاً عليها من الاعداء فلما سمعت كلامه سكتت باكية نائحة تسال الله منه ان يمنحها الصبر ويمنحه السلامة والعودة اليها بوقت قريب

وفي نهاية اليوم الثالث ركب الملك ضاراب بن عزم على الركوب بهم واركب النساء كل واحدة على هودج وخص بها الخدم والعبيد ليخدموها في الطريق وركب الرجال الذين عمدوا على الرجوع الى ايران معه واخذ الملك ضاراب من بهلواني مملكته للركوب معه احتسابا للحاجة مرادخت الطبرستاني وشبرين الشبيلي الطلقاني وعبد الخالق القيرواني وخرج من المدينة ومشى على طريق ملاطية بعد ان اوصى ابنه بالتيقظ والانتباه ودبر الامور على احب ما اختار وخرج الجميع معه وساروا في وداعه يوماً كاملا ومن ثم ودع الملك والده وقبله وسال الله سلامته وان يوفقه في سفره ويحفظه من غوائل ملك الصين وحربه وكذلك ودع كل الابطال والفرسان وهم في بكاء

ونحيب على هذا الفراق والملك لا يعرف نهاية هذا البعاد وما تكون عاقبتهُ أَلخير ام النجاح وتقدم كل امير من زوجتهِ فاعاد وداعها واوصاها بالمحافظة على ولده وحسن تربيتهِ . ومن ثم رجع الجميع في حالة الكدر والحزن وسار الملك ضاراب بمن معهُ عدة ايام قليلة حتى وصل الى ملاطية فدخلها باحتفال عظيم واقام فيها مع سيف الدولة نحو ثلاثة اشهر وقد بعث بالكتب الى حلب وانطاكية وتدمر وما حواليها يطلب اتيان العساكر وجمع الفرسان وجعلت ترد اليهِ افواجًا افواجًا حتى اجتمع عنده نحو مائة وخمسين الفًا من الرجال فبعثهم الى ولده فيروزشاه مزودين بالمؤن والذخائر ما يكفيهم الى عدة سنوات وبعد ان فرغ من هناك رحل الى سورية ودخل دمشق فخرج اهلها عن بكرة ابيهم الى ملاقاتهِ وترحبوا بهِ وهنأوه بالسلامة واقام عندهم نحو ستة اشهر يجمع بالعساكر من بعلبك ولبنان وبيروت وصور الى حد اورشليم حتى اجتمع عنده نحو مائتي الف فارس من الرجال الاشداء المعتادين على الحرب والقتال . وبعد ان زودهم بالمؤن واكفاهم من العدد امرهم بالمسير الى بلاد الرومان الى ولده فيروزشاه فركبوا وساروا وبعد ذلك بارح الملك ضاراب سورية وفلسطين بمن معهُ من النساء والرجال وسار الى مصر حتى وصلها وعرف بقدومهِ الشاه صالح فخرج لملاقاتهِ بمن معهُ من كل امير وقائد وادخل على الترحيب والاكرام وبعد ان استراح الملك ضاراب قليلاً من الايام امر الشاه صالح المذكور ان يكتب الكتب الى عمال بلاده ويجمع العساكر ما يمكن جمعهُ من ابن عشرين الى اربعين من الارياف والصعيد والاسكندرية وغيرها وان يبعث بالاغلال والمؤن والذخائر الكثيرة فاجاب في الحال وكتب الكتب وارسلها بهذا الطلب واقام على الانتظار

قال واما عين الحياة فانها دخلت القصر التي كانت مقيمة فيهِ مع طوران تخت وتذكرتا تلك الايام الماضية وما جرى لها فيهِ مع مصفرشاه وفيروزشاه وتحركت في قلوبهما لواعج الحب والغرام كل واحدة لنحو زوجها وكانت عين الحياة شديدة الحب قوية الذكرى لا يبرح من خاطرها قط شخص من احبتهُ محبة الالهة وصرفت كل تلك المدة بالعذاب والتعب والنصب والتشتت من مكان الى مكان على امل ان تصرف بقية العمر بعد زواجها بهِ على الراحة والطمانينة والهناء والسعادة وقد لاقت منها جانبًا ما لبث ان انقضى كالظل لم تشعر بهِ ولا وعت اليهِ وكانت تتسلى نوعًا بالنظر الى وجه ولدها بهمن اذ تجد فيهِ من ملامح ابيهِ وهيئتهِ اشياء كثيرة كلها عند تلك النظرة لا تقدر ان تضبط نفسها عن البكاء الناتج عن الحنو اليهِ والشوق لابيهِ وعليهِ صرفت في نفس ذاك القصر وقتًا على مثل تلك الحالة هي وطوران تخت وقد انشدت تشكو البعاد والفراق وغدر الزمان

بدا والدجا فحمة كاللهيب   لهُ شررٌ بالدراري ترامى

فهيج للقلب اشواقهُ ونبه لوعتهُ ثم ناما
سرى موهناً فاستطار الفؤاد الى ما تذكر منهُ وهاما
تذكر ايامهُ بالنعيم فحنّ وما كنّ الا مناما
اثار لهُ من جواه القديم وناده الوجد طوقاً ازاما
تحرشهُ فسباه جوى وحرده فقضاه غراما
وقد خالهُ الطرف سقط الزناد امال الى القلب منهُ الضراما
لقد كان في راحة قبلهُ فجرّ الى عاتقيهِ حساما
وقد كان من قبلهِ داؤه دفيناً فهيج منهُ السقاما
ايا برق كم ذا تعني الحشا اعمداً تروم اذاه على ما
تقول واسباب هذا الغرام ضروب تحير فيهِ الاناما
امن كبدي سيفهُ وصلت فيبدي الوجيب الى ان يساما
منازل كان المنى خادماً بها والزمان لدينا غلاما
فاهاً لايامها لو تدوم وآه لحلمي لو كان داما
نشدتك والود يا صاحبي يراهُ الفتى الحر ديناً لزاما
اعرني ان كان طرف يعارُ فانسان عيني بدمعيَ عاما
يرى لي فوادي وراء الركاب اسار والاّ لعجز اقاما
خف الله يا ظبيات النقا اما في دمي تحملين الاثاما
رعى الله منكنّ ظبياً اغرّ احل بجسمي داء عقاما
اغار عليهِ اعتناق الصبا واحسد رشف لماه ابتساما
اذا ما بدا خده في الدجى احال الدجى من ضياه عياما
فودّع لا كان ذاك الوداع وسار فودع جفني المناما

وقد ملأت حجرها من فيضان بحر دموعها التي كانت تتساقط حالة انشادها وليس امامها من يسليها او يصبرها بل كانت لديها طوران تحت التي اخذت بانشادها وتحرك منها غرامها مثلها ووجدت نفسها تدعوها من داخل فوادها للشكوى والحب فانشدت

ليالي الحمى ما كنت الا لآليا وجيد سروري بانتظامك حاليا
فرقق منك الدهر ما كان ريقاً وكدر منك البعد ما كان صافيا
وقد كنت اخشى من تجافي احبتي فلما فقدتهم وددت التجافيا
ومن لي بصدّ منهم وتجنب اذا كان منا منزل القوم دانيا

لقد ارسلت نحوي الغوادي من الحما ... روائح ارخصن الكبا والغواليا

ولما اعتنقنا للوداع وقد رهت ... عقود لآلي نحره وماقيا

فحلت عقود الدمع ما كان عاطلاً ... وعطل عقد الضم ما كان حاليا

اسير ومن فوقي وتحتي ووجهتي ... وخلفي ويمناي الهوى وشماليا

وبقي الملك ضاراب في مصر نحو تسعة اشهر يجمع العساكر ويذخرها ويعددها ويهيئ ما تحتاج اليهِ الى ان كملت وكان عددها نحو مائتي وخمسين الفًا ولما انتظم عقد اجتماعها امرها بالركوب وبعثها لولده مع كتاب يطلعه فيه على ما صار وصحبة زوجته وولده والنساء جميعًا واولادهن . ومن ثم ركب من مصر بمن معهُ وسار لجهة اليمن وبقي سائرًا الى ان مرَّ بمدن الطائف فمال اليها واقام فيها نحو عشرين يوما واحتار منها ما لزمه ودخلت تاج الملوك قصر ابيها وهي بشوق زايد اليهِ لانها ترعرعت فيهِ وصرفت ايام صباها هناك ولاسيما تلك الايام اللذيذة الحلوة التي قطعتها فيهِ مع خورشيد شاه . وبعد ذلك نهض الملك ضاراب من الطائف ومشى بقومهِ الى جهة تعزاء اليمن فدخلها باحتفال عظيم جدًا واقر الشاه سرور عينها واعاد اليه ملكهُ كما كان وكتب بذلك الى كل بلاد اليمن وامر الولاة والحكام بارسال العساكر والابطال وما يحضر من المؤن والذخائر واقام في تعزاء اليمن على الانتظار نحوا من نصف سنة وجرى لعين الحياة في تصرها من الحزن والكآبة ما لم يجرَ على قلبها قط قبل ذلك الحين وهي في مزيد شوق وذكرى وولوع الى ايام فيروزشاه وكلما طالت الايام يطول عليها الوجد والهيام وكان ابنها قد ترعرع ومشى وصار عمره اكثر من اربع سنوات فكانت تتسلى به وتلاعبهُ وتصرف الوقت بالاعتناء به وبتربيته على حسب ما اعطيت من الدراية وكذلك باقي الاولاد لانهم كانوا بعمر واحد يكبرون على الدوام وينمون شهرا بعد شهر . واجتمع في تعزاء اليمن نحو مائتي وخمسين الف رجل ما بين فارس وماش وحينئذ أمرهم الملك بالمسير تحت الراية الفارسية الى بلاد الرومان ومن ثم انتقل من هناك وسار الى جهة بلاده مصحبًا معهُ زوجتهُ والنساء ومن تقدم ذكرهم وكل فكره موجهٌ الى جهة ولده وما تنتج تلك الحرب ويدعو الله ان تكون العاقبة الى خير ونجاح ونصر تام

واما فيروزشاه فانهُ بقي في مدينة الرومان على ما تقدم يتلقى الابطال والفرسان والعساكر التي ترد من ابيه قوما بعد قوم وفرقة بعد فرقة وكلما وصل اليه جماعة منهم انزلهم في جهة من تلك الارض وامرهم بالقيام فيها والمحافظة على ما جاءوا به من الذخائر والمؤن والمهمات ومضى على ذلك نحو ثلاث سنوات حتى امتلأت تلك الارض بالعساكر والابطال وتغطى سهلها وجبلها ووديانها واصبحت ترهج بالاسلحة وتعج بالرجال وكلهم ينتظرون الامر بالركوب والمسير الى بلاد الصين وبعد ذلك اخذ فيروزشاه بتهيئة كل ما هو لازم لهُ في مثل هذه السفرة الطويلة وقبل ركوبه

جمع اليه العيارين وقال لهم اعلموا ان مسيرنا الى بلاد الصين اصبح قريباً ولا بد منه ولذلك اوصيكم بالانتباه وصرف الدقة الى كل امر ولا يخفاكم ان في الصين عيارون من الدرجة الاولى وكلهم اصحاب حيل وخداع فاذا لم تتخذوا حذركم من الان وتحضروا الى ما تحتاجون اليه والا اوصلوا اذاهم الينا ورمونا بملاعيبهم وانتشلوا منا كل من يعز علينا وبالعكس اذا انتبهتم لانفسكم اوقعتم بهم وجعلتم لكم ولدولة ايران ذكراً حميداً ورميتم بقلوبهم خوفاً لا ينقضي على مدى السنين فوعده الجميع بان يكونوا على اتم ما يرام

وحينئذ اعلن فيروزشاه بين قومه والجموع القائمة هناك ان يستعدوا الى مدة ثلاثين يوماً ومن ثم يركبون الى جهة الصين قاصدين الحرب والقتال فاخذ كل منهم يستعد الى ان جاء اليوم المذكور وفيه خرج فيروزشاه الى الخارج واعلن فوق كتبه كانه البرج الحصين وامر النفير ان ينادي بالركوب والمسير وباقل من ساعة اخذت الرجال تعلو خيولها وتتقدم كل فئة الى ناحية تحت امرة قائدها واميرها وهكذا سار الجميع عن تلك الارض يتقدمون الى جهة طريق الصين وكان في المقدمة فرخوزاد برجال اليمن ومن بعده كرمانشاه ومصنرشاه وخورشيد شاه وجمشيد شاه وفي الوسط فيروزشاه بالعظمة والجلال تحت العلم الاكبر برجال ايران الاشداء ومن بعده قاهرشاه وبقية الملوك والفرسان وفي المؤخرة بهزاد شاه مع رجاله وقد اضاف اليه فيروزشاه رجال مصر باجمعهم ليكونوا تحت امرته وكان جملة العساكر نحو الف الف وثمانمائة الف نفر ما بين فارسي ويمني ومصري وروماني وشامي ونحوها وكان العيارون يطوفون فيما بينهم على الدوام ويأتون في المساء الى فيروزشاه وهم بهروز وشبرنك والايوب وبدر ومتات وطارق وكودك ونحوهم من عياري ايران وغيرهم الذين دخلوا في خدمتهم ولم يكن الا قليل من الايام حتى استلموا طريق الصين وساروا عليها وفيروزشاه مشتاق الى الحرب والقتال يتمنى قرب وصوله اليها ليعجل بها ويرجع الى بلاده الى عين الحياة لان قلبه كله كان عندها لا ينساها قط بل على الدوام يفكر بها ويود لو تمادى به السير وقويت عليه الذكرى اشار يقول

نفي وحقك ان البعد يضنيني	وذ رحلك وسط القلب تكويني
عين الحياة ركبت البرّ مجتهداً	نحو العدو وكاس الشوق يسقيني
عين الحياة بعاداً لا اؤمله	وغير ذكرك شيء لا يسليني
يا عين لا تفكري ان البعاد اذا	سطا بوزر في حبي ينسوني
بل اكدي ان طول البعد يذهب بي	الى تزايد اشواقي ويمضيني
كيف السلوّ ووجدي لا قرار له	وشخص حسنك في قلبي يناجيني
كيف التصبر والاحشاء في ضرم	من الفراق وسهم الشوق يرميني

اصبت في كبدي منهُ ولي املٌ بالطف طيفك ياتيني فيشفيني
وانني ذاهب نحو العداة على جواد عزم سريع الجري ميمون
كانه البرق تحتي ليس تدركهُ عيون ناظره وسط الميادين
ويل لاعدايَ ان راموا معاندتي والف ويل اذا ماجلت في الصين
ساضرب الراس في نعلي فانزعهُ واترك الذيل في لوي وتلوين
واقسم الصين عدلاً لا اجور بهِ بين وحش البراري والشياطين
وبعد هذا تريني قد رجعت ولي صيت بتوّج هامات السلاطين
ويرجع الدهر يوفي بعد نفرتهِ وعادة الدهر اوفيهِ ويوفيني

ودام فيروزشاه في مسيره على مثل تلك الحالة افكاره تتلاعب بين الحرب مع الصين والايقاع بها وبين الاهتمام بجيوشهِ والالتفات الى منع الاضرار بهم وبين التذكر بعين الحياة وبلذيذ عيش انقضى في بلاد الرومان وكذلك جميع امراء فارس وشاهاتها ما عدا بهزاد فانهُ كان كلي فكره موجهًا الى الاهتمام بالحرب وما ينتج عنها وهو يشوق بفروغ صبر الى الوصول الى ساحة القتال ليجرد السيف الذي طالما جرده واخترق بهِ صفوف الاعداء ونال ما تمنى فيهِ وبقي الجيش على مسيره بتان وراحة تامين لان فيروزشاه كان لا يحب ان يهلكه بالسرعة بل كان يسير بهِ من الصباح الى الظهر فيامره بالنزول للغداء فيفعلون وبعد ان ياكلوا ويرتاحوا نحو ساعتين بحيث يكون قد سكن هيجان البر من حرارة الشمس وبرد النسيم فيسيرون الى ما بعد الغروب وهكذا كانت حالة سفرهم على احسن ما يكون من الراحة والاطمئنان ومجانبة التعب الى ان مضى عليهم اكثر من ستة اشهر وفي الشهر السابع وصلوا الى بلاد الملك عجيب وهي في منتهى الحد الواقع من بلاد الصين وكانت رحبة جدًّا ومخصبة غاية الخصب وكان بينها وبين بكين عاصمة بلاد الصين نحو شهر تقريبًا وهي منقادة لامر ملك الصين تدفع اليهِ الجزية غير انها مستقلة الاجراء لا ترجعهُ بشيء

قال وعند وصول فيروزشاه الى تلك البلاد هب عليهِ بارد نسيمها ونظر الى اتساع ارضها وخصب كلاها حتى مع انها كبيرة جدًّا وهي اشبه بروضة خضراء يانعة لا يرى فيها ارض يابسة قط اختار القيام فيها عدة اشهر اولاً للراحة وثانيًا للاستعداد ويجعلها مركزًا عامًّا ياوى اليهِ ويقيم فيهِ عند الحاجة وعلى هذا امر الرجال الذين معهُ ان يحطوا على تلك الارض ويضربوا خيامهم ويسرحوا خيولهم فيها ففعلوا وارتاحوا كل تلك الليلة وهم في انعم بال واطيب عيش مسرورين من معاملة فيروزشاه لهم ومن اعتنائهِ بهم وهو يطوف من مكان الى مكان يتفقد الجميع ويوانس الجميع ويوصيهم بالمحافظة على صحتهم وعدم تعرضهم لما ينشيء عنهُ مرض او وبالا فكانوا يحبونهُ بطاعة وحب عجيبين ولا يفعلون الا ما يامرهم بهِ وبعد ان استقر بهِ القيام دعا بطارق وبدرفتات وقال

اريد منكما ان تسيرا من هنا الى هذه المدينة البعيدة التي نراها من هذا المكان فادخلاها وجسا لي اخبارها وحالة ملكها واسمهُ واتياني بما تريانه فيها مفصلاً فاجاباه الى طلبهِ وانطلق كل منهما في جهة بعد ان لبسا ملابس الدراويش وغيرا حالتهما وغابا نحو ثلاثة ايام وفيروزشاه مقيم في تلك الارض مع قومهِ على الانتظار واذا بهما قد دخلا عليهِ وقال لهُ طارق اعلم يا سيدي ان المدينة اسمها مدينة السرور وهي ذات اسوار منيعة وحصون مشيدة وبها من الابنية الفاخرة ما يندر وجوده في غيرها وقد دخلنا اسواقها وعاملنا جماعة من اهلها ودخلنا بينهم فاذا هم اصحاب انس ولطف عجيب يهشون ويبشون على الدوام ويظهر من امرهم انهم يكرهون عبادة النار ويرغبون في الخروج عن طاعة جهان ملك الصين اذ اننا بينا لهم اننا من بلاد الحجاز نعبد الله تعالى فاظهروا فرحهم من ذلك وقالوا ان هذه العبادة محبوبة عندهم منذ انشاء هذه المدينة انما لما تغلبت الصين عليهم اوجبتهم الى تركها وهي لا تزال محفوظة بالسر بينهم يعلمها الاب للابن والابن لابنهِ بطريقة خفية لا يقدرون على ابناء معابد ومساجد اذ ان المعابد القديمة اصبحت هياكل للاصنام والاوثان واقيم بينهم معبد للنار يأتون اليهِ في يوم عيدها متظاهرين من خوفهم من ملك الصين بالطاعة لها وعبادتها وهم يطلبون الى الله ان يرسل اليهم من يخلصهم منهُ ولهم ثقة كبرى بمساعدة الله سبحانهُ وتعالى من انهُ لا يتركهم زماناً طويلاً على عبادة النار ويعتبرون الحالة التي هم عليها تجربة منهُ لعدم انتباههم اليهِ في البداية حق الانتباه . ومن ثم سالنا عن اسم ملكهم فقيل لنا اسمهُ الملك عجيب فاستدللنا على ديوانهِ واتيناه فطلبنا احسانهُ وسالنا ما سالنا قومهُ فحكينا حالنا واننا دراويش من الحجاز نعبد الله عز وجل فلما سمع كلامنا تنهد ولم يبد كلمة بل امر لنا بالطعام واكرمنا وبعد ذلك انعم علينا وخرجنا مسرورين منهُ فرحين بما لقينا وعندنا اذا شئت فارسل اليهِ بكتاب الطاعة فلا ريب انهُ يوافق وينقاد اليك ويأتي لخدمتك بكل رجالهِ وقومهِ . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام فرح غاية الفرح وامر الوزير بكتب كتاب اليهِ يامره بالانقياد والطاعة وعبادة الله ويحذره من سطوة الفرس والذين جاءوا لمحاربة الصين فاخذ وكتب

بسم الله الجامع والمشتت يفعل بعباده ما اراد وهو الخبير العليم

من فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد الفرس وسيد اليمن ومصر والرومان وما حواليها الى الملك عجيب صاحب مدينة السرور

اعلم ايها الرجل الكريم ان لا بد ان تكون اخباري قد وصلت اليك وبلغك طرف من حالي حيث قد خرجت برجالي من بلادي ايران تحت الراية المظفرة وهي الراية الفارسية وتحت الكلمة التوحيد والتسبيح وهي كلمة الحق سبحانهُ وتعالى فتملكت بلاد اليمن والسودان ومصر وسورية والرومان وكل البلاد من حدود ايران الى تلك النواحي ومن الرومان الى هذه المدينة ايضاً لاني

اينما سرت نشرت طاعتي واعلنت كلمة الله ودعوت الناس اليها فيتلقونها بالقبول والشكر ولا اخفاك ان جهان قد بعث بوزيره منكوخان الى حربنا وقتالنا مع اولاده وار بعمائة الف فارس من قومهِ وما ثبتوا امامنا اكثر من القليل حتى تشتتوا كلهم وقتل اولاد منكوخان جميعاً وفر يطلب النجاة لنفسهِ مكتفيًا باربعة رجال من رجالنا جاء بهم اسارى واقام عنده ولما كانوا من عبدة الله سبحانهُ وتعالى ومن قومنا كان لا بد لنا من السعي خلفهم وارجاعهم ناتينا بلاده لاجل هذه الغاية ولاجل ان نجعل من فيها يعبدون الله ومن ثم نعود من حيث اتينا . وقد عرفت ايها الملك العاقل ما انت عليهِ من الرقة والحلم والتعقل وان في قلبك محبة الله وضعت فيك من ابيك ومن يحب الله لا تقلع محبتهُ من قلبهِ ولا يمكن ان يتركه البتة ولهذا فقد جئناك الان لسنا كمتهددين او نقصد الك شرًّا الا اذا رفضت طلبنا ولم تجبنا الى ما نسالك بهِ وهو ان تفتح لنا بلادك فندخل اليها كضيوف ونقيم في ضواحيها ولا نثقل عليك بشيء بل كل ما نحتاجه هو معنا يكفينا الى اكثر من عشرة سنين وما ياخذه رجالي من المدينة يدفعون ثمنهُ باكثر من مقداره لان لدينا من الاموال ايضًا ما لا يفرغ ولا ينتهي بمرور السنين والاعوام ونطلب اليك ايضًا ان تنزل الراية الصينية عن اسوارك وترفع الراية الفارسية وتنادي باسم الملك ضاراب ابي وسيدي وتهدم معابد النيران وتكسر الاصنام والاوثان ونقيم المعابد والمساجد لله سبحانهُ وتعالى وننشر عبادتهُ بين قومك فمن اطاع كان خيرًا ومن عصى فجزاؤُه الموت واعلم ايها الملك العاقل اننا قادرون على كبح ملك الصين ونزع الملك من يده وهدم بلاده من الاول الى الاخر فلا تتوهم منهُ ولا تخف ان يعود اليك بسوء فلدينا من الفرسان والابطال ما لا يوجد مثلهم في هذا الزمان او في غيره فكن حكيماً واجب بالقبول وانظر موضع النظر والسلام ختام

وبعد ان فرغ من الكتاب ختمهُ ودفعهُ الى طارق فاخذه وسار مع بدرفتات كعيارين من عياري الفرس بملابس تدهش الابصار وسار الى المدينة وكانت تبعد نحو يوم ونصف يوم عن موضع الجيش ودخلوا اسواقها والناس تعجب من امرهما حتى وصلوا الى ديوان الملك وهو محتبك باعيان المدينة والوزراء . ولما وصل طارق وبدرفتات نظر الجميع اليهما مندهشين من امرهما ومن ملابسهما ودنا طارق من الملك وقال لهُ اعلم ايها السيد اني منذ ثلاثة ايام اتيت اليك مع رفيقي هذا كدرويشين اجس اخبارك واكشف على احوال المدينة وسكانها من قبل سيدي فيروزشاه ابن الملك ضاراب بطل هذا الزمان وفارس ميدانهِ من لم يخلق الزمان لهُ ثان في قوة الجنان وفصاحة اللسان فما عنترة العبسي وسيف ابن ذي يزن من بعض عبيده اذا ركب الجواد او اشهر بيده الحسام وما لقمان بحسب بلقمان اذا نطق وتكلم ولا حاتم وغيره يصلح ان يخدم في ركابهِ اذا فتح يده ووهب وقد رجعت اليهِ بخبرك وحكيت له عن انسك ولطفك فسر مزيد السرور واعادني مع رفيقي

اليك بهذا الكتاب كعيارين لا كدرويشين كما في الاول لادفعهُ اليك وابشرك بقرب راحتك وابلغك رسالتهُ وادعوك الى طاعتهِ وطاعة الله سبحانهُ وتعالى ولا تخف من ملك الصين ورجاله فبين يدي سيدي فيروزشاه ابطال وفرسان كبهزاد بن فيلزور البهلوان بهلوان تخت بلاد فارس وقاتل تمرتاش واولاد منكوخان واخوه فرخوزاد صاحب الوقائع المشهورة والغارات الماثورة واخوه بيلتنا بهلوان تخت كرمان شاه من يسجد لقائم سيفهِ كل جبار عنيد وخورشيد شاه وكرمان شاه وجمشيد شاه وقاهرشاه وقد يكفي سيدي فيروزشاه وحده فهو قاتل طومار الزنجي بضربة واحدة شطرتهُ من راسهِ الى بطن فيلهِ الذي كان يركبهُ وعدا عن ذلك فان عندنا من العيارين اكثر من مائة عيار تحت امرة استاذنا بهروز ابن الغول الذي لا يصعب عليهِ امر من امور الدنيا اذا شاء انتزع جهان من سمائهِ واخرجه من بين قومهِ دون ان يدع احدًا يشعر بهِ او يراه ومن هولاء العيارين شبرنك والاشوب وانا سيد عياري مصر وبدرفتنات الحية الرقطاء وكودك عيار الملك قيصر وغيرنا فانظر الى نفسك موضع النظر . وكان طارق يتكلم بفصاحة لسان اعجب كل من حضر وقد مال الجميع الى معرفة ما في الكتاب فتناولهُ الملك ودفعهُ الى احد اعيانهِ فقراه وعرف الكل معناه وكان فرح الملك بذلك لا يوصف وقال لقومهِ اعلموا ايها السادات الكرام اني كنت بانتظار مثل هذا اليوم لاخرج عن طاعة جهان فهو عات ظالم لا يعرف الله يرغب في اذلال الناس وانقيادهم لعبادة النار التي جعلت لخدمتنا فمتى شئنا اضرمناها ومتى شئنا اطفيناها فلو كان فيها القوة التي يزعمونها لكانت تدافع عن نفسها من قوة الماء التي هي عنصر مثلها انما مسلطة عليها في يدنا نحن عبيدهُ تعالى وهذا الله الذي يخبرنا بهِ فيروزشاه هو الذي تعلمنا عبادتهُ من ابائنا واجدادنا وطالما رغبنا في طاعتهِ وهوذا قد ارسل الينا من يقدر ان يحمينا من عدونا ويرجع الينا ديننا وبلادنا فسبحانهُ لا يترك عباده وحاشاه من ذلك فهو القدير الرحيم ولا خفاكم ان ملك العجم هو الان اقدر ملك بالدنيا رجالاً ومالا وملكًا وقد وصلت اليكم اخباره واخبار ولده فيروزشاه صاحب هذا المكتوب فاذا لم يكن قادرًا على نجاتنا فلا يمكن لغيره قط ان ينجينا فاجيبوا كلكم معي طلبهُ واجروا امره ونادوا في المدينة من هذه الساعة بعبادة الله وخلع طاعة جهان ملك الصين والقوا عن عانقكم هذا النير الثقيل وادخلوا في طاعة الفرس تنالون خيرًا عظيمًا . فاجابوا كلهم طلبهُ وقالوا ليس فينا من يمانع اليس هذا فيروزشاه الذي حكت عنهُ الركبان واخبرت السياح باخباره وعظم سطوتهِ اليس هو الذي قيل عنهُ انهُ دخل وحده الى بلاد الزنوج اسيرًا مكتوفًا مقادًا للقتل وتخلص بعنايتهِ تعالى وتسلط على كل البلاد وقادها الى عبادة الله أليس فيروزشاه هذا الذي قتل صفراء الساحرة وطومار الزنجي واخيرًا جاء مصر وقتل كل بطل وامير فيها وتملكها وخبر افعالهِ قد ملأ الكون ولا سيما قتلهُ المقنطر الساحر خال شمس الساحرة المقيمة الان في الصين فمن يكن موفقًا الى هذا الحد

بركن اليه و يتخذ ملجأ وحصنًا

قال وفي تلك الساعة امر الملك عجيب ان يطاف في المدينة بمثل ما تقدم وان يسار الى معابد النار والاوثان فيهدمونها ويقيمون فيها عبادة الله و ينادون بها في كل المدينة و يبشرون الناس باتيان فيروزشاه ابن الملك ضاراب لنصرة دين الله و يخبرون الجميع برغبة الملك فيه ودخوله في طاعته . قال وانتشر الخبر في كل المدينة فخرج الناس يصفقون من الفرح يستبشرون بزوال النحوس وهجموا على معبد النار فنزعوا كل ما فيه وكسروا القوائم القائمة فيه وقتلوا المرزبان الذي كان عليها من قبل جهان وجماعته وكذلك دخلوا هيا كل الاوثان فكسروها ورموها الى الخارج واحرقوها وقتلوا الكهنة الذين جاءوا من قبل الصينيين لخدمتها وقامت الافراح في مدينة السرور من كل ناح وعادوا يتهيئون للخروج الى ملاقات نصيرهم الجديد الاتي اليهم واما الملك عجيب فكتب الى فيروزشاه يقول

بسم الله الهادي النصير لا اله الا هو وحده قادر على كل شيء

من العبد الضعيف صاحب مدينة السرور الى فيروزشاه ابن الملك ضاراب من ذكر اسمه يغني عن التلقيب والتعظيم

تشرفت بامرك مع عيارك طارق وكان عليّ بشير رحمة وخير ونذير سعادة واقبال فاذا هو يامرني بطاعة الله وترك عبادة النار فنحن ياسيدي مجبورون اليها في كل صباح ننهض من سررنا وندعو الله الى معاونتنا ومساعدتنا واذا به قد اجاب ولم ينسنا وفي الحال تراني قد اسرعت الى انفاذ امركم فهدمت كل ما هو من متعلقات النار وكسرت الاوثان ودثرتها وابدتها ورفعت الهيا كل لله واعلنت العبادة وقام جميع من في مملكتي يصيحون صياح الفرح و يصلون في الاسواق وعلى الطرقات لذاته تعالى وايضًا فاني قد امرت في كل المدينة بنزع طاعة جهان ملك الصين ونشرت وجوب الطاعة لمن ارسل لخلاصنا ورفع ضيقاتنا وهاءنذا ترانا قائمون بانتظار قدومك فمدينتنا وبلادنا مفتوحة لك ونحن مستعدون لخدمتك والقتال بين يديك فاقبلنا كعبيد طائعين ونرجو من الله لك النجاح والسلام

ثم دفع الكتاب الى طارق فاخذه وسار الى سيده فيروزشاه فاعطاه الجواب واخبره بكل ما سمع ورأى ففرح فيروزشاه مزيد الفرح وامر رجاله الركوب الى مدينة السرور ليتخذها مركزًا و يقيم فيها مدة لانه كان محصور الفكر من جهة عساكره خائفًا مزيد الخوف من افشاء مرض فيهم لكثرتهم ومشاقهم وعدم موافقة مناخ بلاد الصين لهم ولا سيما اذا عرضوا للشمس والحرارة الشديدة او البرودة القوية ولم يكن من مأوى يأوون اليه ومن ارض رحيبة خصيبة يمكنهم ان يضربوا خيامهم فيها ومنها يتوصلون الى داخل بلاد الصين اي الى العاصمة المقيم فيها جهان ملكها . و بقي

سائرًا شيئًا فشيئًا الى ان كاد يقرب من مدينة السرور واذا به يرى الملك عجيب قد خرج مسرورًا فرحًا بكل ما يشاهد ويرى لانهُ نظر الى حالة الفرس وترتيبهم وتعظيمهم عن بعد فاسرتهُ جدًّا واندهش مما شاهد من كثرة فرسانهم وابطالهم ولما وصل اليهم ترجل مع قومهِ ومشى على قدميهِ ثم الامراء وعساكر الفرس طريقًا للتوصل الى فيروزشاه حتى وصل الى بين يديهِ فتلقاه ملتقى الفرح ونزل اليهِ فسلم عليهِ وعاملهُ بكل بشاشة ولطف وشكره على انقياده اليهِ وامر ان يركب فركب وسار الى جانبهِ مع اعيان قومهِ وكبار بلاده وكلهم ينظرون الى رجال ايران وحسن ملابسهم وانتظام حالهم وعظمة فرسانهم نظر الماخوذ المندهش وبقوا راجعين حتى دخلوا المدينة بالترحيب والاكرام وقد التقاهم اهلها احسن ملتقى ودخل امراء الفرس الى دار الحكومة وامر فيروزشاه العساكر ان تضرب خيامها في تلك الارض المتسعة طولاً وعرضًا وتسرح المواشي والانعام وان تاتي المدينة تشتري كلما يلزم لها منها فتدفع ثمنهُ بحسب استحقاقهِ وهكذا كانت حالتهم واقام هو في قصر مخصوص أُعدّ لهُ واعدّ للوزراء والامراء والقواد اماكن للقيام فيها وعمل لهم الملك المذكور الولائم والاحتفالات اللائقة بشانهم وراى فيروزشاه من نفسهِ كدرًا فاقام في تلك المدينة نحو سنتين دون مباشرة عمل او افتتاح حرب واختلط رجالهُ باهل المدينة اختلاطًا عظيمًا ووقعت الالفة فيما بينهم وتزوج كثير منهم من نساء المدينة وصارت من علائقهم . وكان في مدة هاتين السنتين قد بلغ جهان خروج الملك عجيب عن طاعتهِ ودخولهُ في طاعة الفرس ووصول الفرس الى بلاده فكاد يغيب عن الصواب من شدة الغيظ والكدر الا انهُ كان مشغلاً بنعيمهِ فلم يرسل لهُ قوات وعساكر بل كتب لهُ كتابًا يقول لهُ فيهِ اني عرفت بتعديك على حقوقي ونكثك لجميلي وخلعك سلطني ولذلك فقد تكدرت مزيد الكدر ولا اعلم ان كان هذا وقع منك بطريق الغلط او الخوف من الفرس او بقصد منك ورغبة فاذا كنت خائفًا من الفرس فاخبرني لابعث اليك من يزيل مخاوفك ويفرج عنك الفرس واذا كان بقصدك وارادتك فاني اجازيك على ذلك بالعزل منذ هذه الساعة واذا وقعت في يدي صلبتك على ابواب مدينة السرور ليتادب بك قومك ولا يعود غيرك الى مثل هذه القحة وبعث كتابهُ مع رسول فاوصلهُ اليهِ ولما فتحهُ وقرأه عرضهُ على فيروزشاه وسالهُ فيما يجيبهُ . فقال لهُ لا تكتب لهُ شيئًا الان سوى قل لرسولهِ ان الفرس ذاهبون الى بكين فمروا بهذه المدينة وقد وجدت الدخول في طاعتهم موافقًا لي ففعلت وهم بعد مدة يكونون في نواحي بكين بقصد حربك وقتالك . ففعل ما امره وبلغ الرسول ذلك وسار الى سيده وعرض عليهِ كل ما كان من امر الملك فزاد حنقهُ وقال ألم يكتب لي كتابًا فلا بد من قصاصهِ على هذه القحة وهذا الاحتقار وكبح جماح الذين القى اتكالهُ عليهم وسوف يشاهد بعينيهِ ما يحل بالفرس وما يصل اليهم مني وحيث غاية الفرس الوصول الى بلادي فما من حاجة لركوبي اليهم او بعث عساكري لقتالهم في تلك الناحية لكن لا بد من جمع

العساكر والاستعداد للقتال في هذه النواحي

قال وبعد ان مضى سنتين على فيروزشاه وعساكره في مدينة السرور وجد ان لا بد له من المسير الى بكين عاصمة الصين للحرب والقتال ولذلك امر عساكره بان تتهيأ للركوب بعد ايام بقصد المسير وملاقاة عساكر الصين وكانوا من الراحة والهناء وحسن مناخ تلك المدينة وموافقتها لهم قد اصبحوا بصحة ابدان جيدة وتقووا مزيد القوى وتعطشوا الى الخوض في معامع القتال وما صدقوا ان سمعوا امر فارسهم وسيدهم حتى استعدوا مزيد الاستعداد وانتظروا ركوبه الى ان كان صباح ذات يوم خرج فيروزشاه من المدينة واعتلى فوق الكمين ونادى بقومه ان تركب فركبوا وركب معه ايضًا عساكر مدينة السرور وقوادها بقصد الجهاد في سبيل خدمة الدين ونشره في تلك البلاد ومن ثم ساروا من تلك الارض يقصدون بكين وهم يتقدمون شيئًا فشيئًا على الترتيب المعروف عندهم الى ان وصلوا الى فسحة ارض وسيعة تبعد نحو ثلاثة ايام عن المدينة فامر فيروزشاه بنزول العساكر فيها للراحة مدة اسبوع لبينما يكون كتب كتابًا الى ملك الصين يدعوه الى السلام اجابة لطلب ابيه واذ ذاك اخذ فكتب

بسم الله العلي العظيم

من فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس واليمن ومصر والرومان صاحب الصيت البعيد وناصر الدين القويم الى جهان ملك الصين

اعلم ايها الملك ان ابي قد بعث اليك بكتاب قبل الان ينصل لك غايته منك ويطلب اليك تسليم الاسارى المقيمين عندك وهم طهور وسيامك سيا قما وبهمتزار قلي وقادرشاة واخبرك اذا امتنعت بعث الملك بكل قواده ورجاله لمحاربتك وتخليصهم منك بالقوة الفعالة فلم تصغ ولا اجبت بل لعب بك الكبر اما عن جهالة منك بحالة الفرس وما اعطيوا من القوة والحكمة والادراك والنصر ونعمة الله لهم واما عن ظن منك اننا نتهدد ولا نفعل وتاكد اليك بحسب فكرك اننا لا ناتي هذه البلاد قط غير انه لما كان من الواجب علينا دينًا وادبًا حفظ راحة رعايانا صغارًا كانوا او كبارًا امراء كانوا او انفارًا جمع ابي العساكر واعهد بي الى هذه الحرب وسير معي الف الف وثلثمائة الف فارس وبطل وبينهم من الفرسان والابطال كل واحد يقدر وحده ان يكسر جيشك ويفله غير انه اوصاني قبل المباشرة بالحرب معك اعرض عليك ثانية الدين بدين الله عزّ وجل خالق المخلوقات ومكون الكائنات واطلب اليك ايضًا تسليم الاسارى فاذا انعمت واجبت كان خيرًا فارجع من حيث اتيت واحقن دماء عباده تعالى والقي صلحًا وسلامًا بيني وبينكم والا فاباشر الحرب ولا يغرنك كثرة العساكر وتجمع الجيوش ومناعة الاسوار فما من سبيل لنجاحها امامنا وسوف ترى بعينيك قوة الفرس وقدرتهم وما خصهم الله به ومن ثم يقع بك الندم وما من وسيلة تعود تنجيك فالان

وقت التبصر والتعقل والسلام

ثم طوى الكتاب ودفعهُ الى شبرنك واوصاه بسرعة العودة فاخذه وسار حتى اتى الوزير مهر يار فدفعهُ اليهِ فاخذه الى قصر جهان ودخل عليهِ وقراه امامهُ فلما سمعهُ اغتاظ مزيد الغيظ وقال لم يعد من وسيلة بعد للتقاعد عن الحرب وترك هذا الطاغي يفعل ما يريد في البلاد فلا بد من هلاكهِ وهلاك قومهِ الذين جاءوا معهُ ليعلم ان رجال الصين ليسوا كمن لاقوا من الرجال . فاذهب الان واعلن في كل المدينة اني في الغد انزل من سمائي لقتال الفرس والايقاع بهم فلينتظرني كبار قومي في دار الاحكام ودع رسول الفرس يبقى الى الغد عندك الى حين كتابة الجواب لهُ واكرمهُ على الراحة والهناء . وكان جهان مع ما هو عليهِ من الكبر والعظمة والكفر رقيق الطبع يحب حفظ قوانين الملوك واكرامهم فلا يهين ملكًا وقع بيده ولا يوذي رسولاً جاء من عدوه اليهِ و بناء عليهِ اخذ الوزير مهر يار شبرنك العيار الى قصره وامر ان يقدم لهُ الطعام الطيب الفاخر وان يكرم وكان مهر يار هذا يكره عبادة النار في قلبهِ و يميل الى عبادة الله سبحانهُ وتعالى فاضمر في نفسهِ معاونة الفرس بما امكن وقدر عليهِ . ولما استقر في القصر دعا بالمنادين وامرهم ان ينادوا في كل المدينة ان في الغد ينزل الملك الى دار الاحكام لمحاربة اهل الفرس وشاع الخبر في المدينة فاضطربت من كل اطرافها واكنافها الى ان كان اليوم الثاني وفيهِ نزل جهان من سمائهِ ولبس ملابسهُ الحربية وتقدم من باب قصره فوجد الناس تزدحم في الطرقات وكلهم رافعين بايديهم الاسلحة ينادون بهلاك العدو وفنائهِ وخدمة ملكهم ولما ركب على جواده ومشى خر الجميع الى الارض ساجدين لهُ فرفع ايديهِ و باركهم و بقي سائرًا على تلك الحالة والناس تنادي في الطرقات وتصيح بتلك الاحوال الى ان وصل الى قصر الاحكام واذا بوزرائهِ وقواده ينتظرونهُ خارجه ولما وقعت عينهم خروا الى الارض ودعوا لهُ ثم مشوا امامهُ الى داخل القصر الى الديوان فجلس على كرسيهِ وسال منكوخان ان يعلمهُ كم عدد العساكر المجتمعة قال لهُ الف الف وثمانمائة الف فارس . فقال ان هذا الجيش يكفي الان للحرب والقتال ومنازلة الفرس الا انهُ تحسبًا من وقوع ما لم يكن في الحسبان اطلب الملك ان تكتب الان الى بلاد الهند والسند وتطلب الى ملوكها ارسال الجيوش وتعلمهم بوصول الفرس الينا وقدومهم علينا . فاجابهُ بالطاعة واخذ في ارسال الكتب . ثم امر ان يكتب كتاب الى فيروزشاه يطلعهُ بهِ على كل شيء من استعدادات الصين وكثرة جيوشهِ و يتهدد فيروزشاه بالهلاك والاعدام مع جوشهِ وفرسانهِ الا انهُ اذا طاع ودخل صاغرًا وخر لهُ واعترف بعبادة النار فانهُ يعفو عنهُ و ينعم عليهِ . وحينئذ اخذ مهر يار فكتب

من جهان ملك الصين ورسول النار ومالك رقاب العباد الى فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس

وقفت على كتابك وقرأت خطابك وتعجبت من جهلك وجهل ابنك وتعديكما على حقوق الملوك الكبار وطمعكما بما ليس لكما وعليه اني اجيب انك بعثت تطلب الي ارجاع الاسارى الذين وقعوا في يدي من قومك كانني عبد التزم بالطاعة لك ولابيك وقد غاب عن ذهنك انكم قتلتم اولاد منكوخان السبعة وشتتم لي جيشاً عظيماً وما طالبتكم به بل صبرت وفي نفسي ان ابقي عندي هولاء الاسارى وسيلة لحضوركم واذا انكم اليها لناخذ منكم بالثار وعرفتم ذلك يقيناً ولا زلتم الان تطلبون مني ان اسلمكم قومكم لترجعوا فمن ياترى يسمع بهذا الخبر ولا يضحك منه ويسخر بي اذا سمع اني سلمتكم اياهم وتباعدت عن اخذ ثاري وتركت دم رجالي يذهب هدراً . وانك منذ الان لاترى مني الا حرباً وقتالاً من فرسان لاتعرف الموت ولا تهابه ولاسيما اذا راوني في وسط المجال وعرفوا اني ساقود القتال بنفسي واكون بينهم وقد جمعت لك جيوشاً لا يعرف عددها غير الله وفوق كل ذلك فقد كنت بعثت الى صديقي شنكال ملك الهند ان يبعث لي بعساكره لقتالكم حتى لا يطول امركم بل يكون محلاً ككم عاجلاً واني منذ هذه الساعة سابعث بوزيري منكوخان مع الف الف فارس وعلى كل مائة الف فارس قائد من القواد العظام المشهورين في اضرام نار الحرب والصدام ليلاقوكم في الطريق ويحاربوكم هناك فاما ان يقضوا امركم ويرجعوا الي باخبار النصر والظفر واما ان يتاخروا فيعودون الي بعد ان يضعفوكم بالقتال واني اتعهد لك اذا رايت وزيري منكوخان فاتي اليه واخدم ركابه واحضر الى ديواني فاني ارقيك وارفع منزلتك واعلي شانك اذ قد بلغ اذاني انك من الابطال الشداد اصحاب البطش والاقتدار ومن طبعي احب الذين مثلك ولا اكره بالصلح والامان على شرط ان تكونوا انتم المنقادين الينا التابعين اوامرنا الناهين بنهينا واياكم من المخالفة والمكابرة فان النار تذهب بكم حرارتها اليوم فتحرقكم كلكم والويل لمن يعصاها وينكر عبادتها ويجحد فضلها ومنافعها

وبعد ان ختم الكتاب وسلمه لى شيرك ليرجع به الى سيده واخذه من يده وسار من امامه امر منكوخان ان يركب في الحال ويسير الى ملاقاة فيروزشاه في مكان اقامته وقال اني رايت من العدل ان لاتتركه يصل الى بلادنا فاما ان تهلكه مع رجاله وتنتصر عليه واما ان تضعفه بالحرب ويهلك منه قسم لاسيما وان رجاله الان تعبون من معاناة اسفار الطريق ومشاقها ومن الاصابة ان لاتترك لهم فرصة كافية الراحة والاطمئنان . فاجابه منكوخان الى طلبه ونهض كاللبوة الفاقدة الاشبال واخذ معه نحو الف الف رجل تحت امرة عشرة قواد من امراء الصين العظام وركب الجميع ورفعوا الراية الصينية وخرج الملك ووقف عند الباب وكلما خرج طاقم من العساكر تخر بين يديه تنظر الى الارض لائمة التراب فيدعي لها بالنصر ويباركها وكلهم في حالة مسرة يؤملون بالنجاح ببركة وثقة ملكهم وخرج كثيرة من الاعيان لوداع السائرين والدعاء لهم . وفي مدة خمس ساعات سار

منكوخان بعد ان قدم الى الملك وقبل يديه ووعدهُ بكل جميل ورجع جهان الى قصره ينتظر وصول خبر من السائرين . وبقي سائرًا حتى قرب من المكان النازل فيهِ فيروزشاه بقومهِ وشاهدهم عن بعد وكان اذ ذاك الوقت اخر النهار فامر ان تقف العساكر في تلك الناحية وان تبات الى الصباح ففعلوا وحطوا هناك وباتوا ينتظرون الصباح لمباشرة الحرب والكفاح . وكان شبرنك قد وصل الى فيروزشاه فدفع اليهِ كتاب جهان واخبره بما سمع وشاهد واطلعهُ على ان منكوخان آت بالابطال والفرسان على اثره ففرح بذلك واقام ينتظر وصولهُ الى ان وصل وحط تجاههُ فامر قومهُ بالتاهب واوصى بالاستعداد وان يكونوا في الصباح على نية الهجوم ليوقع بالصينيين ويذيقهم حرّ نار حربهم

قال ولما كان صباح اليوم الثاني ضربت طبول الحرب وصاح نفير القتال ونادى بصوته يطلب التاهب وينذر بوقوع الاهوال فهب القومان من مراقدهما وتعددا وركب كل فارس جواده وانضم الى رفيقهِ ورفعت الرايات والاعلام وركب منكوخان وامر برفع الرايات الصينية فوق راسهِ وركب القواد الذين معهُ وتقدموا الى ساحة الكفاح وركب فيروزشاه بابطالهِ وفرسانه واذا بطيطلوس قد تقدم منهُ وقال لهُ اعلم ياسيدي ان من الاصابة والحكمة ان تبقى انت مع العلم الكبير لانتظام حال الجيش وليعلم ان لهُ سيد يرقب اعمالهُ وملك يلاحظ قتالهُ وقد اوصاني سيدي الملك بذلك وان ابدي لك غايتهُ اثناء الحرب والقتال فانت عندنا الان بمنزلة الملك والملك في شرعتنا لا يباشر بنفسهِ الحرب الا وقت قطع الياس والرجاء . قال ان ذلك يكون لي عندما تراني قد رفعت تاج فارس على راسي واختص بي العلم الكبير وانما هذا اريده الان وافضل ان ابقى العمر بين مشتبك السيوف واروي كبدي من الاعداء واشفي غليل فوادي منهم وانا اعرف ان بسيفي تقوم قوائم الفرسان والابطال وتشتد اعصابهم وتقوى شوكتهم غير اني اجابة لطلب ابي امتنع في مثل هذا اليوم عن القتال الى ان ارى نفسي مضطرًا اليهِ لان عساكرنا الان هي اكثر من الاعداء وفرساننا اشداء لاخوف عليهم الا اني لا اقبل ذلك عند ما اجد ان الاعداء اكثر عددًا منا فتكون انت اذ ذاك صاحب العلم لانك معتمد ومدبر فارس ولهذا دعا بهزاد اليهِ وقال لهُ اريد منك ان تكون حريصًا في القتال فاني لا انزل هذا اليوم اكرامًا لامر ابي فوعده بكل جميل . ومن ثم اطلقت الفرسان اعنتها . وقومت اسنتها . وصاحت صياح الاساد . وهجمت طالبة الحرب والطراد . منادية بقرب ساعة الميعاد . ولم يكن الا القليل حتى اشتبك القومان . وامتزج الفريقان . وقام سوق الحرب والطعان . وانقطع سبيل الراحة والامان . وكانت الفرس قد صرفت مدة طويلة لا تباشر حربًا . ولا تواصل طعنًا ولا ضربًا . حتى تعطشت كل التعطش الى الطعان . واشتاقت اليهِ كما يشتاق العاشق الولهان . الى ملاقاة الاحباب والخلان . فارتفع الغبار الى العنان . وتقدم الشجاع

وتاخر الجبان . واضطرمت نار الوغى اي اضطرام . ونشر الموت على القوم لواء الانتقام . فسلموا بانفسهم اليهِ ولم يروا سبيلاً للخلاص . ولا مفرّا ولا مناص . قال وكان فيروزشاه يشاهد ويرى ونفسهُ تحركهُ الى الخوض في ذاك البحر المتلاطم وجلده يدعوه الى مباشرة الحرب والطعان الا انهُ كان يصبر نفسهُ ويجبرها على التامل وقد راى اعمال الفرس وانحطاطهم على الصينيين انحطاط البواشق على العصافير وهم يصولون ويجولون كالاسود بين الاغنام فكان يسر بذلك ويفرح مزيد الفرح ويطلب النصر في نفس ذاك النهار للتقدم الى اسوار بكين وانهاء هذه الحرب التي هي اطول من غيرها من الحروب التي لاقوها

قال ودامت الحرب قائمة على ساق وقدم . والطعن مختلف بين كل الطوائف والامم . واتخذ السيف لنفسهِ خطة الحكم . فجار في الحكم على غير انصاف . وجعل النفوس ضحية التلاف . وما انقضى ذاك النهار . الا حتى امتلأ من جثث القتلى ذاك البر والقفار . وعند ذلك ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان الى الخيام وهم لا يصدقون بالرجوع لاخذ الراحة والمنام . وشرب الماء واكل الطعام . تقوية للاجسام . وتلقى فيروزشاه عساكره وابطالهُ بالبشاشة والاكرام . وشكرهم على ما شاهد منهم في ذاك اليوم الكثير الزحام . ولا سيما بهزاد فارس ميدان الحرب والخصام . فانهُ عاد وهو مغموس بالدم . من الراس الى القدم . وقد فعل بالصينيين العجائب . وانزل على رؤوسهم اشد البلايا والمصائب . واقام كل في ناحية ينتظرون الصباح . للعود الى الحرب والكفاح . وراى منكوخان ان جموع عساكره قد اضطربت ووقع بها النقص والاضمحلال . فخاف من انهُ اذا طال الحال على هذا المنوال مدة ايام . ينقرضون ويقعون بالخسران . ولذلك طلب من القواد المطاولة بالبراز عسى يهلك منهم الابطال الذين عليهم المعول في القتال

وفي صباح اليوم الثاني رجع الفريقان الى ساحة الميدان ورفعت الرايات من كل الجهات وتقدم القوم للترتيب والانتظام واذا باحد قواد الصين قد توسط الميدان . وكان اسمهُ الغضبان . وهو احد العشرة قواد . الذين عليهم المعول والاعتماد . فصال وجال ولعب باربعة اركان الميدان . ومن ثم وقف واشار الى اهالي ايران بالبراز وسرعة الانجاز . فما اتم كلامه حتى صار امامهُ احد فرسان مصر . فاخذ معهُ في الكر والفر وصالا وجالا واوسعا في الميدان من اليمين الى اليسار ومن اليسار الى اليمين . حتى اندهش من قتالها كل فارس صنديد وبطل عنيد نحو ساعة من الزمان واذا بالغضبان قد ضرب بعمده المصري على راسهِ فادخلهُ ببعضهِ ووقع الى الارض قتيلاً وفي دمهِ جديلا فنزل اليهِ اخر ففعل بهِ كالذي قبلهُ ولا زال على تلك الحال . حتى قتل خمسة رجال وهو مسرور من نفسهِ بذاك النصر وقد لعب بهِ الانتفاخ والكبر . واذا بفرخزاد قد صار امامهُ . وفاجئهُ مفاجئة الاسود . وسطا عليهِ سطوة الفهود . ودار بينهما القتال . اشد من لهيب النار ذات الاشتعال .

فغاصا بالعرق . وكل منهما اسرع الى الايقاع بخصمه وسبق . غير ان فرخوزاد . اقدر في ميدان الحرب والطراد . لانهُ من نسل فيلزور بن رستم زراد . فضايق خصمهُ كل المضايقة ورفع بيده الحسام وارسلهُ الى وسطهِ فارماه قتيلاً وفي دمهِ جديلا . وحينئذ ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن الحرب والقتال . حيث كان قد قرب الزوال . و باتوا تلك الليلة تحت مشيئهِ تعالى ينتظرون اتيان الغد حتى جاء بنوره واشرقت شمسهُ على المتقاتلين فركبوا ونزلوا الى الساحة يطلبون الرجوع الى ما كانوا عليهِ في اليوم الاول . وما انتظم القومان . حتى برز من الصينيين فارس شديد البطش يقال لهُ ابوهان . ابن عم منكوخان . فصال وجال وطلب القتال وما اتم كلامهُ حتى صار بيلتا امامهُ وصاح فيهِ واشهر في وجههِ حسامهُ . وانتشب القتال بين الاثنين . وحام من فوق رووسهما غراب البين . ينتظر منهما قتيلاً ليجعلهُ لنفسهِ طعامًا . وما كان الا ساعة من الزمان . حتى سطا بيلتا على خصمهِ وصاح . وفاجاه مفاجئة ليوث البطاح . وضربهُ با اصارم اليمان على راسهِ . شقهُ الى تكة لباسهِ . فمال الى الارض كطود من الاطواد . ثم جال بيلتا وطلب الحرب والجلاد . وهجم على فيئة من جهة اليمين قتل فيها مقتلة عظيمة ثم رجع الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان . فبرز اليهِ فارس شديد الحيل . يقال لهُ راعي الخيل . فتعارك واياه ساعة ثم ضربهُ بحسامهِ فالقاه قتيلاً يعض الارض بنواجذه واذ ذاك تكدر منكوخان . فامر احد القواد العشرة الذي كان قد قتل منهم فرخوزاد واحدًا ان يبرز اليهِ وكان اسمهُ المشعال . فتهاوشا وتناوشا واوسعا في القتال . واظهرا فيها العجائب والاهوال . بقية ذاك النهار الى قرب الزوال . فضربت طبول الحرب والانفصال . ورجع الفريقان الى الخيام لطلب الراحة والمنام . وفي صباح اليوم الذي بعده نهضوا وطلبوا القتال . و برز الى الساحة القائد مشعال وكان من اشد الابطال . فصال وجال وسال البراز والنزال . فاراد بيلتا ان ينزلْ اليهِ و ياخذ معهُ على ما كانا عليهِ في اليوم الاول واذا بعساكر الفرس قد اهتزت واضطربت وخرج من بينها بهزاد . سيد الفرسان والقواد . وعروس القتال والطراد . من اعترف السيف انهُ سيده ومولاه . واتخذه النصر امهُ واباه . راكب على ذاك الجواد العالي الذي تقدم معنا ذكره وهو من خيول البحر فمالت اليهِ الانظار . واحدقت بهِ الابصار . موّملة منهُ رجال ايران الانتصار . لما تعهد فيهِ من البطش والاقتدار .

قال ولما صار بهزاد . في ساحة الحرب والطراد . هجم على المشعال . هجوم الاسد الريبال . واخذ معهُ في القتال والحرب والنزال ووقعت بينهما الاهوال . مقدار ساعة من الزمان واذا ببهزاد قد صاح صياحه المعتاد . وقال انا بهزاد انا بهزاد . ابن فيلزور البهلوان بن رستم زاد . نشئة الملك ضاراب سيد الاسياد . ورهين سيف والده فارس فرسان الطراد ثم رفس مشعال برجلهِ رفسة قوية قنطره عن جواده وادركه باسرع من لمح البصر بضربة من سيفهِ وهو في الهواء قطعهُ نصفين وصاح

في عساكر الصين وطلب تقدم الفرسان والابطال اليهِ وقال لهم فليات منكم عشرة او عشرين وإذا شئتم فاحملوا باجمعكم عليَّ فما اتم كلامهُ حتى حمل عليهِ فارس اخر وهو القائد الثالث وكان اسمهُ ابو نسناس فالتقاه بهزاد بقلب قوي وجنان جري الى ما بعد الظهر وهو يحاولهُ ويراوغهُ ويلاعبهُ كما يلاعب الهر الفار حتى انعبهُ واهلكه ولم يعد يقدر على الحراك واذا بهِ انقض عليهِ واقتلعهُ من بحر سرجه وضرب بهِ الارض بقوة عزمهِ ومقدرتهِ فجاء على راسهِ فادخل الى جسده ومات على تلك الحال . ومن بعده نادى بهزاد يسال القتال فلم يتقدم احد اليهِ وقد خافهُ الجميع مما شاهدوا وراوا منهُ ولما راى توقفهم وامتناعهم صاح وانحدف عليهم كالقضاء المنزل واخذ يضرب فيهم ضربات احر من لهيب النار حتى انفتح لهُ طريق بينهم فغاص فيهم وهو يطردهم امامهُ طرد الاغنام حتى صار في وسطهم ومالوا بهِ من كل الجهات فخاف فيروزشاه عليهِ من كثرة الازدحام وعليهِ فقد امر بقية الفرسان ان تحمل على الصينيين بالعساكر والابطال . وفي الحال حملت الفرس على اهالي الصين وهي مسرورة من عمل بهزاد مرجحة الفوز والانتصار على اولئك القوم فانتشب القتال في كل ناحية ومكان . واشتبك الفرسان بالفرسان والابطال بالابطال . وقام سوق الجال . ودار فيهِ الاستيفاء والاستلال . وانتفع منهُ كل اسد ريبال . وخسر فيهِ كل جبان قليل الاعمال . ردي الافعال . حتى خيل للرائي ان الارض قد اضطربت من كل الجهات . ووقع عليها ما رد الويلات . يختطف منها من قتل ومن مات . وقامت القيامة . وقلت السلامة . وانفجرت ينابيع الدماء من الابدان . كميازيب السحاب عند الهطلان . وكان من وسط تلك النار المتسعرة الانقاد . يسمع صوت بهزاد . ينادي بشرف الفرس وفخرها . ويقرر عزها ونصرها . وهو كالبرق الخاطف يقلب اليمين على الشمال . وينزل البلايا والاهوال . ويذهب بالارواح الى عالم المحال . وكلما اجتمعت من حولهِ الرجال . فرقها تفريق الجمال . وما امسى مساء ذلك اليوم الا وقد هلك من رجال الصين اكثر من ربعهم ما عدا المجروحين والمصابين بالشلل والعطل . وحينئذ امر فيروز بضرب طبول الانفصال . لرجوع الفرسان والابطال . وتقدم من بهزاد فقبلهُ ما بين الاعيان وقال لهُ لو كان بالفرس مثلك اثنان لسادت على الانس والجان وتملكت الارض بالطول والعرض . فقال لهُ من انا ياسيدي وهل يحق لي ان اذكر اذا كنت موجودًا فانت مولانا ولولاك لما اقيم لنا مجد ولا شرف ولا اعتزت الفرس ولا نالها النصر والظفر

وبعد ذلك عاد كل الى خيامهِ ينتظرون اليوم القادم وعاد منكوخان ابن هلكوخان لا يعرف يمينهُ من شمالهِ ولا يرى ما بين يديهِ وقد وجد الارض مملوءة من رجال الصين وفرسانهم ووقع النقص بهم من كل مكان وقتل ثلاثة قواد عظام عدا عن غيرهم من القواد الذين عليهم الاعتماد واراد ان يبعث الى جهان يخبره بما جرى وكان ويطلعهُ على ما حل بهم من الفرس الا ان عزة نفسهِ

منعته وقال ماذا يقال عني اذا وقع بي التاخر بعد اسبوع واحد وبدي من الابطال ما يضيق بهم البر الفسيح . ولهذا دعا اليه بقية القواد واستشارهم فيماذا يفعل وقال لهم ان الحرب على مثل هذا اليوم تهلكنا عن اخرنا ولا نقدر ان نثبت اكثر من يومين او ثلاثة . فقال له احدهم ان النصر معقود بارادة النار واننا من الموافق ان نثبت في القتال ونحارب الى اخر رمق عنا ولا نرجع حتى نهلك عن اخرنا واننا سنعود الى المبارزة عسى يجد بين رجال الصين من يقدر على قتل بهزاد الذي فعل بنا ما فعل في مثل هذا اليوم قال اني اعرف انه ليس فيكم من يقدر يبارزه او يقاتله قالوا اننا سنتكل على النار ذات الشرار ونطلب منها المعونة والانتصار . وباتوا على مثل تلك الحال الى ان كان صباح اليوم الاتي فنهض الجميع من مراقدهم وتنصلوا بنصولهم وتدرعوا بدروعهم وعلوا على ظهور خيولهم وتقدموا الى ساحة الحرب والكفاح مصطفين صفوفًا صفوفًا . ومرتبين ميئاتًا والوفًا . وبينما هم على مثل ذلك واذا بالامير بيلتا قد توسط الميدان ولعب على ظهر حصانه بما ادهش الانظار وحير الاذهان . وطلب مبارزة الفرسان . وفي الحال سقط اليه احد القواد السابق ذكرهم واخذ معه في القتال والصدام والافتراق والالتحام . والقرب والبعد والاخذ والرد وقد ارتفع فوقهما الغبار وقدحت حوافر جواديهما شرار النار . حتى توسط النهار واذا ببيلتا قد ضرب خصمه بالحسام فوقع على رقبته براها كما يبري الكاتب القلم ومن ثم صاح في الابطال ثانية وطلب من رجال الصين ان تبعث اليه بفرسانها وابطالها فنزل اليه قائد اخر وصاح فيه وحمل عليه فالتقاه بيلتا وسلك معه سوق الحرب والطعان . واكثرا من الجولان واوسعا في ساحة الميدان . وطلب بيلتا النصر من العزيز الرحمان . وهما تارة يجتمعان وتارة يفترقان . كانهما من مردة الجان . وصرفا كل ابواب الحرب وتفننا باحوال الطعن والضرب . وكان خصم بيلتا من الابطال الشداد . المعدودين بيوم الحرب والجلاد . فثبت امامه كثير الثبات . مفضلاً الهلاك والممات على الفرار والشتات . الى ان ولى النهار . ومالت الشمس الى الاصفرار . وقبل ان تضرب طبول الانفصال صال بيلتا عليه ومال . خوفًا من ان يركب طريق الرجوع والانفلال . ويتخلص من شرب كاس الهلاك والوبال . وضربه بصارم النصال . ارداه قتيلاً في الحال . واذا بالطبول قد ضربت ورجع الفريقان عن الحرب والصدام . الى المضارب والخيام . وهم مندهشون من افعال بيلتا الاسد الضرغام . ويترحمون على ابيه فيلزور صاحب الصيت الحميد والذكر السعيد وهناه فيروزشاه عند رجوعه بالسلامة والرجوع بامان فشكره على اكرامه ومعاملته اياه بالانس واللين وبعد انقضاء السهرة في صيوان ابن ملكهم تفرق كل الى صيوانه يطلبون الراحة والمنام ليقوموا في صباح اليوم الثاني الى القتال ويزحفوا على الاعداء بالخيول زحف الابطال

قال وكانت عساكر الصين قد وقع في قلبها الخوف والوهم مما شاهدت ورات وثبت

الديها ان لا احد من الفرسان يقدر على الثبات في وجوه رجال ايران وأن لا فارس منهم الا و يقدر
على الايقاع بالف والفين معًا ولذلك قال منكوخان قد اصبحنا بحالة يرثى لها وتقطعت ظهور
رجالنا فاصبحوا خائفين كل الخوف منهم وعندي ان نبعث الى الملك جهان نطلعهُ على امرنا
ونعرض عليهِ كل ما كان منا وننتظر منهُ الجواب فاذا امرنا بالرجوع رجعنا اليهِ واذا بعث الينا
بزيادة عسكر وفرسان وابطال ثبتنا وقاتلنا ولا نفعل الا غايته . قال فاجاب القواد بموافقة ارائهِ
وكتب كتابًا الى جهان يخبره بالفشل الذي وقعوا فيهِ و بالتاخر العظيم وانهُ قتل من الفرسان
روساء الجيوش خمسة وكثير غيرهم ممن يعز امرهم و يرفع شانهم و يستخبره فيما يفعل ايبقى في مكانهِ
او يتاخر الى المدينة و بعث الكتاب مع رسول . و بات تلك الليلة الى الصباح وفيه نهض العسكران
الى ساحة الطعان وقد تقلدوا بالنصول واعتلوا فوق الخيول ولما اصطف الصفان . وترتب
الفريقان برز فرخوزاد ابن فيلزور البهلوان وقاتل في ذلك اليوم الفرسان وقتل جانبًا من رجال
الصين وقوادها وعاد عند المساء وهو كانهُ النمر الكاسر او الليث الزائر و بقي عائدًا الى الخيام حيث
كانت رجعت العساكر الى مقرها . قال ودام القتال على مثل تلك الحال نحو عشرين يومًا على التمام
وفي اليوم الحادي والعشرين ورد على رجال الصين نجدة من قبل جهان يبلغ عددها نحو ثلاثمائة
الف مقاتل فتقووا بها وفرحوا بوصولها وصبروا الى اليوم الذي بعده وفي نيتهم اشعال نار القتال
والهجوم على الايرانيين الى ان كان صباح اليوم الثاني اصطفت الصفوف وترتبت من اليمين والشمال
واذا بالبطل بهزاد قد توسط الميدان . ولعب على اربعة اركانهِ باشكال والوان . ثم وقف في الوسط
ونادى هيا يا ابطال الصين فليبرز منكم كل بطل صنديد وفارس شديد واذا شئتم فابرزوا
اجمعكم فترون من سيفي الموت الذي تعلمونهُ وقد اعددتهُ لكم وهيئتهُ لخطف ارواحكم . فلما سمع
رجال الصين كلامهُ لم يقوَ احد منهم على الدنو منهُ والتقرب اليهِ فتاخروا جميعًا وكان على العساكر
الجديدة قائد مشهور من الابطال الشداد اسمهُ عنبر ابن شداد فلما سمع كلام بهزاد لعب بهِ الغيظ
والحنق وتحير كيف ان الصينيين قد تاخروا عنهُ ولم يقربوا منهُ وسال من بعض الرجال فقيل لهُ هذا
بهزاد قد القى الرعب في قلوب الجميع لان افعالهُ من افعال الجان وليست من افعال الانس
فاثار هذا الكلام في راسهِ النخوة وقال اليوم يعرف الجميع من منا اقدر واعرف بمواقع القتال . ثم
اكر الجواد فمر من تحتهِ كالسهم الطيار وصدم بهزاد صدمة الرجل الجبار فالتقاه بصدر رحيب
واخذ معهُ في الحرب والصدام بما يحير الخواطر و يشغل الاوهام ودام معهُ في اشد قتال وحرب
ونزال وهما تارة يصيحان و يظهران للعيان وطورًا تحت الغبار يختفيان . والناس تنظر الى قتالهما
بالعيان وترجو منهما النهاية على اي وجه كان

قال وكان بهزاد يزيد على خصمهِ الدرهم قنطار . اذ لم يكن من هذا العيار ولذلك ضايقهُ كل

المضايقة وصاح بهِ بصوت فيروزي ونادى بنداه المعتاد . انا بهزاد انا بهزاد . ابن فيلزور البهلوان ابن رستم نزاد . وامتشق في يده الحسام حتى اجتمعت من حوله جيوش الحمام . وارسلهُ بقوة عزم وثبات فواد . فوقع على طارقة عنبر بن شداد . فقطعها الى نصفين وسقط على الخوذة فشقها ووصل الى راسهِ فتغمده وهوى من هناك باخذ مداه ووقع عنبر الى الارض واذ ذاك لم يصبر بهزاد ان يطلب فارساً اخر لانهُ علم انهم لا ياتون اليهِ ولا يبرزون اليهِ وان عنبر لو لم يكن جاء مع القادمين لما ارتكب هذا الخطر المبين بل صاح صياح الابطال وارتمى على فرسان الصين واشعل فيهم نار الحرب والقتال وحملت من ورائهِ سائر قومهِ من الرومان والمصريين والفرس واليمنيين . وسائر الفرسان المجتمعين وحمل خورشيد شاه واخوه جمشيد شاه وحمل ايضاً مصفرشاه وابن عمهِ كرمان شاه وارتجت لحملتهم الارض من كل الجهات وعلت منهم الصيحات والصرخات . واشتبك القومان وقام بينهما سوق الحرب والطعان . حتى تدفقت الادمية كالغدران . وسالت في جداول تلك البراري والقيعان ولم يبقَ من وسيلة للصلح والامان . ولا من مفر للخائف الجبان . لان كل الطرقات قد سدت في وجوههم وامتلأت من الرجال . وقامت عليها جيوش الموت منتظرة نهاية الحال . لتسير بالارواح التي فقدت الى مقرها . وتذهب بها الى المحاسبة لتنال جزاء خيرها او شرها . وكان رجاؤُها الاكبر ببهزاد . سيد الابطال الشداد . لانهُ كان يكثر لها من تسليم الارواح التي يخرجها من الاجساد . وهي مسرورة منهُ كل السرور . كما كانت تسر منهُ الوحوش والطيور . اذ تراه يعدد لها قوتها ويكثر لها من الطعام . ويهيئ لها مونتها الى عدة اعوام . ويفعل في رجال الاعداء كما تفعل النار في الورق ودام القتال على مثل تلك الحال . الى ان جاء الزوال . فافترق الفرسان . ورجع الفريقان . وقوم الصين في تاخر وارتباك جسيمين . وقوم فيروزشاه في فرح وسرور عظيمين . تضرب بين ايديهم الموسيقات معلنة بالانتصار . مهنئة بالظفر والفخار . وعاد الجميع الى الخيام على تلك الحالة من الاستبشار . وصرفوا تلك الليلة ينتظرون الصباح ليبكروا الى ابادة القوم الباقين ولما كان الصباح عادوا الى القتال وبرز بيلتنا واخذ في ذاك النهار على نفسهِ عهدة النزال وقتل اكثر من عشرة ابطال وعاد عند المساء

ودام الحرب بين الفرس والصينيين في ذاك المكان نحو شهر ونصف على التمام وهي منحصرة على اولاد فيلزور البهلوان بهزاد وبيلتنا وفرخوزاد يقتلون ولا يرحمون حتى ضعف جيش الصين كل الضعف وكاد يضمحل وحينئذ امر فيروزشاه عساكره ان تحمل حملة واحدة على الاعداء ولا يرجعون ما لم يبددوا شملهم ويفرقوهم ولا يبقوا لهم من اثر قط في تلك الجهات فوعده بهزاد باجابة سوالهِ وانهُ سيكون ذاك اليوم اخر الايام وكان فيروزشاه يرغب في ان يقاتل بنفسهِ ليشفي غليله من الاعداء الا انهُ راى نفسهُ غير مضطر اليهِ وان الامر قد قضي بدون قتاله . وفي صباح اليوم

الذي بعده ركب بهزاد برجال مصر وقومهِ الخصوصيين وتوسط الجيش وجعل اخاه بيلتا من اليمين وفرخوزاد من الشمال وكذلك بقية الملوك والشاهات كل واحد جمع تحت جناحيهِ قومهُ واوصاهم بالحمل دفعة واحدة واقام الجميع ينتظرون امر فيروزشاه بالحملة حتى اشار اليهم بها وفي الحال انطبقت على عساكر منكوخان. وانزلت بها الذل والهوان. وجودت بها الضرب والطعان. وانزلت عليها المصائب من كل ناحية ومكان. واحاطت بها احاطة الهالة بالقمر. وطوقتها باطواق البلايا والعبر. وكان الصينيون قد اعتمدوا في ذاك النهار على الهرب والفرار. والرجوع الى بلاد الصين حيث كان جهان لهم بالانتظار. فقاتلوا قتال الخائف الفزعان. من التشتيت والقلعان. ولم يتسهل لهم كل ما املوه. ولا راوا طريقًا سهلاً يسلكوه وكيفما مالوا كانوا يرون الاعداء تناتل. وتهاجم وتناضل. وتصيح صياح الرعد وتخط انحطاط الاسود. وهي تنادي باسم فيروزشاه في كل مكان. فخر رجال ايران. حتى كان ذاك اليوم من الايام التي تذكر جيلاً بعد جيل. وتحكى في سهر كل ليل طويل. ومن ثم انفرطت الصينيون في كل الجهات. وتشتت في تلك الفلوات. وحل بها الوبال والشتات. لا تعرف اي طريق تسلك فيهِ. ولا اي مكان تلجا اليهِ. ورجال الفرس ساعية في اقفيتها من كل ناحية. تسير وراءها وتضرب فيها كي لا يقوم لها بعد ذلك قائمة ولا تقدر من ثم على جمع شملها وكان الوزير منكوخان قد انفرد وتاخر منذ البداية وطار هائمًا على وجههِ من مكان الى مكان. يطلب الخلاص والامان. حتى غاب ولم يعد يرى تلك الساحة فاطمان بالهُ وثبت عنده الخلاص ولم ينظر من جماعتهِ الا القليل وقد تاكد ان من هلك منهم هلك ومن خلص سار في غير طريق اذ لم يكن من سبيل الى خلاصهم من جهة بلادهم بل تشتتوا في كل الجهات ولذلك بقي سائرًا الى بكين وهو في تلك الحالة الردية السيئة المشينة. وبقي الفرس على عملهم حتى اقلعوا الصينيين من تلك الارض اي اقلاع ولم يبقَ لهم من اثر فيها وبعد ذلك عادوا يجمعون الاسلاب والغنائم والذخائر التي كانت معهم واخذوا الخيول التي وصلت ايديهم اليها من خيول المقتولين وكان شيئًا كثيرًا فاضافوه الى مونهم واتوا فيروزشاه يدعون له بالنصر والظفر فشكرهم كل الشكر وسرمنهم مزيد السرور ومدحهم على افعالهم وقال لهم يسرني ان اراكم وانتم في حالة النصر والظفر فهي من خصائصكم لا تليق بغيركم قط وان كانت لا دوخكم وتسكركم لتعودكم عليها الا انها لا تخفى عليكم بل تسر بكم وتفرح باعمالكم. وناموا في الخيام كل تلك الليلة على الراحة والامان وامر فيروزشاه في اليوم الثاني ان تنظف الارض من القتلى وتدفن جثث الاموات في الارض فاخذ عسكره في انفاذ امره واقام على تلك الحالة في هذه الناحية عشرة ايام حتى ارتاح فرسانهُ ورجالهُ ومن ثم سالهم بالركوب والتقدم من بكين عاصمة الصين حيث يكون الحرب هناك عظيمًا قويًا فركب الجميع على ما تقدم من الترتيب وركب هو كمينهُ ورفعت

فوق راسهِ الرايات الفارسية والى جانبهِ طيطلوس الحكيم و بقية الامراء والقواد و بين يديهِ العيارون ومنهم بهروز ابن الغول وتركوا تلك الارض وساروا الى حيث يقصدون

قال وكان جهان قائمًا في المدينة يجمع بالعساكر من كل ناحية ومكان وهي ترد اليهِ بكثرة حتى ضاق بها الفضاء وكانت المدينة حصينة جدًّا منيعة ذات اسوار لا يمكن ان يوجد مثلها قط ولهذا السبب كان جهان يفكر بالنصر وخذلان رجال الفرس ودام على حالتهِ الى ان وصل اليهِ خبر وصول منكوجان مهزومًا فارًّا من وجه الاعداء فزاد بهِ الغيظ والحنق ولعن وكفر وقال اني اعجب من النار كيف قد غضبت علينا كل الغضب ولم تعد لها من نوة ان تمنحنا اياها فنتقوى بها على الذين جاءوا بلادنا وقصدوا الايقاع بنا وخرابها وطلب ان يأتي منكوخان اليهِ فتقدم وهو في حالة ذل وهوان فسالهُ عما كان من حربهِ وماذا حل برجالهِ . فقال لهُ اعلم ياسيدي ان قوم الفرس ابالسة قتال لا يمكن ان يوجد بين فرسان الدنيا من يقدر ان يقف امامهم واني اقول الحق ولا اخاف من لوم ولا تعنيف انهم لا يمكن ان يغلبوا الا بالقوة والكثرة فاذا لم تجمع لهم اضعاف الاضعاف وتحمل عليهم دائمًا من كل الجهات وكلما فقد منك جيش تاتي بغيره يسد مسده حتى يبادوا و ينقرضوا لان من يقتل منهم لا يقدرون على الاتيان بعوضهِ . ثم حكى لهُ كل ما كان من امرهم وكيف اوقعوا برجالهِ وقتلوا قواده وحكى لهُ عن بهزاد و بيلتا وفرخو زاد وقال لهُ في اخر الكلام هذا وان فيروزشاه لم يباشر حربًا ولا نزالاً ولا تحرك من مكانهِ لانهُ راى ان الامر لا يحتاج اليهِ فاقام محاطًا بحرسهِ الذين هم من رجال ايران الخاص كلهم فرسان وابطال والا لو باشر بنفسهِ القتال وحمل بمن معهُ لما ثبتنا اكثر من اسبوع واحد واني شاهدت قتالهُ في بلاد الرومان وافعالهُ في الابطال والفرسان فزاد ذلك في قلق جهان وقال لا بد لي من صرف كل القوة وجمع كل جيوشي وجيوش احلافي الهنود الى تبديد هذه الفئة القليلة واقتلاعها واني اقدر ان ادخل بكل عساكري المدينة واتركهم خارجها اعوامًا واجيالاً لا يصادفون غير حرارة الشمس في النهار وشدة البرد في الليل الى ان تميتهم الطبيعة وما من سبيل لهم في التسلط على اسوار المدينة او الدخول اليها من اي جهة كانت فاخرج اقاتلهم واذا غلبت عدت الى الداخل وذلك بعد ان ارى نفسي محتاجًا اليهِ . واما الان فان عساكري عددها الف الف وثمانمائة الف فارس قائمة في الخارج تنتظر خروج وقدوم الاعداء لتهجم عليهم دفعة واحدة وتبيدهم عن اخرهم بقوة النار التي فوضت اليها امرهم . ثم انهُ نهض من تلك الساعة وقدم للنار الضحايا وسالها النصر والظفر على الاعداء وان ترسل بعضها الى رجال الفرس وتحرقهم بحرارتها وامر المرازبة ان تديم لها التقدمات ولا تنقطع عن الطلب اليهِ فاجابوه واقام مدة ايام على الانتظار الى ان كان يوم وصول الفرس الى تلك النواحي فاضطربت اقدوهم المدينة لانهم كانوا قد نشروا الخوف في قلوبهم ولولا املهم بملكهم و بمساعدة النار لما باشروا

حرباً ولا قتالاً

قال وكان وصول فيروزشاه وقت العصر فامر شبرنك ان يختار مع بهروز المكان الموافق لقيامهم لانهُ جاء الى تلك الجهة قبل ذلك الوقت وعرفها واكتشف على اماكنها فسار بهم الى مكان متسع بانع الاشجار بارد الهواء فضربوا فيهِ الخيام واقاموا هناك على الانتظار وسرحوا وراءهم الاغنام والنوق والبغال واقاموا عليها الحراس واختاروا مقاماً يحفظون فيهِ الذخائر والمؤن والمهمات وباتوا تلك الليلة على الراحة والاطمئنان وفي اليوم الثاني لم يباشروا قط حرباً ولا كفاحاً ولا الذي بعده واقاموا ثلاثين يوماً على تلك الحالة . وبعد ان مضى عليهم اكثر من شهر مرتاحين وكان غاية فيروزشاه ان يالف قومهُ هواء تلك البلاد ويعتادوا على مناخها ولا يكون قد باشر الحرب حالاً وجاب اليهم التعب فيؤثر فيهم تغيير الهواء ويأخذون بالضعف والانحلال وبعد ذلك امر ان تضرب قبل الصباح طبول الحرب والكفاح انذاراً للصينيين الذين كانوا في ضواحي المدينة يرغبون في التطويل لازدياد الجموع فاجابوا طلبهُ وقبل اشراق شمس النهار ضربت الطبول فارتجت منها تلك الارض وعلم الصينيون ان في نية الاعداء القتال وسمع جهان ضرب الطبول وهي تناقل الجبال والوديان فخرج الى معسكره وامر ان تضرب طبولهُ مجيبة باصرار واعتماد على انتشاب نار الوغى

قال ولما نظرت الشمس الى الارض بكل حدقتها وارسلت نورها الى كل مكان ووصلت اليهِ اسرع الفرسان الى خيولهم فركبوها وهم يعدون انفسهم بانتشاب حرب قوية في ذاك النهار لان رجال الصينيين كانوا يزيدونهم باضعاف ورجال الفرس اقدر منهم باساً وبسالة باضعاف الاضعاف وتقدم القومان الى ساحة القتال كانهما اسود الدحال . واصطف الصفان . وترتب الفريقان . وخرج فيروزشاه من عن العلم الكبير وفي نيتهِ المباشرة بالحرب في ذاك النهار صيانة لقومهِ ورغبة باشفاء غليلهِ منهم . قال وعند وصولهِ الى اول الساحة اشار الى رجالهِ بالحملة فانطبقت على الاعداء وهي مسرورة برأي سيدها وقتالهِ مؤملة النصر على يده والظفر من سيفهِ لعلمها انها تتقوى بهِ ويحميها كما تحمي اللبوة الاشبال . وكذلك رجال الصين لما رات سيدها والها جهان قد خرج معها الى ساحة الحرب والطعان وطدت عزمها على ان تفديهُ بنفوسها ولا تقصر في مواقف الوغى لتنال بركتهُ ورضاهُ ولا يسع بنا المقام . ان نصف تلك الوقعة بالتمام . لانها من اعظم الوقائع التي لاقاها الايرانيون . واشد مقاتلة قاتلها الصينيون . وباسرع من لمح البصر اشتبكت الاخصام بالاخصام . واضطرمت نار الوغى اي اضطرام . وسلمت الفرسان بانفسها الى ايدي الحمام . تختار ثبات المقام . على الانفلال والانهزام . املاً بارتفاع الشان وعلو المقام . واخترق فيروزشاه تلك الصفوف . واهلك منها المئات والالوف . والبسها لباس البلايا والحتوف . وقطع بضرباتهِ المعاصم والكفوف .

وانزل عليهم غضب العزيز الرحمان العادل الديان . قصاصاً لهم على عبادة النيران . واكرام الاصنام والاوثان . وتركهم عبادته التي هي اكرم العبادات . واستمدادهم من احقر صنيعته المساعدة والالتفات . وما مضى ساعة من ذاك النهار . الا واكتست الارض من الدماء بالوان البهار . وهطلت من سماء الصدور هطول الامطار . وتقلبت في حجر الهلاك والبوار . وسلمت برقابها الى اكف الهلاك والدمار . واستترت تحت سواد ذاك الغبار . فلم تنتفع بذاك الاستتار . بل كان لمعان الصارم البتار . يقدح على زناد القتام فيبعث اليهم بالانوار . و يظهرهم للانظار . اي اظهار . وكان لا يرى فيما بينهم الا تطاير الشرار . وتزايد الاعتكار . بما يوسع في ضرام تلك النار . و يهيج منها اللهيب والاستعار . ويروح بارواحها الى عالم الاسرار . و يطوق اجسادها باطواق الاضرار . و يكفنها باقمشة الغفار و ينادي بين الباقين بالتاهب لاطول الاسفار . و يريهم ان الحرب من اقرب الاشياء لتقصير الاعمار . وتطويل المصائب والاكدار . فلله در فيروز شاه الفارس الجبار . صاحب العظمة والفخار . والمجد المعهود على هامة الانتصار . فانه اشفى غليله من اولئك الاشرار . واجرى من اعناقهم الدماء جريان الانهار . وطوقتها كما يطوق بالمعصم الاسوار . وشردها ذات اليمين وذات اليسار . وفعل مثله بهزاد الليث المغوار . صاحب البطش والاقتدار . من خدمته السعادة خدمة العبيد للاحرار . واتخذته البسالة ماخذ الاكرام والاعتبار . فانه فاض بقتاله كما تفيض الابحار . وفعل في الاعداء افعالاً تدهش الابصار . وتشغل الافكار . فما ضرب راساً الا وطار . ولا طعن صدراً الا وفار . ولا فاجأ فارساً الا وحار . وكذلك فرخو زاد الاسد الكرار . و بقية الفرسان والامراء الاخيار . فانهم سلكوا سلوك مولاهم فيروز شاه . واقتدوا بما فعله وما ابداه . و بالاختصار ان الحرب كانت ثقيلة لم ير مثلها منذ اجيال . ولا سمع بمثلها قط احد من الشيوخ اصحاب الاعمار الطوال . ولا كتبت بتواريخ الاعصر السابقة . ولا يظن بوقوع نظيرها في الاجيال اللاحقة

قال وما جاء اخر النهار وفي القوم بقية رمق من عظم ما لاقوا وما شاهدوا وما راوا وعند اقبال الظلام ضربت طبول الانفصال . ورجع القومان عن الحرب والقتال وهما لا يصدقان بالرجوع بالسلامة الى الخيام وكل منهم يندب رفيقه وخصمه و يتعجب مما راى في ذلك النهار وكان اكثر الجميع عجباً جهان ملك الصين فانه كان تحت اعلامه يشاهد ما هو جارياً بين قومه والاعداء وفي ظنه انه يفوز في ذاك اليوم وان رجاله اذا علمت انه واقف وراءها تلتهم الاعداء التهام النار القش اليابس ولم يخطر له ان اهل ايران هم فرسان ذاك الزمان وان رجاله مهما جودوا الطعن واجهدوا النفس لا يلاقون منهم غير الهلاك والوبال ومما زاد في دهشته وحيرته ما كان يشاهده من فيروز شاه وهو يطارد الفرسان فتنفر بين يديه وتشرد من حواليه وهو كالبرق السريع اللمعان ينتقل باعجل آن من مكان الى مكان و ينادي باسمه واسم ابيه واسم اجداده واسلافه . وفي المساء

رجع الى المدينة ومن حوله اعيانه ووزيره مهريار ودخل قصره وهو مكدر وقال لوزيره اني في حيرة وارتباك لا اعلم ماذا يحل بي من هولاء القوم الذين جاءوا بلادنا بقصد الايقاع بها وهلاك رجالنا مع اني كنت اظن اننا لا نلبث ان ننتصر عليهم من اول وقعة . فقال له واني مثلك ياسيدي ماخوذ من اعمالهم متكدر من قوتهم فهم بالحقيقة اصحاب السيف وما من احد من رجالنا يقدر على الثبات امامهم . قال اني افكر ان ادخل بعسكري الى المدينة واقيمها في اسوارها واجعل القتال مناوشة واطيله الى زمن طويل الى ان يضجروا منه فاما ان يرحلوا عنا واما ان يهلكوا بمديد الزمان وطول الايام . قال ان هذا راي صائب يمكن ان من اطالة القتال ياتينا الفرج فيما بعد فمتى وقع بيننا وبينهم عدة وقعات وفازوا في كل وقعة كفوزهم في هذا النهار ليس لنا الا الالتجاء الى الاسوار فهي منيعة حصينة لا يقدر الانس والجان على اختراقها ودكها . قال واما رجال ايران فانهم رجعوا فرحين منصورين بما فعلوه ذلك النهار وما وقع على اعداهم من الخمول والنقص وترحب بهم فيروز شاه وشكرهم على هذا القتال وقال لهم اذا دامت القتال على مثل اليوم اسبوعا واحدًا تلنا السعادة والتوفيق وتملكنا المدينة وفزنا على الجميع وانقرضت هذه الجيوش بسيوفنا . فقال له طيطلوس ان انتصارنا على الصينيين لا بد منه وتملكنا البلاد لا يفوتنا قط لكن لا يكون ذلك بوقت قريب واري ان حروبنا مع الصينيين لا تكون سهلة على الدوام مثل ما هي في البداية ولا بد لنا من مقاساة وصعوبات وملاقاة اهوال شديدة والامل منه تعالى نتخلص منها بدون ان يلحق بنا ادنى اذى او مضرة توجب كدرنه كدرًا ابديًا . قال فيروزشاه اننا ندعو الله المساعدة وان يكون معنا وهو على كل حال لا يترك نصرتنا ويميل الى اعدائنا

وفي صباح اليوم الثاني خرج جنان من المدينة وركب على ظهر جواده وامر ان ترفع الاعلام فوق راسه وتضرب الموسيقات بين يديه وتصف العساكر بقصد القتال والحرب والنزال وفعل مثل ذلك فيروزشاه فانه تقدم بمن معه من ابطال ايران وفرسانها العظام الى الامام ورتبهم كالعادة فاقام هو في الوسط وبهزاد عن اليمين وفرخوزاد وبيلتا في اليسار وما تم الانتظام والترتيب حتى اشار لها بالحملة والهجوم فاطلقت خيولها وتقدمت عمدها وارتمت على الصينيين ارتماء الصواعق فالتقوها بالمدافعة والمقاومة وباقل من ساعة من النهار قامت قيامة القتال وارتفع صوت المقاتلين حتى اهتزت منه تلك الجبال . وكان يومًا عظيمًا . وقتالًا جسيمًا . فعل فيه كل من ابطال ايران . الافعال الحسان . واجريت الدماء كالغدران . وتقطعت الرؤوس فتصلت على الابدان . وانفرطت سبحة ذلك الانتظام . وامتزج الفريقان ببعضهما الامتزاج التام . و[illegible] لحق بالصينيين التاخر في ذلك اليوم اكثر من اليوم الاول وقد قتل منهم خلق كثير ولاقوا صعوبات جمة حتى جاء اخر النهار وضربت طبول الانفصال ورجع الجميع الى المضارب والخيام . بعد ان تغطت

الارض من جثث القتلى ولم تعد الخيول تقدر على السلوك في وسط الساحة . ولما رجع فيروز شاه الى صيوانهِ اجتمع حواليهِ الجميع فقال لهم اني مسرور وجداً من هذه الحالة انما اخاف ان يدخل الصينيون الى المدينة ويقيموا في الاسوار فنلتزم الى المحاصرة وهذه الحالة تعيقنا جداً ونلتزم ان نبقى عدة سنين حولها الى ان يفتح الله لنا باب النصر والظفر . فقال طيطلوس هذا لا بد منهُ وانا اعرف اننا سنقيم سنين كثيرة في هذه البلاد وما من سبيل لدك هذه الاسوار والتغلب عليها واني اطلب من سيدي ان لا يباشر في الغد حرباً وقتالاً بل نبادر الى تنظيف ساحة القتال ومتى راينا الصينيون على مثل ذلك بادروا هم ايضاً اليهِ والا فسد المناخ وفشت فينا وفيهم الامراض الوبائية التي نتاباها ونتحاشاها منذ خروجنا من قيصرية الى هذه الايام فاجابهُ اليهِ وامر ان تبكر العساكر في الغد الى دفن القتلى ورفع الاجساد عن وجه الميدان وامر ايضاً ان لا تضرب طبول الحرب في الصباح الاتي . واما جهان فانهُ عاد الى المدينة وهو على مثل اليوم السابق لا يدري يمينهُ من شمالهِ والغضب يزرق احشاءهُ ويعمي بصائرهُ ودعا اليهِ وزيرهِ منكوخان ومهريار وبقية الاعيان وسالهم في الدخول الى المحاصرة والقيام على الاسوار فقال مهريار ان ذلك اوفق لنا فاننا ندخل العساكر الى داخل المدينة ونقفل الابواب في الليل ولا نفتحها الا في النهار فاذا راينا ان الايرانيين هجموا على المدينة اقفلنا في وجوههم الابواب ونقيم على ذلك الى ان يتسهل لنا الفرج وتاتينا النجدات من الهند وغيرها . فقال منكوخان ان لا نجاح لنا ولا نصر الا اذا كتبنا كتاباً الى البطل ديدار ابن كركاني الساحرة صاحب قلعة سوسان شهر وهو لا مثيل لهُ الان في هذا الزمان ووحده يكفي لقتال الفرس وايران ولا اظن ان فيروز شاه او بهزاد او غيرهما يقدر على الثبات امامهُ . واما الان فعند اول وقعة تكون بين رجالنا والاعداء نقاتل وندخل المدينة ونقفل ابوابها ونبعث بعيارينا الى بينهم ياتونا منهم بالفرسان ولا سيما بفيروز شاه . فقال جهان لقد اصبت فاكتب كتاباً الى ديدار واعرض عليهِ كل ما كان من امر الفرس وقتلهم لفرساننا وابطالنا وعجل عليهِ بالحضور فكتب لهُ كتاباً بمثل هذا المعنى واتفقوا على مثل ذلك وفي الصباح نهض الصينيون فراوا رجال ايران يرفعون جثث القتلى فسر جهان وامر فيئة من رجالهِ ان تخرج فتقيم اجساد جماعتهِ المقتولين وتدفنهم في الارض ففعلوا واقاموا مدة ايام على الراحة والامان وبعد مضي اكثر من شهر امر فيروز شاه ان تضرب طبول الحرب انذاراً للاعداء بالقتال فكان كما امر وفي الصباح نهض فركب جواده وخرج في المقدمة ونهض معهُ جميع رجالهِ وابطالهِ وفرسانهِ وتقدموا من الساحة ووقف في مقابلتهم قوم جهان حتى كمل انتظامهم وصاح نفير الهجوم فحملوا حملة تزعزع الجبال وتنصر الاعمار الطوال . وقام سوق الحرب . واختلف الطعن والضرب . وكثر القيل والقال . واشتدت المصائب والاهوال . وعمل السيف القرضاب . في محكم الصدور والرقاب . وسار ملك العذاب . وانزل على القوم بالويلات

والاوصاب .وسد في وجوههم كل باب .فشاهدوا عذرائيل مشاهدة العيان . والقوا على مراه ما الفة الخلان للخلان . وفضلوا المات على البقاء . في مقاتلة الاعداء . ولما جاء المساء رجع الفريقان بضرب طبول الانفصال ورجع الايرانيون الى الخيام بحسب عادتهم وامر فيروز شاه ان يضبط عدد عساكره ليعرف ما فقد منهم فبلغوه ان الذين فقدوا منذ البداية الى ذالك اليوم يبلغ المائة الف فارس كان اكثرهم من الرومان والمصريين فتكدر من هذا الخبر وقال ان هذا العدد ليس بقليل وقد يسوءني جدًا ان اسمع بقتل رجل من رجالي اكثر مما يسرني انتصاري على اعدائي فغفر الله لهم واسكنهم فسيح جنانه وامر ان يصلى على ارواحهم وتذبح الذبائح وتفرق على الفقراء والمساكين فعملوا لهم مناحة عظيمة

واما جهان فانهُ دخل المدينة وامر رجالهُ جميعها بالدخول فدخلت واقامت على الاسوار وداخل الابواب وامر الحرس ان تكثر على الابواب وان لا تمنع احدًا من الدخول او الخروج لكن عند اقبال الظلام تقفل الابواب و تقيم على اتم تيقظ وانتباه وفي الصباح لا تفتح الابواب ما لم ترَ ان رجال ايران بعيدون عنها واذا شاهدت هجومهم تعود فتقفل الابواب ولا تدع سبيلاً لدخولهم المدينة واذا دخل جماعة منهم مسلحين تقبض عليهم وتاتيه بهم وهكذا كان واقام جهان على مثل ذالك داخل المدينة ينتظر قدوم النجدات عليهِ وما يكون من امر الفرس . ورأى فيروزشاه ذلك فتكدر مزيد الكدر وشعر بوقوع الصعوبات والعذاب فطيب بخاطره طيطلوس وقال لهُ ما من سبيل للكدر فاننا ناجحون الان ولا بد من مساعدته تعالى فنتغلب على المدينة ونستلمها وهكذا يظهر لي من حال الاستقبال فصبروا في الخارج اكثر من شهر اخر دون مباشرة حرب ولا قتال الى ان كان ذات يوم اجتمع منكوخان بالملك جهان وقال لهُ اننا الان قائمون على الراحة والامان لكن لا يزال فكرنا متعوب من جهة الاعداء ولا بد لهم من اخذ التدابير التي لا تكون لنا في حساب فيدخلون المدينة بغتة وعندي من الاصابة ان نبعث بعيارينا الى ما بينهم فيدخلون خيامهم و يقتلون لنا فيروزشاه فاذا وقع في ايدينا ثبت لنا النصر والظفر واخذنا الباقين بعده اما بالقتال واما بالحيلة وننهي الامر من اقرب طريق فاستصوب رايهُ وكان عنده عيار من اكبر عياري ذالك الزمان اسمهُ ونك العيار قد اتقن مهنتهُ حق الاتقان وتعلم كل ابواب الحيل والخداع حتى اصبح طامة كبرى وافة عظمى يتزيا بكل زي فلا يعرف قط تعلم لغات العالم والسنتها فاذا حكى فارسيًا كان من اعظم رجال الفرس وافصحهم لغة ولهجة ومثلهُ مصريًا او يمنيًا او افرنجيًا او غير ذالك فدعاه في تلك الساعة جهان وقال لهُ لما هذا التهامل يا ونك فلاي سبب قد رفعت منزلتك وعينت لك العلوفات والمعينات واقمتك رئيسًا على كل العيارين اليس لمثل هذه الايام وها نحن الان في حاجة اليك ونريد منك ان تذهب في الليل القادم الى ما بين الاعداء وتاتينا بفيروز

شاه رئيس جيوش الفرس اسيرًا دون ان يراه احد واذا فعلت ما اطلبهُ اليك زدت لك المرتب وافرغت عليك ثوبًا من احسن اثواب العيارين مزركشًا بالذهب ولا انسى لك هذه الهمة والخدمة قال اني اعدلك ياسيدي اني لا ادع الليلة القادمة ان تمضي دون ان يكون فيروز شاه مقيدًا بين يديك واني عندما كنت في الخارج مع الجيوش طرقت كثيرًا صيوانهُ وقصدت ما امرتني بهِ غير ان هذا لا يتسهل لي كون عنده عيار اسمهُ بهروز لا ينام الليل ولا يغفل ساعة عن حراسة مولاه يدور حول صيوانهِ كالولب واعينهُ تقدح كالمشعال او كالشهب ينظر الى بعيد وكثيرًا ما كدت اقع في يديهِ لو لم انغلغل بين الخيام واختفي عن انظاره وكان ذلك منهُ لعلمهِ ان عيارينا لا بد من الدخول الى جيوشهم والقاء شرورهم عليهم واما الان فلا بد ان يكون في امان لظنهِ اننا داخل المدينة ولا يخطر لهُ قط اننا نطرق ابواب معسكرهم . ثم خرَّ امام سيده وقبل يديهِ وخرج الى تدبير امره وصبر الى ان كان اليوم الثاني فلبس ملابس رجال اليمن واتقن الصنعة وجاء بعيار اخر من جماعتهِ فالبسهُ ملابس رجال مصر وخرج من الباب بعد ان اعلم الحرس بهِ واوصاهم ان يفتحوا لهُ عند اول طرقة يطرق بها الباب ووضع بينهُ و بينهم علامة يعرفونها ولا زال سائرًا يتلبد من جهة الى اخرى وهو يخترق الخيام يقصد صيوان فيروز شاه حتى لاح لهُ شبحان تحت الظلام فمر من جانبهما وقد احدق بعينيهِ في الاول منهما فاذا هو مصفر شاه وكان لا يعرفهُ حق المعرفة ومن وراه عياره الاشوب . وقد تقدم معنا ان مصفر شاه من اقرب الناس بفيروز شاه هيئة وشكلاً وقد غش بهِ طارق العيار في مصر واخذه اسيرًا وهو يظنهُ الذي جاء بطلبهِ ومثل ذلك وقع اونك العيار فانهُ لما راه على نور الكواكب ثبت في ذهنهِ انهُ نفس فيروز شاه فخاف كثيرًا من ان يراه و يعرفهُ عياره بهروز الذي خلفهُ فدار بوجههِ عن العيار ولم يدع وجههُ يقع على وجههِ الى ان بعد قليلاً عنهُ اي بضع خطوات وعاد فتاثره ليرى الى اين يسير وهو يسال النار ان توفقهُ الى اسره و بقي على ذلك الى ان دخل مصفر شاه الصيوان وكان كبيرًا عظيمًا من صواوين الملوك الكبار فثبت لديهِ كل الثبوت ما خطر لهُ اولاً واقام بعيدًا عنهُ ينتظر مضي الفرصة الكافية لمنامهِ ومن ثم جاء من خلف الصيوان شيئًا فشيئًا ومعهُ رفيقهُ يراقب لهُ من يمر ومن ياتي حتى جاء الى ظهر الصيوان فاخترق فيهِ خرقًا ونظر الى الداخل فلم يسمع حركة ولا راى ما يمنع دخولهُ وفي الحال اقتلع الوتد من الخارج واشعل قطعة من البنج ورماها الى الداخل واقام الى ان تاكد انها احترقت تمام الاحتراق وفرغ دخانها فدخل باسرع من البرق واخرج من وسطهِ حبلاً ربط بهِ مصفر شاه وهو يظنهُ فيروز شاه ولم يقدر ان يميزه حق التمييز بنور المصباح وحملهُ على اكتافهِ وخرج بهِ كالثعلب من بين تلك الخيام وكلما راى شبحًا من جهة مال الى اخرى ورفيقهُ يراقب لهُ الطريق حتى خرجوا من المعسكر وجاءوا الى ابواب المدينة وونك يصفق من الفرح و يعد نفسهُ بالغناء والثروة وان ينال المراتب

العالية لانهُ نجح كل النجاح ونال ما طلبهُ منهُ سيده وعند قربهِ من الباب طرقهُ ففتح لهُ الحراس فدخل وعلى عاتقهِ مصفرشاه ولما صار داخل المدينة ارتاح بالهُ وذهب بهِ الى بيتهِ ينتظر الصباح ومن عظم فرحه لم ينم تلك الليلة وهو يفكر ماذا ياترى يحل برجال الفرس في الغد اذ راوا ملكهم قد سرق وصار بيد الاعداء ولا ريب انهم يتفرقون وتحل بهم المصائب وكاد يطير فرحًا عندما يفكر انهُ بعد ساعات قليلة يقدم فيروزشاه الى الملك جهان و ينال انعامهُ و يعرف كل اهل المدينة انهُ كان السبب في كسر هذه الجيوش ونصرة اهل الصين وبقي يتردد و يتفكر في ذلك الى ان كان الصباح وفيهِ نهض الى مصفرشاه فايقظهُ بقطعة من ضد البنج واذا يرى نفسهُ مكتوفًا في مكان غريب فصاح اين انا ومن تجاسران ياتي بي الى هنا ولم يعرفني . فقال لهُ ونك مهلاً ياسيدي اني انا الذي جئت بك الى هنا اذ كان سيدي قد بعثني لاتي بك اليهِ لعلمهِ انهُ اذا قضي عليك تفرق قومك من بعدك لان كل رجائهم بك و ببهزاد ولا بد من اسر الاخر ان شاءت النار في الليلة القادمة فخفق قلب مصفرشاه وثبت عنده انهُ اسير داخل الصين وان ونك قد جاء بهِ وهو يظنهُ انهُ فيروز شاه وقد وقع لهُ هذه المرة ما وقع لهُ في مصر ولذلك لم يبد خطابًا ولا تكلم بكلمة بل صبر على مضض ينتظر ما يحل بهِ ولما تعالى النهار خرج جهان الى ديوانهِ ينفذ ونك واذا بهِ قد دخل عليهِ ومعهُ مصفرشاه وصاح عند دخولهِ من باب الديوان هذا عدوك ياسيدي قد جئت بهِ اسيرًا وانفذت بهِ امرك هذا هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب مكتوف الان بين يديك ذليل حقير . فلما سمع الملك جهان هذا الكلام كاد يطير من الفرح وامر ان يقربهُ منهُ وقال لهُ اني ساجازيك اضعاف ما وعدتك

ولما وقف مصفرشاه بين يديهِ قال لهُ كيف ترى نفسك الان ايها الملك الفارسي اتظن اني اعجز عن القبض عليك واذلالك الا فاعلم ان النار تساعدني فادوس يساعدنها اعداي الكفرة الذين لا يعترفون بعظم مقدرتها وقوتها العجيبة واني لما كنت احترم الملوك جدا ولا اقبل قط باهانتهم اعتبارًا للخطة الاولى كون بعين الحقيقة كل ملك هو اله بقومهِ اطلب اليك ان تقبل اقدامي وتعترف بوحدانية قدرة النار وتعدني بالطاعة على الدوام وانك ترجع بقومك من حيث اتيت وتكون بلادكم تابعة لبلادي وتدفعوا اتاوات الى ذلك والا القيتك في السجن وجعلت قيامك بهِ الى الابد ولا بد من تشتيت شمل قومك بعدك . فلما سمع مصفرشاه كلامهُ اجابهُ اعلم ايها الملك المتعظم في نفسهِ انك واقع في غلط تظن بنفسك انك نلت مرادك ممن يتعزز على من هو مثلك ان يقدر على الوصول اليهِ او يجسر عيارك ونك على ان يمد اليهِ يدًا بسوء وفي خدمتهِ الوف مثله ما انا فيروزشاه بل من احد اتباعه واولاد عمهِ الذين جاؤوا بخدمتهِ . فلما سمع الملك كلامهُ اسودت الدنيا في عينيهِ وانقلب سروره الى غيظ وحنق وقال لهُ من انت وما اسمك قال انا مصفرشاه ابن

عم الملك ضاراب قد كنت صرفت السهرة عنده في الليلة الماضية ومضيت الى صيواني فجاء اليّ ونك واخذني وانا غائب عن الوجود لا اعلم كيف عمل ذلك . واني احذرك ان لا بد لجيوش الفرس من الاستيلاء على بلادك قاسعي الى مسالمتهم وكن ممن يعقلون ولا يتصور لك قط او لاحد من جماعتك انكم تصلون الى فيروزشاه وعنده بهروز العيار سيد عيارين هذا الزمان ولو كان عياري مثله لما قدر ونك ان يصل اليّ او يدنو مني فزاد هذا الكلام في غبظه واغاظ ونك غيظاً عظيماً حتى كادت تنفطر مرارته كيف ان تعبه ذهب سدى ولم يتوفق في خطته واستحى من الملك ومن الذين في ديوانه وكان الوزير منكوخان قد امعن النظر في مصفرشاه فتاكد انه ليس هو فيروزشاه اذ انه كان يعرفه حق المعرفة وراه مراراً في بلاد الرومان وفي القتال في الايام الاخيرة وعليه فقد قال لجهان لقد اخطأ ونك المرمى ياسيدي فبالحقيقة ان هذا مصفرشاه واني كنت ادهش كيف قدر ان يصل الى سيد الفرس وملكهم غير ان هذا الامير هو من امراء الفرس العظام اصحاب الراي والكلام وما من موجب للغيظ ففي اسره فائدة لنا وان كانت اقل نفعاً مما نحن نطلبه لكن في القبض عليه ووضعه في السجن الان كدر عظيم على الاعداء وعار لا يمحى بطول الزمان ولا بد انهم يخافون ويبقون طول الايام في رعبة وخوف وان الذي جاء بهذا لا بد ان يتسبب بكامل همته الى اسر ذلك فقال ونك العيار اني اقسم بالنار ذات الشرار لا بد من اسر فيروزشاه واذلاله والاتيان به مكتوفاً الى بين يديكم الا اني لما كنت لا اعرف فيروزشاه حق المعرفة بل رايته عن بعد وهو في القتال ووجدت هذا مثله فاتيت به وسوف ترون مني ما يسركم فمدحه جهان واوصاه بكل ما يحتاجه

وبعد ذلك امر الملك بوضعه في السجن على حدة وان ينقل واحد من الاربعة الاسارى اليه بحيث ينقسمون الى قسمين فلا يكونون كلهم في مكان واحد. ففعلوا كما امر ونقلوا اليه سيامك سياقباً وبقي هناك طهورو بهمتزار فلي وقادرشاه . وسلم سيامك على مصفرشاه وساله عن سبب اسره فحكى له واخبره بعمل ونك وساله كيف كانت مدة قيامهم في الاسر . قال كنا في راحة من جهة الاكل والمعاملة وفي عذاب من جهة الاسر والحجر . واقاما مع بعضهما على مثل تلك الحالة ينتظران الفرج منه تعالى ويطلبان الخلاص وفي ظنهما ان اسرهما لا يطول الى زمان . وفي اليوم الثاني من غياب مصفرشاه نهض فيروزشاه من فراشه وجلس في صدر صيوانه واخذت تاتي اليه الفرسان والابطال من كل ناحية وصوب حتى احتبك الديوان من الصغير الى الكبير واذ ذاك نظر فيروز شاه الى كرسي مصفرشاه فاذا هو فارغ فارتاع من غيابه وسال عنه اذا كان راه احد من الموجودين فلم يره احد وحينئذ تقدم الاشوب عياره وقال له اعلم ياسيدي اننا انصرفنا في الامس من حضرتك ونحن بامان من غوائل الزمان لا نحسب حساب الاعداء لعلمنا انهم داخل المدينة ولا احد منهم

يجسر على الخروج ولا سيا في الليل فدخل هو الى فراشهِ في صدر صيوانهِ واقمت انا في فراشي عند بابهِ وفي الصباح نهضت وانتظرت انهُ يدعوني فلم يكن ذلك فدخلت الى الداخل واذا بالصيوان فارغ وطرفهُ الخلفي مخلوع واثر اقدام في الارض وما خلف الصيوان فتكدرت جدًّا وبحثت كثيرا عساي ان اعرف من اين اخذ وهل راى احد اثارًا لهذا العمل فلم احصل على المقصود ومن الموكد عندي انهُ اخذ الى المدينة بالحيلة اي حمل مبنجًا لان اثار البنج موجودة في الارض . فقال بهروز لا بد ان الذي فعل ذالك هو ونك العيار لاني اسمع عنهُ انهُ ابن زنا وحرام صاحب مكر وخداع وحيل لايمكن ان يسبقهُ غيره اليها ولهذا كنت احسب لهُ حسابًا واخاف منهُ دائمًا على سيدي فيروز شاه ومن الموكد ان قدومهُ لم يكن الا لاجل اخذ سيدي فلم يتوفق الى المطلوب ولا بد من النزول الى المدينة والاحتيال بارجاع الاسرى وان نفعل معهم اعظم ما فعلوا معنا عند سنوح الفرصة . ولما سمع فيروزشاه هذا الكلام تكدر مزيد الكدر وزاد بهِ الغيظ وحزن جدًّا لغياب ابن عمهِ . وقال ان ذلك مما يلقيني في الياس انسطو الاعداء علينا وتنتشل من بيننا السادات وعيارونا متقاعدون لا ينتبهون فهذا مما لا يمكن ان نقبلهُ او نسلم بهِ واني منذ الان اوصي الجميع بالانتباه والمحافظة لان باب القتال قد سد في هذه الايام وعمد الاعداء الى سلوك سبل الحيلة والخداع واخاف من انهم يتوفقون الى ذالك و ينالون منا مرادًا ولولا تهامل الاشوب لما فقد مصفرشاه . فقال طيطلوس عندي ان ذاك بتقدير منهُ تعالى وما من خوف عليهِ فهو يبقى ماسورًا في المدينة ومن الضرورة تطواف العيارين على الدوام في المعسكر والقبض على كل من يرونهُ و يشتبهون بهِ وقت دخول العساكر الى خيامها المنام وان يزاد الحرس في الاطراف فيراقبون الذين يدخلون والذين يخرجون لبينما نرى ابواب الفرج وننظر الطرق النافعة الموصلة الى الاستيلاء على المدينة واخراج قومنا منها

ومن ثم اجريت التنبيهات اللازمة بخصوص ذلك وشاع في كل المعسكر خبر مصفرشاه فتكدر الجميع واخذوا كل الاحتياطات ومنع دخول احد الى المعسكر وقد حاول ونك مرارًا الدخول ثانية الى معسكر ايران فلم يقدر لانهُ كان يشاهد عن بعد الحراس واقفون فيميلون الى جهته فيفر من امامهم و يعود الى المدينة . و بقي الحال على هذا المنوال حتى مضى على الفرس زمان ليس بقصير في ضواحي المدينة دون الحصول على جدوى او نتيجة وفي ذات ليلة دخل فيروزشاه الى فراشهِ وقصد ان ينام فلم يقدر وتذكر طول المدة وقيامهُ بعيدًا عن ابيهِ وامهِ ولا سيا عن زوجتهِ عين الحياة التي يشتاق اليها كل الاشتياق و يتمنى ان يكون كل العمر عندها وجعلت تكبر براسهِ هذه الافكار ومما زاد في شوقهِ وهيجهُ الى الذكرى ما خطر لهُ عن ولده بهمن وانهُ لا بد ان يكون قد كبر و بلغ عمره الثماني سنوات واكثر وجعل يتصور حالتهُ وهيئتهُ وهو عند امهِ فانسكبت دمعهُ

على خده وتاقت نفسهُ الى ايران اذ كان لهُ مدة ليست بقصيرة خرج منها و بعد عنها اي منذ كان صبيًا فضاق صدره لذلك وانقبض كل الانقباض وتذكر ما جرى عليهِ في كل المدات الماضية وما اصابهُ في الصين فلعبت بهِ الحمية وتمنى ان يلقي بنفسهِ على اسوار المدينة فيدكها و يدعو قومهُ الى الدخول اليها لانها هي الحاجز المانع بين قومهِ والمدينة ولولا تلك الحصون لانتهى الامر ورجع الى بلاده ولذلك خطر لهُ ان يذهب الى المدينة و يسهل بنفسهِ الطرق المودية الى فتح البلاد وانهاء العمل ولما خطر لهُ هذا الخاطر وقوي في راسهِ جدًا صاح ببهروز واذا بهِ قد دخل لانهُ كان يطوف من حول الصيوان كفرخ من فروخ الجان ولما صار بين يديهِ سالهُ عما يريد فقال اريد ان ادخل المدينة وانفرج عليها وانظر الطرق المودية الى الاستيلاء ودخول قومنا اليها . قال ان ذلك لا يوافق ياسيدي فكيف يمكن للملك مثلك ان يعرض بنفسهِ الى الخطر وانت رجاء الجميع واملهم و بدونك لا يمكن ان ينال احد راحة فاذا شئت نزلت انا في الغد الى المدينة واختبرت امرها عسى ان اتوفق الى طلبك . قال لا يمكن الا ان انزل المدينة واني اعرف حق المعرفة ان الله يحفظنا واننا نتوفق الى المطلوب ونخلص قومنا من الاسر ولا ارجع عن المدينة ما لم اصل الى المطلوب واننا لا ننزل بصفة ايرانيين بل بصفة لا تكون معروفة ولا يمكن رجوعي عن طلبي ابدًا فانظر لنا الطرق المناسبة لذلك . فلما راى بهروز اصراره لم يقدر على مخالفتهِ وفي الحال غاب عنهُ قليلاً وعاد اليهِ مصحبًا ثوبين من اثواب فلاحي الصين لبس هو واحد والبس سيده الثاني فوق ثيابهما وسلاحهما . ثم خرج بهِ من الصيوان وسار بهِ الى البراري المقفرة الى ان اشرق صباح النهار فعاد بهِ من جهة بلاد الفلاحين ونزل الى جهة البلد حتى قربوا من الابواب فراوها مفتوحة وعليها العساكر والحراس مزدحمة والناس تدخل من المدن والبلدان فدخلا دون ان يعلم بهما احد وقد ظنوهما من فلاحي قومهما فسارا الى الداخل وطافا في الاسواق وهما يندهشان من اتساعها واتقانها وكثرتها وكثرة العملة والصنائع فيها واتقان الابنية وسارا من جهة الى جهة كل ذاك النهار حتى فات العصر واذا بهما قد انتهيا الى قصر الملك فوجدا عند ابوابهِ الحجاب مئات والوفًا والناس تدخل وتخرج فتقدم بهروز ودخل فلم يعترضهُ احد وتبعهُ فيروز شاه حتى صاروا في الداخل وهما يندهشان من اتساعه وعظم اتقانهِ وما يريانهِ في سقفهِ من الخزف العجيب الصنعة والبنايات الرخامية الضخمة الطويلة وتقدموا الى جهة الديوان فراوا الحرس على بابهِ انما يبان من فيهِ من الخارج لاتساعه فنظر فيروز شاه الى جهان فوجده في صدر الديوان وبين يديهِ العظماء والاعيان وكل منهم يدنو عندما يريد ان يتكلم منهُ و يسجد لهُ ثم يعود الى مكانهِ وفيما هما واقفان على تلك الحالة واذا ببونك قد تقدم وخر امامهُ وقال لهُ ياسيدي اني لا ازال على وعدي انما لا اخفاك ان الاعداء قد انتبهوا لانفسهم حق الانتباه واحاطوا معسكرهم بالحرس حتى لم يعد من سبيل للدخول قط الا بمساعدة النار . قال اني

صابر على ذلك ولا اريد منك ان تفترعن عزمك وترجع عن وعدك فلا بد من الاتيان بفيروز شاه . قال سوف تراه بين يديك اسيرًا ذليلا حقيرا يقبل اقدامك ويرجو عفوك وهو مكتوف مقاد كالبعير

قال ونظر بهروز الى وجه سيده فوجده يرغي ويزبد وقد احمر حتى كاد يختنق وارسل يده الى داخل اثوابه فادرك غايته وعرف انه ازمع على الهجوم على جهان وقتله وقتل ونك فخاف جدًا ودنا منه وقال له هلمّ ياسيدي الى الخارج وارجع بنا ننظر في نفس السبب الذي اتينا لاجله ولا تدع الحدة تتسلط عليك فونك وسيده عاجزان عن الوصول اليك باذى . ثم اخذه من يده وخرج به في الحال وهو على غير وعي لا يدري يمينه من شماله حتى صاروا في الخارج ولما سكن غضب فيروزشاه وهدأ باله قال لعياره اين نذهب الان واي جهة نقصد للمبيت هذه الليلة وقبل ان يجيبه سمعا صوتًا من قربهما يقول بيت عبدك قريب ياسيدي فاذا شئت فاتبعني اليه فجفلا منه ونظر اليه بهروز واذا به يراه رجلاً متوسط الحال . فقال له بهروز من اين تعرفنا لتدعونا الى بيتك ونحن من فلاحي البلاد قال لو كنتما من فلاحي البلاد كما تزعمان لما تتكلمان بلغة الفرس فما من خوف عليكما قط فاني مثلكما ايراني الاصل وقد عرفت انكما من رجالنا من حين رايتكما وانتما داخل قصر جهان فتبعت اثركما لاذهب بكما الى بيتي وتقيمان عندي فيه وما من وسيلة لتركك فشرفاني واني اخدمكما بعيوني وما في بيتي غير ولدين لي وجارية تخدمني لان امراتي ماتت منذ سنين . فقال بهروز من انت من اهل ايران وما الذي اوصلك الى هذه المدينة وماذا تعمل فيها قال ان اسمي اخ سعدان ولا بد انكما تسمعان باسم رجل في مدينة ايران بهذا الاسم لاني كنت غنيًا بها جدًا وكان لي اسم عظيم معروف من الجميع قال نعم اننا نسمع بهذا الاسم وما السبب لتركك بلادك واتيانك الى ابعد بلاد الدنيا . قال ان احوالي في ايران اخذة تتاخر شيئًا فشيئًا وقل ما بين يدي من الاموال لكثرة الخسائر التي لحقت بي وخفت من الفقر المدقع وقلت في نفسي اني اجمع ما بقي عندي واذهب الى غير بلد اتاجر وانتقل من بلد الى اخر احمل البضائع وهكذا كان غير ان اسفاري كانت مرفوقة بالنحوس فلم اتوفق قط حتى ذهب كل ما كان بيدي فاتيت هذه المدينة وعرضت نفسي للخدمة فاستخدمني الوزير في قصر الحكومة كاتبًا وعين لي مرتبًا موافقًا كافيًا لمعيشتي فاقمت وتزوجت وولدت هنا الاولاد ومن ثم ماتت زوجتي فالتزمت ان استخدم جارية لاحتياج بيتي وخدمة اولادي ولما كنت هذا اليوم في الديوان وقد خرجت لمصلحة وقعت عيني عليكما وتحرك بي الدم الايراني وكدت من فرحي اقع الى الارض لان منذ خروجي من بلدي لم انظر قط رجلاً منها ولا يخفى ان سمة الفرس ظاهرة يعرفها اهلها فلا تغيب عنهم معرفة بعضهم لان محبتهم المرتبطة تدعوهم ان ينظروا بعيون قلوبهم قبل عيون وجوههم غير اني لم اعرفكما حق المعرفة وترجح لي انكما من عظماء الفرس او من عياريها ولما سرتما لم يسعني مفارقتكما

فسعيت خلفكما خوفًا من ان تفوتاني لان قلبي لم يطعني ان اتقاعد عن ان اعرفكما بنفسي واضيفكما في بيتي واسالكما قبول ذلك الان . فلما سمعا كلامهُ تأكدا انهُ ايراني لاشبهة فيهِ وقال لهُ بهروز سر بنا ولا تظهر امرنا لاحد واعرف اني انا بهروز العيار وهذا الذي امامك سيد الفرس والايرانيين فاذا افشيت امرنا امام احد كنت السبب في هلاك قومك وخرابهم واذا توفقنا الى المطلوب كنت انت المكرم في ايران ولا ريب ان سيدي يكافيك احسن المكافاة كما كافى ابا الخير الذي اضافهُ في مصر وانزلهُ في بيتهِ ثلاثين يومًا وكم امره بان جعلهُ وزيرًا بها وسلمهُ زمام البلاد وفوضهُ بتدبيرها وان يكون لهُ الراى الاول فيها . فلما سمع اخ سعدان ان فيروزشاه هو الذي امامهُ كاد يطير من الفرح وقال اني لا ارجو مكافاة من سيدي قط غير اني اطلب اليهِ ان يسعى بخلاص الاسرى من قومي الذين في سجن جهان واعظم مكافاة ارجوه منهُ ان يتسلط على هذه البلاد و يرفع عليها العلم الفارسي علم بلادي ومسقط راسي واني منذ هذه الساعة قائم على خدمتكما وخدمة رجال وطني واني اسعى معكما الى تدبير امر تريدانهِ وابيع نفسي في خدمة مولاي الذى خدمهُ قبلي كبار الفرس وصغارهم فهو علة فخرهم وشرفهم وهو الذي اظهر للعالم اجمع مقدرتهم وسطوتهم وحبهم لوطنهم وملكهم فهيا الى منزلي ثم سار امامهما وهما من ورائهِ الى ان دخلوا الى البيت واطمان قلب فيروزشاه وكان بيت اخ سعدان واسعًا بهِ عدة غرف ومقاصير فانزلهم في افضلها واحسنها واقام بهم بالاكرام وقفل باب بيتهِ في وجه جميع من يدخلهُ بحيث لا يدخل احد بغتة واقام فيروزشاه وبهروز بينهما ولاد اخ سعدان وجاريتهِ يتدبران الى الطرق الموصلة الى السجن وفي كل يوم ينزل بهروز الاسواق ويطوف في المدينة يتجسس المنافذ و يطلع على احوال السجون ليعرف ما يحتاج الى معرفتهِ

قال وفي ذات يوم خرج على حسب عادتهِ وسار في الاسواق وفيما هو سائر وقعت عينهُ على اثنين بملابس رجال الصين فعرفهما ان احدهما كرمان شاه والاخر الاشوب فدنا منهما وسلم عليهما وقال لهما اتبعاني ففرحا عندما عرفاه وسالاه عن فيروزشاه فقال هو الان بامان فهيا بنا اليهِ وساروا الى بيت اخ سعدان ودخلوا على فيروزشاه وسلم كرمان شاه عليهِ فتعجب من اتيانهِ وسالهُ عنهُ . فقال لهُ اعلم انهُ في صباح اليوم الذي غبت فيهِ عن المعسكر وقع بهِ الارتباك والخوف وسالوا عنك فلم يقف لك احد على خبر وبعد ان فتشوا على سلاحك وعلى بهروز ولم يروا اثرًا لوقوع حيلة عليكما قال طيطلوس ان فيروزشاه قد خرج بارادتهِ دون شك ولا ارتياب مع عياره ولذلك دعا بالحراس واحدًا واحدًا فسالهم عنك فاخبره بعضهم انهم راوك خارجًا مع بهروز بصفة فلاحي الصين وقد اعترضوكما فعرفتماهم بنفسيكما فشغل لذلك بال الجميع . وخافوا ان يلحق بكما ضرٌ وصبرنا مدة ايام الى ان كانت ليلة امس فدعوت الاشوب واخبرتهُ ان قصدى النزول الى المدينة فاطاعني عليهِ واجابني وجاءني بثوبين من ثياب رجال الصين حيث كانت عنده وقد انتزعها من القتلى

فلبس كل منا ثوبًا وخرجنا في الليل واعلمنا الحرس بنا ودخلنا في الصباح من الابواب ولم يعلم بنا احد ونحن لا نعرف اين نذهب حتى كان الظهر واذا ببهروز قد دعانا فاتينا معهُ واني اشكر الله على مثل هذه المنة العظيمة اذ وجدتك على الخير والراحة. ثم جاء اخ سعدان فترحب بهما واعد لهما مسكنًا في منزلهِ وجعل ياتيهما بكل ما يحتاجان اليهِ وقد اعطاه فيروزشاه الذهب الكثير لياتي لهما بالماكل والمشروبات

ولما كان قد مضى على ذلك عدة ايام اخر وكان بهروز كعادتهِ في الاسواق وهو يبحث عن طريق لخرق سجن مصفرشاه واخراجهِ اذ وقعت عينهُ ايضًا على اثنين من قومهِ بملابس الصينيين فعرفهما انهما فرخزاد و بدر فتات فدنا منهما وعرفهما بنفسهِ وسلم عليهما ففرحا بهِ وسلما عليهِ وسالاه عن سيده فقال هو بخير فاتبعاني اليهِ ثم ذهب بهما الى بيت اخ سعدان ودخلوا على فيروزشاه ففرح فرخزاد مزيد الفرح وقبل كل منهما الاخر وهنأا بعضهما بالاجتماع وسالهُ فيروزشاه عن سبب اتيانهِ فقال لهُ اني لما اصبحت في اليوم الغدي سار بهِ كرمان شاه وعرفت من الحرس انهُ سار الى المدينة مع الاشوب تكدرت مزيد الكدر كيف انهُ كان اسبق مني الى السعي وراءك والسوال عنك وكدت اغيب عن الصواب ولذلك دعوت ببدر فتات وامرتهُ ان يكون على حذر للذهاب الى المدينة فاجابني وصبرنا يومين على امل انك اذا اجتمعت بكرمان شاه تعود واياه فلم نرَ احدًا فشغلت خواطرنا جميعا ولا سيما اخي بهزاد وطيطاوس فانهما بزيد قلق من اجلك و بالاختصار اتيت في هذا الصباح مع بدر فتات الى المدينة وطفنا اسواقها دون ان يعلم احد بنا واذ قد راينا بهروز فاتى بنا اليك والحمد لله الذي رايناك على السلامة والراحة فشكره واثنى على محبتهِ واقاموا عدة ايام ايضًا وبعد ذلك وجد بهروز في السوق قاهر شاه ومعهُ عيار من عياري اهالي ايران فاتى بهِ الى بيت اخ سعدان وقدمهُ لفيروزشاه فلما راه فرح مزيد الفرح بوصولهِ اليهِ وتكدر على المعسكر ان ياتي الجميع على مثل هذه الحالة واحدًا بعد واحد ويتركوا مراكزهم ولذلك اعتمد على سرعة العمل وفي كل نيتهِ ان لا يعود من المدينة الى قومهِ الا اذا خلص الاسارى ووجد لهم منفذًا يدخلون بهِ المدينة واهلها على غفلة غير منتبهين اليهم ولذلك اوصى بهروز واخ سعدان بالسرعة في ذلك اي ان ينظروا في الطرق الموصلة اليهم فقال بهروز اني اعرف المكان القائم فيهِ رجالنا غير ان الصعوبة عندي ان اصل اليهم دون ان يظهر امرنا وذلك اني التزم الى قتل الحارس وقطع قيودهم وفي الحال يظهر امر المقتول و ينتشر خبره فيفتشون علينا ونقع في ايديهم . فقال فيروزشاه لا نتاخر عن العمل كيف كان الحال فان امرنا لا يظهر ولا يتصور لاحد قط اننا نقيم هنا في بيت اخ سعدان ومتى تخلص الاسارى هان علينا الامر وننظر في شيء اخر هو من الواجب النظر فيهِ اي ان نسهل لقومنا دخول المدينة بغتة ولنا الان اكثر من شهرين في هذا المكان وانت

لا نتوفق الى طريقة فاقتل اذن الحارس وادخل السجن وات بمن فيهِ فيرتاح بالنا من قبلهم . فوعده بكل جميل وفي الصباح خرج من بيت اخ سعدان واخترق الاسواق وهو على نية المسير الى خلاص قومهِ

وكان طيطاوس في صباح اليوم الذي ذهب فيهِ قادرشاه وعرف بهِ تكدر مزيد التكدر وجمع كل ملوك ايران وفرسانها وابطالها وقال لهم اني اخذت من حالتكم كيف اخترتم النزول الى المدينة واحدًا بعد واحد وقد ذهب فيروزشاه وفرخوزاد وكرمان شاه وقاهرشاه واربعة عيارين من اكبر عيارينا ولا نعلم اذا كان الواحد منهم قد صدف الاخر والمدينة كبيرة وقد يمكن ان يضيعوا فيها فلا يجتمعون ببعضهم وكل خوفي من ان يصابون بمصيبة ومن ثم نقع نحن ايضًا فلا يعود في وسعنا خلاصهم ومساعدتهم ولهذا فاني اسالكم جميعًا ان لا يفارق احدكم المعسكر وان لا يبعد عنا لاننا في حاجة اليكم فاذا غبتم فقد نظام الجيش وانفرط ترتيبة واصيب بالحزن لا سيما اذا وقع واقعٌ مكدر على الداخلين المدينة وكذلك بهزاد فانهُ اوصى العيارين ان لا يفارقوا الجيش الى ان يظهر خبر فيروزشاه ومن هم داخل المدينة وعيارينهم يتوقفون الى ما هم بطلبهِ فنكون نحن على غاية التاهب والاستعداد فوعده الجميع بعدم مفارقة ذاك المكان وعليهِ فلم يعد يدخل احد المدينة غير الذين دخلوا

قال وسار بهروز وهو غير معروف من احد وفي نيتهِ ان يدخل السجن الموجود فيهِ مصفرشا وسيامك سياقبا ويخلصها اولاً ويأتي بهما الى بيت اخ سعدان وبقي سائرًا حتى انتهى الى الحبس المذكور فوجد عند بابهِ محافظ السجن فدنا منهُ وسلم عليهِ وطلب حسنة وقال لهُ اني فقير من فلاحي البلاد وقد جار عليَّ الزمان فبعت ارزاقي وفرغ ما كان في يدي حتى التزمت اخيرًا الى التسوّل وكان بهروز يتكلم ويبكي فشفق عليهِ الرجل وقال لهُ اصبر لي قليلاً لادخل وانيلك بما اقدر عليهِ ثم فتح الباب وقصد ان يقفلهُ من الداخل فدخل معهُ بهروز فقال لهُ قلت لك ابقَ خارجًا فلا سمح لاحد انهُ يدخل هذا المكان اذ ان الملك اوصاني بذلك قال اسمح لي يا سيدي ان انفرج عليهِ وانظر من فيهِ . فتكدر الرجل منهُ وعدل عن اكرامهِ وقال لهُ يظهر انك من الشحاذين الفضوليين الثقلاء فماذا يهمك اذا تفرجت على السجن او لم تتفرج فارجع من حيث اتيت فما من حسنة عندي فحاول بهروز اقناعهُ بالرفق فلم يقبل واخيرا وجد نفسهُ مضطرًا للدخول الى ان الباب قد فتح ولم يعد من مانع الا وجود الرجل وكان قصده ان يدخلهُ الى الداخل ويقتلهُ فلم يتيسر لهُ وبذلك متشق خنجره باسرع من لمح البصر وارسله الى صدره فاخترقهُ ووقع الرجل الى الارض قتيلا يتمرغ بدمهِ وقد صاح بصوت الالم الشديد حتى اضطرب من صوتهِ المكان وخاف بهروز من [illegible] احد المارة اليهِ فدخل وفتش الى ان وجد مصفرشاه وسيامك قائمين الى جانب بعضهما فاخرج

المبرد من وسطه واخذ في قطع قيود الاول الا انه مالبث ان سمع صياح رجل من الباب يصيح ويقول قد قتل السجان فاسرعوا الى المحافظة على الباقين والا تخلصوا وفروا فارتبك بهروز وايقن من نفسه انه اذا بقي قبض عليهِ ولذلك ترك مصفرشاه ورفيقهُ وقال لهما لم تسمح العناية ان اخلصكما الان وسوف انسبب الى خلاصكما مرة ثانية ثم انطلق باسرع من البرق الى الخارج فوجد رجلا يصيح ويركض الى الامام وهو ينادي بموت المحافظ فمال بهروز من جهة ثانية وانطلق والناس مسرعين ولا احد يعرفهُ على تلك الحالة وبقي في مسيره يقصد سيدهُ وهو في كدر وغيظ تكاد مرارتهُ ان تنفطر على عدم توفيقهِ بعد ان كان قد وصل الى مقصده وبدأ بقطع القيود ولم يتكدر زمانهُ بطولهِ نظير ذاك الكدر ولا جرى عليهِ مثلما جرى في تلك الساعة غير انهُ كان يحمد الله على خلاصهِ من بين ايديهم سالمًا ولا زال حتى دخل على سيده فيروز شاه ورفاقهِ وهو يعض كفيهِ فسالوه عما كان لهُ فحكى لهم عن عدم توفيقهِ وما كان من امر المحافظ والرجل واجتماع الناس فتكدر الجميع من ذلك وقال لهم فيروزشاه لا بد من وصول الخبر الى جهان فينقلهما الى مكان اخر ولا يعود في وسعنا خلاصهما . فقال بهروز ان ذاك لا يهمنا بقدر ما يهمنا امر انفسنا لان جهان يعرف ان الذي جاء قصد خلاصهما وقتل المحافظ لا بد ان يكون في المدينة فيبعث من يفتش البيوت ويربط الطرقات من كل الجهات واخاف من ان يظهر امرنا او يعرف بنا احد فنقع في ايديهم فقال فيروزشاه ان هذا لا يمكن ابدًا ولا اخاف من ان يطلع على مكان وجودنا احد الا اذا فشى خبرنا اخ سعدان او احد والديهِ او جاريتهُ القائمة في خدمتنا وهذا على ما اظن لا يمكن ان يكون الان . ولا اظن انهم يخونون بنا

انتهى معنا الجزء الثامن عشر من هذه القصة الفارسية وبهِ انتهاء المجلد الثالث منها وهو بقدر المجلدين السابقين حجمًا وعددًا واننا نسال الله مساعدتنا الى اتمام المجلد الرابع الذي تنتهي به القصة فنكون قد وفينا طلب راغبيها ومشتركيها بوقت قريب اي باقل من سنة كتابة وطبعًا ولما كنت ارى من نفسي اني مضطر الى تكرار الاعتذار من ذوي الكرامة ان يعاملوني معاملة الرفق فلا يلومون على ما وقع فيها من السقطات الطفيفة ولا سيما اغلاط الطبع اذ ان كما قدمت سابقًا اي في غير هذا المجلدان العجلة ذهبت بي بالرغم عني الى عدم مراجعة النسخ والطبع مراجعة ناتي بالمقصود وعلى كل حال فالله وحده المعصوم

نخله قلفاط

قصة
فيروزشاه

بقلم نخلة قلفاط
عفي عنهُ

كن عارفًا باحاديث الاولى سلفوا   يزيدك العرف آدابًا على ادبِ
فربَّ نفع عميم لست تدركهُ   بدا بما اغمضتهُ سالف الحقبِ

المجلد الرابع

بيروت سنة ١٨٨٦ عفي عنهُ

الجزء التاسع عشر

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

هذا وكان السبب في اظهار خبر قتل محافظ الحبس هو انهُ لما صاح بصوتهِ الاخير كان احد الناس مارًّا من تلك الناحية فعرج ينتظر ما الخبر فوجده على تلك الحال يختبط بدمهِ فعرف انهُ مضروب في تلك الساعة فاخذ يصيح وينادي يطلب اتيان الناس لكشف الحبس ومنع فرار من فيهِ بعد ان كان مصفرشاه وسيامك سبا قبا قد ترجح عندهما وثبت لديهما انهما سيتخلصان عند مشاهدتهما بهروز ودخولهِ عليهما واخذهِ في قطع قيودهما وهما بفرح لا يوصف وما لبث ان تغير ذالك الفرح وانقلب الى خوف وكدر عند مشاهدتهما الناس تاتي اليهم افواجًا افواجًا وتصل اليهما فتراهما على تلك الحالة وقيودهما مقطوعة نصف قطع وكلما وصل رجل يسالهما عن سبب قتل المحافظ ومن الذي قطع القيود فلا يبديان كلمة وكان قد وصل الخبر الى جهان ورجال ديوانهِ فاغتاظوا من ذلك واندهشوا من عمل الايرانيين وفي الحال بعث الملك بونك العيار واوصاه بان ياتي بالاسيرين اليهِ وان لا يدع احدًا ان يتقدم منهما . فاجاب طلبهُ واسرع يركض الى ذاك المكان وهو يؤمل انهُ يقبض على من جاء لهذا الفعل اذ كان يترجح لديهِ انهُ من فعل عياري ايران وبقي سائرًا الى ان دخل السجن والناس تزدحم حواليهِ وفيهِ وعند ابوابهِ . ولما تقدم من مصفرشاه وسيامك وجد ان قيودهما مقطعة بمبرد فتاكد لديهِ ان هذا العمل هو عمل عيار من عياري الفرس فسالهما عن السبب ومن الذي جاء لخلاصهما فلم يهتما بهِ وبسوالهِ فتكدر من ذلك وساقهما امامهُ الى قصر جهان والناس تزدحم من حواليهما وقد رفعت جثث المقتول على الاكتاف لتعرض على الملك وبعد قليل اوقف الاسيران وهما مصفرشاه وسيامك امامهُ . وطرحت جثة المقتول الى الارض فاغتاظ من هذا العمل وقال من من قومكما قدر ان يتوصل الى داخل سجني لخلاصكما ان تلك جسارة عظيمة فاخبراني بهِ والا انتقمت منكما جزاء لهُ . فقال مصفرشاه ان الذي فعل ذلك هو من احقر رجال ايران توصل الى هذا العمل ولولا القليل لكنا تخلصنا دون ان تعلم بنا ولكن موكدًا عندك ان امرنا يهم مولانا فيروزشاه ورجالهُ فيرمون بانفسهم ليس فقط الى مثل هذا السجن الذي نحن فيهِ بل الى اعماق النار على امل ان ينتشلونا من العذاب والحريق . فقال ونك اني سالتهما عن اسم الرجل الذي فعل معهما ذلك بالصحيح فلم يخبراني واني وان كنت ارجح هذا العمل هو عمل عياري الفرس الا اني اظن بعض الظن ان ربما يكون عمل احد من داخل المدينة اي من سكانها

قصد خلاصهما الان في مدينتنا طوائف كثيرة مختلفة الاجناس ولاسيما يوجد بيننا كثير من الايرانيين سكنوا مدينتنا منذ قديم من السنين ومثلهم من مصريين وروماں واخاف ان يكون احدهم اطمعه بالمال او رغبة بالتقرب من فيروزشاه قصد ذلك فسالها الملك عن الذي جاء السجن وقتل المحافظ واخذ بقطع القيود فامتنع مصفرشاه ان يخبره خوفًا ان يقتفي ونك اثره ويبحث عنه قبل ان يتسهل له العود ثانية اليهم او بالحرب قبل ان يكون قد حصل على النجاة ولذلك قال لجهان لاتطمع ايها الملك بان اظهر لك اسم الرجل الذي رمى بنفسه لاجل خلاصنا وقصد ان يفدينا بحياته ايًا كان قال لا بد من ذلك والا عذبتكما العذاب الشديد قال مهما شئت فافعل فاننا وان كنا نصر على غايتنا وفكرنا الا اننا نتاكد انك تحافظ على ناموس الملوك وتراعي حرمتهم لانك من كبارهم فاسي امر با ترى يدعونا الى الاعتراف به وماذا يهمكم ذلك وليس عليكم الا التشديد علينا بالمحافظة كي لا يتسهل لاحد بعد ان يخلصنا والا اذا سهل لنا الخلاص نجونا بانفسنا كيف كان الحال وهذا جل ما عندنا والسلام . فلما سمع ونك هذا الكلام تكدر من مكابرة مصفرشاه واصراره على عدم الاعتراف بما يطلبه وقصد عذابه وتكديره فقال للملك ارجو منك ياسيدي ان تسلمني هذين الاسيرين لاجل استنطاقهما وان اعرف فاعل هذا الفعل ومرتكب تلك الجريمة فسلمه اياهما وقال له لا تتهامل بامرهما وحافظ كل المحافظة عليهما واصرف كل العناية لمعرفة من دخل سجني وقتل وكيله فوعده بكل ذلك واخذ مصفرشاه وسيامك وخرج بهما وبعد ان خرج دعا الملك بالبوابين والحراس القائمين على خفارة الابواب وقال لهم لا ريب ان الايرانيين يدخلون المدينة ويخرجون منها دون ان يعلم بهم احد منكم ولهذا اريد منكم ان تقفلوا جميع الابواب ولا تبقوا الا بابًا واحدًا فقط يقيم عليه الحراس الكثيرون منكم ولا تدعوا احدًا يدخل او يخرج دون ان يكون بيده تذكرة مرور او ان يكون معروفًا عندكم او عند غيركم من كبار المدينة يشهدون له ومن لم يكن على مثل هذه الصفة اي لم يكن بيده تذكرة مرور ولا كان معروفًا فاقبضوا عليه واحضروه اليَّ انظر في امره فوعدوه بالاجابة وساروا فاقفلوا الابواب وقاموا عند الباب الذي امرهم ملكهم ان يقيموا عليه حتى صار من اصعب الاشياء دخول احد دون ان يروه

واما ونك الخبيث المحتال فانه اخذ مصفرشاه وسيامك وسار بهما الي ساحة كبيرة عامة تجتمع فيها الناس على الدوام وهناك قدم سيامك اولاً وقال له قل لي من الذي جاء اليكما الى السجن وقصد خلاصكما واين موجود والا امتك بالضرب الوجيع . فضحك سيامك من كلامه وقال له ويلك يا ونك اتخيفني بالموت وهو لديَّ من احب الاشياء ولو كنت اخافه لما رميت بنفسي الوف مرات بين مشتبك السيوف وقاتلت في اليمن اشد الرجال واقتحمت بحار المعارك في مصر والرومان وغيرها فلا تطمع مني بما لا يمكن ان اطلعك عليه ودع عنك التهويل وافعل ما انت فاعل . فلما

سمع ونك كلامهُ تكدر منهُ مزيد الكدر وكان قاسي القلب لا يعرف الرحمة ولا يراعي حرمة الانسانية فتقدم من سيامك وجرده من الثياب وهو موثوق الايدي والارجل واخذ بيده السوط وجعل يضربهُ بهِ الضرب الاليم الموجع وهو يتوجع من شدة قساوة ونك و يتالم تحرقًا من عملهِ وكيف لا يقدر على الانتقام منهُ حتى تخدش جسده من الجراح وسال منهُ الدم على الحضيض وهو يطلب اليهِ ان يخبره بالذي جاء الى السجن دون حصولهِ على جدوى او نتيجة ولما اعيى امره ونك ولم يرَ وسيلة لاعترافهِ وراى انهُ اصبح على اخر رمق كف عنهُ الضرب والقاه الى جهة وقال في نفسهِ لا بد ان مصفرشاه يخبر بالحقيقة لانهُ من اهل النعم لا يحتمل الضرب والاهانة فاذا عذبتهُ باح بما في ضميره فجاء بهِ وسالهُ الاعتراف فامتنع واصر على الانكار فاخذ السوط وفعل بهِ ما فعل بسيامك حتى خدش جسده واكثر الجراح في جسمهِ . وكان بعض المشاهدين يتالم من عمل ونك وقساوتهِ البربرية فدنوا منهُ وطلبوا اليهِ ان يكف عن عملهِ و يترك عذاب هذين الاسيرين لانهما من شرفاء العالم وليس من العدل عذابهما فابى وقال اني لا ارفع الضرب عنهما الا ان يموتا او يقرا بالحقيقة فاغتاظوا منهُ واسرعوا الى جهة السرايا ينادون بغضب النار عليهم لكثرة الظلم والجور فدعاهم جهان وسالهم فحكوا لهُ وقالوا ان هذين الاسيرين هما من سلالة ملكية والنار تغضب على كل من يخترق حرمة السادات وشريعتنا توصينا الى تجنب الظلم والاعتساف وقد راينا ونك يضرب الاسيرين ضربًا مميتًا حتى اصبحا في حالة النزاع ونخاف ان يقع احد رجالنا بيد الايرانيين فيعاملونهُ نفس هذه المعاملة . فراى جهان في كلامهم صوابًا وقال لوزيره مهريار اسرع الى ونك وخلص منهُ الاسيرين واعدهما الى السجن الى المكان المقيم فيهِ رفاقهما اي غير المكان الذي كانا فيهِ . وكان مهريار تكدر عند سماعه هذا الخبر فركض الى الساحة العامة لا يصدق ان يرى مصفرشاه وسيامك بقيد الحياة ولما وصل الى ونك ووجده على مثل تلك الحالة يضرب واحدًا ثم يرتاح و يعود الى الاخر زاد بهِ الغيظ والحنق ولم يعد يعرف ماذا يفعل فرفع يده واطم ونك على وجههِ كاد يلقيهُ الى الارض وقال لهُ و يلك ايها الظالم الا تخاف غدر الزمان ان يوقع بك ما اوقعهُ على غيرك . فلم يبدِ خطابًا ثم امر مهريار ان يوخذا على الراحة والطمانينة الى السجن المقيم فيهِ طهمور وبهمنزار قلي وقاهرشاه وعاد الى جهان فاخبره بما راى وشاهد من عذاب الاسيرين فلام جهان ونك وقال لهُ اني ما امرتك باماتتهما بل بان نصرف الجهد الى استنطاقهما

قال وكان اخ سعدان يشاهد كل ما جرى وهو يتالم و يتوجع ولا يقدر ان ياتي بحركة قط او يمنع عنهما العذاب الوجيع بل صبر الى النهاية حتى شاهد ما كان من امرهما وراهما وقد اعيدا الى السجن فعاد الى فيروزشاه واخبره بكل ما راى وقال اني لم ارَ زماني بطولهِ رجلاً اقسى من ونك ولا زنديقًا مثلهُ فانشقت مرارة فيروزشاه ومن هناك من الغيظ ونالهم مما جرى على مصفرشاه

وسيامك وقال فيروزشاه لقد اخطأت اذ نظرت هذا العمل ولم تأتِ اليَّ تعلمني به لاني كنت اقدر على خلاصها وابطش باهل هذه المدينة واقيم فيها الصياح من كل ناح . فقال له بهروز لايمكن ان نظهر نحن الان لو خربت المدينة او فقد نصف جيشنا لان ميئات الوف من الجيوش قائمة على الاسوار وفي المحافظة واذا قصدنا الخروج لانقدر وعلى ما اظن انه يصعب علينا الخروج فالابواب باجمعها مقفلة فلا يمر فيها احد دون فحص وتدقيق ولهذا ارى ان قيامنا سيكون في المد ينقطع الاً لا نهاية له الا بارادته تعالى وليس علينا الان الا الصبر والتاني عسى الايام تساعدنا على نوال المراد والخروج دون ان نمس بضرّ وعلى هذا اقام فيروزشاه وفرخوزاد وكرمانشاه وقاهرشاه مع العيارين عند اخ سعدان ينتظرون باب الله والفتح

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من معسكر الفرس فانهم بقيوا على ما كانوا عليه من الارتباك والاضطراب لفقد فيروزشاه وغيابه كل هذه المدة ولغياب الفرسان ايضاً والعيارين وهم لا يعرفون ماذا جرى عليهم في المدينة وماذا حل بهم وهل هم احياء ام اصيبوا بنكبة وكان اشدهم حزناً طيطلوس الحكيم وقد شغل باله كل الانشغال واضحى متكدر الخاطر على غياب سيده كل هذه الايام وكان يترجح في فكره انه لايزال حياً اذ لم يسمع عنه خبراً والا لو اصيب بنكبة لكان ظهر ذلك من الصينيين وامر الملك جهان بفتح الابواب واعلنوا امره وابدوا فرحهم وسرورهم غير انه كان يخاف من ان يكون مريضاً في مكان لا يعلم به احداً او محجور عليه مع بقية الفرسان

وكان قد جرى على بهزاد اكثر مما جرى على غيره ولما وجد ان الامر قد طال ولم يرجع احد من المدينة لا اخوه ولا ابن ملكه ولا احد من الفرسان ولا من العيارين عظم عليه الامر جداً وتمنى ان يكون قادراً فيدك اسوار المدينة ويطوف بيوتها فيفتش فيها عليهم ويبرد نيران قلبه المضطرمة من جهنم الى ان كان ذات يوم اخذ يفتكر كيف يمكنه ان يتوصل الى فتح المدينة وخلاص من فيها وصرف الفكرة الى كل الجهات فلم يتوفق الى المطلوب حتى قال في نفسه اخيراً لا بد لي ان اطوف حول هذه المدينة وحدي من سائر جهاتها فلا بد ان نكون اسوارها من جهة ما ضعيفة او واطئة فاخذ العساكر واسير الى فتح المدينة من تلك الجهة ولما قوي براسه هذا الفكر نهض الى جواده فاسرجه ونقلد بسلاحه وركب وحده دون ان يعلم به احداً وسار للغاية التي تقدم ذكرها وكلما قرب من ناحية يرى الاسوار منيعة اكثر فاكثر وعالية جداً يبلغ ارتفاعها ٥٠ ذراعاً وعليها الرجال والعساكر طغمات . وبقي يتقدم حتى بعد عن الجيش وصار في ظهر المدينة وكانت كبيرة جداً وسيعة لايمكن للانسان ان يطوفها باقل من سبعة ايام غير ان لما كان جواد بهزاد من الخيول النادرة المثال يسبق البرق في المسير صرف يوماً من الصباح الى المساء حتى قطع نصفها وعند المساء نزل عن ظهر جواده مكدراً من عدم توفيقه كل الطريق التي سارها وبقي له بقية امل في

النصف الباقي من المدينة من الجهة الثانية ان يجد بها غايتهُ . و بعد ان شعر باحتياجه الى الراحة تاخر الى الوراء فصادف واديًا وسيعًا في اسفلهِ ماءٌ جارٍ ومن حولها الرياض الانيقة والاشجار اليانعة والزهور الفائحة فانتعش من ذلك ومال الى الراحة هناك فنزل الى الارض وربط الجواد في ناحية ونزع سلاحه فعلقهُ في شجرة غضة ودنا من الماء فغسل وجههُ وشرب ثم نهض الى الاشجار فاكل منها ما سد بهِ رمقهُ وعاد الى جهة الجواد تحت تلك الاشجار وجلس قليلاً الى ان دب بعينيهِ النعاس وحكم عليهِ سلطانهُ فنام متوسدًا حجرًا لا غطاء فوقهُ ولا فراش تحتهُ وهو بمزيد الاسف والكدر على غياب اخيهِ فرخوزاد ومولاه وبقية اصحابهِ ويتمنى وجود طريقة لخلاصهم وبقي نائمًا كل على مثل هذه الحالة

فلنتركه نائمًا في كل تلك الليلة ولنعود الى ماذكرناه سابقًا من ان جهان ملك الصين قد بعث كتابًا الى ديدار ابن كركاني الساحرة صاحب قلعة سوسان شهر وكان هذا الفارس من الابطال المشاهير والفرسان المغاوير واسع الملك كثير الاجناد فلما وصل اليهِ كتاب جهان وعرف ما فعلهُ الصينيون في بلاده تكدر بمزيد الكدر وارغا من شدة الغيظ واجتمع بوالدتهِ فعرض عليها الكتاب وقال لها اني عولت ان اسير برجالي الى مدينة الصين اولاً لاجل الاجتماع بجهان وثانيًا لاري عظيم قوتي وبطشي لرجال ايران ولا اظن انهُ يوجد بينهم من يقدر ان يلاقاني في ساحة القتال قالت اني اعرفك بطلاً صنديدا وفارسًا شديدا غير اني سمعت واعرف ان بين الفرس فارسان لا يوجد لهما نظير في هذا الزمان وهما فيروزشاه ابن ملكهم وبهزاد ابن فيلزور البهلوان وكل واحد منهم يسطو على جيش من جيوش الصين دون ان ينال احد منهُ مرادًا فاذا شئت اسير معك فاذا رايت الغلبة عليك ساعدتك واوقعت باعداك . فقال لها اني ساخذ معي خمسمائة الف فارس وسوف ترين اني وحدي اقدر على كبح هذين الفارسين ورجالهما دون ان احتاج الى مساعدة احد وكما انهما قد شاع صيتهما الى حد بلادنا اريد ان يطير صيتي الى ما وراء بلادهم اي الى كل ناحية من العالم ويندهش مني الناس اذا قتلتهما في ساحة القتال . فدعت لهُ بالتوفيق وقالت لهُ اذا وجدت انك مغلوب فابعث لي برسول حالاً كي ادبر في قهر اعداك فوعدها بذلك وكتب الى كل عمالهِ ان ياتون برجالهم الى القلعة المقيم فيها فاخذوا يتقاطرون وهو لهم بالانتظار مدة من الزمان حتى كمل عددهم وكانوا خمسمائة الف نفر وعند ذلك ركب بهم وسار في عرض البر الفسيح يطلب بكين عاصمة الصين وبقي سائرًا الى ان بقي بينهُ وبينها مقدار يومين فنزل هناك لاجل الراحة قليلا ودعا عبارة وكان اسمهُ جلدك وقال لهُ اريد منك ان تسير في هذه الساعة الى بكين وانا سائر من خلفك وتنظر لي ما هو جار فيها ومن ثم تخبر جهان بقدومي ليبعث من يحتفل بملاقاتي ويعلم الجميع بوصولي واني اسال معبودي ان يكون جهان بضيقة لافرج عنهُ ونظهر مقدرتي ويعرف فضلي

فاجابهُ جالدك الى ما امره وخرج من بين يديهِ وسار كل تلك الليلة وقبل الصباح صادف مروره من تلك الوادي الذي تركنا فيهِ بهزاد نائمًا وفيما هو سائرٌ سمع صهيل جواد فانتبه الى نفسه ونام الى الارض و بعث بعينيهِ الى جهة الصوت فلاح لهُ خيال الجواد فزحف قليلاً قليلا الى ان قرب منهُ وهو موكد ان لابد ان يكون عنده رجلاً ولا شك ان يكون من الصينيين مبعوثًا من جهان الى جهة من الجهات فنام في ذالك الوادي ولما ثبت في فكره ذلك اخرج نفطًا واشعل مصباحًا من مصابيح العيارين ونقدم الى جهة الجواد فوجده افة من الافات والى جانبهِ رجل ممدد كانهُ طود من الاطواد ووقع نظره على الطارقة المعلقة فقرأ عليها هذه الكلمات . طارقة بهزاد ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد فكاد جلدك ان يطير من الفرح وخاف اذا بقي يستيقظ فيراه فكر راجعًا يصفق بيديهِ وقد اطفى المصباح وما بعد الا القليل حتى التقى بديدار يتقدم في اوائل ذالك الوادي فقال لهُ بشراك يا سيدي فقد وقفت الك على ما يسرك ويفرحك . قال على مَ وقفت . قال بعد ان سرت في منتصف هذا الوادي سمعت صهيل جواد فاشعلت المصباح وتقدمت فنظرت رجلاً نائمًا ومعلقًا اسلحتهُ في جذوع شجرة هناك ورايت مكتوبًا على الطارقة اسم الرجل النائم فاذا هو بهزاد ابن فيلزور ابن رستم زاد الايراني ولذلك ركضت مسرعًا اليك لاخبرك بهِ ولا ريب انهُ يستيقظ في هذه الساعة لان الجواد اخذ في ان يصهل بكثرة لما راني ليوقظهُ من نومهِ ولا ريب اني لو بقيت دقيقة اخرى لكان انتبه اليَّ انما الان اذا استيقظ فلا يرى احدًا فيعود الى منامتهِ او يبقى في مكانهِ ينتظر الصباح

فلما سمع ديدار كلام عياره كاد يطير فرحًا وقال هذا الذي كنت ارتجيهِ . والان اخاف من انهُ ينجو من يدي في هذا الليل فقال جلدك لا يمكن ان ينجو فادفع اليَّ بالعساكر لاسبق واسد لهُ الطرقات من كل الجهات فلا يبقى لهُ منفذ في الصباح فنقبض عليهِ . فاجابهُ وفرق العساكر شرقًا وغربًا ويمينًا وشمالاً واوصاها بان تقف في المعابر والمنافذ وبقي هو سائر في طريقهِ الى ان اشرق الصباح ولاح بنوره وارسلت اشعة شمسهِ الى اسفل ذالك الوادي واذا بهِ يرى بهزاد جالسًا تحت تلك الشجرة وقد تعدد وتحضر لانهُ استيقظ في الليل على صهيل جواده ومال بنظره الى كل الجهات فلم يرَ احدًا وثبت لديهِ ان رجلا جاء ذاك المكان لان الجواد لا يفعل ذالك الا تنبيهًا لهُ فافرغ عليهِ عدتهُ ونقلد بحسامهِ وصبر الى الصباح غير مبال بما يكون وهو يشتاق ان يصادف احدًا في ذاك الوادي من الاعداء ليقتلهُ ويشفي بقتلهِ غليل فواده و يطفي لهيب تحرقهِ وبقي صابرًا الى الصباح واذا بهِ يرى جيوشًا تتقدم من الوراء سائرة الى نحوه فصبر الى ان قربت منهُ وفي الحال قفز الى ظهر جواده كالنمر الجارح واشهر في يده الحسام وعرج الى فسحة وسيعة عند الماء الجاري وصبر الى قدوم العساكر وقد مال بنظره الى اعالي الوادي فراى الجيوش قائمة على روُوسهِ كالكواكب وكذلك راى سيف

الجهة التي دخل منها فتعجب من هذا الامر وعلم من نفسوانهُ واقع في حرب هائلة عظيمة يصعب عليهِ الخلاص منها غير انهُ صبر على حكم القضاء وعرف ان لا نجاة لهُ الا اذا قاتل بكل جهده وان لا يسلم نفسهُ بارادتهِ وبقي صابراً الى قرب منهُ ديدار ومن خلفهِ العساكر وقد راه على ذاك الجواد العظيم الهيكل وهو مدجج بالسلاح واعينهُ تقدح كشاهيب نار وطمع فيهِ لما راه منفرداً وحده وصاح فيهِ وهجم عليهِ وقد اوصى رجالهُ ان لا يقرب احدمنهم اليهِ الا اذا راوه مغلوباً معهُ والتقاه بهزاد بقلب قوي وعزم جري وجرد في وجههِ الحسام واخذ معهُ في العراك والصدام والهجوم والاقتحام كانهما من اساد الاكام وصبرت الفرسان تنتظر بينهما النهاية وما يكون من امرهما وقد جردت بايديها السيوف واحدقت بهما . وهما على ازدياد قتال . واتساع مجال مقدار ساعة من النهار . حتى ضاق صدر بهزاد من الاصطبار . وراى في خصمهِ العجز والتقصير لانهُ لم يكن من رجالهِ ولا يحسب من ابطاله فصاح بهِ باصوات الرعود . وهجم عليهِ هجوم الاسود ومد يده الى جلباب درعه فاقتلعهُ ورماه الى الارض واقتحم فرسانهُ وصاح فيهم وعمل ضرب الحسام وهو كانهُ فرخ النعام يتطاير من مكان الى مكان ويطير الرؤوس عن الابدان . والرجال تصيح عليهِ . وتتقدم من كل ناحية اليه . وهو يمددها على الرمال . ويلبسها شعار الخزي والاذلال . ويبعث بها الى دار الهلاك والوبال . وجواده يساعده على هذه الاعمال . ويصهل في وجوه الخيل فتنفر منهُ كما تنفر من البواشق الحجال . وكان ديدار قد قام من وقعتهِ وهو مملوء من الحنق والغيظ كيف رماه الى الارض وهو كالعصفور ولملم نفسهُ وركب جواده ثانية وعاد لياخذ لنفسهِ بالثار ويكشف عنها ما لحق بها من العار فادركه وهو يقاتل ويعارك ويناضل . غير مبال بكثرة الرجال . يفيض بالحرب والقتال . كما يفيض العارض الهطال . وقصد ان يضربهُ بحسامه فيعدمهُ الحياة فلحظ بهزاد منهُ ذلك وراه قريباً منهُ وقبل ان يتمكن من رفع الحسام اخرج رجلهُ من الركاب ورفسهُ بها في جنبه القاه ثانية الى الارض وعاد الى خوض المعمعة واقتحام ذاك البحر المتلاطم من كل الجهات . وثبت في ذاك الموقف اعظم ثبات . واختار الموت على الهرب والشتات . وعادت الفرسان تتقدم اليه من كل ناح مكثرة من الصراخ والصياح . مقومة بايديها العمدان . طالبة لهُ الهلاك والفاعان . وهو يلتقيها بقلب صابر على المصائب . وعزم جلود على حمل النوائب . وبقي على ذلك الى ان قام ديدار من وقعته ثانية وركب الجواد وقد استصغر نفسهُ كل الاستصغار وعلم انهُ ليس من رجال بهزاد الا انهُ امل بان يتمكن منهُ بضربة وهو مشغل بالصدام فيذيقهُ كاس الحمام . ولهذا دنا منهُ وجرد الحسام . فراه بهزاد وقد عاد فخاف ان يغدر بضربة منهُ فاسرع الى جواده بضربة من سيفه وقعت على راسه قطعتهُ ووقع الجواد الى الارض ومن فوقهِ ديدار وزادت هذه الحالة في غيظ رجاله فازدحموا ازدحام الجراد . واكثروا من الصياح والانتاد . وهو يفعل فيهم كما تفعل النار ذات اللهب . في يابس القش والحطب . ويمددهم على الارض . ويمزج

طولهم بالعرض . حتى امتلأ منهم ذاك المكان . وسالت ادميتهم كالغدران

قال وكان جلدك العيار واقفٌ على رابية عالية ينظر الى افعال بهزاد و يشاهد ما هو عليهِ فعلم انهُ بطل لا كالابطال . وضيغم ليس لهُ مثال . فانحدر من تلك الرابية وانسل بين اولئك الاقوام وهو يصيح و يلكم ايها الرجال لقد ركبكم العار الى اخر الاجيال فانكم اذا بقيتم على مثل هذه الحال . عدة ايام وليال لا تنالون منهُ منال . فصوبوا بضرابكم الى جوادهِ وارموهُ بالنبال . فلما سمعوا كلامهُ راوهُ عين الصواب . فاسرعوا الى جوادهِ بالطعان والضراب . ورموهُ بالنبال والحراب حتى تخدش وتدفقت منهُ انابيب الدماء وهو لم يقع حالاً في وجوه الاعداء . وقد راى بهزاد من نفسهِ الغلبة لكثرة ما ازدحم عليهِ وكان يومل بجوادهِ على الثبات الى الليل لياخذ لنفسهِ الراحة فخاب املهُ لان كثرة النبال والسهام ارغمتهُ اخيرًا الى الوقوع ففنز عنهُ الى الارض حزينًا على مقتلهِ واخذ يقاتل وهو راجل لا يليق بنفسهِ ان يسلم اليهم واختار الموت من ان يسلك سبيل العار و بقي على تلك الحالة الى ما بعد الظهر وكان ديدار قد ركب جوادًا اخر وعاد اليهِ مع قومهِ وهو ثابت في وجوههم واقف في ساحة المجال لا يقدر على الحراك والانتقال . والضراب تسقط على جسده من كل ناحٍ وهو يتلقاها بصبر وجلد عجيبين حتى سقط الى الارض بالرغم عنهُ لانهُ من طين وماء فرموا بانفسهم فوقهُ وربطوهُ بالحبال وهو لا يعي على حالهِ من شدة الاوجاع والالام . ومن ثم صاحوا صيحة واحدة من الفرح والاستبشار وقدموهُ الى ديدار . فامر ان تضمد جراحاتهُ و يداوى وقال لهم لا تهينوهُ لانهُ من الابطال وفي اسره لي الشرف والفخار والمجد المتعالي واني سابعثهُ بعد ان اعرضهُ على جهان ملك الصين الى والدتي كركاني في قلعة سوسان شهر لتعلم بعظم مقدرة ولدها وان الذي خوفتهُ منهُ وقع بايديهِ . و بعد ذلك امر ان تحط عساكره على تلك الساحة تاخذ لانفسها الراحة . و بعث جلدك ان يخبر جهان بقدومهِ و باسره لبهزاد فسار نحو المدينة الا انهُ ما بعد الا القليل حتى صادف شبرنك سائرًا في تلك الجهة وهو لابس ملابس اهل الصين

قال وكان السبب في مرور شبرنك ان طيطلوس افتقد بهزاد فلم يقف لهُ على خبر وسال عنهُ فقيل لهُ انهُ ركب في الصباح وخرج ولا نعلم في اي جهة سار وهو لم يصب بشيء قط ولا نظن انهُ دخل المدينة لان ابوابها مقفلة قال لا بد ان يكون قد سار في احدى جهات البرية او من حوالي المدينة يتفقد معابرها ومنافذها ولذلك يجب على العيارين ان يتفرقوا للتفتيش عليهِ من كل ناحية لنعلم اين سار لان غيابهُ كل اليوم الماضي دليل على بعده عنا فاجابوا امره وتفرق كل منهم الى ناحية و بزي وسار شبرنك في تلك الجهة كما تقدم وصادف جلدك فدنا كل من الاخر وسلم عليهِ وسال شبرنك جلدك من اين آت والى اين سائر فظنهُ جلدك من سكان المدينة فقال لهُ اني آتٍ من قبل سيدي ديدار بن كركاني الساحرة الذي بعث اليهِ سيدكم جهان يدعوهُ الى مساعدتهِ

لاخبره بقدومهِ وابشره بشارة عظمى فاظهر شبرنك الفرح وقال لا ريب انكم تجلون عن المدينة وبالاعظم لانها بضيقة وشدة والاعداء قائمة على اسوارها ينتظرون فتحها فبماذا تبشرونهُ قال نبشره باسر اعظم رجل من اعداه وهو بهزاد الايراني فارتاع شبرنك لهذا الخبر وتكدر منهُ داخلاً الا انهُ اظهر التعجب وصفق بايديهِ وقال لا يمكن ان يكون ذالك قط كيف وقع بايدكم وهو من ابطال الزمان وقد اوصل الينا المصائب ولولاه لكنا الان بامان منصورين على الاعداء لانهُ فارس لا نظير لهُ في هذا الزمان . فحكى لهُ كل ما جرى بينهم وبينهُ وسال شبرنك من اين يمكن ان يصل الى المدينة لان ابوابها مسدودة قال يمكنك ذالك من باب واحد فقط الى جهة غربي المدينة فسار جلدك في طريقهِ وصبر شبرنك الى ان بعد عنهُ وعاد راجعًا الى طيطلوس وهو يظهر الاسف والكدر فسالهُ عن الخبر فاعاده عليهِ ولما سمع منهُ ذالك كاد يقع الى الارض من عظم ما نالهُ واسودت الدنيا في عينيهِ واختنق من الكدر وصاح ان هذه مصيبة جديدة لان الاعداء تتكاثر علينا وفرساننا تغيب واحداً بعد واحد وكان رجائي انهُ اذا بقي بهزاد وحده يكفي لان يصون الجيش من صدمات الاعداء وحربهم الى ان تعود الينا فرساننا فالان خاب الرجاء ولا نعلم ماذا يكون بيننا وبينهم ولا ريب اننا لا نثبت امامهم كثيراً الان عددهم يتزايد وعددنا ينقص فكيف العمل الان . ثم اطرق الى الارض برهة وهو كمن اصيب بالجنون واصاب جميع الحاضرين ما اصابهُ وبقيوا على ذالك نحواً من ساعة . ثم نهض طيطلوس راسهُ وقال لم يعد علينا الا التصبر على حكم الله والتدبير في امر مصلحتنا ريثما يبعث لنا بالفرج وعليهِ فاني اخاف ان تخرج عساكر المدينة منها ويأتي دبدار من خلفنا ونبقى نحن في الوسط فيبددون شملنا ويرموننا بالخسران ولذلك ارى من اللازم ان نرجع الى الوراء ونتخذ لانفسنا المراكز التي تقينا بقدر الامكان من الاعداء فاستصوبوا رايهُ واقلعوا عن تلك الارض الى الوراء واتخذوا لهم مراكز بعيدة عن المدينة ينتظرون ما هو مخبأ لهم في عالم الغيب وما كتب ان يلاقوه وسلم امر قيادة العساكر الى خورشيد شاه وجمشيد شاه

واما جلدك فانهُ سار الى ان قرب من باب المدينة فاعترضهُ الحراس وسالوه عن نفسهِ فاخبرهم انهُ رسول ديدار ابن كركاني الساحر ليبشر ملكهم بقدومهِ فاحضروه اليهِ وهو في ديوانهِ مع ابطالهِ يتشاورون في امر الحرب والاعداء كسابق عادتهم فدخل عليهم وسجد الى الارض وقبل اقدام الملك ثم قال لهُ اعلم ايها الاله المعظم والملك المكرم ان سيدي دبدار قد اجاب سوالك فجمع بعساكره ورجالهِ وجاء اليك وعند وصولهِ الى المدينة التقى ببهزاد الايراني فاسره وهو الان مكتوف عنده مثخن بالجراح وقد بعثني اليك لاطرح عند اعتابك خبر قدومهِ فلما سمع هذا الخبر كاد يطير من الفرح وقام واقفًا وامر ان تخلع على جلدك خلعة سنية وان يعطى الاموال الغزيرة وقال أصحيح اسر بهزاد ابن فيلزور حامي الفرس وبهلوانهم . قال نعم ياسيدي هو معنا الان وسوف تراه

ذليلاً بين يديك تنفذ فيه امرك وقد عوّل سيدي ديدار ان يرسله الى والدته بعد ان يعرضه عليك ثم امر ان يخرج منكوخان بالعساكر لملاقاة ديدار وان تعاد الحرب في خارج المدينة بشرط ان تبقى الابواب لا يدخل احد ولا يخرج الا باذن كالسابق كي لا يدخل عيارون الاعداء المدينة . فاجاب منكوخان في الحال وخرج الى جواده فركبه وسار بالعساكر الى ملاقاة ديدار وكان قد قرب من المدينة فاعتنقا وسلما على بعضهما وراى منكوخان بهزاد على تلك الحالة فاشتفى به وكان قد وعي الى نفسه .الا ان جسمه كان لا يزال مثخناً بالجراح وقواه ضعيفة . ومن ثم نزل ديدار عند ابواب المدينة وضرب خيامه في خارجها وخرجت ايضاً كل العساكر التي كانت على الاسوار ولم يبقَ الا الحرس فقط و بعد ذلك دخل ديدار المدينة مع منكوخان ووصل الى جهان فسلم عليه وقبل يديه وحكى له انه اسر بهزاد وامر ان يوتى به لبين يديه فاتى به ونظره جهان وتعجب من اعماله وهو صغير الجسم في منتصف شبابه لانه كان اذ ذاك في سن الثلاثين وشكر ديدار على فعله وقال له لا بد من مكافاتك بكل جميل واني ساطلب الك مخصوصاً من النار ان ترضى عليك و يكون الك عندها شان عظيم حتى بعد مماتك تعد لك منزلاً موافقاً فيها . فشكره ديدار وقال له اني اعدك ياسيدي الوعد الصادق ان لا ارجع عن الايرانيين حتى ابيدهم عن اخرهم واحداً بعد واحد فان النصر ظاهر لنا منذ البداية وقد سهلت لنا النار طرق القبض على عضو رئيسي كبهزاد لانها حسنت له القيام في ذاك المكان ليكون فريسة لنا واني اسالك ياسيدي ان تسمح لي ان ابعثه الى امي كركاني لانها حذرتني منه وخوفتني من بطشه مع انها تعلم ببطشي وعلو منزلتي بين الابطال والفرسان . قال افعل ما بدا لك فان في بعده غنى لنا في مصلحتنا وكيف لا اقبل وانت الذي اسرته ولك حق التصرف فيه ولهذا دعا ديدار بالفي فارس من ابطاله وقال لهم سيروا في ظلام هذه الليلة الى قلعة سوسان شهر وخذوا معكم بهزاد سلموه الى والدتي واخبروها اني اسرته واني موفق كل التوفيق لا احتاج الا الى طلبها من النار لاجلي واني بعد قليل سابعث اليها بفيروزشاه وهو الرجل الثاني الذي حذرتني منه . فاخذ الرجال بهزاد وساروا على طريق سوسان شهر ليقدموه الى كركاني الساحرة وامر جهان ان تقدم العلوفات والاطعمة وما يلزم لعساكر ديدار واقاموا يرتاحون مدة ينتظرون الحرب والقتال وقد جرت بينهم وبين رجال ايران مناوش كثيرة وحروب عديدة لم يفز بها قط احد منهما

قال وقام فيروزشاه في بيت خ اسعدان زماناً طويلاً لا يقدر على الخروج ولا يمكن له ان يتوصل الى خلاص الاسارى لان ابواب المدينة كانت كما تقدم مقفلة لا يمر احد منها دون ان يمسك و يفحص وابواب الحبس كانت متينة وعليها كثير من الحراس لا تمر النملة من بينهم فزاد عليه الحال و بقي على ذلك ينتظر فرج الله و بهروز ينزل المدينة و يعود ولا احد يعرفه واخ سعدان

يتعاطى ماموريتهُ في دار الحكومة و باقي بيتهُ في النهار ثلاث مرات يتفقد ضيوفهُ و ياتيهم بكل ما يحتاجونهُ ولم يعرف احدمقر وجودهم ولا اطلع على امرهم

واما مصفرشاه وسيامك فانهما بقيا على المرض وجراحهما لاتشفى اكثر من سنة حتى انتنت واشرفا على الموت وراى ذلك وكيل الحبس وثبت عنده موتهما فخاف من ملامة جهان وقصد اخباره بذلك فسار الى دار الحكومة واستاذن من الملك بالدخول فاذن لهُ ولما وقف بين يديهِ قال لهُ اعلم ياسيدي ان الاسيرين وهما مصفرشاه وسيامك سياقبا الذين خدش جسداهما من ضرب ونك هما في حالة خطرة جدًّا حتى ان جراحهما انتنت وورمت وقد اضربهما رداءة المناخ حتى صار من الصعب الرجاء والامل بحياتهما ولذلك اتيت اخبرك بامرهما . فلما سمع جهان ذلك تكدر وقال يصعب عليَّ ان اسمع بموت الاسرى من عملنا وتهاملنا فيحسب ذلك ظلمًا منا واني لا اريد ان يضرَّ احدمن الاسرى خوفًا من ان يقع احدمنا بيدهم فيعاملونهُ بالمعاملة التي نعامل اسراهم بها وربما انقادوا الينا ووقع بيننا و بينهم صلح فيكون ذلك سبب كدرنا ومع ذلك فلا يجب ان يرتاح انا ضميرما لم نقبض على فيروزشاه سيدهم والا ما زلنا لانقبض عليهِ نخاف منهُ ان لايراعي حرمتنا ويقتل كل اسير يقع في يده ولا ريب انه سيعود الى قومه و يسعر نار حرب قوية اذا كان غائبًا عنهم لاني منذ زمان لم اسمع عنهُ خبرًا ولا عرفت عنهُ امرًا . ثم انهُ دعى بجراحه الخصوصي وكان اسمهُ فيرموز صديق اخ سعدان وصفيهُ وقال لهُ اريد منك ان تاخذ الى بيتك مصفرشاه وسيامك وتعالجهما وتضع المراهم على جراحهما الى ان يشفيا فتعود اليَّ بخبرهما واذا شفيا ورجعا الى ما كانا عليهِ جازيتك بكل جميل وانعام . فوعده فيرموز ببذل الجهد والهمة في مداواتهما و بعد ذلك اخذ الجراح مصفرشاه وسيامك وهو في فرح بذلك لانهُ كان من اصدقاء اخ سعدان وقد تعلم منهُ عبادة الله وصار يكره عبادة النار وهو يعرف ان الايرانيين يجاهدون في سبيل خدمة الدين فاراد ان يكون شريكًا لهم في ذلك وينفعهم بما يقدر عليهِ وقد راى جراحهما بليغة جدًّا وتحتاج الى عناية عظيمة فوضعهما في بيتهِ وعين لهما ثلاث نساء لاجل خدمتهن لغسل الجراح في كل ساعة وهو يضع عليهما المراهم و يسقيهما الادوية النافعة والمقوية للجسم ليثبت في وجه مثل هذه الاوجاع و يتقوى عليها

قال ولما عرف اخ سعدان بهذا الخبر وان مصفرشاه وسيامك عند صديقهِ الجراح سار اليهِ وسلم عليهِ وسالهُ عن المجروحين فقال لهُ هما في حالة خطرة انما الامل منهُ تعالى ان يشفيا وتضمد جراحهما وتعودها الصحة ولي رجاء ان الله لايتركهما من عنايتهِ لانهما من اصدق عبادهِ . قال اني ما جئتك الا لاوصيك بهما واسالك مداراتهما وان فيروزشاه سينعم عليك اذا عرف ان حياتهما كانت بمساعدة الله وعنايتك ومداواتك كونهما من اعظم رجال فارس . قال اني لاارجو عوضًا في خدمتي لاني ملزوم

بمشاركة رجال الله بالجهاد واني احب ان اكون في الجيش الفارسي بين يدي فيروزشاه اداوي
مجاريحهُ ومن يصاب من رجالهِ لاكتسب بذلك شرف قربي منهُ واكون قد وفيت ما يطلبهُ الله مني
و ياليت لي من يوصل طاعتي الى ملك ايران وسيدهم و يقربني من خدمتهِ و يتوسط لي ان اكون
على الدوام عنده . قال اذا فعلت ذلك تعدني المواعيد الصادقة بحفظ السر وكتمهِ وان لا تبح
بما اخبرك بهِ امام احد . قال اني اقسم لك بالله العظيم خالق الانس والجان ومدبر بحكمتهِ الاكوان .
ان لا اظهر لاحد ما تقولهُ لي وان اكون العمر بطولهِ مديون لك بالجميل اذا قربتني من فيروز شاه
وكان بوسعك ان توصل خبر طاعتي اليهِ . فلما سمع اخ سعدان كلامهُ تيقن فيهِ الوفاء وكان يعلم فيهِ
صدق الكلام ومحبة الانسانية وحسن الاطوار فباح لهُ بكل ما جرى لهُ مع فيروزشاه وقال لهُ هو
الان عندي وفي بيتي مع جماعة من عياريهِ وفرسانهِ الاعيان فاذا شئت اذهب معي اليهِ فاعرضك
عليهِ واخبره بامرك وان مصفرشاه وسيامك سلما اليك ولا ريب انهُ يكرمك مزيد الاكرام لان
مجيئهُ الى البلد كان لاجلهما على امل ان يخلصهما ومن ثم بقي في المدينة ولم يعد في وسعهِ ان يخرج ما
لم يتسبب في خلاص الاسارى من قومهِ . والثاني لسد الابواب وتشديد الحرس على الداخلين
والخارجين . فلما سمع فيرموز هذا الكلام كاد لا يصدقهُ وقال ان هذا من الامور العجيبة كيف يمكن
الملك مثل هذا عظيم ان يخاطر بنفسهِ من اجل بعض قومهِ فهلم بي اليهِ لاقبل اقدامه وابدي لهُ
طاعتي وخدمتي واذا شاء كلفني بكل ما اقدر عليهِ فاخدمهُ بهِ ولو كلفني فقد حياتي واموالي . ومن
ثم سار الاثنان يتقدمان الى البيت المقيم فيهِ فيروزشاه حتى دخلاه وتقدم اخ سعدان من فيروز
شاه وحكى لهُ عما كان من مصفرشاه وسيامك ووقوعهما بالخطر العظيم وان الله التفت اليهما فسلمهما
الملك لرجل امين على طاعتهِ وهو فيرموز الجراح واخبره ما دار بينهُ وبينهُ وانهُ جاء بهِ اليهِ ليقبل
ايديهِ و يعرض عليهِ خدمتهُ . فتكدر فيروزشاه مما سمعهُ عن مصفرشاه وسيامك وتالم قلبهُ وقال
ان كل ذلك كان بسببي لقد اهينت رجال الفرس وملوكها واصيبوا بنكبات العالم اجمع وشكر الله على
كل حال ثم طلب ان يقدم فيرموز اليهِ فلما وقف بين يديهِ ترحب بهِ وقال لقد اخبرني اخ سعدان
انك تحب الله وتعبده ولهذا يسرني فيك انك من رجالي فاوصيك بالمجروحين الذين عندك من
اولادعمي واعز الناس عندي واذا شفيا كان لك مني الخير العظيم وجعلتك من الحكام والسلاطين
ولا انسى لك جميلاً مثل هذا . قال يكفاني ياسيدي نعمة اني وقفت بين يدي رجل الله العظيم
الذى اختصهُ ليفضلهُ على كل اهل زمانهِ وهذا شرف لا انساه الى الابد على ان كثير من الملوك
العظام والوزراء الكرام يتمنون ان يسمعوا منك كلمة انس واطف مثل هذا الكلام واني اسال الله
تعالى ان يساعدني على مداواة مصفرشاه وسيامك لينهضا من مرضهما واكون قدرت على ان اقوم
بخدمة مقدسة عندي لك ولله وسوف ترى مني صدق عبوديتي و يظهر لك الزمان برهانًا على

قومي ولا اريد منك الا ان تحسبني منذ الان في مصاف خدمك وحشمك . فشكره فيروزشاه وعرف انهُ حسن الطوية كامل الصفات مخلص بمحبة الله سبحانهُ وتعالى وزاد في توصيتهِ بمداراة ابن عمهِ وسيامك

وعاد الجراح الى بيتهِ ودام على مداواة الجريحين بكل عناية واهتمام وفي كل يوم ياتي الى بيت اخ سعدان فيقدم خدمتهُ لمولاه الجديد ورفاقهُ ويطمنهم عنهما و بقي على مثل ذلك عدة اشهر وهما يتقدمان في الصحة والعافية حتى نالا الشفاء التام ولم يبقَ ما يوجعهما ولذلك سار الى جهان وقال لهُ اعلم ياسيدي ان الاسيرين اللذين سلمتني اياهما قد شفيا وعادا كما كانا بصحة جيدة وابدان صحيحة فقال لهُ احضرهما اليَّ فاحضرهما ولما راهما فرح مزيد الفرح وامر ان يعادا الى السجن وان يهانا مع رفاقهما وان تتخذ الاحتياطات اللازمة بالمحافظة عليهم الى حين الحاجة فادخلا الى الحبس وانضما الى بهمنزار رقلى وطهور وقادرشاه وسلموا على بعضهم البعض و بعد ان نال الجراح الانعام الذي كان ينتظره من الملك جهان عاد الى بيت اخ سعدان ودخل على فيروزشاه واخبره بشفاء ابن عمهِ وسيامك . فقال لهُ وهل هما عندك الان كلا ياسيدي بل سلمتهما الى جهان فاعادهما الى السجن فتكدر فيروزشاه من هذا الخبر وقال لهُ لقد قصرت في تدبير الوسائل المنتظرة وقد كان احرى قبل ذلك ان تخبرنا لنسعى في خلاصهما ولا يراهما جهان . قال اني وجدت نفسي مضطرًا الى ذلك ولا سيما ان الملك يسالني عنهما على الدوام فاذا امتنعت عذبني واعتقد بي الخيانة وفتش المدينة عليهما فربما وصل اليكم شرٌ بسببهما ولا بد من خلاصهما طال امرهما او قصر. فقال بهروز ما من مانع في ارجاعهما الى السجن لكن اريد منك ان تتوصل باي طريق كان الى الدخول الى السجن وايصال ما نسلمك اياه الى المحبوسين من قومنا فيتخلص الجميع معًا ولا يبقى احدمنهم فيهِ . قال ماذا تريد ان توصل اليهم قال اريد ان ابعث لهم ببرد وازميل وكتاب اخبرهم بهِ ماذا يفعلون فاذا قدرت على تسليمهم ذلك دون ان يعلم احد بهِ كان لك الفضل العظيم في خلاصهم . قال اني ساذهب الان الى الملك واقول لهُ اني خائف من ان يطرأ على الجريحين طارىء او يحصل لهم التهاب ولهذا من اللازم ان يسمح لي ان ابعث لهما باللبن في كل صباح كي يشرباه وتترطب احشاؤهما ومن ثم اضع المبردين في وعاء اللبن وضع المكتوب في اكرة صغيرة داخل الوعاء ايضًا ولابد ان الحراس يسلمونهم الوعاء دون ان يلتفتوا الى ما فيهِ فيسهل على قومكم الخلاص بالطرق التي تعينونها لهم . فسر فيروزشاه من ذلك ومثلهُ بهروز وقال لهُ لقد دبرت حسنًا فاذهب الى جهان واطلب اليهِ ما انت طالبهُ حتى اذا سمح لك دبرنا امرنا . فاجاب وخرج في خطتهِ الى ان وصل الى بين يدي جهان فقبل الارض ووقف مطرقًا فقال لهُ ماذا تريد يافيرموز واي شيء دعاك الى الوقوف امامي على مثل هذه الحالة . قال تذكرت شيئًا كان قد غاب عن ذهني فاتيت اعرضهُ على مسامعكم لرفع

الخطر عن اللذين داويتهما بامرك اي الرجلين الايرانيين . قال ابن ما تطلبهُ وما هو الشيء الذي نسيتهُ . قال اعلم ياسيدي اني لما كنت اداويهما كان حصل لهما التهاب في الامعاء فطببتهُ الى ان شفيا منهُ . وقد تذكرت الان انهُ ربما يعاودهما لنقلهما من مكان جيد الى الحبس فلا يعود من وسيلة لشفائهما ولهذا قصدت الاذن من عظمتك لا بعث لهما في كل صباح مقدارًا من اللبن يشربانهِ عند الصباح على مدة اسبوع فلا يعود من ثم خوف عليهما . فقال لقد احسنت في ذلك فابعث باللبن في كل صباح اليهما واني منذ هذه الساعة سابعث برونك الى الحراس يخبرهم بان يوصلوا لهما اللبن فقبل يديهِ وخرج الى بهروز فاخبره ففرح بذلك مزيد الفرح وقال لهُ خذ في صباح الغد لبنًا في وعاء دون ان يكون فيهِ شيئًا لنرى ما يكون من امر الحراس اهل ينظرون فيهِ فامتثل وفي الصباح اخذ وعاء ملآه لبن ودفعهُ الى الحراس وقال لهم قولوا لمصفرشاه وسيامك ان يشربا ما في هذا الوعاء الى اخره تبريدًا لفواديهما وفي الصباح ابعث بمثلهِ فاخذ هذا الوعاء ولا يكون اكلهما من غير هذا اللبن ولا يعاودهما المرض فامتثلوا ودخلوا باللبن وبلغوهما ذلك ورجع فيروز وقد تاكد عنده ان الحراس لم ينظروا الى الوعاء . واما مصفرشاه وسيامك فانهما كانا قد ملكا صحتهما على اتم غاية ولم يظهر فيهما آثار الضعف البتة وقد تعجبا من عمل الجراح هذا غير انهما يعلمان انهُ محب لهم يرغب في سلامتهم ولم يرتابوا قط فشربوا اللبن الى اخره . واقاموا في السجن مع باقي الاسارى وفي نيتهم ان لا يطول زمان سجنهم اذ تاكدوا ان فيروزشاه وجماعة من الفرسان وبهروز وبدرفتات والاشوب في المدينة وقد اتوا بقصد خلاصهم

واما الجراح فانهُ سار في اليوم الثاني الى بهروز ومعهُ وعاء اللبن وحكى لهُ ان الحراس لم ينتبهوا الى مثل هذه الحيلة ولا يخطر ببالهم قط مثل هذا الامر فاخذ بهروز الوعاء وانزل فيهِ مبردًا من مبارده المعدة لقطع القيود وازميلاً حادًا من الحديد وكتب كتابًا الى مصفرشاه يقول فيهِ . خذ المبرد والازميل فاحدكم يقطع القيود والاخر يثقب الحائط وخذوا منذ الصباح في الغناء والرقص والتصفيق بالايدي حتى عند مباشرتكم العمل لا ينتبهون اليكم وبعد ان تنتهوا منهُ ارموا بانفسكم من ظهر السجن الى الخارج فنكون نحن لكم بالانتظار ونحضركم الى سيدي فيروزشاه واياكم من الطيش وعدم الانتباه فاذا لم يتيسر لكم الخلاص في هذا اليوم لا يتيسر فيما بعد . ثم وضع المكتوب في علبة صغيرة ووضعها في الوعاء واوصى الجراح المذكور بالانتباه فاخذه وسار وكان قد حملهُ لعلم الذين احد اولاد اخ سعدان فدفعهُ الى الحراس وقال لهم ابقوا هذا عند الاسارى واتوني بوعاء امس فادخلوا الوعاء ودفعوه الى سيامك وارجعوا الوعاء الى الجراح فاخذه مع ابن اخ سعدان ورجعوا الى بهروز اعلماه بوصول الوعاء المشغول الى الاسارى الايرانيين ففرح وتاكد انهُ لابد من خلاصهم في تلك الليلة

واما مصفرشاه وسيامك فانهما اخذا في شرب اللبن وبينما هما يشربان سمعا في قعر الوعاء صوت مادة تقرقع فانشغلت خواطرهما وامتنعا عن الشرب ومد سيامك يده ليرى سبب ذلك الصوت فوقعت على المبرد وفي الحال ادرك مع رفاقه سر المسالة فاجتمعوا باجمعهم حول الوعاء واخرجوا كل ما فيه واذا بالعلبة والالة الاخرى ففتحوا العلبة وقرأوا المكتوب وهم يكادون ان يطيروا من الفرح واعظم فرحهم كان عند ما سمعوا ان العيارين بانتظارهم لياخذوهم الى فيروزشاه وكانوا لا يصدقون ان بروأصبوح وجهيو يسمح لهم الزمان ان يجالسوا الى جنبها ويقاتلوا بين يديه وهم يشكرونه في قلوبهم كل الشكر على اهتمامه بهم وسعيه في خلاصهم ونزوله الى المدينة راكبًا طرق المخاطر من اجلهم وعند ذلك قال لهم مصفرشاه ينبغي الان ان نتبصر باحوالنا ولا نضيع فرصة سمح لنا بها الزمان فافعلوا ما اوصى به بهروز انتهي العمل في هذه الليلة ولا ندع العيارين يأتون الى تحت السجن دون ان نفاجئهم ويرجعون بخفي حنين قالوا دبر انت ما تراه به . قال ان بهنزار قلي يقطع القيود وسيامك يثقب الحائط ويخرج الحجارة ليفتح لنا طريقًا ونحن نداوم على الغناء والحظ كي لا يسمع الحراس صوت المبارد او صوت الثقب فاستصوبوا كلامه ثم امرهم ان يخفوا الالتين وينصبوا على الغناء والرقص والتصفيق بالايدي ففعلوا وعلت اصواتهم وجعلوا يغنون بلغتهم الفارسية وهم يرقصون رقص اولاد الازقة حتى اندهش منهم الحراس ففتحوا الباب ودخل عليهم جماعة منهم فجعلوا يضحكون عليهم وهم على تلك الحالة وقالوا لهم لما هذا الغناء الا تعلمون انكم الان في سجن العذاب وان قومكم في ضيق وتاخير من جرى وصول البطل ديدار الذي انزل بهم الهلاك والبوار واسر بهزاد فارس الفرس وحاميها وبعثه الى قلعة كركاني الساحرة لتعذبه ويبقى عندها فتالموا في داخلهم من هذا الكلام الا انهم لم يظهروا على انفسهم امارة الحزن بل داموا على الحظ والغناء وقال لهم مصفرشاه ماذا يهمنا اذا انتصر قومنا او انكسروا لاننا قطعنا الرجاء منهم وعرفنا من انفسنا اننا هالكون لا محالة ونبقى في هذا المكان الى الممات ولو كان في قومنا رجاء لكانوا خلصونا منذ اكثر من خمس سنين ونحن نلاقي العذاب والاكدار وهكذا سوف تروننا على مثل هذه الحالة في كل يوم فقالوا لهم افعلوا ما انتم فاعلون ثم خرجوا عنهم وقفلوا الابواب وهم على مثل تلك الحالة الى المساء وفي المساء احضر لهم الطعام واقفلت الابواب الى الصباح كالعادة وعندما اطمأن بالهم واخذ بهنزار بقطع القيود وسيامك بثقب الحائط ولم يمض الا ساعة من الزمان حتى قطعت القيود من ارجل الجميع وانطلق سراحهم وبعد ذلك عاد بهنزار الى مساعدة سيامك فوجده قد ثقب الحائط في البداية ثقبًا رفيعًا ثم اخذوا يوسعونه شيئًا فشيئًا حتى صار يمكنهم الهرب منه وعند ذلك دخل سيامك وكان اكثر الجميع ضخامة وعلق نفسه من يديه ثم وقع الى الارض وفعل مثله الباقون وما مضى نصف الليل حتى صار الجميع تحت القلعة المحبوسين فيها وكان عند ظهرها في المكان الذي سقطوا

فيهِ بستانًا كبيرًا فمشوا بهِ دون ان يبدوا اقل حركة خوفًا ان يدري بهم الحراس او يراهم احدوهم
لايصدقون بالخلاص وبان يروا احدًا من اهل ايران وقد ارتاعوا في الاول حيث لم يروا ولا
واحد من العيارين الا انهم لما تقدموا الى اخر البستان التقاهم بهروز وتاكد خلاصهم ففرح غاية
الفرح وسار امامهم مع بقية العيارين لانهم كانوا لهم بالانتظار وساروا جميعًا تحت ظلام ذاك الليل
الدامس الى ان وقفوا عند باب بيت اخ سعدان وكان لهم بالانتظار فطرقوه ففتح لهم وادخلهم واقفل
من خلفهم وصعدوا الى المكان القائم فيهِ فيروز شاه ولما سمع بوصولهم خرج الى خارج الغرفة لملاقاتهم
وقلبهُ موعب فرحًا وارمى بنفسهِ عليهم وقبلهم وسلم عليهم وهناهم بالسلامة واحدًا بعد واحد فصافحوه
وشكروه على اهتمامهِ وسلم قادرشاه على اخيهِ قاهر شاه واخذا يبكيان للملاقاة بعضهما بعضهما من شدة الفرح
وقد سبق معنا انهما يحبان بعضهما محبة ثابتة تندر بين اخرين مثلهما واعدلهم اخ سعدان مكانًا بين
قومهم وترحب فيهم واقام على خدمتهم باقي تلك الليلة مع والديهِ علم الدين ومريار وجاريتهُ
السابق ذكرها

وفي الصباح نهض الحراسون القائمون على باب الحبس كما في عادتهم وفتحوا الباب ودخلوا
يتفقدون الاسارى واذا بهم يروا الحائط مثقوبًا وما من اسير هناك فتاكد عندهم فرارهم فاسرعوا
الى الخارج وركضوا الى البستان وفتشوا في كل تلك النواحي دون ان يروا احدًا فزاد كدرهم وتعجبوا
من عمل الاسارى وكيف امكنهم ان يثقبوا مثل هذا الحائط دون ان يكون معهم الة لهذا العمل ولا
ريب انهم ثقبوه بالالة فمن اين وصلت اليهم ولما كان لابد من اطلاع الملك جهان على امرهم جاءوا
اليهِ وبلغوه فرار اسراه وانهم قاموا في الصباح ودخلوا القلعة فوجدوا حائطها مثقوبًا ثقبًا واسعًا
ولم يجدوا احدًا من رجال ايران الذين كانوا يحرسونهم فيها فيظهر انهم هربوا من ذاك الثقب ورموا
بذواتهم الى البستان فلم يروا احدًا ولا يعرفون من الذي اوصل اليهم الالة لثقب الحائط مع انهم
لم يتركوا احدًا يدخل قط . ولما سمع جهان كلامهم هذا كاد يسقط الى الارض واندهش من عمل
الفرس وقال لا ريب ان هذا العمل هو عمل العيارين ولا بد من انهم يكونون داخل المدينة .
وفي الحال دعا بونك العيار واخبره بكل ماتقدم وقال له اريد منك يا ونك ان تعيد الاسرى الى
سجنهم وتاتيني بمن خلصهم واذا فعلت ذلك زدت في اكرامك وكيف تكون انت عيار بلادي
ويسطو علينا عيار والفرس وينتشلون الاسارى من داخل القلعة الامر الذي يكون من عمل الجان
ومن اين لهولاء العيارين ان ينزلوا المدينة ويصلوا الى القلعة الى اسيادهم وهم محاطون بالحراس
الكثيري العدد فاطرق ونك الى الارض برهة ثم رفع راسهُ وقال للملك اعلم ياسيدي ان لابد من
سرّ خفي في باطن الامر وسوف نظهر لنا الحقيقة وعندي ان احد سكان المدينة خائن علينا او ان
احد الحراس اوصل اليهم الالات لثقب الحائط وقطع المبارد . ولهذا اريد ان اكون مطلق التصرف

في التفتيش واعدك ان اجيئك بالاسارى واكشف عن غامض هذه المسالة . قال اليك ماطلبت فخذ معك جماعة من العساكر وطف المدينة وفتشها من سائر النواحي عسى ان النار توفقك الى المطلوب وتهديك الى ما بهِ اتمام رغائبك . فقبل يديهِ وخرج وهو مسرور من اطلاق حريتهِ بالتصرف في امر التفتيش و بعث مناديًا ينادي في المدينة ان من عرف بهرب اسارى الفرس او عرف بمكان وجودهم او سمع خبرًا عنهم يؤدي الى ظهور امرهم واخبره بهِ قبض من الملك خمسة الاف دينار واخذهو فرقة من العساكر وطاف بها في المدينة من جهة الى جهة يسال في البيوت والاسواق و يفتش في القهاوي والمحلات العمومية واينما اشتبه برجل قبض عليهِ واستنطقهُ واستعلم عنهُ . وكانت المدينة واسعة جدًّا كما تقدم وسكانها كثيرون لا يعدون ولا يحصون ولذلك طال ونك في التفتيش وفي كل صباح قبل التطواف ياتي الى حضرة الملك يتلقى اوامره و يعرف منهُ ما يريد ثم يعود الى اتمام خطتهِ . وكان اخ سعدان قد شغل بالهُ من هذا الاهتمام والتفتيش وبقي خائفًا من اظهار امر فيروزشاه واسرى الفرس في بيتهِ فيحسب خائنًا وكان كل خوفهِ عليهم من ان يعودوا الى الوقوع ثانية بايدي الصينيين لا بل يقع معهم فيروزشاه واذا وقع بقطع رجاء الفرس وتنقرض جيوشهم لان لا يزال لهم بقية امل برجوعه ولذلك كان ياتي بيتهُ بالنهار عشر مرات يفتقد احوال ضيوفهِ و يعود الى مركزه وهو يستعلم عن احوال ونك و يستفهم اين يسير وفي اي مكان يفتش وماذا راى وممن استعلم

قال ولا بد ان ناتي هنا على ذكر ما وقع من الجارية التي كانت قائمة على خدمة الايرانيين في بيت اخ سعدان فانها كانت متوسطة العمر في درجة الاربعين وكانت منذ اول دخولها الى بيتهِ تعد نفسها بزواجه كونهُ كان قد وعدها منذ ماتت زوجتهُ الاولى انهُ عندما يكبر اولاده يتزوج بها فاعتنت بتربيتهما على هذا الامل حتى كبرا و بلغا اشدهما وهي باقية على وعده وهو يتغاضى عنها واظهر اخيرًا اهتمامهُ بضيوفهِ لا يلتفت الى وعده لها وفي كل مدة تؤمل انهُ يلتفت اليها و يزف عليها وحسبت اخيرًا ان المانع وجود الايرانيين عنده فصبرت الى ان يذهبوا عنهُ حتى طال عليها المطال وهم قائمون عنده دون ان يتسهل لهم الذهاب او البعد عن بيتهِ حتى ضجرت وتاكدت من نفسها ان اخ سعدان ضحك عليها ولا يريد ان يتزوج بها او يزف عليها فكدرها هذا الامر وندمت على ما سبق منها من صدق خدمتها لهُ ولاولاده وضيوفهِ واضمرت في نفسها الانتقام منهُ وصبرت تنتظر الفرصة الى ان سمعت ذات يوم اخ سعدان يخبر فيروزشاه بعمل ونك ومناداتهِ في اسواق المدينة ووعده لمن ياتيهِ بخبر عن الاسارى بان يقبض خمسة الاف دينار فانتبهت لهذا الامر ولاح لها ان تهرب من منزل سيدها وتدخل على جهان وتطلعهُ على امر الايرانيين ومكان قيامهم وانهم منذ زمان طويل ولا ريب ان الملك اذا عرف بوجود فيروزشاه وقبض عليهِ وعلى من معهُ

فرح وانعم عليها باضعاف ما نادى بهِ ونك وحينئذ تكون قد استعاضت عن زواج اخ سعدان بالمال و بواسطتهِ تقدر ان تقترن بمن تريد وحركها الطمع الى الخيانة وعزمت من كل نيتها على الخروج من البيت في اليوم الثاني اثناء غياب سيدها وتذهب الى الملك . واقامت تنتظر اليوم الثاني الى ان كان وخرج سيدها من بيتهِ الى السوق ليبتاع ما يلزم من طعام ذاك النهار . و بعد ان خرج نهضت الجارية الى صندوقها ففتحتهُ واخذت ثيابها فربطتها الى بعضها وتابطتها واخذت غطاءها على راسها وتدرجت في السلم الى الطريق وسارت منهُ الى دار الحكومة ووقفت امام جهان بعد ان استاذنت بالدخول عليهِ واخبرت الحجاب ان لديها خبرًا مهمًا جاءت تطلعهُ عليهِ . فسالها عما تريد فقالت اعلم ياسيدي اني لما عرفت انك الان باضطراب من جهة الاسارى الذين هربوا من الحبس اتيت لاطلعك على امرهم وامر الذي خلصهم واعرفك ان فيروزشاه ابن الملك ضاراب هو مقيم الان في بيت اخ سعدان ولهُ اكثر من اربع سنوات ومعهُ كرمان شاه ابن عمهِ وقاهر شاه وفرخوزاد ابن فيلزور البهلوان واربعة من العيارين العظام منهم بهروز العيار . وقد جاء الاسارى ايضًا الى ذلك البيت واقاموا مع سيدهم وقومهم يتدبرون الى الخروج من المدينة والرجوع الى اهلهم وقومهم . ففرح الملك جدًا بهذا الخبر وقال لها من اين عرفت ذلك . قالت اني كنت اخدمهم كل هذه المدة واصنع لهم الاطعمة وقائمة بما يلزمهم حتى ثبت عندي انهم على نية الانفلال وتاكدت انك ترغب بالوقوف عليهم . فقال لها ان كان ذلك صحيحًا جازيتك احسن جزاء واوصلت اليك انعامي واكرامي . قالت سوف تتاكد كلامي . ولهذا قال جهان لونك وكان في تلك الساعة قد جاء الى حضرة الملك قبل تطوافهِ كسابق عادتهِ . اذهب الى بيت اخ سعدان وفتش فيهِ واتني بهذا الخبيث مكتوفًا مع الذين عنده لاجازيهِ على قبح اعمالهِ وخيانتهِ لانهُ ياكل عيشنا و ياخذ المعينات منا و يفتح بيتهُ لقبول رجال ايران وملوكهم . فاسرع ونك في الحال بعد ان وعد الملك بان يقودهم جميعًا اليهِ واخذ فرقة من العساكر وسار الى بيت اخ سعدان وفي نيتهِ انهُ يقبض على فيرزشاه وكل الذين معهُ

قال وصادف ان اخ سعدان رجع في الحال بعد ذهاب الجارية بربع ساعة ومعهُ اللحم والخضر وقد حملها ولداه لانهُ كان لا يركن لاحد ان يدخل بيتهُ غريبًا كان او قريبًا حمالاً او غير حمال . ولما صار في الدار طلب الجارية ليسلمها اللوازم فلم يجدها ففتش عليها في كل الغرف فاذا هي غائبة فكاد يطير من الخوف وخفق قلبهُ وسال عنها من العيارين اذا كان احدهم راها فقال لهُ الاشوب اني رايتها تحمل تحت ابطها بقجة من الثياب لكن لا اعرف الى اين خرجت فذهب الى صندوقها وفتش على ثيابها فوجدها قد اخذت الجميع فثبت عنده هربها وخيانتها وفي الحال دنا من فيروزشاه وقال لهُ ياسيدي اني خائف من ان تكون الجارية قد ذهبت الى جهان واطاعتهُ

على امركم ولذلك اريد منك ان تذهب مع رفاقك الى بيت فيروموز نقيمون فيهِ اياماً لنرى ما يكون من امرها قال ولما تخاف فان فينا الكفاءة للدفاع عن انفسنا . فقال بهروز لا يمكن ان نقاتل في داخل المدينة ياسيدي واذا ظهر امرنا قبض علينا لان المدينة محاطة بالاسوار فلو قاتلنا عشرين يوماً لا يتسهل لنا الخروج كيفما توجهنا وعساكر المدينة كثيرة فلا نقدر ان نتغلب عليها ومن الحكمة والاصابة ان لا نخاطر بانفسنا فاذهب بنا الى بيت فيروموز نقيم فيهِ . فراى كلامهُ صواباً ووافقهُ الجميع فلبسوا ملابس رجال الصين وبعثهم اخ سعدان مع والديهِ وقال لهما سيرا بهما الى بيت صديقنا الجراح وسلماه اياهم واوصياه بالمحافظة عليهم الى حين اجيء اليهِ وانقسما في الطريق كل واحد ياخذ جماعة ويسير في طريق مخالف للآخر كي لا يطلع احد على امرهم ويشاهدوا اكثرهم فينتبهون اليهم . فاجابوه بالسمع والطاعة وخرجوا جميعاً من ذلك البيت وساروا بعد ان قسموا الى فرقتين حتى وصلوا الى بيت الجراح فدخلوا وسلموا عليهِ واخبروه بما كان من الجارية فترحب بهم واحلهم محل الاكرام والتعظيم وقفل ابوابهُ وخرج ليرى ما يكون على اخ سعدان وهل ان الجارية تظهر امرهم ام لا . وكذلك اولاد اخ سعدان علم الدين ومردار فعادا ابيهما واخبراه بما كان وان الامراء بامان عند الجراح ففرح بوصولهم دون ان يعلم بهم احد واقام مع ولديهِ في البيت وما لبث ان سمع غوغاء واصوات رجال قد احتاطت ببيتهِ فطل من الطاقة واذا بهِ يرى العساكر قائمة في الاسفل فخاف كل الخوف وارتاع من هذا المشهد ولاسيما عند ما راى ونك في المقدمة فايقن بالهلاك لانهُ يعلم قساوتهُ وانهُ من اولاد الحرام ولا يراعي حرمة الانسانية ولا يعرف قط الشفقة . الا انهُ اوصى اولاده بالمحافظة على السر وقال لم خير لنا ان نموت في سبيل خدمة الايرانيين ولا نسلمهم الى الاعداء وعلى كل حال ان جهان سيغضب علينا ان سلمناهم او لم نسلمهم لان الجارية تكون قد اخبرت جهان بكل شيء دون شك ولا ارتياب . فقالا لهُ اننا وان متنا وتعذبنا اشد العذابات ما فهنا بكلمة قط . وبينما هم على مثل ذلك واذا بونك قد طرق الباب فاسرع اخ سعدان وفتحهُ فقال لهُ اين فيروز شاه وامراء الفرس الذين عندك سلمني اياهم فان الملك بعثني لاذهب بهم اليهِ . فاظهر اخ سعدان التعجب وقال ما هذا الكلام واين امراء الفرس الذين تذكرهم وماذا يا ترى يوصلهم اليَّ قال ان الخادمة التي كانت في بيتك وخدمتهم مدة طويلة اخبرت بحقيقة الامر فما من وسيلة للانكار . ثم امر ونك ان يقبض عليهِ وعلى اولاده ودخل البيت مصحوباً بالعساكر والضباط واخذوا يفتشون الغرف واحدة بعد واحدة دون الحصول على نتيجة لانهُ لم يرَ قط احداً ولا راى اثراً لهم فزاد بهِ الغيظ حيث كان موكداً اكل التاكيد انهم موجودون في بيتهِ وداخل منزلهِ ولهذا عاد الى اخ سعدان وقال لهُ اريد منك ان تخبرني الى اين ذهبت بهم والى من اوصلتهم والا ذقت مر العذاب فما من سبيل لاخفاء امرهم بعد ان ظهر ظهور الشمس في رابعة النهار وبذلك

تكون قد منعت عن نفسك الاضرار والاكدار والا فالموت امامك لامحالة . قال اني لا اعرف ما تقول وما من امراء في بيتي واذا كان في نيتك ان تتعدى عليّ وتوصل بشرّك اليّ فاني مستعد لان احمل ظلمك ونتائج خبثك ولا اخاف سوءا ما دام الله يحرسني فزاد هذا الكلام غيظ ونك وقال له سوف ترى ما يحل بك وتتاكد ان الانكار لا يفيدك شيئًا . ثم ساقهم امامهُ الى الساحة العامة التي عذّب فيها مصفرشاه وسيامك ومن حولهِ العساكر محاطة بهم والناس تزدحم افواجًا افواجًا وقد بلغهم خبر وجود فيروز شاه في المدينة فتجمعوا بقصد الفرجة عليهِ . وبقي ونك سائرًا الى ان وقف في وسط الساحة وامر الجنود ان تقف في ضواحيها وقدم اخ سعدان الى الوسط وقال له اذا كنت لا تعترف الصحيح فاني اجلدك الجلدات القوية الى ان تموت فتعدم نفسك ولا يفيدك الانكار فاخبرني اين امراء الفرس . قال قلت لك انك تطلب اليّ امرًا لا اعلمهُ ولا اعرف امراء الفرس واذا ظلمتني الان فسوف تظلم فيما بعد وتصاب باكثر مما اصاب الان فانفذ شرّك فيّ واني اسلم بامري للذي خلقني

فلما راى ونك ان لا سبيل للاعتراف جرده من ثيابهِ ورماه على ظهره الى الارض واخذ بيده وبيد رجل اخر السياط وجعلا يضربانهِ الضرب القوي الموجع وهو يسالهُ الاعتراف وان يقول الحقيقة وهو يقبل العذاب بصبر حميد وقد ايقن بالهلاك والاعدام ولم تسلم معهُ نفسهُ ان يعترف بامر رجال ايران وبقي على مثل ذلك وهو يصيح متوجعًا ويتالم من شدة الضرب وينادي طالبًا الرحمة والشفقة وونك يقول لا شفقة ولا رحمة اما الموت واما الاقرار وقد زاد على بدنهِ الضرب حتى تخدش واندفقت منهُ الدماء ولم يبق من جهتهِ الامامية مكانًا سليمًا من الجراح ثم قلبهُ على بطنهِ واخذ يضرب على ظهره فتندفقت منهُ الدماء وتالم جميع الناس الحاضرين دون ان يكون احدًا منهم قادرًا على ان ياتي بكلمة . ولما اعيى ونك امر اخ سعدان ولم يرَ منهُ نتيجة وعرف انهُ اصبح على اخر رمق من الحياة . قال في نفسهِ انهُ قطع الرجاء من الحياة فما من وسيلة لاعترافهِ وقد فضل الموت عليهِ الا اني اذا عذبت اولاده امامهُ يشفق عليهم ويخاف ان يصابوا مثلهُ بالعذاب الشديد فيبيح بحالة الايرانيين . وعليهِ فقد رفع الضرب عنهُ وامر ان يقدم ولده علم الدين فقدم فقال له لقد رايت ما كان من امر ابيك وماذا جرى عليهِ لما اصر على الانكار وسيحل بك اكثر مما يحل بهِ اذا امتنعت عن ان تعلمني الحقيقة وتطلعني على مكان وجود رجال الفرس قال لا اعرف مكان وجود الذين تذكرهم ولا من هم واذا كنت قد نويت على ظلمي وعذابي فاني احملهُ بفروغ صبر ولو كنت اعرف ذلك لما امتنعت عن اخبار الحقيقة . قال لا بد من وجود علم عندك وسوف ترى من نفسك انك تجبر الى الاخبار . ثم امر ان يلقى الى الارض ويضرب كابيهِ بالسياط على بدنهِ فدد بعد ان جرد من الثياب وضرب الضرب المولم الموجع وهو صابر على نفسهِ فتحمل شدة ذلك

الظلم والدماء تسيل من جسده وتجدول في الارض كالينابيع مفضلاً الموت على الاعتراف بمكان فيروزشاه وقد كدرت حالتهُ هذه عموم المتفرجين وانفطرت مرائرهم وهم يلعنون ونك ويذمون افعالهُ وهو لا يزيد الا حنقًا وقساوة من هذا الاصرار حتى كاد يغيب عن الصواب ولم يعد يعي على نفسهِ والضرب على ازدياد وعجلة وفي كل هنيهة يسال علم الدين ان يعترف فيصر على الانكار حتى ضعفت قواه وخار عزمهُ وانقطع صوتهُ ولم يعد يقدر على ان يجيبهُ اخيرًا على سوالهِ ومع كل ذلك لم يشفق ولا تحرك فيهِ للرحمة قدر ذرة بل اشتد قلبهُ عن الاول فصار كالصخر جمودًا او بالحري كالحديد صلابة وكان قصده بذلك ليس فقط عذاب الابن بل عذاب الاب اي اخ سعدان الذي لا يزال ملقى على الارض موثوقًا مخدشًا وفيهِ بقية رمق ينظر ما يحل بابنهِ وما يقع عليهِ وهو مسلم امره لله سبحانهُ وتعالى

قال وبقي ونك في عذاب ابن اخ سعدان حتى انقطع عنهُ النفس وفقد الحياة اي انهُ مات ولم يعد يقدر ان ينظر الى هذه الدنيا وبقي يضربهُ وهو ميت نحوًا من ربع ساعة ثم دنا منهُ فحركهُ فوجده قد فارق الحياة فوقف مبهوتًا وقد تاثر من ذلك لا شفقة على موتهِ بل ضياعهُ من يده كيف مات دون ان يعلمهُ بوجود فيروزشاه وبالاسارى الذين هربوا من السجن واختفوا في المدينة ومن ثم تركهُ واراد ان يوهم على اخيهِ مردار الثاني علهُ ان يعترف ويعلمهُ بما هو يطلبهُ ولذلك امر ان يوتى بحزمة من الحطب الى تلك الساحة فاحضر طلبهُ في الحال فاقامهُ في الوسط واشعل الحطب حتى التهب وثار منهُ الشرار واحمر من الداخل والخارج اي اصبح نارًا تلتهب والناس وقوفًا لا يعلمون ماذا يقصد وقد فكروا ان في نيتهِ ان يحرق شلو المائت لكنهُ تقدم من مردار وقال لهُ لقد نظرت بنفسك ما حل بابيك واخيك من العذاب الموجع واحدهما مات من يدي وهو يصر لجهلهِ وخسافة عقلهِ على الانكار ومثلهُ ابوك وهو يقاسي اشد الاوجاع واوجع الشدات ملقى على الارض اشبه بالمائت ومع ذلك يطلب الموت ولا يقربهُ الطلبهُ منهُ ولم يبقَ الا انت وها قد احضرت الحَطب واشعلت النار من اجالك فاما الاقرار واما الاحراق والعذاب وبعد الموت فاختر لنفسك ما يحلو ولا تكن كابيك واخيك فما من رحمة تلقى عندي الا اذا اعلمتني بمكان وجود الايرانيين ولك فرصة نصف ساعة تفكر فيها وتراجع ضميرك وفيما بعد لا وسيلة للندم اذ تكون النار قد احرقتك بسرعة والتهب جسمك بشدتها . فلما سمع مردار كلامهُ وكان اصغر من اخيهِ عمرًا الا انهُ كان اشد قلبًا واثبت جنانًا فقال في نفسهِ لو كان في الاقرار نفع لسبقني اليهِ ابي واخي وكيف يمكني ان اخبر بمكان وجود اناس قد اكلوا زادنا واقاموا عندنا زمانًا وهم من رجال الله الانقياء واصفيائهِ فخير لي ان اموت والحق باخي لاني لست افضل منهُ من ان ابيح بسر يرغب ابي في كتمهِ ولذلك صاح على مسمع من الجميع ويلك يا ونك لقد جرت كل الجور وظلمت ولم ترعَ جانب العدالة والرحمة ولا نظرت الى ما نطلبهُ منك

شريعة النار التي أنت تعبدها ولا الى ما برغبهٔ الملك جهان الذي اوصاك بالرفق غير ان ظلمك
هذا لا يوثر في رجال قد اعتادوا على عبادة الله سبحانهٔ وتعالى وسلموا بانفسهم اليهِ واتكلوا عليهِ وارى
من الاوفق لي ان اموت محروقًا بلهيب هذه النار فانال في الاخرة ثوابًا مجيدًا وحياة ابدية لاني
على يقين اني ارضى الله فسوف تحرقك نار ملامة هذه الدنيا ويكون لك من العذاب اضعاف ما
عذبت بهِ غيرك واخيرًا تلاقي غضب ربك وتحرقك نار غيظهِ وتعذب عذابًا ابديًا ثم التفت نحو
الناس وقال هكذا اخبروا جهان ان الرحمة فقدت من بلاده والظلم ساد على كل العباد ولا من
ظالم الا ويبلى باظلم منهُ . ثم بعد ان فرغ من هذا الكلام صاح بصوت عظيم اقبل نفسي يا الله ضحية
مقدسة وقفز الى وسط تلك النار التي هي اشبه باتون ملتهب التهمت حياتهُ في الحال واحرقت
قلب ابيهِ ذاك المسكين الذي كان ملقى على الارض على اخر حياتهِ فبكى بالرغم عنهُ ولم يعد يلتفت
الى اوجاعهِ واكداره وتاثر من هذا العمل وانفطرت مرارتهُ وكره في الحياة وطلب من الله ان يجمعهُ
بولدهِ قريبًا ولا يطيل في عذابهِ . وفي تلك الساعة ارتفعت اصوات الناس واكثروا من البربرة
واللوم وما فيهم الا من لام ونك ولعنهُ واتفق كثيرٌ منهم ان يسرعوا الى جهان ويعلموه بشدة هذا
الظلم وساروا الى ان جاءوا دار الاحكام وهم يصيحون ويبكون ويولولون فسأل جهان عن الخبر
وامر ان يحضروا اليهِ فوقف جماعة بين يديهِ وسجدوا الى الارض ثم عادوا وقوفًا مطرقين الى الارض
وقالوا ليطل الله عمر سيدنا الملك والهنا الرحوم لم يسبق ان وقع في مدينة الصين ظلم قط ولا راى
الناس ما يرونهُ في هذه الايام ولا ريب ان النار ستغضب علينا وتذهب البلاد من ايدينا لان
عواقب الظلم ردية ولم نسمع قط بملك او بحاكم ظلم وجار الا ولقي شر ذلك ولم يسبق لنا ان راينا
منك وسمعنا عن اجدادك عملاً من مثل هذه الاعمال التي يعملها ونك عيارك ثم انهم حكوا لهُ كل ما
راوه من ونك وما شاهدوه من ظلمهِ وكيف قتل ولدي اخ سعدان وعذبهُ هو ولا يزال في الساحة
العامة وربما اماتهُ ايضًا . فتكدر الملك من هذا الخبر ووزيره مهريار وقد قال مهريار ان ذلك لم
يكن بعلم سيدي الملك ولا بريه ولا بد من انهُ يجازي ونك على فعلهِ وهذا مما يثبت لنا ان كلام
الجارية كذب ونفاق لا اصل لهُ والا لو كان فيروزشاه والاسارى عنده اوكان لهُ علم بمكان وجودهم
لحكى عنهُ واخبر بهِ واشترى حياة ولدهِ ورفع عنهما الموت والعذاب او بالحري كانا هما اخبرا بهِ اذ
لم يكن من صالح يطلبانهِ عنده بعد الموت وفي حياتهما صالح اوفق وافضل . فقال منكوخان انت
توكد ان لا بد من وجود امراء الفرس داخل المدينة وقد تسببوا في خلاص الاسارى الذين كانوا
عندنا واصرار اخ سعدان واولاده على الانكار معصية بحق الملك اذ لا بد من ان يكون عندهم
علم بذلك ومعرفة بوجود فيروزشاه والا ما هو الموجب لتلك الجارية المقيمة الان في هذا المكان
لتشهد عليه ان تتجاسر وتخبر الملك بامر لا اصل لهُ ولا علم لاخ سعدان بهِ فالظلم في مثل هذه الاحوال

واجب وضروري لحفظ الادارة واظهار قصاص الملك ومجازاته للخائنين المنافقين

وكان الملك مطرقًا الى الارض يفكر في هذا الامر وقد تاثر عظيمًا مما حل على اخ سعدان واولاده وفي الحال دعا بالجارية ان تدنو اليه وتقف بين يديه ولما وصلت قال لها لقد قلت سابقًا ان فيروزشاه والاسارى وجماعة من الابطال والفرسان موجودين في بيت اخ سعدان فذهب ونك الى البيت وفتش فيه فلم يرَ احدًا ومع ذلك فقد خاف ان يكون قد نقلهم الى بيت اخر فاخذ في افراره وعذابه وعذاب ولديه حتى ماتا احدهما حرقًا والاخر عذابًا بالضرب ولم يعلم احد منهم بوجود الذين تزعمين انهم كانوا عندهم واني ارى انه لو كان كلامك صحيحًا لكان اخ سعدان اعترف به ومنع الموت عن ولديه ولا قبل بهلاكهما لاجل رجل غريب وقوم لا ينفعونه الان نفعًا يعادل موت اولاده . وقد ظهر لنا ان كلامك كذب لا اصل له ولا صحة ابدًا قالت لا يمكن ان اجسر على ان اكذب على سيدي الملك وكيف ارمي بنفسي في هكذا خطر او احكي عن شيء لا اصل ولا وجود له مع اني خدمت فيروزشاه وامراء الفرس اكثر من اربع سنين اطبخ لهم واغسل واقوم احتياجاتهم كلها لا يبرحون عن نظري الا في وقت المنام فهل من الممكن ان لا اعرفهم او ان انسب الى اخ سعدان ارتكاب مثل هذه الخيانة دون ان يكون لها صحة واني اقسم بالنار ذات الشرار ان كل ما اخبرتك به صحيحًا خال من شبهة التزوير والالتباس . واما اذا كنتم ما وجدتم فيروزشاه والفرس في بيت اخ سعدان فيكون قد نقلهم الى بيت رفيقه فيروموز لانه صفيه ولا احد يعلم بوجودهم غيره وذلك انه جاء الى البيت بعد خروجي منه فوجدني قد بارحته فعرف اني ساخبرك بامر ضيوفه فنقلهم من بيته واني اثبت الان انهم ساروا الى بيت فيروموز الجراح يختفون فيه وسوف يظهر لك الامر فترجح لجهان معنى كلامها وامر في الحال احد الشرط ان يذهب الى ونك ويخبره ان يسرع الى بيت فيروموز الجراح ويفتش هناك لانهم دون شك موجودون عنده فسار الشرطي مسرعًا بامر الملك وجاء ساحة العذاب وبلغ ونك امر سيده وانه يذهب حالاً الى بيت فيروموز . وكان ونك بعد ان شاهد فعل مردار وكيف انه احرق نفسه بيده حالا تكدر من ذلك كيف انه فضل الموت على الاعتراف ووقف مبهوتًا لا يعرف ماذا يفعل وممن يستعلم عن مكان وجود رجال ايران لان اخ سعدان اصبح على حالة الموت فاذا ضربه او عذبه مات لا محالة فلا يعود يستفيد منه عن غايته وولداه قد ماتا وما من سبيل في استنطاقهما واخباره بالاعتراف والاقرار وبقي على ذلك نحوًا من نصف ساعة يفكر فلم يرَ وسيلة الا مداراة اخ سعدان الى ان يعود فيقدر على الكلام ويتقوى جسمه ولهذا امر احد الجند ان يتقدم منه ويرفعه عن الارض ويسقيه الماء ويربط له جراحه . وفي تلك الساعة وصل رسول الملك واخبره ان يذهب الى بيت فيروموز لان الجارية اخبرت انه لا بد ان يكون نقلهم الى هناك كونه كان شريكًا له في الخيانة وخدمة الاعداء . فاخذ ونك الجنود وسار الى

بيت الجراح وهو لا يصدق ان يصل اليهِ ليقبض على فيروزشاه وجماعتهِ وينال من الملك الانعام والاكرام الزائد وعلو المنزلة الرفيعة

ولا بد للقارئ ان يكون في نفسهِ شيء عن معرفة وصول الملك ضاراب الى بلاد ايران او انهُ يلومنا على تركنا حديث عين الحياة منقطوبلة دون ان نذكرها او نحكي عنها شيئاً ولذلك صار من اللازم ان نذكر ان الملك ضاراب وصل ايران بمزيد العظمة والاحتفال وهو بذاك الموكب الذي تخلف معهُ من العجائز والمتقاعدين والذين تجاوزوا الاربعين ولم يعد في وسعهم الحرب وصار من اللازم قيامهم في المدينة لاجل المحافظة عليها والدفاع عنها وعن ملكهم عند الحاجة كما تقدم الكلام وبعد وصول الملك ودخولهِ المدينة عين لكل واحدة من النساء الاميرات اللاتي تزوجنَ قصراً مخصوصاً لها واقام عندها الخدام والخادمات والعلوفات التي كانت تقدم لهن على الدوام من سائر اسباب الراحة ولاولادهن من موجبات الاعتناء والتربية واقمن على اهنى عيش لا يكدرهن شيء البتة الا غياب ازواجهن وكل واحدة تعتني بولدها غير ان طوران تخت زوجة مصفرشاه لما كانت لم تلد قط البتة ولم يحلُ لها ان تقيم وحدها في قصر مخصوص طلبت ان تقيم في قصر عين الحياة ليتسلى بها وبولدها وتتذكر على الدوام ما كان من امر مستقبل حياتهما وما مرَّ عليهما ويتذكران ايضاً محبة زوجيهما وحبهما الخالص وماذا كان وسيكون من امرها . وكان بهمن ابن عين الحياة قد كبر كغيره من الاولاد وتجاوز السبع سنوات وفي هيئتهِ وصفاتهِ ما في ابيهِ فيروزشاه . ولما بلغ هذا السن ورأى الملك ضاراب انهُ من الواجب عليهِ ان يعتني بهم ويعين لهم الاساتذة والمهذبين والمربين والمعلمين ففعل ووضع لكل ولد استاذاً مخصوصاً يعلمهُ ويهذبهُ ويربيهِ على حسب معرفتهِ وكانت عين الحياة مسرورة جداً مما تراه نجابة ولدها وفطنتهِ تسر بهِ وتتكدر على الدوام عند ما تفكر بابيهِ وما كان لها معهُ وكيف قد غاب عنها وعنهُ وكيف انهُ يتربى بعيداً عن ابيهِ لا يعي عليهِ حق الوعي ولا يعرفهُ حق المعرفة وكانت تتامل في كل مدةٍ ان يعود اليها منصوراً ظافراً من بلاد الصين ويشاهده على تلك الحالة يترعرع ويكبر ولهذا كانت تعتني بهِ غاية الاعتناء من جهة تربيتهِ على الحكمة والمعارف ومع انها تعرف انهُ سيكون ذات يوم اذا بقي حياً ملكاً لايران ويكون لهُ شان عظيم وان ملكهُ لا يقوم الا بالبسالة والنشاط والاقدام الا انها كانت تكره من حالتها وما هو عليهِ ابوهُ من البسالة التي اوجبتهُ الى سلوك المخاطر والاهول والتنقل من مكان الى مكان والقائهِ بنفسهِ على الدوام بين الوف من الفرسان محاطاً بالاخطار مزدحماً بالجيوش بما يترك القلوب على الدوام في خوف واضطراب من اجلهِ وكانت تعلم ايضاً ان الملك يقوم بالحكمة والدراية والتدبير وحسن السياسة اكثر ما يقوم بالبسالة اي ان الملك اذا كان حكيماً عاقلاً مدبراً ينفع بلاده وقومهُ اكثر مما اذا كان شجاعاً مقداماً وان الاقدام والشجاعة وقوة الجنان يلزم ان تكون برجالهِ ومن هم على جيوشهِ

كالبهلوانية والمقدمين والفرسان ولهذا كانت تصرف الجهد الى تربية والدها على مثل هذه الحالة ولم تتركه قط يميل الى تعليم الفنون الحربية او تاذن له ان يحضر التمرينات القتالية التي كان يجريها الفرس على الدوام في ساحة التمرين . وعلى هذا كان يتعلم الاداب والحكمة ويرغب في درس تواريخ العالم واخبارهم ويهتم بتخطيط الخطوط الجغرافية ومعرفة حدود كل مملكة وبلاد والطرق الموصلة اليها وبعد البلدان عن بعضها واين موقع كل واحدة منها وما لها من الاهمية التي تذكر لاجلها بين الملوك وفي التواريخ وغير ذلك من معرفة حوادث حكماء الزمان ومن منهم امتاز عن الاخر الى غير ذلك وفي ذات يوم كانت عين الحياة جالسة مع طوران تحت يتحدثان بامر ما سبق لهما من الزمان وكل واحدة منها تسال الاخرى ماذا يا ترى تظنين انه جار على رجالنا وهل انهم لا يزالون في الحرب او قد انهزموا منها او هل اصيبوا منها بتاخر ولحق بهم مصيبة مكدرة وفيما هما على مثل ذلك دخل بهمن بن عين الحياة وقبل يد امه وطوران تحت ثم قال لامه هل يطول غياب ابي يا امي وهل لم يات منه خبر بعد لاني سمعت الناس يحكون عنه انه صار له زمان طويل في حرب الصين ولاسيما استاذي فانه حكى لي عنه في هذا اليوم قصصاً كثيرة وقال لي انه من افضل عالم هذا الجيل وقد طاعه الانس والجان وخدمته السحرة والكهان وسطا على كل مدينة وبلد ومما حكاه لي انه قوي العزم متين القوى لا يقدر احد من الفرسان ان يقف امامه بخلاف ما كنت تحكيه لي انت فانك لم تخبريني قط الا بانه كان عاقلاً محبوباً من جميع الناس وانه موفق وبعناية الله قد ساد على العجم والمصريين واليمنيين وغيرهم فاي متى اقدر ان اراه وهل يسمح لي الزمان ان اقبل يده واناديه يا ابي واقول له انا ابنك . فجرح هذا الكلام قلبها وتكدرت مزيد الكدر واذرفت من اعينها دمعة سخينة بالرغم عنها ولم تعد تقدر على منع ما بقلبها فقالت له نعم يا ولدي ان اباك بطل هذا الزمان وفارسه وقد ذل لسيفه كل جبار عنيد ولهذا السبب نراه بعيداً عنا ليقاتل الاعداء ويتسلط على بلادهم ويذلهم ولم تكن فيه الشجاعة وحدها مزية حميدة بل كل صفاته نادرة المثال فقد جمع الله فيه الحسن الذي لم يكن في غيره والفصاحة والحلم والرقة والكرم وكل شيء حسن وعليه فاني لا اريد ان تفكر بالشجاعة فالحكمة خير منها . واما اجتماعك به فلا بد ان الله يعيده الينا عن قريب منصوراً ظافراً ويراك على هذه الحالة فيفرح بك ويقبلك الوف قبلات ويسر منك كل السرور . فقال لها واذا كان لم يعد الينا منصوراً ظافراً فهل يمكن ان نذهب نحن اليه ونرى كيف حاله ونبقى عنده ومتى جاء نجيء معه . قالت هذا لا يمكن لان البلاد الموجود فيها بعيدة جداً وهو في الحرب ولا يقبل جدك الملك ضاراب ان نذهب اليه او نبارح هذه البلاد قال لها اني ساطلب من جدي ان يرسلني اليه لاني لا اقدر ان ابقى بلا ابي فاني احبه كثيراً فزاد هذا الكلام في احتراقها ولوعتها وكربت انسكاب دمعها وهي تحاول اخفاءه دون جدوى . ثم تركته وذهبت الى غرفتها وبكت لوحدها بدموع سخينة

وانت واشتكت ولامت الزمان وفعلهُ وما اوصل اليها من شرهِ وأذاه حتى كاد يغشى عليها ثم انشدت من فواد موجوع

على القلب المعذب ان يذوبا ويا دمعي عليك بان تصوبا
فوادٌ كلهُ امسى لهيبًا وجسم كلهُ اضحى مذوبا
اتذكر لي حديثًا عن حبيبي وتنكران ترى دمعًا صبيبا
بحمد الله افنى السقم جسمي فلا اخشى عليهِ ان يذوبا
واعجزت اللوائم والنواحي وأيأست العوائد والطبيبا
الى كم ذا العذاب وليت شعري على مَ اطالب يا بدر المغيبا
تجن جوانحي قلبًا طروبًا تكن شغافهُ شغفًا مذيبا
وحسب الشوق ان افنى دموعي وان الدمع قد افنى الغروبا
ومثلي من يذوب اليك شوقًا ومثلك سيدي يصبو القلوبا
وما قصرت في الكتمان لكن دموع العين اشهرت الرقيبا
وحق لمقلة فقدت كراها لفقدك ان تفيض دمًا سكوبا

وكانت عين الحياة ذات محبة صافية ووداد متين وتعلق بفيروز شاه نادر المثال حتى كان يندر بغيرها من ربات الحجال ان يحببن ازواجهن كحبها لهُ ولذلك كانت في حال غيابهِ هذه المرة اشد حسرة ونالمًا واحتراقًا مما قبل فكان لا يسليها الا مناشدة الاشعار والنظر الى ابنها اذ تتوسم فيه سمات اللطف المطبوعة على وجههِ الدالة على لوائح ابيهِ وعلائمهِ . وكذلك طوران تخت فانها بقيت ثابتة العزم في الحب وقد خالفت فيهِ من زعم ان الزواج وحصول كل من الزوجين يضعف من جسمها على التمادي ولا سيما اذا لم تربطهما الروابط الجبرية اسي ان الزوج والزوجة بعد زواجهما بسنة او سنتين تموت فيهما تلك الحاسة الفعالة المنبعثة عن شدة الحب والغرام السابق ولو لم ياتهما الاولاد لما يثبتان كثيرًا في وجه هذا الرابط المقدس وزعم ان الزوج والزوجة الذين يلدان ويقيمان على تربية اولادهما معًا على الغالب اشد حبًا لبعضهما من الزوجين اذا لم يلدا . غير ان طوران تخت كان حبها ينمو ويتزايد لانها كانت ذات صفات كريمة وهي تعلم انها تحب شخص مصفرشاه محبة دعتها اليهِ كرامتهُ وانها ارتبطت معهُ برابط الحب القديم وبداعي الشريعة المقدسة المطهرة فما من مانع اذن يقدر ان يمنعها عن محبتهِ وما من سبب اخر يدعوها الى ان تعمل على اضعاف حبهِ من قلبها لانها كانت ذات اطوار محمودة وضمير حي . ولما شاهدت في ذاك اليوم عمل عين الحياة وبكاها على غياب فيروز شاه تاثرت من ذلك كل التاثير ولهذا السبب هاجت بها الذكرى الى مصفرشاه واغتمت لكثرة غيابهِ وكيف انها اقامت بعده عدة سنين منفردة عن الناس لا ترى احدًا

سوى عين الحياة وولدها وهي مثلها قائمة على البكاء والنواح وعليه فقد دعاها شوقها الى بثما في ضميرها من الشكوى فانشدت

من انفس طال في الحب عناها	لم يدع منها الهوى الا دماها
اشرب الدمع ليطفي حرّها	نفد الدمع وقد بلّ صداها
ان تكن هانت على متلفها	فلقد عزّ دواها وعزاها
وطلول باللوى . بالية	جدد البلوى وما رثت بلاها
سحبت ريح النعامى ذيلها	في رباها فلذا طاب شذاها
انفذت عينيّ دمعي ودمي	واراقت في البكا حتى كراها
من معيري مقلة ابكي بها	فعسى يرتاح قلبي ببكاها
لو راى المحزون يوماً مقلة	للبكا تشرى بمال لاشتراها
لا يجف الدمع من اجفان ذي	شجن الا اذا الحزن ثناها
لمن العيس بوادي المنحنى	كالحنايا شدوها جذب براها
لم تزل تقطع احواز الفلا	بالفلا حتى طوته وطواها
رزماً كانت اذا سابقها	موشك البرق شأته وتلاها
وهي اليوم اذا ما زجرت	فترامى وقد الفتر خطاها
ضحك البرق عليها شامتاً	فبكت من عيها حتى بكاها
وكذا الدهر وشيك غدره	ما راى ذا عزة الا نفاها
كلما انت من الوخد اشتكى	الم الوجد اليها حاديها
ايها الركب فقولوا لي تؤجروا	بتلافي مهجة قبل فناها
بالذي قدّر ان تؤدي بنا	فرقة الاحباب لما ان قضاها
هل لكم علم بسكان الحمى	اي ارض نزلوا منها حماها
كل ارض نزلوها صيروا	تربها مسكاً وكافوراً حصاها
رحلوا ليلاً وفي اظعانهم	شمس حسن ليس يغشاها دجاها
اسي حين طالعت غرته	آية الليل محتها بسناها
ذو عيون كل من ابصرها	قال من ساعته ياقلب آها
انفت نفسي حياتي بعده	وحشة يا ويحها ماذا دهاها
فارقت لا عن نقال النها	فرات من بعده داراً بقاها

ثم سلمت بنفسها الى ايدي الامال وهي ترجو حسن الاستقبال قائمة على الذكرى ومناشدة الاشعار .

وهكذا كانت حالة انوش بنت الشاه سليم فانها مع ما هي عليهِ من الشوق والوجد والهيام والاشتياق الى فرخوزاد وحب التقرب منهُ كانت مهتمة كل الاهتمام بولدها اردوان لا سيما عند ما رات انهُ ميال لتعليم فنون الحرب والقتال والطعن والنزال ينتظر في كل اسبوع تجمع رجال الحرب في ميدان التمرين ليذهب اليهِ ويتفرج عليهِ ويتعلم ما يمكنهُ ان يتعلمهُ ولذلك سالت الملك ضاراب ان يعلمهُ هذا الفن الشريف فقال لها لا بد من ذلك لانهُ سيكون ذات يوم بهلوان البلاد بعد عمهِ بهزاد ولذلك دعا بعبد الخالق القيرواني ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشبلي الطلقاني وسلم كلاً منهما ولداً من اولاد الامراء اي سلمهم اردوان ابن فرخوزاد من انوش وشيروه بن خورشيد شاه من تاج الملوك وشيرزاد بن كرمان شاه من كولندان واوصاهم بالاعتناء بهم وتعليمهم كل ابواب الحرب وفنونها وتعويدهم على ركوب الخيل والغارات . فاجابوا طلبهُ واخذوا في انفاذ امره واما بزرجمهر بن طيطلوس فانهُ تقدم معنا ان والدتهُ نور بنت بيد اخطل الوزير كانت تعرف كل المعارف والفنون مع اصولها وفروعها فكانت لهُ استاذاً ومهذباً ومربياً بوقتٍ واحد وعودتهُ على كل خصال ابيهِ ومعارفهِ ودرستهُ كتبهُ وعلمتهُ لغات العالم المتنوعة بحسب ما كان يومل منها طيطلوس لانهُ كان مرتاح الفكر من هذا القبيل لعلمهِ ان الزوجة اذا كانت مهذبة صاحبة ذكاء وتدبير وحكمة تنفع ولدها باكثر ما ينفعهُ الاساتذة والمربون والمهذبون والمدارس بحيث تكون قادرة على ان ترضعهُ تلك المعارف منذ ارضاعه لبنها وتدرجه على حسن الاطوار حين تدريجهِ في حال الحيوة فينمو ويشب ولا يرى امامهُ الا حكمة وتهذيباً وكيف ما مال يرى التفاتاً وعناية وان الام مع ما هي عليهِ من الشفقة والحنو تقدر على تربية ولدها تربية حسنة اذا استعملت الادراك والحكمة حال تحريكهما اي تحريك الشفقة والحنو وعليهِ فان بزرجمهر هذا يخرج اقدر من ابيهِ حكمة وادراكاً ومعرفة ويكون لهُ شان عظيم واسم اعظم في كل الدولة الفارسية واننا سنترك اولاد الامراء والفرسان على تلك الحالة وهم يتقدمون في السن والمعارف حتى كادوا يقربون من درجة التراهق ونرجع الى ما يجري في بلاد الصين الى حين مسيرهم اليها ووصولهم لمساعدة ابائهم ونصرتهم

تركنا طيطلوس يقاسي شدة الحرب والقتال مع ديدار وعساكر الصين وقد تجمعوا عليهِ كل التجمع وهو يدبر بحكمتهِ وعنايتهِ حالة الحرب ويطاول فيها ينتظر الفرج دون ان يحصل عليهِ فيحاصر اياماً في الاكام ويحارب اياماً يفرق الجيوش بحسب معرفتهِ وتدبيره وخورشيد شاه وجمشيد شاه على الجيوش يدافعان عنها ويناضلان بكل جهدهما وعنايتهما ومثل ذلك كانت الجيوش تظهر جهدها وتقاتل اشد قتال لتثبت الى حين مجيء فرسانها ورجوع ملكها وسيدها اليها وكانت تتاخر يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وهي مصرة على الثبات وجهان يطيل معها الحرب والقتال

ويحاول هلاكها بالوباء او بالجوع اذا فرغ منها الزاد او قل منها العلف وهي كلما قل معها الزاد ترسل فتحضر من مدينة السرور ما يكون قد تهيأ لها حتى مضى على ذلك عدة سنوات وفي كل صباح ينتظرون ان يصل اليهم سيدهم فيروز شاه لانهم لم يقطعوا الامل من وصوله قط بل كان لهم كبير امل برجوعه اليهم ويعلمون ان وجوده بينهم يعيد لهم النصر والظفر وكان طيطلوس الحكيم يقوي فيهم هذه الامال ويعيدها عليهم في كل يوم ليثبتهم في وجوه الاعداء ولا يضعفهم الياس وقطع الرجاء

هذا وكان قد تقدم معنا ان فيروز شاه ورفاقه كانوا قد نقلوا الى بيت فيرموز الجراح وان ونك قصد البيت المذكور للقبض عليهم غير ان فيرموز لما ادخل فيروز شاه وامراء الفرس كان خائفاً كل الخوف من الجارية ان تذكر خيانته لدى الملك جهان فيتذكر انهم ربما يكونوا عنده ولذلك خرج الى بيت اخ سعدان ليرى ما يحل به فوجده قد قبض عليه وعلى اولاده والعساكر قد نهبت بيته ولم تبق له شيئاً واخذوهم الى ساحة العذاب فعرف ان لا بد من وصول الدور اليه ولم يكن خوفه على نفسه بل على الامراء المذكورين ولذلك جاء الى منزله ودخل على فيروز شاه وقال له اعلم يا سيدي ان بيتي هذا مطلوق لكثرة ازدحام الناس عليه على الدوام من المجاريح والمصابين بالاوجاع واخاف ان يطلع احد على امركم فيه بينما انتم تدبرون الى المرور من ابواب المدينة والخلاص منها وقد وجدت من الاصابة نقلكم الى بيت والدتي لانه منزو في مدخل ضيق ينتهي الى صدر حي لا يمر فيه الا جماعة من الشحاذين او الذين لا يهمهم مثل هذه الامور مع ان المكان واسع لطيف يوافق لاقامتكم فيه الى حين تدبير طرق الخلاص . فقال بهروز اني كنت في شاغل من اقامتنا في بيتك فاسرع بنا الى منزل امك فاننا في حاجة الى مثل هكذا منزل الان . وفي الحال نهض بهم وسار من بيته وقلبه يخفق من ان يعلم بوجودهم احد غير ان الناس كانوا مشغولين بما يجري على اخ سعدان واولاده والفكر موجه الى ان امراء ايران عنده يعرف مكانهم ولا زال سائراً الى ان وصل الى بيت امه وقال لا ابقي هؤلاء الضيوف عندك واياك من ان تعلمي احداً بوجودهم والا اذا عرف احد بذلك افقد حياتي واموت لا محالة فوعدته ان تكتم امرهم وادخلتهم الى داخل بيتها وقامت في خدمتهم ولم يكن هناك غيرها . واما فيرموز فانه خاف من ان تبح زوجته بامر رجال الفرس فاسرع ودعاها اليه وقال لها اني الان واقع بين خطرين فاذا ذكرت شيئاً عن الفرس ووجودهم لا اخلص من غضب الملك واكون قد فعلت خبثاً ومكدراً معهم لانهم ملوك الزمان ومثلنا يعبدون الله سبحانه وتعالى ويخدمون كلمته واذا لم اعترف بهم ولم اذكرهم لا بد من عذابي وعذابك ايضاً لنقر ونعترف وهذا افضل علي جداً من ان القي برجال الله الى ايدي اعدائهم عبدة النار وكل خوفي الان من ان تعترفي او تذكري شيئاً عنهم ولا بد من سوالك فماذا تقولين . فضحكت من كلامه

وقالت له انظن انكم انتم الرجال اشد منا امانة وحفظاً على السر فسوف ترى اني وان قدمت الى الموت ابقى محافظة على غايتك والاقي الموت برغبة وقبول دون ان ابدي الك ما يغيظلك ويكدرك ويذهب براحتك فموتي اهون لدي بكثير من ان يقال عني اني خنت رغائب زوجي وفعلت ما لا يرضيه . وكان فيرموز يعلم ان زوجته من افاضل النساء وانها محبة له تحافظ على وصاياه كل المحافظة ولذلك ارتاح ضميره من قبلها ولهذا نقل من بيته كل ما هو عزيز عنده من مال ومجوهرات ونحوها وعاد الى البيت وهو لا يعلم ماذا جرى على اخ سعدان واولاده بعد قدومهم الى ساحة العذاب الا انه ما استقر في منزله حتى كان قد وصل اليه ونك ومن خلفه الجند ورجال الشرطة واحاطوا بالمنزل من كل جهاته ودخل هو بفرقة منه الى الداخل وقبض في الحال على فيرموز وعلى زوجته واسرع الى التفتيش في كل انحاء المنزل دون ان يجد احداً منهم ومن ثم عاد الى الخروج وساله عن امراء الفرس فقال له لا اعرف ماذا تعني فاين هم امراء الفرس واين وجودهم وماذا يوصلهم اليّ وهل يقال عني وانا جراح الملك وطبيبه اني اخونه واقبل في بيتي اعداءه . قال لا بد من انك تعرف بمكان وجودهم فان اخبرت به صادفت خيراً وتركتك والا عذبتك نشديد عذاب وفعلت بك ما فعلت باخ سعدان فقد قتلت ولديه وتركته مخدشاً من الضرب والاوجاع فلما سمع فيرموز هذا الكلام تكدر على فقد اولاد اخ سعدان وعوض ان يخاف من ان يصاب مثله بالعذاب مالت نفسه الى ان يقتدي به وقال في نفسه لله درك يا اخ سعدان ما اشد امانتك وحفظك على رجال الله ولا ينبغي ان اكون اقل امانة منك . ثم قال لونك العيار اذا فعلت بي اضعاف ما فعلت به لما قدرت ان تعرف شيئاً لاني بريء وكيف يعذب البري واني اعرف ظلمك وغدرك وخيانتك لرجال وطنك فافعل ما انت فاعل واني أسلم امري لله سبحانه وتعالى

قال وكان ونك قد راى زوجته فعرف انه يقدر ان يعرف منها لعلمه ان النساء لا يكتمن الاسرار ولا يثبتن عند العذاب ولذلك امر ان يقبض عليها وتوثق وتقاد الى ساحة العذاب حيث موجود اخ سعدان فقبض عليها وسيقت مع زوجها وهي تحمل العذاب والاهانة بصبر جميل الى ان وصلوا الى نصف الساحة وهناك امر ونك ان تقدم الامراة فقدمت فقال لها انظري الى هذه الساحة كيف ملطخة بدماء اخ سعدان واولاده وهوذا شاول ولديه المقتولين امامك لانهما اصرا على العناد والكتمان وهكذا يصير بك وبزوجك اذا امتنعت عن اخبار الحقيقة فاعلميني اين سار امراء الفرس وفي اي مكان موجودين . فقالت اني لا اعرف ما تقول ولا اعرف امراء الفرس ولا غيرهم ولا ارى غير وجه زوجي فلا تظلمني يظلمك الله ويحرقك بنار وعيده . فاغتاظ من كلامها وامر ان تلقى الى الارض وان تجرد من ثيابها وتضرب وفي ظنه انها متى ضربت اعترفت ولم يكن من اصحاب العرض والناموس ليشفق عليها ويراعي حرمة فضيحتها ولما كان الشرط مامورين بطاعته اجابوا

طالبة وهم مكدرون منهُ واخذوا في ان يضربوها واخذ هو سوطًا وجعل يضربها و يقول لها اخبريني بالحقيقة فارفع عنك العذاب وهي مصرة على التجاهل الى ان غابت عن الوعي واخذت في النزاع وهو لا يشفق ولا يرحم حتى ماتت وفارقت روحها جسدها فانفطر عليها كل قلب وحزنوا كل الحزن وكانت من بنات اشراف الصين وقد بلغ الخبر اباها فهاج وارغى وجاء ساحة العذاب وهجم عليها وبكى واعن ونك وتحزب لهُ جماعة من اقاربهِ وكثير من الناس الذين يعرفون بفضل فيرموز لانهُ كان صاحب حسنات ومعروف يداوي الكثير منهم بلا اجرة وحالوا بين ونك و بين فيرموز وقالوا لا يمكن ان نتقاعد في هذا الامر فقد قتلت اولاد اغ سعدان وعذبتهُ ومن ثم قتلت زوجة فيرموز وهي من بناتنا فكيف يمكن ان يكون عندها علم برجال الفرس ولا تخبر بهم ثم انقضوا على الامراة فرفعوها بين ايديهم على تلك الحالة ورفعوا ولدي اغ سعدان على عواتقهم وساروا باغ سعدان ايضًا واسرعوا الى دار الحكومة وكان قصد ونك ان يدافع عنهم بجماعة من الجند فلم يقدر لان الشرط لم يقبلوا ذلك وصاحوا ان ملكنا لا يقبل ذلك ولا يليق بنا ان نهلك رجال المدينة على هذه الصفة وساروا مع من سار الى الملك جهان وكان اذ ذاك في ديوانهِ ينتظر خبرًا من ونك بوجود الفرس و بالقبض عليهم واذا بهِ يسمع اصواتًا وغوغاء وصياحًا فسال ما الخبر فقيل لهُ ان جمهورًا من الاهالي يقصدون الدخول عليك . فاذن لهم بالدخول وهو منعطف الخاطر لا يعلم ماذا يريدون وقد حسب حساب وقوع مصاب جديد ولما دخلوا عليهِ سجدوا لهُ كالعادة ثم وقفوا وتكلم ابو امراة فيرموز وقال انت تعلم يا سيدي اننا منذ نشاة هذه الدولة الى هذه الايام ونحن مكرمون فيها لا نهان قط من احد واعتبارنا عند ملوكها لا يزال باقيًا سلفًا عن خلف ونحن مخلصون في خدمتنا للدولة نقدم اموالنا ورجالنا ولم يكن في عهدنا ان نكافى على افعالنا الحميدة بالقتل والاهانة والفضيحة ثم امر ان ترمى بنتهُ امام جهان وقال انظر كيف صار ببنتي من عيارك الظالم الغادر الخائن فلو كان ممن يسعون في حب الدولة لما سعى في اهانة ساداتها اهكذا يفعل بنسائنا باعينا ترى ولا نتكلم املاً بوجود الاسارى او غيرهم الذي قد يمكن ان يستحيل وجودهم في بيت احد من مثل صهري فيرموز ولولا طمع ونك منك بالمال لما قدم على مثل هذه الاعمال ولو ترك على غايتهِ لا حضر رجال المدينة واحدًا بعد واحد يعذبهم و يعذب نساءهم و يبنهم ليحصل على كمية من الدراهم . ثم تقدم بعده جماعة من الذين شاهدوا اعمال ونك وحكوا مفصلاً امام الملك وقالوا اننا لو لم نعلم انهُ منوض منك لقتلناه غير اننا نعرف انهُ عيارك ومنفذ امرك فصبرنا عليهِ الى ان وجدنا منهُ مثل هكذا افعال قبيحة كقتل زوجة الجراح فثبت عندنا انهُ لا يمكن ان يكون حاملاً لامرك بمثل هذه القبائح ولذلك منعناه . ثم رموا ايضًا بجثة علم الدين ومردار ولدي اغ سعدان وقدموا اليهِ ايضًا اغ سعدان وهو بتلك الحالة التي تلين قلب الجماد

قال فلما راى جهان هذه الحالة انفطرت مرارتهُ وكان كما تقدم معنا سابقًا لين العريكة يحب العدل والانصاف ويكره الجور ويعتقد برداءة عواقبهِ ونظر الى وزيره مهريار فراه ينظر الى المقتولين ويبكي بدموع غزيرة فتاثر هو ايضًا ونزل عن عرشهِ وقال لقد اخطأ ونك وارتكب امرًا عظيمًا فاتوا بهِ اليَّ فادخلوه وهو غير مبال بهذه الحالة . فقال لهُ جهان اني امرتك ان تذهب الى بيت اخ سعدان فتقبض على من عندهِ من امراء الفرس وتاتني بهِ مقيدًا هذا اذا كانوا في بيتهِ فذهبت وفعلت ما لاتحلل النار فعلهُ وقتلت ابني اخ سعدان وعذبتهُ العذاب الاليم فلو كان يعلم بوجود امراء الفرس لما احتمل مثل هذه الاهانة والعذاب ولا قبل بموت ولديهِ ولم يكفك ذلك حتى تعديت على الحريم وقتلت سيدة من سيدات الصين لاتنظر الى عاقبة ذلك امرتك بالتفتيش والبحث ولم امرك بالموت والعذاب . قال اني عرفت ان لابد ان يكون عند احد الاثنين اي اخ سعدان وفيروز علم بوجود رجال الفرس ولذلك طلبت منهما الافادة فلم استفد شيئًا لانهما يعبدان الاله الذي يعبده اولئك ويحفظان حرمة بعضهما . قال لقد فعلت قبيحًا واهان كلام ونك عموم الحاضرين فلم يرَ جهان بدًّا من قصاص ونك ترضية للناس ولاهل المائتة ووجد انهُ يستحق ذلك . ثم امر ان يرمى الى الارض ويضرب عشرين سوطًا ففعلوا وهو يصيح ويستغيث على ما اصابهُ الا انهُ كان سميك الجلد لا يوثر فيهِ الضرب متى رفع عنهُ ولا يتالم منهُ باكثر من وقت وقوعه عليهِ وكان مهريار تالم كثير الالم من عمل ونك باخ سعدان وفيروز لانهما مثلهُ يعبدان الله وقصد ان يوقع بونك ودخل في ذهنهِ ان فيروز لابد ان يكون تحت معرفتهما وقد جاء لاجل خلاص الاسرى وخلاصهم وانهم تخلصوا بمساعدتهما وتاقت نفسهُ كل التوق الى ان يعرف فيروز شاه ويتعرف بهِ ويود مقابلتهُ ولذلك اراد ان يهتم بحسم هذه المسالة ومنع التفتيش في البيوت فدنا من جهان وقال لهُ لا يجب ياسيدي ونحن في ظروف كهذه ان نغفل عن مراعاة راحة العباد وعدم قلقهم مع انهم يبيعون ارواحهم في سبيل قيام المملكة وتعززها واني قانع كل القناعة ان امراء الفرس لا وجود لهم عند اخ سعدان وفيروز وقد ظلما وقتل ولدا الاول وزوجة الاخر ظلمًا وعدوانًا وكيدًا من ونك ولا علم لها بهم وعندي ان لابد من وجود اسباب عدوانية بين اخ سعدان وهذه الجارية التي سعت بهِ لديك ووشت عليهِ ومن الواجب معرفة ذلك لنعرف الاسباب الداعية قال وانا ايضًا افكر بهذا الامر ولا بد من عداوة او سبب قصدت لاجلهِ الانتقام من اخ سعدان فاسال انت عن هذا الامر والحصة بمعرفتك واجل الحقيقة في هذه الساعة لننتقم من المتعدي . فاجاب سوالهُ وفي الحال امر ان يقدم اخ سعدان الى بين يدي جهان فلما وقف قال لهُ ان ما اصابك لم يكن بعلم مني بل كان من ونك وونك لم يكن مخطيًا كل الخطاء بل كل الشر كان من المخبر الذي وشى عليك فهل بينك وبين احد عداوة دنوية . قال اخبرني يا سيدي من الذي قصد ضرري

ومن الذي اخبرك بهكذا امر لا اصل ولا فصل لهُ . قال هي الجارية التي كانت عندك وقد خدمتك كل هذه الايام واكلت في بيتك وربت كل اولادك وخدمتهم . قال اعلم ياسيدي ان زوجتي ماتت وولدي صغيرين ليس لهما من يخدمهما لا عمة ولا خالة فدعتني الضرورة ان استاجر هذه الامرأة وكانت اذ ذاك في سن الصبا وقد طمعت بان تكون هي صاحبة البيت اسم زوجتي وقالت لي انها لا تقبل ان تقيم في بيتي الا اذا تزوجت بها فقلت لها ان ذلك لا يوافق ما دام ولدي صغيرين لكن عند كبرهما اتزوج بك ولا يكون اذ ذاك من مانع فاقتنعت من كلامي وهي على امل منهُ وانا لا اعتمد به لاني لا ارغب ان اقترن بفتاة وما قلت لها ذلك الا لتقوم بمداراة اولادي حتى القيام وعلى هذا الوعد بقيت الى هذه الايام وفي كل مدة تراجعني وتطلب اليَّ الايفاء وانا احاولها وقد يظهر لي الان انها قطعت رجاءها من زواجها بي وادركت سر غايتي وعرفت اني لا ارغب فيها ولا اريدها فغاظها ذلك وكدرها ورماها في الياس ولما لم ترَ وسيلة للانتقام مني وقد وجدت نفسها في حالة اهمال ترقبت الفرص وانتظرت الزمان الموافق الى ان سمعت باخبار الاسارى وهربهم فقصدت الاضرار بي من هذا الباب وفي ظنها انها تشهد عليَّ بهِ ولا خفاك ياسيدي انها خرجت من البيت ولم اكن اعرف انا ولا كنت حاضرًا اذ ذاك ولا لاح بذهني قط انها تاتي لبين يديك بمثل هذه الوشاية وقد اقمت في بيتي منتظرًا عودتها . فلو كان رجال الفرس عندي فالى اين اذهب بهم ومن اين يصلون اليَّ وانا كل نهاري في غرفة الكتابة قائم على ضبط حسابات الدولة فهل يصدق ان ادخل لبيتي جماعة الاعداء ولو كنت اعرف بمكانهم لاخبرت بهِ حالاً ولا قبلت ان تسقط شعرةٌ واحدة من راس احد ولديَّ اللذين قتلها ونك ولا احتملت عذابهُ ونظرت الدماء تتدفق من جسدي كما تراها الان . ثم بكى اخ سعدان وصاح وا ولداه وا حشاشة كبداه هما سلوتي في الدنيا وحيدان ليس لي من معين غيرهما احرق قتلها كبدي والهب فوادي فلا سامح الله الظالمين الطغاة وبكى ايضًا فيرموز على زوجتهِ بكاء الثواكل وكذلك ابوها حتى بكى جهان وقال لاخ سعدان سامحني بما فعلت معك فاني وان كنت لست المتعدي عليك لكن كنت السبب بهذا التعدي واني امرت ونك ان يذهب اليك واذا لم تسامحني فلا يليق بي ان اكون رسول النار لاني فعلت ما لا ترضاه وغاب عن ذهني معرفة الحقيقة حتى جليت الان وسوف تظهر الحقيقة اكثر فاكثر

ثم ان جهان امر الجميع ان يخرجوا من حضرتهِ وان يوتى بالجارية فخرج الجميع وقدموا الجارية لبين يديهِ فامر مهريار ان يسالها بحضوره ليعلم صحة العداوة الواقعة بينها وبين اخ سعدان فقال لها مهريار ان ما حكيتهِ عن اخ سعدان وجد صحيحًا وقد قبض على رجال ايران وجازينا المذكور على فعلهِ لكن عرفنا انهُ كان وعدك بالزواج فلما لم تتزوجي بهِ عندما كنت في بيتهِ وكيف لم ترض بذلك . قالت اني راضية بهِ ياسيدي كل الرضاء غير ان اخ سعدان رجل كذاب منافق

خينت اتى بي الى بيتهِ ووعدني اذا خدمت لهُ اولاده حتى الخدمة اقترن بي وجعلني صاحبة بيتهِ فصبرت كل هذه المدة وانا ارجو منهُ الوفاء وإن يقترن بي فلم يفعل حتى كبر اولاده فاعرض عني كل الاعراض والحمد لله الذي قتلا وذاقا الممات فهذا جزاءه النازلة على خدمتي وجدي في سبيل ترتيب بيتهِ فقال لها مهريار وهل لم يدفع لك اجرة وانت على خدمتهِ . قالت نعم لكن لم اكن راغبة بالاجرة بل كانت غايتي ان اقترن بهِ واكون كبقية النساء ذات بعل . فقال لها لقد قلت في المرة الاولى ان لك اكثر من اربع سنوات على خدمة رجال الفرس في بيت اخ سعدان وانك حبًا بصالح الملك والملكة اتيت لاعراض امرهم لديهِ فلما لم تات منذ البداية اي من حين دخول الفرس لبيت اخ سعدان الى سيدي الملك واخبرتهِ بهم ليعرف منك حبك له ولدولتهِ . فلم ترَ لهُ جوابًا على سوالهِ بل تلعثم لسانها . فاستدرك مهريار الامر وقال لجهان لقد ثبت وجود العداوة الان بين هذه الكاذبة واخ سعدان فهي تستحق القتل على كل حال لان ان كان وجود امراء الفرس منذ اربع سنوات عند اخ سعدان وكتمتهُ تكون قد شاركتهُ بالخيانة ووافقتهُ عليها واذا كان كلامها من قبل الكذب بناء على العداوة التي اعترفت بها فتكون السبب بموت اولاده وزوجة فيرموز فاقتنع جهان بذلك وثبت لديهِ كل الثبوت ان كلام الجارية كذب وفي الحال امر ان ترفع من بين يديهِ الى ساحة العذاب وان ترفع على خشبة هناك وتمات صلبًا . فهجم عليها الجنود اجابة لطلب الملك ورفعوها على خشبة وعلقوها في نصف الساحة التي عذب بها اخ سعدان . ومن بعد ذلك امر الملك ان يدفع لاخ سعدان دية ولديهِ وان يضاعف معينهُ ومثل ذلك لفيرموز وامر الاخر الجراح ان ياخذ اخ سعدان الى بيتهِ وان يداوي جراحه ويصرف كل العناية لشفائهِ وراحتهِ وسالهُ السماح عنهُ وعن ونك وان لا تبقى ضغينة في قلبيهما فسجدا لهُ وقبلا الارض بين يديهِ ودعيا لهُ بطول العمر وخرجا من عنده مسرورين والناس تحمد الملك وتشكره على عدالتهِ ورحمتهِ وكيف انهُ جازى المتعدي على تعديهِ وهكذا انحسم هذا المشكل وانتهت غاية مهريار الوزير على احب ما يريد ويشتهي وهو يتمنى ان يذهب الى فيروز شاه ويلاقيهِ وقد ثبت كل الثبوت عنده ان امراء الفرس في المدينة وان فيرموز واخ سعدان يعرفان بوجودهم وصبر الى الليل ليذهب الى بيت فيرموز ويستعلم عن الحقيقة

قال وبعد ان خرج فيرموز ذهب باخ سعدان الى البيت والدتهِ لمداواتهِ وكان فيروز شاه وجماعتهُ قائمون هناك فراها ساعية وهي تتوكا على عصاها وتسرع بالمسير . فاندهش من عملها وتركها البيت وقال لها الى اين انت ذاهبة الان وكيف تركت الضيوف . قالت اني ذاهبة الى الملك جهان لاعلمهُ بان الضيوف الذين عندي هم المطلوبون اذ بلغني انهم قتلوا زوجتك لهذه الغاية ولم تعترف واخذوا بك الى جهان وخفت من ان يلحق بك اذى والناس تواردت هذا الكلام كثيرًا

فلكي نرفع الشبهة عنا قصدت ان ابلغ الملك ليرسل من يقبض عليهم فصاح بها وقال لها اسكت ولا تفوهي بكلمة من هذا المعنى واذا ذكرت شيئًا قتلتني لان الملك اذا عرف اني كذبت عليهِ وقبلت اعداءهُ قتلني فاياك من ذكر شيء من هذا اذا كنت ترغبين في سلامتي وراحتي . فقالت الحمد لله الذي ما وصلت الى الملك والذي وجدتك هنا . ثم ارجعها الى بيتها وادخل اخ سعدان على امراء الفرس وهو ملوث بالدم وجسده مثخن بالجراح فاغتاظ فيروزشاه من هذا المشهد القبيح وسال فيروزمز عنهُ وما هو السبب الموجب لهذا العمل فحكى لهُ كل ما وقع عليهم من ونك وكيف قتل والدي اخ سعدان احدهما عذابًا والاخر حرقًا وكيف عذبهُ العذاب الاليم واخيرًا قتل زوجتهُ هو وجميعهم مصرون على عدم الاعتراف فلما سمع هذ الكلام عض كفيهِ من الغيظ وصاح على غير وعي من الالم وبكى بكاء الثاكلات وعظم عليهِ الحال وكبر لديهِ وقال لفيرموز لقد اخطاتم فكان احرى بكم ان تخبروا بوجودي فاني اقدر وانا مع ابطالي هولاء وفرساني ان اوقع برجال المدينة واخلص الذين قتلوا وسفكت دماؤهم وهم ابرياء لا ذنب لهم ولا خطيئة فوالله العظيم واقسم باشد الايمان ان لا بد من قتل ونك وعذابهِ اشد العذاب واني ادم الزمان الذي رمى بي الى هذه المدينة ومنع طرق الخروج عني والان قد ارتاح ضميري من كل شيء من جهة امراء دولتي الذين كانوا في الاسر وساجهد نفسي الى تدبير وسيلة لرجوعي الى عسكري الذي لا اعلم ماذا جرى عليهم وماذا صار بهم . فقال بهروزانهُ ما زال بهزاد في المعسكر لا خوف عليهِ من الاعداء فهو قادر ان يصونهُ ويحميهُ الى حين وصولنا ولو بقينا عدة سنين واما نحن فلي ثقة اننا في هذه الايام نبارح المدينة ونعود اليهم ونوقع بالاعداء ونجاريهم على افعالهم . وحينئذٍ قال فيرموز اني اخفيت عنك شيئًا يا سيدي لم يكن في قصدي ان اخفيهِ انما سهى عن بالي ذلك وهو ان بهزاد اخذ اسيرًا وبعث الى قلعة سوسان شهر . فصاح فيروزشاه صيحة الاسف وشعر ان مرارتهُ قد انفطرت وكاد يغيب عن الصواب وقال من الذي قدر عليهِ واسره . فحكى فيرموز لهُ ما وقع بين ديدار بن كركاني الساحرة وكيف انهُ اسره وارسلهُ الى بلاده . فزاد ذلك في غيظ فيروزشاه وندم على دخولهِ الى المدينة وعرف ان كل ذلك بسماح من الله وسال فيرموز عما يسمع عن حالة الفرس وهل هم ثابتون في القتال قال نعم يا سيدي كانوا قد ثبتوا مدة طويلة انما في هذ الايام بحسب ماهو شائع انهم في ضيقة عظيمة وقد لجئوا الى الاكام وعساكر الصين مع عساكر ديدار نطاردهم ولا تمضي ايام قليلة الا ويتفرقون كل مفرق هذا ما كنت اسمعهُ قبل هذين اليومين الذين وقعت علينا هذه المصيبة بهما واما في هذا اليوم فلم اسمع شيئًا وفي الغد ان شاء الله اتيك بالاخبار الصريحة . وكان فيرموز يتكلم وفيروزشاه وامراؤه الفرس جميعًا يحترقون مزيد التحرق ويعضون على اكفهم ويطلبون من الله ان يكون خلاصهم من المدينة قبل تفريق الجيش ليدفعوا عنهُ المصائب ويعيدوا اليهِ انتظامهُ والا

فلك ولا يعود الى الانتظام مرة ثانية

قال كل هذا يجرى في المدينة مما نقدم ذكره وجيوش ايران عاملة على الحرب والقتال واقفة في وجوه رجال الصين وديدار وهي ترى امامها مستقبلاً مجهولاً لا تعلم مصيرها الى خير او الى شر اذ كانت تتوقع رجوع فيروزشاه وبرجوعه يرجع اليها النصر والظفر وتعيد لنفسها العظمة والمباهاة التي كانت لها قبل غيابه او انهُ يتاخر رجوعهُ عنها فتعدم قوتها ولا تعود تقدر على الوقوف في وجه اعدائها فتتبدد ولا تعود تقدر على الاجتماع مرة ثانية وثبتت على هذه الحالة الى تلك الايام التي كان فيها فيروزشاه في داخل المدينة عند ام فيرموز كما تقدم ايراده حتى ضعفت شوكة الايرانيين كل الضعف وشعروا بما هم عليهِ من التاخر فاجتمعوا عند طيطلوس لينظروا في تدبير امر ينجيهم من تلك الضيقة الى حين اوان الفرج. فقال لهم طيطلوس اني رايت بينما كنا آتين من مدينة السرور الى هذه البلاد جبالاً صعبة المسالك متينة الا اني لا اعلم اذا كان يوجد فيها ماء او مرعى لرعي خيولنا ومواشينا اذا اقمنا عليها وحاصرنا داخلها ولهذا اريد ان يذهب طارق العيار الى تلك الجهات ويرى لنا مكاناً مناسباً فيها نحاصر الى حين اتيان الفرج. فاستصوبوا رايهُ وبعثوا طارق يكشف لهم الاخبار. وفي نفس تلك الليلة اجتمع منكوخان بديدار وتفاوضوا في امر القتال فقال منكوخان ان الاعداء قد اصبحوا على نية التفريق فلا يثبتون في هذه النواحي اكثر من يومين او ثلاثة ايام ثم ينقرضون وتنفرط جموعهم. قال اني اعرف ذلك وعليهِ فقد عولت في النهار الاتي ان افاجئهم بكل جهدي واسد عليهم كل الابواب حتى اذا كان المساء ولم ينتهِ القتال احط بالقرب منهم واضايقهم كل المضايقة وفي الصباح اباكر عليهم فلا بد من انهم يتفرقون ويبادون ثم انهم باتوا على مثل هذه النية ورجال الفرس تفكر بالهرب والالتجاء الى الجبال والاحتماء من الاعداء وهي في حالة ذل وانكسار تنوح حظها وتبكي حالتها وتطلب من الله تعالى قرب الفرج ولا تعلم اي متى يكون ورجال الصين وديدار فرحون ومسرورون بما نالوه من النصر والظفر يتخابرون بامر انقراض الاعداء وطردهم عن تلك الديار

وفي صباح اليوم التالي نهضت عساكر الفرس الى الامام واصطفت عساكر الصين وفي عزمها الهجوم وانهاء ما نويت عليهِ في ذاك النهار الا انها قبل ان اجرت ذلك تقدم بيلتا الى طيطلوس وقال لهُ اريد منك ياسيدي ان تسمح لي هذا النهار بقتال ديدار لانهُ لم يعد بين رجال الفرس من الفرسان غيري واني احب المطاولة بالنزال مع ديدار عسى ان الله سبحانهُ وتعالى يخولني بالنصر عليهِ فارفع عن قومي شر سطوتهِ فدعا لهُ بالتوفيق وقال لهُ انزل اليهِ وافعل ما بدا لك وفي الحال توسط الميدان وصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان ثم وقف في الوسط وصاح باعلى صوتهِ ويلك ديدار ان كنت من الفرسان الشداد ابرز اليَّ في هذا اليوم لانجز امرك واقصف عمرك

وان كنت لا تعرفني فانا بيلتنا بن فيلزور البهلوان اخو بهزاد الذي غدرت به وهجمت بكل عسكرك عليهِ . قال فلما سمع ديدار كلامهُ ارغى وازبد وقام وقعد وسقط الى امامهِ وقال لهُ ويلك ايها الصغير السن انظن بنفسك انك تقف امامي او تقدر ان تلقى شدة حربي وصدامي ثم هجم عليهِ هجمة الاساد فالتقاه بثبات عزم وفواد . واخذا في الطعان والطراد . حتى غابا عن الابصار . تحت حجاب ذاك الغبار . وهما تارة يجتمعان وتارة يفترقان . كانهما اسدان ضرغامان . لا ياخذهما عن الحرب هدو ولا توان . ولا يخافان من التعب . او يحسبان حساب الهلاك والعطب . حتى نظرت اليهما اولئك الابطال نظر العجب . وعلموا انهما من الفرسان المعدودين بين العجم والعرب وبقيا على مثل هذا الامر . وهما بقتال اشد من لهيب الجمر . وكل طائفة من الطائفتين تدعو لصاحبها بالنصر الى ما بعد العصر . واذ ذاك خافا من فوات الوقت دون ان يبلغ احدهما من الاخر القصد والمرام واختلف بينهما ضربتين قاضيتين بالهلاك والاعدام وكان وقوعهما على الدرق بوقت واحد فوقعت ضربت ديدار على طارقة بيلتنا وسقطت عنها بقوة عزم ومتانة زند فاصابت فخذه وجرحتهُ جرحًا بليغًا غيبهُ عن الصواب وسقطت ضربة بيلتنا عن طارقة ديدار الى رقبة جواده فبرتها كما تبرى الاقلام وفي الحال هجمت الابطال الى خلاصهما وادرك خورشيد شاه بيلتنا فانتشلهُ من الميدان وادرك منكوخان ديدار فرفعهُ ودام القتال الى المساء وافترقوا على تلك الحالة ينتظرون الصباح وقد تكدر طيطلوس كل الكدر مما اصاب بيلتنا لانهُ هو وحده كان الباقي بين الرجال وكشف عن جرحهِ فوجده بالغًا وانهُ يحتاج الى عدة ايام الا انهُ غير خطر فصرف اكثر ذاك الليل في مداواته ووضع المراهم عليهِ الى ان انقضى الليل وجاء الصباح

قال وفي الصباح نهض الفريقان الى ساحة القتال وقد ركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول وتعددوا اعظم تعداد وتقدمت عساكر ايران من بين الاكام على مثل تلك الحالة وفي مقدمتهم خورشيدشاه وهو كالاسد الكاسر وقد نظر طيطلوس الى الاعداء فوجدهم على استعداد فوق العادة وقد اقلعوا خيامهم ورفعوها على البغال فعرف ما نووا عليهِ وانهم يقصدون في المساء ضربها عند حدود عساكره ليضايقوه كل المضايقة وعليهِ امر هو ايضًا جماعة من الخدام ان تقلع الخيام وترجع بها عند اشتباك القتال الى مسافة ثلاث ساعات فتضربها هناك فلا تنفذ فيهم غاية الاعداء . ولم يكن الا القليل حتى حملت الابطال على الابطال والتقت الرجال بالرجال . واتسع على الفريقين سوق المجال وبطل بينهما القيل والقال . وسلما بارواحهما الى البيض الصقال . وودعا هذه الدنيا وداع الارتحال . ولاقت عساكر ايران من المصائب والاهوال ما لم يسبق ان لاقتهُ منذ اجيال . لان ديدار فعل فيها فعل الابطال . وغاص فيها من اليمين الى الشمال . وقد خلا لهُ الجو فطال واستطال . ولم يكن في رجال ايران من يمنع شره او يلاقيه او يدفع ضره او يدنيهِ ولهذا كانت تفر

بين ... ق الكبير وكان خورشيدشاه قد ثبت في ذاك النهار . ثبات الجد وال... وحاميها بعد غياب ابطالها . وابتعاد اقيالها . الا انهٔ كان غير كا... الصين كانت اضعاف الاضعاف وهي مومِلة بالنصر تقاتل من قلب ... نهاية الحال وانفلال الاعداء من اقرب مجال وقد اشتدت ظهورها بديدار . الاسد ... المغوار . و بقية الحرب قائمة على تلك الحال الى ان ضربت طبول الانفصال . وكف الفريقان عن الحرب والقتال . وحينئذ نزل ديدار عن ظهر الجواد وامر ان تنزل العساكر وان لا ترجع الى الوراء فنزلت وضربت خيامها في ذاك المكان وفي ظنهِ انها اختلطت بمضارب الفرس وانهٔ لاصقهم كل الملاصقة غير انهٔ تعجب لما لم يرَ احدًا منهم في تلك الناحية بل وجدهم قد تاخروا الى الوراء حيث كانت خيامهم مضروبة وهم بعيدون عنهٔ اكثر من ثلاث ساعات . و بعد ان دخل صيوانهٔ واكل الطعام وارتاح وجلس وهو يعتز بنفسهِ ويعجب كل الاعجاب كيف ان كسر الفرس كان عن يدهِ ومن سطوتهِ اتاه منكوخان وجلس عنده وهناه بالنصر والظفر وقال لهٔ هاقد فرَّ الاعداء عنا الى اكثر من ثلاث ساعات ولا يلبثون ان يتفرقوا تمامًا في الغد او ما بعده وقد كان ظني انهم لا ينتبهون الى قصدنا بل يبقون في هذا المساء الى ان نباكرهم عند الصباح ونلقي عليهم جبال المصائب والاتراح . قال كيف كان الحال لابد من نفر بهم وتشتيت شملهم وتبديدهم اليس هم الذين ضربت بهم الامثال في كل مكان وملكوا من بلاد فارس الى بلاد الرومان . وجاءوا هذه البلاد وفعلوا فيها افعال الجان حتى هابهم الملك جهان وها اني ببركة النار قد فزت عليهم وانتصرت وبعد ايام لا يبقى لهم قط اثر في هذه البلاد وان كان قد بعدوا عنا تامينًا لهم منا الا اننا لا بد من ان نتاثرهم كيف ساروا والى اي جهة مالوا حتى لا تعود تقوم لهم قائمة قط ولا يطمعون بالعود الى هذه البلاد ثانية . فشكره منكوخان ومدحه وهو يندهش من بسالتهِ واقدامهِ وقال لهٔ لقد ثبت عندي وعند الملك جهان وكل رجال الصين انك سيد الابطال واوحد الفرسان كيف لا وانت الذي اسرت بهزاد ابن فيلزور البهلوان وكسرت جيوش ايران الذي لم يسبق لها ان كسرت في غير هذا المكان . واني اسال من النار ذات الدخان ان تبعث الينا بواعث النصر والامان في كل زمان ومكان . ولا تحرمنا من الانتفاع بما من البسالة للابطال والفرسان . ثم انهما باتا تلك الليلة ينتظران الصباح ليفعلا بهِ ما يوملان و يطاردان جيوش ايران لتخلى عن ذاك المكان

واما طيطلوس فانهٔ عندما دقت طبول الانفصال اشار الى العساكر بالرجوع الى الوراء وان تتبعهٔ حيثما صار فساروا في اثره قسمًا من الليل وهم تعبون من قتال النهار الى ان وصلوا الى الخيام فنزلوا بها وقد راوا الاعداء بعيدين عنهم فامنوا منهم كل التامين ودخل طيطلوس صيوانهٔ

وهو من الهم والغم في بحر واسع لا يعرف ماذا يفعل او كيف يتخلص من الاعداء بعد ان تغلبوا عليهِ وهو قليل الفرسان والقواد ولم يكن بين يديهِ الا خورشيدشاه واخوه جمشيد شاه ولما استقر بهِ المقام دخلا عليهِ مع القواد الثناو بين واقاموا بين يديهِ ليعلم بماذا يشير عليهم فقال لهم لقد ثبت عندنا الان انّنا في ضيق عظيم وما من وسيلة لخلاصنا الا برجوع فيروزشاه او بمساعدتهِ تعالى ولا نعلم ماذا يكون هذا وعليهِ فاني كما قلت امس مصر كل الاصرار الى الدخول بين الجبال والقيام على ظهر الآكام نحتمي بها من العدو ونقاتل عندها واني انتظر بعد ساعات قليلة رجوع طارق العيار ووصولهُ الينا باصدق الاخبار عن المكان الذي بعثتهُ اليهِ لينظر فيهِ ونختار لنا المكان الموافق منهُ وغير هذا لا شيء اعلق الامل بهِ موقتًا ومن ثم اقاموا على انتظار طارق الى ان جاءهم بعد نصف الليل وهو يلهث من كثيرة الاسراع وقال لطيطلوس اني فتشت في ذاك المكان الذي اشرت اليهِ فوجدت فيهِ مكانًا للدفاع لو اقمنا فيهِ سنينًا لما قدروا ان ينالوا منا مرادًا او يبلغوا قصدًا لكن لسوء الحظ لم يكن فيهِ قط عين ماء نستقي منها لنبقى كل هذه المدة على الحصار فتكدر طيطلوس من هذا الخبر واطرق الى الارض برهة ثم رفع راسهُ وقال لطارق خذ انت وبقية العيارين في تهيئة الماء وتموينهِ فاملئوا القرب وارفعوها على ظهور البغال وفي الغد تاخذ الفرسان في نقل الخيام بينما نكون نحن في القتال ونضربها في تلك الجبال فنقاتل الى المساء وعندما يقبل الظلام نسير الى تلك الناحية ولا ريب ان الاعداء يتاثرونا الا اننا نقدر ان نحتمي منهم عدة ايام فاذا فرغ الماء منا تدبرنا الى طريقة نتوصل اليهِ بها وعندي ان الله لا يتركنا الى حد النهاية وانهُ سياتينا بالفرج من مكان قريب لا نعلم ولا ندري فسبحانهُ لم يهملنا قبل الان وغير هذا لا ارى وسيلة تقينا يوم واحد فوافقهُ الجميع عليهِ واخذ طارق وروضة وكودك وجماعة من الخدم كثيرًا من القرب على ظهور البغال وساروا ليملئوها وياتوا بها الى تلك الجبال كما امرهم طيطلوس وامر ايضًا فرقة من الفرسان والمشاة ان تشتغل في اليوم الثاني اثناء الحرب والقتال بنقل المضارب والخيام وبقية الاحمال ولا نترك في تلك الارض شيئًا مما يختص بهم بحيث انهم عند المساء يسيرون على اثر ذاك المكان فلا ياتي اليوم الثاني الا وهم عليهِ

قال وقبل صباح اليوم الثاني بثلاث ساعات امر دبدار ان تنهض العساكر وتركب خيولها وتسير في اثر الفرس ليدركهم في مكان وجودهم عند الصباح فلا تضيع فرصة من النهار فركب الجميع وامر ان تقلع المضارب والخيام وتحمل الى ذاك المكان ولا تضرب الا الى المساء اي اينما كانوا عند المساء هناك تنصب المضارب فاجابوا امره وسار هو في مقدمة جيوشهِ ومنكوخان في مقدمة جيوش الصين وما جاء الصباح الا وهم يلاصقون جيوش الفرس وقد راهم طيطلوس فنهض ونهض خورشيدشاه وضربت طبول الحرب وثارت الفرسان الى خيولها وهي على نية القتال والتاخر

وادراكه وتدريبه لما ثبتوا
وصاح لا هدو ولا توانطلوس الى ان نتوصل الى الجبال . وما اشرقت الشمس ولاحت بنورها
فركب وركب . شعلت نار الحرب والكفاح . وعلا من القومين الصراخ والصياح . ونادى منادي
يصل بالعظائم والاتراح . وزوال النعيم والافراح . فعمل السيف القرضاب . في نواعم الارقاب .
واتخذت لها الصدور اغمادًا . ونشر الغبار عليهم من سائر الجهات قتامًا وسوادًا . وانزلت
المصائب على جيوش الفرس ازواجًا وافرادًا . ورأوا من قتال اعدائهم طعانًا وطرادًا . لم يروا مثله
قبل ذلك الان . ولا كان له قط في حسبان . ولذلك جعلوا يتاخرون وهم يقاتلون ويدافعون
ويمانعون ويناضلون وهم كاسود الغاب . ينتظرون الويل والعذاب . بقلوب لا تخاف الموت ولا
تهاب . ولا سيا خورشيد شاه واخوه جمشيد شاه فانهما بذلا في ذاك اليوم جهدهما واظهرا من شدة
الحرب والقتال منتهى ما عندهما ودافعا عن رجالهما الدفاع المجيد . واكتسبا في القتال الذكر
الحميد . الا ان ديدار كان يفعل باكثر من فعلهما لانه بطل صنديد . وفارس شديد . وعسكره
اكثر باضعاف وكان النصر مكفولاً عنده بخلاف الفرس فانهم كانوا على نية الكسرة والرجوع الى
الوراء ليحتموا بالجبال وقد لاحظ منهم ديدار هذا التاخير فادرك غايتهم ولذلك جاد بطعنه وقتاله
وهاجمهم مهاجمة صناديد الابطال كي يضعفهم كل الضعف في ذاك النهار ومن ثم في المساء يكون
ملاصقهم فان نزلوا نزل وان ساروا سار في اثرهم ولا يدع لهم مجالاً ولا طريقًا للامل والخلاص من
حربه وان لا يرجع عنهم ما لم يهلكهم عن اخرهم . وبالاختصار فقد ذاقوا في ذاك النهار شديد الهلاك
والبوار . وهم لا يصدقون باتيان الزوال . ليرجعوا عن القتال . ويامنوا على انفسهم من شرب كاس
الوبال . ولا زالوا على تلك الحال . الى ان جاء المساء وضربت طبول الانفصال . فرجع الفريقان .
وتركا الحرب والطعان . ومن ثم امر طيطلوس ان تتاخر عساكره وتسير في ظلام الليل الى ذاك
الجبل قبل ان تنزل عن خيولها او تاخذ لانفسها الراحة او تذق الطعام فسارت بحسب امره وهي
تجالد على حمل الاثقال والثبات في وجه المصائب والاكدار . فتكدر ديدار من عملها وخاف ان
صبر الى الصباح يتمكن الايرانيون من الفرار او يتخذون لهم ملجا امينًا يقيهم منه عدة ايام ولذلك امر
رجاله ان تسير في اثرهم وتتاثرهم الى اخر ما يمكن ان يصلوا ففعلوا وعاد الايرانيون يسيرون في تلك
الليلة المدلهمة يقصدون الجبال املا بالخلاص من قتال الصينيين وديدار وهم لا يصدقون ان
يصلوا قبل طلوع النهار وعن بعد اعداؤهم يسيرون على مسيرهم وقد ترجح عندهم ان لا بد من
الايقاع بهم وطردهم من كل بلاد الصين وهلاكهم وقبل بزوغ صباح اليوم الذي بعده وصل الفرس
الى الجبل وعندها امر طيطلوس ان تنزل العساكر عن خيولها لتاخذ لانفسها الراحة في ذلك
المكان وان تصعد الخدم بالخيام الى رؤوس الجبال حيث يشير اليهم طيطلوس فيضربونها هناك .
ففعلوا ما امرهم به وما اشار عليهم ونزلوا الى تلك الساحة وقد استلموا مطلع الجبل وامنوا على انفسهم

بعض الامان اذ خطر لهم ان يتسلقوا الجبل اذا احتاجوا و يحاصروا في الجبل الاعداء بعد ان تغلبوا على العمدان الى ان يبعث الله لهم من عالم غيبه ما يدفع عنهم تلك الشدة . وكان خورشيد شاه ولما استقر الاعتقاد في ذهنه ان لابد من وصول فيروزشاه اليهم ورجوعه عليهم او ان يد اخرى لقد ثبت ولا هذه المصائب

قال وعندما بزغت شمس صباح ذاك النهار نظر طيطلوس الى الوراء واذا به يرى عساكر الصين قد حطت بالقرب من ذاك المكان مقابلة لعساكره فتعجب من ذلك وعلم انهم ساروا كل الليل مسيرًا يعادل مسيرهم حتى انتهوا الى مكان منتهاهم وانهم فعلوا ما فعلوا الا انه كان على يقين ثابت من أن الاعداء عالمون بما هم عليه وانهم لا يضيعون فرصة ساعة بدون جدوى . ولذلك كان يطلب من الله ان يساعده ليقدر على كبح غايتهم وارجاع كيدهم الى نحرهم ولم يباشر حربًا في ذاك النهار لان رجالة كانوا يقاسون التعب والمشاق . ويتألمون من الجوع ومسير الليل وحرب النهار السابق ولهذا كانوا في حالة الياس والعذاب وعرف طيطلوس انهم محتاجون الى الراحة كل الاحتياج ولذلك قصد ترك الحرب في ذاك اليوم ولاسيما انه كان يحب ان يتفقد حالة بيلتا وجرحه اذ كان يهتم به و يحب ان يشفى باقرب وقت حيث في شفائه راحة كبرى لهم لانه كان على الدوام يقاتل في وجه ديدار وقد حمى الجيش هو وخورشيد شاه عدة اعوام ولولا جرحه لما لحق بهم هذه الكسرة بوقت قريب . واما ديدار فانه بعد ان وصل الى تلك الارض وحط فيها امر عساكره ان لاتكون في ذاك اليوم على نية الحرب لانهم كانوا مثل رجال ايران تعبون من المسير والقتال وقلة الطعام وقال لهم اصبروا هذا اليوم ريثما توافيكم الراحه التامة ويأتي الصباح القادم وانتم على الراحة واذ ذاك تهبون عليهم دفعة واحدة وتخالطونهم من كل الجهات وتزدردونهم بافواهكم كما تزدردون الطعام فها قد وصلنا الى النهاية واصبحوا على اخر رمق من الحياة والثبات فاقاموا على مثل تلك الحالة كل فريق ينتظر الصباح وطيطلوس قائم على مداواة بيلتا وهو من الهم والحزن على جانب عظيم يندب حظ العساكر ويخاف سوء العاقبة وكان يعرف ان الثبات في وجه العدو يكسبه شرفًا و بنوله مراده من المطاولة الى حين ظهور خبر فيروزشاه وفرخوزاد وكرمان شاه ومن معهم من العيارين ونحوهم ولهذا كان على الدوام يقوي الفرس باقواله ويخطب فيها و يهيجها الى الثبات وفي تلك الليلة دعاهم اليه وخطب فيهم وسألهم الثبات الى مدة ثلاثة ايام وقال لهم في هذه المدة لا بد ان يبعث الله لنا بالفرج و يرجع الينا فيروزشاه او من ينقذنا من هذه الاهوال و يكون ايضًا قد شفي بيلتا وقدر على الحرب والطراد فتنالون بعض ما تؤملون . فقال له خورشيد شاه اني اريد منك ياسيدي ان تسمح لي بمبارزة ديدار في اليوم القادم لاني اعرف ان ثبات رجال الفرس هو بديدار فاذا قتلته كان لنا بعض النجاح وحاولنا المطاولة بقدر ما نريد . قال اني اخاف

وادراكهُ وتدريبهُ لما ثبتوا
وصاح لا هدو ولا تولكان المشاهير والابطال المغاوير وبندر وجود مثلهِ في هذا الزمان بسالة
فركب وركب ...متكل عليهِ تعالى وَلي رجاه وثيق بانهُ لا يتركني مغلوبًا بين يديهِ بل يقدرلي
يصل سيفِ. قال اني اطلب لك من الله سبحانهُ وتعالى ان لا يهمل امرك وان يقرب منا كل ما نرجوه
من الظفر والتوفيق

وصرف الفريقان ذاك اليوم لا يبدون حربًا ولا قتالاً يروضون اجسامهم و يريحونها من التعب والملال اللذين كانا قد لحقا بهم ولما كان الصباح الذي بعد ذاك اليوم نهض ديدار وهو كالاسد الكاسر وكذلك منكوخان وقد امر طبول الحرب ان تضرب من قبل نصف الليل ليعلم الفرس انهم على نية حرب وقتال ونهضت ايضًا كل رجال الصين من الكبير الى الصغير وفي نيتهم انهم يهجمون على الفرس فيحاصرونهم و يغنمون منهم الاموال والغنائم ويبددونهم كل التبديد . وركبت ايضًا جموع الفرس وهي مصرة على القتال فاذا ثبتت بقيت في مراكزها والا تسلقت الجبال وصعدت الى اعاليها وحمت نفسها هناك ولا تسلم لسطوة الاعداء وتنقرض وهمًا من عظم قوتهم الا بعد ان تفقد كل قوتها وتضيع ولا يبقى لها مقدار ذرة من الامل والقوة وبينما كانت تصطف الصفوف وتترتب المئات والالوف . سقط الى وسط الميدان خورشيد شاه وصال وجال ولعب بالسيف النصال . لعبًا يحير عقول الرجال . ثم وقف في الوسط ونادى برجال الصين وقال ويلكم ايها الطغاة ان كنتم تطمعون انفسكم بنا وترغبون غنائمنا فما نحن ممن يغتنمون واننا سنقاتل الى الساعة الاخيرة من حياتنا ولا يغرنكم نصرتكم علينا في هذه الايام فهي لا تلبث ان تعود عليكم شرًا ووبالاً ولطالما طمع قبلكم كثير غيركم واعتز ول وسكر والخمرة نصرة كهذه الا انها كانت وسيلة لتبددهم وانقراضهم وتسليمهم لا يدينا وها انا خورشيد شاه بن عم الملك ضاراب مالك بلاد فارس وسيدها فأبعثوا اليّ بديدار الخبيث المكار لاقصف في هذا النهار عمره وادفع عنا شره . فلما سمع ديدار كلامهُ اغاظهُ الا انهُ ضحك منهُ ضحكة الغضب واقتحم ساحة النزال . ولم يبدِ معهُ خطابًا ولا اجابهُ جوابًا بل حمل عليهِ حملة الذئب الكاسر . والليث الزائر . واخذ معهُ في الحرب والطعان . والقتال والجولان . وهما يصيحان ويفترقان ويجتمعان . وقد سهل عليهما شرب كاس الهوان . والهلاك في ذاك الميدان . على الرجوع الى الوراء او اظهار التقصير في الاخذ والرد والاجتهاد والجد والفوارس تنظر اليهما من كل الجهات تنتظر كيف ينتهي بينهما هذا الامر ومن منهما يكون حليف الفوز والنصر . ودام القتال عاقد وابليس اللعين راقد . وسائل الظفر جامد لا يعرف الى ايهما ذاهب ولا من منهما يكون المغلوب ولا من الغالب الى ان تنصف النهار وصارت الشمس في قبة الفلك واذ ذاك لحق بخورشيد شاه التعب وكل ومل وضعف عزمهُ وانحل وعرف نفسهُ انهُ مغلوب وانهُ لا يبارح تلك الساحة اما قتيلاً واما اسيرًا وقد اختار الهلاك والعطب على الهزيمة والهرب . فثبت امام خصمهِ وسلم امره لله

يفعل بهِ ما اختاره وما يرضاه وقد عرف منهُ ديدار ذلك فصاح بهِ وهجم عليهِ ... سوداء بعد ان تغلبوا
القاصف ومد يده واقتلعهُ من بحر السرج ورماه الى الوراء فادركه جلدك العيار ... ود شاه ولما استقر
وقاده في الحال اميرًا الى بين جيوش الصين . ولما راى طيطلوس ما حل على خورشيد ... لقد ثبت
يغيب عن الصواب . وثبت لديهِ الفناء والعذاب . وامر رجالهُ ان تحمل حملة واحدة بقلب ... لا
على النوائب عساها نتوصل الى خلاصهِ فهزت اعلامها وارتمت على رجال الصين فالتقى بعضها
بالبعض . واختلط بالقتال في تلك الارض . وقامت بينهما القيامة . وكثرت المصائب وقلت
السلامة . وساد سلطان الحمام وارسل الى مقاتل الرجال اشد سهام . وحكم عليهم بالاعدام . جزاء على
ارتكابهم جرائم العدوان والانتقام . وكان ذاك اليوم على رجال الفرس من اشد الايام . لاقوا بهِ
المصاعب والاكدار وايقنوا بشرب كاسات البوار . وزال ما كان باقيًا لهم من الاعمار الى ان لجئوا الى
الجبال وغاصوا بين التلال يقاتلون ويتاخرون وهم يتاكدون انهم خاسرون وان زمانهم قد مضى
ومال . ولم نقم لهم بعد ذلك حال . الا بامر العزيز المتعال . فحطت في اثارهم عساكر الصين ومنكوخان
وديدار ذاك الخبيث اللعين . وسائر عساكرها وفرسانها وابطالها وقد اسرعوا الى سائر الطرقات
ومسكوا المياه من كل الجهات . وطاردهم الى نصف الجبل الى ان امسى المساء واقبل الظلام فرجعوا
عنهم بامان وسلام . فرحين بنوال القصد والمرام . ونقلوا خيامهم الى اخر الجبل واقاموا في ذاك
المكان وقد امر ديدار بالتشديد والحفظ على المناهل والغدران . وان لا يدعوا احدًا يقرب منها
من رجال ايران . الى ان يهلكوا عن اخرهم ولا يبقى منهم انسان . ويفعل بهم العطش ايشم فعال
ويحل بهم الويل والنكال

قال واما طيطلوس فانهُ شاهد الموت عيانًا وراى ان رجالهُ قد هلك منها منذ دخولها الى
بلاد الصين الى ذاك اليوم نحو اربعمائة الف فارس ومثلها مجاريح وضعفاء وكانت حالتهُ صعبة
جدًّا لا يعرف ما ينتهي اليهِ امره ولم يكن يرى الا مصائب واهوال وعذاب وفناء وكيف نظر الى
الاسفل يرى العساكر كانها الكواكب بين تلك التلال وقد عرف انها مسكت كل الطرقات
وقصدت حصاره من سائر الجهات . ولم يرَ وسيلة الا الثبات في الحصار الى ان ينقرض ولا يكون
قد سلم الى الكفار وعليهِ فقد امر رجالهُ ان تصعد الى اعالي الجبل وتقيم هناك وتلبث على الدفاع
والحصار . وكان كما تقدم معنا الكلام قد اخذ طارق القرب فملاها من الماء ووضعها في ذاك المكان
وجاءت بقية العبيد والخدام وضربوا فيهِ المضارب والخيام فصعد طيطلوس بالذين معهُ الى
اعالي الجبال ونزلوا بين خيامهم ومضاربهم وجمع المجاريح الى بعضها وجعل يداويها ويعتني بها
وصرف كل جهده في تقوية العساكر وتدبير امورها وعلى الاخص بالاعتناء ببيلتا اذ لم يكن لهُ
قريب امل الا بهِ . وبقي صابرًا على نفسهِ لم ينم طول تلك الليلة الى ان كان الصباح فنهضوا من

وادراكة وتدريبة لما ثبتوا
وصاح لا هدو ولا توا[illegible] سفل فوجدوا عساكر الصين يتهيئون ويتعددون وقد بدئوا بالصعود الى
فركب وركب ش[illegible] لوس انهم ثابتون العزم لا يكلون عن الحرب ولا يملون وان غاية ديدار متابعة
يصل[illegible] وملاحقتهم فلا يتمكنون من الراحة ولا تطمان خواطرهم الى ان يمحيهم عن اخرهم فاغاظة ذالك
فمَر ولذلك دعا اليهِ رجال الفرس وخطب فيهم قائلاً . اعلموا ايها الرجال ان الاعداء
يطاردوننا الى هذه الجبال وفي نيتهم ان يذبحونا عليها ولا يبقوا منا بقية ايتم لهم الانتصار على احب
ما يطلبون وما يشتهون ويظهرانهم قداستصغروننا كل الاستصغار وتيقنوا اننا لم نعد نقدر على حمل
السلاح والثبات في القتال فابدلوا يقينهم هذا بالخلاف وابذلوا المجهود ولا اريد منكم ان تثبتوا في
القتال اكثر من ثلاثة ايام بحيث يكون الله قد نظر الينا لانهُ عامل على تجربتنا فاصبروا لتنالوا رحمتهُ
ولا تتضجروا فهو يعرف ان النصر يحتاج اليهِ ومرجعهُ منهُ فهو ينبوع كل رحمة وشرف ولا تنسوا
اعمالكم السابقة فتضيعوها كل التضيع اليس نحن الفرس الذين دوخنا بلاد اليمن وازلنا ملوكها
وسلاطينها وقتلنا طومار الزنجي بعد ان كان رمانا بشر عذابه وويل قتالهِ ولما اشرفنا على الهلاك والفناء
واصبحنا على اخر رمق من الحياة . بعث الله الينا فيروزشاه فحمانا وارجع الينا العز والجاه . اليس
نحن الذين استعطنا ملوك مصر وامراءها ورميناهم من شرر حربنا بنار لا تطفى ومع ذلك فقد ذقنا
العذاب الشديد مرارًا وارسل الله لنا من عالم غيبهِ ما بقينا من سطوة الفناء ويعيد لنا الانتصار
على الاعداء . واني اسالكم سوالاً ماذا يا ترى يقول فيروزشاه حاميكم وسيدكم اذا عاد وراكم قد انقرضتم
وتبددتم فريسة المحاق فاثبتوا الان في وجوه الاعداء وصوبوا اليهم سهامكم واسالوا النصر من العزيز
الرحمان فهو السامع القريب قال فلما سمعوا كلامهُ هاجوا وماجوا واضطربوا وصاحوا صياح
الحمية والنخوة وداروا وجوههم الى جهة المطاردين ونادوا يا الفارس يالفارس فهذا اليوم نقاتل
لحساب سيدنا فيروزشاه وكان طيطلوس قد ولد فيهم الحماسة الفارسية وحركهم الى بذل الجهد
في المدافعة ولذلك التقوا الاعداء بقلوب قوية وصوبوا سهامهم الى جهتهم وقام بينهم قائم الحرب
على امتن ساق . واخترقت السهام الصدور اي اختراق وبشر بشير الموت بسرعة الرحيل والفراق
وكانت بعض العساكر تقاتل بالسيوف والعمدان وبعضها يصب من اعالي الجبال صبيب السهام
والنبال فتقع في مقاتل الرجال فتندحرج بين تلك الاحجار . وتذهب بارواحها الى النار . ولاقت
عساكر الصين من الايرانيين ما لم يكن لهم في حساب وتعجبوا من بذل همتهم كل الاعجاب . بعد ان
كانوا راوا منهم قطع الرجاء والياس . وبقي القتال على مثل تلك الحال . وقد تعلق الفرس ببعض
الامال فاظهروا جهدهم في القتال . وثبتوا ثبات الابطال . الى ان اقبل الزوال وضربت طبول
الانفصال ورجع طيطلوس مسرورًا فرحًا من قتال ذاك اليوم وقد شكر قومهُ على فعلهم وقال لهم
لو كان مثل قتالكم هذا قاتلتم بقية الايام لنلتم الظفر وانتصرتم ابر انتصار ولكن الان اريد منكم ان

تداوموا على مثل هذه الحال عدة ايام وليال الى ان يفتح الله لنا ابواب رحمته [illegible] عداء بعد ان تغلبوا علامة منه تعالى على امداد يد المساعدة لانه بريد ان نثبت بعد ونقيم الى ان تتم ار[illegible] د شاه ولما استقر اننا اذا بقينا على هذا الجبل اشهرًا واعوامًا لما تمكن الاعداء من ان يصلوا الينا بشر او يضر [illegible] لقد ثبت بل يكون النصر انا على الدوام لاننا متسلطون عليهم نتمكن منهم اثناء الحرب والقتال ونقدر ان نطرده ولا عنا على الدوام غير اني اخاف من فروغ الماء لان القرب المملوءة لا تكفينا لاكثر من يومين او ثلاثة ايام والاعداء قد ضبطوا الماء واقاموا على المناهل ومع ذلك فان الله في مدة هذه الثلاثة ايام يفعل العجائب وياتي بالغرائب

واما ديدار ومنكوخان وبقية عساكر الصين فانهم عادوا الى الاسفل مكدرين من حرب ذاك النهار وكيف انهم بعد ان نالوا النصر التام وعادوا يطلبون الرجوع او كادوا يطلبونه يتوقفون عند تلك الجبال . وعليه فقد اجتمع ديدار بمنكوخان وقال له اني ارى مراكز الاعداء حصينة جدًّا مما يصعب ان نفوز عليهم بقتال لانهم والحق يقال فرسان وابطال لايهابون من الموت ويثبتون الى ما بعد الدرجة الاخيرة من حياتهم فاذا تسلقنا الجبال وصعدنا اليهم رمونا بالنبال فيقتلون فينا المقاتل ولا يبقون فينا املاً للنصر والتقدم . فقال منكوخان ان هذا العمل هو عمل طيطلوس الحكيم وقد اختار لهم هذه المراكز ليتقووا بها معلقين امالهم بالمستقبل اما بنجدات ترد عليهم وذاك بعيد عنهم واما بان يشفى بيلتا فيعود الى قتالنا والا كانوا سار وا هاربين وقصدوا مدينة السرور والتجأوا اليها لانها مطيعة لهم يقدرون ان يتحصنوا بها . ومن الصواب عندي ان لا نقاتلهم بل نبقى ثابتين في مراكزنا اي على المناهل والغدران الى ان يفقد الماء منهم وذلك لايكون لاكثر من يومين او ثلاثة ايام فيلتزمون الى الخروج من مراكزهم والا يلاقون مصائب العطش والظماء ويموتون من شدته وليس علينا الا ان نمنع الماء ولا نترك الطير يشرب منها فوافقه ديدار على ذلك وقال له خير لنا ان نقيم هنا ثلاثة ايام او اربعة من ان يقتل احد من رجالنا وهذا الراي من احسن الاراء ومن ثم اعتمدوا عليه واصروا ان لا يصعدوا الى الجبال . واقاموا يحاصرون رجال الفرس وهي في اعالي الجبل مدة ثلاثة ايام . قال وكان في هذه المدة قد راى طيطلوس تقاعد الاعداء عن القتال فعلم ان تركهم له هو انهم صبروا عليهم الى حين فراغ الماء فيعودون اليهم ويبددونهم ولهذا كان متكدر الخاطر من هذه الجهة فرح من جهة ترك الحرب الى ثلاثة ايام لعلمه انه ان كان فيروز شاه لا يزال حيًا يكون قد علم بما هو واقع عليهم وحاصل فيهم فيقصدهم ويدفع عنهم المصائب . ولذلك في صابرًا وقد اوصى رجاله ان يقللوا من شرب الماء وان لايبذروا به وان لا يسقوا خيولهم اكثر من اللازم على امل ان يفيدوا اكثر بيومين اخرين ففعلوا امره وبقوا في اعالي الجبال على تلك الحال مدة خمسة ايام حتى انه في اول ابل اليوم الخامس اصبحوا لا يملكون نقطة ماء وقد فرغت القرب

وادراكه وتدربيه لما ثبتوا ... ضبط نفسهُ الى الغد دون جرعة من الماء فتضايقوا كل المضايقة وقطعوا
وصاح لا هدو ولا توا ... وخاب منهم الامل الذي كانوا يوملونهُ ولم يأتهم فرج من جهة فيروزشاه واجتمعوا الى
فركب وركب ش ... فعرضوا عليهِ حالهم وبكوا بين يديهِ وصاحوا وناحوا واضطربوا وقالوا لهُ اننا الان
يصل ... نكون لامحالة واننا اذا بقينا الى الغد هلكنا دون ريب ولا اشتباه اذ انهُ من المقرر ان العطش
عدو الد لا شفقة لهُ ولا رحمة ولا يقدر ان ينجو منهُ ناج وقالوا لهُ قم فارم بنا على الاعداء فخير لنا ان
نهلك تحت سيوف الصينيين من ان نموت عطشًا لانهُ يقال اننا دافعنا عن نفوسنا الى الدرجة
الاخيرة ومتنا بعزة نفس وناموس من ان يقال عنا في تواريخ العالم اننا هلكنا من العطش ونحن
نخاف الاعداء وقد وصل بنا الجبن الى مثل هذه الحالة فتاثر طيطلوس من هذا الكلام ووجد فيهِ
صوابًا واحتار في امره ماذا يفعل واطرق الى الارض برهة وادمعهُ تنسكب على خدوده لانهُ ترجح عنده
كل الترجيح ان فيروزشاه والذين معهُ اما ان يكونوا هلكوا في المدينة واما قبض عليهم واسروا
وقرنوا الى طهور وقادر شاه ومصفرشاه ولهذا قطع رجاءه من مساعدتهم ونهض راسهُ الى بقية قومهِ
وقال لهم اني اعرف اننا واقعون الان بين خطرين عظيمين فان صبرنا في هذا المكان هلكنا من
شدة العطش وقلة الماء واذا قاتلنا الاعداء افنونا بقتالهم لانهم رابطون علينا كل الطرقات ومامن
وسيلة نقينا الا ان نرمي بانفسنا على اعدائنا فمن يقتل يقتل ومن يتسهل لهُ الخلاص يكون من فيض
منتهِ تعالى فليذهب كل منكم الى مكانهِ وليصلِّ على نفسهِ صلاة الوداع ويطلب من الله اما خلاصهُ
او قبول نفسهِ ضحية الكافرين وقبل وصول الصباح الينا نحمل باكفاننا وننزل الى ساحة الموت المعدة
لنا عسى ان العزة الالهية تنظر الينا وترحم ذلنا وترفعنا من حفرة هذه المصائب وتعيد الينا الامل
بالحياة وكان يتكلم وادمعهُ تنسكب على خدوده لا خيفة على نفسهِ بل على رجال فارس وغيرهم من
الذين جاءوا من بلادهم الى تلك الجهات وقد انقرض اكثر من نصفهم والباقون اصبحوا بلا حيل
ولا قوة لا يقدرون على الثبات مرة واحدة وكان يكدره ما يراه في وجوههم من الاصفرار والضعف
لان ما من رجل منهم الا وشعر بالموت الذي يتهدده في وقت قريب واكثرهم كان يصلي الى
الله ليرفع هذه الشدة وكان اكثرهم حزنًا طيطلوس وخوفهُ على بيلتا لانهُ اصبح على همة الشفاء وانهُ يهلك
لامحالة اذا ترك او اذا قاتل اذ مامن قوة فيهِ بعد

سبحانهُ وتعالى لا يترك نفسًا بشدة ولا يهمل طالب طالبيهِ ان كان بايمان حار وصفاء باطن كما
كانت رجال الفرس في ذاك الزمان فانهم بينما كانوا واقعين في اشد الضيقات كما تقدم معنا الكلام
وهم مجتمعون الى طيطلوس فرق تاتي اليهِ وفرق تذهب عنهُ وهو في حالة باس وانكسار وذل واذا
بغلام وقف بين يديهِ لابس ملابس الفرس وعليهِ من غبار السفر ما يظهر انهُ ات من بلاد بعيدة
ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال واعينهُ تقدح كشاهيب النار وطيطلوس ينظر اليهِ مدهشًا من

امره لانهُ راه غلامًا لا يبلغ الخمسة عشر عامًا . ثم ان الغلام قال اني لا ارى فيكم الاعداء بعد ان تغلبوا انت يا سيدي وعلى ما اظن انك طيطلوس الحكيم فابن فيروزشاه سيد الفرسان بهمن شاه ولما استقر وابن فرخوزاد وكرمان شاه وخورشيد شاه فان لديَّ بشارة اريد ان ابشرهم بها فانتبه طيطلوس لقد ثبت الى كلامهِ لما راه فارسي الاصل وعرف من حالهِ انهُ غريب لم يكن في الجيش قبل الان وانهُ جاء لا بخبر جديد . فقال بشر بما تريد فانا طيطلوس الحكيم واما الذين تعني عنهم فليس هم بيننا الان ولو كانوا حاضرين لما حل بنا ما حل حتى التزمنا الى الحصار في هذه الجبال ونحن نندب حظنا ونودع بعضنا البعض بل انهم دخلوا المدينة واحدًا بعد واحد منذ اكثر من خمس سنين ولم يخرجوا منها حتى اليوم ولا نعلم ماذا حل بهم وقد لاقينا من بعدهم عذاب الهوان ووقع بنا الاعداء ولو ما ناتي هذا المكان لتفرقنا منذ ايام فعجل بالاخبار عساك تكشف عنا شدة نحن فيها . فقال نعم وراي من الاخبار ما يكشف عنكم هذا الضيم و يعيد اليكم الامال وراي صاحب المجد والشرف الرفيع مدبر دولة فارس في هذه الايام ونشأ بها من تخر الكواكب لتقبيل ايديهِ حبًا بمشاهدة جبينهِ وراي الملك بهمن ابن سيدي فيروزشاه وقد جاء بالعساكر والابطال من بلاد فارس الى هذه البلاد وليس هو وحده بل معهُ الفارس الاوحد . والبطل الامجد . مبيد الاعداء في يوم الطراد . ومذل الجبابرة الشداد . اردوان بن فرخوزاد . من زعمت اهل ايران انهُ في مصاف عمهِ بهزاد . ووراي ايضًا اسد الاساد . وسيف نقمة العباد . ابن خورشيد شاه شيرزاد . والبطل شيروه بن كرمان شاه الذي لم يوجد لهُ ثان في هذه الايام . بين الاعراب والاعجام . واني ازيدك بشارة يا سيدي ان معهم علة المعارف والحكم . واعقل عقلاء الامم . مدبر هذا الجيش ووزير الملك بهمن ابنك الوزير بزرجمهر

قال وما سمع طيطلوس هذا الكلام حتى وقع الى الارض على وجههِ يلثم التراب وقد بل بدموعهِ الثرى وهو لا يعرف ما يقول او بماذا يتكلم ولا ينطق لسانهُ بغير الشكر لله سبحانهُ وتعالى وكذلك بقية الموجودين وهم بفرح وسرور لامزيد عليهِ وحينئذ قال الغلام الفارسي اعلم يا سيدي ان الوقت لا يسمح بالتطويل الان فاني احب ان ارجع بكل سرعة لاخبر سيدي بهمن و بقية الفرسان والابطال بما انتم عليه الان لانهم لا يعرفون شيئًا عنكم بل يظنون انكم بامان وقد سلمني سيدي الملك بهمن كتابًا لابيهِ . فنهض اذ ذاك طيطلوس ومسح دموعهُ وقال ارني الكتاب فدفعهُ اليهِ

انتهى الجزء التاسع عشر من قصة فيروزشاه
ويليهِ العشرون عما قليل ان شاء الله

وادراكهُ وتدريبهُ لما ثبتوا
وصاح لا هدو ولا توار
فركب وركب شه
يصل
ف

الجزء العشرون

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

ففضهُ وقراه وكان ما بهِ ان الملك بهمن ابن فيروزشاه قد بعث اليهِ يبشره بقدومهِ و يطمنهُ بوصولهِ وانهُ مصحب معهُ ثلاثمائة الف فارس تحت قيادتهِ وحماية اردوان ابن فرخوزاد وشبروه وشيرزاد الى غير ذالك من اسباب التبشير و بث الشكوى . فلما قرأ طيطلوس الكتاب وفهم معانيهِ وراى فيهِ من الحكمة والفصاحة ما يقصر القلم عن وصفهِ عرف ان الملك بهمن هو من حكماء ذاك الزمان غير انهُ قال للغلام وهل هم بعيدون عنا كثيرًا قال اني تركتهم منذ اليوم الماضي سائرون على اثري وقد وصلت الى هذه الارض عند العصر فوجدت العساكر مثل الجراد قائمة عند الجبل وكلها من رجال الصين فعلمت انهم من الاعداء ولذلك تجنبتهم وقد ثبت عندي ان قيامهم هنا لا بد ان يكون لسبب عظيم وامر جسيم وقصدت ان اجتازهم فلم اقدر فطفت من حول الجبل وصعدت عليهِ عند اشتداد الظلام بحيث لا يراني احد وقد قصدت ان اجيء الى هذا المكان لاني رايت وانا بعيد قومًا عليهِ وقلت في نفسي اما ان تكونوا من قومنا واما ان تكونوا من الاعداء فاتيكم في اول الليل واذا كنتم المقصود عرضت عليكم حالي وعرفتكم بامري و بلغتكم الرسالة وان كنتم من الاعداء رجعت تحت الظلام دون ان يعلم بي احد حتى ثبت عندي انكم من رجال قومنا وقد رايت كدركم واضطرابكم فاستدللت على الصيوان وهذا الذي صار لي واريد الان ان ارجع الى سيدي فبماذا تامر لابلغهُ . قال اريد منك ان تسرع اليهِ الان وتعرض عليهِ حالنا وتعلمهُ اننا بحالة يرثى لها وليس عندنا نقطة ماء قط ومنتهى الامر اننا كنا نصلي على نفوسنا صلاة الوداع ولو لم ينظر الله الينا وكان تاخر قدومكم علينا يومًا اخرًا لكنا اصبحنا في حجر الموت وانقرضنا عن اخرنا فالحمد لله على منتهِ ونحن في الصباح سنباكر القوم بقصد الحرب والكفاح لنقاتل في سبيل الماء علنا نقدر ان نبل رمقنا بها فاذا ادركونا عند الصباح انتشلونا من هذه المصائب والا لا نكون قد انتفعنا من اتيانهم الينا . فقال لهُ ابشر يا سيدي فانهم قبل ان تباشروا القتال يكونون في هذه الضواحي ويجلون عنكم المصائب وترى بعينيك عمل غلمان فارس الذين هم اشد من كهولها وشبانها . ثم ان الغلام قبل يد طيطلوس وخرج باسرع من البرق واعينهُ تقدح كشناهيب النار في اشد الظلام . و بعد ذهابهِ اشتد قلب طيطلوس وراق خاطره وقوى قوتهُ وخطب فيهم ونشر بينهم هذا الخبر فتقووا واملوا انهم في الصباح يرمون بانفسهم الى اسفل الجبل ومساعدة قومهم القادمين يقدرون ان يتوصلوا الى

ورفعوا الشدائد عنكم ولا تضيعوا مثل هذه الفرصة فتكتسبون العز الى اخر الاجيال وكان الرجال المحاصرون قد سمعوا اصوات مساعديهم ورجال قومهم فغاصوا في الاعداء وانحطوا عليهم اي انحطاط واشغلوا فيهم ضرب الحسام من كل ناحية ومكان . ورأى ديدار ومنكوخان وصول هذه النجدة وما فعلت فيهم فتاخروا الى الوراء ليضموهم الى بعضهم البعض ولا يبقون هم في الوسط غير ان اردوان بطل الحرب والطعان فلم ياخذه هدوٌ ولا توان ولا التفت الى اي جهة يسير ولا الى اي مكان بل كان قد عرف الاعداء فقصد الايقاع بهم وهلاكهم ودمارهم وعليه فقد اخمد النفوس . وكسر الرؤوس . وفرق المواكب . وشتت الكتائب . وهو يخطف من جهة الى اخرى وينادي مباهيًا باسمهِ ومنتسبًا الى عمهِ حتى ظن رجال الصين ورجال الفرس انهُ نفس بهزاد وقد تخلص من الاسر وعاد ولذلك وقع بقلبهم الخوف والارتعاد . وعادوا لا يصدقون باتيان مساء ذاك النهار ليرتاحوا من الحرب والجلاد ويامنوا من شر اولئك الابطال الشداد . وبقي القتال على مثل تلك الحال الى ان اقبل الزوال . وضربت طبول الانفصال . فرجع الصينيون الى الوراء وكانوا قد تركوا من اول النهار المناهل والغدران وتملكها رجال ايران وانتعشت ارواحهم بوجود الماء وعادوا يأتونها من عشرة وعشرين واما طيطلوس فانهُ شغل عن كل امر بالدنو من والده ومن الملك بهمن وقد امر جماعة من الابطال والفرسان ان تذهب الى اعالي الجبل وتنزل المضارب والخيام ومن تخلف هناك من المجاريح والضعفاء وان يأتوا بيبلنا على الراحة وانعام البال

قال وكان السبب في مجيء رجال ايران ووصولهم في ذلك الوقت الى ذاك المكان . هو انهُ كان تقدم معنا الكلام ان بهمن كان يسال امهُ عين الحياة على الدوام عن ابيهِ ويشتاق ان يراه يومًا بعد يوم اي كلما تقدم بالسن وكان يكثر شوقهُ ويعي على نفسهِ اكثر فاكثر وكان يطلب على الدوام من جده ان يسيره اليهِ فكان يعده من وقت الى اخر ومثلهُ كان شيروه وشيرمراد الا انهم كانوا راغبين اتقان الفنون الحربية وكان لهم ميل عظيم اليها وكان كلٌّ من عبد الخالق الفيروانى ومرادخت الطبرستاني وشبر بن الشبيلي الطلقاني منصبًا على تعليم واحد منهم ومهتمًا كل الاهتمام بهِ لاسيما عندما راوا انهم شديدو القوى والحيل فرسان اشداء فاخذهم منهم العجب وبقيوا على ذلك حتى سادوا على الابطال والفرسان ولم يكن قط من واحد في كل بلاد فارس يقدر ان يقف امامهم واذ ذاك جاءوا الى الملك ضاراب واخبروه بهم وانهم اصبحوا لا يحتاجون الى علم قط وانهم مع صغر سنهم يعدون من ابطال ذاك الزمان وفرسانهِ فسر الملك من هذا الخبر وقال في خاطري ان اراهم بنفسي ثم امر ان ينصب ميدان القتال وتاتي اليهِ الفرسان والابطال للتمرين ولعب الخيل وغير ذلك وفي الحال اجتمع من المدينة كل فارس وبطل وازدحمت الاقدام في ذاك المكان من نساء واولاد وكلهم بشوق زائد الى الفرجة على اولاد الامراء ليروا ما هم عليهِ من معرفة الفنون الحربية

ووقف الملك الى جهة واقام بالقرب منهُ بهمن حفيده و بزرجمهر ابن وزيره وانطلقت الفرسان تطارد بعضها في ذاك الميدان وتطاعن مطاعنة الشجعان . ونتقلب على ما اعطيوا من المعرفة باشكال والوان وكان اردوان بن فرخوزاد قد حمى الساحة بافعاله وحير العقول باعماله حتى اندهش الملك ضاراب وقال لمن حواليهِ ان اعمال اردوان تذكرني باعمال بهزاد وقتالهِ ولو لم اعتقد ان ذاك اثبت جنانًا واقدر جولانًا لقلت انهُ بدرجتهِ على التمام . وكان بهمن يحب اردوان فقال لهُ لا اظن ياسيدي ان بهزاد اثبت في ميدان الطراد من اردوان عروس هذا الميدان . الم تره كيف يضارب و يطاعن وهو يسوق الفرسان بين يديهِ كما تساق الاغنام حتى اندهش من عملهِ كل عقل وخاطر قال اني ارى ذلك واعلمهُ لكن لا يمكن ان اقيسهُ ببهزاد بطل بلاد فارس وحاميها ولولم اكن اعتقد ايضًا ان اباك اشد منهُ باسًا واثبت قلبًا لقلت انهُ افرس فارس في هذا الزمان ولا بد ان تجتمع بهِ وتشاهد قتالهُ كما اني ايضًا اتعجب من عمل شيروه وشيرزاد واشهد انهما من الدرجة الاولى في الحرب فان سرعتهما وخفتهما ولعبهما على ظهور الخيول وصراعهما لم اكن ان رايتهُ قبل الان في مثل هذا المكان الا من ابيك و بهزاد ولم ارَه قط من غيرهما من كامل فرسان ايران . فزاد هذا الكلام في رغبة الملك بهمن الى ابيهِ وانفطر قلبهُ الى مشاهدته وبكى بالرغم عنهُ وانفطرت مرارتهُ ورمى نفسهُ على جده يقبل يديهِ وقال لهُ اني مشتاق الى ابي يا سيدي فلا تحرمني من ان اكون بين يديهِ فاني مشغول الفكر من اجلهِ مرتبك الافكار لا اقدر ان اعرف ماذا جرى عليهِ وحل بهِ فقبلهُ الملك وعرف حبهُ لابيهِ وانهُ محق بذلك فطمنهُ ووعده ان يرسلهُ الى ابيهِ وقال لهُ اني اشد منك رغبة في مثل هذا الامر لان منذ غياب ابيك الى هذا اليوم وانا منتظر منهُ خبرًا لاعرف ماذا جرى عليهِ وحتى الساعة لم يصلني علم قط وهذا مما زاد في قلقي واضطرابي وانا احب ان ارسل اليهم نجدة فربما يكونون في ضيقة او في تاخر وعلى كل حال فمسيركم نافع فان كانوا في حاجة اليكم رفعتم عنهم الضيق وافدتموهم وان كانوا في رخاء وما من حاجة لهم فيكم فتكونون قد اجتمعتم باباءكم وما من ضرر في مسيركم واجتماعكم بهم واني الان في مامن عنك لاني اعلم انهُ يسير بين يديك اردوان وشيروه وشيرزاد ووحدهم كافون لان يرفعوا الشدة وما من خوف عليكم فاذهب الى والدتك واستعد للسفر ثم دعا اليهِ اردوان وشيروه وشيرزاد ومدح من افعالهم وقال لهم حيث قد مضى مدة من الزمان ولم يصلنا خبر عن جيوشنا القائمة في حرب الصين نويت ان ابعث بكم الى اباءكم واصحبكم بالجيوش والفرسان فتصلون الى بلاد الصين وترون لنا كيف احوالهم فلما سمع الغلمان هذا الكلام صفقوا من الفرح ورموا بانفسهم على ايادي الملك يقبلونها وقالوا اصحيح تبعث بنا الى اباءنا وهل يسمح لنا الزمان ان نراهم ونتعرف بهم ويرونا و يسروا بنا فاسرع يا سيدنا بذلك فينيلك الله اجر اشواقنا واحتراقنا على ان نكون عند اباءنا لان امهاتنا تبكين الليل والنهار لطول غيابهم عنهن

فاشفق علينا وعليهن فتاثر الملك من كلامهم وترقرقت الدموع في عينيهِ وقال لهم ان رغبتي وشو
اكثر من رغبة امهاتكم غير اني كنت قبلا اخاف عليكم لصغر سنكم واخاف اذا سرتم لا تنفعون ولا
الان فاني اثق انكم وحدكم تكفون لان تدوخوا بلاد الصين وتلك النواحي وترفعوا الشدائد
عن ابائكم اذا كانوا بشدة فاذهبوا واستعدوا لبينما اكون قد جمعت العساكر والرجال لتسير معكم
ومن ثم رجع كل واحد الى امهِ واخبرها بغاية الملك ففرحن جميعهن ولا سيما عين الحياة فانها وان
كانت لا ترغب في فراق ابنها الا انها كانت تحب من كل قلبها ان تعلم حال ابيهِ وترغب ان يكون
عنده وبين يديهِ ليسرَّ بهِ وبما اعطي من المجد والحكمة والحسن وكان حبها له يقودها الى ذلك
ويدعوها اليهِ ليكون مدة قيامهِ في الصين مسروراً بوالده ولا سيما عندما يراه ويرى انه قد بلغ مبالغ
الرجال وصار يذكر بين العظماء والاعيان وعليهِ اخذت تعدد له ما يحتاج اليهِ في سفره وكتبت
كتاباً الى ابيهِ وختمتهُ واوصتهُ ان يدفعهُ اليهِ بيده ولا يسلمهُ الى غيره وكذلك سائر النساء كل واحدة
اقامت على وداع ابنها وبعثن بالمكاتيب لازواجهن

وكان الملك في هذه المدة قد امر ان تجتمع اليهِ الفرسان والابطال فاجتمع عنده اكثر اهالي
المدينة يظهرون رغبتهم في المسير الى الصين فانتخب منهم بنفسهِ الشبان الذين هم من سن ١٥ الى ٣٠
سنة حيث انهم كانوا صغاراً وقت مسير فيروز شاه الى الصين وقد شبوا حين غيابهِ ولذلك كان
الجيش من مصاف الامراء وكان جملة الذين انتخبهم مائة الف فارس عقد لاردوان على عشرين
الف منهم ولشيرزاد على عشرين الفاً ولشيروه على عشرين الفاً وخرج بهم الى ساحة المدينة لوداعهم
فاجتمع الجميع هناك واهل المدينة كباراً وصغاراً نساء واولاداً وحينئذ امر الملك ان يوتى بالعلم
الكبير الفارسي المختص بهِ وهو اكبر علم بالمملكة فرفعهُ فوق راس بهمن ومن ثم نظر الى من حواليهِ
من اعيان الفرس وقال لهم انتم تعلمون اني صرت رجلاً كبيراً وقد شخت واحب ان ارى في حياتي
ملكاً لفارس من نسلي وكان املي ان يلبس التاج ولدي فيروز شاه غير انه امتنع مراراً رغبة منهُ
في خوض المعارك وقتال الفرسان والمخاطرة بنفسهِ في كل معمعة ومعركة ومن كانت هذه الصفة
صفتهُ لا يثبت تحت التاج الملكي ولا يحفظ ناموس الملك بقدر ما يرغب في حفظ ناموس سيفهِ
وانتقامهِ من الاعداء ولذلك قد اقمت ملكاً على فارس في حال حياتي حفيدي بهمن فهو حكيم
عاقل خبير لا يوجد له ثان في هذه الايام فافرحوا بهِ وسروا جميعاً حيث ان الله قد رزقكم ملكاً
اعقل ملوك العالم مع صغر سنهِ وكذلك اقمت وزيراً له بزرجمهر بن طيطلوس لانه كابيهِ حكمة
ومعارف وادباً تعززاً وبرهاناً عليهِ فاني البسهُ التاج من هذه الساعة وابعثهُ الى بلاد الصين كملك
لا كابن ملك واكون على البلاد كوكيل عنهُ الى حين عودتهِ فهو ولدي وابن ولدي ثم ان الملك
ضاراب رفع التاج عن راسهِ ووضعهُ على راس الملك بهمن وقال له احكم في البلاد وانصف بين

العباد واعدل في الاحكام . ولا تسلك سبيل الجهالة ولا تطع اولاد الحرام . فانت منذ هذه الساعة ملك ايران بل ملك اليمن ومصر والرومان . وكل المدائن والعواصم التي انتصرنا عليها هي الان في قبضة يدك ومطيعة لك وسوف تمر على اكثرها وتدخل عروشها وتشاهد سلاطينها فيقدمون لك الطاعة فخذ معك منهم الجنود والعساكر الى قتال الصين بحيث لا يكون جيشك اقل من اربعمائة الف مقاتل . واذا وصلت الى ابيك وكان لا يزال حيًا فاقره مني السلام واسالة في نهاية الامر والرجوع الى بلاده حالاً لاني بشوق اليهِ واخاف من ان اموت ولا اعود اراه مرة ثانية وعند ذلك بكى الملك شوقًا الى ولده فيروزشاه ثم عاد فقال الملك بهمن وكذلك اقرمني السلام الى امين دولتي طيطلوس ومدبرها والى بهزاد حاميها و بهلوان تختها والى اولاد عمي الامراء والشاهات ثم رمى بنفسهِ على حفيدهِ فقبلهُ وودعه وهو يقبل ايديهِ و يشكره مقدار ساعة من الزمان ومن ثم رجع الملك الى قصره وركب بهمن وخرج من المدينة مع العساكر والجنود و بين يديهِ الحراس والعبيد وفي المقدمة اردوان ابن فرخوزاد وشيروه وشيرزاد والى جانبهِ بزرجمهر ابن طيطلوس الحكيم وسار لوداعهم رجال الفرس كل ذاك اليوم ومن ثم عادوا الى مواطنهم ولم يسر معهُ الا عشرة شيوخ من الذين كانوا مع ابيهِ عند حروبهِ في اليمن وغيرها ليحكوا لهُ عن المواضع وما وقع فيها من المواقع وكانوا يسيرون بين يديهِ وكلما تقدموا من مكان حكوا لهُ ما جرى لابيهِ فيهِ وداموا في مسيرهم الى ان وصلوا الى قرب نواحي تعزاء اليمن الى مكان القلعة الجميلة فحول هناك عن جواده ونزل بمن معهُ واخبره الشيوخ بخبر تلك القلعة وانهُ كان اسيرًا فيها فيلزور مع بقية فرسان ايران وان اباه خلصهم منها وهدم القلعة ولم يبق منها الا الاثار فاقام هناك بضعة ايام ومنها بعث بالرسل الى جده الشاه سرور ليعلمهُ بقدومهِ وتقدم من هناك الى ان وصل الى الساحة التي وقع فيها القتال مع اليمن والزنوج فاخبره الشيوخ بما كان هناك وكيف ان اباه قتل طومار وهو فوق الفيل مع انهُ ضخم الجثة لا يوجد من هو بقدر جسمهِ بين الرجال وكانت عظام الفيل الذي قتل هناك لم تزل باقية وكذلك عظام طومار فتعجب منها بهمن وعرف ان اباه نادر المثال عديم النظير في ذاك الزمان وهو يشتاق الى الوصول اليهِ والتقرب منهُ ولا زالوا على مسيرهم الى ان قربوا من المدينة واذا بالشاه سرور خارج منها ومعهُ الاعيان والوزراء والخواجه ليان الى جانب الشاه سرور ولما راوه وهو على تلك الحالة وما هو عليهِ من العظمة والجلال ترجلوا عن خيولهم وترجل هو اعتبارًا لابي امهِ وكانت اوصتهُ ان يسلم لها عليهِ ولما التقى بهِ قبل يديهِ فقبلهُ و بكى كل منهما فرحًا بالاخر وتقدم الخواجه ليان اليهِ وسلم عليهِ وكان يسمع من امهِ انهُ هو السبب في دخول ابيهِ الى بلاد اليمن وقد حفظ لهُ الود الى اليوم الاخير من زواجه و بعد زواجه ولهذا اكرمهُ ومدحه على حميد افعالهِ و بعد ان سلم على جميع رجال اليمن الذين خرجوا لملتقاه رجعوا جميعًا الى المدينة وصار لهُ

احتفال عظيم وعرف كل نساء المدينة واطفالها وشيوخها ان الملك بهمن ابن فيروز شاه وابن عين الحياة بنت ملكهم جاء الى المدينة فتسلقوا الاسوار فرحين به وهم ينادون له بالنصر والظفر وطول العمر و يندهشون منه اذ كان مطبوعًا على جبهته لوائح ابيه وكان يظهر من سواد عيونه وحاجبيه هيئة ابيه فكان من اجمل الناس وجهًا واكثرهم جاذبًا لمحبة القلوب وتعلقها بفرط حسنه وجماله

وبالاختصار ان الملك بهمن اقام في تعزاء اليمن مدة عشرة ايام وهو يطوف من مكان الى مكان يتفرج على البلاد ومعه الخواجه ليان يحكي له عما كان في كل ناحية من امراء ابيه وبعد ذلك سال جده المسير وقال له لا اخفاك اني جئت قاصدًا الصين لارى ابي واني في هذا اليوم مزمع على السفر فقال له اني لا امنعك من ذلك واني ارغبه مثلك لابل اكثر منك حيث ان قلبي ملهوف الى رؤية ابيك كما هو ملهوف الى رؤية امك واسال الله ان يكون رجوعكم قريبًا الي بغاية النصر ونوال المراد . واني قد اعددت ثمانين الفًا من الشبان الاقوياء يسيرون بين جيوشكم وفي خدمتكم الى الصين فشكره وقبل يديه وودعه وركب بالابطال والفرسان وسار من بلاد اليمن قاصدًا مصر ومرّ في طريقه على لدن الطائف فدخلها بطلب شير زاد لانه احب ان يتفرج على بلاد امه وقد اوصته ان يتفقد لها من بقي من اهلها هناك فخرج اهل المدينة للقائه واضافوهم مدة ثلاثة ايام وهم فرحون بالملك بهمن وبابن تاج الملوك وحينئذٍ ركب الملك بهمن وسار من لدن الطائف الى ان قرب من مصر فبعث بالاخبار الى الشاه صالح انه قادم عليه فخرج ذاك مع ابي الخير وزيره الاول وكامل اعيان مصر وامرائها ولما قربوا منه سلموا عليه وهنأوه بالسلامة ورجعوا معه الى المدينة وكان يكرم ابا الخير وحميه اذ ان الشيوخ حكوا له ما فعلا مع ابيه وبعد ان دخل المدينة نزل في قصر طوران تخت واقام فيها عشرة ايام على الفرجة والتنزه واستعادة احاديث ابيه وما كان له فيها ثم ركب من هناك واستصحب معه من مصر مائة وعشرين الف فارس وودع الشاه صالح وسار يقصد مدينة الملك قيصر اي البلاد التي اقام عليها الشاه سليم حاكمًا وملكًا وكان يمر في طريقه على البلدان والعواصم فتخرج الناس الى ملتقاه افواجًا افواجًا ويقدمون له الهدايا ويحتفلون به ويسيرون امامه مودعين ودام على مثل ذلك الى ان قرب من قيصرية فارسل خبرًا الى الشاه سليم ابي السيدة انوش بوصوله مع عساكره تحت امرة ابن بنته اردوان ولما وصل هذا الخبر اليه كاد يطير من الفرح وخرج مسرورًا بعموم وزرائه واعيانه وكلهم يتمنون ان يروا ابن فيروزشاه او بالحري بز رجمهور ابن نور بنت بيد الخطك وزيرهم ولما التقوا بهم ترجلوا وسلموا على بعضهم البعض ودخلوا المدينة بعظمة وفخار عجيبين لم يسبق ان سمع بمثلها وكان افرح الجميع الشاه سليم بابن بنته اردوان ولا سيما عندما رآه من افرس الفرسان ورأى فيه هيئة ابيه وامه وعاد لا يفارقه وهما مع الملك بهمن مدة عشرة

يام حتى تفرجوا على كل نواحي قيصرية وذهبوا الى قلعة الحديد وتفرجوا عليها وكانت في هذه المدة تجمع العساكر وتتعدد حتى كملت فركب الملك بهمن وسار عن قيصرية وقد سار معهُ من العساكر المتنوعة ما ينوف عن الاربعمائة الف فارس ما بين مدرع ولابس ومن هناك ساروا بطلبون بلاد الصين لا يصدقون ان يصلوا اليها وكلما تقدموا تزيد بهم الاشواق الى ملاقاة ابائهم وكانت كل تلك العساكر من الغلمان والشبان الذين اباؤهم قائمة بالحرب والجلاد يتمنون الوصول اليهم ليجتمعوا بهم وداموا في المسير الى ان وصلوا الى مدينة السرور فوجدوا الاعلام الفارسية عليها وعرفوا انها دخلت في حكم الفرس فاقاموا فيها اياماً وقد اخبرهم ملكها بما كان من امر ابائهم وانهم الان في نواحي الصين قائمون على الحرب والطعان وفي كل مدة يرسلون الرسل فتاخذلهم الاغنام والمهامت اللازمة لهم لانهم خلفوها كلها في المدينة ففرحوا وفرح الملك بهمن اذ سمع ان الفرس لا يزالون على بكين عاصمة الصين وانهم يصلون نار الحرب عندها مع اهلها واقام في تلك المدينة ثلاثة ايام وبعد ذلك نهض برجاله يقصد بكين بابطاله وفرسانه وبقي على مسيره وهو يومل ان يرى اباه بوقت قريب كباقي الفرسان والابطال الى ان قربوا منها ولم يبقَ بينهم وبين المدينة الا ثلاثة ايام فبعث الملك بهمن بكتاب الى ابيهِ فيروزشاه يعلمهُ بقدومهِ وارسلهُ مع الغلام الرسول الذي سار بهِ الى طيطلوس وعرف ما هم عليهِ عساكر الفرس ورجع فاخبر الملك بهمن فكاد يغيب عن الصواب وسار بابطال الفرس وفي اولهم اردوان بن فرخوزاد وجرى ما جرى هناك كما تقدم شرحه

ولنرجع الان الى سياق الكلام وهو ان طيطلوس تقدم الى جهة الملك بهمن وسلم عليهِ مزيد السلام وسالهُ عن ابيهِ وحالة الفرس ثم بعد ذلك رمى نفسهُ على ولده يقبلهُ وهو لا يصدق انهُ ابنهُ وانهُ اصبح قادراً على تدبير امور جيش وانهُ صار وزيراً بنفس منصبهِ وتقدم سائر الفرسان وسلموا على طيطلوس وقبلوا يديهِ وسالوه عن ابائهم وامراء بلادهم وكانوا قد تكدروا كيف انهم وصلوا ولم يروهم وعند ذلك اخذ طيطلوس يصرح لهم ما جرى عليهم منذ البداية الى ذلك اليوم وكيف انهم بعد ان كانوا ناجحين ومحاصرين المدينة عادوا فتاخروا عند غياب فيروزشاه من بينهم ونزولهِ الى المدينة ولاسيما عند غياب بهزاد واسره من ديدار وهو على انفراد في وسط الوادي . فلما سمعوا منهُ هذا الكلام مفصلاً غابوا عن الصواب وتمنوا ان يهجموا على المدينة دفعة واحدة ليروا هل ان فيروزشاه وفرخوزاد وكرمان شاه ومن معهم بخير او انهم بالاسر يقاسون ظلم الصينيين ومن ثم قال اردوان لطيطلوس لا بد من تفريق هذه الجيوش وقتل ديدار في هذين اليومين ومن ثم نعود الى المدينة وننظر هناك في الطرق الموصلة الى فتحها والاكتشاف على من داخلها من قومنا ولا بد ان الله سبحانهُ وتعالى يسهل لنا الوصول اليهم ورفع الضيم عنهم فهو لا يترك عبيداً اقاموا على تعزيز كلمتهِ في مشرق الارض ومغربها فمدحهُ طيطلوس على كلامهِ وثبت عنده تغيير الحالة التي وقعت عليهم

والصعوبات التي لاقوها و باتوا ينتظرون الغد ليبكروا الى الحرب والقتال ويخلصوا خورشيد شاه من اسر ديدار وكان بيلتا قد فرح بابن اخيه وابن فيروزشاه و باقي الفرسان وقد تقوى بهم بعد ان كان قد قطع الرجاء من الخلاص وثبت لديه انه من الهالكين لعظم جرحه ومضايقة الاعداء لهم وصار يومل بانه يعود معهم الى الحرب بوقت قريب . وكان شيرزاد اشد الجميع كدرًا لعلمه ان اباه اسر في جيوش الاعداء وهو قريب منه محجور عليه لا يقدر على الخلاص وهو لا يصدق ان ياتي ليباشر الحرب والكفاح ويبدد الاعداء ويفرج عن ابيه

فهذا ما كان من رجال الفرس وما نالوه من الفرح بسبب تلك النصرة الغير منتظرة وعودة السعادة اليهم بعد ان لاقوا ما لاقوا من النحوس واما ما كان من منكوخان وديدار فانهما عادا الى الوراء كما تقدم معنا ونزلا بالخيام واجتمعا ومعهما اعيان الفرس وقوادها وقال لا ريب ان النار غضبت علينا في هذا اليوم حيث لم نؤد لها فروض الشكر المتوجبة علينا بل سكرنا بخمرة النصر الذي حسبنا ان وقوعه كان بقوتنا وبسالتنا واقدامنا والا كيف من الممكن ان اصبح الاعداء على اخر رمق من الحياة وهم على شفير الهلاك لا قوة لهم على الدفاع والثبات وحمل حملاتنا ولا نقطة ماء يروون بها ظماء واحد منهم تاتيهم المعونة عند وقوعهم بمثل هذه الاحوال وما ذلك الا من تدبير النار ذات الشرار واننا نطلب اليها الان ان تعيد الينا النصر ونقدرنا على كسر هذه الشرذمة التي جاءت وهلاكها بوقت قريب . فقال ديدار لا ينبغي ان نوخذ بفعل الذين جاءوا لنصرة الفرس فما هم الا غنيمة انا لانهم قليلو العدد لا يثبتون في وجوهنا قط واني ازمعت في الغد ان ابارز الفرسان واحدًا بعد واحد واطلب منهم الابطال حتى اذا قتلت الرؤوس ذابت الاذناب اي اذا قتل من بينهم الابطال والفرسان وتبدد شملهم وضعفوا عاد الينا النصر كما كان واني احسب سوق هذه العصابة القليلة هي من توفيقات النار وحبها في نجاحنا لانها تريد ان نفرض الفرس دفعة واحدة فيبادون عن اخرهم ولا يبقى لهم بعد ذلك اسم يذكر . وبقيوا على مثل تلك الحالة منتظرين الصباح الى ان جاء صافيًا نقيًا وبعث باشعة شمسه لتفقد ذاك المكان تسهيلاً للقوم على مرأى بعضهم البعض تخرق لهم حجب الغبار المتكاثف اثناء انتشاب نار القتال وللوقت نهضت عساكر الفرس نهضة الاسود الكواسر وهي مشتاقة كل الشوق الى خوض معمعة القتال واسرعت الى خيولها فركبتها والى نصولها فتقلدتها ودنت من ساحة الميدان فوجدت عساكر الصين قد قابلتها بالمثل واخذت في ان تصطف صفوفًا صفوفًا وتترتب جماعة جماعة وقبل ان انتهى ترتيبها الى الاخير توسط ديدار الميدان وهو على ظهر جواد كانه السرحان . غاطس بالحديد من راسه الى قدمه معتز بنفسه كل الاعتزاز فصال وجال من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين وهو يزئر زئير الاسود . ويصيح باصوات ترعب الافئدة والكبود . ولعب بعمده على ابرع فن تعلمه واعتاد عليه وبعد ان اخذ لنفسه الحد وقف في الوسط

وصاح قائلاً انا ديدار . منزل على الاعداء امطار الدمار . ومهلك كل صنديد وجبار . فمن منكم راغب في الفناء . كاره البقاء . فليبرز اليّ لانجز امره . وانهي من هذه الحياة عمره . فلما سمع اردوان كلامهُ كاد ينشق من الغيظ وقال لا بد ان اريهُ اليوم حرباً لم يرَ مثلها عمره بطوله ثم صاح بالجواد فخرج من بين الصفوف كانهُ السهم الطيار . الى ان فاجأ ديدار . وقال لهُ ويلك ايها الخبيث الغدار . اتظن ان الدهر يصفو لك الى هذا المقدار . فقد انتهى عزكم وخاب رجاكم ولم يبق لكم من امل بالنصر الذي كنتم تؤملونهُ فاثبت الان امام اردوان ابن اخي بهزاد . فقال ديدار لم يكن في عهدي ان اقاتل الغلمان الصغار الذين لا يصلحون لمثل هذا المقام بل من الواجب عليهم ان يبقوا بالشوارع والازقة يلعبون مع بعضهم بالاكر وهل بعد اسري لعمك بهزاد الذي تفتخرون به وتباهون بشجاعته احسب حساب من مثالك . ثم صاح فيهِ وهجم عليهِ فلاقاه ملاقاة اسود الاجام . واخذ معهُ في القتال والصدام . ولاقاه اردوان بقلب اشد من الصوان . واخذ معهُ في الجولان . وكان الاثنان من ابطال ذاك الزمان . ومن الذين لهم حق السيادة على الابطال والفرسان . قد ابهرا بقتالهما الانظار . وادهشا الابصار . حتى اخذ الجميع الذهول . وتحيرت منهم العقول . لانهم راوا من قتالهما العجائب . وشاهدوا من جولانهما الغرائب . وامعن طيطلوس في قتال اردوان . وزانهُ بحكمتهِ باخبر ميزان . فراه يشبه عمهُ بهزاد . في ساحة الحرب والطراد . وثبت لديهِ انهُ ينتصر على ديدار . وانهُ سيقتلهُ او يأسره قبل فوات ذاك النهار . ومثل ذلك منكوخان فانهُ اخذه الانبهار من فعل اردوان مع صغر سنهِ ولم يكن يخطر قط في ذهنهِ انهُ يثبت امام ديدار حتى راه وهو يدور من حواليهِ كالدولاب . وينحط عليهِ انحطاط العقاب . وقد سد بوجههِ كل باب . فاخذ يطلب النصر لديدار . ويسأل لهُ السلامة بمساعدة النار .

هذا والاثنان باشد قتال . ونزاع وجدال . وهما تارة يفترقان . وطوراً يتناطحان . ويتقاتلان ويتصادمان ويتماسكان تماسك الاساد . ويتصارعان تصارع الاطواد . حتى فات الظهر او كاد . واذ ذاك راى ديدار سرعة اردوان . وخفتهِ في اثناء الضراب والطعان . فعمد الى ما كان مصطلح عليهِ في ذاك الزمان . وهو الضرب بالعمدان . ولذلك صاح باردوان وقال له قف ايها الغلام مكانك فان الحرب انصاف . لا يكره فيهِ الا اولو الجور والاسراف . فاذا كنت تدعي انك من الابطال الشداد فاثبت اضرب عمدي ثلاث ضربات ثم اضربني مثلها ثلاث فمن كان منا اشد حيلاً واقدر ثباتاً يظهر في مثل هذا المقام . فاجابهُ اردوان وقال لهُ اني منصفك في القتال فاضرب ثلاثاً بثلاثين فامامك جبل من امتن الجبال لا يتزعزع ولا يهتز ولا ياخذه ملال . ثم اخذ الطارقة بيده وثبت على ظهر جواده ففرح ديدار وامل النجاح وانهُ سينتصر على خصمهِ لتاكده انهُ صغير لا يقدر على الثبات تحت ضرب عمده الذي يبلغ ثقلهُ خمسمائة منّ واكثر . ولهذا اطلق لجواده العنان

ذهاباً واياباً ثم عارض اردوان ورفع العمد بيده الى اعالي السحب و بعث بو يهوي وعموم العساكر تنظر وترى وفي ظنهم ان اردوان سيسحق ورماداً تحت تلك الضربة القوية الا انهم ما لبثوا ان راتوا اردوان قد دفع قوة تلك الضربة بما اعطاه الله من الحيل والقوى و بما تعلمهُ من براعة فن القتال فسمع لصوت وقوع العمد على الطارقة دوي اشبه بالرعد. ثم نظر الابطال الى ا لعمد فراوه من صدمة الطارقة له بقوة اردوان قد افلت من يده واندفع الى بعيد عنهُ الى الارض ووقف ديدار غائباً عن الصواب مبهوتاً من عمل اردوان متعجباً من متانة عزمهِ وصلابة زنده . ولما راه اردوان على تلك الحالة صاح فيهِ وقال له خذ لنفسك الحذر فاني اسرك لامحالة وصدمهُ بقوة قلب وجنان فامتشق ديدار الحسام وارسلهُ اليهِ بضربة قوية فلم يعبأ بها بل تناولها بدرقتهِ واضاعها بمعرفتهِ وارسل يده باسرع من لمح البصر الى جلباب درعه واقتلعهُ من بحر سرجه ورماه الى الوراء فاسرع رجال الفرس اليهِ واوثقوه ولما راى منكوخان ما حل بديدار استعاذ بالنار ذات الدخان . من عمل اردوان . واشار الى العساكر ان تحمل حملة واحدة علها ان تخلصهُ وترجع بهِ او تاسر اردوان فتفدي بهِ ديدار . فالتقاها ابن فرخوزاد . بثبات عزم وفواد . وصاح شيروه وشيرزاد . وحملت بقية الفرسان والقواد . حملة الابطال والاساد . ولم يكن الا القليل حتى اختلطت الابطال ببعضها البعض . كانهُ قد آن يوم العرض . وابدى كل من الفريقين جهد نفسهِ . ليقدم شرف اصلهِ وجنسهِ . حتى ارتفع الغبار . وحجب الشمس ذات الانوار . ونشر على المتحاربين رواق الدمار . وايقن كل منهم بالهلاك والبوار . ولا سيما عساكر الصين وقوم ديدار . فانهم شعروا بالتفريق والانكسار . بعد ذاك العز والانتصار . فقاتلوا قتال خائب الرجاء . الراغب بالانقراض والفناء . لانها بعد ديدار لم تعد راغبة بالبقاء . وكانت ابطال الفرس تقلب الميامن على المياسر . وتزئر زئير الاسود الكواسر . وتطعن في الصدور والخواصر وتفعل بالاعداء الاجلاف . كما تفعل النار بالقش الجاف . واغتنمت تلك الفرصة لشفاء غليلها وارواء ظماء قلوبها من الاخصام . وانقراضهم انقراضاً تام . غير ان الوقت كان قصيراً فلم يسمح لهم ببلوغ المرام . وما ابثوا يقاتلون الاعداء اللئام . الى ان عارضهم جيش الظلام . وارجعهم بالرغم عنهم الى الوراء بعد ان كانوا تقدموا الى الامام حيث سمعوا طبول الانفصال تاذنهم بترك الحرب والصدام فعادوا الى المضارب والخيام . وقد تلقاهم الملك بهمن وطيطلوس بالاعزاز والاكرام . واقاموا في ذاك المقام . على الفرح والاستبشار . ينتظرون زوال الليل بالاعتكار . واقبال النهار بجيوش الانوار . و بعد ان دخلوا صيوان الملك بهمن احضروا ديدار وسالوه عن حالتهِ وكيف يرى نفسهُ فلا ابدى خطاباً ولا اجاب جواباً بل بقي صامتاً لانهُ كان متكدراً من نفسهِ كيف انهُ يكون ديدار و ياسره ولد من الاولاد الصغار . و بينما هم على مثل ذلك واذا بالعيار جلدك عيار ديدار قد دخل عليهم وقبل يدي الملك بهمن واعطاه كتاباً من

منكوخان يقول له فيهِ ان عندنا خورشيدشاه اميراسرناه منكم اثناء الحرب والقتال كما اسرتم منا ديدار فاذا شئتم بدلنا واحدًا بواحد فتطلقون لنا اسيرنا ونطلق لكم اسيركم وبذلك يكون الانصاف فلما قرأ الملك بهمن هذا الكتاب استشار طيطلوس فيما يقول لانهُ كان اكبر الجميع سنًا واعرفهم خبرة فقال ليس من الصواب ان نطلق ديدار بعد ان وقع بيدنا ولا نفديه الا ببهزاد واما خورشيد شاه فهو امامنا بين جيوش الاعداء واننا قادرون بعد يوم او يومين ان نخلصهُ ونعيده الينا سالمًا ويبقى ديدار اسيرًا عندنا فوافقهُ ابنهُ وبهمن وجميع الحضور ما عدا شيرزاد فانهُ اغتاظ من ممانعة طيطلوس وقال لهُ اني اسالك ياسيدي ان قتل الخصم في الميدان اهون على الفارس من اسره ام لا قال لا ريب ان القتل اسهل فقال ان الذي ياسر ديدار اليوم لايقدر على قتلهِ في الغد فمن الاصابة ان تطلقهُ فيطلقون ابي واني اعدكم ان اعيده لكم في الغد كما هو الان . واذ ذاك عرف اردوان ان غاية شيرزاد خلاص ابيهِ وان لهُ الحق بذلك فوافقهُ وقال اني ارجو سيدي الملك ان يامر باطلاق ديدار واننا لامخافة في قتال ولا نزال ولا حرب ولاجدال واني قادر في كل ساعة من ساعات الزمان اراه فيها في وسط الميدان ان اخذه اسيرًا واعدمهُ الحياة فلم يمانع طيطلوس بذلك حبًا بشيرزاد وسال الملك اطلاق ديدار وهذا قربهُ منهُ وقال لهُ ان منكوخان يسالنا اطلاقك فيطلق لنا خورشيد شاه ولهذا اجبناه فهل تعاهدنا انت على ذلك وتبعث لنا باسيرنا حال وصولك الى قومك .قال اني اعاهدكم العهد الصادق واقسم لكم بمعتقدي اني اطلقهُ لكم ولا اخون عهدي وقولي لاني راغب في ان اجرب نفسي مع اردوان مرة ثانية فاما ان اخذ لنفسي بالثار واما ان اقتل وقد كرهت في هذه الحياة ولم يعد لي رغبة فيها بعد ان فزت على الابطال وقهرت صناديد الرجال ياسرني غلام لم ينبت الشعر بعارضيهِ و يفضحني عند كل انسان . فاجاب الملك بهمن طلبهُ وامر طارق العيار ان يحل عقالهُ فحلهُ واطلق سراحه وحينئذ قال لهُ اردوان اني انتظر ان اراك غدًا في الميدان لتعيد اليك شرفك ولا تكن جبانًا فتتاخر عن ملاقاتي تال سوف يفصل بيننا اليوم الاتي فاما الموت واما الحياة

ومن ثم عاد ديدار ومعهُ عياره جلدك الى ان وصل الى جيوشهِ وسار منها متقدمًا شيئًا فشيئًا الى ان وصل الى صيوان منكوخان فوجده بالانتظار الى ان راه فقام اليهِ وسلم عليهِ وهناه بالخلاص وقال لهُ اني اشكر عناية النار التي خلصتك من هولاء الاشرار لانها منعت عنك نفوذهم وطمست على قلوبهم فاطلقوك وما ذلك الا ان لها غاية كبرى بان ترجع لنفسك الناموس الذي فقد منك بسماح منها لان لا يمكن ان تترك غلامًا لايزال بسن الرضاع يتمكن من بطل ابطالها العظام . قال قبل كل شيء اطلق خورشيد شاه ليذهب الى اهلهِ وفي الغد يكون الانفصال فاما ان ابلغ المراد واما ان اترك هذه الحياة ولا ارضى بالذل والعار فقال منكوخان ما من داع الان لترك خورشيد شاه

واطلاقه حيث ان الاعداء قد اطلقوك وانقضى الحال ووصلنا الى الغاية التي نحن طالبوها وهي حصولنا عليك سالمًا ورجوعك لقيادة جيشك . فقال ديدار لا بد من اطلاق خورشيدشاه لاني عاهدت الايرانيين ان ابعثه مطلوق الايدي والارجل يعني غير اسير ولا احب ان اخون بعهدي واحنث بايماني واذا ساعدتني النار عدت الى اسره مرة ثانية وليس هو فقط بل اردوان وغيره من فرسان الاعداء الذين جاءوا نصرة لقومهم . قال لا بد ان النار ترضى عليك وتعيد لك النصر اعظم من الاول . وعند ذلك امر منكوخان ان يطلق خورشيد شاه ويرسل الى قومه في الحال فسار جلدك العيار واطلق سراحه وقال له سر الى قومك فقد امرني سيدي بذلك لانه عاهد قومك عليه . وكان خورشيدشاه عرف بقدوم نجدة من بلاد الفرس لكنه لم يكن يعرف من هم الاتون ولا تصور ان ابنه يكون منهم ولا عرف كيف كان خلاصه الا انه عند فك قيوده سار الى قومه وسار معه جلدك حتى اوصله الى اخر جيش الصين وتركه ورجع وبقي خورشيد شاه سائرًا الى ان دخل بين قومه ومرّ على الحراس فصاحوا به فعرفهم بنفسه ولا زال حتى وصل الى صيوان الملك بهمن ودخل الصيوان وهو يحب ان يرى القادمين وحين دخوله نهض اليه طيطلوس وقال له تقدم وسلم اولاً على الملك بهمن ابن فيروزشاه الذي جاءنا بوقت الشدة والضيق ورفع عنا هذه المصائب والاهوال التي كنا وقعنا بها فما صدق ان هذا صحيح ونظر الى الملك بهمن وقبلا بعضهما البعض وشكره على سعيه فهناه بالسلامة وسأله عن جده وعن اهل ايران فقال هم بخير ثم ان طيطلوس قال له تقدم ايضًا الى ولدك شيرزاد فهو الى جانب الملك بهمن فنهض في الحال شيرزاد وقبل يديه فرمى نفسه عليه ومال بكليته اليه وهو يقبله ويبكي من عظم الفرح لانه تركه غلامًا ولا يكتفي بالقليل من تقبيله بل كلما رجع عنه يعود فيقبله ثانيًا فثالثًا حتى قال له طيطلوس من الواجب ايضًا ان تسلم على اردوان بن فرخوزاد الذي اسر ديدار في هذا النهار وفداك به فتقدم اليه وسلم عليه وشكره على اهتمامه فهناه بالسلامة ثم سلم على شيرويه وبزرجمهور وجميع القواد الذين جاءوا موخرًا وحمد الله على هذه المنة التي افتقد بها جيش الفرس وخلصهم من ضيقهم وعليه فقد صرفوا تلك السهرة يحكون لخورشيد شاه ما كان من امرهم في بلاد الفرس وخروجهم منها الى ان وصلوا الى تلك النواحي واجلوا الاعداء عن قومهم وهو يسرّ منهم ومن ولده ويحمد الله كيف انه خرج بطلاً يذكر وهو بسن الاولاد وبعد انقضاء السهرة انصرفوا الى مراقدهم ينتظرون الصباح . وفي اول اليوم القادم اي عند بزوغ شمسه نهض الملك بهمن وركب في موكب ورفعت من فوقه الاعلام والرايات وركبت الفرسان والقواد من الكبير الى الصغير وهم ينتظرون في ذلك اليوم ما يكون بين اردوان وديدار لانهما تواعدا الى العود الى القتال والحرب والنزال وتقدم الجميع الى ساحة القتال وكذلك ركب منكوخان وديدار وفرسان الصين ووقفوا صفوفًا مقابل رجال ايران وحينئذٍ

توسط اردوان الميدان ونادى ديدار ان يخرج اليهِ ليرفع عنهُ العار ويمنع الفضيحة التي لحقت بهِ وما انتهى من منادانهِ حتى فاجئهُ ديدار وصاح بهِ واخذ معهُ بالطعان والضراب وهو محروق القلب والفؤاد يتمنى ان يبلغ منهُ المراد في تلك الساحة ليرى الجموع المتجمعة انهُ قهر خصمهُ فلا يقال عنهُ انهُ اسر من غلام لم يبلغ اشده . ولم يسبق لهُ ان ذكر بين الابطال والفرسان بل اول قتالهِ كان معهُ واما اردوان فكان يحاول ان يعيده الى الاسر مرة ثانية ولذلك اخذ معهُ في المطاولة والجولان والمحاولة وهما كانهما فرخا جان او عفريتان من عفاريت السيد سليمان يهمهمان و يدمدمان وينهمان ويصيحان . ولم تكن ترى منهما الفرسان . الا ضرابًا وطعان . وحربًا اشد من لهيب النار عند الشعلان . وقد بذلا في القتال الجهد . واكثرا من الاخذ والرد . والقرب والبعد الى ان زهقت منهما الارواح . وضاقت الصدور من التنفس والارتياح . حتى جاء الوقت الذي كان بهِ اسر ديدار في اليوم الاول اي صار بعد الظهر وحينئذٍ تاخر ديدار وقال لاردوان ان هذه الحال تطيل بنا الى الزوال فلنعد الى ما كنا عليهِ في الامس فاضربني ثلاث ضربات واضربك مثلها وبذلك يظهر عظم اقدامك لاني في الامس لم انتبه ولم اكن اعهد فيك هذه القدرة حتى وقع العمد من يدي واما الان فاضربني انت اولاً ومن ثم اعود فاضربك انا . فقال لهُ اردوان اني اجيبك الى كل ما تطلب انما لا يمكن ان اضرب اولاً لان رجال الفرس لم يسبق لها ان تكون البادئة عند وقوع مثل هذا القتال ولا تحمل على نفسها ان تكون جائرة على الاخصام بل من طبيعتها ان تحمل اولاً ضربات مقاتليها ثم تعود الى مجاراتهم فافرغ انت اولاً والقاني ثانيًا . فاجاب ديدار واخذ بيده العمد وقام بمتانة عزمهِ وضرب بهِ اردوان وهو قابض عليهِ بكل عزمهِ وفي ظنهِ ان تكون تلك الضربة كافية لسحقهِ فلم تؤثر بهِ ولا اهتم بها بل التقاها بقوة زنده ودفع العمد الى الوراء بما اضعف عزمهُ وضربهُ الثانية فالتقاها كالاولى ولما عرف انهُ لم يبقَ لهُ الا ضربة واحدة وانهُ يغلب بعد ذلك اغتاظ كل الغيظ ورفع العمد وفي نيتهِ ان يغدر بهِ فرآه متحذرًا كل التحذر فارسل الضربة الى راس جواده فسحقهُ وشعر اردوان بفعلهِ فتكدر وعرف من نفسهِ انهُ سيقع الى الارض لوقوع الجواد وسبق لذهنهِ انهُ سيدركهُ وينال منهُ مراده ولذلك عند وقوع الضربة على راس الجواد اسرع ولطم ديدار بالطارقة في صدره فغيبهُ عن الصواب ولم يتمكن من ان يدركهُ في الحال لتالمهِ واذا بشيرزاد قد صاح صياح الرعد القاصف وهجم على ديدار واخذ معهُ في الطعان والضراب وحال بينهُ وبين اردوان وعند ذلك اسرع طارق العيار واتى بفرس كريم الى اردوان وهو يلم نفسهُ من الوقعة ولما وصل الجواد اليهِ ركب ورجع الى ديدار وطلب من شيرزاد ان يتخلى عنهُ وكان شيرزاد قد ضايقهُ كل المضايقة وعزم على قتلهِ الا انهُ رجع عنهُ اكرامًا لاردوان لعلمهِ اذا لم يقتلهُ هو او ياسره يبقى مغتاظًا ولما رجع شيرزاد صاح اردوان وقال لهُ ويلك ايها الخبيث الغدار لم يكن عهدي وانت

من الابطال الشداد ان تسلك سبيل الخيانة وتترك سبيل الرشاد واني كنت اشفق عليك واطاولك في القتال على امل ان اخذك اسيراً دون ان يهان او يلحق بك ضرٌّ واذى حتى ابدت الخيانة منك والان لا بد من قتلك على اي حال كان ثم صاح بهِ وهجم عليه واشهر بيده الحسام الى ما فوق راسهِ وضربهُ بهِ والغيظ يملأُ كبده فوقع السيف على الطارقة فقطعها نصفين وهوى السيف على كتفهِ فشطره الى خاصرتهِ ووقع الى الارض قتيلاً يخبط بدمهِ وبعد ذلك صاح اردوان باهل الصين ويلكم لئام اوغاد . فقد جاءكم اسد الاساد . ومشبع الطاير في يوم الطراد . اردوان ابن اخي بهزاد . ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد . ليعيد اليكم فرحكم كدراً . ويريكم من حربهِ ناراً وشرراً . وارتمى على قوم الصين فتبعهُ شيروه وشيرنراد وهما ينادياں مناداة العظمة والمباهاة . وقد انحطا على الاعداء انحطاط البزاة . وتبعهما رجال الفرس وغلمانها وهم مسرورون بقتال اردوان وقتلهِ الديدار الخائن الغدار . فالتقاهم عساكر الصين ومنكوخان . وهم بانكسار وهوان . وثبت عندهم بعد ديدار الفشل والانكسار . فقاتلوا قتال المضايقة والرغم . وقلوبهم مملوءة من الخوف والوهم وفي نيتهم الرجوع الى الوراء . من امام وجه الاعداء . ولولا منكوخان . لتفرقوا في البراري والقيعان . وتركوا ساحة الميدان . لانهم علموا ان لا قدرة لهم على الثبات امام الاخصام . وان لا خلاص لهم الا بالفرار والانهزام . وما صدقوا ان جاء اخر ذلك النهار وضربت طبول الانفصال ليرجعوا الى اماكنهم ويرتاحوا من لهيب سيوف الايرانيين وعند المساء تاخروا الى الوراء ونزلوا في الخيام وهم على اتعس حال واقبحها وبعد ان اخذوا لانفسهم الراحة اجتمعوا عند منكوخان وشكوا لهُ حالهم وقالوا لهُ من الصواب ان نعود الى المدينة ونقاتل عند ضواحيها ونبعث بالخبر الى جهان يدبر في امره ما يراه مناسباً فقال لهم اني عزمت على ذلك فاصبروا الى اخر السهرة حيث يكون الاعداء قد ناموا وغفلوا عنا فنرحل ونرتاح من حرب اليوم الاتي والا فاجئونا واقاموا بنا القتال واهلكونا ولا يمكن ان يضيعوا فرصة مثل هذه قد نالوها وادركوها ثم امرهم ان يتهيئوا للرحيل ويبقوا النار شاعلة كي لا يدري بهم الايرانيون

واما الفرس فبعد ان عادوا من القتال واجتمعوا في صيوان الملك بهمن اخذ الجميع في ان يثنوا على اردوان ويمدحوا فعلهُ وهنأوه بالسلامة من غدر ديدار فقال لهم لم يكن في ظني قط ان يسلك طرق الغدر والحمد لله فان غدره وقع على الجواد وقد لاقى شر عملهِ ولم اكن اقصد من الاول قتلهُ بل طاولتهُ لاخذه اسيراً ولا اقتلهُ وبعد ذلك قال طيطلوس اننا بامان الان من الضيق والعود الى ما كنا عليهِ قبلاً واری من الصواب النظر في امر الاعداء وان لا نضيع فرصة ملكنا اياها الزمان واني ارى ان الاعداء قد شعروا بما وقع عليهم من حربنا وثبت لديهم اننا سنوقع بهم في اليوم القادم ولذلك لا بد لهم من التاخر في هذا الليل والرجوع الى الوراء كيف كان الحال

ولا ريب انهم ينتظرون غفلتنا ليبعدوا عنا و يسيروا الى الصباح فنلتزم في الصباح ان نتبعهم ومن
ثم لا نعود ندركهم الا عند المدينة وربما دخلوها وحاصروا فيها وعندي من الصواب ان نضع عليهم
العيارين حتى اذا راوهم على مثل هذه النية وقد عمدوا الى الرحيل و بدئوا بقلع المضارب عادوا
الينا ولا يليق بنا بعد ان اعطانا الله من النصر ما اعطانا ان نتغاضى عن الكفار ونهمل امرهم
لينضموا الى بعضهم فاستصوب الملك بهمن راية و بعث بطارق العيار في الحال واوصاه مراقبة
الصينيين حتى اذا راوا منهم العزم على الارتحال عاد فاخبرهم بهوواقاموا له بالانتظار وامر طيطلوس
ان تهدأ نيران الفرس وان يدخلوا الخيام فنعلوا ولما راى رجال الصين انهم غير منتبهين اليهم
ظنوهم قد ناموا واخبروا منكوخان فامر في الحال ان تقلع الخيام وترفع على ظهور البغال وتركب
الفرسان وتسير دون ان تبدي حركة ينتبه اليها الاعداء فاخذوا باجراء امر منكوخان وكان طارق
كامنًا في احدى النواحي وقد راى ما مراى فثبت عنده رحيلهم وقال في نفسه لقد اصاب طيطاوس
ورجع في الحال الى الملك واخبره بما راه فامر ان تقلع مضارب الفرس وان تركب الرجال ففعلوا
وما سار الصينيون حتى سار الايرانيون في اثرهم طول ذالك الليل الى ان بدت غرة الصباح فنظر
الصينيون الى الوراء فراوا الفرس على اثرهم فعلموا انهم علموا بهم واطلعوا على رحيلهم وتيقنوا ان لا
خلاص لهم منهم الا بالثبات في القتال ذاك النهار وعند المساء يسيروا الى ضواحي المدينة ولذلك
قال لقومه لقد ادركنا الاعداء وما من وسيلة للفرار منهم فقاتلوا هذا النهار واحموا انفسكم منهم الى
المساء وفي المساء سرنا الى ضواحي المدينة حيث اصبحت قريبة منا . ثم امرهم ان ينزلوا عن خيولهم
ويرتاحوا ساعة او اكثر الى حين هجوم الاعداء عليهم فنعلوا واقاموا على الانتظار الى ان قرب
الايرانيون فصاحوا فيهم وحملوا عليهم واحاطوا بهم وقد اطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وجودوا الضرب
باهل الصين ليشفوا منهم قلوبهم ويجازوهم جزاء افعالهم فالتقوهم بقلوب صابرة على البلايا حاملة
لاثقل الرزايا . خائفة من ان تكون انفسها لمذابح الايرانيون ضحايا . وكانت اكثر من الايرانيين
باضعاف لكن لم يكن فيها من القوة والقدرة نصف ما باولئك وهي مشعرة بالضعف متيقنة بالكسرة
عالمة ان الاعداء عاملوها بمثل ما عاملتهم اي انها ناثرتهم ليلا ونهارا الى ان ادخلتهم الجبال وان
الزمان عاد فسمح لهم ان يعاملوهم بنفس تلك الاعمال . قال ولا زال القتال يعمل والدم يبذل
والرجال تقتل ومصائب الدهر على الصينيين تنزل وعزرائيل بقبض ارواحها مشغل . حتى تاخروا
كل التاخير وصاروا يقاتلون ويرجعون شيئًا فشيئًا وامتلأت الارض من قتلاهم وداستها خيول
الفرس وهي لاتكل ولا تمل ولا ياخذها هدو ولا تحركها شفقة لانها نظرت فرصة واسعة فلم تقبل
فواتها من يدها وقصدت تقليل عددها والقاء الرعب في قلوبها كي لا يعود لها قدرة على الثبات
بعد وصولها الى المدينة بل لا يصل منها الا القليل والذي يصل يكون ضعيف العزم والقلب وهكذا

كان فانهُ عند ما اقبل المساء كانوا قد قربوا من المدينة وصاروا عند ضواحيها فامر منكوخان عساكره ان تنزل في ذاك المكان تضرب خيامها فيهِ وترتاح وهو مغتاظ جدا من عمل الاعداء وافعالهم بهم حيث قد اهلكوا اكثر من نصف نصفهم ولم يبقوا قوة بالباقين . وبعد ان استقر بهِ المقام وارتاح قليلا اخذ فكتب كتاباً الى الملك جهان يطلعهُ على ما حل به وما صار عليه من الفرس ويعلمهُ بالنجدة التي جاءت لهم فقال

من منكوخان وزير الصين ورئيس جيوشها الى سيده جهان الله الصينيين وملكهم وحاكمهم

اعلم ياسيدي اننا قاتلنا الاعداء مع ديدار قتالاً قوياً حتى ابعدناهم عن هذه الديار وادخلناهم الجبال وحاصرناهم فيها واضعفناهم كل الضعف وقللنا من عددهم جدًّا ومنعناهم من الماء خمسة ايام الى ان كادوا يهلكوا واخيراً رموا نفوسهم علينا وقد قطعوا الرجاء من الحياة وقاتلوا قتال اليأس وما فيهم من يقدر على حمل سلاحه فثبت عندنا انهم اندثروا وانقرضوا ولم تعد تقم لهم فيما بعد قائمة الا ان النار لم ترضَ لنا هذا الانتصار ولا ساعدتنا عليهِ الى النهاية ولذلك اعرضت عنا اذ ان الاعداء قد تقووا بنصرة مجيدة جاءت لهم من بلاد الفرس يبلغ عددها نحو الاربعمائة الف فارس وعليهم الملك بهمن ابن فيروز شاه وجماعة من فرسان ايران الاشداء منهم اردوان بن فرخوزاد وشيروه بن كرمان شاه . وشيرزاد بن خورشيدشاه وكلهم من الابطال الذين لا يوجد مثلهم في كل جيوش الصين فارجعونا عنهم ورفعوا الحصار وانزلوهم من الجبل وبالاختصار ان اردوان المذكور قد قتل ديدار ومن بعده ضعفت جيوشنا وحل بنا الفناء فجعلنا نتاخر وهم يتاثرونا الى ان وصلنا الى ضواحي المدينة وها نحن قائمون على الابواب منتظرون امرك انبقى الى ان تخرج انت ام ندخل المدينة ونحاصر فيها كما كنا سابقاً والاعداء قائمون بالقرب منا وعددهم يبلغ الثمانمائة الف فارس لاننا اهلكنا اكثر من نصفهم

ثم انهُ طوى الكتاب وبعثهُ الى الملك جهان واصبح هو على الانتظار وكانت عساكر العجم ايضاً قد نزلت بالقرب منها وامر الملك بهمن ان تجتمع اليهِ الابطال والفرسان فجاءوا اليهِ واستشارهم اذا كان في الغد يباكر القتال او يصبر الى ان يعلم خبراً عن ابيهِ فقال لهُ طيطلوس ان القتال لا يفيدنا في الغد ولا بد من ان منكوخان يبعث خبر الى جهان فيخرج بمن بقي من الصينيين ويقع القتال خارج المدينة واما اذا بكرنا في الغد الى محاربة الباقين يلتزمون بالرغم عنهم الى الدخول والحصار ولهذا ارى من الصواب ان نصبر على الاعداء الى ان يخرجوا باجمعهم فنضربهم ضربة واحدة وربما تسهل لنا ان نمسك ابواب المدينة فنمنعهم من الدخول اليها والا فلا يمكن ان نتغلب على اسوار هذه المدينة بسنين واعوام الا اذا كان ذلك بامر فوق العادة من لدنهِ تعالى فاستصوب الملك بهمن هذا الراي وقال لا بد من الراحة على كل حال عدة ايام وليال الى ان نرى كيف يدبر الله

تعالى بحكمته وادراكه

ولنرجع الى داخل مدينة الصين الى فيروز شاه وامراء الفرس الذين كنا تركناهم فيها وذلك ان بعد قتل اولاد اخ سعدان وزوجة فيرموز والرجوع الى بيت ام فيرموز اقاموا ينتظرون الفرج الى ان كان اليوم الثالث من حين تلك الواقعة فدعا مهريار الوزير فيرموز اليه وقال له اني عارف كل المعرفة ان امراء الفرس عندكم ولذلك صرفت العناية الى رفع الشبهة لكني لا اقبل معكم ان تتنعموا انتم وحدكم بمشاهدتهم و يكون لكم الفضل الاكبر عند فيروز شاه وابقى انا متروكًا منه مع اني اسعى لخدمته سعي العبيد واحب ان اراه واخاف ايضًا ان يكتشف ونك على امرهم فيمسكون وتعودون انتم الى العذاب ولهذا احب ان اجيء بهم الى بيتي فلا يظن احد انهم عندي ولذلك يكونون بامان اكثر الى ان ندبر لهم طريقة الخروج لاسيما وان قومهم الان قد تاخروا وتبعهم ديدار ولم نعلم ماذا جرى عليهم وما من خوف اذا اخبرتني بهم لانك تعلم يقينًا اني اعبد الله سرًا مثلكم واحب الذين يعبدونه ولا ندع الكافرين يوقعون بهم و يصلون اذاهم اليهم . قال اني اعرف ذلك منك ياسيدي وقد شاهدت عيانًا فعلك الجميل معنا ولا امنع عنك خبرهم فهم الان في بيت والدتي وتحت عنايتها ولا اقدر ان اخفي عنك شيئًا لانك حسن الطوية نقي تعبد الله وتتقي جانبه وتحب رجاله فاذا شئت سرنا اليهم معًا وعرضتهم عليك وليكن موكدًا لديك اننا لو متنا نحن وجميع عيالنا وعذبنا اشد العذابات لما اظهرنا امرهم قال حسنًا فعلتم فان الله سيكافيكم على هذا .

ومن ثم نهض الوزير مهريار وفيرموز وسارا الى ان وصلا الى مكان وجود الامراء فوجدا الباب مقفلاً فطرقه فيرموز وعرف والدته به ففتحت له ودخل ومعه مهريار حتى جاء الى امام فيروز شاه وهو جالس مع قومه وعياريه واذ ذاك قال له فيرموز هوذا ياسيدي قد جئتك باعظم رجل في الصين يمكن ان يساعدنا و يسهل لنا طريق المرور والخروج من المدينة وهو من اعظم عباد الله في هذه المدينة الانقياء الانقياء مهريار وزير جهان وقد طلب ان يتشرف بك و بمعرفتك . فتقدم مهريار وقبل ايادي فيروز شاه وسلم على باقي الامراء ومن ثم قال له اعلم ياسيدي اني احب ان اكون مخلص الود لك راغبًا ان اصرف العمر بين يديك واني افضل ان اخاطر بنفسي من اجلكم واساوي اخ سعدان وفيرموز بحمل المصائب واشاركهما بها ولا يصعب عليّ حمل مثل هكذا اثقال فقال له فيروز شاه اني اشكرك على هذه الخدمة وسوف تبدي لك الايام ما اضمره لك واني ارجوك ان تسهل لي طريق الخروج من هذه المدينة قال لابد من ذلك ياسيدي لان قومك بضيقة عظيمة وقد تاخروا الى جهة الجبال ليحاصروا بها ولا اعلم ماذا كان هناك . فكادت مرارة فيروز شاه ان تنفطر عند سماعه هذا الكلام وذم الزمان الذي رماه في ذاك المكان وقال ان الله يفعل ما يشاء ويريد فهو يريد الان عذابنا لكني اثق كل الوثوق انه لا يتركنا من رحمته . فقال مهريار اني اريد

منكم ياسيدي ان تذهبوا الى بيتي ونقيموا فيهِ الى ان ارى سبيلاً لخروجكم حيث ان ونك آخذ بتفتيش المدينة والبحث املاً ان يتوصل اليكم ولا بد له من المرور من هذه الجهات لانهُ خبيث محتال انما لا يقدر ان يسال في بيتي ولا يجسر عليهِ ولذلك تكونون منهُ بامان فاستصوب الجميع هذا الراي واستحسنوه وقالوا لهُ لقد اصبت فان بيتك اوفق لنا من هذا المكان . و بعد ذلك اخذهم مهربار الى بيتهِ تحت ظلام الليل دون ان يعلم بهم احد وادخلهم اليهِ وعين لهم مكانًا يقيمون فيهِ وهكذا اقاموا مدة ثلاثة ايام وفي كل ليلة ياتيهم مهربار وفيرموز واخ معدان و يصرفون الوقت بحديثهم و يطلعونهم عما يجد في المدينة

قال وفيما هم كانوا عند الوزير وصل الى الملك جهان كتاب منكوخان المتقدم ذكره فلما قراه وعرف ما بهِ ارغى وازبد وقام وقعد ولعن الفرس ومجيئهم الى بلاده وقال لا بد ان الهم يحبهم ويراعيهم اكثر من محبة النار لنا كيف انهُ ساعدهم الى الانتصار بعد الانكسار وقد قتلوا ديدار وانزلوا على جيشهِ وجيشي المصائب والبوار . ولم يبق من وسيلة الا ان اخرج اليهم بنفسي واخرج معي كل ذكر في المدينة يقدر على حمل السلاح حتى نبيدهم باجمعهم ونزحف عليهم بكثرتنا ولا نبقي منهم ديار . ولا نافخ نار . ولا بد من قتلهم باجمعهم واني اعلم متى عرف قومي اني بينهم في القتال يلتزمون بالمدافعة وحيث ان رجال الفرس ابطال صناديد لا يفنون الا بالكثرة وزيادة العدد كيف يمكني بعد ان دخلوا الصين واقاموا عليها اكثر من ست سنوات ان اسهل لهم طرق الخلاص منها وان يكونوا منصورين فيها واعجب من كل ذلك اني بعثت طلبت مساعدة الملك شنكال من الهند وحتى اليوم لم يصل و يظهر انهُ ظن ان الامر ليس بحاجة اليهِ ولهذا لا بد من ارسال رسول ثان اليهِ . وفي الحال امر ان تخرج العساكر وكل رجال المدينة وغلمانها من كل ذكر يقدر على حمل السلاح وان ينادى بالمدينة بين الكبير والصغير اني ساخرج بنفسي قاصدًا حرب الفرس فمن رغب بسلامة الملك خرج للدفاع عنهُ وعن بلاده . ومن ثم دعا اليهِ ونك العيار فوقف بين يديهِ . فقال لهُ هل حتى الساعة لا نقدر ان نقف على خبر اسارى الفرس الذين هربوا من السجن قال اني فتشت المدينة بيتًا فبيتًا فلم اقف لهم على خبر ولم يبقَ الا بيتك و بيت وزيرك مهربار ومنكوخان ورجال ديوانك العظام . قال لا يمكن ان يكونوا عندهم ولا بد انهم مختفون في مكان تحت الارض و بين الناس واني نويت على تفريغ المدينة من الرجال فاذهب انت وقف على الباب فمن رايته خارجًا منها وكان غريبًا عن بلاد الصين فاقبض عليهِ واتني بهِ انظر في امره ودم على باب المدينة الى ان ينتهي خروج الجميع ولا يبقى احد واياك ان تغفل او يغيب عنك معرفة احد قال اني افعل ذلك وعندي ان بهذه الوسيلة لا بد من القبض عليهم . ثم انهُ خرج من بين يدي الملك وسار الى الابواب فاقام عندها واخذت الناس تخرج افواجًا افواجًا طالبة الانضمام الى منكوخان وونك ينظر و يفتش بينهم

ويحث فيهم خوفًا ان يكون امراء الفرس معهم . وفي مساء ذلك اليوم جاء مهريار الى بيته ودخل على فيروزشاه فوجده بغيظ وكدر وهو حزين جدًا فقال له لما هذه الحالة ياسيدي الست انت بامان في مسكني . قال هل يكفيني ان اكون بامان ورجالي تذبح من الاعداء وفرساني غائبة عن الجيش وبهزاد الذي كان المعول عليه قد اسره ديدار وابعده عن هذه الديار . ولا اعلم ماذا صار به ولا شك ان ديدار هذا يكون قد فتك بجيوشي كل الفتك واهلك منهم كل القواد ولولا ذلك لما تاخروا الى الجبال وتركوا هذه المدينة مع علمهم اني داخلها وعليه فاني اعرف اذا لم ادرك قومي ينقرضون ويضيع تعبنا وتنتهي بنا الحال الى الخراب وتضرب بنا الامثال بان صرنا عبرة لغيرنا بعد ان كنا امثولة للعالم في الثبات والانتصار والسعي وراء المجد والشرف . فقال مهريار لا تتكدر يا سيدي فان الله لم يترك قومك الى حد النهاية نعم انهم كانوا قد تاخروا وقتل منهم اكثر من ثلثيهم وسلموا بانفسهم التسليم الاخير وصلوا صلاة الموت على نفوسهم غير ان الله ساعد تدبير طيطاوس وانتشل قومكم من وهلة العذاب و بعث من فرّق جيوش الصين وارجعهم الى ضواحي هذه المدينة وقتل ديدار واعاد النصر لكم اعظم ما كان . فلما سمع امراء الفرس هذا الكلام اخذتهم الدهشة والانبهات ونظروا الى مهريار نظر المتعجب الماخوذ من افعال الزمان وتقلباته وقال له فيروزشاه ماذا تقول هل نظر الله اليهم سبحانه وتعالى وهل بعث لهم من عالم رحمته من يقيهم فمن هو الذي رفع هذه الشدة ومن الذي قتل ديدار وعمل هذه الاعمال . قال هو ملك فارس في هذه الايام وفرسانها العظام . قال هل جاء ابي وقصد هذه البلاد اكتشافًا على خبرنا لما رانا قد طال امرنا ولم يعد يعرف عنا خبرًا قال كلا ياسيدي بل الذي جاء هو الملك بهمن بن فيروزشاه بن الملك ضاراب وهو غلام لم يبلغ سن الرجال وبين يديه بطل ابطال هذا الزمان الذي قتل ديدار واخرمة الحياة اردوان بن فرخوزاد وهو مع شيروه بن كرمان شاه وشيرزاد بن خورشيد شاه وقد فرقوا الجيوش واهلكوا الابطال و بددوا شمل الصينين وتتبعوا اثارهم الى هذه المدينة وهم الان قائمون خارجها وقد بعث منكرحان بكتاب الى جهان ينعي و يشكي فقد رجاله وتضيعهم و يان متوجعًا من اعمال اردوان وشيروه وشيرزاد وكيف انهم بدلوا هناءه باحزان وبدلوا خوف الفرس بامان وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة حتى ان الملك جهان امر ان تخرج رجال الصين كبارا وصغارًا حاملين السلاح ومن بعد ذلك يخرج هو وانا لحرب قومك . قال فلما سمع فيروزشاه بهذا الخبر سجد لله سبحانه وتعالى وبكى بدمعة رقيقة تحدرت على خده وفعل مثله سائر امراء الفرس وشكروا الله شكرًا عظيمًا ولاسيما كرمان شاه فان قلبه انعطف الى مراى ولده شيروه وهو لا يصدق بانه صار يقدر على الدفاع ويحكى عنه انه من ابطال فارس وحمالي شدائدها ومثله فيروزشاه فانه وان كان قد اطمان على جيشه وسر بولده لكن ذكرته هذه البشرى بعين الحياة ام ولده وماذا يكون قد صار بها بغيابه او كيف قدرت على

احتمال فراقهِ كل هذه المدة وشعر باحتياج كلي الى الاسراع والرجوع حالاً الى ايران وصعب عليهِ ذلك عندما فكر كيف قدرت على احتمال فراق ولدها ايضًا لعلمهِ انها رقيقة المزاج تتاثر من الفراق وانها قد ملكت نفسها لايدي الحب الخالص لهُ منذ زمان طويل فلم تقدر على احتمال فراق ولدها وزوجها بدون ملاقاة عذاب واشواق لا تحملها الجبال وشدة حياة ممزوجة بالاكدار والاحزان وبقي فيروزشاه مدة مطرقًا الى الارض ثم رفع راسهُ متاثرًا من هذه الذكرى محتملاً اشد الاوجاع والالام الداخلية الناتجة عن ارتباطهِ بعين الحياة وقال للوزير مهريار بما ان الملك جهان قد عزم على الخروج والناس تخرج الان فاني ازمعت ان اخرج مع الناس واذا اعترضني احد انزلت بهِ المصائب والاهوال واعدمتهُ الحياة اذ ما من وسيلة ارجوها وما من فرصة انتظرها اترك المدينة اعظم من هذه ومتى صرت خارج المدينة لا اعود اخاف احدًا قال اصبر ياسيدي الى بعد ثلاثة ايام فما من وجه الان للنجاة لان ونك متيقظ كل التيقظ يراقب كل انسان يمر عليهِ فاذا عرف بكم وراكم يقفل الباب حالاً فتبقون في الداخل ولا يعود ثم طريق لكتمان امركم ولا تقدرون على الطيران لتذهبوا الى جيوشكم لكني بعد ثلاثة ايام ساخرج مع الملك فاقدر ان اخرج منكم اربعة انفار بصفة حراس يخرجون بين حراس الملك ويبقى الباقون الى مرة ثانية وهذا الامر من اوفق الامور واسهلها الان وما من خوف في هذه الايام الثلاثة لان الحرب ساكنة من الطرفين فاستصوب فيروزشاه هذا الراي واتفقوا جميعًا على ان يخرج فيروزشاه وبهروز ومصفرشاه وبدرفتات وعليهِ فقد سرَّ الجميع وامل فيروزشاه النجاة وانهُ سيلاقي ولده بوقت قريب وسقط عن قلبهِ هم كبير وفرح مزيد الفرح واقام بانتظار خبر الوزير مهريار الى حين يدعوهُ فيسير برفقتهِ الى الخارج وقد احضر لهم ثياب حراس الصين

ودامت رجال المدينة في الخروج منها ثلاثة ايام من الصباح الى المساء وهي كالجراد المنتشر حتى لم يعد فيها قط احد الا العاجزون عن القتال والاطفال والنساء وحينئذ ركب جهان ونشرت فوق رؤوسهِ رايات الصين وطلب الى وزيره ان يركب و يستعد برجالهِ وخدمهِ فاجابهُ واحضر كل ما يلزمهُ واحضر رجال الفرس وهم فيروزشاه وبهروز ومصفرشاه وبدرفتات فاختلطوا بين رجال الصين وصاروا مثلهم حراسًا وهم لا يعرفون بهم وصار جهان والى جانبهِ مهريار وبين ايديهم الخدام والغلمان والحراس وساروا الى ان قربوا من الابواب ولما صاروا عندها تقدم جهان من ونك وقال لهُ لقد خرج كل من في المدينة فهل لم ترَ بينهم رجلاً غريبًا . قال كلا ياسيدي اني نظرت في جميع الخارجين فاذا هم من الصين ما عدا الذين معكم بين الحرس الان فانهم غرباء فاستدرك الامر مهريار وقال لهُ ان الذين معنا نعرفهم اصلاً وفصلا ونسبًا لكن نسالك عن الذين خرجوا هل لم يكن بينهم احد غريب قال كلا وكان فيروزشاه قد وضع يده على الحسام وقصد ان يجرده

اذا ظهر امرهم ويقفز الى خارج الابواب ويخاطر بنفسهِ الا انهُ اطمأن بالهُ من كلام الوزير وسكوت ونك ومسير الملك جهان لانهُ سار غير ملتفت الى ما سمعهُ من ونك لعلمهِ ان ليس معهم الا الحراس الذين اتخذهم لهُ منذ زمان طويل وخدمتهُ وخدمة وزيره مهريار . وبقي فيروز شاه سائرًا الى ان وصل جهان الى بين عساكره واختلط بهم وقام الصياح لقدومهِ وكان الوقت اذ ذاك عند المساء والقوم في غوغاء وصياح واذ ذاك تقدم فيروز شاه من الوزير وقال لهُ اشكرك على عملك هذا واسال الله ان يقدرني لاكافيك عليهِ وارجوك ان لا تنسى الذين عندك عند دخولك المدينة او عند سنوح فرصة ثانية . قال كن براحة فلا بد من خلاصهم واسال الله ان يساعدني عليهِ لاقدر ان اقوم بما يرضيك ويسرك كل السرور . ثم انهم ودعوا بعضهم البعض وساروا يتلبدون من جهة الى ثانية الى ان خلا لهم الجو فساروا الى اول عساكر الايرانيين وقبل ان يدخلوا اعترضهم الحراس ومنعوهم من الدخول فانتهرهم بهروز وقال لهم اسرعوا الى الملك بهمن وطيطلوس واخبروه بان فيروز شاه قد جاء فلما تاكدوا هذا الخبر اخذوا في ان يصيحوا على غير وعي من عظم الفرح وركضوا يعلمون الملك وهم يصيحون بين الجيش وينادون بعودة فيروز شاه والناس لا تصدق بهذا الخبر فيزدحمون عليهِ ولما يثبت عندهم هذا الخبر يقدمون منهُ لتقبيل ايديهِ وتهنئتهِ

وكان في تلك الساعة الملك بهمن مجتمعًا بديوانهِ مع طيطلوس وبقية الفرسان والابطال يفكرون بامر امرائهم وسيدهم وكيف انهم دخلوا المدينة ولم يرجعوا . وقد قال الملك بهمن اني اخاف ان يكون قد اصيب ابني بنكبة داخل المدينة ولم يتيسر لي ان رايتهُ وما اتيت من بلاد ايران الا طمعًا ان اقبل يده وان اراه واكون عنده واني اسال الله ان لا يحرمنا من النظر اليهِ فياليت من يقدر ان يخبرني امرا عنهُ . فقال طيطلوس ان غيابهُ عنا مدة ست سنوات مما يقضي بالعجب العجاب ومما يدعونا ان نحسب لغيابهِ الف حساب لان لا يقدر العقل ان يكون كل هذه المدة داخل المدينة دون ان يكون قد اصيب بنكبة ما او طرأ عليهِ طارىء لم يكن لنا بحساب ولهذا تراني مشغل بالفكر كل الانشغال وماذا يفيدنا النصر وماذا ينفعنا الاستيلاء على بلاد الصين ورجالها وملوكها وساداتها اذا اصيب ابوك بنكبة ما او حل بهِ مصاب وكان بقصدي ان نبعث باحد العيارين الى الداخل يكشف لنا الخبر الا اننا نخاف من القبض عليهِ لان جميع ابواب المدينة قد سدت ولم يبق الا باب واحد عليهِ الحراس . فقال بزرجمهر اننا في الغد او الذي بعده نباشر الحرب مع الاعداء ونأسر جماعة من الذين خرجوا موخرًا من المدينة ونستعلم منهم عن سيدي فيروز شاه ورفاقهِ فاذا اخبرونا انهم في الاسر سعينا الى خلاصهم واذا قيل انهم اصيبوا بنكبة يكون ذلك بحكم منهُ تعالى واذا كان لا يعلمون لهم خبرًا فيكون امرهم من الامور التي تحير العقول ويثبت انهم باقون في المدينة او ساروا الى خلافها . وعلى كل حال فهذا من الموافق فاستصوب الجميع رأيهُ

وبينما هم على مثل ذلك واذا بالحراس قد اقبلوا يصيحون صياح الفرح و ينادون مبشرين بقدوم سيدهم فيروزشاه

ولما دخلوا على الملك بهمن اخبروه بوصول والده وقالوا له هوات والناس تزدحم من حواليهِ ولولا كثرتهم وانشغالهِ بهم لوصل اليك حالاً لكن الناس من شوقها اليهِ وفرحها بهِ لم يعد لها صبر عنهُ فجعلت تتقدم منهُ وتقبل ايديهِ وهو يلاقيها بكل بشاشة واكرام لانهُ هو ايضاً بشوق اليهم يسالهم عن احوالهم . فلما سمع الملك بهمن هذا الكلام كاد لا يصدقهُ ونهض مسروراً فرحاً ونثر الذهب على الحراس وامر ان ترفع منزلتهم وتزاد معيناتهم وكذلك كل من حضر في ديوان الملك انعم عليهم مكافاة لهم على مثل هذه البشارة العظيمة التي كانوا ينتظرونها منذ زمان ويتمنون خبراً عمن احبوه اكثر من حياتهم . قال وفي الحال نهض الملك بهمن وسار والى جانبهِ طيطلوس ومن خلفهِ رجال مملكتهِ وبهلوانية بلاده والامراء وبينهم بيلتا لانهُ كان قد شفي من جراحه وعاودته العافية وما ساروا الا القليل حتى لاقوا فيروزشاه آتٍ والى جانبهِ مصفرشاه وبين يديهِ بهروز وبدرفتات والناس تزدحم عليهم افواجًا افواجًا ولما قربوا منهُ بعد الناس عنهُ ليلاقي ولده ويفرح بهِ وقبل ان يصل منهُ تقدم طيطلوس وسلم عليهِ سلاماً عظيماً وهناه بالرجوع بعد هذه الغيبة واخيراً قال لهُ اهنأ يا سيدي بما اعطاك الله من السعادة فان نفس التوفيق الذي كان يصحبك هو مصحب ولدك لانهُ ذو طالع سعيد مثلك وقد اقامهُ ابوك ملكاً على فارس وبعثهُ لنجدتك وهذا هو الان امامك . ولا يقدر القلم ان يصف ما نال فيروزشاه من الفرح عند مشاهدتهِ ولدهُ ووحيده من عين الحياة بين يديهِ وهو على تلك الهيبة والجلال وقد رمى بنفسهِ عليهِ وضمهُ اليهِ واخذ يقبلهُ وادمعهُ تسكب على خدوده والابن يقبل ايادي ابيهِ ويدعو لهُ ويظهر فرحهُ من ملتقاه وهو يبكي مثلهُ من شدة الفرح وتاثيراتهِ ويثني على الزمان الذي جاد وسمح لهُ ان يراه بخير ومن ثم سلم فيروزشاه ومصفرشاه على اردوان وشيروه وشيرزاد وبزرجمهر وباقي الفرسان والقواد وسلموا هم عليهما وساروا جميعاً الى الصيوان الكبير اي صيوان الملك ضاراب ولما راه فيروزشاه تذكر اباه وما كان عليهِ ايام الحرب القديمة فبكى وسال والده عنهُ فاخبره بما كان من امره وشرح لهُ حالتهم في بلاد ايران منذ البداية حتى ذاك اليوم وكيف بعثهم لنجدتهِ فجاءوا وفعلوا ما فعلوا وطلب بهمن من ابيهِ ان يجلس مكانهُ في صدر الصيوان وقال لهُ ان احب لديَّ ان اراك ملكاً على فارس في حال حياتي وقد اعطاني الله الملك ومنحني الايام امراً طالما رجوتهُ واما انا فاني لا ارغب ان اكون تحت هذا التاج ولي سعي خلفهُ ولا يحماني جلدي على التصبر عن ان احك جلدي بظفري واوقع بالاعداء وغليل فوادي منهم ثم اجلس ابنهُ على كرسيهِ وقال لهُ اني افرك على تخت فارس واكون ساعدا على اعزازه وترفعهِ وتشييد دعائمهِ

قال و بعد ان استقر بهم الجلوس وبفير وزرشاه وسال كل ما يحتاج ان يسال ولده عنه طلب اليو طيطلوس ان يخبره عن السبب الذي دعاه الى البقاء في المدينة الى ذاك اليوم وهل اجتمع بفرخوزاد وكرمان شاه وهل عرف شيئًا عن الاسارى . فاخذ يطلعهم على كل ما جرى له في المدينة من البداية الى النهاية وما كان من امر الاسارى وكيف تخلصوا واقاموا معهُ في بيت اخ سعدان وما جرى على اخ سعدان وعلى فيرموز من المصائب والاهوال بسببهم وكيف كان خروجهم اخيرًا حتى اندهش الجميع من كرامة اخ سعدان وفيرموز وكيف انهما حافظا على حياته ورضيا بموت اعز الناس عندهما و بعذابهما دون ان يفوها بالسر و يعلما بوجوده . ثم انهم بعد ان صرفوا السهرة انصرف كل الى صيوانهِ وكان قد ضرب لفيروزشاه الصيوان الخاص به فذهب اليه وكان قبل ذهابهِ قد اعطاه والده المكتوب الذي اصحبهُ من والدتهِ فاخذه منهُ وهو لا يصدق ان ينفرد بنفسهِ ليقراه وقد شعر من ذاتهِ بشديد حب عظيم قوي اشد مما كان به قبلاً الى مراى عين الحياة وعرف انهُ قد طال الغياب عليها ولا بد ان تكون قد لامتهُ في هذا المكتوب و بقي منعطف القلب عادم الصبر الى الاطلاع على ما تضمنهُ الى ان جاء الصيوان و بين يديهِ بهروز فدخلهُ مسرورًا وشكر الله الذي اعاده ثانية اليهِ واوصلهُ الى ان يحمي جيشهُ ويقاتل فيهِ . ثم بعد ذلك اخذ الكتاب ففضهُ واذا فاح منهُ روائح الطيب وتنشق من داخلهِ رائحة الحبيبة وكانت ايديهِ ترتجف وقلبهُ يهلع ولما قراه وجد مكتوبًا فيهِ

بسم الله الجامع بين الاحباب والمولف ما بين القلوب والالباب

من عين الحياة الحزينة المفارقة الى سيدها فيروز شاه

لقد اضر بي التنائي . فزاد في عنائي . وهجرني المنام . فاورثني الاسقام . لقيت من البعد المصائب واصبت باشد النوائب . بقيت منفردة وحيدة . اقاسي عذابات عديدة

قسماً بالعفاف في الحب عما يغضب الله يا اخا النيرين

لم يغير ما بيننا البعد الا ان طيب الرقاد فارق عيني

نعم ان حبكم لا يزال يزيد . وذكرى صفاتكم لها في فوادي المكان الرفيع المجيد . انتم منتهى الامال . و ينبوع الرجاء والاقبال . لم يكن في عهدي ان الزمان . بعد ان رمانا كثيرًا بالتشتت والاحزان . يعاملنا بمثل هذا الجفاء الكثير الهوان . المضني للابدان . فسامح الله الفراق على افعالهِ . وما اوصلهُ الينا من قبيح اعمالهِ

اودعكم واودعكم جناني وانثر ادمعي مثل الجمان

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

وانما الله كثير الرحمة لا يرجع سائل . ولا تخيب لديهِ قط الوسائل . يعلم ما تضمنهُ القلوب . و يعرف

الاسباب الجالبة للكروب . مثلما يعرف صبر الصابرين . و يساعد قومة المخلصين . فارقتني ولم يكن لي سلوة انسلى بها . او حظوة ارجوها واقربها . وليس لي قط بعدك من نصير . الا ولدك بهمن الصغير . فانعطفت على تربيتهِ كل الانعطاف املاً اني بذلك ارضيك . وافعل امرك بكل ما يسرك ويهنيك . الى ان شب وادرك مدارك الرجال . وصار بهِ كفاءة للقيام باهم الاعمال . فحالت ذون هنائي بهِ دواعي الفراق . وتركتني من بعده و بعدك متضاعفة الاشواق . قائمة على البكاء والنواح . قائلة في كل مساء وصباح .

يا سيدَيَّ بمهجتي افديكما قمرين افلاك العلا تبدبكما

من غير امر شرفا احياءنا اذ ليس ناديناسوى ناديكما

كم من وفود يممنة فاعشبت اما لها اذ امطرت ايديكما

ان لم اجد ضرراً فانثرها على ممشاكما فقصائدي اهديكما

و بقيتما ريحانتين بروضة في عرش جدِّ جاء من جدبكما

كيف لا ابكي وانوح واشكو شدة البعاد . وما لقيت من ضرباتهِ الشداد . ولم يبقَ في بيتي غير الخيالات والاشباح التي تسير لدى اعيني على الدوام . وتبعث الى قلبي باشد الاوجاع والالام . وتغرورفي لبي بتقلب الافكار والاوهام . وتجعلني ان اقول على الدوام

يا احباي والحب ذكور هل لايام وصلنا من رجوع

وترى العين منكم جمع شمل مثلما كان حالة التوديع

كيف انساك او اسلاك والقلب منعطف الى لقياك . مولع بكريم صفاتك مشغل بسناك لا يرضى ان يحله الا بديع بهاك . اطلت الغياب ولم يكن بالمنتظر . وهجرت الاحباب ولم تكن ممن هجر . الست انت هو رقيق القلب . خالص الود صافي الحب . فكيف تركتني كثيرة الوجد والجوى . فاقدة الحيل واهنة القوى . احسد الذين يهتم بهم الزمان . واعذل الخاليين من لوعة الوجد والهيمان

انادي اذا نام الخلي تاسفًا وقلبي من بين الضلوع كليمُ

هنيئًا لطرف فيك لا يعرف الكرى ونعمًا لقلب فيك ليس بهيمُ

واسال النسيم على الدوام . اهداكم التحيات والسلام

ان جزت بحي منيتي حييهِ واخبره عن الحب ما يرضيهِ

ان زار فقد حييت في زورتهِ او صد فان مهجتي تفديهِ

واخيرًا اسال الله لك السلامة والرجوع باقرب ان مع ولدك بهمن الذي كان يطلب اناء الليل والنهار المسير اليك ليراك ويقبل يديك وقد بعثهُ اليك ابوك ضاراب بالمواكب . وفلك قيادة مملكة فارس والتسلط عليها من كل جانب . حيث راه حكيماً خبيراً . ليس لادراكه من نظير . واسأل

الله قريب عودكما الي . ليرتفع ما صب من المصائب علي . عسى الايام تجود بعد العناد وتنقضي مدة الفراق والبعاد . وابطل انسكاب العبرات واطفي التهاب الزفرات

يا قطرات ادمعي لا تجمدي	ويا شواظ اضلعي لا تخمدي
ويا عيوني الساهرات بعدهم	ان لم يعدك طيفهم لا ترقدي
ويا سيوف لحظ من احبتهُ	جهدك من سفك دمي لا تعمدي
ويا غوادي عبرتي تحدري	ويا بوادي زفرتي تصعدي
فقد ازلت ادمعي ولم اقل	ان يجم عن عيني البكا تجلدي
انا التي ملكت سلطان الهوى	رقي واعطيت الغرام مقودي
لله اياماً مضت في قربهِ	والدهر منهُ بالوصال مسعدي

وكان فيروزشاه يقرأ هذا الكتاب وهو غائب عن الصواب لا يدري يمينهُ من شمالهِ ولا ما حل بهِ ولا اظن ان الانسان دون ان يكون قد وقع بشديد غرام فنال صادر عن فؤاد كريم مخلص لمن يحب يقدر ان يتصور حالة فيروزشاه في تلك الساعة وكيف كان قلبهُ وباي درجة وصل بهِ الشوق وكم فعل بهِ واثر باحشائهِ ذاك المكتوب وبقي يردده ويقرأه مراراً متعددة وفي كل مرة يزيد عما قبلها حتى غاب عن الصواب ونام تلك الليلة على غير هدى ووعي وفي الصباح نهض من فراشهِ ووضع المكتوب في جيبهِ ليجعلهُ علة اهتمامهِ في انفراده ويبل اشواقهُ منهُ على الدوام ويكون وسيلة لاكبر ذكرى يتذكر بها عين الحياة وخلوص ودادها . وبعد ذلك سار الى صيوان ولده ودخل اليهِ فقام لهُ وقبل يدهُ وجلس الى جانبهِ واجتمع من حولهِ الابطال والفرسان وجلس كلٌ على حسب مرتبتهِ وكان اردوان وشيروه قائمين على الحزن والكدر على عدم مجيء ابويهما وهما فرخوزاد وكرمان شاه وكيف بقيا في المدينة وهما يشتاقان الى الحرب ويتمنيان الدخول الى البلاد لانهُ ثبت لديهما ان والديهما بامان في داخل المدينة في بيت مهريار الوزير وما من مانع يمنعهما عن الوصول اليهما الا ان تزول الموانع القائمة في الطريق التي تمنع كلاً منهما عن مشاهدة الاخر

قال وفي صباح ذاك اليوم نهض الملك جهان وجلس في ديوانهِ وهو مضطرب الافكار مغتاظ كل الغيظ وجمع اليهِ ديوانهُ وكل رجال مملكتهِ واستعاد منهم حديث ديدار فاعاد عليهِ منكوخان كل ما كان شفاهاً بما زاد في غيظهِ وقال ان كان غلمان الفرس اشد من شبابنا فلا بد من مقاساة اهوال معهم وعلى كل فاني ابعث اليهم الان واطلب منهم الصلح والامان والرجوع عن هذه الديار بشرط ان يعطونا اردوان لنقتلهُ بثار ديدار فاذا اجابوا كان خيراً والا زحفت عليهم بهذا الجيش الذي لا يمكن ان يحصاه قلم ولا يضبطهُ عقل فاقلع اثارهم واصوهم عن بكرة ابيهم ولا بد انهم عند مشاهدتهم لكثرة هذه العساكر التي هي اشبه بالجراد يكون قد وقع الرعب والوهم في قلوبهم وخافوا

من نتيجة هذه الحرب وبذلك نكون قد حقنا دماء الناس وحفظناهم من الموت والهلاك . ومن ثم امر منكوخان ان يكتب الكتاب الى ملك الفرس بهمن ابن فيروزشاه ويعرض عليهِ كل ما تقدم فكتب ما ياتي مختصرًا

من الملك جهان رسول النار ذات الشرار واله الصينيين وسيدهم الى الملك بهمن الملك الصغير والغلام الحقير

اعلم انكم اتيتم بلادي وتعديتم عليَّ واوقعتم فيها وجرتم ولكم الان اكثر من ثماني سنوات دون حصولكم على نتيجة منها وانا اطيل بروحي عليكم وذلك قبل وصولك في زمن ابيك الذي لم نعد نسمع عنهُ خبرًا من زمان طويل ولا تظن ان هذه النصرة التي نلتها كافية لان تدعوك الى المباهاة وها قد خرجت بكل رجال مدينتي وبجيوشي التي لا تعد ولا تحصى واني اعرض عليك الصلح الان وان تقبل بهِ بشرط واحد ارجوه منك وهو عادل جدًّا اي ان تدفع اليَّ اردوان الذي قتل ديدار ابن كركاني الساحرة لنقتلهُ ونرسلهُ الى امهِ بثار والدها ويبقى الصلح بيننا وبينكم على الدوام وبذلك نحقن دما بني جنسنا وترجعون انتم عنا وبغير هذه الوسيلة لا صلح ولا رجاء منكم فاذا امتنعتم زحفت بكل قوتي ورجالي عليكم فاسحقكم سحق الحصاة واهلككم وامحو اثاركم ولا ابقي منكم واحدًا فتندمون فيما بعد حيث لا ينفع الندم ولا يفيد

قال وبعد ان فرغ الوزير من الكتاب وقع عليهِ الملك جهان وختمهُ ودعا ونك بعد ان امره ان يقفل ابواب المدينة ويمنع الدخول والخروج . ولما وقف بين يديهِ قال لهُ اريد منك ان تذهب بتحريري هذا الى الملك بهمن وتاتي منهُ بالجواب فاخذ الكتاب وصار الى ان دخل بين الايرانيين ووصل الى الصيوان الكبير وكان عند بابهِ بهروز فعرفهُ واعترضهُ عن الدخول فقال بيدي كتاب من سيدي جهان اريد ان اقدمهُ للملك بهمن فسحبهُ بهروز من يدهِ الى امام فيروزشاه وقال لهُ ادفع الكتاب الى فيروزشاه سيد الفرس وفارسهم وكان قصد بهروز ان يعرفهُ انهُ قائم في الجيش وليس في المدينة كما كان يتوهم وليرتاح ضميره من جهة التفتيش وليعرف ان ما نسب الى اخ سعدان وفيرموز كان من قبيل الكذب والوشاية فلما سمع ونك باسم فيروزشاه وقف ريقهُ في حلقهِ ونظر فيهِ نظر المتعجب فانتبه فيروزشاه الى غاية عياره وقال لونك ماذا تريد وبماذا جئت قال جئتك ياسيدي بكتاب من الملك جهان واريد الجواب منك عليهِ فاخذ الكتاب ودفعهُ الى طيطلوس فقراه وعرف ما بهِ وقد كاد ينشق من طلب جهان وقال ايظن هذا الجاهل ان الذي يقتل ديدار ويفعل برجالهِ الافعال التي تستحق الاذكار . ويفتك بالكبار والصغار . يسلم ليوخذ منهُ بالثار . هل ان ذلك الا ضرب من الذل والعار . ثم ان فيروزشاه امر طيطلوس ان يكتب جواب الكتاب بما يستحسنهُ ويراه مناسبًا فكتب ما ياتي

بسم الله الرحمن الرحيم خالق الانس والجان . ومفرق الاديان . اياه نعبد وبه المستعان
من الملك بهمن ابن فيروزشاه الى الملك جهان صاحب الصين وحاكمها

اما بعد فاعلم ايها الملك العاتي الكافر بدين الله تعالى انك تدعونا الى الصلح مع اننا نحن من ارغب الناس فيه نكره الجور ونبغض التعدي ولا نعصى ما يامر به الهنا وهو السلام والامان غير انك تطلب منا تسليم اردوان بشار ديدار فهذا لا يمكن قط ولا يدخل بعقل انسان كيف نسلم فارساً يساوي بلادك باجمعها الى ايدي اعدائه . فاذا كنت راغباً في الصلح فابعث الينا ببهزاد معززاً اي ارجعه من قلعة سوسان شهر واعتذر اليه واعده الى قومه واحضر انت الى ديواني معترفاً بدين الله سبحانه وتعالى طائعاً صاغراً والا سوف ترانا في الغد نحط عليكم حط البواشق فلا نبقي منكم رجلاً ولا تظن ان كثرة عساكرك تقف في وجوهنا او تكون وسيلة لالقاء الرعب في قلوبنا بل بالعكس لان فرساننا تفرح بكثرة الجموع اذ تظهر فيها قوتها وتتمكن ان تفعل فيها كما تفعل النار في يابس القش وكلما كثر زادت تسعراً الى ان تلتهم الجميع وعليه فاختر لنفسك احد الامرين اما الهلاك والانقراض وخراب الديار واما الصلح والامان بانقيادك الينا ودخولك في ديننا وارجاع بهزاد في الحال والسلام ختام

وبعد ان فرغ ختمه ودفعه الى ونك فاخذه وسار وهو مشغل الفكر ماخوذ مما شاهد ورأى متكدر كيف انه اضاع الوقت في التفتيش على فيرزشاه وهو في جيشه وقد ثبت عنده كل الثبوت ان فيروزشاه ذهب الى بلاده وجاء بالعساكر والاجناد وبقي سائراً الى ان وصل الى الملك جهان فدفع اليه الكتاب وقال له اعلم يا سيدي ان فيروزشاه هو قائم بين قومه وقد شاهدته في صيوانه بين ابطاله وفرسانه ولهذا ظننت ان غيابه كان لاجل مسيره الى بلاده واحضار عساكر لنجدة قومه وكان ما بلغنا محال . فقال مهريار اهل ثبت عندكم ان كلام الجارية عن اخ سعدان وفيرموز كذب ونفاق وان ما صار عليهما هو من قبيل الظلم والتعدي . ثم ان الملك جهان اخذ الكتاب ففضه وقراه فلعب به الغضب اكثر مما كان قبلاً ولعن الفرس وكبر ابائهم الف لعنة واقسم انه لا بد من ان ينتقم ويعمل على هلاكهم ومحو آثارهم وامر عساكره ان تستعد للحرب والقتال وتتهيأ في الغد لملاقاة الفرس وخوض معامع النزال ونشر اعلاناً انه يركب بنفسه في ذلك اليوم لمشاهدة القتال والرضا على كل من يفدي نفسه ويبذل جهده في الدفاع عن وطنه وبلاده فهاج الجميع وماجوا وتمنوا ان ياتي الغد ليزحفوا على اهالي ايران ويمحقوهم باسنانهم ولا يبقوا منهم احداً وباتوا تلك الليلة على مثل هذه النية . وفي صباح اليوم الثاني ضربت طبول الحرب من جهة الايرانيين واذنت الفرسان ان تهب من مراقدها وتستعد لملاقاة الاهوال . فاجابتها طبول الصينيين باصوات الرعود آمرة قومها ايضاً بالركوب والتقدم ولم يكن الا القليل حتى تقدم الفريقان . واصطفا الى جهتي الميدان .

وترتبوا اعظم ترتيب . وتدربوا على طرق الانتظام احسن تدريب . وتقدم في اوائل رجال ايران فيروزشاه وهو راكب على جواده الكميت المتقدم ذكره وكان له عدة من الايام لم يركبه قط احد وهو على العلف والراحة حتى سمن وصار كانه البرج المشيد وكان الى جانب فيروزشاه الى جهة اليمين اردوان والى جهة الشمال شيروه وفي طرفي الجيوش بيلتا وشيرزاد وخورشيدشاه وجمشيد شاه ومصفرشاه والعيارون يتطايرون من جهة الى اخرى كانهم العفاريت الطيارة وركب الملك بهمن والى جانبه اليمين طيطلوس والى الشمال بزرجمهر وهو يتمنى ان يرى قتال ابيه و يعرف عظيم مقدرته لانه كان يسمع عنه الاخبار التي تندر ان توجد باحد من رجال الانس . ولم يكن الا القليل حتى هجمت الفرسان على بعضها البعض . وهزت لصياحها جبال تلك الارض . واندفقت اندفاق السيول الزواخر . وزئرت زئير الاسود الكواسر . وهي ساعية بكل جد واجتهاد . الى بذل النفوس في ميدان الطراد . وحلا لها الموت وهان . لا نعرف ما يكون لها وما كان . وطلب الخصم خصمه بثبات قلب وجنان . حتى امتزج القومان ولم يعرف منهما الصينيون من اهالي ايران . ولا اليمنيون من الرومان . بل كان السيف اليمان . يفرق بين اولئك الفرسان . ويمددهم على بساط الصحصحان . ويلقي العداوة بين الارواح والابدان . حتى كرهت ان تقيم فيها او تدنيها . وكان فيروزشاه قد اشتاق الى الحرب . وملاقاة الاعداء في ميادين الطعن والضرب . فبذل ذلك اليوم جهده وابدى من البراعة كل ما عنده . حتى حير باعماله الخواطر . وابهج بحملاته النواظر . وقلب الكتائب . وفرق المواكب . وصب على الاعداء مياذيب النوائب . والبسهم حللاً سوداء من الويلات والمصائب . وهو ينادي باصواته العادية انا فيروزشاه . حبيب عين الحياه . فكان عند استماع اصواته تفر الجيوش وتتفرق طالبة الانهزام . خائفة من شرب كاس الحمام . حيث كانت شاهدت قتاله . ورات مرارًا كثيرًا افعاله . وهو يفرق الابطال . ويكسر رؤوس الرجال ويمددها على الرمال . وكذلك كان اردوان . ينتقل من مكان الى مكان كما يتنقل البرق عند اللمعان . وهو متاثر فيروزشاه متعجب من سرعة حربه وسطوته على الاعداء وكان يقصد ان يريه عظم فعاله وعجيب اعماله فاخذ في ان يخترق الصدور . ويقطع النحور . ويطارد الفرسان . ويبعث اليها برسل الموت والهوان . وهو ينادي انا اردوان انا اردوان . ابن اخي بهزاد بن فيلزور البهلوان . ومثله كانت تفعل جميع ابطاله وفرسانه . وقواده وشجعانه . ولولا كثرة الاعداء . لحل بها الانقراض والفناء . الا انها كانت كثيرة المقدار كانها الجراد يبلغ عددها اربعة الاف الف من الكهول والشباب ولهذا كانت عساكر الفرس غائصة فيما بينهم تقاتل وتطارد وتهاجم مهاجمة الاسود لا تقبل بغير المجد والفخار . ولا ترغب الا الفوز والانتصار . وبقيت على القتال . الى حين الزوال . فضربت طبول الانفصال . ورجع القومان عن بعضهما البعض وهما لا يصدقان بانقراض النهار ليعودا عن ما هما عليه من سلوك سبل

الدمار . قال ورجع فيروز شاه وهو كانهٔ شقيقة الارجوان ما سال عليهِ من ادمية الفرسان وقد اروى ظماء كبده من الاعداء واستوفى بيوم واحد ما مضى عليهِ من الحرب منذ ست سنوات اسبي اثناء قيامهِ في المدينة

قال وكان الملك بهمن قد نظر الى قتال ابيهِ فاندهش وعلم انهُ فارس فرسان هذا الزمان وسيد الابطال والشجعان . وانهُ اخف من دخل في ابواب الحرب والطعان . وسلك طريق المناضلة والجولان . ولما رجع ابطال الفرس تلقوهم بالترحيب والاكرام ودخلوا فيما بين الخيام وهم بغاية ما يكون من الفرح والاستبشار على ما فعلوهُ في ذاك اليوم لان كل واحد من رجال الايرانيين كان قد قتل واحد واثنين ما عدا القواد واللذين عليهم الاعتماد فانهُ لم يقدّر مقدار الذين قتلوهم وقد تركوا الارض مغطاة من جثث القتلى والادمية تسيل عليها كالغدران . وجاءوا في السهرة الى صيوان الملك بهمن واجتمعوا من حواليهِ واخذوا في ان يتحادثوا بامر ذاك النهار وما كان من قتالهم وانهم يرجون ان تدوم الحال الى ثلاثة او اربعة ايام فينالون المراد وينتصرون غاية الانتصار ويدخلون المدينة بسلام واطمئنان اذ يكونون قد اهلكوا تلك الجيوش المتجمعة وبددوها . واما الملك جهان فانهُ كان في غيظ وكدر لما راى النقص قد وقع بقومهِ وانهم مع بسالتهم واقدامهم وكثرتهم لم يتوفقوا الى المطلوب ولا قدروا على ان يثبتوا الثبات الذي كان ينتظر منهم وبقي كاظماً على غيظهِ لا يجسر احد ان يكلمهُ او يستشيره بعمل وهو ايضاً لم يقبل ان يستشير احداً وفي اليوم الثاني ركب الملك جهان في الصباح ونشرت فوق راسهِ الاعلام والرايات وتقدم الى الامام فصاحت رجالهُ وحملت طالبة الحرب والقتال وكان رجال الفرس قد اعتلت على ظهور خيولها راغبة في الهجوم والصدام ولم يكن الا قليلاً من الزمان حتى تصادمت الفرسان بالفرسان . وقام قائم الحرب والطعان . وانتصبت كفتا الميزان . وغنى السيف الفرضاب . منشداً بانغام الطرب في محكم الرقاب . وجرى في ذلك اليوم اعظم ما جرى في اليوم الاول . حتى صارت القتول تلول . وامتلات منها تلك السهول . وارتفع الغبار وتكاثف . واجاب سائل الموت رنين السيوف وما خالف . وفعل فيروز شاه افعال الجان . في ذاك اليوم العظيم الشان . ودام الحال على هذا المثال الى الزوال . فضربت طبول الانفصال وافترق القومان وباتوا في الخيام الى اليوم الثاني فعادوا الى ما كانوا عليهِ في اليومين السابقين طول ذاك النهار وفي المساء افترقوا وعاد رجال الفرس مؤمّلين بالنصر والظفر لانهُ ثبت عندهم انهم ميتولون على المدينة بعد ايام قليلة اذا بقي الاعداء خارجها وان النحس قد ذهب عنهم وحل على اعدائهم وكذلك الملك جهان فانهُ عاد الى الخيام واجتمع عنده وزيره مهريار ورئيس جيوشهِ منكوخان وهو عارف بما تنتهي اليهِ الحال وانهُ سائر الى الانقراض والخراب وبعد ان احتف بهِ كل رجال ديوانهِ قال لهم اعلموا ان الحالة التي نحن فيها حالة عذاب واضطراب

فاذا لم نستدرك امرنا والا اصبحنا عبرة لمن اعتبر وضربت بنا الامثال في كل مكان وزمان كيف لا وقد هلك اكثر من نصف الرجال ولم يبق عندنا بعد يوم او يومين الا النساء فقط ونصبح غنيمة للاعداء ولا تعود تقوم لنا قائمة فيما بعد ولذلك اريد منكم ان تنظروا بتدبير امر نحفظ به نفوسنا من الخراب والفناء . فقال له وزيره منكوخان اني لا ارى وسيلة تقينا وتحفظنا الا اذا كانت تردلنا النجدات ولا سيما اذا جاءنا الملك شنكال الهندي فهو نادر المثال بين رجال هذا الزمان وابطاله وهو قادر على كبح هذه الطائفة الفارسية التي تعدت علينا واوصلت شرها الينا وانزلت بنا المصائب والاهوال . غير ان مجيء الملك شنكال لا يمكن ان يكون في هذه الايام بل نبعث له رسولاً ونبعث نعلم ايضًا كركاني الساحرة بموت ولدها فاذا عرفت به غضبت وتسببت الى اخذ ثارها من الاعداء ويقتضي لفعل ذلك وعمله ان نطلب من الفرس ضرب هدنة الى ايام معلومة اي الى مقدار بعين يومًا وفي هذه المدة لا نعرف ما يكون وما تعده لنا النار . قال ان ذلك يوافق وبه الصواب غير اننا لا نعرف ان كان يقبل الفرس معنا بمثل هذه الهدنة ويوافقون عليها . قال اننا نرسل لهم رجلاً عظيمًا منا نسالهم فيه فاذا اجابوا كان خيرًا والا دخلنا المدينة واقمنا بها وحاصرنا على اسوارها الى حين اتيان الفرج فاستصوب الملك كلامه وقال انه يخطر في ذهني ان ابعث بوزيري مهريار كي يسالهم الهدنة فهو خبير حكيم يقدر ان يقنع الفرس باجابتنا بينما نكون قد سعينا وراء نجاحنا وقررنا كل ما من شانه ان ينفعنا ويأتينا بنوال المراد ثم التفت الى وزيره وقال له اريد ان تذهب الى ملك الفرس وتدخل بينهم وتدبر بمعرفتك ما يكون مناسبًا لنا واريد منك ان تصرف الجهد الى اقناع فيروزشاه بالقاء الهدنة بيننا وترك الحرب الى مدة اربعين يومًا فاذا اجاب كان ذلك لسعادتنا وحسن حظنا والا دخلنا المدينة في اخر هذه الليلة وقفلنا ابوابها من كل الجهات واقمنا كما كنا سابقًا الى حين تاتينا النار بالفرج . فاجاب الوزير طلبه ونهض في الحال فركب بغلته وركب بين يديه الخدام والغلمان وكان مهريار مشتاق كل الاشتياق الى الذهاب الى جيوش الفرس لمشاهدة فيروز شاه وفرسانهم ويخبرهم ان بقصد الملك جهان ارسال خبر الى كركاني الساحرة بقتل ولدها وبذلك تنقلب احوالهم لانها عالمة بفن السحر فربما توصلت الى هلاكهم او هلاك بهزاد وبقي سائرًا الى ان قرب من الحراس فقال لهم اني مهريار وزير الملك جهان وقد جئت رسولاً الى سيدكم من قبل سيدي لامر به النجاح فاسرعوا اليه واخبروه بقدومي فسار احدهم امامه ودخل على فيروزشاه واعلمه باتيان الوزير مهريار ففرح بذلك ونهض بنفسه الى ملاقاته الى خارج الصيوان ودخل بعد ان سلم عليه وشكره واقام له بكل احترام واحتفال وقدم له فرسان الفرس كل اكرام وترحيب به لانهم كانوا سمعوا من فيروزشاه انه حسن الطوية يعبد الله سبحانه وتعالى وقد فعل معهم جميلاً وهو الذي اخرجهم من المدينة وخدمهم خدمة نصوح محب . وبعد ان استقر به الجلوس ساله الملك

بهمن عن السبب الذى اوجبه الى الاتيان وقال له اخبرنا بامر رغبته فلربما نقضيه في الحال . وكان مهريار قد تعجب من انساع ديوان الملك بهمن ومن كثرة الفرسان والابطال والشاهات والامراء المجتمعين حواليه ومن ثم قال له اني اتيت رسولاً من قبل جهان لاعرض الملك امرًا اختاره وطلبه ورجاه وسالني ان اقضيه له وهو ان توافقوه على المدنة الى مدة اربعين يومًا لا يكون فيها لا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال ترتاح بها الجيوش من الحرب وقد نوى في هذه المدة ان يبعث برسول الى جمع الجيوش ويبعث خبرًا الى كركاني الساحرة يطلعها على قتل ولدها ديدا روما فعلتم به لتنتقم من بهزاد وتاخذ له بالثار منه . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام اطرق الى الارض مكدرًا على بهزاد وقال لا بد من السعي في خلاصه وخطر له ان يبعث بهروز الى قلعة سوسان شهر اثناء هذه المدنة يتدبر في خلاص بهزاد وارجاعه معه وقتل كركاني قبل ان يصل اليها خبر قتل ولدها . وكان الملك بهمن والجميع سكوتًا ينتظرون امر فيروزشاه وماذا يريد ان يفعل ان يقبل بالمدنة وترك القتال او يصر على الحرب والنزال الى ان سمعوه قال للوزير اني لا اريد ان اضيع لك خاطرًا ولا ارجعك بدون ان تنهي امرًا اتيت لاجله وسعيت فيه ليعلم الجميع انك نافذ الكلمة موفق الاعمال فيكون لك عندهم مقامًا ورفعة واني اخاف اذا لم اجبه يقال عني اني غير منصف لا ارغب الا بهلاك النفوس وقتل عباد الله ولاسيما اذا امتنعت يدخلون المدينة ويقفلون الابواب ولذلك بلغ جهان كلامي واخبره ان المدنة تكون الى مدة خمسة واربعين يومًا زيادة عما طلب من تاريخ اليوم القادم وبعد ان اقام الوزير مدة ركب بغلته وعاد الى جهان وبعد عودته دعا فيروزشاه بهروز العيار وقال له اريد منك ان تذهب من هذه الساعة الى قلعة سوسان شهر واطلب اليك ان تسعى بقتل كركاني وخلاص بهزاد واصرف الجهد الى منع رسول الملك جهان فاذا رايته في الطريق فاقتله بينما يكون قد تم عملك وتوفقت الى الصواب . فوعده بكل جميل وقبل يديه وخرج متكلاً على الله تعالى طالبًا منه ان يوفقه الى نوال المراد

قال وبقي مهريار سائرًا الى ان وصل الى جهان ودخل عليه وهو بانتظاره وقال له اعلم اني وصلت الى فيروزشاه فلاقاني ملاقاة الاصحاب كاني لست من اعداه ولما سالته المدنة وترك الحرب وبينت له وجوب ذلك لراحة العباد وبني الانسان فاجاب وزاد المدنة الى خمسة واربعين يومًا وقال اني ارغب في الانصاف ولا اكره اجابة طلب ملك عظيم مثل ملككم واضيع تعب رجل جليل القدر نظير وزيره مهريار فشكرته عنك وقدمت لهم الشروط الموافقة وان لا يتعدى احد العسكرين على الاخر ولا يضر البعض بالبعض الاخر حسب الشروط الواجب اتخاذها في مثل هذه الظروف ففرح جهان بعقد المدنة وقال له اني اشكرك من وزير عاقل حكيم خبير موفق واني اعتبر انك اشتريت جيشي بتدبيرك الى حين انقاذه من الاعداء حق الانقاذ . ثم ان جهان

دعي بجلدك العيار لحضار ديدار وقال له اني اريد منك ان تحمل كتابا مني الى كركاني الساحرة
ام ديدار لاني عزمت على ارسال خبر لها بموت ابنها لتسر بهلاك ديدار فاجاب امره واخذ منه
الكتاب وسار في تلك الليلة وهو لا يصدق ان يصل الى عظمة سوسان ضمن العلم حضر كركاني ويقدم لها
تحرير الملك جهان .

ولما بهروز فانه سار في مثل تلك الليلة كما سبق وبقي مسافرا الى اليوم التالي وفي صباح اليوم
التالي كان قد استدل على طريق البلاد فاخذ في السعي فيها وسار مجدا واخفى سيره قبل سير
جلدك بساعات قليلة ولا زال اياما ولياليا الى ان وصل الى قرب المدينة التي تسكن بها كركاني
فوجد ابوابها مقفلة ولم يجد احدا قط خارج المدينة وكانت اشبه بقلعة عالية الاسوار متينة البنيان
فعجب منها وبقي عند الباب حائرا وقد وعي الى نفسه واخذ يفكر في الطريقة التي يدخل بها على
كركاني فلم ير طريقة موافقة فعمد ان يرتاح اولا ويقرر في فكره العمل ورجع الى الوراء مقدار
ساعتين ومال قليلا عن الطريق الى ظهر اكمة ليجلس عليها مرتاحا وما استقر على ظهر تلك الاكمة حتى
راى عن بعد رجلا آت الى جهة المدينة فانحدر من مكانه وكان يلبس اذ ذاك ملابس رجل مسن
بذقن كثة بيضاء فلا يقدر الرائي ان يعرفه قط وانحدر الى جهة الرجل فظهر على نفسه انه ضائع عن
الطريق ودنا منه وكان الرجل نفس جلدك العيار الذي جاء بكتاب الملك جهان الى ام ديدار
ولما رآه وعرفه معرفة اكيدة كاد يطير من الفرح وثبت عنده نجاح مسعاه ولما وصل منه سلم عليه وسأله
عن طريق المدينة فقال له جلدك اراك رجلا مسنا فكيف لم تعرف هذه المدينة . قال انه لم يسبق
لي ان اتيتها قبلا وقد عرفت الان بكرم صاحبة هذه المدينة التي يقال لها كركاني الساحرة فاتيتها
لاقيم عندها خادما وكنت قد جعت فعمدت الى ظهر اكمة لاتناول الطعام عليها وما استقر بي المقام
حتى رايتك آتيا فاسرعت اليك عسى ان يكون لي على يديك فرجا انا راكض في طلبه وساع خلفه
فلا برحت معنى لقضاء اغراض اصحاب الاغراض الذين مثلي . فقال جلدك مرحبا بك فاني ادخل
بك على كركاني واتوسط لك عندها ان تقبلك لكن لا يكون ذلك في الحال لانها لا بد من ان
تشغل عن مثل هذا الامر بداعي مصاب اتيت لاخبرها به . فاشرع بنا الان الى الاكمة التي كنت
جالسا عليها لنتناول الطعام هناك ونرتاح قليلا قبل الدخول الى المدينة لاني جائع وتعبان فاجابه
بهروز وهو يتوكا على العصا حتى دهش منه جلدك وقال له اني اراك رجلا مسنا وشيخا كبيرا وامشي
تسرع الجري كانك من اشد الشبان . قال اني قوي العصب معتاد على الاسفار من بلد الى بلد
ومن ناحية الى ناحية حتى انقطعت كثيرا من البلدان والممالك ووقفت على كثير من الاعراض والاحوال
اكل ولا امل والقدم يساعدني على نوال المراد . وكان بهروز قد اخذ حذره منه خوفا من ان يكون
قد عرفه الا انه راى فيه الغباوة والجهالة وانه غير ملتفت اليه كل الالتفات وبقيا حتى صارا على

ظهر الاكف فلم اقاماوا عليها وفي الحال اخرج جلدك ما معه من الطعام واخرج بهروز ايضاً ما كان يحمله من الحلوى الجيدة تبرك مصر بكن فلما تناولوا ما في شيء الموجود قال له من ابن لك هذا ومن اين وصل اليك . قال اني مررت بمدينة السرور فوجدت هذا باعة هناك ولا اعلم من اين وصل الى اهلها فاخذت منه جانباً وحيث انك عزمت ان تعمل معي معروفاً نويت ان اطعمك منه كونه لذيذاً جداً يليق ان يهدى الى الملوك . فقال لا شك انه جاء الى مدينة السرور من مصر لانها دخلت في يد الفرس وتلك البلاد هي الان في حوزتهم واصبحت لها علائق واحدة . ثم ان جلدك تناول واحدة من الثمر ووضعها في فيه ولم يزدردها وما وصلت الى جوفه حتى وقع الى الارض كالميت وكان الثمر مشتغلاً بالبنج ولما راى بهروز ما حل بجلدك دنا منه واوثق يديه بالحبال وشد كتافه ومن ثم اعطاه ضد البنج فاستيقظ الى نفسه ونظر الى الرجل الشيخ فوجده قد نزع ذقنه وعاد الى هيئته الاصلية فعرف الحيلة ونظر الى نفسه موثوقاً فصاح مستجيرا فقال له بهروز اعلم اني انا بهروز العيار ولا بد ان يكون وصل اليك خبر اعمالي فلا نجاة لك الان الا بالاعتراف لي واخبارك اياي عن قلعة سوسان شهر وان تدفع لي المكتوب الذي جئت به من الملك جهان والا ذبحتك من الوريد الى الوريد . فارتعب جلدك وخاف من الموت وقال له اني اجيبك الى كل ما تطلب وادفع اليك المكتوب بشرط انك تقسم لي بالهك ان لا تذبحني . قال اني اقسم لك بالله العظيم اني لا اذبحك ذبحاً فاخبرني اين المكتوب . فقال هو في حزامي فخذه الان وافعل غرضك به

وبعد ذلك اخذ بهروز يسال جلدك عن قلعة سوسان شهر وهو يجيبه حتى فرغ منه ثم استل خنجره وقرب منه فقال له الم تقسم لي انك لا تذبحني قال بلى وانا لا اذبحك الان بل اجوف لك احشاءك واخرج امعاءك من بطنك ثم ارسل خنجره الى جوفه واخرج امعاءه من بطنه وتركه ميتاً بعد ان جرده من كل ثيابه واخذ المكتوب الذي كان يحمله من الملك جهان وانطلق الى المدينة ولا زال حتى قرب منها فطرق الباب فاعترضه الحارس فقال له اني رسول الملك جهان الى الملكة بكركالي فادخله و بقي سائراً الى ان وصل الى قصرها والناس مجتمعون حواليها وهي جالسة على عرش الملك تامر وتنهي بعبيد الله ولما وقف بين يديها قبل الارض ودفع اليها المكتاب فقالت له من اين هذا قال لها من سيدي الملك جهان ثم بكى وناح فاضطربت في داخلها وامرت ان يقرا الكتاب عليها ففتحه وزيرها وكان اسمه قلووق وقراه عليها فلما عرفت بموت ابنها كاد يغمى عليها ولطمت على خدودها وناحت وبكت ومزقت ثيابها وفعلت افعال الثواكل الشديدات الحزن . وفي الحال امرت ان يوتى ببهزاد الى امامها فسار الحجاب الى سجنه واخرجوه منه وجاءوا به اليها . وهو يحجل بقيوده ولما وقعت عينها عليه نهضت من مكانها واخذت تضربه بالعصي وتعضه باسنانها وهي تحسب ان تشفي غليل فوادها حتى رات الدم قد سال من جسمه وهو صابر على حكم الله لا يقدر ان يبدي

حركت ولاجالتي بقوة تمكنة من الدفاع عن نفسو ولذلك وجد نفسة مضطرًا للصبر وثبت عنده ان كركاني ما فعلت ذلك الا بعد ان وصلها خبر مكدر وربما قتل والدها فاشتفى غليل قلبو وان كان يتوجع في جسده ولما راى بهروز ما هو حاصل عليو تكدر في داخلو وصبر ليعلم باي طريقة يمكنة ان يخلص بهزاد حتى سمع الملكة كركاني قد امرت ان يؤخذ الى المشنقة و يشنق وقالت لان هذا اول رجل اخذت منة ثاري ولا بد من هلاك الباقين فزاد بذلك اضطراب بهروز وخاف من انفاذ الامر في بهزاد وعليو فقد تقدم من كركاني وقال لها لقد عجلت ياسيدتي بامر هذا الرجل الفارسي وليس من الصواب قتلة الان لان بينا اخذت الكتات من ميدي جهان وخرجت الى خارج المدينة و بعدت عنها نحو نصف يوم لحق بي ونك عياره وقال لي اخبر الملكة كركاني ان لا تقتل الاسير الذي عندها ما لم تصل اليها جثة ولدها لانة امر ان توضع في نعش من الفضة وتحمل مكرمة اليك على اعناق الامراء من بلاده الى هذه المدينة ومتى وصلت جثة ولدك رحمة النار وانزلتة باحر مكان منها تذبحين الاسير عليها لتشرب من دمو وترتوي و بهذه الواسطة يكون ولدك قد شرب من دم عدوه بعد مماتو فانتبهت كركاني الى هذا الكلام وقالت لقد اصاب الملك جهان فلا اقتل هذا الاسير الى بعد وصول جثة ولدك . وكان بهزاد قد عرف بهروز وهو بين القوم فادرك الحيلة

ثم انها امرت ان يرجع بو من المشنقة و يوضع في الحبس الى حين ارسال خبر بقتلو ولهذا سرّ بهروز وامل نجاح مسعاهُ وانة سيقتل الساحرة قبل اليوم الاتي و بقي تلك الليلة في قصرها وهي تظنة من اتباع جهان ولم تفكر قط انة العدو الالد واقامت عزاء ولدها واخذت الناس ترد اليها افواجًا افواجًا للتعزية واظهار التاسف الى ان مضى النهار وقسم من الليل و بهروز يراقبها حتى فرغ الناس من عندها ولم يبق قط احد وراها قد قامت من مكانها ودخلت غرفة منامها واقفلت من خلفها فصبر نحوًا من ساعتين الى ان تاكد انها نامت وسمع من الخارج غطيطها ففرح واسرع الى نافذة عالية فصار على اعلاها باسرع من البرق واخذ قطعة من البنج فاشعلها والقاها الى الداخل وصبر الى ان تاكد انها فعلت بها واذ ذاك اخذ المبرد من وسطو وقطع حديد النافذة والقى بنفسو الى الداخل ثم تقدم منها واخذ خنجره وذبحها من عنقها وفصل راسها عن بدنها واخذ الراس وخرج من الباب وتسلق السطوح ليرى لنفسو منفذًا يوصلة الى السجن و بينا هو على السطوح وقع نظاره على نافذة عالية ينبعث منها النور فتقدم تجاه تلك النافذة والقى نظره الى الداخل فوجد في اسفل القاعة الوزير قاووق وهو وزير كركاني وكان قد راه في مجلسها فعرفة وسمعة يقول لزوجتو وهو منفرد بها اعلمي اننا الان واقعون بمسئلة صعبة جدًّا لا نعرف كيف ينتهي بنا الامر فيها فالت وما هي هذه الصعوبة . قال ان الفرس قد قتلوا الملك ديدار وفي نية الملكة قتل الاسير بهزاد احد امراء قومهم المشاهير ولا بد اذا عرفوا بقتلو ياتون هذه البلاد ويفعلون بها ما فعلوه بغيرها اي

يسطولون عليها ويقتلون الملكة قالت كيف يقدرون عليها وهي ساحرة ولها من القوة والعظمة ما يكفي لمقاومتهم . قال انهم لا يخافون السحر وقد قتلوا من قبلها صفراء الساحرة التي لا يوجد لها مثيل بين الشعراء وقتل ايضًا المنظر الساحر خال شمس الساحرة وكان يحسب من اصحاب هذا الفن الاوائل اي من الذين تضرب بهم الامثال وتخافهم الملوك والابطال وكركاني هذه لا تصلح ان تكون خادمة عنده وعليه فاني خائف من سطوة الفرس واتيانهم الى بلادنا . فقالت له ومن الذي قتل صفراء الساحرة والمنظر . قال سمعت ان بين عيارهم عيار من طغمة العفاريت وليس من الانس لا يوجد احيل منه ولا اكثر خداعًا مع انه ابن جارية وغول وهو شهير الخبرة باحوال العالم وهو الذي قتل صفراء والمنظر يعني انه هو الذي احتال عليهما وقتلهما وغيب عن ذهنهما دسيسته فلما سمع بهروز كلامه من النافذة قهقه منه ضحكًا وعرف انه سينال الغاية بواسطة هذا الوزير كونه يحسب حسابًا للفرس ويخاف سطوتهم ولذلك اخذ راس كركاني ورماه من النافذة ووقف ينظر ماذا يكون من الوزير وزوجته وهما بينما كانا يتكلمان وقع الراس بينهما بغتة فاجفلا وكاد يقع بهما الجنون ولا سيما عندما حقق قاووق انه راس كركاني وجعل يقترب منه قليلًا ثم يبعد عنه خائفًا منه وكذلك زوجته وقد انعقد لساناهما عن الكلام ولم يعد في وعيهما التبصر ومضى عليهما نحوًا من ساعة على تلك الحالة وبهروز يرى ويضحك من الاعلى الى ان راهما قد هدءا واسكنا وتقدم الوزير من الراس وقال ما من شبهة انه مائت ولم يتحرك قط لكن من ياترى رماه الى هنا لا ريب ان احد العفاريت سمعنا نتكلم عنها فقتلها حبًا بالفرس ورمى راسها بيننا لنراه فاكتمي هذا الامر خوفًا من ان يحل بنا امر من الامور ودعينا نخفي هذا الراس والا يظنون في الغد اننا نحن الذين قتلناها ولا يصدقون ان الراس وقع بغتة علينا حيث لا نعلم ثم ذهب بالراس الى المرحاض فرماه به ولم يبق من اثر للدم ونام مع زوجته ورجع بهروز وهو يضحك من الوزير قاووق ونام في مرقده للغد ينتظر ما يكون من امر سكان المدينة وقد ارتاح باله واطمأن خاطره وعرف ان موت كركاني يسهل عليه الامر الذي جاء لاجله وان قومه اصبحوا بامان منها

ولما كان صباح اليوم الثاني نهض ووقف بين الخدم كان لا علم له بشيء من كلما تقدم واخذ رجال كركاني يلتفون واحدًا بعد واحد وجاء الوزير قاووق وجلس في منصبه متجاهلًا عن امر كركاني واقام الجميع بانتظارها الى ما بعد الظهر فلم تحضر فذهب احدهم يفتقدها فوجدها على تلك الحالة مذبوحة جسدًا بلا راس فلطم على خدوده وعاد ينوح ويبكي ويندب الى ان وصل الى دار الحكومة واعلن بينهم ما رآه فساروا جميعًا حزانى ونظروا الجسد على تلك الحالة فاكثروا عليه من البكاء وهم يتعجبون من فاعل ذاك الفعل وقالوا لا بد من امر خفي وقع عليها لا نعلمه . فقال قاووق في ظني ان الذي قتلها هو ليس من الانس لان لا احد من الانس يقدر ان يصل اليها فقالوا جميعًا اصاب

قاووق ولا بد من ان احد اعدامها السحراء . والعفاريت قوي عليها فقتلها ثم اخذوا الجسد واحرقوه بالنار واخذوا رماده فكرموه وفرقوه عليهم لاجل البركة . وكان لها ولدان اخران غير ديدار يقال لاحدهما كركسان والاخر خوركان فاقاموا الاول ملكًا عليهم عوض والدته وجعلوا اليه يهنونه بالملك الى ان انقضى ذلك النهار وانصرف كل الى حال سبيله هذا وبهروز براقب ويرى وهو بين الخدم لا يظهر ادنى دليل على الاشتباه به وكان ينظر الى كركسان ويتاثر اعماله ومكان اقامته وهو يتبعه حتى عرف من اين يمكن ان يتوصل اليه وكان مقيمًا بقرب مكان والدته فصبر عليه الى ان تنصف الليل او كاد يتنصف فجاء الى الغرفة النائم فيها وتسلق جدرانها حتى توصل الى نافذة عالية نظر فيها الى الاسفل فراى كركسان نائمًا فاشعل قطعة من البنج وحذفها الى الداخل وصبر الى ان انقطع دخانها ثم نزع من جيبه الة صغيرة اقتلع فيها مسامير النافذة واطرافها حتى امكنه ان يرفنلب الى الداخل وهو بامان من وجود رقيب في الداخل او الخارج ولما صار في ارض الغرفة تقدم من كركسان وكان قبيح المنظر ضخم الجثة فامتشق خنجره وقطع به راسه وفصله عن جسده وحمله وخرج من الغرفة وقصد ان يرميه على الوزير و يفعل به كما فعل في الليلة الماضية ولذلك تسلق السطوح وسار الى ان قرب من بيت الوزير ووقف تجاه النافذة المذكورة وكانت عالية واسعة فارسل نظره الى الداخل فوجد الوزير قاووق جالسًا مع زوجته وهما يتحدثان بامر راس كركاني وكيف خباه ولم يعلم به احد وقال لها اني اشعر من نفسي اني حامل حملاً ثقيلاً بامر الملكة واخاف لئن يظهر امر الراس فيما بعد فيظنون اني انا الذي قتلتها واخفيت الراس والدليل كتمان امرها . قالت من اين يظهر ذلك وليس في هذه الغرفة الا انا وانت وهل من الممكن اظهار مثل هذا الامر وقد انقضى ومضى وكان قاووق مسنًا كبيرًا بالعمر وزوجته شابة حسنة الوجه جميلة فصدقها وقال لها اني اعتقد من نفسي اني لا اذكر ذلك الى احد ولا اظن انك تتكلمين به ولهذا تريني بامن وامان من هذا الامر . وفيما هو معها على مثل ذلك واذا براس الملك كركسان قد وقع بينهما وكان الذي رماه بهروز حيث كان واقفًا يسمع كل ما يتكلمان به فلما رايا الراس انبغتا واخذتهما الرعشة وارتاعا وهما لا يعرفان ماذا يفعلان ويخافان من ان يصيحا فتاتي الناس دون ان تصدق وقوع الراس عليهما بغتة ووقع الوزير بارتباك عظيم ولم يعد يعرف ماذا يصنع واصابه اكثر مما اصابه في الاول وبقي مدة الى ان تقدمت منه امراته وقالت له لما هذه الاعمال وهذا الخوف وانت قادر على اخفاء امره فالقه الى جانب راس والدته واي امر جرى يجرى فكن ثابت العزم قوي الجنان ولا تسلط عليك الجبن والخوف

ثم انها تقدمت امامه واخذت الراس وقالت له اتبعني فتبعها الى ان جاءت المرحاض فالقته فيه وقالت له اذهب الى قرب والدتك ورجعت مع زوجها لا يعرفان من اين صار ذلك ولا

كيف تحذف الراس عاقبتها ولا يجسران ان يصيحا او ان يفتشا على السطوح ليحققا الخبر ولذلك محيا اثار الدماء المحو واما تلك الليلة وعاد بهروز الى مكانه ونام في الغرفة المعدة له غير عارف شيئا من كل ما ذكر ينتظر الصباح ليعلم ما يكون فيه وقد ثبت لديه ان لا بد لاهل المدينة في الغد من تولية اخي كركسان الاصغر وهو خوركان فيفعل به كما فعل باخيه ويكون قد قتل كل هذه العائلة وابادها ولم يبق منها احدا ومن ثم يعود الى السعي بواسطة الوزير لخلاص بهزاد بحيث يهدده ويظهر له نقمة -

ولما كان الصباح نهض رجال المدينة من مراقدهم حسب عادتهم وجاءوا الى دار الاحكام فلم يروا كركسان فصبروا عليه الى الظهر فلم يحضر قط فانشغل بالهم وخافوا ان يكون قد حل به ما حل باخيه فذهبوا الى قصره فوجدوه على تلك الحالة والدماء مالئة ارض الغرفة والجثة ملقاة على السرير دون راس فتكدروا مزيد الكدر ووقع الرعب بقلوبهم ولاسيما الوزير فانه اصبح خائفا الخوف الشديد وقلبه يخفق ولا يعلم ماذا يفعل حتى اخذوا الجثة الى الدار وفعلوا بها اما فعلوا بجثة كركاني ومن ثم جاءوا باخيه خوركان ونصبوه عليهم ملكا ونادوا باسمه في اسواق المدينة وهنأوه بالملك بعد ان عزوه باخيه ومن ثم ضربوا ديوانا بينهم ليحققوا ماذا يجب ان يفعلوا لحفظ حياته وفيما هم كذلك لاحت منهم التفاتة فراوا بهروز بين الخدم وهو بصفة عيار من عياري الصين فقال احدهم اني ارى من انسب الاشياء واوفقها ان نضع لحراسة ملكنا هذا الصيني لانه عيار ماهر ومن اهل الصين المباركين ولا بد ان يكشف لنا هذا الامر ويعرف من الذي ياتي اذا اتى احد فاستصوب الجميع هذا الراي ودعوا بهروز وقالوا له نريد منك ان تبقى هذه الليلة وما بعدها عند ملكنا وان تحافظ عليه حق المحافظة وتحرسه كل الليل الى حين الصباح . قال حبا وكرامة فاني اعدكم الوعد الصادق ان لا يقع عليه ما وقع على والدته وان لا انام في كل هذه الليلة حتى ترون مني في صباح اليوم القادم كل ما يرضيكم ويسركم فتنتهون من كل هذه الاحوال ولا يبقى عندكم شك بمن فعل هذه الافعال ولا بد من ظهور الامر جليا

فارتاح ضميرهم اليه واملوا ان يصدق بهروز بكلامه . ومن ثم ذهب مع الملك خوركان وهو قائم على خدمته بكل خفة وجد حتى سر منه مزيد السرور ووطد العزم على ان يبقيه على الدوام عنده ولا يتركه قط من خدمته وصرف خوركان تلك السهرة في قصره مع بعض اعيانه وعند اخر السهرة انصرف كل الى حال سبيله وبقي عنده بهروز فقال له ان مرادي انام الان فاياك من الغفلة قال كن مطمئنا فاني عاهدت نفسي ان لا انام هذه الليلة ما لم اقضي مصلحتي واظهر كل شيء واحرسك حق الحراسة وسوف تندهش من اعمالي . فاطمأن بال خوركان ودخل غرفته فنام لان النعاس كان قد فعل فيه كل الفعل وبعد ما نام بساعة اشعل بهروز قطعة من البنج ورماها عنده

انفهِ وخرج الى ان عرف بانقطاعها فعاد الى الداخل وقد استل خنجره وعزم على قتلهِ غير انهُ تاخر لما راه صغيرًا جميل الوجه وقال في نفسهِ الاوفق لي ان لا اقتلهُ بل ابقيهِ حيًا . ثم اوثقهُ وكتفهُ بالحبال وحملهُ على اكتافهِ وقال لا بد لي من اخذه الى الوزير على هذه الحالة وبعد ذلك اعتلى السطوح وتقدم الى جهة بيت الوزير وقرب من النافذة فوجده مع زوجتهِ كالعادة وهو يحكي لها ما كان من امر النهار وقد وضعنا على الملك خوركان حارسًا بحرسهُ هذه الليلة لنعلم من الذي يفعل هذا الفعل ولا بد في الصباح من حدوث امر جديد واذ ذاك ايقظ بهروز خوركان مرعوبًا ونظر اليهِ وقال له من انت قال انا بهروز العيار عيار فيروزشاه ابن الملك ضاراب وقد قتلت امك واخاك وابقيت عليك الان رحمة مني فاثبت عزمك فاني مزمع ان القيك الى غرفة الوزير فاذا لم تثبت وقعت على ام راسك مائتًا . ثم دنا من النافذة وحذفهُ بتمهل بين الوزير وزوجتهِ فوقع على رجليه وتاثر من تلك الوقعة الا انهُ لم يصب بضرر واما قاووق فانهُ جفل ورجع الى الوراء وخاف من وقوع الملك ميتًا واراد ان يهرب فصاح به وقال لهُ اسرع اليَّ وفكني فقد ظهرت الحال وما من خوف عليك فعاد وعول على حل كتافه واذا ببهروز قد صاح به من الاعلى وقال له احذر من ان تمد يدك الى فك كتافه . ورمى بنفسه من النافذة الى الاسفل واستل خنجره بيده وقبض عليه من عنقه وقال له اذا لم تسرع الى ما اطلبهُ منك قتلتك في هذه الساعة واذا اجبت طلبي جعلتك الحاكم على هذه المدينة لان الملكة واولادها قد هلكوا جميعًا واني اعرفك بنفسي فاني انا بهروز العيار عيار فيروزشاه فارس هذا الزمان وسيد جميع ابطاله وقد وصلتك اخباري فاذا امتنعت كان لك نصيب كركاني واولادها فاضطرب قاووق وقال لهُ اطلب مهما شئت مني فاني اقضيهِ لك على راسي فقط عدني انك تعفو عن دمي وتبقيني حيًا . قال اني اعدك الوعد الصادق ان لا اصل اليك باذى واني اجعل لك الكلمة النافذة في هذه المدينة فتكون انت الحاكم والمالك . قال ماذا تريد مني قال اريد ان تذهب في هذه الساعة معي الى السجن لاخراج بهزاد وغير ذلك لا اريد منك . فاسرعت اليهِ زوجتهُ وقالت لهُ اجب بهروز الى ما يطلبهُ منك فقد وصلت اليك السعادة ونلت الغنى العظيم فقال قاووق سر امامي فاسير واياك الى الحبس واخرج لك منهُ بهزاد فقادهُ بهروز وسار به وهو يرجو سرعة العمل واخراج بهزاد من السجن وتسليمهُ السلاح . وكان قاووق قد اخلص الود الى بهروز وتامل بواسطتهِ و بواسطة بهزاد انهُ ينال المراد و يصير ملكًا على البلاد و بقي سائرًا مع بهروز الى ان وصل الى باب السجن فطرقاهُ فخرج السجان ولما راى راس الوزير اجفل وقال له ماذا تريد الان ياسيدي قال ان الملك خوركان فكر بامهِ واخيهِ كركسان وديدار في هذه الليلة فخطر لهُ ان يعذب هذا الايراني فدعاني و بعث معي هذا العيار الصيني الذي كان حارسًا عليهِ هذه الليلة لاحضارهِ فدفع السجان اليهما بهزاد اذ انهُ مجبور ان يصدق الوزير

وكان بهزاد من حين رجوعه من امام كركاني ومعرفته ببهروز ينتظر الخلاص لعلمه انه جاء لاجل خلاصه وان لابد له من اتمام رغائبه باي طريقة كانت ودام على هذا الانتظار الى تلك الليلة فلما راى بهروز عرفه ففرح مزيد الفرح واخذ بهروز في الحال المبرد بعد ان بعد عن الحبس وقطع القيود وفك وثاقه وجاءه الوزير بعدة حرب وجلاد وقال له اسرع بنا الى بيتي لنرى في امر الملك خوركان فساروا جميعًا وكان الوقت اذ ذاك عند انبثاق الصباح وقد اخذت الشمس في ان ترسل طلائع نورها قبل ظهورها . وما بعدوا الا القليل حتى راوا جماعة من الفرسان تتقدم الى ناحية السجن وفي مقدمتهم خوركان الملك وقد التقوا بهم فصاحوا عليهم وحملوا وفي نيتهم ان يتسلموهم على اسنة السيوف ولاسيما لما راوهم قليلي العدد فتوهموا ان لاقدرة لهم على الدفاع فالتقاهم بهزاد بقلب مفروح ونفس مشتاقة الحرب والكفاح

قال وكان السبب في اطلاق خوركان واتيانه الى لحاق بهروز هو انه تقدم اننا تركناه في بيت فاووق مع زوجته واشرنا ان زوجته كانت ذات حسن رائق وشابة وكانت تعلم من نفسها انها مظلومة مع زوجها كونه شيخًا وليس من العدل ان تكون زوجة له غير انها كانت ارغمت الى ذلك فاقامت معه كل تلك المدة تتظاهر له بالود وقلبها مملوء من الكره له والبغض من هيئته وحالته وما هي عليه معه وكانت تنتظر الفرص للتخلص منه وتؤمل موته كونه شيخًا والوفاة منه قريبة كدأب كل امرأة تزوجت برجل ليس من درجتها ومن المرجح ان لا بد ان تطمح عينها الى غيره عندما ترى الفرق الكائن بينه وبين زوجها وهكذا عادة كل الرجال ايضًا اذا كانت نساؤهم من العجائز وكانوا هم من الشبان اي لسن في الدرجة التي حددتها الفروض الطبيعية والواجبات البشرية العائدة لارتباط كل من الزوجين بالاخر ارتباطًا يكفل دوامهما على الحب والبقاء والسير معًا في درجات هذه الحياة الى حين بلوغ منتهاها ولما رات امرأة الوزير خوركان ونظرت انه على جانب عظيم من الحسن والبهاء وانه في السن الاول من الشبوبية مالت نفسها اليه وتقدمت منه وقالت له ارايت اتحاد بعلي مع بهروز العيار وخيانته لبلاده وملكه قال اني رايت ذلك فاذا كان في قلبك قسم من الرحمة فحلي عقالي ودعيني ادرك زوجك وبهروز وانتقم منهما وابعث برجالي الى ان نقبض على بهزاد اذا كان تخلص من سجنه . فقالت له كيف لا واني احب ذلك وارغبه غير اني اخاف اذا مات زوجي او لحق به امر ابقى من بعده بلا زوج متروكة ولذلك اريد منك ان تعدني بعدان تقتل زوجي تقترن بي واكون عندك وهذا ليس بشيء بالنسبة الى ما افعله معك الان لأني ساكون علة حياتك وسبب وجودك والا اذا بقيت هنا الى حين اتيان بهروز وبهزاد قتلت لا محالة لانهما لا يبقيان عليك قطعًا ليقيما فاووق عوضًا عنك . قال اني اعدك باصدق الوعود اني لا اتزوج غيرك بل اخذك الى بيتي وتكونين فيه الى الممات صاحبة الكلمة والنفوذ اي تكونين ملكة هذه المدينة

ولا اعمل شيئاً الا بعلمك واطلاعك ولا انسى لك هذا المعروف والجميل فاسرعي الى فكاكي واشتري البلاد من طمع الكافرين

فاجابته في الحال وتقدمت منه وفكت كتافه واطلقته وقبلته وقالت له انت صرت الان زوجي واحب عندي بالف مرة من ذاك الخبيث العاجز الجبان الخائن الذي لطمعه باع بلاده ولا اريد منك الا ان تنتقم منه قبل غيره لانه يستحق القتل والاعدام قال سوف ترين ما افعل به وما يصل اليك من الاكرام والمجد . ثم خرج من هناك واسرع الى التكنة فاستدعى بالقواد وطلب منهم ان يتبعوه بما هناك من العساكر الحاضرة فاخذهم وسار في طريق الحبس بينما كان بهروز قد خاص بهزاد كما تقدم وجاءوا غير عالمين ان زوجة احدهم قاووق ستطلق الملك خوركان الا ان بهزاد لم يعبأ بهذه العساكر لانها كانت قليلة لا تبلغ الالفين وكان له زمان ليس بقصير تاركاً الحرب مرتاحاً من ملاقاة الابطال فتلقى هذه العساكر بالقبول وجرد الحسام بيده واطلق لجواده العنان وخاض المعمعة وصال وجال واخذ في ان يفتك باولئك الرجال وينزل بضرباته عليهم اسواء الاحوال وبهروز يخطف من وراه كانه فرخ من فروخ الجان وقد احمى ظهره وما فارقه قط ولا يفارق الجواد بل يطعن بخنجره صدور الخيول فتقع عنها اصحابها الى الارض وبهزاد يصيح صيحات الاساد . ويقاتل قتال الجبابرة الشداد . وينادي ويلكم ايها الاوغاد . قد انزل الله عليكم نوازل العذاب . وحكم عليكم ان تموتوا في الازقة ميتة الكلاب . فانبتوا لتروا من سيفي ما لم تروه قط من انسان ولا سمعتم بمثله من قديم الزمان وهم يجتمعون عليه وهو يفرقهم و يبدد شملهم ويمحقهم وبقي على مثل هذا الشان حتى التقى بالملك خوركان . وهو يحرض الرجال والفرسان . على قتل بهزاد بن فيلزور البهلوان فكان كانه ينفخ في رماد فلما وصل اليه ابتدره بضربة على راسه اطاره عن جسده ولما راى قومه ما حل به ضعفت عزائمهم وتفرقوا من امامه وكان النهار قد اشرق جيداً واجتمعت الناس في تلك الناحية تتفرج على قتال بهزاد ولم يخطر لهم انه يثبت في وجوه رجالهم كونه واحداً وانه لا بد من ان يداس بحوافر خيولهم حتى شاهدوا فعله وتاكدوا انه ليس من طوائف الانس وقصدوا الرجوع واذا بالوزير قاووق يدعوهم الى التقدم و يطلب اليهم ان يطيعوه وقال لهم اعلموا انه لا بد من اتيان الفرس الى هذه البلاد اذا كابرتم وامتنعتم فيفعلون بها كما فعلوا بغيرها فاشتروا بلادكم من الخراب وناموسكم من الانهتاك وابعدوا عنكم ضربات هذا العذاب فمالوا الى كلامه واخذوا في ان يتقدموا افواجاً افواجاً من بهزاد ويقدموا له طاعتهم وهو يترحب بهم وسار امامهم الى دار الاحكام واجلس الوزير حاكماً عوضاً عن خوركان وقال لسكان المدينة اعلموا انه لم يبق احد من نسل الملكة كركاني يحكم فيكم ولذلك من العدل والصواب ان يكون الوزير حاكماً عليكم لانه منكم ومعتاد الحكم معكم وهو اوفق من الاتيان برجل غريب فاطيعوه وافعلوا ما يرضاه

فنادوا جميعاً باسم الوزير فاووق حاكماً عليهم وانقادوا الى اوامره . ثم بعد ذلك امر بهزاد ان تنزل عن اسوار المدينة الاعلام الصينية وترفع الاعلام الفارسية ويكون حكم الوزير عائداً لارادة الفرس ويحسب من عمال الملك ضاراب وتكون قلعة سوسان شهر وجميع ملحقاتها على الدوام بلاداً فارسية فما فيهم من خالف او مانع بل اجابوا صاغرين منقادين الى اوامره

وهكذا انتهى تدبير المدينة وانطلق سراح بهزاد وجاء الامر على احب ما يشتهي وفرح بهروز في عمله وسفرته وحكى لبهزاد كل ما وقع عليهم اثناء غيابه وكيف انهم لاقوا من الصينيين الاهوال لان فيروزشاه لم يسهل له الخروج الا لتلك الايام وحكى له عن اتيان الملك بهمن ووصوله بالابطال والفرسان ومعه اردوان وشيروه وشيرزاد وحكى له ما عملوا بجيوش الصين وكيف قتل اردوان ديدار فهلع بهزاد الى الطيران الى بلاد الصين والاجتماع بابن اخيه وباقي الابطال والرجوع الى ساحة الحرب والكفاح لياخذ لنفسه بالثار ويوقع بالاعداء ويقاتل بين يدي الملك بهمن ملك الفرس الجديد وعليه فقد طلب من الوزير السفر فاجابه اليه وحينئذٍ قال بهروز لفاووق اني اريد منك امراً قبل سفري فلا بد من قضائه قال اعلم ان الذي اطلق خوركان هي زوجتك ومن العدل والاصابة مجازاتها على قبيح فعلها ولا ريب انها فعلت ذلك كرهاً فيك وبغضاً واريد ان اعدمها وان تختار لنفسك غيرها فانتبه الى كلامه واحضروها في الحال وحكموا عليها بالموت فاماتوها جزاء لها على خيانتها وغدرها . ومن ثم ركب بهزاد وودع رجال المدينة والملك فاووق وسار عنها وبين يديه بهروز العيار يقفز قفزات الغزال ويسرع في الركض وهما يتمنيان سرعة الوصول الى بلاد الصين والانضمام الى جيوشها

فلنبقهما على الطريق ونعود الى ما هو حاصل في بلاد الصين فاننا تركنا القوم تاركين الحرب والقتال بسبب الهدنة التي تقدم ذكرها ينتظرون نهايتها وفيروزشاه وبهمن وباقي امراء الفرس ينتظرون اتيان بهروز ورجوعه اليهم ويدعون له بالتوفيق والنجاح والفوز بامورية والملك جهان ينتظر وصول كركاني الساحرة لتنتقم له من اعدائه وتاخذ بثار ولدها وكان قد بعث الملك اخاونك العيار الى بلاد الهند الى الملك شنكال يعرض عليه كل ما وقع من الفرس على بلاده ويطلب منه النجدة والمساعدة وبقيت عساكر الصين في ضواحي المدينة والملك يخرج في كل يوم من بينهم ويعود في المساء الى بيته . وكان له بنتاً بديعة بالجمال ليس له سواها لا ذكراً ولا انثى ولهذا احبها محبة عظيمة لا يقدر على تحمل فراقها يوماً واحداً وكانت رائقة الحسن كاملة في كل صفاتها دارسة تواريخ العالم وفنونها عالمة باحاديث الطوائف واخبار ملوكهم اسمها شمس بندر وجود مثلها في ذلك الزمان وقد قيل انها كغنين المجباة حسناً وبهاء وتعقلاً وحكمة كنورز وحة طبطلوس ففي ذات يوم جاء الملك جهان من بين معسكره ودخل عليها فوجدها بانتظاره ولما رآئه دنت منه وقبلت يديه

فقبلها في جبينها وسالته عن حاله فقال لها اني بخير وما من مكدر يكدرنا الان الا امر واحد وهو خوفنا من ان تنقضي المدة ولا يصل الينا نجدة تقينا من الاعداء او تصل الينا كركاني الساحرة . فقالت له اني قلت لك قبلاً ولا ازال اقول ان الفرس لا يغلبون وانهم موفقون واجسر ان اعيد عليك هذا الكلام الان بان لا نطمع ان نوقع بهم بل من الواجب ان نعمل على الصلح معهم والوفاق واذا كنت رايت نجاحًا قليلاً سنلاقي بعده شرًا كبيرًا والدليل ان الههم صادق معهم يحبهم وقد اعطاهم من الشجاعة والاقدام ما لم يعطه لغيرهم وفوق كل ذلك فقد خصهم بالمزايا الحميدة والحسن البديع الذي لا يمكن ان يوجد بغيرهم قط فهم ارباب الحسن والبسالة والكرم . وكانت شمس تتكلم ذلك عن علم بمعرفة احوال الفرس وميل اليهم وشوقها ان لا تتزوج بواحد الا منهم لتكون قد جارت غيرها بذلك وفعلت ما به خيرها في مستقبلها لكنها كانت حكيمة بكل اعمالها بل كانت تسعى عند ابيها في ان يصالح الفرس اولاً لعلها اذا وقع الصلح بينهم تتدبر بعد ذلك الى التقرب منهم الاّ انها كانت لا تصر على ابيها بالصلح بل تبديه من قبيل النصيحة والمعرفة لتزرع في عقله مع التمادي الميل اليهم والتقرب منهم . فلما قالت له ذلك قال لها اني اثبت قولك واني ارغب في مصالحتهم وقد عرضت عليهم ذلك فلم يقبلوا ولم اطلب منهم الا شرطًا واحدًا وهو ان يسلموني اردوان لابعثه الى كركاني الساحرة كونه قتل ابنها فتاخذ منه بثارها وليس من العدل ان نترك ثار ديدار وقد قتل في سبيل الدفاع عن بلادنا ولا بد من تدبير طريقة لاخذ ثاره وان الرعية باجمعها لا تقبل ولا توافق على الصلح الان ما لم تاتي كركاني وتاخذ بثار ولدها قالت ان ديدار قتل بالحرب والقتال فلو قتل احد ملوك الفرس وقت الانهزام لكان قتل في سبيل معد للقتال لكن لا يمكن ان يكون ذلك بالاختيار كما تطلب انت اردوان وهو من الابطال الشداد

وبينما الملك جهان مع بنته بمثل هذا الكلام واذ لاحت منه التفاتة الى باب القاعة الجالس فيها فوجد صبية واقفة فيه كانها القمر بالاشراق موردة الخد معتدلة القد مرفوعة النهد تسبي بحسنها كل من راها وهي لابسة من الملابس الثمينة ما لا يوجد في خزائن الملوك ولا عند الشاهات مكللة بالجواهر من راسها الى قدمها وبيدها قضيب من الذهب الوهاج يلمع كالمصباح وعلى راسها اكليل من الجواهر محكم الصنعة تنبعث منه الاشعة كالشمس في رابعة النهار حتى تعجب جهان من وجودها في ذلك المكان وانبهر من حسنها وجمالها وقال لها من انت ايتها القمر المشرق وكيف سهل لك الوصول الى هنا مع انه عند ابواب قصري الوف من الحراس والحجاب لا يقدر احد على الدخول بدون اذني فاجابته بفصيح عبارة ورقيق كلام اني انا التي لا يمنعها حجاب ولا حراس ولا يخيفها ملوك ولا فرسان ولا يصعب عليها اجراء امر من امور هذا الزمان . فقال لها اذن انت من طوائف الجان الذين يتنقلون من مكان الى مكان قالت لا بل انا من الانس الذين تسلطوا على

ملوك الجان واستخدموا عفاريتها وطوائفها ولا بد انك تسمع بامري او بلغك بعض من صيتي انا شمس الساحرة بنت اخي المقنطر الساحر وقد حضرت لاخذ لعمي بالثار وابدد هذه الطائفة الفارسية واهلكها بعد ان اذيقها اشد العذاب وسوف ترى بعينيك ما يكون من امري وامرهم لاني كنت في داخل جبال قاف ولم يخطر بفكري قط انهم يقدرون ان يحتالوا على عمي و يتوصلوا اليه باذى فاتيت هذه الايام لازوره فوجدت قصره خرابًا وعرفت كل ما فعله الفرس معه فحضرت حالاً الى هذه البلاد ودخلت عليك دون ان يراني احد لاطلعك على ما احل عليهم وانزل بهم لتعلم ان ذلك كان لاجل توفيقك ونجاحك . فلما سمع جهان كلامها كاد يطير من الفرح ولعبت به عواطف السرور وقام لها واقفًا وقال لها نعم اني اسمع بك واعرف انك سيدة سحراء هذا الزمان وملكتهم تضرب بك الامثال ويتمنى كل ملك وامير ان يكون لك طوعًا وتكوني له عونًا فاشكر النار لانها لم تنسني قط بل نظرت اليّ و بعثت من ينتشلني من وهدة الضيق و يمنع عن بلادي مهاجمة الفرس و يزيحهم عنها دون ان اتكلف الى حمل اثقال ومعاناة قتال ودفاع واهراق دماء . قالت اني لا اكلفك الا للفرجة فقط والشماتة وان لا تظهر امري الآن بين قومك الا حين انقراض هذه الطائفة الفارسية . قال اليك ما تطلبين ثم دعاها ان تجلس فجلست الى جانب بنته ونظرت اليها وتعجبت من حسنها وجمالها وقالت للملك جهان اني لا اظن ان في هذا الزمان يوجد جمال كجمال بنتك الآن وقد شغل عقلي بها وانبهرت كيف ان الطبيعة قد خصتها بمثل هذا البهاء فقال هي وحيدة لي واني احبها اكثر من الف ذكر ولا ارغب في مفارقتها ولذلك تريني الآن عندها

وكانت شمس بنت جهان قد كرهت شمس الساحرة كل الكره وتالمت في قلبها تالمًا موجعًا عند ما سمعت انها عاملة على هلاك الفرس والايقاع بهم بعد ان تعذبهم وترميهم بالعذاب الاليم وكان اكثر كرهها لها كونها ساحرة تقصد الضرر بالعباد وكانت بنت جهان تكره السحر وتعلم انه من عمل الشياطين وان الانسان الحكيم العاقل هو الذي يقدر ان يسحر باعماله الحسنة الغير باكثر من استخدام مثل هذه القوات الباطلة . ولذلك كانت قد اطرقت في بادي الامر الى الارض ولم تبد ولا كلمة الى ان جلست الساحرة الى قربها فقالت لها انك اتيت لمساعدة ابي ورفع الضرر عنه فحسنًا تفعلين لكن لا اخفاك ان ابي موصوف بالصدق وهو يحسب كاله عند الصينيين ومن مزايا الاله الصدق والامانة ووفاء العهد . فعملك الآن على هلاك الايرانيين ليس من موجبات الانسانية والامانة كونه وقع بين ابي و بينهم شروط على المدينة الى مدة خمسة واربعين يومًا وقد مضى اكثر من نصفها فاذا احنث ابي بوعده وعهده يحسب انه خان والخائن عندنا مغضوب من النار مرذول من الناس . فسر الملك جهان من كلام بنته مزيد السرور وقال لشمس الساحرة اريد منك ان وجلي عملك مع الايرانيين الى حين انقضاء مدة الاربعين يومًا ومن ثم تعودي الى اجراء ما يمكن

اجرائه . قالت ان هلاكهم بيدي كل ساعة وهو لا يكلفني من الوقت لاكثر من دقيقة انما اكرامًا لوعدك وحفظ شرفك ابقي ذلك الى حين حلول الوقت المعين لكن لا اتركهم هذه المدة الباقية مرتاحين وساضرب عليهم غمامة سوداء تمنع الشمس عنهم فلا يقدرون على ان يروها قط ولا يمكن لاحد منهم ان يخرج عن تلك الغمامة كي لا ينجو منهم احد اذا قصدت هلاكهم واني سابعث اليهم في اليوم الاول بالارياح والزوابع بما يلقيهم في عذاب لا يعلمون امره ولا افعل ذلك الا يومًا واحدًا وعليه فلا اكون قد حاربتهم الا من بعد امرك لاني محبة الك راغبة في نجاحك . قال افعلي ما بدا لك من هذا القبيل

وكان قصد شمس بنت جهان ان توخر ايام هلاكهم ليعرفوا كيف يقدرون ان يتخلصوا منها وانها اذا البنت عليهم مثل هذه الغمامة ينتبهون الى امرهم وكيا قتلوا غيرها من السحراء والكهان الذين شاع صيتهم في كل مكان لا يصعب عليهم قتلها وانها اذا قتلت عرفت كيف تتصرف مع ابيها لتدعه يصالح الفرس ويوافق على الامان والسلام . وسرت في داخلها سرورًا لا مزيد عليه من تاخير العمل

قال واقامت شمس مدة عند جهان ثم ودعته وخرجت من امامه وهو مسرور بها ثابت في ذهنه ان نصره سيكون على يدها وبعد ان خرجت من امامه ذهبت للخلاء لاتمام ما وعدت به . وفي صباح اليوم الثاني نهض الايرانيون من مراقدهم وهم بامن وامان غير حاسبين حساب صروف الزمان منتظرين نهاية الهدنة وانقضائها ليعودوا الى حرب الاعداء وينهوا امرهم فلم يشعروا الا وريح جنوبية هبت عليهم بغتة ثم اخذت تقوى وتشتد وتعصف حتى القتهم بالخوف والرعب لانها كانت تضرب بالخيام فتقلعها وترفعها الى بعيد وكانت الخيول لا تقدر ان تثبت بارجلها منها بل تحذفها فتلقيها الى الارض ومثلها الرجال والعسكر فكانت تقع وتقوم ولا تعرف لاي جهة تسير وكيف تخلص ومن اين تختفي من هذه الارياح التي جمعتهم الى جهة الشمال ثم اخذت بهم الى الوراء تتلاعب بهم وتضربهم بعضهم ببعض حتى كان لا يسمع الا صراخ وصياح وبكاء ونواح ودعاء لله سبحانه وتعالى وكل ينادي يا الله ابعث بابواب الفرج وامنع عنا هذا العذاب والارياح تشتد وعساكر الصين ترى عذابهم وما هم عليه من الاضطراب والخوف والبكاء ولا تعلم السبب بذلك غير ان جهان عرف ان هذا الفعل فعل شمس الساحرة وانها وفت بقولها فسر في داخله لذلك مزيد السرور وقال في نفسه هذه طلائع النصر بدات ولو قلت لشمس اهلكيهم اليوم لاهلكتهم وما ابقت منهم انسانًا غير ان ذلك لا يفوتني ولا بد من قضاء الامر بعد فوات المدنة فانال الفوز عليهم ولا يهلك شخص واحد من عساكري وفي نيته ان النار رضيت عنه وان النصر ثبت له وعاد يتمنى فوات تلك الايام القليلة لينهي امر الاعداء ويعود الى المدينة برجاله وقد قرر في ذهنه انه سيتزوج بشمس الساحرة مكافاة

لها على عملها هذا وتصير ملكة الصين وقد وقعت في قلبه موقعًا عظيمًا واحبها كثير حب وصارت افكاره عندها

وبقي رجال الفرس يقعون ويقيمون والرياح تضرب بهم وتتلاعب بالخيام وترمي بالخيول وتطير بالغبار الى ما فوقهم حتى زهقت نفوسهم وايسوا من الحياة وايقنوا بالمات وفيروز شاه لا يفتر عن ذكر الله ومثلة كل رجال الفرس من عال ودون وطيطلوس يسبح ويصلي ولم يكونوا مجتمعين الى بعضهم بل كل واحد يسير الى ناحية والارياح كانت تشتتهم وتجبرهم على المسير من جهة الى جهة رغماً عنهم وشعروا بالويل وضعفت قواهم وعند المساء اخذت تلك الرياح تضعف وتقل شيئًا فشيئًا كانها طبيعية والناس ترتاح قليلاً حتى انقطعت بعد الغروب فحمدوا الله سبحانه وتعالى وهم لا يعرفون سببًا لتلك الضربة واشتغلوا في ان يضربوا الخيام ويرجعوها الى مراكزها ويفتشوا على خيولهم وعلى ما ضاع لهم وكل يسال عن رفيقه وحاجته الى بعد نصف الليل حتى انتظم حالهم فاكلوا وشربوا كونهم لم ياكلوا كل ذلك النهار واجتمع فيروز شاه اذ ذاك برجاله الاعيان وامرائه وقال لهم من اين هذه البلية والضربة ولا اظن ان هذه الرياح رياح طبيعية لانها ليست مما يطاق قال طيطلوس ان ذلك يجبرني ويلقيني بالارتباك لانه لو كانت رياح اهل الصين على الدوام مثل اليوم لما قدروا ان يعيشوا في هذه الارض او يثبتوا فيها فقال بزرجمهر لا ريب ان هذه الرياح هي من الافعال السحرية القتالة وان الذي وقع علينا لم يقع على الاعداء قط بل نراهم بامن وهناء والرياح الطبيعية لا يمكن ان تضرب بنا وتعفوا عن اخصامنا حال وجودنا واياهم في ارض واحدة واني اشعر اننا نقع ببلاء عظيم وويل جسيم ونلاقي اذا وجد بينهم سحرة عذابًا ومن اللازم ان ندبر طريقة تقينا من سحرهم فقال طيطلوس اي طريقة لنا تقينا منهم الا الطلب منه تعالى ان لا يدع سحرهم يفعل فينا لاننا لا نستعمل السحر قط ولا نريد ان نستعمله فهو ممنوع منه تعالى لا يمكن ان يرضى به وقد حمانا مرات عديدة من السحراء واعمالهم . ثم انهم ناموا تلك الليلة متحيرين مضطربين لا يعلمون ما يلاقون في الغد وهل ان الرياح تعاودهم ام تفارقهم

وكانت شمس عند المساء بعد ان فرغت من عملها حضرت الى جهان وقالت له هل رايت ما كان من اعدائك في هذا اليوم قال اني رايت وسررت مزيد السرور به وندمت لوقوع الهدنة بيننا وبينهم الى مثل هكذا مدة ولولا هذه المدنة لكانوا لا ريب قد هلكوا بعملك في هذا النهار وارتحنا من شرهم قالت اني كنت قادرة ان ابعث عليهم بمازيب النيران والكبريت فاحرقهم بيوم واحد واجعل يومهم من ايشم الايام . فقالت شمس بنت جهان ان ذلك لا يفوتنا ومهما كانت المدة طويلة لابد ان تنقضي والبقاء عليهم مدة قليلة لا يمنعنا من انفاذ ما ربنا . قالت ان يقبلوا اشهرًا واعوامًا لابد من هلاكهم ومحو اثارهم . ثم ان شمس الساحرة صرفت قسما من الليل عند جهان تتحدث معه بامر

الاعداء وقد قدم لها الطعام الفاخر والماكل الطيبة واكرمها مزيد الاكرام و بنتهُ شمس نتالم منها في داخلها وتتوجع وتطلب لها الهلاك والموت قبل انفاذ غايتها بالفرس و بعد ان انقضت السهرة انصرفت من عند جهان الى الفلا لتفعل في الغد ما يحلو لها وقد نويت ان لا تضر بالفرس الى حين انقضاء المدة لانها رات ان من الضرورة المحافظة على شرف جهان وحفظ ناموسهِ

وفي صباح اليوم الذي بعده نهض الفرس من مراقدهم واذا بهم يرون غمامة سوداء تظللهم وتحيط بالجيش من كل مكان وهي على قدر معسكرهم لا تتعداه فارتاعوا واضطربوا وجفلوا وخافوا وثبت عندهم ما كانوا ظنوه من ان ذلك كلهُ بفعل السحر وكان بالكاد الواحد منهم يرى الاخر واصبحوا يسيرون كالعميان لا يرون الا بصيص نور ضعيف ينبعث عن ظهر تلك الغمامة من جرى نور الشمس . واذ ذاك جاء الجميع الى صيوان الملك بهمن واخذوا يصلون لله طول ذاك النهار الى المساء وفي المساء انقشعت تلك الغمامة فحمدوا الله واكلوا وشربوا وصرفوا السهرة بالصلاة وفي الصباح عادت الغمامة تظللهم فتكدروا واضطربوا وقطعوا الرجاء من السلامة وصرفوا ذاك النهار على تلك الحالة وعند المساء انقشعت الغمامة وعند الصباح عاودتهم وهم لا يرون طريقًا للفرار ولا سبيلاً للخلاص غير الاتكال عليهِ تعالى وكان بكل عهدهم ان الله لا يتركهم عرضة لافعال الشاطين فهو الحي القيوم الذي لا يغفل ولا ينام ولا يتقاعد عن نصرة طالبيه ودامت حالتهم على مثل ذلك الى ان مضت المدة وقرب اليوم الاخير وقبل بيوم واحد جاءت في المساء شمس الساحرة الى جهان وقالت لهُ لم يبقَ لانقضاء المدة غير يوم واحد واني بعد الغد سانزل عليهم امطارًا من النار والكبريت فاحرقهم واخذ لهم بثار عمي المنتظر وبثار من قتل الك من الفرسان والابطال فقال لها ساعدتك النار على بلوغ غايتك ومآربك فاني بانتظار مثل هذا اليوم وهذا العذاب وكانت شمس بنت جهان نتالم من ذلك وقد اسودت الدنيا في عينيها ولم يعد في وسعها ان تراها او تنظر اليها وثبت في عقلها ان الساحرة ستنفذ قولها بالفرس وتهلكهم ولا نعود تقدر على نوال ا املتهُ من اقناع ابيها بمصالحتهم والزواج بسيد منهم فاستأذنت من ابيها وذهبت الى غرفتها وهي مكدرة كل الكدر حزينة كل الحزن لا طريقة لها الا الدعاء لهم والطلب من الله الذي كانت تعتقد بوجوده وتبتهل اليهِ ان يهلك الساحرة الخبيثة . وفي نفس تلك الليلة اجتمع الفرس الى بعضهم البعض في الصيوان الكبير وقال لهم طيطلوس اني اظن وظني لا يخطي ان الاعداء صابرين علينا

انتهى الجزء العشرون من قصة فيروزشاه
وسيليهِ الحادي والعشرون عما قليل ان شاء الله

الجزء الحادي والعشرون

من قصة فيروزشاه ابن الملك ضاراب

الى حين انقضاء هذه المدنة ليعودوا الى محاربتنا ليس بالسلاح بل بقوة السحر ولم يبقَ من المدنة الا غير يوم واحد فماذا يا ترى يكون لنا بعده غير العذاب وما ليس نعلمهُ. فقال فيروزشاه لاخوف علينا بعنايتهِ تعالى فلا تنقضي هذه المدنة الا و يبعث لنا من عالم غيبهِ من يساعدنا ويعين ضعفنا و ينزل بالاعداء المصائب واني انتظر مجيء بهروز عياري لان لا احد غيره يقدر ان يكتشف لنا هذا الامر ولوكان حاضرًا لما تاخر ان يجلو عنا هذه المصائب لانهُ اصحب من صفراء الساحرة ثيابًا لا ينفذ فيها السحر ومعهُ ابرة من الفولاذ جاء بهما من قصر صفراء يلجم بها السحراء فيبطل عملهم ولا يقدرون على عمل شيء واني اسالكم ان يصلي في هذه الليلة كل منكم الى الله سبحانهُ وتعالى ان يرفع عنا هذه الضربة وان يبعث الينا ببهروز العيار او بغيرهِ لانقاذنا من يد الاعداء الذين تركوا الانصاف ولجئوا الى السحر والكهانة. فاجابوا الكل طلبهُ وصغوا اليهِ وطار امر فيروز شاه في كل الجيش فدخل كل واحد صيوانهُ وانكب على الصلاة والطلب منهُ تعالى ان يخلصهم مما هم واقعون بهِ بحيث لا ينقضي اليوم الاتي وهو اليوم الاخير من المدنة وياتي اليوم الذي بعدهُ الاَّ وتنقشع عنهم تلك الغمامة فيعودون الى ما كانوا عليهِ قبل المدنة وصرفوا تلك الليلة على الصلاة الى الصباح وفي الصباح خرجوا من خيامهم واذا بالغمامة تظللهم وهي اشد سوادًا مما قبل حتى صعب على كل واحد ان يرى طريقهُ او يسير من جهة الى ثانية فكان يسير الواحد قليلاً فيلطم بالاخر وهم كالعميان الفاقدين كل بصرهم فقطعوا الرجاء ووقعوا باليأس وايقنوا بالفناء وثبت لهم ان هذا اليوم هو اليوم الاخير ستشتد بهِ المصائب والاهوال وفي اليوم الذي بعده يكون اعظم حتى ينقرضوا وكانت حالتهم حالة حزن كل واحد جلس في مكانهِ لا يعرف الى اي جهة يسير ولم يرَ احدهم الاخر ولا عرف باب صيوانهِ

ولنرجع الى بهروز وبهزاد فانهما بعد ان سارا من قلعة سوسان شهر راجعين الى باكين عاصمة الصين للاجتماع بقومهما ومعهما الاموال والجواهر الغزيرة التي كانت في قصر كركاني وداما في مسيرهما يجدو بهروز يحكي لبهزاد ويعيد عليهِ كل ما حصل للايرانيين مع الصينيين ويخبرهُ بما راه من بسالة اردوان حتى ثبت عند الجميع انهُ كعمهِ بهزاد ومثل ذلك شيرزاد بن خورشيد شاه والبطل شيروه ابن كرمان شاه الذي فعل برجال الصين ايتم الافعال وهما يسيران بسرعة املاً ان يصلا قبل انقراض المدنة وفراغها ليباشر بهزاد الحرب بنفسهِ

وبقي غليل فؤاده وما مضى ايام قليلة حتى اكتشف المدينة عن بعد وتبينوا الجيوش حواليها وإذ ذاك قال بهروز لبهزاد اني ارى الجهة القائمة عليها جيوشنا مغطاة برواق ولا اعلم السبب فعرج بنا الى اكمة عالية بين هذه الاكام لنرى قبل وصولنا ما هناك وماذا حاصل فاجابه الى سؤاله واسرعا الى اكمة مطلة على السهول القائمة فيها الجيوش وكان وصولهما في نفس اليوم الاخير من المدنة اي اليوم الذي كانت شمس الساحرة تعد نفسها انها عند انقضائه تنزل على الفرس نارًا وكبريتًا فتحرقهم عن اخرهم . ولما استقرّا على ظهر الاكمة نظرا الى الاسفل وقال بهروز اني متعجب كل العجب مما اراهُ الان لان جيوشنا مغطاة بغمامة كثيفة سوداء لا يظهر ما تحتها والشمس تضرب بكل انوارها الى المدينة و بالاخص الى جيوش الفرس ولا ريب ان قومنا بضيقة عظيمة وان هذا الذي نراهُ هو من عمل السحرة ولا اعرف كيف توصلوا الى الوقوع في مثل هذا الضيق بعد ذاك الفرج الذي تركتهم عليه . فقال بهزاد هلكوا والله العظيم فهذه العلائم ردية مودية الى الخراب والانقراض فماذا نعمل وان من الصواب ان لا نضم اليهم الان ولا ندخل تحت هذه الغمامة . فاطرق بهروز الى الارض برهة ثم نزع عنهُ ثياب عياري الفرس ولبس ملابس الصينيين وقال لبهزاد اصبر ياسيدي في هذا المكان ولا تبعد عنهُ الى ان اعود اليك لاني احب ان اوسع بالفلاء في هذه الجهة وانزل الى جيوش الصين اجس اخبارهم علي اعرف سببًا لذلك فاسعى وراءهُ في الحال واكشف عن قومنا هذا البلاء العظيم . قال افعل ما بدالك ولا تبطئ عليّ فوعدهُ بسرعة العودة وانطلق كالبرق الخاطف عن الاكمة ونزل في وادٍ ثم تسلق اكمة ثانية ونزل في وادٍ اخر واسع وفيما هو يتدرج الى اسفلهِ شمّ رائحة قير منتشرة في تلك الجهة فوقف لحظة يتنشق تلك الرائحة و ينظر في مكان صدورها حتى تبين انها من جهة يمينهِ فقصد الى الاكتشاف على سببها وسار مخففًا سيرهُ ووطىء اقدامهِ دون ان تشعر الارض انهُ ماشٍ عليها وهو كلما قرب زادت تلك الرائحة وقويت حتى انتهى الى مغارة عند بابها شجرة كبيرة فاستتر خلفها ونظر الى الداخل حيث كانت رائحة القير خارجة منها واذا بهِ يرى امرأة جالسة الى جانب المغارة و بين يديها خلقين كبير على النار وهي جالسة فوقهُ تتمتم وتحرك في ذلك الخلقين والرائحة تخرج منهُ فثبت عنده ان تلك الامرأة ساحرة وانها تستعمل السحر وربما تكون هي التي تسحر قومهُ فكاد يطير من الفرح و باسرع من البرق فك حرندانهُ واخرج من وسطهِ ابرة الفولاذ التي كان ادخلها في انف المقنطر ومسكها بيدهِ ومن ثم انقض على تلك الامرأة وكانت نفس شمس الساحرة المتقدم ذكرها وهي مشغلة بعملها غير منتبهة اليهِ واذا بهِ قد لطمها لطمة قوية على راسها غيبها عن الصواب واغتنم الفرصة فادخل الابرة في انفها وكتفها واسرع الى الخلقين وقلبهُ واطفأ النار ووقف ينتظرها الى ان تعي الى نفسها وتامل فيها

فوجدها كانها البدر في تمامهِ حمراء الخدود طويلة العنق براس مستدير ينسدل منهُ شعر طويل كالاحناش وعيونها قائمة فوق عروش خدودها كعيون الفهود فاخذت بجامع قلبهِ وجعل فواده يخفق وشعر من نفسهِ انهُ علق بحبها وان قلبهُ هام بالرغم عنهُ بها و بينما هو واقف يتامل في محاسنها و يتعجب مما اعطيت من الحسن والجمال اذ راها قد وعيت الى نفسها وجلست ونظرت اليهِ وقالت لهُ من انت ايها الساعي الى الهلاك والقلعان بثبات عزم وجنان . وكيف قدمت على ارتكاب مثل هذه الجسارة حتى رميت لي عملي وما خفت من بأسي وسطوتي . فاخبرني عنك والاَّ امرت خدامي الان ان يقتلوك و ينتزعوا روحك من صدرك . فقال لها قولي لي اولاً من انت وماذا تعملين هنا ولاي سبب تشعلين النار وتغلي هذا القير واذا لم تقولي لي ما اطلبهُ منكِ لا تصادفي نجاحًا وتلاقي مني خلاف ماتنتظري واني لا اخاف من سحرك ولا من خدامك فانهم اصبحوا الان لا يطيعونك وما من سلطة لك عليهم . قالت اني انا شمس الساحرة بنت اخي الساحر المقنطر الذي شاع صيتي من مشرق الشمس الى مغربها وخضع لقوة سلطاني كل جبارٍ عنيد وفارس صنديد وهابت ملوك الارض جانبي وتمنت القرب مني فاخبرني عن اسمك قبل ان تلاقي شر عملك لاني اراك من رجال الصين واني محبة لهم راغبة في نجاحهم . فقال الم اقل لك ان سحرك لا ينفذ فيَّ وقد امتهُ وابطلتهُ بواسطة هذه الابرة التي ادخلتها في انفك ولو كان لك من القوة ما تدعي لكنت تقدرين على فك نفسك او بالحري كنت تعرفي من انا ولست انا ممن تتوهمين فاني ايراني الاصل ولا بد ان يكون بلغك ان عمك المقنطر قد قبض عليهِ من بهروز العيار عيار فيروزشاه فانا هو بهروز صاحب الافعال العظيمة والاعمال الحميدة الذي قتلت صفراء الساحرة في جزيرتها واسرت عمك المقنطر وركبت على ظهره من قصره الى جيش الفرس وذبحتهُ هناك وقد قتلت في هذه الايام كركاني الساحر وعدت من قلعة سوسان شهر موخراً بعد ان خلصت بهزاد ولو كنت حاضرًا بالجيش لما قدرت على ان تفعلي بهِ ما فعلت

فلما سمعت شمس باسم بهروز وقع الرعب في ركابها وشعرت بعجزها عن الاتيان بعمل ضده بسبب تلك الابرة التي ادخلها في انفها وانها لا تقدر ان تخرجها قط وصدقت كل ما كانت تسمع عنهُ ورات من نفسها انها لا تقدر ان تقاومهُ ذاك الوقت وان من الصواب خداعهُ ليخرج لها الابرة من انفها فقالت لهُ الان قد عرفت انك بهروز فاخرج لي هذه الابرة من انفي وانا اكافيك بكل ما تريده . قال اني لا اريد منك شيئاً الاَّ ان تومني بالله تعالى اولاً وان تعدني انك تتزوجي بي لاني حتى اليوم لم اتعلق قط بفتاة ولما رايتك وقعت في قلبي موقعاً عظيمًا وحتمت على نفسي انهُ لا بد من اني اقترن بك وتكونين لي زوجة فضحكت من كلامهِ

وقالت له ما هذا الذي ترجوه فان الموت اهون عليّ منهُ كيف بعد ان اكون شمس الساحرة سلطانة صحراء هذا الزمان ترهب ملوك الارض جانبي واعظمهم يتمنى ان يكون لي عبداً اقبل ان اكون زوجة لعيار خادم ليس هو من الشرفاء العظماء قال اني مكرم الجانب مرفوع المقام عند الملوك الكبار وفيروزشاه ابن الملك ضاراب الذي تسلط على الانس والجان واهلك عفاريت السيد سليمان قد احبني واعزني وفضلني على كل انسان عنده وعلى الملوك والوزراء فاطلب اليك الان ان ترحميني وترحمي نفسك وتقبلي بالاقتران بي وتخلصي من هذا الاسر الواقعة فيهِ فقالت لهُ كيف تدعي انك تحبني وتقبل ان تراني معذبة اسيرة بين يديك . قال اني احبك حبًّا لم يعلهُ حبٌّ واعتقد انك صادقة القول تفي بالوعد وتقومي بقولك فاذا عاهدتني على الحب وتزوجت بي اكرمك مزيد الاكرام وافديك بروحي والا فلا اقدر لاجل حبي ان اتركك تنعلين بقومي العجائب وتنزلين بهم المصائب ولا اخاف على نفسي منك لان عندي ثياب اذا لبستها لا يفعل بها السحر ولا تنفذ فيها سهام الكهان ولولا خوفي على جيوش الفرس منك للبست هذه الثياب واطلقت سراحك وتتبعت اثارك . اما الان فقولي لي اتقبلين ان تتزوجي بي ام لا فاني احب سرعة العودة الى قومي ولا سيما ان بهزاد ينتظرني في الاكمة . قالت اني مصرة على ما قلتهُ لك وافضل الموت الف نوع مع امر العذاب من ان اقبل بان اتزوج بعيار لا اصل لهُ ولا حسب وليكن موكداً عندك انهُ لو طلب زواجي جهان ملك الصين او سيدك فيروز شاه لامتنعت وما رضيت باحدهما فكيف ارضى بك فاقصر عنادك ولا تطمع نفسك بما يستحيل نوالهُ فاني ابقى على ما انا عليهِ الى حين يوافيني الاجل او ياتي من يخلصني منك و ينقذني من بين يديك و يقطع رجاءك مني

فلما راى ان لا وسيلة لمرضاتها في ذاك الوقت خطر لهُ ان يبقيها لوقت اخر وفكر في انهُ يغير مكانها و ينقلها الى مغارة اخرى و يقفل بابها ولا يدع احداً يعلم بها و يعود اليها مرة ثانية ويحاول ان يرضيها و يقنعها بقبول الاقتران بهِ . ولذلك قال لها انهُ يصعب عليّ ان ابقيك على مثل هذه الحالة غير ان الضرورة تدعوني بالرغم عني الى ان لا اتغافل عنك ولا اطلق سراحك الاَّ اذا صرت زوجة لي حيث لا يعود يمكنك الضرر بقومي فيصبحون قومك . واما الان فاني ارى نفسي مضطرًّا ان ابقيك اسيرة الى حين يرجع اليك تعقلك وتعرفين الحق وترفعين من راسك العناد وترضين بي بعلاً . وما ذلك الاَّ قيامًا بواجبات عليّ لفيروزشاه الذي لا يمكن ان افضل محبة احد عليهِ وعليهِ فقد احببت ان انقلك من هذا المكان الى مكان اخر لا يعرفهُ غيري . قالت افعل ما انت فاعل فاني مصرة على قولي وافضل الموت بعيدة عنك ولا الحياة قريبة منك . فانفطر قلبهُ من كلامها الاَّ انهُ صبر عليها صبر الحبيب الهائم واخذها الى

مغارة كان قد رآها في طريقهِ وهو آتٍ فادخلها اليها ووضع الحجارة على ابوابها بحيث لا يظهر للرائي ان هناك مغارة وترك في اعلى الباب نافذة صغيرة لدخول النور والهواء وانكفأ راجعًا الى الوراء وقد ترك بكل قلبهِ في المغارة وشعر بشدة الحب واضطراره الى مراعاتها واخذت تتلاعب بهِ الافكار ويقوى فيهِ الغرام وهو يعد نفسهُ بالرجوع اليها في كل يوم وان ياتيها بالاطعمة ويصرف وقتًا عندها الى ان تقبل وترضى بزواجهِ فيعرض امرها على فيروز شاه وبقي في مسيره الى ان اجتمع ببهزاد فقال لهُ ماذا رايت اهل عرفت شيئًا عن سبب تلك الغمامة قال لم اعرف شيئًا . قال انها انقشعت بعد مسيرك بساعة فظننت انك انت السبب بذلك . قال لا اعرف الان سببًا فانزل بنا الى قومنا لنرى ما وقع عليهم وما صار فيهم فاجابهُ وتدرجا من اعالي الاكمة يقصدان الجيش

قال وكان كما تقدم تلاقي جيوش الفرس شدة الظلام من جرى تلك الغمامة وهم بضيق عظيم وشدة وبلاء يدعون الله ويسالونهُ الفرج فلم يشعروا الاَّ والغمامة قد انقشعت عنهم وسطع نور الشمس عليهم باسرع وقوع فانتعشت ارواحهم وشكروا الله وحاروا من جرى ذلك وهم لا يعلمون السبب لا من الاول ولا من الاخر بل وقعوا بالضيقة وخلصوا منها وهم يجهلون اسبابها وبعد ان امنوا على انفسهم وعادة اليهم الحالة التي كانت في البداية لهم اجتمعوا في صيوان الملك بهمن وقال لهم طيطلوس ان حالتنا قد اصبحت احسن مما كانت قبلاً وان الله قد نظر الينا عند ما وقعنا باشد الضيقات ولا اعلم اذا كنا نعود الى ما كنا عليهِ ويعاود السحرة عملهم او انقضى الامر دون ان نعلم لهُ سببًا وعندي ان من الصواب اذا لم نصب بامر يكدرنا ونمتنع عن القتال ان نباشر الحرب في صباح اليوم القادم ونضرب طبول القتال من نصف الليل ونزحف على الاعداء دفعة واحدة فلا نرجع عنهم الاَّ ونبيد منهم قسمًا ونوقع فيهم الخلل ولا نترك لهم قائمة تقوم او انهم يدخلون المدينة ونتخلص من شرهم ومن ثم نعود فنعمل على فتح المدينة اما بواسطة الوزير مهريار واما بطريقة ثانية وهذا نحن بشديد حاجة اليهِ لان رجالنا لا يزالون بالمدينة عند هذا الوزير الحكيم التقي ولا ينبغي ان نتقاعد عنهم او عن فتح المدينة وبينما الوزير طيطلوس يتكلم اذ دخل الصيوان طارق العيار وقال لفيروز شاه اني ابشرك ياسيدي بشرى عظيمة تسرُّ بها وتفرح وهي وصول بهزاد بهلوان تختك وفارس بلادك مع بهروز عيارك وقد دخلوا الجيش آتين الى هنا فلما سمع فيروز شاه والملك بهمن واردوان وبقية الابطال والفرسان هذه البشارة صفقوا من الفرح على غير وعي ونهضوا واقفين على الاقدام وفي نفس تلك الدقيقة دخل بهزاد ورمى بنفسهِ على فيروز شاه وقبل احدهما الاخر ثم قبل ايادي طيطلوس وسلم على كل من في الصيوان من الكبير الى الصغير ولا سيما ابن اخيهِ اردوان فانهُ قبلهُ مرارًا

وقد اعجب من قدرته وشجاعته و بسالته اذ وجد في وجهه علائم جده فيلزور البهلوان وفرح ايضًا بشيروه وشيرزاد وسال عن فرخوزاد اذا كان خرج من المدينة فاخبروه انهُ لا يزال في بيت مهريار مع باقي رجال الفرس الذين كانوا بالمدينة قبل ان اخذ من بينهم . ومن ثم امر الملك بهمن ان يطاف بكل الجيش و يعلن مجيء بهزاد وان ياتي كل رجل برغب في ملاقاته للسلام عليهِ والفرح باتيانهِ وان يقام يوم هناء واحتفال بكل الجيش وان يفرح الجميع و يسروا معًا . وكان قد انتشر الخبر قبل ان اشار بوفيروزشاه حيث الحراس لما راوا بهزاد اسرعوا يركضون وينادون بوصولهِ سالمًا مع بهروز حتى عرف بهِ القواد والعيارون وجاءوا فاخبروا الملك وما لبث ان قامت الافراح في كل ناح ودار بين القوم الرقص والطرب حتى عم الصغير والكبير

قال و بعد ان احتفلوا باميرهم وفارسهم اتفقوا على ان يباكروا الحرب في اليوم الثاني وعليهِ قد صرفوا السهرة باهنى سرور وانعم بال وقد حدثهم بها بكل ما وقع عليهِ في قلعة سوسان شهر الى ان جاء بهروز وخلصهُ منها وحكى لهم عما فعل مع جلدك العيار وكركاني واولادها والكل يتعجبون من عمل بهروز ومن حسن توفيقهِ وكيف انهُ ذهب بنفسهِ الى بلاد شهيرة خطيرة وفاز بما هو طالبهُ وخلص بهزاد واستولى على المدينة حتى جعلها فارسية الحكم . و بعد ذلك تفرق كل الى خيمتهِ وكان اشدهم وساوس اردوان وشيروه وكل منهما كان يتمنى سرعة الحرب والوصول الى المدينة والدخول فيها لخلاص ابيهِ وقد انفطرت مرائرهم لهذا السبب وتمنى كل واحد منهما ان يكون قادرًا على الهجوم ليهدم اسوار المدينة ويدخلها لنوال غايتهِ وقبل انبثاق صباح اليوم الثاني ضربت طبول الايرانيين تنذر رجال الصين بالحرب والقتال والفتك بالفرسان والابطال فاجابتها طبول الصينيين باصوات كالرعود القاصفة وكان جهان لا يزال معلقًا كبير امل بافعال شمس الساحرة ولذلك كان شديد الحيل والقوى الى ان اشرق الصباح وضاء بنوره ولاح وحينئذٍ نهضت الفرسان الى خيولها فركبتها وتقدمت الى ساحة الميدان طالبة الحرب والقتال فوقف بهزاد وفيروزشاه في الوسط واردوان وبيلتا في اليمين وشيروه وشيرزاد في الشمال وبقية الفرسان والشاهات متفرقة على طول الجيش وركب جهان ومنكوخان ولم تكن الا دقائق قليلة حتى هجمت الفرسان على بعضها البعض واخذت في القتال والمناضلة والجولان وطاف عزرائيل بكاس الاهوال وسقى الفرسان والابطال جرعات البلاء والوبال . وطوقهم باطواق الاكدار والاذلال . وكان ذاك اليوم من اشد الايام واصعب اوقات الصدام . فيهِ تدفقت الدماء انهارًا . ولاقى الصينيون هلاكًا وبوارًا . كون بهزاد كان يفعل فيهم العجائب وينزل عليهم بشهب المصائب حيث من اكثر من خمس سنوات لم يمر عليهِ يوم من مثل ذاك وهو مشتاق الى الفتك باعداه فما صدق ان لاقاهم بقتال

حتى يشفي منهم غليل فواده . ولذلك كان يزبد كالجمال ويطعن في صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال وهو ينادي باصواته المعتادة انا بهزاد انا بهزاد . ابن فيلزور البهلوان بن رستم زاد جالب على الاعداء الهم والبلاء . وكذلك فيروزشاه عروس الميدان . وجرثومة الافتخار وعلو الشان . من خضع له كل جبار . وخر لفرندسيفه كل بطل مغوار واذل ملوك الارض الكبار والصغار . فانه اطلق لجواده الكمين العنان . وارسل سيفه لخطف الارواح من الابدان فترك جثث القتول . كالجبال والتلول . وهو لا يفتر عن ملاحظة فرسانه وابطاله . ولا يهمل فيئة من قومه ورجاله . بل كان يسرع كالبرق من جهة الى ثانية واينما وجد الاعداء تجمعت على فارس من فرسانه نادى بها وفرقها بضرباته . وشدة همه وطعناته . مناديًا بندائه . وهو انا فيروزشاه انا فيروز شاه . حبيب عين الحياة . فكان هذا النداء يفرق جموع الاعداء . لعلمهم انه قضاء الله المنزل وان لا احد من الفرسان . يقف امامه في الميدان . وكان شيروه يفعل افعال الاساد ويمدد الفرسان على بساط الوهاد وهو ينادي انا شيروه ابن كرمان شاه . من بقوائم سيفه يتعزز المجد والجاه . وكذلك شيرزاد فقد غاص في الصينيين . وانزل عليهم عذاب الله المبين . واما اردوان . فقد قلب الشمال على اليمين واليمين على الشمال . وسطا واستطال . وغطى من جثث القتلى الرمال . حتى حير الخواطر . وادهش النواظر . وارعب الاعداء في صيحاته وحيرهم بسريع ضرباته وهو ينادي انا اردوان انا اردوان . ابن اخي بهزاد بن فيلزور البهلوان . ونزل على الصينيين من الايرانيين العذاب والهوان . وشعروا بالخراب والقلعان . وما جاء اخر ذاك النهار وفيهم بقية رمق الى الثبات وفي نيتهم الفرار والشتات . الا ان سرعة الظلام . حمتهم من ويلات الاخصام . وفي الحال ضربت طبول الانفصال . فترك القومان الحرب والقتال ورجع كل فارس الى الوراء طالبًا الراحة من هول ما لاقى في ذلك اليوم العظيم الشان . وكان بهزاد قد شاهد اردوان وقت القتال فعجب منه كل الاعجاب واندهش من سرعة قتاله وجولاته وتاكد انه بطل من ابطال ذاك الزمان وانه سيحيي اسم جده فيلزور واسم عائلته التي اختصت بهم الشجاعة والاقدام والبسالة وعند زوال النهار مال اليه ايلاقيه فسمعه ينشد

وبل الاعادي وفي كفي مهندة	بيضاء كم نزعت نفسًا عن البدنِ
مصقولة الحد لم تجعل لغير يدي	انزلت فيها عليهم نازل المحنِ
وهل عجيب اذا فرقت جمعهم	وفقت عنتر فعلاً وابن ذي يزنِ
وعمي الفارس السامي البسالة من	بمنة الله لاقى اشرف المننِ
بهزاد من فرقت ضرباته ابدًا	من الاعادي بين الجفن والوسنِ

فلما سمع بهزاد كلامه رمى بنفسي عليه يقبله وقال له لاعدمتك من بطل تذكر بين الابطال

العظام في كل محفل ومقام فبمثلك تاتي الاباء والا فلا . قال كيف لا اكون كما تراني وانت عمي وقد رضعت ذكر اعمالك مع لبني وهو الذي شوقني ان اسرع في خطط المعالي لاقتدي بك واقاتل بين يديك . فشكرهُ وعادا الى الخيام وبعد ان مضى قسم من الوقت وتناول كل منهم الطعام ونزع ما عليهِ من ملابس النهار اجتمعوا في صيوان الملك بهمن وهم مسرورون من فعل ذاك النهار وقد قال لهم فيروزشاه ان الاعداء لا يثبتون بعد اكثر من يوم واحد وعندي انهم في الغد يدخلون المدينة و يقفلون الابواب وهذا اخافهُ واخشاه لانهُ يعيدنا الى المطاولة والحصار . فقال طيطلوس علينا ان نقرضهم ونبيدهم و بعد ذلك لا يصعب على الله ان يسهل لنا طرق اخذ المدينة والاستيلاء عليها ولا بد لكل بداية من نهاية وقد يفعل ما يشاء وفي الصباح نرى ما يكون بيننا و بينهم فبين الليل والنهار عجائب

واما الملك جهان فانهُ رجع الى ديوانهِ وهو غضبان كثير غضب محروق الفواد مما حل على عساكره من الاعداء ولم يجسر احد ان يخاطبهُ بكلمة وكان اكثر غضبهِ وكدرهِ كيف ان شمس الساحرة لم تقم بوعدها ولا وفت لهُ وكيف انها بذاك النهار لم تهلك الاعداء بالنار والكبريت كما كانت قالت لهُ ولولا املهُ بعودها اليهِ ووفائها في اليوم الثاني لدخل المدينة في ذاك اليوم وحاصر فيها غير انهُ كان يخطر لهُ انهُ ربما كانت قد تاخرت في ذاك اليوم لسبب منعها عن انفاذ وعدها وانها ستحضر في الغد الى اتمام رغائبها وراغائبهِ ولذلك بقي كاتمًا امرها لا يقبل ان يبيح بهِ الى احد كي يعلن بعد ذلك ان هذا الفعل فعلهُ كونهُ رسول النار . و بقي صابرًا الى اليوم الثاني

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من بهروز العيار فانهُ عند رجوع قومهِ من الحرب دعا اليهِ بدرفتات العيار وقال لهُ اني مزمع ان اسير في هذا الوقت لامر مهم لي فاوصيك ان تقدم عني بخدمة سيدي فيروزشاه واذا سالك عني فاخبرهُ اني سرت لا تجسس خبر الاعداء واعرف امرًا بينهم لهُ فيهِ النجاح واياك ان تغفل عنهُ في الليل وعن حراستهِ واياك ان تنام دقيقة واحدة الى ان اعود اليك فاجابهُ بالسمع والطاعة ووعدهُ بالتحرس والانتباه . ثم ان بهروز حمل على عاتقهِ الطعام والنقولات والماء وكل ما خطر لهُ ان ياخذهُ لشمس الساحرة حبيبتهِ وخرج من المعسكر وانطلق في البر الى ان علا الاكمة ثم نزل الوادي تحت ذاك الظلام حتى جاء الى المغارة التي ترك فيها محبوبتهُ ولما وصل اليها ازاح الحجارة عن بابها ودخلها واشعل مصباحًا كان قد احضرهُ معهُ وتقدم من شمس فسلم عليها وقال لها لا تظني اني نسيتك او تغافلت عنك فانت التي احتها نفسي ووهبتها قلبي وعلقت بها عقلي وقد جئت اليك بكل ما تحتاجينهُ فهل خطر لك ان تعديني بالاقتران وصدق المحبة لاحلك الان واذهب بك الى

فيروزشاه وادعهُ ان يقيم زفافنا . فقالت له ويلك يابهروز قد قلت لك سابقًا ولا ازال
اقول ان نفسي لا تقبل الذل واني افضل الموت الف مرة من ان يقال عني اني تزوجت
بعيار بعدان امتنعت عن الملوك الكبار . فقال ان زواجك بي ليس بعار لان اكبر الملوك يذل
لي ويخافني واني لم اذل قط لاحد الا لسيدي فيروزشاه ولا اخدمهُ واخلص لهُ الخدمة الا حبًا
بهِ وتعشقًا لكرامتهِ ولولا ذلك لرايتني اعظم من اعظم الملوك مفضل في جيوش الفرس على
الشاهات والامراء وما اريده لا احد يمنعني عنهُ او يخالفني فيهِ فاقبلي بزواجي وارضي بهِ والا
اهلكت نفسك واهلكتني بحبك . قالت عبثًا ترجو فما من وسيلة لنوال مرادك واني ابقى العمر
على هذه الحالة . ولما صرف الجهد الى اقناعها ولم تقنع اخذ يطعمها الطعام بيدهِ وهي تاكل منهُ
ولا تمتنع طمعًا بالحياة لانها كانت تضورت من الجوع وسقاها الماء واقام عندها نحوًا من
ثلاث ساعات . وقبل ان فارقها قال لها اني اعيد عليك القول ثانيًا وثالثًا فهل لك ان
تقترني بي وتعودي الى معسكرنا . قالت لا اعدك وعدًا الا بعد ان تحلني وتخرج هذه الارة من
انفي قال لا يمكن ذلك الا بعد المعاهدة واليمين والوعد والا لو اطلقت سراحك لاهلكتِ
جيش الفرس وانزلت بهم العذاب واما انا فلا اخاف منك قط لان سحرك لا يعمل بي . قالت
اني اعدك ان اكون معك على الدوام لكن لا اتزوج بك قطعًا حفظًا لشرفي واني لا ارجع
عن قولي لو قطعت بالسيوف . قال لا اقبل ان تبقين معي الا كزوجة والا فلا طمع
بالخلاص . قالت ولا طمع بالزواج . فلما قطع الرجاء من قبولها بنى الحجارة في باب المغارة
كما كانت وانطلق عائدًا الى معسكره واعينهُ تذرف دموعًا سخية تحسرًا وشفقة على حالتها وهو
حزين كل الحزن لا يقدر ان يطلقها خوفًا على قومهِ منها ولا يطيعهُ قلبهُ على طول عذابها حتى
كاد يفقد عقلهُ وبقي على ذلك لا يجد وسيلة يتخلص منها من ثقل تلك الحالة الى ان وصل
الى المعسكر وجاء صيوان سيدهِ فوجد بدرفتات عندهُ فسالهُ اذا كان سال عنهُ فيروزشاه
قال لهُ سالني فاخبرتهُ بما اعلمتني فقال لهُ اذهب انت الى صيوان الملك بهمن واقام بهروز
يحرس مولاهُ وهو بمزيد حزن وانفطار قلب الى الصباح

قال وفي الصباح نهض العسكران الى الحرب والكفاح واعتلوا ظهور الخيول وتقلدوا
بالنصول وكان اشد الجميع رغبة اردوان وشيروه لان كلاً منهما كان يشتاق تبديد هذه
الجموع والدخول الى المدينة لمشاهدة ابويهما ولذلك عندما اختلط القومان . ودار دولاب
الحرب والطعان فعلا افعال الجان . واهلكا الجموع وبددا شمل القواد . وضيعا عقول
الصينيين عن الادراك والارشاد بعظيم ضرابها القوية . وجسيم اعمالها الحربية وكان ذلك
اليوم اعظم من اليوم الاول على الملك جهان وهو يحرض الابطال والفرسان . على

الثبات في ساحة الميدان . و يعدها بقرب الفوز والامان منتظرًا ان تظهر اعمال شمس الساحرة في مدة ذاك النهار. وظن انها ما تاخرت عنهُ الاّ لتاتيهِ عندما تشتد عليهِ الضيقات ليظهر النصر لها و يبان فضلها ودام على مثل تلك الحال الى قرب الزوال فرجع القومان عن الحرب والقتال والصينيون بايئس الاحوال وقد تاخروا تاخيرًا عظيمًا وتعتع جمعهم كل التعتع ولاصقوا الاسوار ورجعوا الى الوراء وقد امتلات السهول من قتلاهم ولم يبقَ منهم الا القليل وعند المساء اجتمع وزراء جهان عندهُ واعيانهُ وهو متكدر الخاطر مضطرب الفؤاد . فلم يجسر احد ان يكلمهُ بكلمة منتظرين منهُ الراي والفكر الى ان قال لهم اني انتظر في الغد حدوث امر عظيم في جيوش الفرس يكون بهِ انقراضهم فان وقع وانتهى كان النصر والظفر لنا والاّ فافتحوا باب المدينة وادخلوا البلد اثناء القتال ومن ثم اقفلوهُ في وجه الاعداء ومتى دخلنا المدينة حينئذٍ يسهل علينا ان ندبر لنا امرًا اخر ونطلب من النار ان تهدينا الى الطريقة التي يكون لنا بها النجاح فقال منكوخان قد كان يخطر في ذهني ان ندخل هذه الساعة ونترك الاعداء يتحرقون و يتحسرون على ما فقدمنهم من النصر والظفر . واذذاك اخبرهم جهان بامر شمس الساحرة وما فعلتهُ في الاعداء مدة الهدنة وكيف انها ذهبت لترسل عليهم نارًا وكبريتًا ولم تعد اليهِ قط . فقال مهريار لا ريب ان الفرس قبضوا عليها او اوقعوا بها لان لهم سلطة على السحراء والكهان فقد قتلوا كثيرًا منهم وعلى ما اظن اخيرًا انهم قتلوا كركاني الساحرة ولولا ذلك لما تخلص بهزاد وجاء يقاتل مع رفاقهِ وقومهِ فقال منكوخان اني رايتهُ في الامس واليوم وتعجبت من عملهِ فينا فهو بلوة لا تطاق واكثر العجب كيف تخلص من قلعة سوسان شهر ومن الموكد ان كركاني قتلت والاّ كانت جاءت لاخذ ثار ولدها من قاتليهِ ولا تمكن اسيرها ان يفلت من يديها . فتنهد الملك جهان وقال قبح الله الفرس فانهم لا يغفلون عن شيء ولا يتركون امرًا بهِ الخلاص لهم ولم يبقَ لي امل الاّ بشمس الساحرة التي هي اقدر سحراء الدنيا فان وفت قولها كان لنا ما نتمناه والا فندخل المدينة ونبعث ونك يفتش عليها في البرية في احدى المغائر لانها اخبرتني انها تقيم هناك لاتمام عملها على انفراد فيهِ فسكت الجميع عند اصرارهِ على البقاء واملوا انهم في الغد يدخلون المدينة او يكون لهم ما وعدهم بهِ . وايضا الايرانيون فانهم صرفوا تلك الليلة وقلوبهم مملوءة من الفرح بما اوقعوهُ على اعدائهم من الهلاك والمحاق وتاكد عندهم ان الباقين لا يثبتون اكثر من ساعات قليلة في اليوم الثاني وعادوا ينتظرون الصباح

واما بهروز فانهُ فعل في تلك الليلة كما فعل في الليلة التي قبلها فدعى بدرفتات واوصاهُ بالسهر على فيروزشاه وانطلق بين تلك البراري يقصد مغارة شمس الساحرة وقد اصحب معهُ

لها الطعام والشراب وما صدق ان وصل اليها حتى رفع الحجارة عن بابها ودخل عليها واطعمها من كل ما جاء بهِ وبعد ذلك اخذ ان يحاولها ويسالها ان تعده بالاقتران بهِ وهي مصرة على العناد لا تقبل قط بطالبهِ ولا تلين لتذللهِ وقد قوي بها العناد والامتناع الى درجة اولى حتى تركتهُ على فراش الهم والكدر منظور القلب كئيبًا حزينًا مقطوع الرجاء ثم عاد من عندها بعد ان ارجع باب المغارة كما كان وسار عائدًا لا يعي على نفسهِ وهو ينشد ويقول

ياقمرًا يزري بشمس الفلك	كل جمالٍ وبهاء فلك
ملكت قلبي فترفق بهِ	ما انت في حسنك ملك
الله الله بنا يارشا	فان قلبي في الهوى قد سلك
ارسلت لي طيفك تحت الدجى	ياطيف حيا الله من ارسلك
مولاي ما ذنبي اليك اتئد	في قتلتي مقدار ان اسئلك
ان كنت لي اضمرت غدرًا بلا	ذنب وحق الله ما حل لك
فاعطف علينا وترفق بنا	واعمل جميلاً بالذي جملك
ذبت ياقلب عليهِ جوى	ويحك اباقلب ما قلت لك
وانت ياناظر عيني اصطبر	اياك تهلك مع من هلك

وبقي في مسيرهِ على حالتهِ الى ان دخل بين الخيام وجاء صيوان سيدهِ واقام يحرسهُ الى الصباح. وفي الصباح نهضت الفرس من مراقدها على اصوات طبول الحرب فعمدت الى خيولها وتعددت بعددها وهي كانها الاسود الكواسر وكل واحد يطلب الى الاخران لا يرجع في ذلك النهار ما لم ينقرض الصينيون ويحل بهم الويل والهوان. وكان شيروه قد صمم بنفسهِ انهُ يتأثر في ذاك النهار منكوخان الوزير ليقتلهُ واذا وقع بجهان فياسرهُ ويفديهِ بابيهِ وقرر في عقلهِ انهُ لا يرجع عن القتال ما لم ينل غايتهُ ويقبض على الملك. ومن ثم تقدم الى المكان الذي اشار لهُ فيروزشاه ان يقيم فيهِ وكذلك بهزاد واردوان وشير زاد وباقي الفرسان والابطال وركب الملك بهمن ورفعت من فوق راسهِ الاعلام والى جانبيهِ طيطلوس وبزرجمهر وهو ينتظر النهاية في ذاك النهار. ثم ركبت جيوش الصين وتقدمت الى الايرانيين الى ان هجمت عليها هجوم الاسود. فالتقتها بخوار عزائم وضعف كبود. ولم يكن الا كلمح البصر. حتى اشتبك القومان ونعب فوقهما البوم والغربان. واختفى سلطان الامان. وظهر ملك الموت وبان. واخذ بيدهِ ملاك الحسبان. عادل الميزان. وانتصب صاحب كل دين يستوفيهِ في ذاك الان. وكان اليوم شديد الحرب والطعان. عظيم القتال جسيم الاهوال بيعت فيهِ النفوس بيع السماح وتهادت جنود الموت جواهر الارواح. وحل على الصينيين ضباب الويلات والاتراح. ولم يعد لهم من

الهلاك خلاص ولا براح فرجعوا الى الوراء وسيوف الايرانيين تضرب باقفيتهم وتجود الطعن لتشفي غليلها منهم وتفنيهم قبل دخولهم المدينة والحصار فيها وكان كل من فرسان ايران غائصاً بين الاعداء غارقاً في وسطهم يضارب ويناضل باسرع من نزول القضاء واخذ الصينيون في الدخول في المدينة طمعاً بالنجاة من سيوف متأثريهم وقد يعجزبنا شرح ما فعلهُ شيروه ابن كرمان شاه في ذاك اليوم فانهُ قاتل حتى استقتل ولم يعد يعلم ما بين يديهِ ولا ما وراءهُ ولا امامهُ وقد غاب وعيهُ وخاف من ان تقفل ابواب المدينة ويمتنع عن الوصول الى ابيهِ فجعل يزبد كما تزبد فحول الجمال ويرمي بضربات سيفهِ الفرسان والابطال . ويشردها الى اليمين والشمال وكلما تقربت منهُ ووصلت اليهِ صاح فيها وارتمى عليها حتى دخل بين الداخلين من ابواب المدينة وهو لا يعلم باي مكان هو ولا باي جهة صار ودام دخول الصينيين الى قرب العصر وبعد ذلك اقفلت الابواب في وجه الايرانيين فعادوا مكللين بالنصر والظفر ودخل الصينيون مقهورين مذلولين فرحين بالخلاص وما لبثوا ان سمعوا بوجود شيروه بينهم يقاتل كالاسد الضاري وعرف ذلك جهان فصاح بالابطال والرجال ان تتقدم منهُ وتحذف عليهِ وتفعل بهِ ايشم فعال فانحطت عليهِ الغمامة فالتفاها التقاء الرياح وضرب بها من الاربع جهات فبددها وفضحها وهي تزدحم عليهِ وتصوب اليهِ بضرابها وهو يلتقيها بعزم متين وفؤاد جري ودام يزبد في قتالهِ ويفيض باعمالهِ والرجال تنفر من بين يديهِ عندما يصيح بها ثم تعود فتهجم عليهِ الى ان اسود ظلام الليل واذ ذاك تقدم ونك العيار باسرع من الشهاب ورمى جوادهُ بنبلة اصابتهُ في صدرهِ فوقع الى الارض قتيلاً ووقع من فوقهِ شيروه الى الارض الا انهُ نهض والسيف بيده يقاتل ويناضل وبالاختصار انهُ بعد ذلك بساعات قليلة تمكن منهُ رجال المدينة فقبضوا عليهِ وشدوا كتافهُ وساقوهُ الى جهان وهو كانهُ الاسد المربوط ولم يكن عمرهُ ذاق الذل ولا عرف الاسر فصعب عليهِ هذا الامر جداً وكاد يفقد صوابهُ . وعندما وقف بين يدي الملك فرح باسرهِ جداً . وقال لهُ ويلك ايها الغلام انظن ان الحرب مرسح للاولاد الا تعلم ان قوة رجال الصين وكثرتهم تفعل ما لا تفعلهُ اسود الدحال وقد دخلت المدينة استهزاءً بنا وتعدياً على ما اعطينا من القوة والبسالة . فاجاب شيروه ويلك ياجهان لو كان في بلادك فارس يلقاني واسرت او قتلت منهُ لكان لك الحق والافتخار بقومك ولكن تراني ما اسرت الاَّ بعد ان اهلكت من قومك ميئات والوفاً وتركت الشكن مملوءة من الجاريح الذين يتوجعون من ضرابي واني اقول لك ولا اخشى الموت ولا الهلاك اني ما رميت بنفسي في هذه المخاطر ودخلت مدينتك الاَّ طمعاً بان اقبض عليك واقودك اسيراً ذليلاً ولولا اختبائك واسراعك الى الدخول في مقدمة رجالك لما نجوت من يدي ولو كان دونك جبال من

الرجال فاقصر اللوم وافعل ما بي ما انت فاعل فاني احتمل العذاب والموت بالصبر الجميل لعلمي ان ورائي اسود الفرس وابطالها فلا يتغافلون عني ان بقيت اسيرًا عندكم ولا يتركون ثاري اذا اصبت منكم بشيء

فلما سمع جهان منهُ هذا الكلام كاد يفقد عقلهُ وعجب من وقاحتهِ وجسارتهِ . وفي تلك الساعة تقدم منكوخان وقبل يدي الملك وبكى بكاء مرًّا وقال لهُ لا تنسَ يا سيدي ان اولادي السبعة قتلوا في سبيل الحرب والطعان بين الجيوش الصينية واني لا ازال حتى الان حزين القلب منكسر الخاطر محروق الفواد لا تنشف لي دمعة ولا تطفى لوعة كلما دخلت بيتي ووجدتهُ خاليًا من اولادي واعظم شيء يغيظني ويكدرني عند ما ارى نفسي غير قادر على اخذ ثاري من الاعداء وكلما وقع بيدي اسير ابقيت عليهِ فيسهل لهُ الخلاص والان اريد منك ان لا تترك دم اولادي يذهب هدرًا وهم فرسانك وخدامك واولاد وزيرك الامين فسلمني هذا الاسير لاخذ منهُ بثاري وتكون بذلك قد رحمتني واحسنت اليَّ . فقال لهُ جهان خذه وافعل بهِ ما بدالك . وكان قد تكدر من كلامهِ وراى ان منكوخان يتحرق ويبكي فشفق عليهِ وما صدق منكوخان ان سمع هذه الكلمة حتى اخذ شيروه اليهِ . وتفرق كل رجال المدينة الى اماكنهم وقامت العساكر على الاسوار للدفاع عنها الى ان اشرق صباح اليوم الثاني وفيهِ نهض منكوخان ودعا احد قواد العساكر وكان اسمهُ ميزاب وقال لهُ اريد منك ان تاخذ هذا شيروه الى ظهر الاسوار وتقطعهُ هناك على مرأى من الايرانيين لانهُ سيد وابن سيد وموتهُ يغيظهم ويرمي بقلوبهم نارًا متسعرة فاجابهُ واخذ شيروه محاطًا بجماعة من الجند وساروا الى ان دخلوا القلعة وتسلق على الاسوار وتقدم الى الامام ووقف شيروه على طرف الجدار وصاح اي رجال ايران هلموا فانظروا ما يحل باميركم الان

قال وكان فيروزشاه وقومهُ عند رجوعهم من ساحة القتال واجتماعهم بصيوان الملك بهمن تفقدوا شيروه فلم يروه فتكدروا مزيد الكدر وحزنوا مزيد الحزن وقال لهم الملك بهمن اني اخاف ان يكون قتل او اصيب باذى فقال فيروزشاه لا يمكن ان يكون قتل ولا ريب انهُ دخل بين الاعداء واجتاز الابواب فبقي في الداخل لاني رايتهُ عند فرار الصينيين يفعل ما لا يفعلهُ غيره من اشد الابطال والفرسان ومن ثم انتقلت الى جهة ثانية لما ثبت عندي ان لا خوف عليهِ من الاعداء ولا سيما وهم ينهزمون ولا بد لنا من الاكتشاف على خبره في الغد والاستعلام عنهُ باي وسيلة كانت . وكان اشد الجميع حزنًا على شيروه اردوان وشيرزاد وانفطرت مرارتاهما على غيابهِ وشغل خاطرهما وضاق صدرهما وبعد ان ذهب كل رجل الى صيوانهِ ذهب اردوان الى فراشهِ وبقي طول ليلتهِ قلقًا مضطربًا حزينًا خائفًا ان يلحق بشيروه ضرر

وهو لا يعرف الطريقة الموصلة لمساعدته وفي الصباح نهض مع عموم عساكر ايران وامرائها ونظروا الى جهة اسوار الصين فوجدوا القائد ميزاب قد قدم شيروه للذبح وهو موثوق الايدي مشدودها فهاجوا وماجوا وتقدموا من جهة الاسوار يصيحون بالقائد المذكور ان يطلقة واما اردوان فصاح فيه وفي الذين حواليه من العساكر وقال لهم ويلكم اذا الحقتم بشيروه اذى كان ذلك اعظم ويل وخراب عليكم واني اقسم بالله العظيم ان اقتل منكم فرسانًا وابطالاً بقدر شعر راسهِ عددًا . ثم ان اردوان تناول سهماً واوتره من قوسهِ وارسلهُ باسرع من البرق الى القائد ميزاب فوقع في فيهِ ارداه قتيلاً ورماه من الاسوار . ولما راى ذلك شيروه تامل الخلاص واستغنم الفرصة فقمز عن السور وفي كل ظنهِ انهُ ينجو ويخلص الا ان القائد الذي قتل كان قد حسب هذا الحساب ولذلك ربط طرف الحبل المكتوف بهِ بحلقة في اعالي السور عليهِ لم يتمكن من الخلاص بل ما وصل الى نصف المسافة الواقعة بين اعالي السور والارض حتى شده الحبل فضرب في حائط السور ضربة اعدمتهُ صوابهُ وغاب هداه فاسرع الجند وسحبوه مرة ثانية الى الاعلى وهو على تلك الحالة ومددوه على ظهر السور ونزلوا عليهِ بسيوفهم فقطعوه قطعًا ورجال ايران ترميهم بالسهام وهم ينوحون ويبكون وقلوبهم تتقطع وتتوجع لشدة الحزن والاسف وقد سال دمهُ على حائط السور من الاعلى الى الاسفل فرسم عليهم خطوطًا جفت عليهِ فكانت على الدوام ذكرى محزنة لرجال ايران ولا سيما اردوان وشيرزاد وبهمن وبزرجمهر وبقية شبان الفرس ولطم كل منهم على خدوده وناح وصاح ومزق ثيابهُ ووقع على الايرانيين حزن عظيم لم يقع مثلهُ قبل ذاك الان وعملوا لهُ عزاء عظيمًا فما نشفت لهم قط دمعة ولا اخذهم صبر ولا جلد واشدهم كان اردوان فانهُ مزّق ثيابهُ كل التمزيق وهشم جسده من الضرب واللطم ولم يقدر احد ان يصبره او يمنعهُ وهو ينادي وااخاه واركناه انت رفيق الصبا وصديق الوفا انت رافع الشدات ودافع الضيقات لقد مت غريبًا وقتلت غصبًا وعدمت قبل ان يراك ابوك وماذا يصيب امك اذا علمت بموتك وقتالك فياليتني كنت الفداء عنك او كنت رفقتك عند دخولك المدينة . وبقي كل ذاك النهار على تلك الحالة وقد خاف عليهِ فيروز شاه وبهزاد والملك بهمن من ان يلحق بهِ الجنون او يصاب بداء موثر ناتج عن تلك الحالة المحزنة ولذلك لازمهُ طيطلوس وجعل يعظهُ ويطلب اليهِ ان يصبر ويهتم بثاره اخلاصًا لهُ ولما زاد عليهِ الحال جعل يرثيهِ فقال

يا شقيق الفواد ابن الكرام ورقيق الطباع حلو القوام
مت ظلمًا والوعني وانقطاعي من اخٍ لي وساعدٍ مقدام
كيف قلبي يرجو الصبر يومًا بعد هد القوى وكسر العظام

كيف يحلولي عنك قط بديل او نصير وانت فرد الانام
من انادي اذا الجيوش احاطت بي يومًا وقام سوق الزحام
من انادي اذا الفوارس جاءت زمرًا من خلفي ومن قدامي
كم رفعت المصائب كم جدت طعنًا بصدور العداة نسل اللئام
شيروه كنت للاعجام ركنًا وملاذًا ممنعًا للانام
يأمن الخائف الطوارئ في نا ديك لما برى محط السلام
لا ارى العيش اخضرًا في حياتي ياصديق الحلال خصم الحرام
سوف يلقى العداة منا رجالاً يطحنون الجبال وقت الخصام

ولازم اردوان البكاء والنواح على ما تقدم وبقيت مناحة شيروه ثلاثة ايام والبكاء والنواح والحزن بين الايرانيين منتشر لا ينفكون عنه وقد لبسوا عليه السواد كعادة الفرس في تلك الايام وبهروز العيار كان يذهب في كل ليلة الى المغارة القائمة فيها شمس الساحرة ويجتمع بها ويعرض عليها الزواج وهي لا تزيد الا نفورًا وامتناعًا وهو صابر عليها مومل بنوال مراده على التمادي وقد خطر له اخيرًا ان يطلع مولاه فيروزشاه على حبه لها ويطلب مساعدته عساه يقدران يقنعها الا انه امتنع اوانئذٍ وابقى ذلك الى حين انقضاء عزاء شيروه وترك الاحزان وهو بامان واطمئنان عليها كانها وهي في تلك المغارة في صيوانه

قال وفي اليوم التابع لقتل شيروه اجتمع جهان بابنته شمس وحكى لها كل ما لاقوا من شر الفرس فقالت كان بعهدي ان تصالح هولاء القوم وتخذهم لك حلفاء وانصارًا وترتاح من حرقتاهم وحربهم فقد عجز عنهم اكثر الملوك الكبار وقد قلت لك مرارًا فلم تعمل به ولا وعيت الى كلامي وعلقت آمالك بشمس الساحرة وفي ظنك انها تهلكهم مع ان سحرها لا ينفذ فيهم لان الاله الذي يعبدونه يقيهم من السحر ومن الاخطار. قال انها لو وفت الساحرة بكلامها لنفذ فيهم الفناء وقد كانت اهلكتهم ولم يقدر احد ان يحميهم منها ولا اعلم اخيرًا ماذا جرى بها واخاف ان تكون ماتت . فقالت له لا ريب اما ان تكون ماتت اوتكون قد رحلت عن هذه الديار فلا تعود اليها بعد . فما من وسيلة تقيك الا بالصلح والامان . قال كيف يقبل الايرانيون بالصلح بعد قتل شيروه ثم حكى لها عن قتله فتكدرت في داخلها واظهرت على نفسها الغيظ وقالت له لم يكن في عهدي انك تطيع منكوخان الى حد ان تذهب بعدلك وحلمك وينسب اليك الظلم وقلة الانصاف اهل من شروط الانسانية ان يقتل الاسير وهل لا تظن انك تحتاج اليه فتفتدي بلادك وقومك به لقد عملت على خرابك ووصل اليك الرجل الذي كان يمكنك ان تصالح الايرانيين به فاضعته . فوعي جهان الى كلامها وتاكد صحته وندم على قتل شيروه

ندماً لا يوصف وبقي برهة مطرقاً الى الارض الى ان قالت له بنته اني اعهد بالابرانيين الرقة والحلم فاذا اعتذرت اليهم عذروك ولا يعاملوك بالاساءة واذا سالتهم الصلح بالطريقة المجيدة لهم اجابوك في الحال ولا يرغبون بالظلم والتعدي. قال اني ارغب ذلك لكن ساتركه الى مدة ايام لاني بانتظار الملك شنكال الهندي وقد بعثت له رسولي الملك العيار ولا ريب انه صار قريب الرجوع فاذا رجع بالخيبة عملت على مصالحة الفرس وليس هذا وحده الذي يؤخرني بل ارى ان من الواجب ان ابحث على شمس الساحرة واخاف اذا عادت وراتني قد اتفقت مع الفرس وهم اعداؤها تكدرت وعاملتني بالعداوة. ثم ان جهان ذهب من قصر بنته الى قصره الخصوصي ودعا بونك العيار واطلعه على خبر شمس الساحرة وقال له انها اخبرتني انها تذهب الى البرية لعملها فاريد منك في الغد ان تخرج الى البرية وتبحث لي عنها وتنتش في كل المغائر علك تجدها او تعلم خبراً عنها واذا وجدتها فادعوها الينا واخبرها بكل ما حل علينا فوعده بذلك وانه سيذهب عند الصباح الى التنتيش ويلازمه الى ان يعرف خبراً عنها ثم ودعه وسار على هذه النية وبقي جهان في قصره وهو يومل ظهور خبرها

قد مضى بنا الكلام الى ذكر ما تقدم وامراء الفرس لا يزالون عند الوزير مهريار وهو يقوم لهم بالاكرام والاحترام وهم ينتظرون العودة الى المعسكر الفارسي دون ان يتسهل لهم ذلك والوزير غير مهتم باعادتهم لعلمه ان قومهم لا بد ان يدخلوا المدينة فيجتمعوا بهم وانهم لا يحتاجون اليهم بل كان يخبرهم على الدوام بكل ما كان يقع في جيوش الفرس ويطمنهم عنهم الا انه في هذه المرة كتم عنهم خبر موت شيرويه كي لا يقدر كرمان شاه بموته كونه ولده وهو مشتاق الى روياه وقد سال الوزير تكراراً ان يتسهل باخراجهم الى الخارج فيمتنع ويقول لهم ان في بقائكم بالمدينة نفع عظيم لقومكم بحيث اقدر ذات يوم ان افتح لكم الابواب لدخولهم. وراى مهريار انه مضطر على الدوام لايصال الاخبار الى الفرس ودوام العلاقة بينه وبينهم وعرف انه لا ينال ذلك الا بواسطة الاشوب العيار الذي كان باقٍ عنده في بيته مع الامراء وعليه فقد جعله خادماً له يسير على الدوام برفقته ليراه اهل المدينة ويعرفوا انه مختص به فلا يعترضونه في ذهابه وايابه وهو يلبس ملابس الصينيين كانه واحد منهم وهكذا كان ينتظر الوزير الفرص لفتح المدينة وادخال الفرس وامل ان ذلك يكون بوقت قريب

ولنرجع الى ونك العيار فانه اسرع في صباح اليوم الثاني الذي امره به الملك جهان ان يتفقد شمس الساحرة وخرج من باب المدينة قبل انشاق نور النهار وانطلق بين الاكام والوديان سائراً من جهة الى ثانية وهو لا يعرف في اي ناحية يسير لكنه لما كان خبيراً جداً بمغائر تلك الارض ومعابرها جعل يدورها واحدة فواحدة دون ان يرى قصده وبقي على

مثل ذلك الى ان ارسلتهُ الصدف الى المغارة القائمة فيها الساحرة المذكورة ونظر اليها متعجباً عندما راى بابها مسدوداً بالحجارة ووقف مبهوتاً نحواً من نصف ساعة ثم تقدم من الحجارة وجعل يرفعها واحدة فواحدة حتى انكشف الباب وظهر ما داخلهُ وراى في المغارة شمساً المذكورة وهي على تلك الحالة موثوقة بالحبال وفي انفها ابرة من الفولاذ . وكان لا يعرفها فنظر اليها متعجباً من جمالها مأخوذاً من حسنها ثم قال لها من انت وما الذي ادخلك الى هذه المغارة قالت لهُ اسرع اولاً واخرج لي هذه الابرة التي في انفي و بعد ذلك اخبرك عن حالي فارتاب ونك من كلامها وقال ماذا ياترى تعمل هذه الابرة في انفها وتردد عن سوالها وقال لها لايمكني ان اقترب منكِ ما لم تخبريني من انت لاني انا ونك العيار وقد خرجت بامر سيدي جهان افتش على شمس الساحرة فهل انت هي . قالت لقد وصلت الى ما انت ترجوهُ فاني شمس الساحرة وقد عمل معي هذا العمل بهروز العيار فاسرع اليَّ وفكني لانتقم من الفرس وانفذ بهم غاية سيدك الملك . قال وكيف تركت بهروز يصل اليك بمثل هذه الاعمال وانت ساحرة وتقدرين على هلاكهِ . قالت غدر بي فادخل هذه الابرة الى انفي و بسببها ماتت قوتي السحرية فلم اقدر ان اعي على شيء او اعرف شيئاً فقبحهُ الله من شيطان اشمط . قال وكيف ابقاك في هذه المغارة ولم ياخذك معهُ الى معسكر الفرس لتبقي اسيرة عندهم جزاء على عملك معهم . قالت انهُ اطمع نفسهُ بالمحال وسالني ان اتزوج بهِ فامتنعت فجعل في كل ليلة ياتي اليَّ بالاكل والشرب والنقولات و يقيم عندي اكثر من اربع ساعات يحاول اقناعي وانا امتنع وهو لايكل ولا يمل ولا ريب انهُ كتم امري عن قومهِ ولم يخبرهم بي وما ذلك الا من سعادتي لتاتي انت الى خلاصي. فاسرع الى فكي وتاتي واخرج لي اولاً هذه الابرة من انفي فامعن ونك برهة الى الارض وقال في نفسهِ لا اخرج لها هذه الابرة الا بعد ان تعدني بزواجها والاَّ اذا اخرجتها لا اعود اجسر ان افاتحها بشيء من ذلك ولو لم يكن بهروز من شياطين هذا الزمان ويعرف انهُ بواسطة هذه الابرة ينال مرادهُ لما قيدها بها وكان ونك قد مال اليها كل الميل واحبها كل المحبة وتعشقها تعشقاً محيماً وعاد لا يقدر ان يتمالك نفسهُ عن الاباحة بالحب وعليهِ فقد قال لها لقد خاب والله سعي عيار الفرس الطامع نفسهُ ان يقترن بك وهو عدو الذ يعبد الله ويكره النار ذات الشرار واشكر النار التي اوصلتني اليك لاخلصك منهُ واتخذك لنفسي زوجة فهل لك ان تعدني بذلك لاخذك واسير بك الى سيدي جهان وادعهُ يزفني عليك وتفعلين بالاعداء ما تريدين فضحكت من كلامهِ وقالت لهُ و يلك ياونك كيف اقبل بك وقد رفضت بهروز وهو اجمل منك وجهاً واشد باساً واعظم صيتاً او كيف يمكنك ان تخون سيدك جهان وقد بعثك للبحث عني فاطلقني الان ولا تكثر من الهذار . فقال لها اني لا ارغب ان اخون

سيدي انما لا اريد ان اميت نفسي بحبك وهواك فقد وقعت من قلبي موقعاً عظيماً بالرغم عن ارادتي حتى صرت لا اقدر ان اعيش بلاك فاصغي الى كلامي واسمعي ما اقوله لك ولا تمتنعي عن الاقتران بي . قالت عبثاً ترجوا واني لو كنت اقبل بمن هو مثلك لقبلت ببهروز فهو عندي اليق منك فاخرج هذه الابرة من انفي فاني اتالم منهـا الان . فقال لها لا اخرجها وانت مصرة على رفض طلبي واني ساذهب بك الان من هذه المغارة الى مغارة ثانية بظهر المدينة تحت الاكام لايمكن لبهروز ولا لغيره ان يراك و يتوصل اليك ولا اخرجك منها الاّ بزواجي والقسم لي على الوفاء والوداد . قالت واذا سالك مولاك عني ماذا تقول له . قال هذا لايعنيك فلا بد لي من الوصول الى ما يسالني فيه حبي فالحياة عزيزة عندي و بغيرك لاحياة لي

ثم انه تقدم منها ورفعها على عاتقهِ الى الخارج و بعد ان صار هناك وضعها على الارض ووضع الحجارة على باب المغارة حتى صارت كما كانت قبلاً وحينئذٍ حملها على عاتقهِ وهي على تلك الحالة تسالهُ ان يتركها في مكانها اذا كان لايريد ان يطلقها وهو لايسمع ولا يصغى وقد قالت في نفسها ان مصيبتي مع ويلك اعظم بكثير من مصيبتي مع بهروز لان هذا اشنع الخليقة ردي الافعال واما ذاك فانه باهر الجمال جذاب للقلوب حميد المعال ولو لم يكن من العيارين والخدم لما رضيت غيرهُ لي بعلاً . و بقي ونك يعدو كالغزال وهو حاملها على عاتقهِ يخترق الاكام و ينزل الوديان حتى بعد عن تلك المغارة مقدار اربع ساعات فتحول وادبا عند ظهر المدينة وجاء المغارة التي اشار اليها وكانت مغطاة بالاعشاب والحجارة القديمة فازاح ما عند الباب ودخل بشمس فوضعها في تلك المغارة وقال لها انك تبقين هنا الى حين قبولك بالاقتران بي ولا سبيل لاحد ان يعرف بامرك قالت اني اعرف كيداً ان لابد لبهروز من الاكتشاف على امري واخذي منك كما اخذتني منهُ و بذلك تكون قد حرمت بلادك وسدك من الانتفاع بعملي وهلاك اعدائهِ . قال لا يمكن لاكبر السحرة ولا لاعظم ملوك الجان ان يعرف مكان وجودك فابقي وراجعي نفسك في طلبي الى حين اعود اليك لاني ساتيك في صباح الغد بالطعام ولا بد ان تري الحقيقة بعين الحكمة والصواب . ثم ان ونك تركها هناك وخرج من المغارة واعاد الاعشاب كما كانت على ابوابها ووقف بعيداً ينظر اذا كان يظهر اثر للباب فلم يرَ فاطمأن بالهُ ولا سيما لعلمهِ ان تلك المغارة مستترة بعيدة عن الطرقات منخفضة تحت الارض لا تظهر قط للرائي . ولما اطمأن بالهُ انطلق عائداً نحو المدينة وفي نيتهِ ان يخبر الملك جهان انهُ لم يجدها وانهُ في الغد سيذهب الى البحث عنها ودام في سيرهِ حتى جاء باب المدينة عند الساعة الثالثة من الليل فطرق الباب وعرف الحارس بنفسهِ ففتح لهُ فدخل وقال لسيدهِ انهُ لم يرَ قط اثراً للساحرة وانهُ سيداوم التنتيس الى حين الاطلاع على خبرها .

وصار في كل صباح يدلي نفسهُ من السور الاخير اي الذي هو في قفا المدينة و يسير من هناك
الى المغارة الموجودة فيها شمس الساحرة ويصحب معهُ الطعام والشراب والفاكهة ويسأ لها ان
تتزوج بهِ وهي تمتنع كما كان يقع بينها و بين بهروز وفي المساء يعود من ابواب المدينة
فيفتحها و يدخل

فهذا ما كان منهُ واما ما كان من بهروز فانهُ كان مشغلاً كل النهار بعزاء شيروه بين
قومهِ ولم يكن عنده قط خبر مما حصل بل كان ينتظر الليل ليذهب كعادتهِ الى حبيبتهِ ويحاول
اقناعها ويقدم لها الماكل الطيبة وكل ما يختاره لها وما صدق ان جاء الليل وانصرفت السهرة
فاقام مكانهُ بدرفتات كالعادة واوصاه بكل انتباه وتيقظ وخرج مسرعًا كانهُ الريح عند اشتداد
الهبوب وهو لا يصدق ان يصل الى المغارة ويشاهد شمس ويتمتع برؤياها ويسمع كلامها ويطفي
نار فواده بالنظر الى جبينها الوضاح ولم يخطر لهُ قط ان احدًا يقدر ان يعرف مكانها او يتوصل
اليها وبقي في مسيره الى ان وقف عند باب المغارة فوجدها كما كانت قبلاً ففتحها ودخل اليها
واشعل المصباح ونظر فلم يرَ احدًا فوقف مبهوتًا مدة ينظر الى اليمين والى الشمال كمن اصيب
بضياع العقل وكلما طال بهِ الوقوف كلما زادت حالتهُ وعظم عليهِ الامر حتى غاب وعيهُ وضاق
صدره وانطبقت على رأسهِ المصائب من كل ناحية فرمى بالمصباح الى الارض وجعل ينوح
ويبكي كالاطفال و يلطم بيديهِ على خدودهِ ويمزق من ثيابهِ وكرَّ راجعًا بين تلك الوديان
يفتش على شمس الساحرة دون ان يرى مكان وجودها او يعرفها وهو يناديها باعلى صوتهِ مومِّلاً
ان ترد عليهِ او تجيب نداه وبقي اكثر من ساعة حتى عيل صبره فقطع الرجاء واخذ بيده حجرين
وجعل يضرب بهما راسهُ وصدره وقد فعل بهِ العشق ما لا يفعلهُ اعظم الاشياء واقدرها فانهُ
بعد ان كان يحتال على الحية فيخرجها من وكرها ويخدع الاسد فيقوده من اذنهِ ويتدبر الى
اذلال الملوك وابطال سحر السحراء اصبح محلول الحيل مقطوع القوى فاقد العقل عديم الصبر
كانهُ من اكثر المجانين جنونًا وسار على تلك الحالة حتى وصل عند الصباح الى اول المعسكر
فانتبه اليهِ الحراس عندما وجدوه على تلك الحالة وقد هشم جسده وسال الدم منهُ وهو ينادي
باعلى صوتهِ باسم حبيبتهِ فثبت عندهم انهُ مجنون فحزنوا عليهِ واسرعوا فاخبروا فيروز شاه بحالتهِ
فتكدر مزيد الكدر وحزن اشد الحزن وخاف عليهِ لانهُ كان يحبهُ حبًا شديدًا لصدق خدمتهِ
ومهارتهِ فسار اليهِ ولما راه على تلك الحالة تقدم منهُ ونبهُ على عملهِ فلما رأى سيدهُ هدأ ونظر
اليهِ وبكى واطرق الى الارض وقد تقدم منهُ بدرفتات فمسكهُ وامره فيروز شاه ان يتبعهُ الى
الصيوان فاجاب سوالهُ وسار مع بدرفتات حتى دخلوا الصيوان وكان الملك بهمن قد جلس
على كرسيهِ الملكي ومن حولهِ امراء الفرس ووزراء المملكة وكان قد وصل اليهم خبر بهروز

فلما دخل فيروز شاه وقفوا لهُ اجلالاً لقدره وبعد ان جلس قدم منهُ بهروز وطيب بخاطره وقال لهُ اطلعني على خبر هذه شمس ومن التي تناديها واني اقسم بحياة الملك ضاراب اني ابذل الجهد الى ان اجمع بينك وبينها ولا ادع بنفسك حاجة منها لانك خدمتني كل العمر بامانة واحب ان أكافيك على خدمتك السابقة ولا يصعب الوصول اليها فلو كانت داخل البحار السبع او وراء جبال قاف سرت معك وانلتك مرادك . فنزل هذا الكلام على قلب بهروز احلى من القطر وارتاح بالهُ وعادت اليهِ اماً لهُ لما علم ان سيده سيساعده على نوال مراده ولذلك اخذ فشرح لهم كل ما وقع لهم مع شمس الساحرة من حين حضوره مع بهزاد ومشاهدتهِ الغمامة فوق المعسكر الى تلك الساعة حتى تعجب الجميع وقال طيطلوس لقد خدمت قومك في هذه المرة خدمة لا نقدر لانك لو تاخرت يوماً واحداً لبعد انقضاء الهدنة لكنا هلكنا عن اخرنا لان هذه الساحرة هي اعظم سحراء الزمان ملكت مع ما هي عليهِ من صغر السن اعلى درجات السحر حتى اصبح الكبير والصغير يخافها وانتشر صيتها في الافاق فنشكر الله تكراراً على خلاصنا منها عن يديك واسالهُ ان يقينا منها في المستقبل وان يجمعك بها . فقال فيروز شاه اني بمساعدتهِ تعالى نويت ان لا ارجع عن تاثرها واستقصاء خبرها مستعينا عليها بالله تعالى والان اني احب ان اعرف المكان التي كانت موجودة فيهِ وارغب ايضاً ان افتش في تلك الجهات عسى ان يكون احد العيارين او الامراء او غيرهم يترقب بهروز ورأى ما هو بينهُ وبينها فاطمع نفسهُ فيها ونقلها الى جهة ثانية فانتبه بهروز الى هذا الكلام وترنح عنده وقوعهُ ونهض في الحال كانهُ ظبي الغزال وقال لهُ هيا يا سيدي نبحث عنها علَّ التقادير تجمعنا بها فاجابهُ فيروز شاه الى طلبهِ وركب جواده الكمين وسار معها بدرفتات وخرجوا من المعسكر وقصدوا على الطريق المودية الى المغارة التي كانت فيها قبلاً الساحرة وداموا على مسيرهم الى ان دخلوها فاذا هي فارغة خالية ليس فيها الا اثار الماكل التي كان ياتي بها بهروز وبعد ان وقفوا نحو ساعة يتاملون وبهروز يبكي ويتذكر الايام التي كان ياتي ويشاهد بها محبوبتهُ في تلك المغارة خرجوا جميعاً واخذوا يفتشون في تلك الارض شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً ويبحثون على الاثار دون جدوى وقد مروا من امام المغارة التي وضع فيها ونك شمس الساحرة دون ان يكتشفوا عليها او يعرفوا عنها شيئاً حتى وقعوا باليأس وكلوا وملوا وضجروا من التفتيش . واذ ذاك قال لها بدرفتات اننا نبحث عبثاً لان الذي اخذها لا يضعها في هذه الجهات فاما ان يكون اطلق سبيلها فذهبت خائفة من وقوعها مرة ثانية بيد بهروز واما ان يكون اخذها الى بيتهِ وابقاها فيهِ يتحكم فيها ويحاول رضاها . فقال فيروز شاه اني ارجح انها لم تطلق وما كانت شمس الساحرة لتخاف احداً اذا اطلق قيادها وخرجت الابرة من انها لانها لا تخش قط احداً من السحراء فهي قادرة على تنفيذ ماربها

واخذ ثارها وكانت تنتقم قبل كل احد من بهروز لكن لا بد ان تكون في المدينة او عند احد ولا بد ان نتوصل الى الوزير مهريار فنسالهُ عنها وندعهُ يبحث في سائر الانحاء عنها ويعلمنا بمكان وجودها ولا بد ان يكون وصل اليهِ خبرها او عرف شيئاً من ذلك . ثم انهم عند المساء عادوا بخفي حنين وبهروز منكسر الخاطر حزين مكدر لا يعرف يمينهُ من شمالهِ والدمعة تذرف على خدوده واشد الاوجاع يتسلط على قلبهِ ولما رأى ان لاسبيل للوصول اليها وانهم رجعوا كما جاءوا دون جدوى ولا نتيجة زادت بهِ الحال فانشد وقال

عوذتها بالمرسلات دموعي ... وحجبتها بالموريات ضلوعي
وعلمت ما القاه ساحر طرفها ... وجهلت ما القاه من تفجيعي
ورويت عن لين المعاطف مسنداً ... صيرتهُ عند اللقاء شفيعي
فمتى يساعدني زمان قد مضى ... هيهات لم يسمح لنا برجوعي
ياصاحبي قفا صباحاً واسألا ... عن شمسهِ هل آذنت بطلوعِ
واستنشدا جمر الغضا ومياههِ ... عن برد سلواني وحرّ ضلوعي
واستعطفا في عين من لوا آنست ... ما استانس المهجور بالتوديعِ
ودعتها والصبر بهجر مهجتي ... ما كان اغناني عن التوديعِ
ووجدت بعد شهيّ بارد قربها ... حرّ الفطام على فواد رضيعِ
شغل الرقيب وساعدتنا خلوة ... في بث شوقٍ واجتلاب هلوعِ
سابقت اشهب من نهى في افقهِ ... بكميت دمعٍ في الخدود سريعِ .
حيث الحمائم فوق بانات الحمى ... تشجيك بالتغريد والتسجيعِ
تشدو فيعرب لحنها ما اعجمتهُ ... القضب بالترديد والترجيعِ
يا ايها اللوام كفوا انما ... ناديتكم يابكم غير سميعِ
ما العذل نصح لا ولا انا جلمد ... فاظلّ منهُ لخادع مصدوعِ
مهلاً فان القلب ليس بقلب ... وترفقاً فالصبر غير مطيعِ
يومي على المحبوب عامٌ كامل ... الصيف قلبي والشتاء دموعي

وسمع فيروز شاه انشاده فعرف ان الحب قد اخذ فيهِ اشده وتذكر ايام كان غارقاً بغرام عين الحياة وابوها وطيفور يبعدانها عنهُ من مكان الى مكان وهو يتقلى على جمر العذاب من جرى فراقها ولذلك عذر بهروز وتاثر من حالتهِ وقال في نفسهِ لا يعرف الصبابة الا من يعانيها فقبح الله الغرام ما اقدر سلطانهُ واعظم هيبتهُ قوتهُ لا تدفع وسحابتهُ لا تقشع وبقي سائراً وبهروز الى جانبهِ وهو يطيب بخاطره ويعده بكل جميل ومساعدة حتى وصلوا الى المعسكر عند المساء

فدخلوا وسار فيروز شاه الى صيوانهِ ونام تلك الليلة وامر بهروز ان ينام مرتاحًا وابقى بدرفتات عنده الى ان كان الصباح وفيهِ نهض من رقاده وافكاره تضرب بين الياس والرجاء لا يعرف ان كان يتوصل الى قضاء غرض عياره او يتصعب عليهِ وكان يرى ان هذا الامر من الامور الصعبة المهمة مرّت عليهِ وكانت وحدانية صفاتهِ وكمال خصالهِ وشعوره بالواجب عليهِ يزين لهُ صدق خدمة بهروز لهُ ومفاداتهِ بنفسهِ لاجلهِ مرارًا كثيرة من حين اخراجهِ من سجن صفراء الساحرة الى ذلك اليوم وراى انهُ مضطرٌ كل الاضطرار الى السعي باجتماعهِ بشمس الساحرة وتزويجهِ بها كي يكون قد وفاه بعض حقوقهِ المتوجبة من جرى حسن اعمالهِ وبقي سائرًا الى ان دخل صيوان الملك بهمن وجلس في صدره وهو عابس الوجه قاطبهُ وجميع الوزراء والامراء ينظرون اليهِ وما منهم من يسالهُ عن شيء الى ان سالهُ طيطلوس وقال لهُ هل قدرت ان نعرف وسيلة تصلنا الى الوقوف على خبر هذه الساحرة قال لو وصلت الى اثرها او عرفت خبرًا عنها لوجدتني الان على غير هذه الحالة التي تراني عليها واخاف ان تضيع هذه الابنة منا ولا نقدر ان نزفها على بهروز وبذلك نخسرهُ واتكدر من عجزي عليهِ لانهُ كيف يمكن ان اكون فيروزشاه ابن الملك ضاراب ولدي من الابطال والفرسان والحكماء ما يعجز غيري عن مثلهم ولا اقضي غرض عياري واحب الناس عندي . فقال بزرجمهر ان امر هذه الساحرة لا يختفي ولا بد من ظهور امرها كيف كان الحال ومهما طال الزمان فهي مرتبطة بحربنا هذه ومن الضروري مساعدتها للملك جهان اذا كانت مطلقة القياد والاَّ فتكون اسيرة وآسرها لا يقدر على اخفائها اكثر من ايام قليلة . فقال فيروزشاه ان هذا يخطر لي واظنهُ ولذلك قصدت ان ابعث ببدرفتات وطارق الى التفتيش عليها بعد وفوق كل ذلك فلا بد من ايصال الخبر الى مهريار الوزير والسوال منهُ على مساعدتنا لقضاء هذه المصلحة فاذا كانت داخل المدينة توصل بالبحث الى مكان وجودها فبلغنا اياه وربما توصل اليها واخفاها عنده وارسل فاعلمنا بها

قال وبينما كان فيروزشاه وطيطلوس وبزرجمهر والملك بهمن وباقي الفرسان والامراء يتحادثون بامر شمس الساحرة واذا بهم راوا رجلاً بلحية سوداء وثياب صينية عليهِ ملابس الخدم ابيض الشعر والشاربين قد دخل الصيوان ودنا من فيروزشاه يقبل يديهِ وفي الحال عرفهُ بهروز وكان بالقرب من سيدهِ صامتًا حزينًا لا يفوه بكلمة قط فلهف اليهِ وقال لهُ ماوراءك من الاخبار ياشوب واذ ذاك عرفهُ الجميع لانهُ غاب عنهم زمانًا طويلاً وقرب منهُ الجميع يسالون عليهِ واخصهم اردوان فانهُ تقدم منهُ وقال لهُ اخبرني عن ابي فرخوزاد هل هو بخير وهل عرف بقدومي وكيف صحتهُ . فقال لهُ هو على احب هناء وراحة مكرمًا معظماً عند الوزير وقد عرف بقدومك مع رفاقك وسال الوزير مرارًا ان يتسبب لهُ بالخروج فيعدهُ ويقول لهُ لا يصعب

عليَّ خروجك الان .لكن لي بكم حاجة اريد ان اقضيها عند وصولنا اليها لاني لا اقدر ان افتح المدينة الا بكم . ثم ان فيروزشاه سالهُ عن سبب مجيئهِ وكيف قدر على الخروج وباي مهنة جاء . فقال اعلم ياسيدي ان الوزير رأى وجوب اتصال الاخبار بينكم وبينهُ واذ لم يكن يأتمن احدًا على مثل هذا الامر العظيم ادخلني بخدمتهِ وجعلني ان امشي بقربهِ كعيار مختص بهِ . وقد قصد بذلك ان يعرف كل رجال المدينة اني من خدمهِ فلا يشتبهون بي ولا يرتابون بامري . وبقيت على ذلك عدة ايام حتى صار كل واحد بالمدينة يدعوني بعيار الوزير ولا احد منهم يظن باني فارسي بل حبوني كل الرجال الذين كانوا مع ديدار حتى نفس الملك كان يجهل امري ولا يعرف حالي وهو يمضي للوزير دائمًا فمن مدة يومين خرجت في الصباح باكرًا لقصد ان ابتاع اكلاً لرجالنا واعود قبل ان يخرج مهريار من قصرهِ فوجدت ذلك العيار حاملاً زادًا وشرابًا ونقولات وهو مسرع الجري ومرَّ من امامي دون ان يعرفني وهو مشغل الفكر غير منتبهٍ الى احد فقلت في نفسي لابد من ان اتبعهُ لارى اين يذهب فوجدتهُ قد سار الى سور في اخر البلد ورمى نفسهُ منهُ وسار من هناك حاملاً الطعام فشغل بالي من ذلك وبقيت اراقبهُ من بعيد الى ان غاب عن نظري متوغلاً بين الادغال ومن ثم رجعت فقضيت غرضي وعدت الى مهريار الوزير فاخبرتهُ بما رايت فقال لا بد لذلك من شانٍ ولا ريب انهُ في المساء يعود من باب المدينة فراقبهُ هناك وانظر من يصحب وما معهُ واذا وجدت معهُ احدًا فتاثرهُ الى اين يسير فصبرت الى المساء وفي المساء سرت الى باب المدينة وانزويت في ناحية لا يراني احد وبقيت الى ان مضى قسم من الليل دون ان ياتي فشغل بالي وفقد صبري وقطعت الرجاء من مجيئهِ من الباب وقلت ربما يعود من حيث نزل فتصحبهُ الحراس عن الاسوار وعمدت على الذهاب واذا بهِ قد طرق الباب ففتح لهُ فدخل لوحدهِ لا يحمل شيئًا قط وبخلاف ما رايتهُ في اول النهار وهو مصفر الوجه وذهب في طريقهِ فعدت الى مهريار واخبرتهُ بهِ فقلق لعملهِ هذا وارتاب فيهِ وقال لا ريب انهُ يقصد نصب شرك لاحد امراء الفرس او انهُ يريد الضرر بهم لانهُ يعرفهُ ويعرف ما هو عليهِ من الخباثة والاحتيال فقال لي اذهب في صباح الغد وانظر هل يفعل كما فعل اليوم فاجبتهُ وفي اليوم الثاني رايتهُ على ما تقدم فشغل خاطر الوزير وقال لي اذهب في هذا اليوم الى معسكر الفرس واعلم سيدك فيروزشاه بذلك ليكونوا على حذر منـهُ واذا قدروا ان يتوصلوا اليهِ ويقبضوا عليهِ يريحون الناس من شرهِ ويقللون من قوة الملك جهان لانهُ يتكل على اعمالهِ ويسهلون لنا طرق النجاح لانهُ ما زال بالمدينة يفحص المعابر ويتفقد الجهات وينفع باكثر من جيش . فصبرت الى ان مضى قسم من هذا النهار وخرجت من الباب فلم يعترضني الحرس لعلمهم اني خادم الوزير الخاص وظنوا اني ذاهب بمهمة فاوسعت

في الفلا الى ان غبت عن اعينهم وانيت اطلعكم على مثل هذا الخبر لتكونوا منهُ على حذر ولاعلمكم ايضًا اني منذ الان وصاعدًا ساجيئكم بكل ما يحدث داخل المدينة عند سنوح الفرصة

وعندما سمع فيروزشاه هذا الكلام بهت منهُ وكذلك باقي الحاضرين الا ان بهروز صفق بيديهِ فرحًا وصاح والسرور يطفح على وجههِ عرفت غريمي الان وسانال مرادي . فقال لهُ فيروزشاه وماذا عرفت من هذا . قال لا ريب ان ونك اطلع على خبر شمس واطمع نفسهُ بها ولم يقبل ان يطلقها من قيدها الاَّ اذا وعدتهُ بزواجها وقد ابت ذلك فنقلها الى مكان اخر خفي ولم يطلع احدًا على امرها وهو يفعل كما كنت افعل انا ياتيها بالطعام والشراب في كل صباح فسار بهِ من منا اقدر على نيل المراد . فترجح هذا الامر عند الجميع ولا سيما فيروزشاه وقد نوى في المساء ان يسير الى ظهر المدينة ويكمن هناك ويتاثر ونك ليطلع على خبر شمس الساحرة . ولذلك صرف الاشوب واوصاه بالسلام على امراء الفرس واحدًا بعد واحد وبالاخص على مهريار الوزير الخبير العاقل الحكيم التقي العارف بدين الله وبواجبات الانسانية . فودعهُ الاشوب وسار وبقي في الصيوان الى المساء . وفي اول الليل انصرف الى صيوانهِ وامر بهروز ان يسير معهُ . فقال لهُ ما من داعٍ لرحيلك فاني اقدر ان اقبض على هذا الخبيث وحدي وانال كل ما انا طالبهُ واجيء بشمس الساحرة الى المعسكر عسى ان تجيب طلبي . قال لابد من مسيري الى هناك وقضاء الامر بيديَّ فاذهب امامي وعلى الله اتمام المسعى . وركب فيروزشاه وسار وبين يديهِ بهروز وخرجا من المعسكر وانطلقا بسرعة البرق ليصلا قبل الصباح الى الاكام الواقعة خلف المدينة اي قبل مرور ونك من تلك الجهات وداما بسرعة الجري حتى وصلا الى المكان المقصود فنزل فيروزشاه عن جوادهِ وسحبهُ الى شجرة هناك فربطهُ بها ونقدم الى ناحية من اكمة عالية مشرفة على اسوار المدينة وما ورائها واقام هناك مع بهروز يرقبان الطرقات وينظران الى كل الجهات يمينًا وشمالاً وكان النهار قد اخذ في ان يتقدم شيئًا فشيئًا وفي كل دقيقة تمر كانا يؤملان مجيء ونك وهو لا يظهر ولا يبان ولا يرى لهُ اثر . وكان بالصدفة قد شغل ونك ذاك النهار في خدمة جهان فلم يتمكن من الخروج ولا تسهل لهُ فزاد لعدم اتيانهِ قلق بهروز وضاق صدرهُ وخاف ان يكون قد رآهما من بعيد او عرف شيئًا من امرهما فامتنع عن الخروج من المدينة ولهذا الاضطراب والقلق قال لسيدهِ اني ارى الزمان يعاندني يا سيدي فقد مضى اكثر النهار ولم يظهر لهُ خبر ولا ريب انهُ عرف امرنا فامتنع او رآنا فغير طريقهُ فهيا بنا نرجع من حيث اتينا وسنعود في غير يوم . قال ان هذا لايمكن قط لان ونك لايعرف بنا ولا رآنا ولا بد من شغل يكون قد شغلهُ في هذا اليوم منعهُ عن الاتيان ولا بد في هذا المساء من اتيانهِ او في صباح الغد فاصبر ولا تضجر من الانتظار الى ان كان

المساء ولم يريا ونك ولا غيرهُ وهما قائمان في مكانهما وحينئذٍ طلب بهروز ثانية الى فيروزشاه ان يرجعا الى المعسكر ويتركا ذاك المكان فامتنع عليهِ وقال لهُ لا اعود من هنا الى ثلاثة ايام او الاقي شمس وارجع بها . فسكت وصرفا الليل على مثل تلك الحال

وكانا قبل خروجهما من المعسكر اصحبا معهما طعامًا وفاكهة فاكلا وبقيا الى الصباح وفي الصباح بكا بهروز امام سيدهِ وقال لهُ بالله عليك عد بنا من حيث اتينا ودعنا نبارح هذه الارض لاني اخاف ان يكون ونك قد رآنا فامتنع عن الحضور وخاف سوء العاقبة وبسبب امتناعهِ بقيت شمس منفردة مقطوعة عن النصير ولم ياتها بطعام لا في اليوم الماضي ولا هذا اليوم فتموت جوعًا ولا ريب انها تتضور الان وتتالم ولا اقدر ان انصور الحالة القائمة عليها الان فهي بدون شك تتالم وتتعذب وتقاسي ما لا اطيق ان اشخصهُ . فعرف فيروزشاه منهُ شدة حبهِ وقوة غرامهِ وقبل ان يجيبهُ نظر الى جهة المدينة فرأى رجلاً يعلو اسوارها فقال لبهروز هوذا ونك الان على الاسوار يتهيأ للنزول فالتفت اليهِ وعرفهُ حق المعرفة فكاد يطير فرحًا ونظر اليهِ واذا بهِ قد تدلى الى الاسفل كانهُ من العفاريت لم يصب بالم ولا خوف حتى صار على الارض وبعد ذلك انطلق في ذاك السهل الضيق حتى انتهى الى الاكام فتخللها وبهروز يغتصب بمراقبتهِ تتبع مسيرهِ وقلبهُ يهلع من الفرح والاستبشار حتى رآهُ ترك الطريق ومال الى جهة المغارة آمنا من كل رقيب وعدو وبعد قليل وقف عند بابها وازال الاعشاب عنهُ ثم رفع الحجارة ودخل فاختفى عن اعين بهروز وفي الحال قال بهروز لفيروزشاه هلمَّ ياسيدي ندركهُ في المغارة فاجاب سوالهُ وركب باسرع من البرق حتى وصلا الى المغارة فترجل فيروزشاه ودخل مع عيارهِ وكان سمع صوت شمس فغاب وعيهُ وانقض كالصاعقة على ونك وهو مشغل بمداعبة شمس ولطمهُ لطمة قوية على صدره القاه الى الارض وغيبهُ عن الصواب واخذ حبلاً من وسطهِ شده فيهِ والقاه الى جانب . ثم التفت الى شمس الساحرة وبكى بين يديها وقال لها لا كان يوما لا اراك فيهِ ياسيدتي فقد لحق بي من جرى حبك الجنون حتى عدت لا اعي على نفسي واشكر الله حيث رايتك بسلام وامان لم يصل اليك هذا الخبيث باذًى ولا ضرٍّ . وكانت شمس قد بهتت من حضورهِ بغتة وتعجبت من عملهِ بونك وكانت كانها سرَّت من عملهِ واصبح لسان حالها يشكرهُ عليهِ ولذلك لم تجبهُ بكلمة لانها كانت تعلم مقدار حبهِ لها وامانتهِ ولم تكن تكره فيهِ الا كونهُ عيارًا وكانت تعد نفسها ان لا تتزوج الا باعظم الملوك . ثم ان بهروز قال لها وهوذا الان سيدي فيروزشاه ابن الملك ضاراب قد جاء لهذا السبب نفسهِ باحثًا معي عليك صارفًا الجهد الى ايجادك وكان دخل فسلم عليها فاستحت منهُ كيف رآها على تلك الحالة المهينة مع انها كانت تفتخر على اعظم رجال الدنيا

وبعد ان استقر فيروزشاه داخل المغارة ووقف امام شمس تعجب من جمالها واعتدال قوامها وعذر بهروز على محبتهِ ولذلك صاح فيهِ وقال لهُ ويلك يابهروز الهذا الحد وصلت بك القساوة ولم ترعَ حرمة هذه السيدة الكريمة التي لا تقاس بغيرها من سيدات هذا الزمان فاسرع في الحال الى حلها ولا تخشَ باساً ولا ضيراً منها فما هي الا كريمة الاصل والاخلاق حسنة المزايا والسجايا لا تقابل الجميل بغير الجميل فاسرع بهروز وفك وثاقها واخرج الاثر من انفها ووقف ساجداً بين يديها وكانت غائبة عن الصواب بما سمعتهُ وراتهُ من فيروزشاه ورأت من نفسها العجز بين يديهِ فاطرقت الى الارض حياء لاتبدي حركة ولا تنوه بكلمة فقال لها فيروزشاه لقد جئت بنفسي اليها الملكة اللطيفة باحثاً عنك حتى اذا رايتك خطبتك من نفسك لبهروز هذا الذي امامك ولا تفكري انهُ قليل المقام كونهُ عياراً فما هو الا بالدرجة الاولى بين رجال فارس ولو شاء التملك لملك اعظم البلدان واهمها غير ان حبهُ لي وامانتهُ التي لاتوجد برجل في كل هذه الحياة ارغمتهُ الى البقاء على هذه الحالة ولو ادعى بمملكة فارس لحق لهُ التسلط عليها لانها تقوت بهِ وبافعالهِ ولا انسى جميلهُ معي فقد خلصني مراراً كثيرة من القتل واشتراني من الموت بحسن اعمالهِ والان اطلب اليك ولا تصيعي سوالي وان تقبلي طالبي وتزواجك ببهروز فهو محب مخلص لك واذا امتنعت القيتهِ في حفرة الموت والعذاب لان الغرام الثابت الحقيقي مهلك مميت . فنظرت شمس اليهِ وتعجبت من رقة الفاظهِ وعذوبة كلامه وكيف ملك عظيم مثلهُ ياتي الى تلك الجهة لاجل هذه الغاية واخذ بها الخجل مأخذ كل ماخذ وارتفع من راسها الكبر والتعاظم وعليهِ ارسلت نظراً خالٍ من البغض الى بهروز فرأت ماهي جماله وحسن قوامهِ وانجلت لها معاني صفاتهِ واعمالهِ التي لاتقاس بغيرها وحركها قلبها الى محبتهِ لانها راتهُ بغير العين التي كانت تراهُ قبلاً وشعرت كل الشعور بعظم محبته ولم يعد لها صبر عن اجابة طلبه فسبحان مؤلف القلوب وجامعها يفعل ما يشاء واذ ذاك قالت شمس لفيروزشاه اياذن لي ياسيدي ان امتنع عن اجابة امر تسالني فيهِ انت وتطلبهُ مني نعم اني كنت قبلاً انظر الى نفسي نظر العظمة والفخار والتعجرف وكنت اقول اني لا اتزوج الا برجل يكون قادراً على امتلاك الدنيا من مشرقها الى مغربها ويكون رفيع الاصل عالي النسب لاكون اول امراة في العالم ضربت بها الامثال حتى القاني ربكم في يد بهروز هذا فاذلني وهو بالحقيقة اقدر مني ويحق ان يتخذني زوجة لهُ لانهُ عالي الهمة عجيب الاعمال كيف لا وهو مكانف لخدمة ملك عظيم مثلك خدمة السعادة خدمة العبيد الامناء للاسياد الشرفاء ولا الوم نفسي كوني تزوجت بخادمك اذ ان قلبي وكلي باجمعي يدفعني الى ان انتظم معهُ في سلك خدمتك ولا احسب قبضهُ عليَّ ذلاً وعاراً بل لي اسوة بغيري لان صفراء الساحرة اخذت بجماله وهي عجوز فاماتها وعمي المقنطر اسرهُ وركب على

ظهرهِ من قصره الى مصر ومن ثم اماتهُ واشكرهُ الان حيث قبلني زوجة لهُ ولم يفعل بي ما فعلهُ بغيري بعد ان اوصلت اليكم شري وارجوك المعذرة

وكانت تتكلم بكلام صادر عن قلب صحيح المحبة خالص من الرياء وبهروز يكاد يطير من الفرح وهو لا يصدق ان يسمع منها مثل هذا الكلام وحسب نفسهُ في منام وجعل قلبهُ يصفق فرحًا وهو لا يعرف بماذا يجيب وكذلك فيروزشاه فانهُ فرح من اجابة شمس الساحرة في الحال وقال لها بالحقيقة قد جمعت بين الحسن وكرامة الاخلاق ورقة الطباع واللين مع اقتدارك الغريب العجيب وما ذلك الا من توفيقات بهروز وسعادتهِ لكني اريد منك امرًا واحدًا وهو ان تتركي عبادة النار وتتمسكي بعبادة الله خالق الكائنات ومدبر امورها لهُ عين ساهرة ترعى عبادهُ فهو وحدهُ الاله الحقيقي وما سواهُ باطل . فاجابت اني سانتبع بعبادة الله تعالى خطة بهروز فكل ما يريدهُ هو اقبلهُ انا لانهُ اصبح منذ الان لي وانا لهُ وما من مانع يحولني عن قيامي بانفاذ ما ربهِ فقد سلمتهُ امري من هذه الساعة وصار لهُ حق السلطة عليَّ فزاد بهروز سرورًا عند سماعهِ هذا الكلام وشكرها فيروزشاه عليهِ

ثم انهم عزموا على الرجوع الى المعسكر وتقدم بهروز من ونك وهو ملقى الى الارض وقد وعي الى نفسهِ وسمع كل ما دار بينهم من الكلام غير ان حالتهُ انستهُ هوى شمس وقد ايقن ان بهروز لا بد من ان يميتهُ شر ميتة ولما دنا منهُ اوقفهُ واخذ الخنجر بيدهِ وقال لهُ اريد منك ان تحملني على ظهرك من هنا الى محط جيوشنا فاذا تاخرت او امتنعت العبت هذا الخنجر في عنقك . فلم يمتنع فركب على ظهرهِ وخرج فيروزشاه الى جوادهِ فركبهُ ومشت شمس الساحرة بينهما وساروا سيرًا بطيئًا بتمهل حتى بعدوا عن تلك المغارة واستلموا الطريق المودية الى ناحية معسكرهم فساروا عليها وكان الوقت عند الظهر وفيما هم سائرون نظر بهروز عن بعد فراى رجلاً يقمز كالغزال وهو آتٍ من صدر البرية الى ناحية المدينة فقال لفيروزشاه اني ارى هذا الرجل صينيًا ولذلك عزمت على ان اسير اليهِ واقبل عليهِ واري ما سبب مسيرهِ الى المدينة عسى ان الصدف تنفعنا بهِ . فقال لهُ افعل ما بدا لك فنزل عن ظهر ونك واندفع بسرعة الطير حتى فاجأ الرجل وهو سائر بامان غير خائف من احد قط ولما قرب منهُ تبينهُ فاذا هو النك اخو ونك فكاد يطير من الفرح وانقض عليهِ انقضاض الصواعق ومسكهُ عن عنقهِ وقال لهُ اين كنت ومن اين آتٍ وما وراءك من الاخبار فاراد النك ان يدافع عن نفسهُ فلم يقدر لانهُ وجد ان بهروز اقدر منهُ باضعاف فالتزم ان يسلم اليهِ خوفًا من الهلاك فقال لهُ كنت في بلاد الهند مرسلاً من قبل سيدي جهان وقد عدت بكتاب لهُ من الملك شنكال و باعثًا وراءي فارسي بلاد الهند كيوال وكتوال مع مائتي الف فارس من فرسان الهند وهم

سائرون على اثري و بعد قليل يكونون عند المدينة . فقال لـهُ اعطني الكتاب فناولهُ اياه فاخذهُ منهُ واوثقهُ وشد كتافهُ وقاده الى جهة سيدهِ فيروزشاه وعندما قرب منهُ اخبرهُ بما سمع من النلك ودفع اليهِ كتاب شنكال فاخذهُ وابقاه في جيبهِ واقرن النلك الى اخيهِ ونلك وركب بهروز على ونلك وساروا جميعاً الى ناحية المدينة وونلك والنلك ينظران الى بعضهما وقلوبهما تتقطع وقد ايقن كل منهما بالهلاك لا يقدران ان ياتيا بحركة او يتخلصا من يدي بهروز العيار نقمة العيارين وافعاهم الارقط الى ان قربوا من المعسكر في نصف الليل فدخلوا الصيوان وامر فيروزشاه ان يضرب الى شمس الساحرة بصيوان مخصوص مزين ممتاز عن سواهُ من الصواوين ليكون بهِ عرسها وزفافها على بهروز وناموا تلك الليلة مطمئنين ما عدا بهروز فانهُ لم ينم قط ولا غفلت لهُ عين بل كان ينظر نظر الرقيب لجهة صيوان حبيبتهِ وهو لا يصدق انها فيهِ ويتمنى ان ياتي الغد لينتقم من ونلك والنلك وياخذ لنفسهِ بالثار من عمل ونلك معهُ وبقي على حراسة مولاهُ والعيارين وخطيبتهُ الى الصباح وعند الصباح نهض فيروزشاه من رقادهِ وخرج الى جهة صيوان ولده بهمن وجلس على كرسيهِ واجتمع اليهِ الكبير والصغير من الوزراء والامراء وجعل كل منهم يهني فيروزشاه برجوعهِ بشمس وارتياح عياره بهروز واذ ذاك حكى كل ما توقع لهم في هذين اليومين . ثم دفع الى طيطلوس المكتوب الذي اخذهُ من النلك وامرهُ ان يقراه علناً واذا بهِ

من الملك شنكال ملك ملوك الهند الى جهان حاكم الصين ورسول النار

اخبرتني اولاً بوصول الفرس الى بلادك مع قلة عددهم فترجح لديَّ انك لا بد من ان تنتصر عليهم وتفوز فوزاً مجيداً ببركة النار الى ان جاءني رسولك النلك بتحريرك يخبرني بكل ما حل بكم من هولاء العلوج الذين تعدوا علينا وداسوا بلادك فكدرني ذلك واقسمت ان لا بد من محو اثار هذه الطائفة وتبديدها كل مبدد وعليهِ فقد بعثت في مقدمة جيوشي فارسي الهند كيوال وكتوال وهما لا يوجد لهما ثانٍ في هذا الزمان من مغرب الشمس الى مشرقها يركبان الافيال ويقاتلان بالاعمدة الطوال فوزن عمد الاول ستمائة وخمسون مناً ووزن عمد الثاني خمسمائة ولا ريب انهما يفنيا جيوش الفرس وينزلا عليها المصائب والاهوال وبعثت تحت لوائهما مائتي الف جندي من ابطال الهنود واني مستعد لان اسير بنفسي الى دفع اولئك المهاجمين لادفعهم الى بلادها ولا بد ان املكها واخربها وانزل فيها البلاء وامحو منها كل عبادة غير النار فالسلام على من اعترف بقوتها وعجيب فعلها وعرف غزير نفعها

فلما قرأ طيطلوس المكتوب وسمعهُ كل من كان حاضراً في الديوان نهض بهزاد الى امام فيروزشاه وقال لهُ انت تعلم ياسيدي ان امر القتال مسلم الينا مفوض لنا من عهد اجدادنا واني

كنت اسمع ان ابي واجدادي قد قتلوا كثيرًا من فرسان الافيال غير اني لم اقاتل ولا واحدًا
منهم ليكون لي الاسم العظيم وعليهِ فاني جئت راجيًا منك ان تسمح لي ان اختص بقتال الفارسين
اي كيوال وكتوال وان تامر ان لا يبارزهما احد سواي . قال اليك ما طلبت فاني لا احب ان
امنع احدًا حقوقهُ وعند مجيء الهنود كن انت خصم قوادهم وانا اعرف انهم لديك كالغنم بين
يدي الذئب . وحينئذٍ تقدم منهُ بهروز وقال لهُ وانا يا سيدي اريد منك ان لا تحرمني حقي لان
لي ثارًا على ونك فاريد ان اعدمهُ على مرأى من رجال الصين مع اخيهِ النك فنرتاح منهما
قال خذهما الى امام الاسوار واقتلهما واعدمهما الحياة فامر بهروز ان ياخذ كودك العيار ونك
وروضة النك ويتقدما بهما امامهُ مكتوفين الى ساحة القتال ليعدمهما هناك وينزل عليهما
صواعق الهلاك وسار الى جهة محبوبتهِ شمس وقال لها اني ساقتل ونك عدوك في هذه الساعة
واخاه جزاء على تعديهِ عليك وطمعهِ بك . قالت جزاك الله خيرًا فانهُ يستحق القتل والاعدام
لانهُ ابن حرام قاسٍ خبيث لا يلين قط بالكلام واذا بقي حيًّا لا بد من ان يبقى الدوام على اثرك
واثري وان كان لا يقدر على ايصال اذى الينا الا انهُ يبقى بصفة عدو لنا ومن العجب ان نعجز
عن كبح عدو مثلهُ فنبقيهِ على عنادهِ ثم انهُ تركها وتقدم الى جهة الساحة الواقعة بين المدينة ومعسكر
الفرس وقبل ان وصل اليها وجد ونك قد تخلص من كودك واندفع بركض الى جهة المدينة
وما قرب من الباب حتى فتح لهُ ودخل وذلك انهُ كان وهو يقوده كودك الى تلك الساحة
يسلت يده من كتافهِ شيئًا فشيئًا حتى افلت اليد الواحدة فلطم بها كودك على صدره القاه الى
الارض غائبًا وقصد ان يقبض على روضة ليخلص اخاه واذا بهِ راى بهروز قادمًا فخاف ان
تاخر دقيقة ادركهُ فسار الى جهة الباب ركضا وكان رجال المدينة يرونهُ على الاسوار ففرحوا
بخلاصهِ وسقطوا الى الباب ففتحوه لهُ ليدخل قبل ان يدركهُ بهروز وهكذا تم فانه دخل قبل
ان وصل اليهِ واقفل الباب من خلفهِ ولما راى بهروز ذلك كادت تنشق مرارته منه وكاد يغيب
عن الصواب ووبخ كودك على تهاملهِ . ومن ثم تقدم من النك ودفعهُ الى الارض واستلَّ خنجره
وذبحهُ بهِ وفصل راسهُ عن بدنهِ واقامهُ على خشبة في نصف الساحة ليراهُ ونك من الاسوار
ويغتاظ عليهِ . وكان ونك بعد ان امن على نفسهِ صعد الى اعالي السور ليرى ما يحل باخيهِ
وهل يقتلونهُ او يبقون عليهِ بعد ان راوا فراره فراهُ وقد قتل فبكى بكاء مرًّا وحزن حزنًا
شديدًا واطم على خدوده وناح نوح الارامل وتقدم الى جهة جهان ملك الصين وهو على تلك
الحالة ودخل الى قصره وعرض عليهِ ما توقع لهُ من البداية الى النهاية حتى ملأ قلب جهان عليهِ
حنقًا وقال لهُ ويلك ايها الخبيث ان خراب المدينة يكون بسببك لان طمعك افلت شمس
من يدنا فلو فككت عقالها لكانت اهلكت الاعداء وارحتنا من شرهم فزاد في البكاء وقال

ياسيدي ان النار قد اعمت بصائري والقتني في ضياع العقل فلم اهتدِ قط الى الصواب الاّ انها جازتني اخيرًا بموت اخي الذي كان قد ذهب الى الملك شنكال وقد اخبرني انهُ جاء منهُ بكتاب فاخذهُ الاعداء منهُ ولكن سررت من قولهِ ان عساكر الهند اتية بعد قليل مع فارسي الهند كيوال وكتوال . ولا خفاك ياسيدي ان هذين الفارسين لانظير لهما في كل العالم من الشرق الى الغرب وهما يركبان الافيال اذا اندفع احدهما على معسكر الفرس جفل منهُ وضيعهُ وشتتهُ بين الروابي والتلال فاشكر النار التي ما تركتك الى النهاية بل سعت في خلاصك من الاعداء لا على السحراء والكهان بل على يد احلافك وانصارك من عبدة النار . فوقع هذا الكلام على قلب الملك جهان اشهى من الماء الزلال وقال اصحيح ان الملك شنكال قد بعث الينا كيوال وكتوال . فقال منكوخان هوذا ياسيدي ما كنا ننتظرهُ منذ امد طويل واني اثبت لك واوكد كل التاكيد ان هذين الفارسين يفضحان فرسان العجم وينزلان بهم العدم ولا اظن الاّ ان امورنا قد سارت على سبيل النجاح ولم يبقَ لنا الا ان نكون على استعداد ونخرج عند وصول الهنود ونقلع هولاء الاوباش من بلادنا ونبيدهم عن اخرهم . فقال جهان اني اعرف حق المعرفة ان هذين الفارسين صاحبا بطش واقتدار وعليهِ فاني ارجح الفوز لنا هذه المرة لان فيروز شاه وقومهُ لا يقدرون على الثبات امام الافيال ولا بد انهم يخافون منها عند نظرهم اليها . ثم ان جهان امر العساكر ان تستعد فتخرج عند وصول كيوال وكتوال وطيب بخاطر ونك على فقد اخيهِ ووعده باخذ الثار وكشف العار وبقي هو متاثرًا من اخذ شمس الساحرة الى جيوش الفرس لانهُ كان يحدث نفسهُ بزواجها ويومل ان يشرح لها عن حبهِ فخاب ما كان يوملهُ واصرَّ انهُ لا بد عند مجيء هذه النجدة ان يفتك بالاعداء وينتشلها من بينهم ولا يترك بهروز يقترن بها واذا كان اقترن بها ينزعها منهُ لنفسهِ حليلة او خليلة ووضع العيون على الاسوار يرقبون لهُ البر حتى اذا راوا وصول كيوال وكتوال جاءوا اليهِ واخبروه بهِ

قال واما بهروز فانهُ تكدر من فوات ونك من يدهِ مزيد الكدر ومن ثم قتل النك ورجع الى فيروزشاه فاخبرهُ بفراره فقال لهُ دعهُ يذهب اينما ذهب فلا بد من القبض عليهِ ومسكهِ وقتلهِ جزاء لهُ على ما فعلهُ مع اخ سعدان وفيرموز واني الان اريد ان اباشر بزفافك على شمس الساحرة قبل كل شيء لادعك تتنعم بها وتلاقي بدل اتعابك كل هذه المدة . فكاد يطير قلب بهروز فرحًا وهو لا يصدق ان سيده يزفهُ عليها في مثل هذه الايام وقال لهُ اني لا اكره ذلك ياسيدي واحب ان لا اكون بعيدًا عنها . وفي الحال امر ان يوءتى بشمس الساحرة ليعرضها على طيطلوس ويمتحن ايمانها اولاً فحضرت الى ديوان الملك بهمن وقد تعجبت من عظم ما رأت ولما وقفت بين يدي طيطلوس قال لها لقد صرت منذ الان واحدة منا وصار لك علينا حق

الاكرام والتعظيم كونك ستتزوجين بهروز وهو مرفوع المقام مفضل على الوزراء والامراء الكرام ولكن لاخفاك اننا قوم نعبد الله وهي العبادة الحقيقية ونعترف بوحدانية الوهيته ونكرم انبياءهُ ورسلهُ ولا نريد ان يتزوج احدنا بغير اللاتي يعبدن الله تعالى ويعظمن جانبهُ وحيث ان سيدنا وملكنا فيروزشاه قد وطد العزم على ان يزفك في هذين اليومين على بهروزه اراد ان يعرض عليك الايمان حقيقة فاذا دخلت عن صدق نية كان لك عند الله عظيم منزلة وخلصت نفسك من عذاب الجحيم وصار لك بيننا مكانًا رفيعًا . قالت اني منذ وعدت بهروز امام سيدي فيروزشاه على الاقتران مالت نفسي الى عبادة الله تعالى لاني تعلمتها من قديم وهي بالحقيقة عبادة صحيحة يرى المرء عند دخوله فيها راحة في ضميره ولذة في فواده وهناء فاشكرهُ حيث هداني الى الصواب وجعلني من ابنائهِ وكانت شمس تتكلم عن صدق نية وجد لايخفى على السامع صحتها . ثم قال لها طيطلوس ولا خفاك ان الله سبحانهُ وتعالى قد حرّم علينا استعمال السحر وحذرنا منهُ لانهُ من عمل الابالسة والشياطين كما انهُ وقانا منهُ ووعدنا بان يحفظنا من كيد السحرة ولذلك ما من وسيلة لعمل السحراء فينا وعلى الدوام نتغلب عليهم فعند وقوعنا بضيقة منهم ندعو الله فلا يلبث ان يجيب دعانا ويبعد عنا شر اعمال السحرة وعليهِ فنريد منك ان تعدينا بترك السحر والبعد عنهُ وعدم استعمالهِ في المستقبل فقالت لهُ ماذا ينفعني السحر بعد واني اعدكم وعدًا صادقًا امينًا ان لاافعل السحر زماني بطولهِ الا بامر سيدي فيروزشاه اي انهُ اذا وقع بضيقة وسالني ان ادفع عنهُ تلك الضيقة فعلت ذلك ولا اكون قد فعلت حرامًا اذا خلصت عباد الله من كيد الكفرة وفي غير ذلك لا اعمل السحر قط ولا افكر فيهِ . فشكرها طيطلوس على قولها ومدحها كل من كان حاضرًا ثم قال لها طيطلوس ان سيدنا فيروزشاه اخذ منذ هذه الساعة بعمل العرس فاذهبي الى صيوانك واستعدي لهنائك فذهبت بعد ان قبلت ايادي طيطلوس وفيروزشاه والملك بهمن وهي مسرورة في داخلها كون الله سبحانهُ وتعالى قد ازاح عن جبينها برقع الجهالة واظهر لها حقيقة الحال وحببها بقوم كرماء المزايا والطباع ولا سيما ببهروز الذي كان قلبها يصفق طربًا عند ذكر اسمهِ واقامت في صيوانها تهيئ نفسها لمثل هذا الزواج . وبالاختصار ان فيروزشاه عمل لعيارهِ عرسًا ليس بادنى من عرس الملوك الكبار حضرهُ كل امراء الفرس والشاهات وبذلوا فيهِ الدرهم والدينار ونقطوه بالجواهر واليواقيت وفي نهاية النهار زف عليها واجتمع بها وقطف زهرة حسنها وجمالها وصرف عندها بعض ايام على اتم راحة واهنا عيشة وكان فيروزشاه قد اتخذ لخدمتهِ موقتًا بدر فتات العيار مانعًا بهروز من خدمتهِ ليصفو لهُ الجو ولايشغلهُ شاغل عن زوجتهِ . واقام ملك الفرس وفرسانهُ ينتظرون قدوم الهنود ليروا ماذا يكون من امرهم وهم على رجاء ان يوقعوا بالقادمين ما اوقعوا

بالذين قبلهم الى ان كان ذات يوم وفيما هم على وشك الانتظار واذا وصلتهم الاخبار بقدوم الهنود ووصولهم الى تلك النواحي ففرحوا مزيد الفرح ولا سيما بهزاد فانهُ كان ينتظران يقاتل كيوال وكتوال ليضاهي بذلك فيروزشاه و يقال عنهُ بقتالهما ما يقال عن فيروزشاه وحربهِ لطومار سلطان الزنوج الذي كان يركب الافيال و يقاتل عليها . وايضاً اردوان وشيرزاد فانهما كانا على مقالي الجمر ينتظران القتال لياخذا بثار شيروه وقد اجتمعا ببعضهما واتفقا ان يقاتلا برجالها الليل والنهار حتى يبيدا الاعداء و ياخذا بالثار و يهلكان جيوش الصينيين

قال وتقدم ان جهان قد اقام على الاسوار ديادبة يرصدون لهُ مجيء الهنود وكيوال وكتوال ليخرج برجالهِ ثانياً الى خارج المدينة و يضم اليهم وهو على يقين تام انهُ في هذه المرة سيفوز على الفرس و يبددهم و يشتت شملهم و يوقع بهم متسنداً بذلك على شجاعة كيوال وكتوال وما هو مشهور عنهما من البسالة والاقدام فعند وصول الهنود سارت الديادبة واخبرت جهان بوصولهم ففرح مزيد الفرح وامران يفتح باب المدينة وتخرج منهُ الرجال وتحط عند الاسوار الى حين وصول كيوال وكتوال كي لا يقال عنهُ انهُ محاصر في داخل المدينة . وفي الحال خرجت العساكر افواجاً افواجاً وفي مقدمتهم جهان ومكوخان و بقية فرسان الصين ومن كان معهم وجاء لنصرتهم وضربوا الخيام خارج البلدة وهم يرون عن بعيد رايات الهنود تتقدم شيئاً فشيئاً الى ان وصلت الى تلك الارض فحطت في نواحيها ولم تختلط بالصينيين بل اقامت على حدة و بعد ان استقر بهم المقام اخذ كيوال فكتب تحريراً الى جهان يقول لهُ فيهِ ان الملك شنكال قد بعثهُ مع اخيهِ لمساعدتهِ مع مائتي الف فارس من فرسان الهنود الاشداء وكلهم تحت امره وان الملك المذكور على استعداد للمجيء الى باكين لمساعدته . ولما وصل التحرير الى جهان اجابهُ بالشكر والممنونية ووعده بالاكرام والعطايا

ولما كان المساء وسرت جيوش الفرس اسوارها على طول معسكرها ومثلها الاعداء وفي نيتهم انهم في صباح اليوم الثاني يكون الحرب اجتمع جهان بوزرائهِ وقال لهم لقد خطر لي خاطر اريد ان ابديه لكم الان قالوا وما هو قال اريد ان اكبس معسكر الفرس بعد ساعات قليلة اي عند شعوري بدخولهم الخيام ونومهم و بذلك اقلل من عددهم واوقع بهم اشر الوقعات واجعل فيهم ناراً تدوم وتذكر فاجابوهُ اليه وفي الحال امر جهان عساكرهُ ان تكون على استعداد واوعز الى كل الامراء والقواد بالاستعداد وان يكونوا على نية القتال عند نصف الليل او ما بعدهُ وفيما هم على مثل ذلك دعا مهربار الوزير بالاشوب واخبرهُ بما كان واوصاهُ ان ينطلق الى جيوش الفرس باسرع من لمح البصر ويعرض خبر جهان وما نواه على الملك بهمن وابيهِ ليكون على حذر فاجاب سوالهُ وانطلق في الحال الى ان قرب من حراس الفرس

فعرفهم بنفسهِ ودخل الى صيوان الملك بهمن فقبل يديهِ وشرح لهُ رسالة الوزير وما جاء لاجلهِ وكيف ان الملك جهان مزمع على كبس معسكرهم بجيوشهِ فسروا لهذا الخبر وقالوا لابد من الانتباه والتيقظ ثم انهم ارجعوا الاشوب بالشكر للوزير ومدحوا من حبهِ وخلوصهِ . وبعد ذهابهِ قسم فيروز شاه العساكر الى فرق وميئات واقام كل واحد منهم في جهة وكان اردوان وشيرزاد في جهة اليمين فلدى اجتماعهما لبعضهما قال اردوان لرفيقهِ اخبر عساكرك باجمعهم ان يقلعوا الخيام ويرفعوها اثناء الحرب على البغال حتى انهم عند الرجوع عن الحرب يسيرون متخذين الى بين الجبال ويقيمون لوحدهم منفرزين عن جيوش ايران ليسهل عليهم في كل ليل كبس الصينيين ومواصلة قتالهم دون ان يمكنوهم من الراحة قط وهكذا فعلا وانفرد رجالهما الى جانب من المعسكر واقام الجميع على انتظار وصول الصينيين وقد امر فيروز شاه باطفاء النار وتقليل الانوار حتى يظهر لجهان انهم ناموا آمنين

وعند مضي نصف من الليل جاء الصينيون يتقدمون متلصصين شيئًا فشيئًا وفي كل نيتهم ان الفرس نيام حتى قربوا منهم اسي من الخيام فصاحوا وحملوا مسرورين بما املوهُ من غفلة الاعداء الاَّ انهم ما لبثوا ان سمعوا صياح الفرس وفي اوائلهم بطل الابطال وسيد الفرسان وحامي حومة الميدان فيروز شاه ابن الملك ضاراب وهو ينادي لقد خابت والله امالك ياجهان وحل بك الويل والهوان واليوم تلاقي جزاء افعالك وغدرك وخيانتك وهكذا كان يصيح بهزاد وقد حمل حملة الاساد وفتك بالاعداء فتك الصناديد الشداد وحمل اردوان وهو ينادي يالثارات شيروه قتيل الظلم ومغدور الخيانة وباقل من ساعة اشتبك القومان ووقع بينهم واقع الحرب والطعان . وكانت الحرب كثيرة المخاطر عظيمة الاهوال لم يسمع بمثلها منذ قديم الاجيال سطت فيها الفرس على رجال الصين وانزلوا بهم القضاء المبين وحكموا فيهم السيوف الصقال وشتتوهم الى اليمين والشمال وما اشرقت شمس النهار الا ولجئوا الى الخيام مقهورين مكسورين نادمين على ما وقع منهم ورجع عنهم الفرس بعد ان اشفوا الغليل وانزلوا بهم كل عذاب وبيل وعند وصولهم الى الخيام تفرقوا للراحة وهم بامان من الاعداء ولم يكن عند احد منهم علم بما فعلهُ اردوان وشيرزاد بل فكروا في ذاك اليوم انهم على حسب العادة بين الجيوش نازلين

وكان جهان قد تكدر مزيد الكدر عندما راى ان الفرس قد انتصروا عليهِ وان الهنود لم يشتركوا بالحرب بل انهم انفردوا بقصد ان يظهروا فضلهم على الصينيين ليبينوا ان النصر كان لهم وعلى يدهم واكثر غيظهِ كان من عدم توفيقهِ لكنهُ صبر على مضض وعرف ان الهنود متعظمون متكبرون . وبقي على مثل ذلك طول ذاك النهار الى المساء ولم يقبل ان يقرب

منهم او يذهب اليهم حيث لم ياتوا هم اليه كونهُ اكبر مقاماً وعليهِ رضاه النار لانها اختارتهُ رسولاً وبقي مرتاحاً في مكانهِ الى المساء وعند المساء بينما هو في صيوانهِ مع قومهِ يتحاثون بامر الليل الماضي وما وقع عليهم من الفرس ويتخابرون اذا كان في نية كيوال وكتوال وقومهما الحرب في اليوم الثاني ام لا واذا بهِ سمع الصياح قد وقع في رجال الهنود وقام القتال واختلط الفريقان فقال لوزيرهِ منكوخان ومهريار اذا صدقني حذري يكون الفرس قد كبسوا الهنود ولا بد من انهم يوقعون بهم وينزلوا عليهم الويلات والضربات قال وكان سبب ذلك ان اردوان وشيرزاد بعد ان رجعا عن الحرب قصدا واديا خلف جيوش الاعداء فضربوا فيهِ الخيام ونزلوا على جنباتهِ وسرحوا خيولهم واقاموا كل ذلك النهار بانتظار المساء الى ان اسود وحلك فركب اردوان وشيرزاد برجالهما وانقسموا الى قسمين كل قسم الى جهة وساروا الى جهة عساكر الهنود وفي نيتهم ان يفاجئوهم بالقتال ليشتركوا بهِ حالاً ولا يتاخرون الى الراحة والتماهل وعند وصولهم الى الهنود صاحوا يالثارس يالثارس وانقضوا كالبواشق عليهم واشغلوا فيهم الطعن والضرب وهم على غفلةٍ لا يحسبون حساب الكبسة فاغتاظ كيوال واخوهُ كتوال من هذا العمل وتناول كل منهم سلاحهُ وعلا على ظهر فيلهِ والتقى الفرس وكذلك رجال الهنود وقام باقرب وقت قائم الحرب والطعان وحمي سعير الضرب من كل ناحية ومكان وفعل اردوان وشيرزاد افعالاً عظيمة حتى اشفيا الغليل ولولا كيوال وكيوال لتفرقت جيوش الهنود غير ان هذين البطلين ثبتا ثبات الابطال وفعلا افعال اسود الدحال

وبالاختصار فان اردوان وشيرزاد قبل نهاية الليل رجعا عن الحرب برجالهما وتوغلا في ذاك الوادي ولا احد يعلم بوجودهما هناك وقد ظن الهنود ان الذين كبسوهم هم الفرس باجمعهم وكذلك الملك جهان فانهُ ثبت لديهِ ان تلك الحملة هي حملة بهزاد وفيروزشاه وعند الصباح اجتمع كيوال باخيهِ وافتقدا الجيوش فوجدا ان عددا ليس بقليل قد فقد منهُ فخافا عليهِ واجتمعا بجهان واخبراه بكبسة الفرس فقال لا علم لنا بها وان من العدل والاصابة ان نكون عند القتال ولا تظنوا ان الفرس كمن تظنون فهم والحق يقال فرسان لم يخلق الزمان مثلهم فاذا لم نبادرهم بالحرب يداً واحدة اهلكوا منا قوماً بعد قوم وهم منضمون الى بعضهم اي انضمام فاجابهُ كيوال الى ذلك وقال لهُ اننا منذ الان نكون مع بعضنا وانهُ لا بد ان يظهر لك ما افعلهُ بهولاء العلوج عابدين الله . فسرَّ جهان من كلامهِ مزيد السرور وقال لهُ ان الحرب في هذين اليومين كانت تحت ظلام الليل ولا بد من الحرب في وسط النهار ليظهر فضلك ويعرف الفرس شدة باسك

قال وفيما هم يتحدثون بمثل هذا الكلام واذا بهم سمعوا طبول الفرس تعلن بالحرب

وتنذر بالاستعداد والتهيء فقال جهان هوذا الفرس على نية القتال وان الذي نطلبهُ قد صار ووصلنا اليهِ فقال لهُ سوف ترى ما يحل بهم واني اقسم بالنار اني لا ارجع عنهم ما لم ابدهم عن اخرهم واحداً بعد واحد ثم انهُ مال الى رجالهِ فامرهم بالركوب وكانوا لا يزالون تعبين من حرب الليل فركبوا ونقدموا وكذلك جهان فانهُ امر فرسانهُ ان تركب للقتال وتصطف في ساحة المجال وكان العجم في الليل الماضي تفقدوا اردوان وشيرزاد فلم يقفوا لهما على خبر لا هما ولا رجالهما فتكدر الملك بهمن وفيروزشاه وباقي الابطال وسالوا عنهما فما وقف لهما احد على امرفزاد كدرهم وبقيوا على مثل ذلك القلق والاضطراب الى ما بعد السهرة واذا بهم سمعوا في جهة جيوش الهنود اصوات وغوغاء فاستعدوا وظنوا ان الاعداء على نية الكبسة ولم يعلموا بما فعلهُ اردوان وبقيوا الى ان استكنت الحرب وهدأت وراق البال وعند الصباح جلسوا للمخابرة فقال فيروزشاه ان هذه الحالة تطيل في جلوسنا هنا وتمكن الاعداء من الفرصة ليتدبروا ويتقووا وفي ظني ان لا نضيع هذا النهار سدى وفي المساء نبعث بالعيارين يفتشون على مكان اردوان وشيرزاد فاجابوا سوالهُ في الحال وضربوا طبول الحرب والقتال فاجابهم الصينيون والهنود ونقدموا للحرب

قال وفي تلك الساعة حملت تلك الطوائف على بعضها البعض واهتزت من حملتهم الارض واضطرب البر من كل ناحية ولم يعد الاخ يعي على اخيهِ ولا الابن على ابيهِ وكانت وقعة في ذلك النهار. كثيرة الاهوال عظيمة المقدار. تدفقت فيها الادمية كالانهار واكتست الارض من جثث القتلى وتلونت بلون البهار. وسطا كل فارس مغوار. وبطل جبار. ووقع بالجبان الفشل وقلة الاصطبار وكان بهزاد كالشهاب الثاقب ينحدر من مكان الى مكان. يطارد الفرسان. ويمددها على بساط الصحصحان. ولا يترك سبيلاً للاعداء في ساحة الجولان بل سد عليهم كل طريق. وابلاهم بالويل والضيق. اقتداء بفارس الحرب والقتال. وسيد الجبابرة والابطال فيروزشاه ابن الملك ضاراب. الذي انزل على الصينيين بحملاتهِ اشد العذاب. واحاط بهم من كل جانب بالكدر والمصاب. وسد في وجوههم كل باب. وهو ينادي انا فيروزشاه. حبيب عين الحياة. واما كيوال فارس الهند فكانت حملاتهِ حملات الاسود وهو يقلب الفرسان على ظهورها وبطونها وينزل بالذين يقعوا امامهِ الويلات بجهرها ومكنونها وكذلك اخوهُ كتوال. فقد جاراه في مثل هذه الاعمال. وتحت كل منهما فيل عظيم الخلقة كبير الهيكل تجفل منهُ الخيول وترتج الجبال والسهول ولولاهما لما انقضى ذاك النهار الا لحق بالصينيين البلاء والاندثار ولا قامت لهم قائمة فيما بعد وبقي القتال منعقداً الى الزوال فضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن ساحة المجال. وعاد فيروزشاه كانهُ الاسد

الريبال ودخل صيوان ولده الملك بهمن بعد ان نزع ما عليهِ من الة الحرب والجلاد واغتسل من الادمية التي سالت عليهِ في ذاك اليوم . وبعد ان تناول الطعام اخذت الفرسان تجمع حواليهِ وتجلس في مجالسها الى ان انتظم سلك الجميع فقال الملك بهمن ان القتال كان في هذا النهار عظيماً ولولا وجود هذين الفارسين لما ثبت قط الاعداء انما كنت اراقب قتالهما والحق يقال انهما من اشد الابطال ما قصدا فيئة الاَّ وبددا شملها وانزلا عليها غمامة المحاق . فقال بهزاد اني كنت احب في هذا اليوم ان أبارز كيوال وامحقهُ من هذه الدنيا غير ان سيدي فيروزشاه فضل الحملة على البراز ولا بد لي عند صدور امرهِ بالبراز ان اقتل كيوال وكتوال واريح جيشنا منهما . فقال فيروزشاه ان الاعداء ما قتلوا منا عشرة الاَّ بعد ان قتلنا منهم مئة ولذلك قصدت ان احط عليهم بكل جيشي مدة ثلاثة او اربعة ايام متتابعة حتى يضعفوا كل الضعف ويقلوا عدداً والا لو قتلنا الان كيوال وكتوال تخافنا جيوشهما وجيوش الصين وبرجع الجميع الى المدينة غير ان لابد من قتلهما بعد تبديد الجيوش المتجمعة حولهما ولا سيما اني مشغل الفكر على اردوان وشيرزاد لا اعرف في اي جهة هما

قال وبينما هم على مثل تلك الحال يتخاطرون بامر القتال واذا بهم قد سمعوا صيحة القتال بين الاعداء من جهة مؤخرتهم وارتفعت غوغاء عظيمة وصلت الى الجو الاعلى . واذ ذاك انتبه الملك بهمن اليها وقال لا بد من ارسال عيار من عيارينا لكشف خبر هذه الغوغاء العظيمة فقد سمعناها في الامس واليوم ولا بد ان تكون صادرة عن قتال واقع من اردوان وشيرزاد وقد اختارا هذا الامر كي لا يدعا الاعداء راحة لنقاتل نحن اثناء النهار وهم في الليل فيحل بذلك عليهم الويل والتعب . فقال طيطلوس انهم اصابوا بذلك غير ان هذا الامر لا يتركنا راحة نحن ايضاً عليهم كون لا يوجد معهم اكثر من ثلاثين الف فارس وهذا العدد لا يكفي لمثل هذا العمل ومن الصواب الان بعث احد عيارينا لكشف صحة هذا الخبر . وفي الحال دعا الملك بهمن طارق العيار وقال لهُ اذهب وانظر سبب هذا الصياح . فاجاب طلبهُ حالاً وسار الى قضاء امره

وكان السبب في ذاك الصياح هو ان اردوان كان قد سمع بقتال الفرس قومهِ للاعداء في ذاك النهار وعرف من نفسهِ ان لا بد من وقوع التعب عليهم من جرى هذه الحملة ولذلك قال لشيرزاد ان حملتنا في هذه الليلة تاتي مفيدة فنوقع بالاعداء وهم سكارى من الملل والانحلال فننال منهم الغاية ونفعل فيهم كل ما يحلو لنا ويشفي بهِ غليلنا واستعدا للقتال الى ان رجع الصينيون والهنود عن ساحة القتال ونزلوا عن خيولهم للراحة وهم لا يصدقون انهم ينالونها وقد اجتمع جهان بقومهِ وقال لهم ان اليوم يوم تاخر كان علينا ولولا كيوال وكتوال ما ثبتنا قط

واريد ان ابعث بعياري ونك الى كشف خبر الاعداء عساه ان ياتي بنتيجة نقدر ان نعرف منها وجهًا للخلاص والفرج . وفيما هو على مثل ذلك قام الصياح في معسكره من كل ناحٍ فصاح قائلاً قبح الله الاعداء فانهم لا يكلون ولا يملون وهانذا قد حملوا ثانية علينا دون ان يصبروا على انفسهم او يرتاحوا وامر في الحال ان تسرع الرجال الى القتال وفي كل نيتهِ ان الحاملين هم جموع الفرس باجمعهم ولم يكن الاّ القليل حتى غاص رجال ايران بين الاعداء وانزلوا عليهم الويل والبلاء وقاتلوا قتال الاشداء وكان اردوان كالبرق الخاطف يسرع من مكان الى مكان ويتقلب عليهم تقلب الثعبان وفعل مثلهُ شيرزاد وقومهُ افعال الجان وشتتوا شمل اهل الصين والهنود وما تركوا لهم مجالاً يجولون فيهِ ولا سبيلاً يسلكونهُ للخلاص وقبل ان بزغت انوار اليوم الذي بعده انسحبوا من بين الاعادي ورجعوا من حيث اتوا وتوغلوا بين الشعاب والهضاب الى ان وصلوا الى مركزهم فحطوا بهِ واقاموا ينتظرون المساء

وبعد ان ارتاح بال جهان من الاعداء عقد مجلسًا قبل الصباح وقال لقومهِ حيث ان الاخصام قد اتخذوا هذه الخطة وهي انهم يقاتلون الليل والنهار ارى من اللازم اللازب ان نقسم قومنا الى قسمين قسم يبقى على الراحة كل النهار وقسم يقاتل فيهِ والاهلكنا عن اخرنا فاستحسنوا رايهُ واجابوا سوالهُ وفيما هم على ذلك واذا بونك العيار قد دخل عليهم وقال لجهان اني اطلعت لك على امرٍ بهِ النجاح والفلاح . قال وما هو قال ان الذين يحملون علينا بكل ليلة ليسوا هم الفرس باجمعهم بل فيئة قليلة منهم تحت امرة اردوان وشيرزاد وقد تاثرت القوم فاذا هم نازلون في وادٍ بعيد عن المدينة لوحدهم لا احد يعلم بهم وانهم في النهار يكنون وفي الليل يحملون وقد ارى من المناسب ان ترسلوا قومًا منكم مع بعض الفرسان والابطال فيكبسونهم ويوقعون بهم و يقبضون على اردوان وشيرزاد و بذلك تنالون ما انتم طالبون وتغتنمون غنيمة باردة لا يتسهل لكم اعظم منها واوفق في سائر اموركم . فلما سمع جهان هذا الكلام فرح غاية الفرح وسرَّ مزيد السرور . وقال الان وقت نوال الغرض ثم قال لمنكوخان اريد منك ان تاخذ مائتي الف فارس وتقصد ذاك المكان المقيم فيهِ اردوان وتكبسهم وهم غافلون عند مغيب الشمس اي قبل ان يخرجوا من الوادي واياك ان تترك لهم مجالاً للهرب وامسك كل طرقات الوادي واذا جئتني باردوان وشيرزاد اسيرين كان لك الفضل في نجاحنا بهذه الحرب . فوعده منكوخان بكل جميل وانهُ سيفعل ما يضمن لهُ النجاح والفوز واخذ من تلك الدقيقة بالاستعداد والمسير الى انفاذ امر الملك جهان . وعند ما راى مهريار الوزير ان منكوخان قصد الايقاع بالفرس خاف عليهم من ان تدركهم مدارك الويل على غفلة منهم فينفذ فيهم قضاء الله المقدور ولذلك دعا بالاشوب وقال لهُ اريد منك ان تقصد جهة هذا الوادي المقيم فيهِ اردوان وتعرض عليهِ

ما كان من امر جهان وما عزم عليهِ منكوخان ليكون على حذر واستعداد . فاجاب قولهُ وانطلق في الحال حتى خرج من بين المعسكر كانه الغزال وتوغل في القفار وبين الاكام حتى تبين المكان النازلين فيهِ الفرس فاسرع اليهم الى ان وصل من اردوان فعرفهُ بنفسهِ وعرض عليهِ امر الوزير مهريار وما بعثه لاجلهِ في تلك الساعة . فشكر اردوان من الوزير وقال لهُ بلغهُ مني سلامي اذا وصلت اليهِ لكن اريد منك الان ان تذهب الى نحو معسكرنا وتدخل بينهُ دون ان يعلم بك احد وتاتي صيوان عمي بهزاد وتعرض عليهِ هذا الامر وتسالهُ ان يبقي ذلك مخفيًا عن الملك بهمن وعن فيروز شاه واطلب اليهِ ان ياتي وحده كي يرى قتالي في مثل هذه الليلة في هذا الوادي وان يقاتل هو بنفسهِ لنقع بالاعداء ونجعل طمعهم عليهم مشومًا . فاجابه وانطلق الى ناحية رجال ايران حيث نازلون الاَّ انهُ ما بعد غير مسافة ساعة حتى التقى ببهزاد آتٍ مع جماعة من فرسان الفرس يبلغ عددهم العشرين الف فارس

قال وكان سبب مجيئهِ هو ان طارق العيار كان عندما قصد جهة الصياح ووصل الى اخر معسكر الصينيين تبين ان القتال واقع بينهم وبين الفرس وسمع اصوات اردوان وشيرزاد فتاكد عنده ظن الملك بهمن وبقي الى ان كاد يبطل القتال فعاد راجعا الى جهة الملك بهمن ودخل عليهِ واخبرهُ بما راى وقال لهُ رايت اردوان يسحق جيوش الصينيين والهنود كانهُ الجبل الثقيل وقد انزل عليهم كل وبال ولولا كثرتهم وقلة عساكرهِ لبددهم في هذه الليلة . فلما سمع الملك كلامهُ دعا بالحال اليهِ الوزراء والاعيان والشاهات واخبرهم باخبار اردوان وما سمعهُ من طارق واستشارهم فيماذا يفعلون بهِ . فقال طيطلوس الراي عندي ان نرسل من يحضرهُ الينا بامر الملك وولدهِ فيروزشاه وبهذا نكون براحة من قبله فقال الملك بهمن انهُ ما قصد الانفراد لوحدهِ مع شيرزاد الا لما رانا لا نقوم بالحرب التي يرغبها حق القيام كونهُ يريد ان ياخذ بثار شيروه في الحال ولهذا نخاف من ان يتاثر من دعوتهِ الينا ويتكدر في داخلهِ حبًا بنوال مرادهِ فهو عصبي المزاج يوثر فيهِ الحب كما توثر فيهِ اقل الاشياء فلا ينسى قط محبة اخيهِ شيروه وصديقهِ ما لم يروِ غليلهُ من قاتلهِ . فقال بهزاد اني ساذهب اليهِ الان بجماعة من الفرسان وادعوهُ عن رضى فاذا جاء كان خيرًا والا اقمت عنده وفعلت كل ما يرضيهِ الى ان يقنع من تلقاء نفسهِ وياتي الى المعسكر . فوافق جميع الحضور على كلامهِ وخيروهُ باجراء ما يرجو ويطلب ومن تلك الساعة جمع عشرين الف من اخصائهِ وركب بهم قاصدًا ذلك الوادي وهو يجهلهُ لا يعرف من اي جهة يسير لان طارق لم يكن يعرف مكان اقامة اردوان بل راى الطريق التي سار منها والى اي جهة سار وفيما هو سائر في تلك النواحي واذا بالاشوب قد صادفهُ في الطريق فعرفهُ ودنا منهُ واخبرهُ بواقعة الحال وما كان من امر اردوان وامر

الوزير مهريار

فلما سمع بهزاد هذا الكلام قال لهُ سر امامي الى جهة هذا الوادي فقد بعثني الله لانتقم من الصينيين واجعل كيدهم بنحرهم ومن ثم سار خلف الاشوب الى ان ادرك الوادي قبل الغروب بساعة وحينئذٍ امر الاشوب ان يرجع الى مهريار ويهديهُ منهُ السّلام وسار هو الى معسكر اردوان فخرج اليهِ واجتمع بهِ وسلم عليهِ فلامهُ على فعلهِ وقال لهُ كان الاحرى ان تخبرني بكل ما في نيتك قال ان هذا لايوافق قط لان الاعداء مهما ثبتوا لا يقدرون على الثبات اكثر من ثلاثة او اربعة ايام فبعدك عنا يشغل افكارنا ويلقينا بالاضطراب على الدوام وقد اصبح سيدنا فيروزشاه يسال عنك في كل ساعة والان ليس وقت عتاب بل ارجع عن الخيام مع شيرزاد واتركها فارغة واذهب الى يمين الوادي واكمن هناك حتى اذا رايت الاعداء وقد جاءوا وحملوا على الخيام احمل عليهم من امام وانا ساذهب الى الوراء واطردهم الى داخل الوادي وامسك عليهم الطرقات وامنع خروجهم فامينهم عن اخرهم . فاطاع اردوان طلبهُ واخذ كل رجالهِ وذهب بهم الى يمين الوادي واقام بالانتظار وكذلك بهزاد فانهُ صعد الى ظهر الاكام وانحدر الى اسفل شمال الوادي واقام يراقب وصول منكوخان بعساكر الصين الى ان وصلوا عند غياب الشمس فراهم عن بعد نصف ساعة فتاخر ايضاً الى ما وراء اكمة واستتر خلفها ليمروا من هناك و بعد ان مضى ساعة كانوا دخلوا وراوا خيام الفرس منصوبة فصاحوا وهجموا وقد قسمهم منكوخان الى اربعة اقسام قسم اقام على باب الوادي والباقون حملوا من ثلاث جهات ومن ثم تخللوا الخيام واخذوا يرمونها باعمدتهم وفي ظنهم ان داخلها رجال من الفرس فاخطاوا ولم يروا احدًا فاحتاروا ووقعوا بالارتباك واذا باصوات اردوان تدوي بتلك الوديان وهو ينادي يالثارت شيروه من اللئام وقد هجم على القوم هجوم الاساد وابلاهم بالويلات وارمى عليهم واشغل الضرب فيهم ومن خلفهِ شيرزاد وبقية الفرسان الاجواد وما لبث ان صادم الصينيين من الامام حتى اجابهُ من خلف بهزاد بدوي صوتهِ المعتاد وقام سوق الحرب اي قيام . وتطوقت رجال جهان باطواق الاعدام وتسربلوا بالحلل الحمراء . وتتوجوا باكليل الفناء ووقع عليهم واقع الهلاك ووقف في وجوههم واقف الارتباك وضاق واسع القفار وما راوا لهم سبيلاً ولا اصطبار . ولا وجدوا طريقًا للخلاص والفرار . فالتزموا ان يتسلقوا جنبات الوادي ويتركوا الطرقات ولما راى منكوخان ما كان من الفرس وما حل على رجالهِ خاف على نفسهِ من البوار وايقن بالهلاك فنزل عن ظهر جوادهِ واخذ يتسلق جدران الوادي وهو لا يامن على نفسهِ من لحاق الاعداء ووقوعهِ بايديهم الاّ ان الليل سترهُ فلم يظهر لاحد وبقي حتى اصبح على ظهر اطراف الوادي وانحدر من هناك يقصد جيش الصين وكان قد فعل

فعلهُ بعض فرسانهِ فنجو بانفسهم والباقون اكلتهم السنة الصقال فاندثروا تحت النعال وكان الذين نجوا لا يبلغ عددهم الخمسون الفًا وهلك مائة وخمسون الف فارس

وبعد ان اشرقت شمس النهار وراقت الحال وبطل القتال اخذ اردوان يهنئ بهزاد بما فعلهُ في تلك الليلة العظيمة الاهوال وقال لهُ اني اخبرك اني اشفيت فوادي من قتال الاعادي فانظر الى الارض كيف اكتست حمراء من ادميتهم والحفر كيف اصبحت اكامًا من جثثهم واني اشعر الان اني قد وفيت اخي شيروه بعض حقوقهِ وقمت بقليل من ثاره وما من شيءٍ يسرني في هذه الحياة من ان ارى نفسي قد وفيت ما تطلبهُ مني المحبة . فقال لهُ بهزاد ان تلك حقوق الاخاء والمودة فانت بالحقيقة من نسل فيلزور وبك تفتخر هذه العائلة فاذا شئت فاترك هذه الاماكن وسير الى معسكر الملك بهمن ارضاء لخاطر فيروز شاه سيدنا ومولانا اذ لا يجب ان يكون رجالهُ الا على يدٍ واحدة يقاتلون ويضاربون ولا ينقسمون وبذلك يكون مرتاح الضمير مطمئن الخاطر على كل قومهِ . فقال لهُ اردوان لقد شفيت فوادي فهلمَّ بنا نسير الى سيدنا فيروز شاه ونذهب اليهِ بجميع الخيول والاسلاب والغنائم التي جمعتها في هذا اليوم مما تركها الاعداء

ثم ان بهزاد امر ان يجمع الفرسان الخيول والاسلحة من المقتولين وان يسير الجميع الى جهة المدينة ليطلعوا ملكهم على ما كان من امرهم فاخذوا في انفاذ اوامره وجمعوا كل ما امرهم بهِ حتى سد بهِ ذاك الوادي ومن ثم ركبوا وعادوا سائرين الى جهة معسكر الفرس كل ذاك النهار الى المساء وعند المساء وصلوا الى حيث يقصدون فامر اردوان رجاله ان تضرب خيامها في اماكنها وسار هو مع بهزاد الى ان وصل الى صيوان الملك بهمن فدخل عليهِ وقبل ايادي فيروز شاه وطيطلوس وحكى لهم كل ما كان من امره مع الصينيين وانهُ كان يقصد ان لا يرفع الحرب عنهم الى ان يهلك منهم جانبًا عظيمًا فتسهل لهُ باقرب وسيلة جميع ما يطلبهُ وانهُ لا يزال يومل ان الظروف تساعده على قتل منكوخان لياخذ لشيروه بالثار ويقهر الاعداء . فمدحهُ فيروز شاه على قولهِ وعملهِ وقال لهُ ان طلبك لثار شيروه واجب ونحن نقاسمك فيهِ ولا بد من قتل منكوخان وفتح المدينة بمساعدتهِ تعالى كيف كان الحال . وانما اريد منك من الان وصاعدًا ان لا تبارح المعسكر الى حين يتسهل لنا ما نحن طالبون وفي الغد تكون الحرب بيننا عظيما ولا بد من براز كيوال وقتلهِ وقتل اخيهِ كي لا يصعب علينا امر بعدهُ . فقال بهزاد واني اطلب منك ياسيدي ان تفي بوعدك لي فلا بد من قتال هذين الفارسين في الغد فاسمح لي بكل ما انا طالبهُ . قال لا امنعك منهُ فكن انت في الغد وعلى الدوام خصما لهذين الفارسين الى ان نرى ما يكون من امرهما وعندي انك لا بد ان تسطو عليهما وتعدمهما الحياة وتفوز بالمطلوب وعلى ذلك فقد

اعتمدوا انهم في اليوم الثاني يقاتل بهزاد رجال الهنود

واما ما كان من منكوخان فانهُ بقي مهزومًا راكضًا على اقدامهِ كما تقدم معنا الكلام الى ان وصل الى معسكر الصين ودخل الى جهان وهو بتلك الحالة فارتاع من امره ونهض مغتاظًا مكدرًا وقال لهُ مالي اراك وحدك فاين العساكر التي ذهبت معك وماذا حلَّ بك . قال كان بظننا ان نكبس الفرس واذا هم كبسونا واوقعوا بنا كل اذى وشردونا واهلكونا وانزلوا بنا الويلات والمصائب ولولم انجُ بنفسي واتسلق جدران الوادي ويسترني الظلام لما جئت اليك سالمًا . ثم اعاد عليهِ كل ما كان من امره وما لاقى في ذاك الوادي وما فعل بهزاد واردوان برجالهِ والذين رافقوهُ . وكان جهان يسمع والغيظ يمزق احشاءهُ ولعن تلك الساعة التي جاء بها الفرس الى بلادهِ وقال كلما درنا على هلاكهم رجع تدبيرنا علينا وفشلنا وخاب مسعانا ثم ان جهان جمع ديوانهُ ودعا بكيوال وكتوال وقال لهما لاشيء ارجوهُ منكما الاَّ ان تبارزا في فرسان الفرس ونقتلاهم او تاسراهم وعليَّ تفريق الجيوش اي ان عساكري اكثر واقدر من رجالهم الاَّ ان وجود فيروزشاه وبهزاد واردوان وغيرهم من الابطال مما يقويهم ويضعف جيوشنا فقال لهُ كيوال اني ببركة النار ساقصد في الصباح ساحة الميدان وحدي واطلب الابطال واعدك انهُ لاياتي المساء ما لم ابد هولاء الذين ذكرتهم اذا تجاسروا ان يبرزوا الي وما خافوا من سطوتي وهابوا مقدرتي وسيظهر لك الغد اضعاف ما اخبرك الان . فشكرهُ جهان وعلق كبير امل على وعدهِ وبات ينتظر قدوم صباح اليوم التالي وتفرق من حواليهِ الفرسان والوزراء

قال وفي صباح اليوم المذكور نهض الفريقان من مراقدهما على اصوات طبول الحرب التي كانت تضرب باصوات الرعود وانطلق كل واحد الى جوادهِ فركبهُ بعد ان اسرجهُ وتقدم الجميع صفوفًا صفوفًا على احسن ترتيب وانظم نظام . وقبل ان ابدى من احد الصفين اشارة انحدر بهزاد الى وسط الميدان كانهُ احد اسود خفان وهو غارق بالحديد الى حد العيان يرهج من تكسر الشمس على اسلحتهِ ويبرق بلمعان المشعال ولعب على اربعة اركان الساحة حتى حير العقول واذهل الخواطر وضيع الافكار وابهج النواظر واعترف لهُ كل فارس وبطل انهُ اخف من جال في ساحة المجال . وبعد ذلك وقف في الوسط ونادى اي فرسان الهنود والصين من عرفني عرف فعالي ومن جهلني اعرفهُ بحالي انا بهزاد حامي حومة الطراد وبهلوان تخت الفرس وبذكراسي غني عن شرح عملي فلا يبرز لي منكم الا الفرسان الاشداء واني ما توسطت هذا الميدان الا للانتقام من كيوال واخيهِ كتوال فليبرز احدهما اليَّ او فليبرز الاثنان . قال وما انتهى من كلامهِ الا وجيوش الهند اضطربت وخرج منها كيوال راكبًا على

ظهر فيلهِ كانهُ جمل فوق جبل وقد تقدم معنا انهُ كان كبير الهيكل عظيم الخلقة عريض الاكتاف يقل وجود مثلهِ بين الرجال. ولما صار امام بهزاد رفع العمد بيدهِ ولعب بهِ بالهواء وكان ثقيل العيار يصعب على عدة رجال اشداء رفعهُ ثم صاح وحمل على بهزاد فالتقاه بقلب اشد من مطرقة الحداد واخذ معهُ في القتال والطراد والفرسان تنظر من اليمين والشمال تراقب بينهما واقعة الحال وتتعلم منهما ابواب البراز والنزال وهما يهمهمان كانهما اسدان ويدمدمان كطوائف الجان وكان الشرار يتطاير من وقع السيوف على الدرق ويسبحان مما سال منهما من العرق ودام بينهما وقوع الضراب والطعان على مثل هذا الشان الى ما بعد الظهر وحينئذٍ تعجب كيوال من شدة بهزاد في القتال وعرف انهُ على خلاف ما كان يظن ولذلك خطر لهُ ان يتضاربا بالعمدان على امل منهُ انهُ لا يقدر على حمل ضرابهِ ولا يثبت تحت ثقلها وعليهِ فقد صاح ببهزاد وقال لهُ ان هذه الحالة لا ننال منها مرادًا ولا يقدر احدنا على الاخر ولو صرفنا شهورًا واعوامًا ولذلك اطلب ان يضرب احدنا الاخر ثلاث ضربات فمن كانت ضرباتهُ اقوى واقدر نال من خصمهِ مرادهُ فاضربني ثلاث انت اولاً ثم القَ مني مثلها فقال لهُ ان بذلك الانصاف فهل سمعت ان احد الفرس ضرب اولاً فهذا لا يمكن قط فاضرب انت بكل عزمك وانا اتلقى ضرابك الى ان ياتي دوري قال استعد لضربي واحذر لنفسك

ثم ان كيوال اطلق الفيل ذهابًا وايابًا حتى حمي وجعل يضرب الارض بخرطومهِ فيفتح فيها حفرًا وبعد ذلك صاح بكلا العسكرين وقال هيا انظروا ما يحل الان على بهزاد ثم رفع العمد الى ان كاد يلحق السماء وهو يضحك على خصمهِ وفي كل ظنهِ انهُ اذا وقع عليهِ وهو ثابت تحتهُ سحقهُ هو والجواد غير ان بهزاد كان واقفًا كانهُ الجبل الراسي لا يتزعزع وقد عرف من نفسهِ كل المعرفة انهُ يقدر على حمل مائة ضربة دون ان تؤثر فيهِ مثل ضربات كيوال وان كان من اشد الابطال وافرس الفرسان وجمد يدهُ بالطارقة حتى وقع عليها العمد فسمع لهُ صوت ودوي اشبه بالرعود القاصفة وخفقت قلوب الفرس خوفًا على بهزاد الا انهم صفقوا من الفرح عندما راوهُ خرج من تحت الضربة كانهُ السرحان ولم يلحق بهِ اذى قط ولا عبأ بالضربة بل صاح بكيوال وقال لهُ ويلك هل انت عامل على المزاح واللعب فاضرب ضرب الابطال المعدودين في ساحة المجال فاني لم اشعر قط بضربك لي. فزاد هذا الكلام في غيظ كيوال ووقف مدة مبهوتًا متعجبًا من قوة خصمهِ وقدرتهِ. ثم انهُ رفع العمد ثانيًا وضرب بهِ بهزاد وكذلك ثالث مرة دون ان ينالهُ تعب او ملال حتى كاد كيوال يغيب عن صوابهِ وضاع عقلهُ وكره في الحياة وقال لهُ ويلك ايها الفارسي العاتي اضربني لدورك وافعل ما انت فاعل فاني اشهد لك انك من الابطال الصناديد والفرسان الاماجيد واني مستعد لوقع عمدك فاما ان تقتلني واما ان

اعود فاضربك مثل هذه الضربات . فقال لهُ اهلــ تظن ان الذي مثلي يضربك بعمد من حديد قال بماذا تضرب قال بهذا السيف الصقيل ثم جرد الحسام واطلق لجوادهِ العنان حتى كاد لا يبان . ثم صاح ووقف في وسط الميدان وقال هيا ايها الابطال الشداد انظروا افعال بهزاد . ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد وهاك ضربة واحدة لعين فيروز شاه وحبيبي اردوان فارس فرسان هذا الزمان وتاج البسلاء والشجعان . ثم انهُ جمع نفسهُ ووقف باسرع من البرق على ظهر الجواد وشخص بفكرهِ ما كان يسمعهُ عن عمل فيروز شاه بطومار وضربتهِ التي سار ذكرها في سائر الاقطار واراد ان يقتدي بهِ ويقرن ذكرهُ بذكرهِ فارسل السيف بضربة شديدةٍ وقعت على طارقة كيوال قطعتها ووقعت على رقبة الفيل فبرتها وفصلت راسهُ عن جسدهِ فجعر الفيل بصوت كالرعد وسقط الى الارض وسقط كيوال خلفهُ الى البسيطة ونهض يركض فاراد بهزاد ان يتاثرهُ واذا بجماعة الهنود قد صاحوا وحملوا وفي مقدمتهم كتوال طالبين خلاص كيوال

قال وفي الحال صاح فيروزشاه بالرجال ان تحمل على فرسان الهنود والصينيين وحمل هو في مقدمتهم وعليهِ فقد اشتبك الفريقان وقام سوق الحرب والطعان ومسك كل فارس خصمهُ واراد ان يعدمهُ اسمهُ ويمحو من هذه الدنيا رسمهُ فتقطعت الظهور وتمزقت الصدور واشتاقت النفوس الى مفارقة الاجساد وطلبت الجسوم المأواة باللحود للخلاص من البلايا الشداد وكان اردوان يقاتل بثبات عزم وجنان ويطاعن مطاعنة الابطال والفرسان فيفصل بين الرؤوس والابدان وفيما هو على مثل ذلك الشان اذ لاحت منهُ التفاتة فوجد عن بعد كتوال قد التحم بشيرزاد واخذ معهُ بالجدال والطراد فاراد ان يقصد تلك الجهة خوفاً عليهِ من ان يوقع بهِ واذا بهِ يرى كتوال قد قبض على شيرزاد وحذفهُ الى الوراء فاختطفهُ قومهُ الهنود وبعدوا بهِ ولذلك غاب صوابهُ وضاع هداه ولم يعد يعرف ما امامهُ وما وراءهُ وتذكر شيروه وخاف ان يقع على شيرزاد ما وقع عليهِ وقد فضل الموت على الحياة فصاح بصوت من فوادٍ مجروح جفلت منهُ الخيول وتفرقت من اليمين الى الشمال وجعل يضارب بقوي عزم وثبات ويطاعن يطلب خلاص شيرزاد وانحط انحطاط الصاعقات وكلما قربت منهُ الفرسان مددها على بساط الصحصحان وعيناه لا تفارق المكان الذي فيهِ شيرزاد خوفاً ان يضيع عنهُ فلا يقدر على خلاصهِ ويتمكن منهُ الاعداء ولذلك غاص فيما بينهم وهم يجتمعون عليهِ فيعدمهم بسيفهِ البتار ويطوقهم باطواق البوار ويبعثهم الى دار الهلاك والدمار ولا زال يقتل ويكسر حتى وصل الى المكان الذي فيهِ شيرزاد وكان جماعة من الفرسان قد احتاطوا بهِ واوثقوا كتافهُ بالرغم عنهُ وحاولوا جرهُ واذا باردوان قد صاح فيهم وانقض عليهم وفرقهم يميناً وشمالاً حتى قرب منهُ فقطع كتافهُ واخذ

يدافع عنهُ ليتمكن من ركب الجواد و ياخذ من اسلحة القتلى هذا والفرسان تزدحم حول اردوان تطلب مسكهُ وهلاكهُ وهو لا يكل ولا يمل بل كل ما تضايق وكثرت عليهِ الجموع صاح بها وانحط عليها واكثر من النداء قائلاً انا اردوان ابن اخي بهزاد صاحب الشرف الرفيع العماد وبقي على مثل هذا الايراد الى ان تمكن شيرزاد من ركب الجواد وعاد الى معاونتهِ بسوق الطراد والبس الاعداء اثواب العار والسواد

هذا وكان قد شاع بين رجال الفرس ان شيرزاد اخذ اسيرًا فاغتاظوا وارتموا على الاعداء كالصواعق وهم يصولون ويجولون ويجودون الطعن ولا يكلون حتى قرب الزوال فدقت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن ساحة القتال وقد حل بالصينيين والهنود ايشم الاحوال وهم مغتاظون من انتصار بهزاد على كيوال وقتلهِ فيلهُ وما لحق بهم بعد رجوعهِ ثم ان جهان بعد ان رجع الى صيوانهِ واجتمع من حولهِ وزراوه واعيانهُ قال لهم ان النار غضبى علينا فلم يكن من سبيل لنا للانتصار ولهذا سابقى هنا يومين او ثلاثة ايام فاذا ابان كيوال وكتوال النصر لنا ورأينا وجه النجاح بقينا في الخارج والاَّ فاني ادخل الى المدينة ولا اعود اخرج منها قط لان لاقدرة لنا على الفرس وتبديد جموعهم فهم ابالسة بصورة البشر وكلما بان لنا عليهم وجه الفوز والظفر عكس الامر فوقع علينا الانكسار والضرر فقال منكوخان لابد من ان كتوال يبرز في الغد و ياخذ بثار اخيهِ ورفع ما لحق بهِ من العار فقال جهان ان ذلك بعيد النوال نعم اني رايت كتوال قد اسر شيرزاد واملت اننا ننال بهِ المراد فنبقيهِ عندنا الاَّ ان اردوان ما تركهُ قط وقد فعل افعال العفاريت فبدد الوفًا من فرسان الهنود حتى وصل اليهِ وانتشلهُ من بينهم وعاد بهِ ومن تمكن هذه النعال فعالهم لا يقاسون بغيرهم ولا يعادون فانهم يفعلون كل ما يقولون ولا يمكن لاحد ان يتسلط عليهم او يخاصمهم بنجاح

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من كيوال وكتوال وقومهما فانهم بعد ان رجعوا الى الخيام وجدوا ان النقص قد وقع بهم كثيرًا وان حالتهم بتاخر عظيم ولذلك اجتمع كيوال باخيهِ وقال لهُ اني كنت لا اظن قط ان الفرس يثبتون هذا الثبات وان بينهم فرسان وابطال لم ينتج مثلها قط الزمان وعليهِ فاني اعتمدت ان لا اقاتلهم في الغد ولابد من رجوعنا الى الملك شنكال لنعرض عليهِ ما كان من امرنا ونخبر اخوتنا بما وقع علينا ولا ريب ان الملك ياتي بكل قوتهِ فهو فارس بطل ولديهِ كثير من الابطال فيسطو على رجال الفرس ونكون نحن معهم لان ما من امل بثبات الصينيين ولا يرجى منهم نجاح . فقال كتوال هذا ابقهِ الى ما بعد الغد فاني مزمع على ان ابارز الفرس في اليوم الاتي ولا بد من ان الصدف تساعدني فاقتل بهزاد واذا تاخرت معهُ تركنا بعد الغد الملك جهان ورحلنا الى بلادنا . قال اني اخاف عليك من ان يحل بك

ضرٌ او اذى . قال اني احاول ان امنع عن نفسي غدرهم ولا بد من النجاح او الخلاص وباتا تلك الليلة على مثل هذه النية وهم مومّلون انهم في الغد ينالون ما يطلبون

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك بهمن فانهُ رجع الى الخيام وهو مسرور بما راى في ذلك النهار من نجاح فرسانهِ وبطشهم وما وقع على كيوال ولذلك تلقاهُ بملء الاحضان وشكرهُ على فعلهِ وقال لهُ لقد ضربت ضربة تتحدث بها الفرسان جيلاً بعد جيل . قال اني مكدر يا سيدي من عدم نجاحي في هذا النهار فانهُ كان النجاح تامًا لو قتلت كيوال غير اني لم اصل الى غايتي ولي امل انهُ ان نزل مرة ثانية احرمتهُ هذه الدنيا وبعثتهُ الى دار الاخرة ولا ريب انهُ في الغد تحركهُ منيتهُ الى البراز على امل انهُ ياخذ لنفسهِ بالثار وبرفع ما لحق بهِ من العار او ان يبرز اخوه كتوال فاعدمهُ وانال منهُ المنال وكان خورشيد شاه قد بلغهُ ان ولدهُ شيرزاد قد اخذ اسيرًا قبل مجيئهِ الى صيوان الملك بهمن ولم يكن قط بلغهُ انهُ تخلص فصعب عليهِ الامر وارتبك مزيد الارتباك وخاف ان يلحق بهِ ما لحق بشيروه فجعل يبكي لذاتهِ وينوح . وبقي نحوًا من ساعة لا يرتاح ولا ياخذهُ هدو لتيقنهِ ان ابنهُ بقبضة الاعداء ولا بد من عذابهِ او موتهِ وكان اردوان قد اخذ شيرزاد الى صيوانهِ فاكل واياه الطعام وجاء بهِ الى مقام الملك بهمن دون ان يراه ابوه او يشاهدهُ او يعلم بخلاصهِ فتلقاهما الملك بهمن وفيروز شاه بالاحضان وهناهُ بالخلاص وشكروا اردوان على عملهِ ولهذا بقي خورشيد شاه الى نصف السهرة وهو حزين القلب منكسر الخاطر على فراق ولده الى ان هدأ روعهُ فلاح لهُ ان يقصد صيوان الملك ليرى ما يدبر بامر ولدهِ ولما دخل من باب الصيوان وجده محتبكًا مجتمعًا بالخاص والعام ورأى فيما بينهم شيرزاد الى جانب اردوان فصاح من الفرح ورمى بنفسهِ عليهِ يقبلهُ وهو لا يعلم من اي طريق جاء ولا من اوجده في ذاك المكان بعد اسره ووقعهِ بيد الاعداء ثم سالهُ عن سبب خلاصهِ فحكى لهُ عن جميل اردوان وما فعلهُ لاجلهِ وكيف خاطر بنفسهِ لينتشلهُ من بين الاعداء ولا يدعهم يتمكنون منهُ فشكر اردوان على جميلهِ ومدحهُ كل المدح وبعد انقضاء السهرة ذهب كل منهم الى صيوانهِ للمنام

قال وفي صباح اليوم الثاني نهض كلٌ من العسكرين على نية الحرب والقتال الا ان الفرس كانوا على اهنى سرور وانعم بال بخلاف الصينيين والهنود فانهم كانوا يعتقدون انهم ذاهبون الى الذبح لا يرجعون ولم يكن الا القليل حتى اصطف الصفوف وترتب الميشات والالوف وقوم كل سنانهُ واخذ عنانهُ ووقف ينتظر امر قوادهِ وامرائهِ وبينما هم على مثل تلك الحال واذا بفارس الفرس بهزاد قد صار في وسط الميدان وبين يديهِ الخدام والغلمان كانهُ اكبر سلطان . ثم امر الجميع ان يرجعوا الى الوراء وصال بعد ذلك وجال ونادى ان

يبرز اليهِ كيوال فبرز اليهِ كتوال واخذ معهُ في البراز والجدال بقتال يشيب رووس الاطفال . ويذكر على مدى الاعوام والاجيال . حتى حمي الحر وهوجر البر واتسع نطـاق الاعمال . واوغرت صدور الرجال وكثر بينهم القيل والقال . فبعضهم كان يدعو لبهزاد و بعضهم لكتوال وعند ذلك سمع من بين الاثنين صوتٌ كانهُ الرعد القاصف وكان صاحب ذاك الصوت بهزاد وقد ضايق خصمهُ كل المضايقة وفاجئهُ مفاجئة الاسود واشهر بيديهِ الحسام ونادى خذها ضربة من يد بطل الفرس وحاميها وسيد الاعجام وواليها . ثم ارسل الحسام فسقط يهوي على طارقة كتوال فشطرها وطيرها الى قطع متعددة ووقع السيف على يده اليمين فقطعها ووقع الى الارض كانهُ طود من الاطواد وحينئذٍ حملت الفرسان على بعضها البعض طالبة الحرب وخلاص فرسانها و بقي القتال الى المساء وكان الهنود قد توصلوا الى رفع كتوال من ساحة القتال بلا يدٍ ودمهُ يتدفق كانهُ انابيب المياه وفي المساء اجتمع بهِ اخوهُ كيوال وقال لهُ الم اقل لك ان لا تبارز بهزاد فهو من اشد من سائر الفرسان والابطال وما رايت ولا سمعت قط بوجود فارس مثلهُ قال اني تحققت ذلك واوصيك يااخي ان لاتبارز فارسياً بعد الان بل اذهب الى الملك شنكال واعرض عليهِ كل ما صار بنا واشكُ الى اخوتك عظيم المصاب الذي لحق بنا واجتمعوا الى اخذ ثاري فانا هالك هذه الساعة لا محالة فلم يبق من العمر الاَّ قليلةُ واني اشعر بانحلال الجسم منذ هذا الوقت . فبكى كيوال على اخيهِ وقصد مداواتهُ فلم ينجع فيهِ الدواء ولكنهُ فارق الحياة ومات على دهن النار محروقاً بعذاب مقدرة الفرس فقام عليهِ البكاء والصياح من كل جهة وناح وعملوا لهُ مناحة كبرى ثم دفنوهُ بالتراب . و بعد دفنهِ ذهب جهان الى صيوانهِ ودعا اليهِ مهريار وزيرهُ وقال لهُ اريد منك ان تنزل الان الى المدينة وتقيم على ابوابها مع الحراس هناك فاذا رايت في الغد وقد حمل علينا الاعداء وكسرنا الى جهة المدينة فافتح لنا الباب ومتى دخلنا اغلقها واذا وجدتنا لا نزال بعدين عن الكسرة و باقين في مراكزنا فاترك الباب مقفلاً كي لا يدخل احد قط غيرنا . قال سوف تعلم ما يكون مني وهانذا بعد قليل من الدقائق اجمع غلماني وخدامي واسير الى المدينة واهيء كل ما هو لازم لدخولنا اليها ومتى جئت افتح لك بالحال

قال ثم ذهب الوزير الى صيوانهِ ودعي بالاشوب وقال لهُ اريد منك ان تسرع باسرع من البرق الى صيوان فيروزشاه وتخبرهُ ان بقصد الملك جهان يدخل في الغد الى المدينة وقد اعهد اليَّ بحراسة الابواب ولذلك نويت ان لاافتحها قط الى ان يصل هو الى الباب برجالهِ ولو مهما صار واني ساترك بهمنزار وكرمان شاه و باقي الامراء والفرسان الذين عندي ان يقيموا عند الابواب حتى اذا وصلتم لاقوكم وفتحوا لكم ومنعوا كل من يدافع عن ذلك .

فاجاب سواله وسار حتى وصل الى صيوان فيروزشاه واخبرهُ بما ارسلهُ لاجلهِ الوزير مهريار ففرح غاية الفرح وايقن انهُ سيدخل المدينة في الغد وينال ما هو متشوق اليهِ وقال للاشوب بلغ مهريار سلامي واوصهِ ان يحافظ على كلامهِ وانا سابذل الجهد الى ان اطرد كل الصينيين عن الابواب وادفعهم عنها وادخل قبل كل احد . وبعد ذلك رجع الاشوب واخبر مهريار بما سمعهُ من سيد الفرس وعليهِ فقد ذهب مهريار مع خدمهِ وطلب من الملك جهان ان يدفع اليهِ ونك لغرض يريدهُ وهو ان يقيمهُ عند الباب وقت الدخول كي لا يدخل احد من الفرس الا ويظهر امرهُ وتعرف حالتهُ ويقبض عليهِ . فاستحسن جهان كلامهُ وامر ونك ان يذهب بمعية مهريار فسار وسار مهريار حتى جاء من الباب وامر الحارس ان يفتح لهُ ففتح ودخل ومعهُ ونك وهو يراقبهُ وقال لهُ اذهب معي الآن الى بيتي وفي الصباح نحضر الى الاسوار ونشاهد ما يكون من الفرس ومن قومنا فاجاب امرهُ وذهب معهُ الى بيتهِ فادخلهُ الى غرفة خصوصية وقال لهُ ابقَ هنا الى ان ارجع اليك ودخل على امراء الفرس وسلم عليهم وحكى لهم عن نجاح قومهم وقال لهم اريد اولاً ان تذهبوا وتقبضوا على ونك لاني ما احضرتهُ الا لهذه الغاية لاسلمهُ الى فيروزشاه وبهروز . ثم اهداهم على مكان وجودهِ فانقضوا عليهِ واوثقوهُ كتافًا وربطوه بالحبال وهو ينادي الخلاص وقد تاكد خيانة مهريار لمولاه واتفاقهُ مع الفرس

ثم ان الوزير امر احد خدمهِ ان يحضر خيلاً وسلاحًا ففعلوا وقال لرجال الفرس اريد منكم في الصباح ان تكونوا على اهبة الحرب حتى اذا دعوتكم تسرعون الى الابواب وتقتلون من هناك وتستلمون انتم المداخل واقيم انا على الاسوار ومتى دعوتكم لفتحها فافتحوها لاني لا ادع احدًا يدخل قبل فيروزشاه . فاستحسنوا قولهُ واملوا بنوال المراد وخلاصهم من هذا الاسر وكان اكثرهم فرحًا واشدهم سرورًا فرخزاد وكرمان شاه فان كلاً منهما كان يومل ان في اليوم الاتي سيلاقي ولدهُ ويبل شوقهُ بالنظر اليهِ ولم يكن كرمان شاه يعرف ان ولدهُ شيروه قتلهُ منكوخان على اسوار المدينة

قال وعند الصباح بكر فيروزشاه وهو مسرور الفواد ودعا اليهِ بهزاد واردوان وباقي الوزراء والامراء وقال لهم لا بد في هذا النهار بمساعدتهِ تعالى من الدخول الى المدينة والجلوس على تخت جهان وهدم معابد النيران فليكن كل منكم على حذر وعلى نية الدخول ومروا الخدم والعبيد ان تقلع الخيام لتدخلها معها فاطاعوا امره وفعلوا ثم امر الطبول ان تضرب للحرب والقتال وركب هو وتقدم في الاول ودعا ولدهُ ان يركب تحت علمهِ بموكبهِ العظيم وحواشيهِ وفرق الفرق واقام القواد على الترتيب الذي اختاره واخذ هو جماعة من الفرسان ومال بهم الى ناحية الشمال على امل ان يدرك الابواب قبل الجميع ويطرد الذين عنده ويملك المداخل

قبل الجميع

قال وكان الاعداء قد ركبوا وفي نيتهم ان يتفرقوا في ذاك النهار وكذلك كيوال فانهُ اوصى جماعة الهنود ان يتفرقوا و يذهبوا على طريق الهند و يتركوا الصينيين لوحدهم مع الاعداء وقد ايقن انهم هالكون بسيوفهم ولم يكن الاَّ مقدار نصف ساعة من الزمان حتى صاح فيروزشاه واندفع على الاعداء اندفاع السيول وتبعتهُ الابطال والفرسان وهم ينادون اليوم يوم الحرب والقتال اليوم بلوغ الغاية والمراد وانحطوا على جيوش الاعداء بثبات عزم وفرح لا يوصف واعينهم تضرب الى ظهر الاسوار لتروا اذا كان مهر يار قائمًا عليهِ فرأوه منذ الصباح وترجح عندهم نوال ما يتمنون وجودوا الطعن وانقسموا الى قسم وفرق وقد ظن قوم الصين ان الدنيا ملئت رجالاً واينما ساروا راوا فرسان الفرس تلحقهم وتضرب فيهم وتقف في وجوههم ولهذا انقرضوا وتشتتوا والووا عنان خيولهم وكروا راجعين الى الوراء قاصدين ابواب المدينة وفي نيتهم ان مهر يار يفتح لهم الابواب لاسيما وقد راوه واقفًا ينظر الى البر فوصلوا الى تحت الاسوار وجعلوا ينادون ويصيحون بهِ ويطلبون اليهِ ان يفتح وهو متجاهل ينظر الى الوراء كانهُ لم يرهم قط حتى ازدحمت الاقدام واذا بجهان قد وصل مهزومًا ففتحوا لهُ الطريق واخبروه ان مهريار لا يفتح الابواب فقال لقد اصاب اذ لا يقبل ان يفتح لاحد قبلي ثم صاح بهِ ونادى باعلى صوتهِ يامره بفتح الباب فلم يجبهُ قط ولا وعى اليهِ . هذا وفيروزشاه يقاتل ويضارب ويفرّق الفرسان ويبذل الجهد الى تفريقها وهي تفر من بين يديهِ كما تفر الحجال من البواشق وسد بهزاد في وجوههم كل مذهب واهلك منهم قومًا كثيرًا ولم يكن فعل اردوان باقل من هذا الشان ومثل ذلك عموم امراء ايران وابطالها الشجعان . ولما قطع الرجاء جهان من فتح الباب عول على الهرب لانهُ راى جيوش الفرس قد صارت قريبة منهُ فاذا ثبت مكانهُ استأسرهُ وقادوه ذليلاً حقيرًا وثبت عندهُ ان المدينة ستاخذ بعد دقائق فحزن كل الحزن وطلب النجاة وهو يرجو ان يخلص قبل ان يعلم بهِ احد ولا زال هاربًا وتسهل لهُ الهرب الى ان بعد عن المدينة وتبعهُ كثير من قومهِ وكذلك رجالها الهنود مع كيوال فانهم تفرقوا من اول النهار وغابوا عن تلك الديار فشغل رجال الفرس عنهم بالدخول الى المدينة لان الابواب قد فتحت عند وصول فيروزشاه اليها برجالهِ وقومهِ وفرسانهِ الصناديد

قد انتهى الجزء الحادي والعشرون ويليهِ الثاني
والعشرون عما قريب ان شاء الله

الجزء الثاني والعشرون

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

قال وكان مهريار في صباح اليوم كما تقدم الكلام نهض الى فرخوزاد وقال له خذ رفاقك واظهر الى العيان بالمدينة وقف على ابوابها واقتلوا الحراس الذين هناك ومن قرب من الباب فاقتلوه واعدموهُ الحياة ولا تدعوا احدًا يقرب منهُ الى ان أوعز اليكم فتفتحوها ليدخل قومكم فاسرع الى الخيول مع قومهِ وركبوها وتقلدوا بنصولهم وساروا الى جهة الابواب والناس تنظر اليهم ولا احد يقدر ان يقرب منهم حتى وصلوا الى الباب فهجموا على الحراس وفرقوهم عنهُ والذي دافع قتلوهُ وسلموا المفاتيح ووقفوا يهدرون كالجمال ويزأرون كالاسود وهم لا يصدقون بدخول قومهم المدينة ولبثوا الى ان اشار اليهم مهريار بفتح الباب ففتحوهُ واذا بفيروزشاه راى الفتح فاندفع منهُ الى الاسواق وتدفقت من خلفهِ بحور الرجال زاخرة على كل نواحي المدينة وتفرقوا الى الاسوار فملكوها واعتلوا على اسوارها وامر فيروز شاه ان تنزل الاعلام الصينية عن الحصون والابواب وان تهدم كل الابواب المسدودة وان ينادى بالمدينة انها دخلت في حوزة الفرس وان الملك عليها هو بهمن بن فيروزشاه فمن وافق فليحضر صاغرًا ويبدي طاعتهُ ومن امتنع كان جزاؤهُ الموت وفوق كل ذلك فانهُ امر بهروزان بذهب الى معابد النار فيهدمها وينزل الاصنام فيكسرها ويحرق كل ما هو فيها ولا يبقى اثرًا لغير عبادة الله سبحانهُ وتعالى فانطلق وفعل كما امرهُ سيدهُ مع جماعتهِ العيارين وهدم كل حجر قائم للعبادة ونزع عبادة النيران منها ورجع الى سيدهِ فاخبرهُ بما فعل ففرح غاية الفرح وشكر الله . قال وكان فيروزشاه قد دخل مع ولدهِ بهمن الى قصر جهان وجلسا فيهِ ومعهما الوزراء والامراء واخذت الفرسان تتقاطر واحدًا بعد واحد ويجلسون في مراكزهم فرحين مسرورين بهذا النصر الجيد والفتح المبين فجلس بهزاد والى جانبهِ شيرزاد ودخل فرخوزاد وكرمان شاه وسيامك سياقبا وبهمنزار وغيرهم من الفرسانُ الذين كانوا داخل المدينة على الملك وسلموا عليهِ وعلى طيطلوس والجميع وهنأوهم بالنصر والفتح ونظر مصفرشاه ما بين الفرسان وفي نيتهِ ان يرى ولدهُ اردوان فلم يقف على خبره ولا وجدهُ بين قومهِ فتعجب من ذلك وسال عنهُ فيروزشاه وبهزاد والملك بهمن فتعجبوا لغيابهِ من بينهم وسالوا بعضهم البعض اذا كان احدًا راه فلم يرهُ احد فزاد كدرهم وغيظهم وخافوا من ان يكون لحق بهِ اذى او نالهُ مكروهٌ وحينئذٍ قال لهم شيرزاد اني وقت القتال كنت قد رايتهُ يقاتل في جيوش الهنود و يطاعن في اقفيتها عندما طلبت الفرار وحيث قد فتحت ابواب

المدينة لم اعد اراهُ وشغلت بالدخول لظني انهُ سيسرع ويدخل كغيره من الفرسان ولا اعلم ان كان بقي في اثرهم او سار الى غير جهة . فقال طيطلوش ان صدقني ظني يكون قد تاثر وحدهُ جيوش كيوال فوقع بايديهم وقادوهُ ذليلاً لكثرتهم وطمعهم فيهِ انهُ لوحده وان فرسان الفرس منقطعة عنهُ واخاف ان يحصل لنا بسببهِ ايضًا عائق كبير ومانع عظيم فقال بزرجمهر اني ارى من الصواب ان يسير بهزاد في هذه الساعة وياخذ معهُ خمسين الف فارس ويتاثر عساكر الهنود قبل ان يصلوا الى بلادهم او يقدروا على منع اردوان عنا واذا سار في هذا الليل الاتي يقدر ان يدركهم في الصباح لانهم لا يسيرون بالليل فنهض بهزاد وقال لفيروزشاه ارجوك ياسيدي ان تسمح لي بما اشار اليهِ بزرجمهر خوفًا من ضياع الوقت لان لاعيشة لي بغير اردوان ولا يطيعني قلبي ان لا اعرف مكانهُ واني اسير بهذه الساعة فاذا كان بين الهنود خلصتهُ والا فاكمل عليهم ويلهم وارجع افتش عليهِ في مكان اخر . قال سر بسرعة وخذ معك عياري بهروز وباقي الفرسان الذين تختارهم انت ولا ترجع الا بهِ اذا كان بين الهنود

فنهض بهزاد حالاً وركب جوادهُ وانتخب معهُ خمسين الف فارس من اشداء الفرس وبين يديهم بهروز يسير كانهُ فرخ النعام وخرجوا من المدينة وساروا على طريق الهند الى ان كان المساء وعند المساء نزلوا الى الارض واكلوا وارتاحوا واطعموا خيولهم ثم عادوا الى ظهورها فركبوها واندفعوا سائرين وفي اوائلهم بهزاد الاسد الكاسر يتمنى بشوق زائد ان يصل الى عساكر الهنود ليرى ان كان اردوان هناك فيخلصهُ وبقي سائرًا كل ذلك الليل الى ان اشرقت غرة الصباح واضاء بنوره على البسيطة ولاح فتبين بهزاد ما امامهُ واذا بجيوش الهنود سائرة عن بعد قليل فصفق من الفرح وامر قومهُ بالمسير وسرعة الجد والتشمير فانقضوا كالجنادل وقلوبهم مملوءة فرحًا املاً بالوصول الى خلاص اردوان

قال وكان كلام طيطلوس عن اردوان بمحلهِ وبمكان الاصابة لانهُ لما وقع القتال واستعرت نيران الوغى جعل همهُ وشغلهُ قتال الهنود على امل انهُ يقع بكيوال فيعدمهُ الحياة الى ان انهزموا فسار في اثرهم ثامل بعملهِ سكران بخمرة فوزه لا يعلم ما يجرى من غير جهة واخذ فيهِ الطمع كل ماخذ عندما راى ان الهنود قد ركبوا طريق الهرب مسرعين لا احد ينظر الى ورائهِ وحدثتهُ نفسهُ وبسالتهُ ان لا يرجع عنهم حتى يفنيهم عن اخرهم وما مضى عليهِ نحو ساعتين من ذلك حتى بعد عن المدينة وتلك النواحي وشعر الهنود انهُ يتاثرهم لوحده وان قومهُ منقطعون عنهُ فاخبروا بهِ كيوال فالوى عنان فيلهِ وامر قومهُ ان يعودوا اليهِ باجمعهم وقال لهم اذا اسرناه نلنا بهِ غايتنا وما نتمناهُ . ثم انهم انقضوا عليهِ واحتاطوا بهِ من كل جهة وهو يطاعن ويضارب وينادي بندائهِ المعتاد انا اردوا ابن اخي بهزاد حتى التقى بكيوال فاخذ معهُ في الطراد والنزال

والفرسان تحيط بهِ من كل جهة طالبة مسكهُ وهو يحاول من بينهم الخلاص وكلما صاح فيهم فرقهم غير ان كيوال كان يمنعهُ من اتساع المجال ويضيق عليهِ اي تضييق وقد تقدم معنا انهُ كان يحسب من ابطال ذاك الزمان واشدائهِ ولذلك بمساعدة الكثرة تغلب على اردوان فقتل ووقع الى الارض فانحدفوا عليهِ و بعد قتال ليس بقليل وقع بايديهم فشدوا كتافهُ واوثقوه بالحبال وقادوه الى امام كيوال ففرح بهِ غاية الفرح وقال لهُ اتظن انك تقدر على الخلاص بعد ان قادتك النار الينا غنيمة لناخذ منك بثار كتوال الذي قتلهُ عمك بهزاد ولا بد ان اقتلك بهِ وادع عمك محروقًا عليك كل العمر. فقال لهُ ويلك يا كيوال المثلي يقال هذا الكلام فاقتلني في هذه الساعة فالموت اهون لديَّ من ان اوخذ اسيرًا وما اسرتني وحدك بل بكل قومك ولو كان معي من يحمي ظهري لكنت عجزت عن ان تدنو مني انت ولو كان برفقتك جموع الهنود وجيوشهم باجمعهم فاقصر الكلام وافعل ما انت فاعل واكد ان لا بد من ان يسير عمي بهزاد في خلاصي ولو اخذت الى داخل جبال قاف وياخذ لي بثاري ولو كان قاتلي سيف ابن زي يزن او ابنهُ ضمر الجبار. وقد شاهدت بعينيك فعالهُ ورايت ما حل بك وباخيك منهُ . قال ان الدهر يومان يوم لك ويوم عليك ولذلك لا بد من انقلاب الايام واذا جاء عمك كانت تلك اخرتهُ ثم امر ان يوضع عليهِ الحرس ويحافظ من كل ناحية ولا يغفل عنهُ خوفًا من ان يتخلص ولما امسى المساء نزلوا عن خيولهم وباتوا في تلك الناحية وهم آمنين من لحاق الفرس بهم لعلمهم ان لا احد منهم عرف بانهم اسروا اردوان فصرفوا تلك الليلة للراحة من عذاب ذاك النهار وتعبهِ وفي الصباح نهضوا وركبوا خيولهم وقصدوا جهة بلادهم الاَّ انهم ما ساروا مقدار نصف ساعة حتى لاحت لهم اعلام الفرس تلوح من خلفهم وهم مسرعون الجري كانهم البواشق فقال لهم كيوال عودوا الى الحرب فاني لا اسلم بخلاص اردوان ولو مهما صار واني اسال النار ان توصلني الى اسر غيره من الابطال الاماجيد المعدودين بين جيوش الفرس لنكون رجعنا منتصرين وما ضاع لنا تعب قط وفي الحال داروا رؤوس خيولهم والتقوا جيوش الفرس

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من رجال الفرس فانهُ بعد ان سار عنهم بهزاد سال كرمان شاه عن ولدهِ شيروه كما سال فرخوزاد فقال لهُ طيطلوس الا تعلم ان لنا اله رحمة وتعزية وانهُ هو الذي يبعث لنا بالاولاد وهو الذي يسترجعهم منا وان وجودنا في هذه الدنيا لهُ ومنهُ واخيرًا اليهِ فهو القاضي والخصم عند القضاء لكنهُ لا يحكم بغير الحق والعدل بكل ما يرضاهُ ويختارهُ وعليهِ فاني اخبرك باسف ان ولدك شيروه رحمهُ الله قد فقد وقتل على اسوار المدينة ظلمًا واشكر الله الذي قدرنا على اخذ ثارهِ . فلما سمع كرمان شاه بموت ولده حزن جدًّا ولطم على وجههِ من الحزن ولم يقدر على مقاومة الطبيعة ومدافعة الاميال البشرية التي تسلطت

عليهِ والقتهُ بغتة في حجر الياس والكدر فناح نوحًا ليس بقليل وطيطلوس وفيروزشاه وباقي الإمراء يصبرونهُ وما منهم الا من تذكر شيروه فبكي عليهِ وكان لهُ مناحة عظيمة كبرى في كل رجال الفرس الى ان كان اليوم الثاني وفي اليوم الثاني سال الملك بهمن مهريار الوزير عن منكوخان اذا كان عرف بمكان وجودهِ فقال اني لا اعرف قط وقد تركتهُ مع جهان خارج المدينة قبل دخولها اليها واذ ذاك تقدم بدرفتات وقال للملك اني اعلم ياسيدي بحالتهِ فهو مقتول الان وشلوهُ بين المقتولين متروك لحرارة الشمس وعفار الارض . قال ومن قتلهُ قال ان الذي قتلهُ ياسيدي هو بهروز العيار وقد رايتهُ عند وصول سيدي فيروزشاه الى قرب ابواب المدينة قد قصد الهرب والفرار خلف جهان فوقعت عليهِ عينا بهروز وهو من وراء مولاي فيروزشاه يطعن بخنجرهِ كل من يقرب منهُ واذ ذاك قال لي ابقَ مكاني يابدرفتات ولا نبارح قط سيدي فيروزشاه ثم قمز كالغزال متخللاً الجيوش حتى انهُ باسرع من حصو الطير صار عندهُ فطعن جوادهُ بسكينهِ القاه مائتًا ووقع منكوخان على ام راسهِ فقضي عليه فشرحهُ بهروز واذهب منهُ الحياة ورجع كالبرق وقد فعل كل ذلك بمدة لاتزيد عن الربع ساعة . فتعجب الجميع من عمل بهروز واشتفوا بمنكوخان وقال فيروزشاه لبدرفتات اريدك ان تذهب بين القتلى وتفتش على جثتهِ فاذا وجدتها فاحرقها بالنار فاجاب امرهُ وفعلهُ في الحال ومن بعد ذلك اخذت الناس من سكان المدينة ورجالها ترد افواجًا افواجًا الى حضرة الملك بهمن تقدم لهُ طاعتها وتاخذ لنفسها منهُ الامان وهو يهش ويبش في وجهها ويمدح منها ويعرض عليهم عبادة الله فيصغون اليهِ ويسمعون كلامهُ لانهم سروا من عدلهِ وحكمهِ وكان بظنهم ان الفرس متى دخلوا المدينة نهبوها واوقعوا باهلها وفضحوا نساءها فشاهدوا عكس ما ظنوا وراوا ان الفرس يكرمونهم ويحافظون على راحتهم وما من احد منهم تعدى على رجل من سكان المدينة او حكى امراة منها فعلموا انهم كرماء وان دينهم حق يعلمهم الرحمة والعدل

ولنرجع الى بهروز فانهُ كما تقدم معنا الكلام انقض على جيوش كيوال وهو يصيح وينادي ويلكم اوغاد غير امجاد قد جاءكم البطل بهزاد اين تغدون مني او تفروا من امامي ثم اشهر بيده الحسام وتبعهُ قومهُ وفي دقائق قليلة اضطرمت نيران القتال واتسعت بالاشتعال وعمل السيف القرضاب في موقع الصدور ومحكم الرقاب . وكانت ساعة تشيب الاطفال . بطل فيها القيل والقال . وشغل كل فارس بالجدال . وبقي الحال على مثل هذا المنوال . وبهزاد يطاعن في صدور الرجال فيمددها على بساط الرمال ويصيح فيشردها بين الروابي والتلال . الى ان التقى بكيوال . وهو على ظهر الفيل بزأر كاللبوة الفاقدة الاشبال . ففرح بملتقاه وصاح بهِ وناداه وقال لهُ ويلك قد آن آوان رحيلك من هذه الديار فاستعد لشرب كاس البوار ثم اخذ

بالجولان . واختلاف الضرب والطعان . كانهما كفتا ميزان . او بيضتا قبان . وبينما هما على مثل ذلك الشان . والفرسان تسعر نار الحرب في كل مكان . واذا بصوت البطل اردوان ينادي بين اولئك الشجعان . و ينقض انقضاض فروخ الجان . و يطعن في الصدور فيخرقها و يضرب في النحور فيشقها

قال وكان سبب خلاصهِ انهُ لما قام سوق الحرب والطراد كما تقدم معنا الا براد . اندفع بهروز العيار واغتنم فرصة انشغال القوم وهو مستل بيده خنجرهُ واخترق الصفوف من ناحية الى ثانية مفتشًا عن مكان وجود اردوان الى ان وقع بهِ وهو مقيد الايدي والارجل محاط بجماعة من الفرسان الذين وضعهم كيوال لمحافظتهِ فصاح فيهم وقال لهم ويلكم خلوا عن اردوان والاَّ حل بكم الويل والهوان . فقد جاءكم بهروز العيار فنزل بالاعداء المصائب والاكدار وجعل يخترق صدورهم و يخطف من واحد الى واحد باسرع من البرق حتى اعمى بصائرهم وضيع عقولهم وانقطعت ظهورهم عند سماعهم ذكر اسمهِ ومشاهدتهم لافعالهِ فتركوا اردوان و بعدوا عنهُ طالبين الحياة والنجاة فاسرع اليهِ بهروز وقطع عقالهُ وقال لهُ ابشر يا سيدي بالخلاص فان الذي اسرع لاجل خلاصك عمك بهزاد وهو يقاتل الان ويناضل ويبدد الفرسان ولا يلبث ان يفرقهم ويبدد شملهم فلما سمع هذا الكلام قفز عن الارض الى ظهر جواد هناك دون ان يبدي كلمة وسال بهروز ان يقدم اليهِ سلاحًا من اسلحة المقتولين ففعل ومن ثم انطلق انطلاق الصاعقة ورمى بنفسهِ على جيوش الهنود وهو ينادي باسمه و يعرفهم بخلاصهِ حتى ارعبهم وايقنوا بالهلاك ولولا ثبات كيوال مع خصمهِ بهزاد لطاروا في النواحي واختفوا من اعين رجال الفرس غير انهم ثبتوا لثباتهِ العجيب وقدموا نفوسهم ضحايا لسيوف الاعداء فالتهمتهم مزيد الالتهام واختطفت ارواحهم من الابدان

قال ولما سمع كيوال اصوات اردوان عرف انهُ تخلص ورجع الى القتال فوقع من اجل ذلك باسواء الاحوال ولحق بهِ الخوف والانذهال واحتار اي طريق يسلك وفي اي مجال . وفيما هو على مثل ذلك واذا ببهزاد قد صاح فيهِ وحمل عليهِ وضربهُ بسيفهِ فوقع على وسط الزنار ابراهُ كما يبري الكاتب القلم ووقع عن فيلهِ كالطود المدد ولما رات فرسانهُ ما حل بهِ طلبوا الفرار طمعًا بالخلاص من الموت والاندثار فتاثرهم بهزاد واردوان وباقي الابطال والفرسان وجعلوا يضربون باقفيتهم حتى بددوهم كل مبدد وفرقوهم كل تفريق وشتتوهم كل تشتيت ورجعوا بعد ذلك عنهم وجمعوا الخيول والاسلاب وهنا بهزاد اردوان بالخلاص وقبلهُ ما بين عينيهِ فشكرهُ على اهتمامهِ بهِ وعادوا راجعين بالنصر والظفر الى ان قربا من المدينة و بلغ الخبر الملك بهمن بوصول بهزاد كاسبًا غانمًا وخلاصة لاردوان ففرح مزيد

الفرح وارسل بطيطلوس وبرجمهر وزيرهِ وجماعة من الامراء والاعيان لملاقاة بهزاد واردوان وان تخرج النوبات العسكرية والموسيقات السلطانية وان يجرى احتفال ملاقاتهما عظيماً كالواجب فخرج الجميع حسب امرهِ وخرج فرخوزاد وهو لا يصدق ان يلاقي ولدهُ ويشاهده بخير وعافية الى ان اجتمع بهِ قبل الجميع فارتمى عليهِ وجعل يقبلهُ وهو يذرف دموع الفرح والاستبشار فجعل اردوان يقبل يديهِ وصدرهُ ويبكي ويقول لهُ اصحيح يا ابتاه اني اراك واخاطبك وبعد ان جرت الملاقاة على احب ما يرام رجع الجميع بالدفوف والطبول وهم يثنون على بهزاد الى ان دخلوا المدينة وجاءوا قصر جهان المقيم فيهِ ملوك الفرس فدخلوهُ وحينئذٍ لاقاهم الملك بهمن وفيروزشاه الى خارجهِ وقد كان مشغل البال على اردوان لا يصدق ان بهزاد يتوصل الى الوقوف على خبرهِ باسرع آن الى ان بلغهُ رجوعهُ ولما راى بهزاد مدحهُ وشكرهُ وقبلهُ بين عينيهِ ودام الفرح عاماً الى ان جلس كل انسان بمركزهِ ومن ثم جعل بهزاد يحكي لهم ما كان من امره وكيف قتل كيوال وفرق من كان معهُ من الرجال فقال لهُ فيروزشاه ان اعمالك بيننا لا تنكر فانت اكثر مما نقول ونقدر ان تفعل بيوم واحد ما لا يفعلهُ غيرك باعوام ثم عملوا عيداً عظيماً احتفالاً بدخولهم المدينة ونصرهم على الاعداء بعد صرف مدة سنين قدموا غاية الشكر لله سبحانه وتعالى

قال وبعد دخولهم المدينة بايام اي عندما راق بالهم وهدأ روعهم واطمئنوا من جهة تدبير المدينــة وتقرير احوالها جمع فيروزشاه مجلسهُ الخاص والدون وقال لهم لا يخفى ان كل واحد منكم يعلم ما لقى اخ سعدان لاجلي ولاجل قومي اي انهُ تعذب العذاب الاليم من ذلك وقتل ولداهُ دون ان يسلم بنا او يشهر امرنا ولهذا اريد ان اكافيهُ مكافاة يستحقها ومثلهُ فيرموز غير اني قبل كل شيء اريد ان احكم اخ سعدان مكان ولدي بهمن يوماً واحداً واعهد اليهِ بامر عدوه يفعل بهِ ما يشاء ويكون كل الامر بيده يفعل ما يختار . فقال لهُ طيطلوس من كان مثل اخ سعدان لا يترك بلا مكافاة ولا ينسى قط ثم ان فيروزشاه احضره اليهِ مع فيرموز وترحب بهما غاية الترحيب واجلسهما بين وزرائهِ وابناء عمهِ . ثم نهض واقفاً وقال لولدهِ بهمن اني اريد ان ارفع التاج عن راسك هذا اليوم وانزع خاتم الملك من يدك واسلم بصولجانك الى اخ سعدان ليكون الحاكم فينا والامر علينا عسى من غاية لهُ يريدها فنجريها طاعة لهُ على السرعة والاستعجال . فاجابهُ بهمن بالطاعة وقال لهُ انت ابي ومن حقك عزلي وتوليتي فافعل ما انت فاعل فوقف في الحال ووقف لوقوفهِ كل من كان في المجلس وتقدم من ولدهِ فرفع التاج عن راسهِ ووضعهُ على راس اخ سعدان وهو يمتنع ويرجوهُ ان لا يفعل اذ لا يستحق هذه النعمة ثم اجلسهُ على كرسي ولدهِ بعد ان وشحهُ بالوشاح الملكي واصبح الحاكم والمالك بكل دولة الفرس ومن

يتعلق بها و بارك لهُ جميع الحضور وهنأ وهُ ثم ان فيروزشاه امر ان يوتى بونك العيار من السجن الى ذاك المجلس مقيدًا ففعلوا وجاءوا بهِ اسيرًا حقيرًا الى ان وقف بين يدي اخ سعدان وهو بحالة يرثى لها وقد ايقن بالهلاك والممات وثبت في ذهنهِ كل الثبوت انهُ ما جاء الى مثل هذه الدعوة الا للانتقام ولما صار في الوسط اضطرب جميع من لهم عليهِ الثار ولاسيما سيامك ومصفرشاه لانهُ عذبهما واذ ذاك نهض فيروزشاه ووقف بين يدي اخ سعدان وقال لهُ هذا عدوك الان بين يديك تفعل بهِ ما تريد وتختار وقد احضرتهُ لتامر بموتهِ على الطريقة التي تختارها ولا لزوم لمحاكمتهِ لان كل فرد من افراد الرعية يعلم بارتكاباتهِ العظيمة التي ارتكبها ضدك وضد فيرموز وضد امرائي واولاد عمي وما منا من يعارض فيهِ فاحكم انت لنفسك بما شئت وعلينا انفاذ حكمك

قال فاطرق اخ سعدان الى الارض برهة ثم رفع راسهُ وقال لا خفاكم ايها القوم من وزراء وامراء واعيان ان هذا ونك قد عذبني عذابًا اليماً وامات لي ولدين وتركني الى الابد محروقًا عليهما وعليهِ فان قصاصهُ رحمة وعدل فاجابهُ الجميع ان موتهُ من الفروض الشرعية والواجبات العدلية وما من احد الاَّ و يعلم بخباثتهِ ورداءتهِ. ثم قال اخ سعدان ان سيدي فيروزشاه اعهد اليَّ بزمام الامر في قصاصهِ فلو قتلهُ هو لكنت راضيًا واشتفي بموتهِ انما الان ارى ان جلوسي على مثل هذا التخت المعروف بالعدل والرحمة يحتاج الى النظر بالحلم والعقل وعليهِ فاني لا اريد ان اقاص بنفسي عدوي بل احب ان اتركهُ واسامحهُ وانسى كل ما فعل لاجلي فلما سمع فيرموز وسيامك ومصفرشاه هذا الكلام انفطرت مرائرهم وانشقت اكبادهم ولعب بهم حب الانتقام ولولا هيبة فيروزشاه لنهض سيامك وقطعهُ بسيفهِ ثم ان طيطلوس قال اعلم ياسيدي الملك ان الرحمة في مثل هذا الرجل ظلم وان الله سبحانهُ وتعالى يامر بقتل القتلة والشريعة في كل المذاهب تاذن بقتل القاتل عمدًا فكم بالحري هذا الذي تعمد قتل ولديك وزوجة فيرموز وعذب قومنا وما من حسنة لهُ في العالم تذكر فتشفع بهِ عن جناياتهِ. فقال اخ سعدان اني اعرف ذلك لكن ان مولانا فيروزشاه اعهد اليَّ بامرهِ لتاكده ان اكبر جريمة ارتكبها ضدي وانا ارى من نفسي اني خصمهُ الاكبر وعدوهُ الالد والشريعة لا تأذن الخصم ان يكون حكمًا فلو امرت بقتلهِ اكون ظالمًا وما سبق ان سمع عن صاحب عرش الفرس ان ظلم يومًا وقد سبق مني امر العفو فلا ارجع عنهُ ولو كان امرهُ بغير يدي وحضرت واياه امام حاكم اخر لما طلبت غير قتلهِ وسالت ذاك انصافي منهُ اما الان فانا الخصم والحكم. وفضلاً عن ذلك فارغب ان يقال عني اني بعد ان كنت قادرًا على اشد الناس عندي بغضًا وعداوة عفوت عنهُ والعفو عند المقدره سيمة بالكرام لا ينكرها اولوا الالباب

وكان يتكلم بمثل هذا الكلام وفيرموز يتكدر من كلامهِ ويغتاظ مما يسمعهُ منهُ ولا يقدر ان يبدي كلمة لعلمهِ انهُ المالك وانهُ لا يقدر احد على ممانعتهِ . وبعد هذا قال فيروز شاه ما من وسيلة لارجاع امراخ سعدان وحيث قد عفى عن ونك فذاك جائز ومقبول من كل مجلسهِ فاجابهُ اليهِ الجميع . وفي الحال امراخ سعدان بهروز ان يفك وثاقهُ ويطلق سبيلهُ فاجاب بهروز في الحال امره ونقدم من ونك وهو يضحك مظهرًا عدم اكتراثهِ بذلك وبعد ان حل وثاقهُ قال لهُ لا تفرح بهذا الخلاص فاني اعرف انك لابد من الرجوع الى اطوارك الخبيثة وسوف ترتكب جرمًا اخر تموت لاجلهِ ويكون موتك من يدي اذ اني لا انسى لك جريمتك ضدي وما ارتكبتهُ بسرقتك لزوجتي وهذا سيبقى الى حين انتقامي منك . هذا وونك لا يصدق كل ما يسمع ولا يعلم نفسهُ هل هو يحلم ام في يقظة وهل ينتهي خلاصهُ ام لا الى ان فك بهروز كتافهُ واطلق سبيلهُ فكاد يطير قلبهُ من الفرح ونقدم من اخ سعدان يقبل يده فمنعهُ وقال لهُ اخرج الان في الحال ولا ترني وجهك بعد الان فخرج مسرورًا فرحًا وهو يقول لنفسهِ ماذا جرى ان هذه رحمة من النار اهل خلصت من القتل نعم خلصت وهذا انا مطلق الايدي والارجل اسير لوحدي املك حريتي لا احد يعترضني بامر او يطالبني بجريمة وبقي سائرًا الى ان وصل الى بيتهِ فدخل وجلس متفكرًا في حالته وسال نفسهُ ثانية الى اين يذهب وماذا يعمل واذ كانت نفسهُ خبيثة ظالمة وقع بالارتباك العظيم بسببها ثم حدثتهُ ان يذهب في اثر سيده جهان ويبحث عنهُ في اي مكان فيقيم عنده غير انهُ فكر فكرًا مشومًا وقال لا يجب ان اذهب الان ما لم اترك اثرًا في ملوك الفرس يذكر واري بهروز كيف يقدر ان يقتلني بيده وينفذ غايتهُ فيّ ويظن ان الجرة في كل مرة تنزل الى البئر وتخرج سالمة واقام يترقب الفرص لاجراء ما نواه . وانعم فيروز شاه على اخ سعدان وفيرموز بالاموال الغزيرة واخصهما الضياع الكثيرة وجعلهما من اخصائه

قال وقد سبق معنا قبلاً ان لجهان ملك الصين بنت اسمها شمس وكانت بديعة بالحسن الفائق النادر المثال وكاملة بكل اطوارها واميالها مهذبة فصيحة وكانت تسال اباها على الدوام ان يصالح الفرس ويتفق معهم والظروف تعاندها بارادتها وابوها لا يرى وسيلة لاجابة سوالها الى ان كانت ذات يوم وهي جالسة بقصرها وموقعها تجاه دار الاحكام التي كان لابيها وصل اليها الخبر ان الفرس افتتحوا المدينة بعد كسرهم جيوش ابيها واخذوا بدخولها ويتملكون اسوارها واماكنها فتكدرت في داخلها وقالت اني كنت خائفة من وقوع مثل هذا الامر الا انها تجلدت وقالت لقهرمانتها وكانت سوداء واسمها خاطرة اني اريد ان اجلس مختفية في احدى طاقات قصري اترقب دخول الفرس الى دار احكام ابي لانظرهم وارى ابطالهم وفرسانهم وملوكهم قالت اجلسي في الطاقة واتركي ستارها وانظري من خلالهِ واني اجلس الى جانبك لارى انا ايضًا

ذلك . فدنت من النافذة المطلة على دار الاحكام ونظرت الى الاسفل فوجدت الناس تتراكض من جهة الى ثانية والمدينة باضطراب عظيم والاصوات مرتفعة من كل ناحية وبقيت جالسة وهي تتاثر من كل ما ترى وكان حبها لوطنها ولابناء جنسها قائم على الدوام في داخلها وبينما هي على مثل ذلك اذا بجماهير الفرس قد اقبلت الى تلك الجهة وهي تتقدم صفوفًا صفوفًا فوجهت بكل انظارها اليهم وهم يمرون ويصطفون خارج دار الحكومة الى ان وصل الموكب الاكبر وهو محفوف بالابطال والفرسان المشاهير وهم يرهجون بالاسلحة كالكواكب وفيما هي تنظر رأت اولاً فيروز شاه تقدم من الباب ونزل عنده عن جواده واسرعت الخدم واخذت الجواد ومشت بين يديهِ فعرفت انهُ من اعظم الفرس واكبرهم لانهُ دخل قبل الجميع ولم يدخل احد قبلهُ وقالت القهرمانتها اني ارى الذي دخل من السادات والملوك العظام الا اني لا ارى على راسهِ اكليل الملك وهو لا ريب ابو الملك بهمن الذي يقال انهُ لا يزال بسن الصبوة ومع انهُ بسن لا ينقص عن الاربعين منهُ فهو جميل الوجه للغاية ذو هيبة ووقار لم ارَ قط بين رجال الصين مثلهُ . قالت نعم اني ارى ذلك كما اني ما رايت قط رجلاً من كل الذين مروا الا وعليهِ سمة الحسن مما ياخذ بالابصار والافكار فهذا عند قولك هو فيروز شاه

وفيما هما تتكلمان نظرت شمس الى شاب جليل القدر جميل الخلقة معتدل القوام بسن الفتوة لم ينبت نبات بعارضيهِ وعلى راسهِ تاج من الجواهر يضيء ويلمع كانهُ كوكب قد تقدم من الباب فتراكضت الابطال والفرسان ما بين يديهِ فانزلتهُ عن الجواد الى الارض ودخل من الباب بعد الاول ومن ثم اخذ الفرسان من بعده تدخل افواجًا افواجًا بترتيب ونظام . ولما راتهُ شمس عرفت انهُ الملك بهمن الا انها جمدت في مكانها تنظر اليهِ ضائعة العقل وقد اخذت بحسنهِ وجمالهِ وضاع عقلها على غير قصد منها وارادت ان تحاكي قهرمانتها فانعقد لسانها في الحال وخافت ان يضيع الوقت بذلك فتفوتها لحظة من النظر الى جمالهِ وبقيت على تلك الحالة وقلبها يخفق ويهلع وكل جوارحها تتحرك وتحن الى تاثر الملك بهمن وبقي شخصها متصورًا امام عينيهِ وكلما مضت دقيقة زادت بها الحال حتى لحظت منها ذلك قهرمانتها وراتها على غير الاستواء فقالت لها ماذا جرى لك يا مولاتي ومن اي سبب لحق بك هذا الاضطراب فلم ترضَ ان تكتم عنها امرها لعلمها ان الاباحة بالحب تخفف من مصائبها وان خاطرة قائمة على الدوام بخدمتها كاتمة لاسرارها لا ترضى لها الا ما ترضاه هي لنفسها فقالت لها هل رايت هذا الشاب الجميل الذي دخل الباب . قالت رايت الجميع فكلهم جميلون وبديعون فايهم تعني قالت ذاك الذي كللهُ الله باللطف والجمال واخصهُ بكل انواعهِ الذي دخل بعد الاول محفوفًا بجيوش الحسن العجيب معتنمًا مكرمًا . قالت نعم رايتهُ ويظهر من حالتهِ انهُ ملك القوم

وسيدهم وابن سيدهم . قالت اصبت فهو الملك ويحق له ان يكون ملكًا لقد اخذ عقلي بحسنهِ وما كنت اظن ان نظرة واحدة تفعل بي ما فعلت واني اريد ان اغيب عن ذهني ما رسم بهِ من صورته فلا اقدر وقلبي يقود بي ويسالني الى ان القي برجائي عليه واجعله حبيبًا لي وسيدًا . قالت القهرمانة انك مصيبة بذلك من جهة نفسك لكن لا نعلم اذا كان نفسهُ يقبل ذلك ويرضاه قالت ان كان لا يسهل لي ذلك فالموت لا يبعد عني نعم اني ارى من نفسي ان لي قوة فوق العادة اقدر بها ان انغلب على مفاعيل الطبيعة واطرد من قلبي كل سلطة تريد ان ترغمني وتحملني اثقالاً لاعيار لها انما لا ارى لي سلطانًا ان ادفع مثل هذه القوة بل اشعر من نفسي اني مضطرة الى التشفق على نفسي والسعي راكضة بجد واجتهاد خلف هذه السعادة العظيمة ولا رايت ان الدهر ياتي بما ليس في الحسبان فهو شاب جميل جدًا وملك مهيب من اكبر ملوك هذا العالم واعظمهم ملك من الشرق الى الغرب بسيف ابيهِ فيروز شاه فهل يتسهل لي ان اكون حاصلة عليهِ نعم لا بد انهُ متى راني يهيم بي فقلبي يخبرني بهذا ولا يمكن القلب السليم من الرياء والغش ان يخدع بصاحبهِ او يكذبهُ اني بنت ملك واني اعاهده بعبادة الههِ ومعبوده حق العبادة فكيف لا يقبل بي ثم انها تنفست الصعداء من قلب ملتهب ودفعها غرامها الجديد الى ان تتسلى بالشعر وتصف جمالهُ فانشدت

لو كنت اطمع بالمنام توهما	لسالت طيفك ان يزور تكرما
حاشا صدودك ان تذم فانها	تحلو لديَّ وان اسيغت علقما
فاهجر فهجرك لي التفات مودةٍ	القاه منك تحننًا وترحما
عذب فوادي بالذي تختارهُ	لو كنت منسيًا تركت وانما
لو لم تكن بغبار طرفك كحلت	عين الغزالة صدها وجه الدما
هات اسقني كاس الملامة عاذلي	وادر عليَّ حديثهُ مترنما
فاذا ذكرت لي الحبيب يكاد من	طربي يقبل مسمعي منك الفما
اني لاعشق في هواهُ عواذلي	شغفًا بهِ واود فيهِ اللوَّما
سرق الرسول بلحظهِ من وجههِ	حسنًا ابى عن ناظري ان يكتما
بدر من الاعجام لما ان بدا	ترك البدور ترى لعينك انجما
نسقي لواحظهُ العقول مدامة	الصحو منها لا يزال محرما
ملك من الايمان جرَّد صارما	بالحق حتى الكفر اصبح مسلما
لم تخط آساد الفلا في عهدهِ	بين الشقائق خفية ان تتهما
عقد النثار على العداة سحائبًا	لولا الحيا لسقى السما منها دما

لو يرتضي حمل السهام لغارة لرايتهِ اتخذ الكواكب اسهما
ان شاء ان يهب الملوك لبعض ما في رقهِ مسترقًا لتبرما
تب يازمان فان ذكرتك عندهُ من قبل ان ينهاك ممن توهما

وقفت تنشد والدموع تنسكب من اماقيها لانعرف الشدة شوقها او لعظم فرحها بتعلق قلبها بحب ملك عظيم كالملك بهمن بن فيروزشاه ودامت على مثل هذه الحالة اياماً وهي تقاسي عذاب تلك المحبة وفي كل يوم تجلس في تلك النافذة من الصباح الى المساء اي عند وروده الى دار الحكومة وعند مبارحتهِ اياها وقد تاكد عندها كل التاكيد انهُ الملك بهمن وعرفت جميع فرسان الفرس واحداً بعد واحدٍ وفي كل يوم تبعث بجاريتها خاطرة تتجسس لها اعمال الفرس في المدينة وما يفعلون وهي تعود اليها فتخبرها بكل ما يجري و يصير من العدل والحلم والرقة وفي كل يوم تقول لها ياسيدتي اذهبي بنا الى الملك بهمن لنعرض عليهِ حالنا وليكون عارفًا بنا وشمس تمتنع وتقول لها لا بد من ذلك لكنهُ لايوافق الان لانهُ لايزال مشغولاً بتدبير المدينة وتقرير بعض امور لابد لهُ من تقريرها ومتى تاكدت رواق بالهِ وهدو حالهِ وخلو فكره من كل شاغل سرت اليهِ ودامت هذه الحالة حالتها تنتظر الوقت المناسب الى ما بعد جلوس اخ سعدان بيومين اذ تاكدت ان الفرس اصبحوا على البسط والهناء ولم يبقَ من امر يكدرهم وحينئذٍ دعت بقهرمانتها خاطرة وقالت لها اني اريد منك ان تستعدي في هذا النهار للذهاب الى الملك بهمن الى دار الاحكام نعرفهُ بنفسنا ونعرض عليهِ حالنا ونطلب منهُ الامان قالت ان هذا الذي تطلبينهُ لا اراه موافقًا فذهابك اليهِ وهو في مجلسهِ لاياتي بالمرغوب بل يلتهي عنك ولا يمكن ان تشرحي لهُ حبك . قالت اني لا احب ان اذهب اليهِ الا وهو في مجلسهِ حفظًا لشرفي وناموسي كي لا يظن بي الطيش والخفة لانهُ حكيم عاقل تضرب باَدابهِ الامثال ولا ابوح لهُ قط بحب ما لم ارهُ قد وقع مثلي بالحب وظهرت على وجههِ ملامح الهوى التي لاتخفى قط على كل ذي بصيرة . ولا بد ان اري نفسي لابيهِ ولقومهِ دخيلة مستجيرة فيرثون لحالي ولا بد ان الصدف تقع موقع القصد فيكون لنا كل ما نطلبهُ . فاجابتها قهرمانتها وسلمت بارادتها وتهيئت للمسير معها ولبست شمس لبسًا فاخرًا مزينًا بالكمال والوقار وكتبت كتابًا وضعتهُ في جيبها وخرجت من قصرها ومشت الى باب دار الاحكام فوقفت هناك وامرت خادمتها ان تدخل الى الداخل فتدفع الكتاب الى بهمن وتسالهُ الاذن بدخولها وان يسمح لها بمقابلتهِ . فاخذت التحرير وسارت حتى وقفت بباب الغرفة المقيمين فيها وسالت الحاجب ان ياخذ لها بالاذن لتدخل ففعل ودخلت خاطرة الى ان وقفت بين يدي الملك بهمن وقالت لهُ بصوت مرتفع مسموع من كل من في المجلس اني رسولة ياسيدي من خصيصتك شمس بنت الملك جهان وهي واقفة

بالباب الخارجي تنتظر صدور امرك بدخولها لتقبل اياديك وقد سلمتني كتاباً ادفعهُ اليك . ثم سلمتهُ الكتاب فاخذهُ منها وهو مضمخ بالطيب ونظر في عنوانهِ فوجدهُ مكتوباً بخط جميل لم يرَ مثلهُ قط فانبهر بهِ واذا يرى مكتوباً عليه اسمهُ واسم ابيهِ فيروزشاه فدفعهُ الى ابيهِ فقراه ودفعهُ الى طيطلوس وكل منهم يعجب من حسن الخط . ثم فتحهُ طيطلوس اذ تاكد انهُ لم يكن خصوصياً واذا فيهِ

من لذلي وحيرتي والتهابي ولدمعي الهامي وقلبي المذاب

ولتسالي الربوع دموعاً بالاماقي من غير رد جوابِ

ووقوفي بكل بابٍ وقد كا ن وقوف العلا على ابوابي

يتمنى الفخار لو كان طرفاً امتطيهِ والمجد لثم ركابي

وقفت بابواب حلمك انتظر اذنك وادمعي تنسكب حزناً على حالة المت بي فابعدتني عن ابي ولم تبقِ لي محط امالٍ اتوكأ عليهِ لدى شدتي اومرمى رجاء اصوب اليهِ باغراضي تركت اياماً على دست الاضطراب متروكة انقلب وارقب من وصواص ستار الزمان ما سيظهر لي بجلاء من خلفهِ حتى اشرقت شموس كرامتكم في آفاق السعادة فطاطأت رؤوس التوفيق ساعية لخدمتكم راغبة ان لاتفارق ركابكم علماً منها بانكم مصدر اشعة الفضائل و ينبوع غزارة السجايا والمآثر حققت الحق وسبرت الصدق فاذا انا على ضلال مبين فقيرة الى التمسك باذيال الاله الذي يقدر على اجابة من يدعوهُ فيعطي منادبهِ ما يرجون لا حساب ولا غرض رغبت بهِ مندفعة بصفاء النية والباطن لا لغش ولا لغرض ذاتي . قلبت الكتب وتصفحتها فلم تخفَ عليَّ خفايا زواياها بل ظهر لي ظاهر الحق و باطنهُ حتى كرهت كل مادة معبودة ورايت احتياج المرء بالتمسك عن اضطرار الجوهر والمبدا الواحد . فانا وربك على دينهِ . ثم وما وقفت وقفت الحزن والكآبة عند اعتاب ابوابكم الاَّ طمعاً بان يكون لي قسماً من الشرف الاكبر ونصيباً من السعادة العظمى كنت وحيدة لابي في حجرهِ والان وحيدة في حجر المصائب والاكدار لا اعرف ايتيمة انا ام لا امقطوعة من النصير والمساعد ام لي من يحيط بالتفات هالة شفقتهِ بي وحنوهِ - واخيراً وجدتك انت النصير المساعد المغيث المؤمن . فاتيت على قدم الحياء ولولا ثقة كبرى برحمتكم بي لذممت زماناً اخرجني من عرش الدلال الى حضيض الاذلال ان ذاك الا بامر ربك يفعل ما يشاء . كتبت لك بيدي هذه منتظراً اشارة منك توصلني الى ما بين ايديك لانال السعادة واحظى بامرك بالتامين على نفسي وان تبقى كرامتي محفوظة تحت عنايتك فانا اعرف فضل الفرس وحسن مآثرهم وسالت ابي كثيراً ان يجهد نفسهُ الى مصالحة ابيك العظيم الشان فعاندتهُ الظروف ولم يتسهل لهُ ان يترك ثار منكوخان ولا انسب لابي

بذلك الجهل بل ان اموراً قدرت عليهِ من الله لعصاوتهِ اياه وادعائهِ الالوهية كي يعرف من نفسهِ ان الحق لا يغلب . اقبل دخولي عليك وعلى الله تدبير امري وتدمير قهري واني مستجيرة بك و بابك غوث الملتجين وملازمهم ومقصد العفاة ومجيرهم وهو

ملك يجيب سوال كل موءمل	ويجير من خطب الخطوب من استجر
فالى سناه البدر في الليل التجا	والى نداه الغيث في المحل افتقر
ان هب في الهيجاء هبت ثائر	هبت رياح لاتبقي ولا تذر
واذا علا في المجد اعلا غاية	قالت لهُ النفس الابية لا وزر
قاسوا نداه بالسحاب فاخطأوا	ايقاس طوفان المكارم بالمطر
ما اثمرت بالهام سمر رماحهِ	الالان الغصن يعشق بالثمر
كلاّ ولا لمعت بوارق بيضهِ	الا لتحرق بالاشعة من غدر
يا من يروم لحاق شأو علائهِ	اقصر فليس العين تلحق بالاثر
مولاي يا كهف الملوك ومن حوى	باساً تذل لهُ الاسود وتحتقر
جزت الفضائل عاصبا لا غاصباً	والحق اورثك النفس المذكر
فلك السلامة والكرامة والهنا	ولك السعادة والبقاء المستقر

« دخيلتكم شمس بنت جهان »

ولما فرغ طيطاوس من قراءة هذا التحرير سرَّ منهُ فيروزشاه مزيد السرور وكذلك الملك بهمن شعر من ذاتهِ بانعطاف طبيعي في داخلهِ الى اجابة سولها واشتاق في ذاتهِ رويتها ليرى باي مركز هي من مراكز الحسن وهل ان فصاحتها و بلاغتها وما وقف عليهِ في تحريرها من العبارات الرقيقة وما راهُ من حسن خطها مقرون بالكمال ومشفوع بالحسن المطلوب و بعد ذلك امر الملك بهمن بدخولها فاسرعت اليها القهرمانة واخبرتها فدخلت بوقار وحشمة ووقفت بين يدي الملك وهو محدق بها ماخوذ مما شاهدهُ من جمالها . وكذلك كل من رآها تعجب من جمالها وسبح الله سبحانهُ وتعالى على ما اعطاها واحدق بها فيروزشاه مندهشاً بها وهو يشخص بذهنهِ جمال زوجتهِ عين الحياة وبهاها ايام كانت بقصرها في تعزاء اليمن ولم يعد يقدر ان يرفع بنظرهِ منها ويحولهُ عنها . فعرفت هي ما حل على الملك بهمن وابيهِ وقومهِ من الاعجاب بحسنها وكبرت نفسها بقدر الامكان واطلقت لسانها بنصيح عبارة فعلت بالعقول اكثر مما فعل جمالها وقالت حيى الله سيدي الملك الرفيع المقام العالي الشان . واسبغ عليهِ من رحمتهِ سوابغ النعمة والاحسان . ان عبدتك شمس بنت جهان المطرود المهان قد اتيت الى هذا المكان . راجية العفو والامان . والتمسك باذيال كرامتكم والتعلق بحبال مجابرتكم فهل يصادف رجائي

هذا قبولاً نعم يصادف وإن كنت لا استحقهٔ لعلي ان لكل امرء الحق بحلكم والنصيب بغزارة لطفكم وما انا الا واحدة من الجواري المعدات لخدمتكم وإن كنتم لا تعلمون بي . ثم صبرت تنتظر الجواب وهي مطرقة الى الارض وقد تقدم معنا ان الملك بهمن كان حكيماً عاقلاً فتغلب على اميال قلبهِ واجابها بثبات قلب ورصانة وقال لها اننا مقصرون بالسوال عنك منذ البداية حتى جئت الينا فعلى الرحب والكرامة فانت اعز الناس عندنا واحبهم فمري بكل ما تريدين فنقضيهِ على الراس والعين لاننا لانحب اجحادك حقك وانت سيدة بنت سيد وملكة بنت ملك وقد اعطيت من فصاحة اللسان وكرامة الطباع والحسن الباهر ما زينك بهِ الله وفضلك على سواكِ . قالت اني اريد ان ابقى امينة تحت لوائك مظللة بظلك واذا وفقني الله وعرفت مكان ابي وسعيت بينكما بالصلح والسلام وان تعفو عنهُ أيصادف مسعاي هذا قبولاً . قال لك كل ما تطلبين فاذا جاء ابوك وكان على نية سليمة لا برغب العناد والخصام عفوت عنهُ وارجعتهُ الى بلادهِ وملكهِ واشرطت عليهِ شرطًا واحدًا فقط وهو عبادة الله تعالى وغيره لا اريد منهُ . فكوني مطمئنة مرتاحة امينة على رجاك وغايتك . فشكرتهُ على قولهِ واثنت عليهِ ورجعت من امامهِ وقلبها يصفق من الفرح وهي مسرورة كل السرور بما رأتهُ على وجه الملك بهمن من سمات الحب والغرام التي حاول كثيرًا ان يخفيها فتظهر بالرغم عن اميالهِ

ولما دخلت قصرها قالت لقهرمانتها قد توفقنا الى ما بهِ الصواب واني اخبرك بالحق اني مرارًا ما كدت ابوح جهارًا بحبي واشرح للملك بهمن غرامي بعد تاكدي حالتهُ وما لحق بهِ من جرى نظرهِ اليَّ الا اني كنت امتنع واضبط نفسي كي لا يشتبه بقوة تغلبي على اميالي وليكون هو البادئ والساعي بالحصول عليَّ كعادة المتزوجين والمتزوجات ولهذا السبب والتحمل كنت اخاف ان اقع الى الارض بالرغم عن ارادتي اخنشاء من ان لا تساعدني رجلاي على الوقوف او المشي فالحمد لله الذي لم يظهر عليَّ اثر يحط من شاني ويبعدني عن قلب الملك بهمن فهو حكيم عارف بالدهر واحوالهِ وقد سرني منهُ قولهُ لي كوني امينة على رجاك وغايتك لعلمهِ بغايتي ورجائي وهذا اثبت عندي حبهُ لي وقبولهُ بالتقرب مني وسانتظر ما يفعلهُ الله سبحانهُ وتعالى ويا ليت ان ياتي ابي قريبًا لاكون واسطة الصلح والسلام بينهما فتتم بذلك سعادتي واحصل على راحة الضمير وهناء العيشة بوقت واحد فقالت لها اعطاك الله كل ما تطلبين ولا ابعد عنك امرًا ترغبينهُ واني اعذرك كل المعذرة على محبتك الملك بهمن ورغبتك فيهِ لانهُ اجمل رجل في هذا العالم الان وارفع مقامًا من كل الملوك واوسعهم ملكًا كيف لا وهو ابن فيروزشاه الذي خدمتهُ السعادة وقهر الانس والجان . ثم اقامت شمس في قصرها مع جاريتها تنتظر ما يكون لها من مستقبلها وهي تهز طول الوقت بذكر حبيبها ولا تحدث جاريتها بغير حديثهِ

قال وبعد ذهاب شمس من حضرة الملك بهمن بقي مطرقًا الى الارض وتاثيرات الحب تطفح فوق وجههِ وتمتد الى كل جهاتهِ وهو يحاول ان لا يظهر ذلك فلم يقدر على ذلك وكان سبب ازدياد هذا التاثير غيابها من امامهِ وبعدها عنهُ وكان قبلاً لا يعرف الحب والغرام ولا يظن ان العشق يقدر ان يتسلط عليهِ او ينال منهُ مرادًا وعرف فيروزشاه من ولده حالتهُ فتاثر غاية التاثير وعذره كل المعذرة لانهُ كان قد وقع قبلهُ وذاق عذاب الحب وشدة مفاعيل الحسن بالرجل الخالي وكان قد تمنى من كل قلبهِ ان تكون شمس زوجة لولده لانها اشبه الناس بعين الحياة زوجتهُ حسنًا وقوامًا واعتدالاً وادبًا وفصاحة ورقة ولينًا وكمالاً ولذلك التفت الى وزيره طيطلوس . وقال لهُ لا يخفاك ان الله سبحانهُ وتعالى قد انعم عليَّ بكلما اطلبهُ منذ بداية وجودي الى هذه الساعة وان كان بالحروب والعذاب لكن هذا يزول وتبقى رحمتهُ ولما جاء ولدي الملك بهمن من ابران الى هذه البلاد ودوايتهُ فرحت بهِ جدًّا وافضل شيء تمنيتهُ لهُ في ضميري ان افرح بزواجهِ في حياتي والاقي لهُ زوجة كوالدتهِ عين الحياة في كل صفاتهِ وهذا شان كل اب يرغبهُ لولده ولا سيما نحن الملوك فاننا نرغب المحافظة على الملك ولذلك نسرُّ اذا تزوجت اولادنا او جاءهم الاولاد وفي هذه الساعة دخلت علينا شمس هذه بنت ملك الصين فبالكاد كنت افرق بينها وبين عين الحياة امه واريد ان ازفهُ عليها فهل من مانع بذلك وهل من امر يمنعهُ الان . واجراء هذا الامر متعلق بك وبتدبيرك لانك مدبر المملكة وملوكها ورعاها فقال طيطلوس لقد اصبت ياسيدي فما شمس الا عين الحياة وما عين الحياة الا شمس وان من الفروض المقررة في شريعة الفرس ان تتزوج ملوكها حال بلوغهم سن الرشاد اذا لم يحدث حادث يمنعهم وانا اسأل مولاي بهمن الان ان يحقق آمالك ويتم انتصارنا بافتتاح هذه المدينة بايام سرور وهناء نعدها لزفافهِ

ولما سمع بهمن هذا الكلام وقع على قلبهِ احلى من النعاس على عيون السهران الاَّ انهُ بعد الامان والاطراق اجاب اني من الان لا اخالف شريعة المملكة او امتنع عن اجابة امر ابي وولي اليس هو الذي وحده يقدر على خلعي ملكي واذلالي كما انهُ يقدر على اعزازي وتعظيم جاهي فموتي وحياتي هو على الدوام بين شفتيهِ واني اريد من كل قلبي ان اتزوج لافرحهُ كما افرح هو جدي الملك ضاراب غير اني اريد تاخير ذلك الى حين رجوعنا الى ابران حيث ان مثل هكذا زواج يجب ان يكون بحضور والدتي عين الحياة وجدي الملك ضاراب فكيف يطيب هنائي وانا بعيد عنها ووالدتي التي تعلم اني وحيد لها تنتظر حضور مثل هذا الزفاف ليفرح قلبها وتنال الغاية التي على الدوام موضوع افكارها منذ وجودي في هذه الحياة الى حين نوالها . ولما سمع فيروزشاه كلام ولده تحرك في قلبهِ محرك الحنو والحب الى زوجتهِ فاندفعت دمعة سخية من

عبونه على غير مقصد منهُ ورای ان ما قالهُ ولده هو صواب الاَّ انهُ كان لا يزيد في التطويل فصبر ريثما اخذ روعهُ وهدأ قلبهُ . فقال لقد اصبت ياولدي ومن الحق الواجب ان يكون ابي وامك في يوم زفافك كما كانت امي تمرتاج في ايام زفافي ولولا وجودها لما كنت نلت الحظ والسعادة والهناء ايام الزفاف . وهذا اريده انا اكثر منك لكنني لست امينًا من الدهر فهو كثير التقلب ياتي على الدوام بما ليس في الحسبان . وما لقيت انا من شدة الحب ومعاندة الزمان جعلني وعلمني ان اعرف كيف احافظ على راحة ولدي ولا ريب اننا بعد قليل من الايام نرحل من هذه الديار اذا لم يقف الدهر في سبيل مقاصدنا فاذا كانت شمس معنا ترحبت بها عين الحياة وسرت بزواج ابنها واعادت يوم الفرح واجرتهُ ثانية باكثر احتفالاً وزينة من السابق ولهذا اطلب من ولدي الان ان ينقاد لقولي ويقبل بالاقتران في هذه الايام حالاً اختشاء من ان يجد امر جديد لا نريده كوننا ببلاد الاعداء ولا نعلم من الصديق منا ومن العدو فنخاف ان يطرأ على شمس امرٌ نجهلهُ او تبعد الى غير بلاد وغيرها لا اريد ان تكون زوجة لهُ . فوافق طيطلوس على قوله واجابهُ في الحال اليه الملك بهمن وقال لهُ اني طوعك كيف امرت وكيف فعلت فقام اليه في الحال وقبلهُ بين عينيه واثنى على ادابه وطاعته وبعد ذلك قال لطيطلوس اريد منك في هذا المساء تذهب معي الى بيت شمس لنطلبها من نفسها زوجة لابني وعندي انها لا تمتنع كونها حكيمة مهذبة عاقلة تعرف صالح نفسها وتعترف بسعادة عيشتها اذا اقترنت بابني قال قد لحظت وتاكدت انها ما جاءت الى هذا المكان الاَّ لمثل هذه الغاية لتريبنا نفسها وتعلمنا بانها تركت عبادة النار ودخلت بديننا اي انها صارت كواحدة منا وهذا دليل قوي على رضاها وقبولها

وبعد ان انفرط الديوان في المساء ذهب كل واحد الى مكانه بعث فيروزشاه عيارهُ بهروز الى قصر شمس يخبرها بقدومه اليها مع وزيره طيطلوس لغاية يريد اعراضها عليها فسار اليها وبلغها كلام سيده واخبرها بانهُ سياتي بعد قليل اليها مع وزيره فقالت لهُ على الرحب والسعة فاني خادمتهُ وبانتظار قدومه . وثبت عندها انهُ ما قصد المجيء اليها الا وفي نيته ان يخطبها لابنه ففرحت كل الفرح وقالت لقهرمانتها ها قد جاءنا الامر كما نرغب ونختار فاسرعي الى تهيئة كل ما يليق بشان فيروزشاه واعدي لهُ الشراب الممزوج بالسكر وماء الورد وعطريه بكل رائحة عطرية وقومي بكل خدمة واجبة فوعدتها بكل ما امرت وتهيئت شمس لملاقاة فيروزشاه واقامت في قاعة جلوسها الى ان عرفت بوصوله فخرجت اليه وقبلت يديه وترحمت به وقالت لقد وطئت باقدامك الشريفة قصر هذه الخادمة تشريفًا لها ومجابرة فارحمني ياسيدي فما انا الاَّ حزينة كئيبة مفارقة الاب والاصدقاء والانصار فقال لها ما انت الا كريمة وعزيزة في

اعين الجميع ولا بد ان نصرف العناية الى ايجاد ابيك ومصالحته . ثم دخل معها الى قاعة الجلوس فجلس وجلس الى جانبهِ وزيرهُ طيطلوس ووقفت هي في خدمتهما فامرها فيروز شاه ان تجلس فقالت لهُ كيف يليق بي ياسيدي ان اجلس في حضرتك وانت مولاي ومالك رقي وانا اسيرتك وخادمتك ومحتاجة الى عنايتك وحنوك وكانت تتكلم وفيروز شاه وطيطلوس يتعجبان من فصاحة لسانها وعذوبة الفاظها ورقة معانيها وحلاوة لفظها وكأن الكلام ثمين الجوهر يتساقط من فيها . ثم قال لها فيروزشاه انك لست بخادمة ولا باسيرة بل انت سيدة باعيننا وكرامتك واجبة علينا ومن كانت مثلك قد خصها الله بكل المآثر الحسنة لا تدعى باسيرة بل بملكة ولهذا اريد منك ان تجلسي الى كرسيك فان لنا بعض كلام نريد ان نعرضهُ عليك فقبلت يديهِ وجلست . وبعد ان قدمت خاطرة الشراب . قال طيطلوس لشمس اعلمي ايتها السيدة الكريمة انهُ وان كان ابوك غائبًا عن المدينة ولم يكن لك من يقوم مقامك عن نفسك فقد اخترقنا حرمة العادة وجئنا اليك نفسك لنسالك امرًا عزمنا على انهائهِ واتمامهِ باقرب وقت . قالت مر ياسيدي فان كان الزمان قد ابعد ابي فلا بد بعناية سيدي فيروز شاه يقربهُ وان كان قد بعد عني النصراء فيكفاني انهُ هو وحدهُ النصير الذي يغنيني عن الوف والوف الالوف من الملوك والوزراء

فلما سمع طيطلوس جوابها سر منهُ ولذلك قال لها لما كنت انا وزير المملكة الفارسية وكبيرها ومدبرها اعهد اليَّ ان اخاطبك بامر نفسك واخطبك لسيدي الملك بهمن وقد رايته بالامس وهو يرغب ذلك ويريدهُ ولولا رغبتنا بسرعة الزواج لابقينا ذلك الى حين الوقوف على خبر ابيك انما سيدي فيروزشاه يرغب بان يكون الزواج بوقت قريب بحيث نعود الى تدبير شؤوننا من جهة ثانية لان لابد من رجوع الهنود الى هذه البلاد وانشغالنا بحربهم . فاطرقت شمس الى الارض حياء وترقرقت دمعة الفرح في اعينها الا انها ابدت الانكسار والذل ولم تجب بكلمة . فقال لها طيطوس اجيبي فما من داعٍ الان للامتناع من الجواب لانك اصبحت واحدة منا تعبدين الله وصار كل رجائك علينا ولا يجب ان تخفي امرًا واننا نعرف ان اولياءك واوصياءك غائبون وان الشريعة الالهية توجب الى السوال من نفسك فلا تدعي الخجل يتغلب عليك ولا نريد منك اكثر من كلمة القبول فقط فبقيت مطرقة الى الارض واجابت ان امري الان ليس بيدي ياسيدي بل هو بيد مولاي فيروزشاه فهو وحدهُ الذي يقدر ان يجيب عني ويعلم من نفسهِ اني طائعة لهُ سامعة لقولهِ في كل ما يامرني وان ما تطلبهُ مني الان هو راجع اليهِ واني لا اسالهُ بشيءٍ الا بامر واحد وهو اذا جاء ابي وسالهُ الصلح كان مجيبًا لهُ . فقال طيطلوس لقد احسنت ياابنة الكرام واني اعدك ان زواجك بالملك بهمن اكبر وسيلة

تدعو اباك الى الانقياد والطاعة وطلب الصلح والامان ولا بد انهُ يفرح بهِ حبًّا بك . ثم ان طيطلوس نظر الى فيروزشاه وقال لهُ ان شمسًا قد اقامتك وكيلاً عنها واختارتك وصيًّا لها فهل تقبل ان تزوجها بابنك الملك بهمن وما قصدت بذلك الا لتخبرك انها هي كبنتك وذاك ابنك . قال اني ازوجنهما ببعضهما وليباركهما الله ويوفقهما . فنهضت شمس وقبلت يديهِ وقالت هذه نعمة ياسيدي لا استحقها ولا كنت اظن اني انالها وهل من كانت مثلي او اعظم مني تمتنع عن قبول ملك جمع كل الخصائل الحميدة واوجد الله فيهِ من كل فضيلة افضلها . فهو سيدي وقد سبق الله سبحانهُ وتعالى فرمى حبهُ بقلبي قبل ان يراني وما ذلك الاَّ لغاية منهُ يريد ان يجريها . فشكرها فيروزشاه وطيطلوس وخرجا من عندها بعد ان اعلماها بمدة يوم الزفاف وكان بهروز مع فيروزشاه فقال لهُ اريد منك ان تبعث بزوجتك شمس الى خطيبة ابني تقيم عندها وتصلح شانها وتدبر امرها اذ ليس عندها الا قهرمانتها وزوجتك تعرف بتدبير مثل هذه الاحوال فوعدهُ بالاتيان بها الى هناك

قال ودخل فيروزشاه على ولده بهمن فقبل وجناتهِ وهنأَهُ بخطبتهِ واعلمهُ بما اشارت اليهِ شمس بنت جهان من رغبتها بالتقرب منهُ وقال لهُ ان يوم الزفاف سيكون بعد عشرة ايام اذ لا اريد تطويل المدة اكثر من ذلك كون الظروف لا تسمح لنا واننا نريد ان نعرف بعد ذلك مكان وجود جهان لانهُ هرب وتبعهُ كثير من قومهِ ولا نعرف اي جهة قصد ولا بد من انهُ يجمع الفرسان فيعود الى قتالنا مرة ثانية ولا بد ايضًا من مجيء الملك شنكال الهندي بجموع الهنود التي هي اشبه بالجراد ومثل هذا الملك لا يترك ثار رجالهِ وفارسيهِ كيوال وكتوال . فقال لهُ لك الامر فليكن الزواج بعد عشرة ايام واني اعرف متى تم زواجي على شمس وعرف ابوها بذلك لا يعود الى محاربتنا ولا اظنهُ يكره في مصاهرتنا و يرفض التقرب من قوم سطوا على بلاده واخذوها ملكًا ثم ارادوا ارجاعها لهُ وتزوجوا بنتهِ مع انهم يعلمون انهُ عدوهم . وكان الملك بهمن مسرور القلب منعم البال طيب الخاطر وهو لا يصدق ان ينتهي زفافهُ على شمس بعد عشرة ايام حيث كان حبها يتقوى عليهِ وتتغلب فيهِ الاميال الغرامية ويذهب بهِ الرجاء الى السرور والفرح فيصبر نفسهُ واعدًا اياها المواعد الصادقة بنوالها مرادها و بلوغها غايتها . وذهب فيروزشاه في صباح اليوم التالي الى دار الاحكام وجلس في صدر مجلسهِ الى جانب ولده واجتمع حولهُ كل وزرائهِ وامرائهِ و بعد ان تم انتظامهم قال لهم اريد منكم ان تكونوا على استعداد للزفاف بعد عشرة ايام من هذا اليوم فقد انتهت خطبة ولدي على شمس بنت جهان وما من مانع الان يقف في سبيل انفاذ غايتي ومقاصدي . فبارك لهُ الجميع وهنأُوه بهذه الخطبة ومن ثم قال فيروزشاه لمهريار الوزير اننا لا ننسى ايها الرجل العاقل الحكيم الخبير ما ابديتهُ معنا من الجميل والمعروف

الذي لانقدر ان نكافيك عليه وسيكافيك عليهِ الله سبحانهُ وتعالى واني اريد منك الآن بما انك من اهل هذه البلاد خبير باهلها وعوائدها ان تدير امر هذا الزفاف وتسعى باحتياجاتهِ وقيامهِ مع وزبري طيطلوس ليكون زاهيًا زاهرًا حافلاً جامعًا لكل اسباب الهناء والافراح فوعده بالقيام بمثل هذه الخدمة وانهُ سيدبر بنفسهِ كل ما يرى العرس محتاجًا اليهِ وشاع هذا الخبر في كل المدينة ففرح بهِ الخاص والعام وتمنوا هذا الزفاف واخذت المدينة تستعد من كل ناحية لقيام الاحتفال وتهتم بعمل الزفاف ومهريار صارف الجهد الى تدبير ما يلزم الى ان قرب الوقت ولم يبقَ الاَّ ثلاثة ايام فقط فانتصبت الاعلام على اسوار المدينة من كل جهة وعلى حصونها وقصورها وعلقت المصابيح على جدرانها شرقًا وغربًا شمالاً وجنوبًا وتوجت كل المصابيح بالازهار والاوراق الخضراء من الاشجار الزكية الرائحة وبدئت الموسيقات والنوبات تضرب على الدوام في كل جهة وتزينت رجال المدينة وامراؤها بالزين الفاخرة وفرشت قاعات قصر الاحكام من كل ما هو ثمين وغال واخذت الناس ترد افواجًا افواجًا للتهنئة وتقديم واجبات سرورهم وافراحهم للملك بهمن وهو يلاقيهم ويشكر منهم ومن طاعتهم وما يبدونهُ من المسرة والاطعمة تمد لهم والماكل تقدم مع الاشربة الفاخرة ودام هذا العمل الى مدة ثلاثة ايام اي الى اليوم المعين لاجراء الزفاف ففي صباحهِ خرجت الفرسان من اماكنها مزينة بالزين الفاخرة مدبجة بالملابس الذهبية الرسمية وعليهم من سمات المسرات ما يعجز القلم عن وصفهِ واجتمع الجميع في قصر الاحكام حيث كان قائمًا الملك بهمن بملابسهِ الفاخرة وعلى راسهِ تاج الدولة الفارسية يضيءُ كالكوكب وهو من تحتهِ كالقمر الوضاح يشرق بزاهي جبينهِ بما ياخذ بالعقول الثابتة ويدهش بالابصار وبالاختصار ان ذاك اليوم كان يومًا عظيمًا حافلاً لم يجرَ مثلهُ بزفاف احد من الملوك الكبار الا ان كان يوم زفاف فيروز شاه في بلاد الرومان ودامت الافراح قائمة الى ان كان المساء فاضاءت مصابيح المدينة من كل الجهات واصبحت ترهج وتلمع كانها الافق في صفائه تترجرج بهِ الكواكب من جهاتهِ الاربع. وبعد مناولة الطعام والشراب نهض الجميع من ذاك المكان وخرجوا من القصر الى الاسواق يمشون افواجًا افواجًا بترتيب ونظام وفي اواسطهم العريس اي الملك بهمن مزينًا بالزين التي سبق ذكرها وبين يديهِ الموسيقات تضرب بكل انواع الفنون وتعزف بالهناء والافراح وداموا على مسيرهم حتى وصلوا الى قصر بنت جهان وهو شاعل بالانوار المختلفة الالوان فدخلوا من بابهِ واذا بالانسجة الحريرية مفروشة من خارج بابهِ وكل جدرانهِ مغطاة بمثلها وكانت شمس زوجة بهروز قد اعتنت كل الاعتناء بترتيب القصر وتدبيره على ما اشتهتهُ وارادتهُ هي بنفسها حتى اصبح بهجة للعيون وفرجة للناظرين

قال ولما دخل العريس ووالده وكل امراء عائلتهِ والمدعوين من اهل المدينة واعيانها

وجلسوا في قاعة الاستقبال كل على رتبتهِ قدم لهم الشراب والحلوى وما كان اعد في مثل تلك الساعة . ثم بعد هذا ادخلت عليهم العروس محفوفة بسمات اللطف وينابيع الانوار تتدفق وتتساقط من جبينها الى ما بين يديها وحواليها وقد زادت حسنًا فوق حسن وجمالاً فوق جمال من كثرة ما كان عليها من الجواهر والماس واليواقيت المختلفة الالوان وكانت شمس زوجة بهروز قد تزينت بالملابس الفاخرة واليواقيت النفيسة ومشت الى جانب العروس فقاموا لها اعتبارًا واحتفالاً وتعظيمًا وما من رجل او امراة من الحاضرين الا واخذ بذاك الجمال الفائق الحد الذي لا يحسب من صفات البشر وخصائصهم وكان اكثر الكل دهشة وانبهارًا فيروزشاه فكان كل ما يراه في زوجة ابنهِ ذاك اليوم يذكره بعين الحياة حين زفافها فكان فرحهُ عظيماً عمياً كاملاً مسرورًا لولده ولم يكن من شيء يكدره او يقلق افكاره الا تمنيهِ ان تكون زوجتهُ عين الحياة حاضرة هذا الزفاف لتفرح كفرحهِ وعندما كان يخطر لهُ هذا الخاطر وهو في وسط ساحة من الحظ والمسرة محاطًا بكل انواع الافراح يرتجف ويرى من نفسهِ الكدر ويسود قلبهُ ويقول ليتها كانت حاضرة ومن المقرر الثابت ان الاميال البشرية ترتبط ببعضها والشعائر تحاكم صاحبها احيانًا والمحبة التي هي سلطان كل الاحساسات والشعائر لا تترك ما عليها بل تبقى محافظة على حقوقها على الدوام قائمة ضمير المرء فيهِ جاسوسًا ونصيحًا وكما ان الانسان اذا سمع باحزان من احبهُ يتكدر ويحزن هو ايضًا وياخذ بهِ الحب الى تمنيهِ وتطلبهِ بكل رغبة في مشاركتهِ بذاك الحزن كذلك عند الافراح اذا راى الانسان نفسهُ في بحبوحة منها تمنى من احب وطلبتهُ نفسهُ ليقاسمهُ ذاك الهناء ولا يحسب حالتهُ حالة راحة الا بوجوده وهكذا كان فيروزشاه من هذه الجهة

وبعد ان دخلت العروس وجلست في صدر المجلس ومن حولها شمس وجماعة من نساء المدينة اي نساء مهريار وغيرهِ من الاعيان نهض طيطلوس وعقد للعريس على العروس واشهد الحضور على زفافهما ثم باركهما ودعا لهما بالعز والاقبال ودوام الافراح وبعد منهُ تقدم فيروزشاه فقبل ولده وادمعهُ تذرف من الفرح بهِ وجاء الى العروس وكان قد اعد اكليلاً من الذهب الوهاج مرصعًا بكل حجر كريم مذخرفًا بالنقوش الذهبية التي تاخذ بالانظار وعند دنوهِ منها وقفت اكرامًا لهُ فاخذ الاكليل واقامهُ على راسها وقال لها هيا افرحي ايتها الابنة السعيدة التي خصك الله بكل انواع الاداب وحسن الصفات لتكوني ملكة على فارس وسيدة على قسم كبير من العالم واني البسك الان هذا الاكليل رمزًا عن التاج الذي سوف تلبسينهُ من يد ملكة الفرس فتعهد اليك بهِ وقد حق لك ان تكوني ملكة وستسر بك ويمتلىء قلبها فرحًا عندما تراك مزينة بكل المحاسن الوحيدة ثم وضع الاكليل على راسها فقبلت يديهِ وجلست وقلبها يكاد يطير

من الفرح وقد شعرت من نفسها بعظم السعادة التي وصلت إليها وهي لا تصدق انها اصبحت ملكة على كل بلاد العجم لا بل على اكثر اقسام الكرة الارضية واعظم انواع البشر من اعجام ويمنيين وزنوج ومصريين ورومان وغيرهم . ومن بعد ذلك اخذ الناس في ان يهنوا الملك بهمن بعروسه وينصرفوا واحدًا بعد واحد وهو يثني عليهم ويتلطف بمجاوبتهم ويظهر كل لطف وتواضع مسكر محبوب حتى ذهب الجميع عنهُ ولم يبقَ عندهُ سوى والده فيروزشاه ووزيره طيطلوس وعياره بهروز وجدته شمس وحينئذٍ اخذت شمس العروس الى غرفة ملابسها فنزعت عنها ثياب الزينة والبستها البسة النوم وخرجت بها وكانت في اول الليل قد امرت القهرمانة خاطرة ان تفرش غرفة المنامة وتحضر سرير مولاتها وتطيبهُ بالاطياب والروائح الزكية وتقفل الغرفة وتبقي مفتاح تلك الغرفة معها الى حين انصراف الناس فتفتحهُ وتتركها لتدخلها العروس مع زوجها ومن ثم انصرف فيروزشاه وشمس وطيطلوس وبهروز ولم يبقَ في القصر الاّ العروس والعريس فقط واذ ذاك سلم كل منهما على الاخر وترحب به وذهبا الى غرفة المنامة فوجداها مغلقة الباب فدفعاهُ ودخلا واذا بهما يتنشقان من كل رائحة زكية بما يشرح الصدور ويطيب الخواطر فسرا مزيد السرور وقال الملك بهمن هل ان شمسًا دبرت غرفة المنامة قالت كلا بل جاريتي خاطرة وقد اوصتها شمس بذلك . فنزع الملك ثيابهُ وقلبهُ يهلع فرحًا من نوال السعادة الحاصل عليها وهو لا يصدق انهُ اجتمع منفردًا مع من احبها قلبهُ وكانت وهو ينزع ثيابهُ واقفة الى جانب السرير تنتظرهُ الى ان فرغ من كل ما هو عليه ورفعها الى السرير طالبًا التقرب منها بما امر به الله سبحانهُ وتعالى الاّ انهُ ما استقر لحظة معها في السرير الا وسقطا فيه كالاموات غائبين عن الصواب لا يعي احدهما على الاخر او يتحرك به عضو . . . .

قال وكان قد سبق وتقدم معنا ان ونك العيار بعد ان خرج من امام اخ سعدان يوم الذي ملك على الفرس وسلم اليه امرهُ فعفا عنهُ وذهب الى بيته فاقام فيه يومًا ثم في اليوم الثاني اعد كل ما يحتاج اليه وخرج على اعين الجميع من المدينة مظهرًا على نفسه ان مرادهُ يبعد عن تلك البلاد ويذهب الى الهند وراهُ الحراس عند خروجه فودعهم وبقي سائرًا الى ان بعد عن المدينة وغاب عن العيون فجاء احدى المغائر ووضع ثيابهُ بها وكل امتعته ونزع ما عليه واخذ صبغة سوداء فاصطبغ بها بعد ان اخذ موسى فحلق شعر وجهه باجمعه ولبس ملابس النساء ووضع غطاء على راسه حتى اصبح كانهُ من الجواري اصلاً وفعلاً وبات تلك الليلة في المغارة وعند الصباح قفل راجعًا الى المدينة مسرورًا بكل ما هو فيه من نجاح المسعى وهو يحدث نفسهُ ويقول لها اصبري فلا بد لك من ان تسري بعدوك ولا بد لي من ان اعمل عملاً يذكر وتتحدث به الناس جيلاً بعد جيل ومن ثم اعود فابعد عن هذه الديار اذا بقيت بيد الفرس

ولا اعود اليها اصلاً ودخل من الباب دون ان يعرفهُ احد من الحراس او يشتبه بهِ انهُ ونك العيار وبقي سائرًا الى بيت عجوز كان يعرفها في اطراف المدينة فاقام عندها ودفع اليها بالدراهم لتاتيه بالطعام ففعلت واوصاها بكتمان امرهِ وقال لها اياك ان تخبري احدًا بي لاني اخاف جدًا ان يظهر خبري وما اخاف احدًا من الفرس غير بهروز العيار لاني اعلم انهُ اذا راني على هذه الصورة عرفني لامحالة فهو زنديق وابن حرام فيتاثرني ويقتلني وانا مرادي ان ابقى عندك مختبئًا الى حين ياتي الملك جهان او تبعد الفرس عنا وتترك هذه البلاد واريد منك ايضًا ان تجسي لي الاحوال وكل خبر تسمعينهُ بالمدينة تطلعيني عليهِ . فوعدتهُ بكل جميل وصارت في كل يوم تخرج الى السوق فتاتي بالطعام وتعود اليهِ الى ان جاءتهُ واخبرتهُ بزفاف الملك بهمن على شمس بنت جهان فاخذ ينظر في امر لتدبير مصلحتهِ وصرف مدة العشرة ايام يفكر في وسيلة تمكنهُ من بلوغ الغاية ونوال المراد وفي اليوم الاخير منها خرج من بيت العجوز عند المساء وسار الى جهة قصر بنت جهان وكان يعرف كل معابرهِ ومداخلهِ فوجدهُ مزدحمًا بالناس من المتفرجين ومن الزائرين وهو على تلك الحالة المبهجة فعرف من نفسهِ انهُ سينال غايتهُ في تلك الليلة ثم دخل من الباب واختلط بين الجواري وهن قائمات على الخدمة وهو يراقب اعمالهن الى ان راى خاطرة قد دخلت غرفة مولاتها وطيبتها وخرجت وقفلت الباب ووضعت المفتاح في جيبها فقرب منها وقال لها يا ستاه لما قفلت الباب فالاوفق ان تبقي انت في الغرفة الى حين مجيء العروس اليها لانها مولاتك وانت قهرمانتها الخاصة بها . قالت ان شمس زوجة بهروز اوصتني بذلك وعند انصراف الناس اعود فافتحها حيث بعد دقائق قليلة ياتي الملك بهمن مع جماعتهِ فيزدحم القصر كثيرًا ولا يعود الاخ يعي على اخيهِ واني احب ان اراقب عمل الخادمات الذين مثلك وادبر ما تعملن فاذهبي الى شغلك ولا تكثري من الكلام فسكت من نفسهِ وامل بنوال الغاية

وفيما هو كذلك اذ سمع اصوات الاتين فصبر الى ان دخلوا وازدحم القصر من كل جهاتهِ وامتلأ بالزائرين فترك الجميع ولم يلتفت الى احد وجعل يراقب خاطرة كيف سارت وكيف ذهبت الى ان راها دخلت المرحاض منفردة عن الناس فصبر ان فتحت الباب وقصدت الخروج فضربها بخنجر في صدرها القاها الى الارض وقبل ان تصيح او تختبط وضع يديهِ على رقبتها وخنقها واخذها الى زاوية في ظهر المرحاض القاها فيها وكان عالمًا بكل ما في القصر من الخبايا فعلم ان الجميع مشغلون تلك الساعة ولا احد ينتبه اليها وان الخدم سوف تذهب جميعها الى ولا تبقى غير خاطرة ولذلك اسرع الى ثيابها فنزعها عنها ولبسها وعاد الى بين الجواري يقوم بالخدمة التي كانت عليها خاطرة وفعل كل ذلك باقل من ربع ساعة ولم يكن ينتبه اليهِ احد من الجواري

او الخدم لاشغالهم بالاعمال وفي كل دقيقة يخرجون للفرجة وونك يفعل ذلك الاَّ انهُ كان يراقب كل المراقبة ويتحذر كل التحذر من ان يراه بهروز فيعدمهُ الحياة فاخفى نفسهُ عنهُ وما راه قط احد من عياري الفرس وعندما اخذت الناس بالانصراف ولم يبقَ الا القليل منهم عرف ان بعد قليل لا يبقىَ بالقصر الاَّ الملك بهمن وزوجتهُ شمس فاسرع الى غرفة المنامة ففتحها لان المفتاح كان معهُ واخرج سائلاً من البنج رشهُ على الفراش ودخل تحت السرير واختفى عن الاعيان وهو يومل نجاح مسعاه وفي كل نيتهِ ان الملك بهمن حال وصولهِ الى هذه الغرفة يطلب السرير حالاً مع زوجتهِ ليتنعم بها لكثرة شوقهِ اليها ولعظم ما لاقاه من تعب السهر واقام الى ان جاء بهمن كما نقدم معنا الكلام ورفع زوجتهُ الى السرير وقصد ان ينام الى جانبها فوقع واياها بمفاعيل البنج وغابا عن الصواب دون ان يقرب احدهما من الاخر

ولما اطمأَن بال ونك وعرف حق المعرفة ان البنج قد فعل كل الفعل في الملك بهمن وزوجتهِ وصار يقدر على التملك منهما وتنفيذ غايتهِ فيهما نهض من تحت السرير وقلبهُ يخفق من الهلع والخوف وعندما وقع نظره عليهما ارتبك وتصور لهُ الوهم بهيئة بهروز العيار فقوبي عليهِ وضيق في وجههِ المذاهب وجعلت ركبتاه ان ترتجفا ورأى من نفسهِ انهُ واقع في ضعف قوي كادت تنشق لهُ مرارتهُ فاخذ يقوي نفسهُ بنفسهِ واستل الخنجر بيده وتقدم من السرير واراد ان يضرب بهِ الملك بهمن وزوجتهُ فلم يقدر ان يرفع يده والوهم ينمو ويكبر امام عينيهِ وفيما هو على ذلك اسمعهُ الوهم صوت بهروز فارتجفت اعضاه ووقع الخنجر من يده ولم يعد يعي على نفسهِ وشعر انهُ هالك فاندفع بالرغم عن الضعف الذي لحق بهِ الى جهة الباب وسحب نفسهُ الى الخارج وهو لا يصدق انهُ ينجو من مخالب بهروز حيث كانت عيناه تفتشهُ فتريهِ اياهُ امامهُ واذانهُ تسمعهُ صوتهُ فيتصور انهُ آتٍ للانتقام منهُ على جريمتهِ هذه وجسارتهِ للدخول على مثل الملك بهمن وهو مع عروسهِ وبقي يقع ويقوم الى ان صار خارج القصر فراى ذاتهُ قد ارتاح نوعًا وصار امينًا على نفسهِ فسار الى جهة ابواب المدينة وبقي عندها الى ان فتحت في الصباح فخرج منها وهنالك امن على نفسهِ كل التامين وبقي سائرًا الى ان وصل الى المغارة التي ابقى ثيابهُ فيها فنزع ثياب خاطرة القهرمانة ولبس ثيابهُ ونظر الى نفسهِ فوجد انهُ قد رجع الى اصلهِ وانهُ ونك العيار واخذ يتصور في ذهنهِ كل ما مرَّ عليهِ فجعل يعض كفيهِ ندمًا كيف لم يقتل الملك بهمن وزوجتهُ وقال في ذاتهِ ماذا وقع عليك ياونك اهل بسبب لبسك ملابس النساء اتخذت قلبهنَّ ففاتك امرٌ خطير كنت تنتظرهُ وتتمنى وقوعهُ فماذا يا ترى كان يجرى لو قتلتهما غير اني اذبح اذا وقعت بايديهم والان ساذبح اذا وقعت ومسكوني ولعب بهِ الغيظ كل ملعب حتى كاد يختنق من فوات هذه الفرصة ثم خطر لهُ ان يدور في العواصم والقرى يفتش على سيده جهان لان لابد ان

يكون نازلاً في احد الجهات بعيداً عن العمران او في العمران ينتظر الفرج ولما قوي هذا الخاطر في ذهنهِ خرج من المغارة وانطلق باعداً عن المدينة يقصد كل مكان يعرفهُ يبحث ويفتش فيهِ وسنرجع الى حديثهِ فيما بعد

هذا وفي صباح اليوم التابع لزفاف الملك بهمن خرج فيروز شاه من قصرهِ مع بعض حاشيتهِ واولاد عمهِ وجاءوا قصر شمس بنت جهان ليباركوا للملك ويرونهُ فدخلوا قاعة الجلوس وأقاموا مدة ساعة دون ان يروا احداً او خرج اليهم احد وكان بعهدهم ان تاتيهم القهرمانة بالشراب فلم يروا لها من اثر . واذ ذاك خفق قلب فيروز شاه وقال لوزيره طيطلوس اني اعجب من تاخير ولدي عن الخروج للان وكان بعهدي ان خادمة شمس تحضر الينا او بعض الخدمة الذين تحت نظارتها فما من احد في القصر بل راينا ابوابهُ مفتوحة فهلموا بنا لنرى ولدي وماسبب تاخيره ونهض مرتاعاً حتى جاء الى باب الغرفة فوجده مغلقاً فضرب عليهِ عدة دفعات دون ان يجيبهُ احد فكاد يغيب صوابهُ وخاف من وقوع المصائب ولم يطعهُ قلبهُ على الصبر بل رفس الباب برجلهِ وولج الغرفة ونظر الى السرير فوجد ولدهُ ملقى دون وعى وهو اصفر الوجه ومثلهُ زوجتهُ فزاد بهِ قلقهُ واضطرابهُ ودلف عليهِ ونهضهُ على يده واذا بهِ كالمائت وقد انكأت رقبتهُ ومال راسهُ الى جانب حتى ظن انهُ مات فصاح صيحة قوية واراد ان يرمي بنفسهِ فوقهُ واذا بهروز قد قرب منهُ وقال لهُ ارجع ياسيدي فما من خوف على سيدي ولدك فهذا فعل البنج واذا قربت منهُ اصابك مثلهُ

ثم انخطف الى الملك بهمن فرفعهُ من السرير الى الارض وفعل مثل ذلك بزوجتهِ واخرج سائلاً مزيلاً للبنج ومبطلاً لمفاعيلهِ وسكب عليهما وسقاهما واذا بهما قد ابتدئا باستنشاق الحياة وعادت اليهما قواهما وتعجب الملك بهمن عندما راى نفسهُ على تلك الحالة وابوهُ وبهروز عنده وباقي امراء الفرس وكبرائها خارج الباب واقفون مضطربون فسال عن السبب وهو ملهوف فقال لهُ بهروز ما من امر موجب ياسيدي انما اريد ان اسالك كيف دخلت في الامس الى هنا ومن رايت وكيف كان دخولك السرير لاني ارى الفراش والوسادة مرشوشين بالبنج شيئاً كثيراً فاخبرني لاعرف من فعل ذلك . وكانت شمس قد وعت الى نفسها فجلست الى جانب بهمن وقالت اريد ان اعرف اولاً اين قهرمانتي قال لم نرها قط فهي غائبة عن القصر ولا ريب من وقوع دسيسة عظيمة احب الاكتشاف على طريقتها ومن مرتكبها . فقال الملك بهمن اني دخلت هذه الغرفة فلم ارَ احداً ودخلت السرير مطمئناً وحال دخولي اليهِ لم اعد اعرف ما جرى عليَّ وعلى زوجتي . فقال بهروز لشمس اخبرينا يامولاتي من الذي دبر هذا السرير ورتبهُ قالت قهرمانتي خاطرة ولا بد ان يكون جرى عليها امر مضر فوقف بهروز مفكراً واذا بهِ يرى خنجراً

ملقياً الى اسفل قوائم السرير فاخذهُ ونظر اليهِ واذا بهِ يرى مكتوباً اسم وتك العيار فتحقق ان هذا العمل عملهُ وانهُ دخل الغرفة وفي نيتهِ قتل الملك فلم يتسهل لهُ ذلك وعرضهُ على فيروزشاه فقال اذا وقع بيدي لابد من ان اذيقهُ اشد عذاب واميتهُ شر ميتة . وقالت شمس ثانية لبهروز اريد منك ان تكشف لي في كل نواحي القصر عسى ان يكون هذا الخبيث قد بنج خاطرة او فعل معها امرًا اخر فتخلصها

فاجاب امرها واندفع يفتش في كل نواحي الغرف داخلاً وخارجًا وبقي على حالتهِ الى ان جاء الى المرحاض فوجد عنده اثار الدم وتأكد ان لا بد ان تكون في تلك الناحية مقتولة فبحث جيدًا الى ان راى جسدها ملقى خلف المرحاض عاريًا من الثياب وراى عنده ثياب وتك فزاد يقينهُ بدخول وتك الا انهُ بقي متعجبًا كيف لم ينفذ ما ربهُ بالملك مع انهُ كان قادرًا على قتلهِ ورجع الى سيده فاخبره بما راى فاغتاظ الملك بهمن وكل الحاضرين من هذا العمل وهنأ والملك وزوجتهُ بالسلامة من هذا الامر الخطير والمصاب العظيم الذي مرّ عليهما ثم ان فيروزشاه دعا بالعيارين اليهِ وقال لهم اريد منكم ان تتفرقوا في المدينة وفي خارجها من كل النواحي الى ان تدركوا هذا الخبيث لنقتلهُ واني اعدكم وعدًا فارسيًا ان من جاءني بهِ قتيلاً او اسيرًا اعطيتهُ ثقل جثتهِ ذهبًا وقدمتهُ على سواه فوعدوه بالخير والفحص واخذوا بالبحث والتفتيش عليهِ من ذلك الحين . واما فيروزشاه فانهُ امر بهروز ان يدفن جسد المقتولة وقال قد قصرنا بالواجب ونحن نظن اي مكان دخلناه اننا بنفس ايران وكان من الواجب ان نقيم الحرس على ابواب هذا القصر كما نقيمهُ على ابوابنا . ثم امر بان يحف القصر بالحرس وان ياتي بالخدم والجواري لخدمة القصر بمعرفة بهروز فانتهى بوقت قريب كل ما امر بهِ وتمناه ثم انهُ خرج من القصر مع من معهُ وتركوا الملك بهمن مع زوجتهِ يعتاض بذلك النهار عما غاب عنهُ في الليل وبعيد الوقت الذي خسره فاتى زوجتهُ وسر بها مزيد السرور الى اليوم الثاني وفي اليوم الثاني خرج من قصره الى قصر الاحكام كباقي عادتهِ وهكذا كانت حالتهُ مدة ايام . الى ان كان ذات يوم اجتمع المجلس من سائر الامراء واحتبك احتباكًا عظيمًا . وعليهِ فقال فيروزشاه اعلموا ايها الامراء والوزراء اننا بحاجة عظيمة الى العود الى بلادنا لاننا ببلاد الاجانب غرباء وقومنا باضطراب من اجلنا ولا نعلم ماذا جرى عليهم وعندي ان الملك جهان ما عاد يقدر على الرجوع الى هذه البلاد واذا رجع فنكون نحن قد رحلنا عنها فيعود الى ملكهِ ولذلك قد نويت ان ابقي البلاد كما كانت واسلم زمام امرها الى الوزير مهريار فاذا عاد جهان بلغهُ تحياتنا واخبره بزواج شمس بنتهِ بولدي ونكتب كتابًا نسالهُ فيهِ المصالحة والوفاق واذا لم يرجع تبقى البلاد بيد مهريار ويكون كل شيء باقٍ على حالهِ

قال وفيما هم على مثل تلك الحال وقد وافق الجميع راي فيروز شاه واختاروه ووعدوا انفسهم انهم بعد قليل من الايام يبارحون تلك الديار عائدين الى بلادهم واوطانهم فيرتاحون من الحروب ويسكنون في بيوتهم واذا باحد الحجاب قد دخل على الملك بهمن وقال له اعلم ياسيدي ان احد رجال الفرس واقف بالباب يطلب الدخول اليك وهو آتٍ من ايران بكتاب من جدك الملك ضاراب. فقال له احضرهُ اليَّ حالاً واقام الجميع سكوتاً ينتظرون الرسول ودخوله حتى دخل ووقف بين يدي الملك بهمن وقال له اني مبعوث ياسيدي من جدك الملك الاكبر بهذا التحرير وقد اوصاني ان اسرع به فقطعت الارض نهباً وما استقريت في مكان طول الطريق بل كنت اسير الليل والنهار الى ان وصلت الى هذه البلاد فالحمد لله الذي وجدتكم بالسلامة والامان وقد انتهيتم من الحرب واقمتم في سلام. ثم دفع التحرير الى الملك بهمن فاخذهُ وفتحهُ ودفعهُ الى الوزير طيطلوس ليقراهُ فاخذه من يده وقراه واذا فيه

بسم الله الحي الدائم اياه ارجو وبهِ استعين

من الملك ضاراب وكيل المملكة الفارسية وابي فيروز شاه الى حفيده الملك بهمن ملك الاعجام واليمنيين والمصريين والرومان

كنت يا ولدي عندي في ايران وعرفت عظم اضطرابي على ابيك وشوقي اليهِ والى اولاد عمي ووزرائي وعموم رجالي الامناء المحبوبين مني ومن وطنهم ولهذا بعثتك على امل ان تنفعهم وتعينهم اذا كانوا بحاجة اليك وان ترسل اليَّ باخبارك واخبارهم وبتفاصيل كلما تراه هناك من الحوادث التي كانت تتعبني وتقلقني على الدوام في اضطراب ومن يوم رحيلك الى هذه الايام وانا اترقب وصول خبر منك فكان انتظاري بدون جدوى ولا منفعة ومع هذا فان امالي بالله تعالى لاتزال على ازدياد وحسبت ان كثرة الحوادث وعدم التوفيق منعاك من استطلاعي على ما انتم عليهِ والان فان حادثاً جديداً بلغني وعرفت صحتهُ فاسرعت قبل وصولي اليهِ الى اطلاعكم عليهِ لتسرعوا اليَّ اذا كان بامكانكم وهو انهُ عرفت ان الشاه روز ابن الملك كندهار الذي كان قد ذهب الى بلاد اليمن بطلب والدتك عين الحياة ومنعهُ ابوك ودفعهُ مهزوماً بالعساكر التي كان قد جاء بها من بلاده ومن بلاد الزنوج وقتل برور وميسرة اولئك انهُ استغنم هذه الفرصة وهي فرصة غياب رجالنا وطول سفرهم وقصد بلاد الحبشة ووقع على الملك الابشع ملك الحبشة والسودان واخي طومار الزنجي بالرضاع فوعده بالامداد والمسير الينا ليساعده على اخذ عين الحياة منا واغتصابها بالرغم عنا وتزوجها بهِ واخذ في ان يجمع بالعساكر لياتي بها ولما عرفت بهذا الخبر تكدرت مزيد الكدر لان لاخفاكم ان الملك الابشع هو من اعظم الملوك سطوة وسلطاناً

وقد يقال انهُ ابسل واشجع من طومار باضعاف لا يقدر احد ان يقف في وجهو الاّ اذا كان ابوك فيروز شاه ومما زاد كدري خروج الشاه روز عن الطاعة وطمعهُ باخذ امك عين الحياة بعد ان صارت في اواسط عمرها وهذا من اكبر العار واعظمهُ والامل ان تنصرفوا من الصين وتحضروا باقرب وقت كيف كان الحال قبل مجيء الاعداء الينا بشرط ان يكون رجوعكم مقرون بالشرف والناموس والفخار كما هو معهود ومنشور عن الدولة الفارسية ورجالها واعلموا انهُ ربما بتاخيركم تضر البلاد ويحدث بها الخلل ويقع ما لا يكون في الحسبان ولي رجاء منهُ تعالى ان لا يكون نقص احد من رجالنا وابطالنا ويكون النصر قد انتهى وقربت حال وصول رسولي اليكم ايام رجوعكم واكرر اليكم الطلب بالاتيان حالاً دفعًا للمصائب والاخطار وصونًا للحريم والسلام من الله لكم اجمعين

وعندما فرغ طيطلوس من قراءة هذا التحرير اضطرب فيروز شاه ولعب بهِ الغضب عند سماعهِ بذكر الشاه روز وغايتهُ وان مراده ان يتسبب الى نزع عين الحياة منهُ وقد شاهد كل واحد من الحاضرين ما حل بهِ وجرى عليهِ وخاف طيطلوس من ان الغيرة تزيد عليهِ فتلقيهِ في الجنون لا سيما وهو غير قادر على الوصول الى ايران الى الشاه روز لينتقم منهُ ويأخذ بثار نفسهِ من هذا الخارج الذي طمع بحريم سيده وسيد الفرس والاعجام باجمعهم ولذلك قال ان عمل الشاه روز هذا ليس من الامور التي تهم ومن عادة الكلب ان ينبح بالاساد لكنهُ لا يجسر ان يقرب منها وعليهِ فاني مطمأن الخاطر من جهة عملهِ لانهُ وان كان يقصد حربنا واخذ عين الحياة لكن يعجز عن مثل هذا العمل ما زال اسم فيروز شاه يرف حول ايران فيحميها من كل عدو بعيدًا كان او قريبًا ولا سيما ان سيدي الملك ضاراب يقول في تحريره ان الشاه روز وقع على الملك الابشع ملك الحبشة فوعده بالمساعدة واخذ يجمع الجيوش ولهذا يظهر ان الاعداء بعيدين عن بلادنا لا يزالون في بلادهم فاذا لم يعدلوا وجاءوا يقتضي لمجيئهم وقت طويل. فقال بزرجمهر لا بد ان في هذه المدة نكون قد وصلنا الى بلادنا واذا كنا فيها او ادركنا الابشع عندها نلنا الغاية الكبرى لان كل فارس من فرسان قومنا قادر على كبح هذا الملك الحبشي وفيما هم على مثل ذلك يفكرون بامر الملك الابشع وبالمسير الى بلادهم واذا ببدرفتات العيار قد دخل عليهم والعرق يسيل من راسهِ الى قدمهِ وهو يلهث والتعب يكاد ان يقطع نفسهُ فانتبه اليهِ الجميع وعرفوا انهُ ما جاء على مثل هذه الحالة الاّ لامر مهم واذا بهِ بعد ان اخذ الراحة وقدر على الكلام قال للملك بهمن اعلم ياسيدي اني ذهبت من هنا بامر سيدي فيروز شاه للبحث عن ونك الخبيث الغدار فاخترقت البراري والقفار واوسعت في سائر الجهات وفي نيتي ان اطوف كل النواحي عليهِ ولا اعود الاّ بهِ حتى بعدت كثيرًا عن هذه المدينة واوصلتني الصدف الى جهة البحر فوقفت عنده ونظرت

اليم واذا بي رايت ميئات من المراكب آتية الى الشاطي الواقف عليهِ فبقيت هناك لعلمي ان لا بد لهذه المراكب من سبب وبوقت قريب وصلت الى الشاطي ورست عنده وجعلت تنزل القوارب وتنزل اليها الرجال خارجة الى البر فتاكد لي انهم من الهنود فنزعت في الحال ردائي ولبست ثوبًا صينيًا ووقفت الى ان اخذت الرجال تخرج الى البر وبقيوا من حين وصولهم الى ثلث المساء والقوارب تنقلهم من المراكب الى البر حتى انتهوا وقد اخرجوا اكثر من الفي فيل عظيم وحيث كنت اريد ان اعرف من هم وسبب مجيئهم ومن معهم من الفرسان اي اردت ان اختبر حالتهم واعرف معدل قوتهم اجتمعت باحد خدمهم وقلت لهُ اني يا سيدي من فلاحي هذه النواحي اتيت هذا الشاطي لصيد السمك فرايتكم هنا ولا اعلم من انتم وما سبب مجيئكم فهل انتم اعداء بلادنا او آتون لاغاثتنا ونجدتنا قال اننا آتون لنجدة الملك جهان فاظهرت الفرح وقلت اشكر النار التي بعثت لنا من ينقذنا بعد الذل ويدفع عنا المصائب والامل ان يكون فيكم من يقدر ان يقتل لنا هذا فيروزشاه الذي طغى وبغى وملك البلاد وخرب معابد النيران واقام دينهُ في كل النواحي . قال ويلك كيف لا يوجد معنا من يقدر على هلاك هذا الرجل الطاغي ولو عرفت من مع هذا الجيش لاخذتك الدهشة والعجب فان معنا الملك شنكال الهندي ملك ملوك الهنود وسيد فرسانهم وقد اصحب معهُ بهلواني بلاده اخوة كيوال وكتوال الذين لا نظير لهم في هذه الدنيا وهم القمقام والغطام والهراس وكل واحد منهم يكفي لان يهلك جيوش اعدائك باجمعها وبعد ان عرفت معظم ما انا مشتاق الى معرفتهِ عدت مسرعًا الى هذه الجهة لاطلعكم على امر الهنود وما رايت من امرهم . فلم يضطرب فيروزشاه لهذا الامر بل قال اني اعرف جيدًا اننا سنفوز على هذه العساكر التي جاءت لكني متكدر من مجيئها ولا بد انها تعيقنا عن السفر اذ ليس من الصواب ان نترك الوزير مهريار لوحده وما من قوة عنده للدفاع عن المدينة او لكبح الهنود فقال بزرجمهر ان لدينا امران وهما اما ان تبقى الى حين دفع هذه العساكر التي جاءت وتبديد شملها واما ان نقسم رجالنا الى قسمين قسم يسير الى ايران وقسم يبقى للدفاع عن المدينة وعن سلطة الوزير مهريار فقال الملك بهمن اني لا احب ان اقسم جيوشي الى قسمين فتضعف بل من الصواب ان نلبث هنا عدة ايام الى ان ياتوا هولاء الهنود وبعد مجيئهم نحاربهم وبمساعدتهِ تعالى ندفعهم ونوقع بهم ومن ثم نسير الى بلادنا ومهما قدره الله علينا نفعلهُ فهو يعلم ما اعد لنا في مستقبل ايامنا ثم انهم اعتمدوا على البقاء في المدينة وانتظار الهنود الى نواحيها واستعدوا لان يوقعوا بهم دفعة واحدة ولا يتركوا لهم مجالاً طويلاً خوفًا من العاقة والتاخير

قال وكان سبب مجيء الهنود الى تلك الديار هو ان الذين هربوا من وجه بهزاد عند

قتلهِ كنوال وخلاص اردوان كما تقدم معنا الكلام بقيوا مهزومين وسائرين عدة ايام ينتقلون من بلاد الى بلاد حتى وصلوا الى بلادهم فدخلوا على الملك شنكال ومزقوا ثيابهم وبكوا وناحوا وحكوا لهُ كل ما حل بهم من رجال الفرس ونعوا اليهِ قتل كيوال وكنوال فغضب مزيد الغضب وتكدر غاية الكدر وكان موجودًا في ديوانهِ اخوتهما الثلاثة وهم اشد منهما باسًا واقوى مراسًا القمقام والغطام والهراس فناحوا وبكوا على اخويهم ونهضوا واقفين امام الملك وقالوا لهُ لانقدر يامولانا ان نسكت عن ثار اخوتنا ولا بد من مسيرنا في نفس هذا اليوم لان العساكر حاضرة للرحيل وهي تقدر على السفر في هذه الساعة . فقال طيبوا قلبًا وقروا عينًا فلا بد من مسيري معكم الى تلك البلاد وهلاك هذه الطائفة الفارسية التي لم نقدر نفسها حق قدرها حتى اوصلت اذاها الينا وصار لنا ثارًا كبيرًا عليها وجل غايتي الى المسير معكم لاجل امر مهم عندي وهو ان بعض السياح اخبرني ان للملك جهان بنت وحيدة في زمانها حسنًا وعقلاً وادبًا ولذلك ساصحب معي ولدي كوكلة فازفهُ عليها في تلك البلاد ومتى راى جهان اننا فعلنا معهُ جميلاً يطلب التقرب منا ويسر بمثل هذا الزفاف

وكان عند الملك شنكال امراة مسنة بالعمر اسمها رزة الساحرة قد حوت من ابواب السحر والكهانة اعظمها وعرفت كل فنون الطلاسم وما هو من هذا القبيل وكان شنكال لا يفعل شيئًا الا بمعرفتها لعلمهِ بما هي عليهِ من القوة والسحر وفي ذاك الوقت دعاها اليهِ وقال لها اريد منك ياماماه ان تضربي لنا الرمل وتنظري في سفرنا الى الصين ومحاربة الفرس اهل نفوز عليهم او يقع علينا حادث مسيء فاجابتهُ الى طلبهِ وبعد ان فرغت قالت لهُ اني انصحك ياولدي ان لاتذهب الى محاربة الفرس فقد ظهر لي الانكيس وبان النحس معقودًا على اطراف الطمع فما من نجاح تلاقي في تلك البلاد . قال لها اريد منك مساعدتنا لان ما من وسيلة ترجعنا عن حربهم بعد ان فعلوا بنا ما فعلوا والصواب ان لا نتقاعد عنهم ونتركهم يقتلون لنا فرساننا وابطالنا ويوصلون شرهم الينا قالت اذا كان لابد لك من المسير فاني اسير معكم وارفع عنكم شدات عند الضيقات فاذا قصرتم اثناء الحرب والقتال وما عاد من امل لكم بالنجاح قهرت لكم الاعداء بقوة السحر وفعلت بهم افعالاً تذكر مدى الاجيال فافنيهم عن آخرهم . فسر شنكال من كلامها وشكرها عليهِ وبعد ذلك امر ان تنقل الفوارس الى المراكب تعجيلاً للوقت وتقريبًا لسرعة الوصول الى باكين قبل ان يرحل الفرس منها فنقل كل شيء امر بهِ من زخائر ومؤون وعساكر واسلحة وغير ذلك ثم اعدَّ مركبًا مخصوصًا لنفسهِ فنزل فيهِ مع ولده كوكلة وكان قد اخذهُ معهُ وفي نيتهِ ان يزفهُ على بنت جهان الذي تقدم وصفها وقد عرض عليهِ ذلك فما امتنع بل اجاب وكان على ما يقال انهُ قبيح المنظر جدًّا ناقص العقل ضعيف البنية فسرَّ عند سماعهِ

بذكر العروس وصار بفرح لا يوصف

وبعد ان نزلوا البحر ونزل القمقام والغطام والمراس في مركب آخر اقلعت المراكب تمخر البحار وهي منتشرة كالنجوم السيارة وقد وافقها الهواء وخدمتها الرياح حتى اوصلتها بوقت قريب الى شواطي بلاد الصين فرست عندها ونقل كل ما فيها الى البر كما تقدم معنا وكان بدرفتات قد راها وعرف ما هي عليهِ وسار فاخبر مولاه بهمن وقومهُ بكل ما راى وبقي شنكال عند الشاطي مقدار ثلاثة ايام وقد انتشر خبر وصولهِ في كل تلك النواحي واخذ رجال الصين المتفرقون من عن المدينة يلفون الى تلك الجهة لينضموا اليهِ لانهم لم يقبلوا ان يدخلوا المدينة بعد تامين اهلها كرهًا بترك عبادة النــار وكانت ريزة السحرة مع الجيوش وهي لاتفارق على الدوام الملك شنكال بل تجتمع بهِ في كل الوقت وعندها ولدها برنش العيار وبعد مضي ثلاثة ايام عزم على الرحيل الى جهة المدينة وامر العساكر ان تستعد للرحيل والمسير

وكان الملك جهان كما تقدم معنا الكلام قد فرَّ من امام الفرس في القتال الاخير عند اسوار المدينة وبقي سائرًا من جهة الى ثانية وقد تاثره بعض قومهِ وانضموا اليهِ فقال لهم ان مرادي الان اختفي عن الاعيان ولا اظهر امري لاحد من الناس الاَّ للذين اعهد انهم اصدقائي ويكتمون امري وذلك لكي لا يظهر خبري للفرس فياتون اليَّ ويقبضون عليَّ وربما قتلوني وابقى الى ان يرحلوا الى بلادهم او ان تبعث النار لنا بالملك شنكال كوني اعلم جيدًا ان لابد من مجيئهِ لاخذ ثار رجالهِ الذين قتلوا ونفرقوا وقد كان في نيتهِ ان ياتي بنفسهِ منذ الاول فاجابوا سوالهُ وذهبوا جميعًا الى قرية عالية في ظهر جبل سكنوا فيها واخفوا فيما بينهم الملك وصار بينهم كواحد منهم وهم في كل يوم يذهبون الى البراري والقفار يصطادون ما تصل اليهِ ايديهم من الوحوش للتغذي بلحمها وكان قوم منهم يذهبون الى جهات المدن الكبيرة للاستقصاء عن الاخبار والاستعلام عما يجد من امر الهنود ودامت هذه الحالة حالتهم مدة من الزمان الى ان بلغهم ان الملك شنكال قد جاء من بلاده على المراكب ونزل الشاطي فسر جهان بهذا الخبر وقال لقومهِ اني اريد ان اذهب الى الملك شنكال من هذه الساعة وعندي ان انضم اليهِ واقع عليهِ واطلب نجدتهُ ولا بد اذا عرف قومنا بنا واننا مع الهنود ياتي الينا كثير منهم فتقوى شوكتنا وعسى ان النار تكون راضية عنا فتعيد الينا بلادنا ويرجع الينا المجد الذي فقد فاجابوهُ الى سوالهِ وساروا معهُ الى جهة الشواطي التي عندها الملك شنكال وفيما هم سائرون راوا رجلاً يقمز بين تلك القفار كانهُ العفريت الطيار فتبينوهُ واذا بهِ ونك العيار فصفقوا من الفرح وامر جهان ان يسير اليهِ احد قومهِ ويطلب حضورهُ فاسرعوا اليهِ واحضروهُ امام جهان فقبل يديهِ وفرح بملتقاهُ مزيد الفرح وسر غاية السرور فقال لهُ جهان اين كنت في كل هذه

المدة وكيف تسهل لك الوصول الى هذه النواحي فاخذ يشرح لهُ كل ما توقع من الوزير مهربار من حين دخوله ومسكهِ الى يوم زفاف شمس بالملك بهمن وما جرى من الاحتفال وكيف انهُ كان عزم على قتل الملك فضعفت عزائمه وجمدت يدهُ

ولما سمع جهان هذا الكلام اطرق الى الارض وقال لهُ هل انتهى هذا الزفاف برضا بنتي شمس قال نعم وهي نفسها طلبت ذلك و وافقت عليهِ مع انهُ كان بوسعها ان تخالف ولو اغصبوها عليهِ فلم يبدِ جهان كلمة قط ولا اظهر غيظهُ من هذا الامر بل قال لونك سر امامي الان الى جهة البحر فقد عرفت ان الملك شنكال نازل هناك مع فرسانهِ وابطاله فاجاب طلبهُ وانطلق امامهُ يجري وهو مسرور بملاقاة سيده وبما سمعهُ من مجيء فرسان الهنود مع الملك شنكال ويعد نفسهُ بالانتقام من الفرس . ودام جهان مع الاشخاص الذين معهُ بالمسير الى ان لاح لهم الشاطي عن بعد فتبينوا من هناك واذا بطائفة الهنود قائمة كالجراد المنتشر فزاد فرحهم وانحدروا الى ان وصلوا اليهم ونقدم جهان من شنكال وشكا لهُ كل ما كان من امره وما جرى عليهِ من البداية الى النهاية فوعده بكل جميل وترحب بهِ مزيد الترحاب وقال لهُ يصعب عليَّ ان اسمع بوقوع امر عليك بمثل هذا الامر وارغب كثيرًا ان ادافع عنك وعن بلادك لانك صرت شريكًا لي بالثار والذي يهمك يهمني وعلاوة عليهِ من حين خرجت من بلادي قصدت ان ازف ابنتك شمس على ابني كوكلة لانهُ بلغني ما هي عليهِ من الحسن الباهر والجمال البارع والتعقل والاداب والحكمة . فقال جهان اني عرفت يا سيدي ان الملك بهمن اجبرها على الزفاف بهِ وتزوجها وهي الان قائمة عندهُ . فلما سمع الملك شنكال هذا الكلام زاد بهِ الغضب واضطرب كل الاضطراب وقال لا بد لي من قتل هذا الملك المتعدي الذي لم يكفهِ التسلط على بلادنا والاستيلاء عليها وقتل رجالنا وفرساننا حتى مد يده اخيرًا الى التسلط على نسائنا واغتصابهنَّ واخذهنَّ من ايدينا واحتم الان اني سانزع منهُ بنتك وازوجها بابني بالرغم عنهُ بعد ان اذيقهُ العذاب الاليم وسوف يرى ان فرساني وابطالي ورجالي هم الفائزون فلعن الله الفرس ولعن يومًا جاءوا فيهِ الينا وها اني ادع عساكري الان تسير من صباح اليوم الثاني الى جهة المدينة . ثم امر ان بزاع بين الهنود ان يكونوا على اهبة السفر حتى اذا اشرق الصباح القادم ركبوا وساروا نحو بكين لمحاربة الفرس

قال وكان فيروزشاه باقٍ في المدينة كل هذه المدة وهو ينتظر قدوم الهنود ولما تاخروا ثلاثة ايام عن الحضور دعا برجالهِ ووزرائه وقال لهم انهُ لم يعد يسعني ان انتظر في هذا المكان اكثر من يوم واحد فاذا لم يصل الاعداء رحلنا اليهم ولا يخفاكم صعوبة المركز الواقعين فيهِ الان فان فكري على الدوام يضرب الى جهة بلاد ايران ولا يمكني التاخر ومن الصواب ان

نسير الى الجهة التي فيها الهنود فنبطش بهم هناك ونذيقهم امر العذاب ونرجعهم من حيث جاءوا وانا على يقين ان حربنا معهم لايكون اكثر من سبعة ايام او عشرة ايام . فاجاب الامراء قوله وباتوا يستعدون الى الرحيل واخذوا باجمعهم ينهيأون وفي الصباح نهضوا ونظروا الى البر فلم يروا احدًا قادمًا فاخبروا فيروز شاه فامر ان تخرج العساكر وتسير الى جهة البحر فاجابوا امرهُ بالحال وخرج الملك بهمن تحت الرايات والاعلام ومن خلفهِ بقية الفرسان والابطال وعندما انتهوا من المدينة خرج فيروز شاه في الاخير بعد ان دبر احكام المدينة وسلم امرها الى مهريار واوصاه بالتاني والتروي والمحافظة على الابواب ومن ثم لحق بالقوم فادركهم ومشي باولهم وهو كانهُ الاسد الغضنفر يطلب ملاقاة الهنود لينهي هذه الحرب ويرجع الى بلادهِ باقرب وقت ودام على مثل هذا المسير مدة يومين وفي اليوم الثالث تبين طلائع الهنود قادمة في طريق باكين وكان المكان الذي وصلوا اليهِ واسعًا يانعًا فامر فيروز شاه بنزول العساكر فيهِ وان تاخذ لنفسها الراحة من التعب وكذلك عساكر الهنود فانها رات الفرس وتاكدتهم من اعلامهم وعلموا بقرب وقوع الحرب بينهم ولهذا السبب امر الملك شنكال ان ترتاح عساكره بتلك الارض حتى عند الصباح يفاجئهم ففعلوا و بعد ان استقر بهِ المقام وضربت اطنابهُ فيهِ اقام بصيوانهِ وجمع اليهِ كل رجالهِ الاعيان ووزائهِ وقال لهم هوذا الحرب قريبة منا واني ارغب في ارسال كتاب الى فيروز شاه اطلب الطاعة والخضوع والتخلي عن البلاد وبعدهُ عنها وترك شمس بنت ملكها وان يقيد ابنهُ ويسلمهُ لنا فاذا اجاب عفونا عنهُ والا زحفنا عليهم واهلكناهم في الغد عن بكرة ابيهم فما منهم من خالفهُ بشيء مما ذكر وعليهِ فقد اخذ قلمًا وقرطاسًا وكتب مـــا ياتي

من شنكال ملك الهند والسند ونحوها ونصير الملك جهان الى فيروز شاه ابن الملك ضاراب الفارسي

اعلم ايها الملك العاتي المتجبر المتعجرف انك تطاولت وتعديت حتى ظننت ان لا احد من الملوك يقدر على ردعك والايقاع بك ولهذا قد جئت انا الملك شنكال لانزل من عظمتك والبسك اثواب الذل والعار واخذ بثار فرساني وابطالي الذين تعديت عليهم وانزلت بهم البلاء العظيم وما حسبت حساب قدومي عليك وطلبي لثارهم والان فاني امرك امرًا واحدًا اتخذهُ وسيلة لعودي عنك وبغيره لا رجاء لخلاصك مني وهو ان تقبض اولاً على ابنك بهمن هذا الصغير وترسلهُ اليَّ مكتوفًا تحت الحفظ لافعل بهِ غايتي ويكون دليلاً على طاعتك وخلاصك ورغبتك في خدمتي ومن ثم تكتب لي كتابًا تتعهد بهِ انك ترحل بعد خمسة ايام عن هذه البلاد فلا يكون لك بها قط اثرًا الا انت ولا قومك وتتخلى عن شمس بنت جهان وتعترف بعجزك

عن مقاومتي واذا لعب بك الكبر وحثك نفسك بالمقاومة زحفت عليك بقومي راكبين الافيال فتدوسك بارجلها ولا يكون لكم قط غير الموت باجمعكم جزاء على اعمالكم السابقة ولا اعود اقبل بصلح فيما بعد والسلام على من اطاع النار وعرف عظم مقدرتها والويل لمن عصاها وكره في خدمتها وعبادتها

وبعد ان ختم هذا التحرير دعا ببرنش العيار ابن رزة الساحرة وقال له اريد منك ان تذهب بهذا التحرير الى فيروزشاه فارس الفرس وملكهم وتدفعهُ اليهِ وتاتني منهُ بالجواب حالاً فاخذه منهُ وانطلق كالبرق الخاطف وبعد دقائق قليلة وصل الى امام ودفع الكتاب فاخذهُ منهُ ودفعهُ الى وزيره طيطلوس فيقراه علنًا فاخذه وقراه وما فرغ من قراءتهِ حتى لعب الغضب بفيروزشاه من كلام الملك شنكال ولم يقبل ان يجيبهُ بجواب بل قال لرسولهِ سر الى مولاك واخبره انهُ لا يستحق عندي الجواب وسوف نلتقي في ساحة الميدان فيعرف قيمة نفسهِ ومن هو امام فيروزشاه . فعاد برنش العيار واخبر الملك شنكال بجواب سيد الفرس فتوعده بالشر وان لابد من قتلهِ في الغد وهكذا بات الفريقان على نية القتال . وفي صباح الغد نهض كل فارس يتفقد سلاحهُ ويعدد عددهُ لعلمهِ ان لا نجاة الا بالدفاع بالاسلحة الحادة والعزائم المتينة . وقبل ان لاح نور نهار اليوم المنتظر نهض فيروزشاه باكرًا وامر ان تضرب طبول حربهِ لتنذر الهنود بالقتال فيعلمون انهم لم يغدروا ولم يوخذوا بالعجلة ولتكون ميقظة لرجال الفرس من مراقدهم للركوب والاستعداد

قال وعندما اشرقت الشمس ولاحت بانوارها مالئة الافاق وكاشفة عن وجه الارض برقع الظلام تقدمت الفرسان من كل جهة ومكان واصطفت في وسط الميدان وباول كل طائفة فارسها وحاميها وركب الملك بهمن والى جانبهِ طيطلوس وبزرجمهر وتقدم فيروزشاه في الوسط واقام في الجناحين بهزاد واردوان ومن بعدهما باقي الفرسان كفرخوزاد وبيلتا وطهمور وبهمنزار قلي وخورشيد شاه وكرمان شاه ومصفرشاه وجمشيد شاه وشيرزاد وغيرهم من الفرسان الامجاد وركب الهنود على خيولهم وافيالهم وفي مقدمتهم القمقام والغطام والمراس وباقي ما جاء معهم من ابطال الهنود ولما اصطف الصفان وانتظم ترتيبهُ صاح فيروزشاه باصواتهِ المعتادة واشار بسيفهِ الى قومهِ ان تتبعهُ وهجم هجوم الاسود وانحط انحطاط الرعود واقتحم ذاك البحر العباب . الكثير الويلات والعذاب . وقلب الميامن على المياسر واعمى العيون والنواظر وطعن في الصدور والخواصر . وشتت الفرسان في كل جهة ومكان وابلاهم بالذل والهوان . وهكذا بهزاد فانهُ فعل في معركة الطراد كما تفعل بالغنم الاساد وانزل عليهم الهلاك والدمار وقتل منهم جماعة كثيرة المقدار . واما اردوان . فلم ياخذهُ هدو ولا توان . بل اشفى غليلهُ في ذلك اليوم

العظيم الشان . وهو ينادي يالثارات شيروه بن كولندان . ولم تكن افعال فرسان الهنود باقل عظمة من فرسان الفرس لان كلاً من القمقام والغطام والهراس قد مال بفيلهِ وعمدهِ على ناحية من رجال ايران فاشبعهم من الضرب والطعان . ومددهم على بساط الصحصحان . وشردهم من امامهِ في كل مكان ودام القتال على مثل تلك الحال الى ان قرب الزوال وحينئذٍ ضربت طبول الانفصال . فتلقاها القومان بالاقبال . وما صدقوا ان يرجعوا في ذلك اليوم عن ساحة المجال

ولم يكن الاَّ القليل حتى هدأَت اصوات المتقاتلين وعاد كل منهم الى خيامهِ وهو مقطوع النفس لايقدر على الحراك ولا يمكنهُ حمل سلاحهِ وبعد ان اكلوا الطعام واخذوا الراحة لانفسهم وخمدوا جروحاتهم باتوا والحراس قامت تغفرهم من كل جهة وصوب الى ان اشرف الصباح وضربت طبول الحرب والكفاح وصاح نفير القتال من كل جهة وناح . فنهضت الفرسان من مراقدها واسرعت الى اسلحتها فنقلتها والى خيولها فركبتها ونقدمت كعادتها وهي تسال لنفسها الفرج والانتصار ولما التقت العين على العين صاح وهجم كل من الفريقين . فاشتدت الحرب اي اشتداد . وراج سوق الطراد . وبيعت فيهِ النفوس بابخس الاثمان . واندثرت فيهِ الجسوم والابدان . وداست الخيول على الهامات . وعمت المصائب والويلات . ووقفت في وجه المتقاتلين من كل الجهات . ودام الدم يبذل والرجال تقتل الى ان قرب الزوال فتركوا الحرب والقتال وعادوا من ساحة المجال وباتوا تلك الليلة تحت مشيتهِ تعالى الى ان صافحهم اليوم الثالث بانوارهِ فنهضوا الى شغلهم وعملهم وركبوا الخيول ونقلدوا بالنصول واصطفوا بالعرض والطول وعول فيروزشاه ان يهجم كالعادة وهو محروق الفواد من افعال القمقام كبير فرسان الهنود لانهُ اهلك كثيرًا من قومهِ وهو يود ان يلتقي بهِ في ذاك النهار واذا باخيهِ الاصغر المعروف بالهراس قد برز الى وسط الميدان وهو على ظهر فيلهِ كانهُ احد عفاريت سيدنا سليمان فعرض وبان ولعب على اربعة اركان الميدان . ثم طلب براز الابطال والفرسان . وما اتم عملهُ حتى فاجئهُ اردوان وصاح فيهِ بقوة قلب وجنان . واخذ معهُ بالضراب والطعان . وباقي الرجال تنظر اليهما بالعيان . تنتظر نتيجة هذا البراز . وتطلب السرعة فيهِ والانجاز . وكل طائفة تتمنى نجاح صاحبها وان يعود اليها سالمًا منصورًا هذا وهما باشد قتال واعظم نزال لا يسمع بينهما الا همهمة وصياح ودمدمة . حتى ارتفع فوقهما الغبار . فغيبهما عن الابصار . وحجبهما عن الانظار . وتعلمت الفرسان منهما البراز وما تضمنهُ من الاسر وداما على ذلك الى ما بعد الظهر بساعة وعند ذلك تعجب الهراس من ثبات اردوان امامهُ مع صغر سنهِ وهو دون العشرين وعلوهِ فقد صاح فيهِ وقال لهُ ويلك ايها الغلام لقد ثبت ثبات الابطال الصناديد الذين ضربت

بهم الامثال من قديم الاجيال ولم يكن بعهدي مع صغر سنك ان تلقاني وانا الهراس اخو الضمقام وما سميت بالهراس الاّ لما عرف الناس عني اني ما ضربت ضربة الا وسحقت ما تحتها ولو كان جبلاً راسيًا وقد عولت الان ان يكون احدنا منصفًا للاخر وهو ان تضربني ثلاث ضربات فاضربك نظيرها ومن منا كان اقدر على الاخر نال منهُ المراد فقال لهُ اني اجيبك الى ما انت طالب واسالك ان تضرب اولاً لان الفرس يزيدون غيرهم بالانصاف ولم يسبق لهم ان ضربوا احدًا من مبارزيهم بالاول فكن انت البادي وبعد ان تفرغ من دورك عدت انا فضربتك ايضًا بدوري

فوافقهُ الهراس على ذلك وقال في نفسهِ انهُ لا يحمل اكثر من ضربة واحدة وحتم في نفسهِ انهُ سيقتلهُ لا محالة لان ثقل عمدهِ كان نحو ستمائة منّ وكان اعرف الجبابرة بضرب العمد . ومن ثم صال وجال وصاح على اردوان اثبت مكانك واستعد للممات ورفع العمد بيده الى الجو الاعلى وارسلهُ بما اعطي من القوة والمعرفة فوقع على طارقة اردوان كانهُ الجبل الهابط وسمع لهُ صوت عظيم وقرقعة كبيرة كقرقعة الرعود عند اشتدادها وشعر اردوان بتخدر في يدهِ وعرف ان الهراس قوي الحيل ثابت العزم شديد الضرب غير انهُ اظهر الجلد ولم يظهر على نفسهِ ما لحق بهِ وقال في نفسهِ لابد من المحاولة في لقاء ضرباتهِ الى ان يفرغ او اني اموت فالحق يشهرونهُ . قال ومن ثم عاد الهراس الى عمدهِ فرفعهُ وضرب بهِ اردوان ضربة ثانية كاد لولا القليل ان يقع من تحتها وزاد تخدر يدهِ وضعف زنده وطلب من الله ان يعينهُ على الثالثة ويساعده على ان تمضي ولحظ منهُ الهراس الارتباك والضعف فطمع فيهِ ونظر ما حواليهِ ليرى ان كانت الفرسان محدقة بهِ ليريها فعلهُ فرأى بهزاد وقد ساق بجوادهِ ووقف قريبًا منهُ فعرف انهُ ما جاء الا لخلاص اردوان ولذلك اسرع اليهِ بالضربة الثالثة فانثنت لها يدهُ ووقعت على راس جوادهِ فسحقتهُ واراد ان يهجم عليهِ لما راه وقع الى الارض فلم يمكنهُ بهزاد بل صاح فيهِ وهجم عليهِ وفي تلك الساعة امر فيروز شاه الفوارس بالحملة فحملت من كل الجهات والتقتها جيوش الهند بقوى عزيمة وثبات واشتعلت نيران الوغى اي اشتعال وعملت في الرؤوس العوامل الطوال واختفت في الصدور البيض الصقال . وكال بائع الموت نفوس الرجال . باوسع مكيال . ودام الهراس مع بهزاد في شديد عراك وطراد الى ان قرب الظلام وضربت طبول الرجوع الى الخيام فافترق الفريقان وترك بهزاد الهراس وقال لهُ في الغد التقيني ان كنت من ابطال هذا الزمان فوعدهُ بالبراز وعاد كل منهما الى جهة وكانت رجال الفرس قد اشفت غليلها وارويت غلاة قلوبها وعادت مسرورة ما عدا اردوان فانهُ كاد ينشق من الغيظ لما لحق بهِ وهو يومل ان يعود ثانيًا الى قتال الهراس ليأخذ لنفسهِ منهُ بالثار

قال وفي المساء جلس فيروز شاه في صيوان ولده الملك بهمن واجتمع حواليهِ الابطال والفرسان حسب العادة وجاء اردوان وهو متكدر من نفسهِ فسلم وجلس وبعد ان استقر بهِ المقام قال لهُ فيروز شاه انهُ يخطر لي يا اردوان ان اكبلك بالقيود وامنعك من القتال. فقال لهُ بهزاد لما ذلك يا سيدي قال كونهُ برز الى الهراس دون استئذان مني واخاف ان يرمي بهِ جهلهُ واعتزازهُ بنفسهِ الى المخاطرة ويوقع في مصاب عظيم ويتركنا حزانى عليهِ. فنهض اردوان وقال لهُ هاك نفسي وجسدي فاني اقدمها لك وعرفت الان اني مذنب كل الذنب وكان من الواجب ان استاذن منك فغاب عني الوعي من ان يسبقني احد الى الهراس. قال اني اعرف منك ذلك ولهذا كنت ارغب في قيدك لانك تعديت على حقوق عمك بهزاد فهذه المهنة مخصوصة بهِ لانهُ هو بهلوان تخت فارس الاكبر وما زال موجوداً لا يحق لي انا ايضاً ان ابارز احداً وما زال هو يرغب ببرازه ولو لم يكن بهِ الكفاءة لمنعناه من براز الابطال. واني اعرف جيداً انك اشد باساً من الهراس ولولا ذلك لما ثبت لثقل ضرباتهِ ولو كنت انت البادي لكنت امتهُ واعدمتهُ الحياة حيث عرفت من ضربهِ انهُ بطل شديد الحيل والقوى ولا احد يقدر من قومي ان يلقى ضربهُ بثبات الا عمك بهزاد. فنهض بهزاد وسال فيروز شاه باردوان وقال لهُ اعلم ياسيدي انهُ ليس دوني بالقتال وهو من نسل فيلزور البهلوان غير ان سنهُ يطيشهُ ويغيب عنهُ الصواب فاجاب فيروزشاه سوال بهزاد وسمح لهُ هو وحده ان يقاتل الهراس واخوتهُ وعلى هذا بات الجميع ينتظرون يومهم القادم الى ان جاء وضربت طبول الفرس واجابتها طبول الهنود فنهض الفرسان الى الخيول فركبوها وتقدموا الى الحد الذي تعين لهم وما انتهوا من الترتيب والانتظام حتى سقط بهزاد كانهُ السهم اذا خرج من القوس وانطلق من ناحية الشمال الى اليمين ومن اليمين الى الشمال بطول المعسكر حتى الذي كان في هذا الراس لا يراه عند وصولهِ الى الراس الاخر ولما حمى الجواد واخذ يضرب الارض بيديهِ وهو يغلي كانهُ المرجل اوقفهُ بهزاد في الوسط ونادى الهراس ان يبرز اليهِ وما اتم كلامهُ حتى شقت جيوش الهنود وخرج منها الهراس على ظهر فيل عظيم كانهُ الجبل العالي ولما التقى الاثنان. اختلف بينهما الضرب والطعان. واشتد الحرب والكفاح. واكثرا من الصراخ والصياح. وكانا يتضاربان ضرباً عظيم المقدار. كانهُ الصواعق عند الانحدار ويتطاعنان بالعمدان فتقع على الطوارق ويطير منها شرار النار. وبالاختصار انهما بقيا على تلك الحال الى ان مضى جانب من النهار. وحينئذٍ عمد الهراس الى ان يترك الجولان ويرجع الى القتال بالعمدان كما صار بينهُ وبين اردوان لانهُ كان يعتمد على قوة زنده وثقل عمده فصاح ببهزاد وقال لهُ ان هذه الحالة لا تنولنا المراد فاثبت انت لاضربك ثلاث ضربات بعمدي هذا ثم عد انت فقابلني بالمثل فقال ان

هذا شانكم انتم الضخماء الاجسام فافعل ما انت فاعل واضرب ثلاثًا بثلاثين فان ضربك لا يوثر ولا يحط من عزمي . ففرح المراس باجابتهِ وتيقن في داخلهِ انهُ سيفوز على بهزاد كما فاز على اردوان ولذلك رفع العمد وصاح هيا انظروا فرسان ايران ما يحل بفارسكم بهزاد لتعلموا ما الفرق بينهُ وبين الفرسان الشداد وبعث بالعمد الى الطارقة يهوي مدفوعًا بقوة زند المراس وبثقلهِ العظيم حتى ترجح عند الهنود وفي خواطرهم انهُ لا يصل الى بهزاد الا وبسحقهُ كالرماد ووقع العمد على الطارقة فاندفع الى الوراء بقوة ساعد بهزاد وبخبرتهِ بهذا الفن ولم يوثر فيهِ قط الا انهُ شعر من نفسهِ بثقل الضربة وثبت عنده انهُ ما قاتل فارسًا قبلهُ مثلهُ غير انهُ لم يكترث بذلك بل صاح فيهِ وقال لهُ ويلك اهل دعيت المراس وانت لا تقدر على سحق نملة وكنت اظنك اقدر على قوة الضرب من الان فاغتاظ المراس من تهكمهِ عليهِ وقال لهُ سوف ترى فانك لا تصل الى الثالثة الا ويحل بك ما حل باردوان ثم ضربهُ الثانية فاندفعت كالاولى الا ان بهزاد عرف ان اردوان معذور على ضعف يده وعلم انهُ ان لاقى الثالثة كالاولى والثانية اسقطها المراس على جواده او على فخذهِ ولذلك قصد التحرس منها وان يدفعها الى جانبها فلا يدع عدوه يتمكن منهُ بالخيانة . ثم ان المراس قال لهُ اثبت للثالثة فهي القاضية ورفع عمده ولاحهُ بالهواء وسقط به عظيمًا قويًا حتى وصل الى طارقة بهزاد فدفعهُ بقوته ومعرفتهِ الى جانب وعيناه ترقبهُ فغلت العمد لقوة الدفعة من يد المراس ووقع على بعد عشرة اذرع حتى غاب عن الصواب وايقن بالهلاك والممات وكذلك تعجبت كل الابطال والفرسان الذين كانوا ينظرون هذه الاعمال العظيمة

وعند ذلك صاح بهزاد بالمراس وقال لهُ اثبت الان فقد جاء دوري واني لا اسحب عليك العمد بل اضربك بالسيف ثلاث ضربات قال افعل ما انت فاعل . فما سيفك الا كسكين جعلت لقطع اللبن فكيف تنال بهِ غاية وطارقتي بسمك اربعة قراريط من الحديد وفيها من الحلق والشناكل والمسامير ما سمكهُ اربعة قراريط ايضًا واني اضحك من ضعف عقلك ثم رفع الطارقة في يدهِ حتى كادت تغطيهِ عن العيان وانتظر بهزاد ان يصل اليهِ ويضربهُ لانهُ كان اطلق لجواده العنان ودار من حول الفيل عدة دورات ثم وقف في وجههِ وصاح بصوت قوي خذها ضربة قوية من يد بهلوان الفرس فصاحت جميع الفرس بصوت واحد العادة العادة يا بهزاد يا نسل رستم زاد . فزادهُ هذا النداء حماسة فقفز الى ظهر الجواد باسرع من البرق حتى التوى عليهِ واقفًا على الابهام وسقط بالسيف على الطارقة فقطعها الى نصفين ووقعت الضربة في كف المراس من ناحية القبضة فشطرت يده شطرين ووقعت عند ركبتهِ فخللتها وسار السيف من هناك دون معارض ولا مانع الى ان وصل الى ظهر الفيل فوقع

المراس مقطعاً وحينئذٍ اندفع اخوهُ الغطام وهو كانهُ الليث الهجام وانطلقت من خلفهِ جيوش الهند فالتقاها بهزاد بقلب اشد صلابة من مطرقة الحداد وكان فيروزشاه قد صاح وحمل بجموع الفرس وهو مسرور من عمل بهزاد فعمل السيف القرضاب في الصدور والرقاب وكانت وقعة عظيمة من اشد وقائع ذاك الزمان . ودام القوم بالحرب والطعان الى حين الليل فضربت الطبول وعاد كل فريق الى محل اقامتهِ وتلقى الفرس بهزاد ومدحوهُ على فعالهِ وشكروهُ مزيد الشكر وقالوا لهُ ما انت الا فخر الفرس وحاميهم ومعزز ملكهم وواقيهم . فقال لهم ما انا الا عبد من عبيد فيروزشاه بسيفهِ اضرب و بباسهِ اسطو فهو قدوتي الوحيدة وساعدي الشديد لاني ما ضربت ضربة الا ووضعت امام عيني كيفية ضرابهِ وطعانهِ ولا اخترقت صفاً وسطوت عليهِ الا واقتديت باعمالهِ حين انحطاطهِ على جيوش الاعداء ولولاه لما كنت اذكر بين الفرسان ولا كان يطيب لي الحرب والطعان فقبلهُ فيروزشاه بين عينيهِ ومدحهُ المدح الكثير وقال لهُ ما انت الا تتاج هذه العائلة الكريمة وما رقاك ابي الى رتبة الملوك الا علماً منهُ بانك تستحق اعظم من هذا وهو حتى اليوم ينتظر عودتك الى الديار ليقيمك على المدن العظيمة كاحد اولاد عمهِ الشاهات

قال واما الهنود فانهم رجعوا مقهورين محزونين خاسرين وقد ارجعوا معهم جثة المراس فاحتفلوا بها وبكى عليها اخواه القمقام والغطام و بعد ذلك دفنوها بالتراب وكانوا لا يصدقون باتيان الصباح ليبرز الغطام الى بهزاد و ياخذ منهُ بثار اخيهِ المراس و ينزل بهِ الهلاك والعذاب ولما كان الصباح نهض بهزاد باكرًا يقصد الحرب والبراز ونهضت جموع الفرس والهنود فركبوا واصطفوا في ساحة المجال واذا ببهزاد قد صار في الوسط فصال وجال كعادتهِ حتى حير العقول والخواطر ثم وقف في وسط الميدان واشار الى جيوش الهنود بالبراز فما انتهى من كلامهِ حتى فاجئهُ الغطام اخو المراس المقتول فوق فيل كبير وعلى عاتقهِ عمد يبلغ مقدار وزنه سبعمائة من و بظهرهِ طارقة واسعة كبيرة سميكة لا يقدر على حملها الا اشد الرجال

ولما صار امام بهزاد قال لهُ و يلك ايها الايراني لقد قتلت لي اخي المراس وقد كان يسوى جيوش الفرس باجمعهم واليوم اخذ منك بثارهِ وارسلك الى دار الاخرة .فقال لهُ اني انا قتلت اخوتك الثلاثة وهم كبوال وكتوال والمراس الاخير واني اليوم سأتبعك بهم بعناية ربي وليس من العدل ان يبعد احدكم عن الاخر كثيرًا وحيث ما من وسيلة لاعادتهم اليكم فصار من اللازم الواجب ان تذهب مع اخيك القمقام اليهم ولا احد غيري يقدر ان يهديكم على الطريق لاني رسول امين . فاغتاظ الغطام من كلام بهزاد وصاح بهِ القى نفسهُ عليهِ واخذ معهُ بالجدال والطراد فالتقاه بهزاد كما تلتقي الارض الجافة وابل الامطار وتطاير من طارقتيهما الشرار . من

وقوع السيف البتار . وكان بهزاد قد عرف ان الغطام اشد من اخيهِ المراس باساً فاظهر براعتهُ واظهر كل ما عندهُ وجار عليهِ بالضرب وسرعة الجولان حتى كاد يغيبهُ عن هداهُ وهو يدور من حواليهِ كانهُ المجنيق وبهم كانهُ الاسد في مربضهِ حتى غابا عن الابصار بما علا فوقهما من الغبار . وشخصت نحوهما فرسان الهنود والفرس بالانظار . تنتظر ما يكون بينهما ولمن الانتصار وبقيا الى ان كاد ينفرض النهار واذا بصيحة من تحت ذاك الغبار قد ارتجت منها السهول والاوعار . وقائل يقول لعينيك يامولاي فيروزشاه انظر اليوم ما يحل بعدوك وما يصل اليهِ فانا بهزاد بهلوان تختك وخادم اعتابك . فمال الجميع بعيونهم ونظروا بتاكيد الصائح واذا بهِ بهزاد قد امتطى بالركاب وانحذف على خصمهِ وفاجاه وسد عليهِ طرقهُ وطرايقهُ وضربهُ بسيفهِ على وسطهِ قطعهُ الى نصفين والقاه الى الارض قطعتين ولما رات الهنود ما حل بفارسها لطمت على خدودها وبربرت بلغاتها وهجمت على بهزاد وهي تقول لهُ قعطت يداك (لاسمح الله) على ما جنيت فقد قتلت فارساً يساوي المشارق والمغارب فلم يوخذ بصراخهم وصياحهم بل التقاهم بقوة قلب وجنان واذا بفيروزشاه قد انحط على الهنود بقومهِ وهو كانهُ الغول يضرب بسيفهِ الرؤوس فيطيرها عن الاجساد وينزل باصحابها الويلات الشداد حتى ملا الارض من القتلى وسد في وجوه اعدائهِ كل باب وهو ينادي انا فيرزشاه حبيب عين الحياه والفرسان تفر من امامهِ وتشرد الى اليمين والشمال وهو يتاثرها ولا يدعها تفوتهُ او تنجو من بين يديهِ وكان جواده الكمين من تحتهِ كالبرق الخاطف ما اطلقهُ على كتيبة فارة الا وادركها من امام ولا ارسلهُ الى ناحية بها الاعداء الا وسبق بسيرهِ فضل راكبهِ ولما رأت فرسان الفرس اعمال فيروزشاه اقتدوا بهِ وعملوا كعملهِ وكان يعلم ان النهار عازم على الارتحال فاجهد نفسهُ كل الجهد ليلقي مزيد الرعب في قلوب الهنود فلا يثبتون اكثر من يوم اخر وكان يقاتل وفي ذهنهِ الصعوبة الواقع فيها من جهة رغبتهِ بسرعة الرجوع الى ايران خوفاً من الابشع ملك الحبشة على ابيهِ ولذلك كان لو قدر ان ينهي الحرب في نفس تلك الساعات القليلة لما قصر ولا يزال يضرب بالهنود حتى الجئهم الى الخيام وحال بينهُ وبينهم سلطان الظلام فرجع مسروراً بما فعل بتاخر الهنود الى الوراء وتاكد من نفسهِ انهم يعرفون مركزهم فيضعفون وما من رجاء لهم بالخلاص او بالثبات

ولما عاد الى صبوان ولده في المساء واجتمع كل امراء الفرس ورجالهم من حواليهِ قام الى بهزاد فقبلهُ بين العيان وشكره على فعلهِ وقال لهُ بمثلك يجب ان تفتخر دولة الفرس وتباهي فلقد اشدت اركانها وتركت لها هيبة في قلوب الملوك والعظماء وقد استحقيت ان تكون الرجل الاول فيها مفضلاً على ملوكها وسادانها . فقال لهُ اني لا استحق يا سيدي شيئاً مما ذكرت وهل يمدح

العبد على قيامهِ بخدمة متوجبة عليهِ لنحو مولاه ايحق ان اذكر في دولة الفرس وانت موجود فيها وذكرك يشق السبع الطباق من مشرق الشمس الى مغربها واني لا اهتم الان الاّ بامر واحد وهو ان تنتهي هذه الحرب ونرجع الى الاوطان لملاقاة الاهل والخلان ولدفع هذا العدو الذي يتهددها وهو الابشع الذي انتشر صيته في سائر البلدان وملك على جميع بلاد الحبشة بقائم سيفهِ فقال الملك بهمن ان الحرب اصبحت على وشك الفراغ فما من الاعداء من يرجو الثبات في القتال لولا رجاهم بالقمقام واملهم انهُ يعيد اليهم النصر لتفرقوا في هذا اليوم وانقرضوا عن اخرهم ومن الموكد الثابت ان القمقام هذا هو اشد اخوتهِ جميعًا باسًا واقتدارًا ولا ريب انهُ يطلب ثار اخوتهِ فيبرز في الغد فاذا قتلتهُ تفرقت من بعده جيوش الهنود . فقال بهزاد ان الله سبحانهُ وتعالى الذي ساعدني على قتل كبوال وكتوال والهراس والغطام لا يصعب عليهِ ان يعينني على قتل القمقام فلا بد من قتلهِ واتباعهِ باخوتهِ الثلاثة فدعوا لهُ بالفوز على عدوهِ وشكروا خلوصهُ لدولتهِ

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الملك شنكال فانهُ جمع اليه كل قومهِ وقال لهم لا خفاكم ان الامر الذي كنا نوملهُ قد خاب وظهر لنا ان الفرس رجال اشداء واننا اذا داومنا القتال معهم لا نرى نجاحًا قط وعليهِ فاني عزمت على ترك القتال واحب ان ادعو رزة الساحرة واسالها المساعدة فوافقهُ الجميع الى ذلك وارسلوا الى رزة فحضرت وسلمت فوقفوا اكرامًا لها واجلالاً لقدرها و بعد ان جلست قال لها الملك شنكال انك ترين يا اماه الحالة التي نحن فيها واذا بقينا يومًا اخر او يومين انقرضنا فاذا لم تدركينا بعنايتك لا رجاء لنا بالخلاص واننا وقيعون بك الان وقد وعدتنا بالمساعدة عند الحاجة . قالت مرحبًا وكرامة سوف ترى ما افعل لك بالاعداء لنهلكهم عن اخرهم . فقال لها جهان اني احذرك شمس الساحرة فهي عندهم وقد تزوجت ببهروز العيار فقالت اني اعرف ذلك واعرف انها تركت السحر ولم تعد تعتني بهِ على اني لا ادعها تعرف ما افعل ولا اترك احدًا يظن ان ما نعملهُ بهم سحرًا فلا يشعروا الا وقد انقرضوا وذلك اني سانتشل منهم واحدًا بعد واحد والذي انتشلهُ اضع مكانهُ فارسًا من فرساننا بهيئتهِ وصفتهِ فلا يظنونهُ الا هو ما عدا الملك بهمن في الاول كي يظنوا هذا العمل عمل العيارين . ففرح شنكال من كلامها وقال لها لاعدمتك من نصيرة كريمة قادرة فاعجلي يا اماه بهذا فاننا في الغد لا نقدر على الثبات في وجوههم . قالت ابقوا انتم هنا و بعد قليل اعود اليكم بالملك بهمن و بهروز العيار فاذا عرفوا بفقدان ملكهم يرتبكون فلا يطلبون الحرب والقتال في الحال

ثم انها خرجت من امامهم واخذت ابنها برنش العيار معها ولما صارت خارج المعسكر

اخذت ورقة وكتبت عليها والصقتها في جبين ولدها وقالت له ان الذي يراك يرى بهروز العيار ثم القت على نفسها بابًا خفيًا فلم تظهر للعيان وقادت ولدها الى باب فيروز شاه واوصته بكل ما يلزم عمله وان لا يذهب الى صيوان شمس الساحرة او يمر من امامها لانها اذ راتهُ عرفته لا محالة فوعدها بما امرته وكان خبيثًا محتالاً ثم انها دنت من بهروز وهو لا يراها فبنجته واخفته معها وسارت الى الملك بهمن فدخلت عليهِ وهو نائم في صيوانهِ واخذته وخرجت به بعد ان اخفته بقوة سحرها وبقي ولدها عند باب فيروز شاه بصفة بهروز العيار وسارت هي حتى وصلت الى معسكرها ودخلت على الملك شنكال وازالت عنها الخفاء فظهرت بمن معها ففرح الملك شنكال وكل الحاضرين وشكروها على عملها ثم انها ايقظت الملك بهمن وبهروز فنظرا الى ما حولها مندهشين وراى بهروز نفسهُ امام الملك شنكال فكاد يطير صوابهُ وصاح ويلكم ايها الاوغاد هل جسرتم على اسري وانا بهروز العيار وما خفتم سطوة زوجتي شمس الساحرة. فقالت له رزة اننا لا نخشى زوجتك ولا غيرها وسوف نقربها اليك اذ كابرت ولم ترضَ بقتلك وسوف نجازيك على تعديك على السحراء فقد قتلت صفراء الساحرة والمقنطر الساحر وكركاني الساحرة واخيرًا اجبرت شمس الساحرة على الزواج بك ولهذا وقعت الان بيد رزة الساحرة وقرب اجلك بيدها فقال لها ويلك اتظنين اني اخاف الموت واني اعرف اني لو كنت مطلقًا او كنت اعرف ان بين الاعداء ساحرة مثلك لكنت سعيت من اول الامر بالقبض عليك واتبعتك بمن مضى ولا اخاف من سحرك ومن خيانتك لكنك غدرتني وسوف تعلم زوجتي فتخلصني وتنتقم منك ثم ان الملك شنكال امر ان بوضع الملك بهمن وبهروز تحت الحفظ الى حين طلبهما فرفعوهما واخذوهما الى صيوان بالقرب من صيوان الساحرة ووضعوا عليهما الحراس

قال وكان جهان قد راى الملك بهمن وشاهد حسنهُ وصفاتهُ فوقع من قلبهِ موقعًا حميدًا وقال ان بنتي معذورة على اتخاذه بعلاً لها فهو كامل الصفات وعظيم الملك لا يوجد له ثانٍ في زمانهِ وكيف يمكنها ان تبدلهُ بكوكلة ابن الملك شنكال وهو قبيح المنظر شنيع الخلقة بليد ردي الطباع مشوه الوجه لا يصلح ان يكون خادمًا عند هذا الملك الجليل المهاب واخذ من تلك الساعة ان يبحث من نفسهِ بنفسهِ على هذه الافكار فكانت على الدوام موضوع اهتمامهِ وبحثهِ وافتكارهِ

وفي صباح اليوم الثاني نهض فيروز شاه كعادتهِ فوجد برنش امامهُ فظنهُ بهروز عيارهُ لانهُ كان على الدوام عندهُ مدة الحرب لا يفارقهُ كالعادة فطلب اليهِ ان يقدم لهُ ماء لغسل وجههِ ففعل وخدمهُ بحسب عوائده وعزم على ان يخرج ويامر بضرب طبول الحرب والكفاح واذا ببدرفتات قد وصل اليهِ وهو يلطم على وجههِ وقال لهُ اعلم ياسيدي اني لم اغفل قط طول

الليل ولا فارقت الصيوان دقيقة واحدة وفي هذا الوقت دخلت على سيدي الملك بهمن فلم اجدهُ في الصيوان ووجدت سريرهُ فارغًا منهُ ولم ارَ اثرًا لاحد لا خارج الصيوان ولا داخلهُ فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام كاد يطير صوابهُ وغاب عن هداه وسار في الحال الى صيوان ولدهِ فوجدهُ فارغًا وكان قد شاع الخبر في كل المعسكر فاجتمع هناك الوزراء والامراء وكلهم بارتباك وحيرة ووقفوا مبهوتين عند تاكدهم غياب الملك وارتبكوا فيهِ وصار كل يفكر في نفسهِ دون ان يعرف احد منهم ابن الملك واين ذهب ولحقت الحيرة كل رجال الفرس من الكبير الصغير وما منهم من قدر على ان ياتي بحركة طول ذاك النهار الى المساء وعند المساء قال لعيارهِ بهروز اريد منك اني تذهب الى جيوش الهنود وتنظر لي ان كان الملك بهمن اسيرًا بينهم وتعرف لي خبرًا عنهُ . قال اني عزمت على ذلك ياسيدي ولي ثقة كبرى ان اتوفق الى المطلوب ثم تركهُ بانتظاره في الصيوان الكبير وانطلق ناًمان الى والدتهِ واطلعها على السبب الذي جاء لاجلهِ واخبرها باضطراب الفرس لاجل ملكهم . فقالت لهُ عد الى فيروز شاه واخبرهُ انك جئت الى هنا وبعد ان استقصيت الاخبار من الخدم تاكد عندك ان الملك بهمن اسيرًا بيد الهنود وان الذي اسرهُ هو برنش العيار فانهُ محفوظ عليهِ بكثير من الحراس الى غير ذلك من اطلاعهِ على امرابنهِ وانا هذه الليلة ساقصد جيوش الفرس واجيء ببهزاد واضع مكانهُ فارسًا هنديًا

فرجع بهروز الكذاب الى ان وصل الى الصيوان الكبير فدخل والناس فيهِ جلوسًا ولما وقف بين يدي فيروز شاه قال لهُ لا ريب ياسيدي ان الهنود عيارون ماهرون شياطين فقد سرت من هنا الى ان تخللت جيوشهم وانا كما تراني بصفة واحد منهم لا يعرفني احد الى ان جئت صيوان الملك شنكال فاذا هو جالس كانهُ الاسد وحولهُ الملك جهان وجماعة من الفرسان وعلى بابهِ عيارهُ برنش فدنوت منهُ وسلمت عليهِ واخذت معهُ من حديث الى حديث الى ان عرفت منهُ انهُ جاء الى جيوشنا في الليلة الماضية وانتشل من بيننا الملك بهمن سيدنا دون ان يراه احد وعاد بهِ الى مولاه ولما تاكدت منهُ ذلك تركتهُ وسرت الى جهة ثانية عرفت ان فيها سيدي ولدك فحاولت كثيرًا ان اتسبب الى خلاصهِ فلم اقدر لان الحراس كثيرون وكلهم ساهرون على محافظتهِ ويحاطون بالصيوان من كل مكان فرجعت اليك لاطلعك على امرهِ وابقيت امر خلاصهِ الى وقت اخر على ظن مني اني سارجع مرة ثانية الى خلاصهِ عسى ان تكون الحراس قد ملت من المحافظة وامنوا اكثر فاكثر . فلما سمع فيروزشاه هذا الخبر كاد يطير صوابهُ وغاب عنهُ هداهُ وحزن على ما لحق بولدهِ مزيد الحزن وقال ايوسر ملك الفرس وسيدهم وعنده ابطال وفرسان وعيارون يندر وجود مثلهم في هذا الزمان ويكون آسرهُ عيار واحد فهذا من

عجائب الزمان ثم نهض الى صيوانهِ مكدرًا مغتاظًا لا يعرف طريقهُ وتفرقت بعد ذلك الفرسان والامراء يتحدثون بهذا الشان وبقي بهروز على فيروز شاه محافظًا لا يظهر عليهِ ما يوقع فيهِ الظن او الاشتباه

وعند نصف الليل نهضت رزة الساحرة والقت عليها بابًا خفيًا حتى لم تعد ترى واخذت معها فارسين من فرسان الهنود المقدمين وعلمتهما كل ما تحتاج الى تعليمهِ وكتبت ورقة ووضعتها على جبين الاول وقالت لهُ كل من يراك ويسمع صوتك يرى بهزاد ويسمع صوتهُ ولا يبقى فرق بينك وبينهُ وفعلت ذلك بالاخر وقلدتهُ باردوان وسارت بهما الى ان وصلت الى جيوش الفرس وتخللت الخيام ولا احد يراهم وجاءت الى صيوان بهزاد ودخلت عليهِ وهو نائم والقت في انفهِ دخان البنج فلم ينتبه فرفعتهُ على عانقها ووضعت مكانهُ الفارس الهندي وخرجت الى صيوان اردوان فبدلتهُ بالاخر ورجعت من حيث جاءت ومعها بهزاد واردوان وابقتهما عندها الى الصباح وعند الصباح جاءت بهما صيوان الملك شنكال وعرضتهما عليهِ والفرسان عنده كالعادة فلما راهما فرح مزيد الفرح وقال لها جزاك الله خيرًا يا اماه فقد فعلت معنا جميلاً عظيمًا باسر بهزاد لان لنا عليهِ ثارًا عظيماً فهو قاتل فرساننا ومشتت ابطالنا. ولما راى القمقام بهزاد زأر كما تزأر الاساد وقال لهُ لقد وقعت بيدنا ولا بد من نقطيع لحمك بثار اخوتي. فقال لهُ بهزاد اني ان قتلت لا اسف على نفسي لاني عوضت ثمني باضعاف حيث قتلت كثيرًا من صناديد الرجال مثل اخوتك وغيرهم لكن لا يحق لك ان تفتخر بمثل هذه الحالة لانك لو اسرتني او قتلتني في ساحة المجال لكان حق لك الافتخار بين ملوك الارض وفرسانها. قال اني ما تاخرت الا ازدراء بك من ان يقال عني اني قاتلت من هو دوني في ساحة المجال. ثم امر الملك شنكال ان يرفع بهزاد واردوان الى الصيوان الموضوع فيهِ الملك بهمن وبهروز الى حين الاتيان بالباقين فيقتلهم جميعًا .

ولما نهض فيروز شاه في صباح اليوم الثاني الى الديوان ولم يخطر في ذهنهِ ذاك النهار ان يباشر حربًا وقتالاً بل بقي متاثرًا من اسر ولده وجاء بهزاد واردوان الكذابان وجلس كل الى مكانهِ ولم يقدر احد من رجال الفرس ان يميزهما او يفرقهما عن بهزاد واردوان الاصليين وبعد المخابرة والمحادثة قال طيطلوس لفيروز شاه اعلم ياسيدي ان لا سبيل لخلاص ابنك الا بالقتال والحرب والنزال فاما ان نصل اليهِ واما ان ناخذ اسيرًا منهم عظيماً فنفديهِ بهِ فقال بهزاد الكذاب لقد اصاب طيطلوس واني مصر في الغد ان اقترن انا واردوان ونقاتل معًا نحن الاثنان فلا نرجع ما لم نصل الى الملك شنكال وناتي بهِ اسيرًا الى بين يديك ومن ثم نفديهِ بالملك بهمن والا لو نقاعدنا عن القتال تطول علينا الحال ولا نرى نتيجة توافقنا غيره. فقال فيروز شاه اني

اعرف ذلك واريده ولا اريد ان اترك القتال دقيقة غير اني منفعل كل الانفعال من اسر ولدي ومقهور كيف ان عياراً واحداً يخترق معسكرنا و يدخل على ملك عظيم و ياخذه من صيوانهِ وهو محفوف بالحراس والعيارون . فقال طيطلوس لا تتكدر من هذا يا سيدي فان اعمال العيارين عجيبة لا نقدر بحساب فكانهم من طوائف الجان ولا بد ان نعرف كيف ان برنش دخل وخرج دون ان يراه احد مع انهُ لم يبخ احداً ولاراه عيار . ثم انهم قاموا باقي النهار وناموا تلك الليلة على نية انهم يقاتلون في الصباح . وفي تلك الليلة نفسها جاءت رزة الساحرة واخذت شيرزاد و بيلتا ووضعت مكانهما فارسين من الهنود بصفتهما وهيئتهما ووضع شيرزاد مع رفاقها وملكها وهم لا يعرفون كيف يؤخذون ولا يرون انفسهم الا في ذاك المكان . وعند الصباح نهض فيروز شاه وركب في مكان ولده الملك بهمن وامر الجيوش ان تركب الى القتال وهو يظن في نفسهِ ان بهزاد يقدر على اكثر مما يقول ولا يقف في وجههِ احد من جيوش الاعداء ولما راى الهنود ان الفرس قد تقدموا طالبين القتال ركبوا هم ايضاً وتقدموا يعدون انفسهم بالفوز والظفر ووقف فيروز شاه في الوسط ينظر القتال وامر عساكره بالحملة فحملت دفعة واحدة والتقتها الهنود وانطبق القومان على بعضهما البعض واهتزت لانطباقهم جنبات تلك الارض وكان ذاك اليوم عظيم الاهوال . عجيب الافعال . نفطعت بهِ الاوصال . وقصرت الاعمار الطوال . وقبضت الاجال . من صناديد الرجال . وبقي القتال الى ما بعد الظهر وفيروز شاه يراقب الاحوال الى ان راى جيوشهُ قد اخذت بالتاخير ووقع بها عدم الانتظام وراى رجال الهنود تخط عليها كالبواشق من كل ناحية فغاظهُ هذا الامر ولعب بهِ سلطان الغضب فخرج من مكانهُ واطلق لجواده الكمين العنان وصاح من فواد مقروح ورمى بنفسهِ على الهنود واشغل فيهم ضرب الحسام ولما رات الفرس فعالهُ واشتدت بهِ اعصابهم وقويت ظهورهم لانهُ راى من يقدر على الدفاع عنهم وكانوا يعهدون ببهزاد واردوان ان يفرقا جيوش الهنود وحدهما فما راوا منهما في ذاك اليوم غير التاخير والفشل وبقي فيروز شاه يطاعن ويضارب وهو كانهُ الغول حتى ارجع الاعداء عن قومهِ وابعدهم الى خلف مراكزهم الى ان اقبل الظلام وضربت طبول الانفصال فعاد وعاد من خلفهِ قومهُ وقد فرحوا بالفوز بعد التاخير وشكروا فيروز شاه سيدهم على مداركتهم وتاكدوا انهُ ان غاب عنهم لا تقوم لهم قائمة ولا يتوفقون

وبعد ان اقاموا بالخيام في المساء قال فيروز شاه لم يكن بعهدي ان يقع بعساكرنا ما وقع في هذا النهار ولولا عنايتهِ تعالى لتاخرنا كل التاخير وتبدد شملنا لان الهنود انحطوا علينا من كل صوب واطلقوا بالافيال كانها الجبال مائلة على رجالنا ولم ارَ من فرساني من قدر ان يقف في وجوههم فقال لهُ بهزاد الكذاب اني لا اعرف كيف كان القتال في هذا اليوم واني منذ سلكت

طرق الحرب وخضت الوغى ولم يمرّ عليّ يوم نظير هذا اليوم فاني كنت ارى من نفسي اني غير قادر على الهجوم ولا اعرف اذلك عن ضعف من جسمي او من امر اخر . فقال طيطلوس ان التقصير لم يكن منك وحدك بل من الجميع وهذا ليس بالعجب لان الحرب لا تبقى على حالة ولا بد ان المرء يلاقي في يومهِ خلاف ما لاقى في امسهِ ولا نعتب على الايام ولا نلوم نفوسنا بل من الواجب ان نطلب منهُ تعالى ان لا يهمل امرنا ولا يلقي بنا الى الضعف فهو المضعف والمقوي وبعد انصراف السهرة باتوا ينتظرون الصباح وفي نفس تلك الليلة دخلت رزة الساحرة الى ما بين الفرس حسب عادتها وانتشلت فارسين ووضعت مكانهما من الهنود . وفي صباح اليوم التالي بكروا الى الحرب والقتال واشتعلت نيران الوغى اي اشتعال وسطت الهنود سطوة عظيمة واستطالت اطالة جسيمة . ولولا فيروز شاه لتبددت جيوش الفرس اي تبديد ولكنهُ حماها كما تحمي اللبوة الاشبال ودافع مدافعة الابطال الى ان كان المساء فرجعوا من الميدان الى الخيام ورجع الملك شنكال الى خيامهِ مسرورًا فرحانًا ناعم البال ولما اجتمع عنهُ جميع قومهِ ورجالهِ قال لهم لقد ثبت عندنا اننا نحن الفائزون المنتصرون ولا يمضي الا القليل حتى تتبدد الفرس وتندثر كل الاندثار فقالت لهُ رزة واي اندثار تندثر وفيروز شاه بينهم وهو قادر وحده ان يثبت امام جيوشك اشهرًا واعوامًا واني اعرف ذلك والاحظهُ قال ولما يا اماه لا تاتينا بهِ لنضمهُ الى قومهِ ونقتلهم كلهم جميعًا وبعد قتلهم نوقع بالباقين واني ارغب بالسرعة كثيرًا وما اتيت هذه البلاد الا وفي نيتي تبديد شمل هذه الطائفة ومن بعدها زواج ابني كوكلة وقد تسهل لنا الامر ببركة النار وقبضنا على الملك بهمن وما من مانع يمنعنا عن مثل هذا الزواج الا وجود هولاء الفرسان . قالت اني في هذه الليلة اجئ بفيروز شاه وفي الغد نقتلهم جميعًا ونرتاح من شرهم فشكرها على قولها وامل النجاح . واما جهان فانهُ تاثر من كلام الملك شنكال ووقع في قلبهِ الخوف من ان يتم زواج بنتهِ على كوكلة وهو قبيح المنظر لا يرضاه لها حيث كان يحبها محبة عظيمة ولا يرضى لها الا الهنا والانشراح ولهذا السبب قال للملك شنكال مظهرًا خلاف ما في ضميره اني انتظر وقوع مثل هذا اليوم السعيد فان خلاص بنتي من هذا الايراني نعمة كبرى وصلت اليّ منك لانهُ يعبد الله دون النار ولاسيما قد اغتصبها وانزل بها العار واريد منك ان تسلمني اياه يا سيدي ساعة من الزمان حيث اريد ان اعنفهُ والومهُ على فعلهِ واهينهُ واحط من قدره تشفيًا لفوادي لان فعلهُ معي لا انساه الى الابد واغتصابهُ عرضي يشق فوادي في كل دقيقة . فقال شنكال خذه وابقهِ كل هذه الليلة عندك وافعل بهِ ما شئت الى الصباح ولك الحق ان تشفي غليل قلبك منهُ . ثم امر ان يدفع اليهِ الملك بهمن فاخذه الى صيوانهِ ولما اجتمع بهِ سلم عليهِ سلام المودة وقال لهُ كيف خطر لك ان تتزوج ببنتي وهي على غير دينك وغير رضى ابيها . فقال لهُ ان الوفاق

علة النجاح ولولم يأتلف قلبي بقلبها لما رضي احدنا بالاخر ومن الامر البديهي ان الزوجة تنقاد زوجها بكل ما يريده منها اذا كانت حكيمة عاقلة كبنتك .ومما يثبت لي حكمتها وعقلها وادراكها انها قبلت بزواجي لتشتري بلادها وتجمع بين ابيها واخصامها وقد كان بيننا شرط الزفاف ان نسعى الى استرجاع ابيها ونصرف الجهد الى مصالحته ورضاه ولولا ذلك لما وافقتنا قط ونحن حتى الساعة قائمون على هذا الشرط ووعدها ابي فيروز شاه بالسعي خلفك ومصالحتك وارجاعك الى بلادك فماذا تقول ياترى هل هي مخطئة او مصيبة . وكان الملك بهمن يتكلم وجهان يمعن في وجهه ويصغي الى معنى كلامه وهو ماخوذ بهيبته معجب بفصاحته وحكمته . ولما سمعهُ وقد فرغ من كلامه اجابهُ ان بنتي اصابت فيما فعلت ولو كنت مكانها لما رضيت غيرك بعلاً واني ما اجتمعت بك الان على انفراد الاَّ لاعرف منك ميلك اليَّ وحبك لي ورغبة ابيك في معاملتي واطلعك ايضًا على اسباب اسركم . قال لقد وضح لك ميلي من زواجي ببنتك وكيف نكون انت عمي ووالد زوجتي ولا تنعطف اليك جوارحي الست انت الذي كنت سبب وجود من احببتها واخذتها معينة لي في حياتي وشريكة في ملكي ورفعت على راسها تاج المملكة الفارسية وهل يهنا لها عيش دون ان تراني على حب وسلام مع ابيها . قال اني اعرف ذلك واعهد فيها التعقل والكرامة وحسن المآثر والصفات

ثم ان جهان اخبر بهمن بكل ما هو جارٍ من رزة الساحرة وكيف انها في هذه الليلة عزمت على انها تذهب وتاتي بابيهِ وقال لهُ ولا بد ان تكون في هذه الساعة قد ذهبت الى جيوش الفرس وجاءت بهِ لان الوقت الذي تذهب بهِ قد آن وحانت الساعة التي ترجع فيها فلما سمع بهمن هذا الكلام كاد يغيب صوابهُ وقال اتجسر هذه الخبيثة ان تعتدي علينا وتاخذنا اسارى بقوة سحرها على ان لو استعملنا قوتنا السحرية لبددنا شمل الهنود وغيرهم وانت تعرف ان شمس الساحرة هي بين معسكرنا مع زوجها بهروز ولو امرنا ان تعمل على هلاك الاعداء لما قصرت غير اننا منعناها من معطاة السحر ترفقًا بعباد الله ووفقًا لشريعتهِ تعالى والان اريد منك ياعماه ان تتسبب بارسال رسول مخصوص الى طيطلوس الحكيم مع كتاب خصوصي لهُ نطلعهُ بهِ على كل شيء ونسالهُ ان يذهب الى شمس الساحرة ويعرض عليها واقعة الحال ويسالها السعي بخلاصهم فاجاب سوالهُ وارجعهُ الى مكانهِ وقال لهُ لا بد من ايصال الخبر الى طيطلوس في هذه الليلة وبعد ذلك ذهب الى صيوان احد اتباعهِ الاخصاء بالقرب من صيوانهِ فايقظهُ من نومهِ وقال لهُ انت امين عندي على اسراري واني اقدمك حين رجوعي الى بلادي على كل انسان واقيمك عوضًا عن منكوخان اذا اجبت سوالي الان وفعلت ما امرتك بهِ . قال مر ياسيدي ولا تخشَ باسًا فان حياتي لك وما انا الا عبدك وجدت لاحملك فانت المالك

نفسي . قال لاخفاك ان الملك شنكال يرغب ان يزف بنتي شمس على ولدهِ كوكلة وهو قبيح المنظر مشوم الوجه ردي الطباع مع انها متزوجة بالملك بهمن وهو احب لديَّ من كوكلة واريد ان اتفق مع الفرس واصالحهم واسترجع بلادي منهم ويرحلون عني . قال كيف يمكن ذلك وملوك الفرس كلهم بقبضة شنكال وهو مسلط عليهم الان بواسطة رزة الساحرة . قال ان الفرس لا يعلمون برزة هذ ولو عرفوا بها لاهلكها من الاول كما اهلكوا غيرها من السحراء العظام ولاسيما ان بينهم شمس الساحرة زوجة بهروز فاذا بلغناهم الخبر وعرفت ان رزة تفعل مثل هذه الافعال اهلكتها في الحال . فقال الرجل حسنًا تفعل ياسيدي لان الفرس قوم كرماء يحبون الانصاف ويعرفون الحق بخلاف الهنود فانهم متكبرون متجبرفون عائشون على البربرة والتوحش . وماذا تريد مني ان اعمل قال اريد ان اكتب كتابًا الى طيطلوس فتوصلهُ اليهِ قبل اشراق الصباح لان الليل اصبح على وشك الارتحال ولم يبقَ الى الصباح الا نحو ساعتين تقريبًا قال عجل بالجواب فاني اخطف على جناح السرعة واعدك ان لا اسلم الكتاب الا ليد طيطلوس ولو فقدت الحياة . ومن ثم اخذ جهان فكتب كتابًا الى طيطلوس يقول لهُ فيهِ

من الملك جهان عم الملك بهمن ابي زوجتهِ الى طيطوس الحكيم وزيرهِ الامين

اعلم ايها الرجل الوحيد في هذا العالم والحكيم الخبير باحوال هذه الدنيا ان الحق قد انار بصيرتي فعرفتهُ وثبت عندي ما انتم عليهِ من الرقة والدعة لاسيما قد ثبت الان عندي ان نسبكم قد اتصل بنسبي وحسبكم بحسبي وصرت كواحد منكم وارى من نفسي ان الواجبات النسابية تدعوني الى الدفاع ورفع الاضرار عنكم ولذلك بعثت اليك بهذا الكتاب لاخبرك امرًا خطيرًا مهماً واقعًا بكم وانتم لا تشعرون بهِ ولا تعرفونهُ واذا بقيتم يومًا اخرًا على حالتكم هذه تنقرضون ويلحق بكم الويل والدمار . وهو انهُ موجود بين جيوش الهنود امراة مسنة ساحرة اسمها رزة وهي خبيثة محتالة ذهبت الى جيوشكم في ظلام الليل مع ولدها برنش واخذت الملك بهمن ملككم واخذت بهروز العيار ووضعت مكان بهروز ولدها ووضعت عليهِ من ابواب سحرها ما يخفي حالتهُ ويجعل الذي يراهُ لا يفرق بينهُ وبين بهروز ثم ذهبت في الليلة الثانية وجاءت ببهزاد واردوان ووضعت مكانهما من فرسان الهنود ولازالت حتى انتشلت من بينكم كل فرسانكم وفي هذه الليلة ذهبت وجاءت بفيروزشاه وتركت مكانهُ غيره فاياك من ان تطلع احدًا منهم على تحريري هذا لانهم كلهم هنود وليس هم بفرسانكم لان فرسانكم عندنا بالاسر وفي الغد يكون يوم عذابهم وقتلهم وبعد الغد يصير الهجوم عليكم وتنقرضون وانتم لا تعلمون . بل اذهب الى شمس الساحرة واسالها كي تخلصهم وهي تقدر ان تعرف صدق ما اخبرك بهِ الان . واكد ان ما دعاني الى مثل هذا العمل الا حبي لكم وخلوصي بمودتكم ورغبتي في التقرب منكم واني اعتمد

عليكم واطلب منك ان تكون الوسيط لي عند فيروز شاه بعد رجوعهِ الى معسكرهِ وتطلب منهُ ان يعفو عن ذنبي وعنادي لهُ في الماضي . والسرعة في اخذ الوسائط تدفع عن قومك المصاب حيث ان الغد قريب جدًا والسلام

وبعد ان فرغ من كتابة الكتاب بعثهُ مع الرجل واوصاهُ بالسرعة وان لا يسلمهُ الاَّ الى طيطلوس فاخذهُ وسار الى ان قرب من جيوش الفرس فاعترضهُ الحرس فقال لهم بيدي تحرير الى طيطلوس فيهِ الخير والنجاح لكم واريد منكم ان توصلوني اليهِ فقالوا لهُ اذهب الى فيروز شاه وادفعهُ لهُ قال هذا لايمكني لان الكتاب باسم طيطلوس وهو يطلع عليهِ فيروز شاه بعد ان يعرف ما بهِ فبعثوا معهُ رجلاً يراقبهُ و بوصلهُ الى صيوان طيطلوس ولا زال حتى انتهى اليهِ فبعث خادمهُ يخبرهُ باتيانهِ واذا رسول الملك جهان دخل عليهِ وايقظهُ من النوم فنهض مرعوب ولما عرض عليهِ الخادم رسالة الرسول ارتبك وقال ما سببها في مثل هذا الليل وحسب لذلك الف حساب الا انهُ نهض وجاء في باب الصيوان ونظر الى الرجل وسالهُ عن سبب مجيئهِ ودفع اليهِ الكتاب فاخذهُ وقراهُ ولما عرف ما تضمنهُ كاد يغيب صوابهُ من هذا العمل وشكر الله سبحانهُ وتعالى وقال لولا جهان لكنا هلكنا لا محالة واني كنت بغاية العجب كيف ان بهزاد واردوان وغيرهم من الفرسان بدلت مزاياهم وضعفت قواهم وتغير واكل التغير

ثم انهُ نهض في الحال واخذ وراء الرسول ومشى وكان الصباح اخذ في ان يلوح ويقبل شيئًا فشيئًا الى ان وصل من صيوان شمس فوقف عنده و بعث يعلمها بقدومهِ وكانت جالسة من النوم فخرجت اليهِ وترحبت فيهِ وادخلتهُ الصيوان وسالتهُ عن سبب مجيئه فقال لها ما اتيتك الا لامر عظيم خطير اريد منك مداركتهُ والا هلكنا عن اخرنا ولم يبقَ من معسكرنا احد فقالت ما معنى هذا الكلام وانتم لا تزالون بتمام الانتظام والفرسان باقية على حالها . فقال لها ان حيلة كبيرة تجرى علينا ونحن لا نشعر بها ولولا مداركة جهان لنا لكنا هلكنا وربما هلكت فرساننا في هذا النهار . ثم دفع اليها كتاب ملك الصين وقال لها منهُ تعرفين ما نحن فيهِ فاخذتهُ منهُ وقرأتهُ الى اخره ولما عرفت ان زوجها وباقي الفرسان هم اسارى اضطربت في داخلهِ واحمر وجها حنقًا . فقال لها طيطلوس اهل ذلك صحيح وهل ررة الساحرة تفعل هذه الافعال . فقالت لهُ اريد منك ياسيدي ان تاذن وتنتني لي ان انظر في ذلك واسعى بخلاص قومنا والا اذا تغاضينا

قد انتهى الجزء الثاني والعشرون ويليهِ الثالث
والعشرون عما قليل ان شاء الله

الجزء الثالث والعشرون

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

عنهم هلكوا واريد منك ذلك كوني حتمت على نفسي ان لا استعمل السحر ترضية لفيروز شاه وخوفًا من مخالفة الشريعة الالهية .فقال لها ان العدل الالهي لا يقبل باستعمال السحر لكنة لا يقبل بهلاك رجالهِ وخائفيهِ ولا يرضى بتغلب الكافرين عليهم وانك اذا سعيت هذه المرة الى خلاص ملوك الفرس ودفع البلايا عنهم ونجاتهم من الموت وهلاك رزة الكافرة المحتالة التي جسرت على ان تمد يدها على ملوكنا وشاهاتنا ولم تحسب لك حسابًا لانكونين فعلت منكرًا ويكون الله سبحانهُ وتعالى راضيًا منك وعنك فاسرعي الى النظر اولاً في امر الفرسان الذين عندنا حتى اذا كانوا هم غير قومنا قتلناهم في الحال واهلكناهم عن اخرهم .فقالت لن الملك جهان حكى صحيحًا وان فيروز شاه اسر في هذه الليلة وان رزة الساحرة قد جاءت واخذتهُ واخذت ابنها برنش الذي كان قائمًا عندنا بصفة بهروز وهو لم يأتِ قط عندي وانا لا اسال عنهُ حبًا مني بان يدوم في خدمة مولانا فيروزشاه ولو جاء اليَّ برنش لعرفتهُ حالاً فاذهب بنا الان الى هلاك هولاء الفرسان . وبعد ذلك نهض طيطلوس ودعا بمائتي الف فارس من قواد العساكر وقال لهم اتبعوني فتبعوه فذهب الى ان جاء الى الصيوان الكبير فوجدهم قد اجتمعوا فيهِ كلهم وبينهم فيروز شاه الكذاب وهو لا يميز عنهُ قط ولا يمكن لاحد في العالم يقدر ان يعرفهُ لا من هيئتهِ ولا من صوتهِ وكان فيما بينهم بزرجمهر فامره ان يخرج فخرج وبعد خروجهِ امر ان تحاط القواد بالصيوان فارتاعوا وخافوا وقالوا لهُ كيف نقدر على مثل هذا العمل فقال لهم ويلكم انتم الان كبار المعسكر وقوادهم وهولاء ليسوا من رجالنا كما تظنون فهم من رجال الهنود وهذا كلهُ من فعل السحر ورجالنا هم الان اسارى في قبضة الملك شنكال وعزمنا ان نقتل هولاء ثم نرى في خلاص اولئك وهاكم شمس الساحرة عرفت الحقيقة فما منهم من قدر على المخالفة واحتاطوا بالصيوان ومنعوا خروج من فيهِ ثم امر طيطلوس جماعة من العسكر ان تدخل مع بدرفتات وطارق العيار ويخرجوا واحدًا واحدًا فدخلوا واخرجوا اولاً كرمان شاه فامر الوزير بدرفتات ان يقتلهُ فجفل وقال اني اكاد لا اصدق ياسيدي انهُ غير كرمان شاه وكيف امد عليهِ يدًا فقالت لهُ شمس سوف ترى الحقيقة بعد مفارقتهِ وذهاب روحه من جسده ثم نهضت هي واخذت خنجرًا وطعنت بهِ كرمان شاه الكذاب فوقع قتيلاً وبعد قتلهِ بطل ما كان عليهِ من السحر وظهرت حالتهُ فاذا

هو هندي من اشنع خلق الله هيئة فلما راى العيار ون ذلك ثبت عندهم الخبر واخطفوا الى الداخل وجعلوا يخطفون واحداً بعد واحد وكلما خرجوا بواحد قتلوه فتنكشف حالتهُ . الى ان فرغوا من الجميع وبعد ذلك قالت شمس سوف تعلم رزة الساحرة ماذا يصل اليها فانها تعرف باباً من السحر وتريد ان تهلك رجال الفرس وانا بينهم ولا تحسب لي حساباً . فقال لها طيطلوس انظري لنا الان في امر خلاصهم ولا تتركيهم خوفاً من ان يقتلوا في هذا النهار فنظرت بمعرفتها وخبرتها الى ما هو حاصل بين الهنود فاضطربت ونظر اليها طيطلوس فوجدها قد تغيرت هيئتها واحمر وجهها ثم صاحت بصوت مرعد قائلة خسئت يا رزة خسئت وخاب رجالك فقد جاءتك شمس الساحرة ثم اختطفت من بينهم

قال ولنرجع الى جيوش الهنود ورزة الساحرة فانها كانت في الليل الماضي دخلت على حسب عادتها بين جيوش الفرس واخذت فيروز شاه ووضعت مكانهُ غيره واخذت معها ابنها برنش وقالت لهُ اذهب معي الان فما من فائدة في بقائك لان جميع امراء الفرس صاروا عندنا وفي الغد نقتلهم ونعدمهم الحياة ورجعت بابنها وفيروز شاه الى معسكرها وفي الصباح ذهبت بهِ الى صيوان الملك شنكال ودفعتهُ اليهِ ففرح مزيد الفرح وقال الان قد تم لي النصر والظفر . ثم قال لفيروز شاه لقد انتهت مدة حياتك وارتاح العالم من شرك وقد تعديت وافتريت ولم تحسب حساب الملك شنكال وجماعة الهنود . فقال له ويلك ايها الملك الخادع المحتال اتظن ان الله يغفل عنا او تظن انك انت والوف من مثلك تقدرون ان تمدوا يداً عليَّ او على قومي قال ومن يمنعنا عنكم وسوف ترى بعينيك ما يكون من امرك وامر قومك واني ساقتلهم واحداً بعد واحد ثم امر ان يوتى بهم جميعاً فحضروا بين يديهِ وهم مقيدون ببعضهم وما منهم من يومل الخلاص ولما راءوا فيروز شاه اضطربوا وزاد خوفهم وايقنوا بالفناء وتعجب هو لما راهم مع انهُ كان بعهد انهم بين رجالهِ في المعسكر الفارسي . فقال لهُ الملك شنكال انك تتعجب من مجيئهم فتلك حيلة انقضت عليكم ثم اخبرهُ بكل شيء حتى كادت تنفطر مرارتهُ وقال لهُ لو كنت من الملوك العظام الذين يدعون الفخر لما لجئت الى مساعدة السحر بل كنت تفعل بنفسك ومع كل هذا فلست انت ولا ساحرتك هذه تقدران تمد يداً عليَّ او على احد من قومي فان الله يحفظهم . فقالت رزة اني في هذه الساعة ساقتلكم واحداً بعد واحد وتبقى انت الى الاخير لترى بعينيك ما يحل بقومك واني اريد اولاً ان اقتل عيارك بهروز الذي طال واستطال على السحراء وقتل منهم كثيراً . فقال لها بهروز ويلك ايتها الجانية اتظنين اني اخاف منك او احسب لك حساباً ولو كنت اعرف بوجودك قبلاً لما ابقيت عليك الى الان واني انذرك من زوجتي شمس فانها تميتك لا محالة قالت من ابن تعرف شمس بلك وهي قد تركت السحر ومنعت نفسها منهُ

وسوف نقتل ولا نعلم

وفي الحال امر الملك شنكال ان يفصل بهروز عن رفاقهِ ويذبح حالاً قبل الجميع اجابة لطلب رزة وكان الملك جهان ينظر ويسمع وهو مضطرب القلب خائف من ان يقتل احد من الفرس قبل اسراع شمس الى خلاصهم وقد تعجب من تهاملها وتاخرها ولما راى بهروز وقد اخذ وقدم الى الذبح ودار بهِ السياف رافعًا السيف ليضربهُ ارتجف وثبت عندهُ وعند الجميع موت بهروز وتاكدوا انهُ بعد لحظة يكون من الهالكين الا ان قبل سقوط سيف السياف على عنق بهروز ارعدت الدنيا واضطربت واهتز الصيوان بما فيهِ وجمد كل منهم ويبس كانهُ قطعة من الحديد ووقع السياف الى الارض وسمعوا صوت من خلال الخفاء يقول ويلك يا رزة الملعونة جاءتك شمس تنتقم منك وارادت رزة ان تنهض فلم نقدر وحل عليها الخوف ورجف قلبها وفرح جهان بقلبهِ وتاكد خلاص الفرس في تلك الدقيقة وعلم بوصول شمس وان هذا الفعل هو فعلها وراى من نفسهِ انهُ منطلق وجميع من في الصيوان جامدون مقيدون لا احد منهم يقدر على الحركة

وفي تلك الدقيقة ظهرت شمس للعيان وهي كانها البدر في الاشراق وبيدها قضيب من النحاس وقالت ويلك يا رزة اتظنين اني غافلة عنك عن عجز او خوف منك ولو كنت ممن يسحرون حتى الان لرايت كل هذه البلاد خرابًا ولكني تبت وعرفت الحق وتركت ما لا يرضيهِ تعالى ثم انها دنت من فيروز شاه وفكت وثاقهُ وهنأتهُ بالسلامة ومن بعده الملك بهمن وباقي الفرسان والابطال حتى انتهت اخيرًا الى زوجها بهروز ففكت قيودهُ وهو تحت القتل وما صدق ان ملك نفسهُ حتى انقض على رزة الساحرة فلطمها على وجهها وقبض عليهـا واراد ان يدنو من الملك شنكال فقال لهُ فيروز شاه لا تفعل يابهروز فهذا ليس من شيم رجال الفرس فانهم استعانوا علينا بالسحر فاخذونا اسارى وذلك عن ضعف منهم وعجز اما نحن فلا نرضى ان نعاملهم بالمثل ولا ناخذهم الا بواسطة السيف والانصاف فاجابهُ ورجع عن العمل . وقالت لهُ شمس خذ فقط معك الساحرة وابنها وونك العيار فاجاب قولهـا وقبض على ونك وبرنش العيارين وهما جامدين لا يقدران على الحركة وسحبهما امامهُ . وبعد ذلك طلبوا من جهان ان يذهب معهم ويترك قوم الهنود فاجابهم الى طلبهم وشكر معروفهم وشكروهُ على معروفهِ وساروا في نصف معسكر الهنود ولا احد يدنو منهم او يقدر ان يلقاهم بسوء الى ان خرجوا من بينهم وفي حال خروجهم انفك السحر عنهم وانطلقوا كعادتهم وبقيت شمس ذاهبة ومعها الفرسان والابطال الى ان قربوا من معسكرهم وكان في مقدمتهم الملك بهمن وفيروزشاه وبينهما الملك جهان يترحبان بهِ وهما بفرح لا يوصف لصفاء نيتهِ وانطلق بهروز فاخبر

طيطلوس بخلاصهم فخرج فرحًا مسرورًا وامران بحتفل بقدوم القادمين وتقدم هو وولدهُ بزرجمهر في اول الجميع ولاقوا فيروزشاه ومن معهُ واظهروا مزيد سرورهم وفرحهم بهذه المنة العظيمة من لدنهِ تعالى وترحبوا كثيرًا بالملك جهان وادخلوهُ الصيوان بالعظمة والاحتفال واجلسوهُ بين الملوك وجعل كل منهم يشكره بدوره ويثني عليهِ فاجابهم اني لا استحق منكم هذا الالتفات العظيم مع اني ما عاملتكم الا بالقبح والعداوة والشر وكنت لا اقدركم حق قدركم ولا اعرف عظم كرامتكم وما انتم عليهِ من لطافة الذات والان قد انير عقلي وعرفت الصواب فارجوكم المعذرة . فقال بزرجمهر اننا لا نفكر بمروقع بسماح منهُ تعالى ومع كل ذلك فاننا نعرف حق المعروف وما فعلتهُ اخيرًا معنا من خلاص فرساننا وملوكنا ينسينا كل الماضي ويجعلنا على الدوام مشعرين بفضلك ومعروفك . فقال فيروزشاه ما مضى فات والمومل غيب ولك الساعة التي انت فيها والان انت السيد الكريم واننا نريد منك ان تكتب كتابًا الى بنتك السيدة شمس فهي لاريب قائمة على مقالي الجمر من اجل خصومتك لنا وخصومتنا لك وطالما سالتني بالحاح ان اسعى بالوفاق والمصالحة حتى اجاب الله سوالها وانتهى ما هي طالبتهُ وفي كدر من اجلهِ ونحن سنكتب لها كتابًا ايضًا نبشرها بهذه البشارة التي نعلم انها ستحل عندها محل الفرح والهنا . قال اني مسرور من عملها فهي احكم مني واعقل وقد نصحتني كثيرًا واشارت اليَّ بمصالحتكم وحذرتني من عداوتكم وقالت لي اني لا الاقي منكم الا فشلاً وخيبة وهي وحدها التي قدرت على ربط قلوبنا ونزع الشر من بيننا ونهي الخلاف فلو لم يكن الملك بهمن صهري لما فكرت قط بترك جيوش الهنود ولا حدثني فكري بالسعي في خلاصهِ ولا فضلتهُ نفسي على كوكلة ابن الملك شنكال الذي كان بنية ابيهِ ان يزفهُ عليها بل كانت العداوة تقوم مقام الحب وتبعد عني معرفة الحقيقة وها انا منذ الان ساكتب كتابًا اشرح لها بهِ ما جرى بيننا واشكرها على عملها وتعقلها ثم اخذ فكتب الى بنتهِ يقول

بسم الله الهادي الواحد الاحد

من جهان صاحب الصين الى بنتهِ شمس العاقلة الحكيمة

اني اشعر يا ولدي بحسن اعمالك وما انتجت حكمتك من حفظ بلادي وصونها وارجاع السلام اليها . كنت مع الاعداء وانا بنية لا ترضى الانسانية اكره في رجال الصين وابغض اعمالهم وارغب لهم الشر والويل والعذاب . اتمنى وقوع الاذى عليهم واطلب انقراضهم واخذ ثاري منهم وقد اخبرني ونك بزواجك بالملك بهمن وقبولك بالاقتران منهُ فتعجبت بهِ اولاً ولم تقبل نفسي ان تملك وكنت كلما عزمت من ذاتي على ان انسب اليك الخطأ والخيانة بابيك كانت محبتك تحول دون هذا العزم وتظهر منها نتيجة حسنة ولم يكن للغيظ عليَّ تسلط يقود بي الى كره

عملك ولا سيا عندما عرفت ان الملك شنكال الهندي قد وطد كل عزمهِ وقرر في ضميره ان
يزفك على ولده كوكلة ولاجل هذه النية جاء من بلاده يسحب خلفهُ جيوشًا جرارة وفرسانًا
عظامًا ولا اقدر ان اشرح لك عن حالة كوكلة ابن الملك شنكال وعن قباحة منظرهِ حتى اني
لكثرة حبي لك تمنيت ان لا اراك فيما بعد ولا تكونين ضحية لهذا الزوج القبيح خلقة وعملاً ولما
وقعت عيني على زوجك الملك بهمن بن فيروزشاه وشاهدت ما هو عليهِ من فصاحة اللسان
وحسن المعاني حل في قلبي بارفع منزل والتزمت ان احبهُ بالرغم عن كل الاسباب التي كانت
واقعة بيننا وعذرتك على حبك لهُ واختيارك اياه على سواه ولو كنت مكانك لما فعلت غير ما
فعلت وقد ارتني الحقيقة اني كنت قبل الان في ضلال مبين وانك على صدق يقين وصواب
وعرفت بترفع عملك هذا . انهيت هذا الخلاف ورميت الوفاق والحب فيما بيننا حتى اصبحنا يدًا
واحدة وتلقانا فيروزشاه بالكرامة واللطافة واني اشكرك على فعلك الذي بسببهِ تقربت من
هولاء القوم وتقربوا مني تاركين كل الماضي يعاملوني معاملة الاهل والاقارب وارجعوا اليَّ
ملكي ولاجل اطمئنان بالك بعثت اليك بهذا التحرير لتعلمي بما كان من امري واني الساعة مقيم
بين ملوك الفرس ولا نلبث ان نعود اليك

وبعد ان فرغ من كتابة الكتاب دفعهُ الى الملك بهمن ليبعث بهِ مع رسول الى بنتهِ
فاخذه ودفعهُ الى روضة العيار وكتب هو كتابًا الى زوجتهِ يخبرها مفصلاً بكل ما كان منهم
وما جرى عليهم من حين مفارقتها الى تلك الساعة واخبرها بما لاقوا من رزة الساحرة وكيف
انهم قدموا للذبح فادركتهم شمس وخلصتهم وكان بلغها الخبر بواسطة ابيها جهان فاخذ روضة
التحريرين وسار الى المدينة وجاء قصر شمس زوجة الملك فدفعهما لها وبعد ان اطلعت على ما لهما
فرحت مزيد الفرح وسقط عن قلبها هم عظيم باجتماع ابيها وزوجها على الحب والوفاق والرضا
وكتبت الى ابيها الجواب تعلمهُ بعظم ما حل عليها من الفرح بهذا الصلح الذي كانت ترجوه منذ
زمان طويل وسالتهُ ان يسمح عنها ويعفو عن زلتها بزواجها بالملك بهمن دون رضاه وخاطرهِ
ومن ثم كتبت الى زوجها كتابًا تقول لهُ فيهِ

اعلم يا سيدي اني مذنبة لديهِ تعالى ولا اعرف كيف نظر الي وتلطف بي وخلص لي حياتي
وامالي ودفع عني عظيم مصاب وجسيم خطب . تكدرت الكدر الزائد لما قرأت تحريرك وعرفت
وقوعك بيد علوج الهنود وكنت بكدر لا يوصف حتى كاد يطفح على قلبي لو لم انظر بخاتمة كتابك
خلاصك وخلاص مولاي ابيك وباقي الفرسان من قومك فالحمد لله على ذلك الوف مرات
واقدم لك اخيرًا الهناء على الخلاص وارجوك تقديم الهناء لسيدي ابيك واسال الله توفيقهُ
ونوالهُ كل مرادهِ لانهُ نظر اليَّ وجبر كسري وعاملني معاملة الاب الحنون وقبل ابي ويغفر لهُ ذنبهُ

واجاب سوالي كرماً منهُ . وإنك تعرف بشعائر فتاة قد القت كل رجائها عليك واتخذتك لها سنداً ومعيناً على حياتها واقامت وإياك على الحب الالهي المامور بهِ كل فرد من عبادهِ تعالى . واني انتظر منك اخيراً ان تعود اليَّ منصوراً ظافراً سالماً من كل شائبة واذى والله اسال وهو المجيب

وبعد ان فرغت من هذا الكتاب دفعتهُ مع كتاب ابيها الى روضة العيار واوصتهُ باهداء السلام لكل امراء الفرس فودعها وسار حتى جاء سيدهُ ودفع اليهِ الكتابين وبلغهُ سلام زوجتهِ فقرأ كل واحد تحريره وشكر منها ومن ابيها . وبعد ذلك امر فيروزشاه ان يوتى برزة الساحرة فحضرت بين يديهِ مربوطة بالحبال ولما راها اضطرب كل جسمهِ وقال لها اتظنين انك تفوزين على ملوك الفرس والاله العظيم حافظهم من السحراء والشياطين لا يقدرون على التسلط علينا او ايصال الشر الينا وإنك لفي ضلال مبين وقد اتيت بك لاعرضك على مجلسي يرى في امرك ثم استشار قومهُ في امرها فاجاب الجميع بصوت واحد ان تموت معذبة لانها تستحق القصاص والموت على ما فعلت معهم وحينئذٍ اخذوها ورفعوها على خشبة وطافوا بها طول النهار وفي المساء اقاموها في نصف المعسكر والى جانبها ولدها برنش لان فيروز شاه امر ايضاً بقتلهِ مع والدتهِ وتركوهما على ذلك ثلاثة ايام عرضة لبرد الليل وحر النهار حتى ماتا شر ميتة وجف جسداهما فانزلوهما ودفنوهما في التراب . وكذلك ونك العيار فانهُ احضر امام فيروزشاه مقيداً يقوده بهروز وعندما وقف بين يدي الجميع سالهُ الملك عن تعديهِ وقال لهُ هل لك ما تقول في الدفاع عن نفسك فقال اني اعرف اني استحق القتل غير اني اسالكم العفو واذا كان اخ سعدان وهو احد اتباعكم وملاذيكم قد غفر لي جريمتي فكم بالحري وانتم ملوك الزمان وساداتهِ وكرماء اهلهِ فاجاب بزرجمهر في الحال وقال ان ونك يستحق القتل وتركهُ من الظلم وقلة الانصاف وقد جربنا انفسنا معهُ وعفونا عنهُ فعمل على قتل سيدي الملك ولو كان ممن يصطنعون لترك الخيانة ورغب في خدمتنا وقابل عفونا بالشكر والممنونية وقبل ان يجيب فيروز شاه بكلمة قال بهروز ان امر ونك راجع اليَّ يا سيدي واسالك ان تعهد بهِ اليَّ فهو مجرم ضدنا عدة جرائم وموتهُ ضربة لازب فهو ثالث طيفور وهلال العيار . قال لقد تركتهُ لك افعل بهِ ما شئت وفي الحال اخذه بهروز الى خارج الصيوان وجاء بخشبة عريضة طويلة صف عليها ميئات من ابر الفولاذ المسننة الرؤوس قائمة كلها على كعابها واخذ ونك ورماه عليها وجعل يرفعهُ بين يديهِ ويلقي بهِ فوقها فتدخل رؤوس الابر في بدنهِ ويتدفق الدم كالانابيب وهو يصيح ويستغيث وما من راحم حتى خرجت نفسهُ الى النار وبئس القرار واشتفى بهِ قلب الجميع وعجبوا من صعوبة هذا العذاب وقساوة بهروز العيار واختراعهِ هذه الصفة المعذبة لموتهِ . وبعد ان قتل ونك ورزة

الساحرة وولدها برنش قال فيروزشاه لرجال قومهِ انتم تعرفون اننا بارتباك عظيم من جهة ابي و بلادنا وإننا بحاجة الى سرعة الذهاب الى ايران فكونوا في صباح الغد على اهبة الحرب والكفاح لنوقع بالباقين بمساعدتهِ تعالى ونبيدهم عن اخرهم و يرتاح بالنا من جهة هذه البلاد حيث يكون ملكها قد عاد اليها فاجاب الجميع على كلامهِ وقالوا لا بد من الحرب في الغد وصار املنا بالرجوع الى بلادنا قريب العهد وإقاموا يتعددون بانتظار الصباح

قال وكان الملك شنكال بعد ان جرى ما جرى في قومهِ وشاهد عمل شمس الساحرة وكيف انها قادت رزة امامها كالعبيدة وإخذت فرسانها ورجعت تكدر مزيد الكدر وشاهد عدم النجاح وقال للقمقام اني قطعت رجائي من كل واسطة ولم يبقَ لي امل قط الاَّ بالقتال والنزال وإرى اني محتاج الى منازلة الفرس بنفسي وإنا عارف انهم لا يثبتون امامي وهذا معيب بحقي ان القي مثل هولاء الصبيان في ساحة الميدان ولا اخاف الاَّ امرًا واحدًا وهو اني اذا اسرتهم او اوصلت اليهم اذى تفعل بنا ساحرتهم الافعال الشريرة وتبدد شملنا . قال لا خوف ياسيدي من هذا الامر فان فيروزشاه يكره السحر ولا يعتمد عليهِ وهو يمنعها منهُ ولو كان يرغب فيهِ لفعل ذلك في نفس اليوم الذي جاءت بهِ الساحرة او لكان اخذنا اسارى معهم بل استقبح هذا الامر وما ذلك الا بمساعدة النار لتقصير عمرهِ وإعمار فرسانهِ وسوف تنظر ما افعل لك بالغد فاني مزمع على البراز لاخذ ثار اخوتي من بهزاد لانهُ قتل لي اربعة اخوة ولا بد من موتهِ بثارهم . وهكذا اعتمد ايضًا ملك الهنود وفرسانه على القتال وصبروا الى حين طلب الحرب من رجال ايران

وفي صباح اليوم الذي بعدهُ نهض الهنود من مراقدهم على اصوات طبول الفرس تنذرهم بوقوع الحرب في ذاك النهار وعمدوا الى خيولهم وسلاحهم وتقدموا الى ساحة المجال فوجدوا ان الفرس قد سبقوهم اليها وعولوا على الهجوم وقبل ان يتمكنوا من ذلك سقط القمقام الى وسط الميدان وهو فوق فيلهِ وكان من الافيال الكبيرة الضخمة وبيدهِ عمد من الحديد ثقيل العيار يبلغ ثقلهُ ثمانمائة منٍّ وإكثر وبيدهِ طارقة من الحديد عليها مسامير من الفولاذ يبلغ ثقلها كلها النصف قنطار فصال وجال ولعب على ظهر فيلهِ بما حير العقول وما استوى بنصف الميدان حتى سقط بهزاد الايراني الى امامهِ وصدمهُ صدمة فارس جبار وإخذ معهُ بالحرب والقتال دون كلام ولا جدال غير ان السيوف كانت تخاطب بعضها مخاطبة الاحقاد . ويطلب كل واحد ان يجعل مقره في مجمع الاوراد . وبقيت الحرب قائمة بين الاثنين وقتًا ليس بقليل والفرسان تنظر اليهما نظر المتعجب من سرعة الجريان وخفة الدوران ولاسيما بهزاد فانهُ عرف ان خصمهُ عنيد جبار . ثقيل الحملة والعيار . وإنهُ اشد من اخوتهِ باسًا وإصعب مراسًا فبذل المجهود وقام

بكل ما هو في وسعهِ كي ينال المقصود . وداما على مثل هذا الامر الى ان قرب العصر واذ ذاك
راى بهزاد ان القمقام على التاخير الى الوراء وفي نيتهِ ان يطلب الضرب بالعمدان فلم يمكنهُ من
ذلك بل اسرع الى سيفهِ فامتشقهُ حتى سطع ولمع كانهُ البرق من خلال السحاب وصاح اي
رجال الهنود انظروا في هذا اليوم ما يحل بفارسكم القمقام وسابعث بهِ الى اخوتهِ باقرب آن
وارسل الحسام بخفة تحاكي سرعة البصر فعزم القمقام ان يستتر من الضربة فلم يقدر لانها سبقت
ووقعت الى وسطهِ فقطعتهُ الى نصفين والقتهُ عن ظهر فيلهِ الى الارض قطعتين ولما راى الملك
شنكال ان القمقام قد قتل غاب عن الصواب فصاح بقومهِ وقال لهم ويلكم اسرعوا الى بهزاد
وقطعوهُ بسيوفكم قبل ان تدركهُ قومهُ وخذوا لفرسانكم منهُ بالثار فتدفقوا من كل ناحية يطلبونهُ
وقلوبهم محروقة على القمقام وما وصلوا اليهِ حتى كان فيروز شاه قد حمل برجال ايران والتقى
جماعة الهنود وجود الضرب فيهم واكثر من القتل الى ان كان المساء وضربت طبول الانفصال
ورجع القومان الى الخيام وقوم الفرس مسرورون بعمل بهزاد وقتلهِ القمقام بقدر ما الهنود
متكدرون منهُ ومن حالتهم

وبعدان رجع كل فريق الى ناحية صرفوا الليل يتحرسون الى الصباح وفيهِ ركب كل
فارس جوادهُ واعتد بعدتهِ وتقدم مع قومهِ الى الميدان وبينما هم يترتبون ويصطفون واذا
بالملك شنكال قد خرج من تحت الاعلام وبين يديهِ العبيد والغلمان وهو راكب على فيل عظيم
الجثة عليهِ سرج من الذهب الخالص يلمع كانهُ الكوكب في ظلام الليل الحالك ولما صار في
الوسط امر عبيدهُ وخدمهُ ان ترجع الى الوراء ومن ثم اشار الى فرسان الاعجام بالبراز وسرعة
الانجاز وما انتهى من كلامهِ حتى صار بهزاد عند راس فيلهِ فوق جوادهِ وهو كانهُ السهم اذا
خرج من الوتر وصاح بالملك شنكال وقال لهُ اهل رايت من نفسك الغلبة وعرفت كيف ان
رجال الفرس يغلبون ولا يغلبون لقد قتلنا فرسانك وابقيناك في معسكرك وحيداً فريداً
فالتزمت ان تلقي بنفسك الى سبيل المخاطر وقد عزمت على ان الحقك بهم في هذا اليوم الذي
قادتك بهِ المنية الى بين يدي . ثم اصطدما كانهما اسدان . والتطما كانهما بحران . ودار بينهما
الضراب والطعان . بعيار ثقيل في ميزان الميدان . وكان شنكال فارساً قوياً وبطلاً صنديداً
كثير الخداع في القتال فثبت امام بهزاد بعزم متين ودام الحال بينهما الى ان كان نصف النهار
وعندهُ راى الملك شنكال ان خصمهُ لا يتزعزع ولا يهاب الموت ولا يوخذ من باب فعمد الى
استعمال الحيلة فرجع في الحال وقال لهُ هل لك ان تعمد الى ضرب العمدان رغبة في الانصاف
قال لهُ اني اجيبك الى كل ما تسال بهِ وتريدهُ فاضرب بعمدك ثلاث ضربات واضربك بسيفي
ضربة واحدة . ففرح شنكال وقال لهُ اثبت مكانك وخذ طارقتك واحمِ عن نفسك وجعل

نفسهُ كانهُ يتناول العمد واخذ من عن ظهر الفيل شبكة من الفولاذ معلقة بسلاسل من الحديد من الطرف الواحد بالفيل ولها من الطرف الاخر شناكل وحلقات ولما صارت بيده رماها باسرع من لمح البصر على بهزاد وقال لهُ هكذا يكون القتال فوقعت الشبكة عليهِ وعلقت الشناكل في عدتهِ فارتبك بهزاد واراد ان يخلص نفسهُ منها فراى ان خصمهُ قد الوى عنان فيلهِ واطلقهُ يجري فشدت السلاسل ولم يتمكن من تخلصها وخاف ان يقع الى الارض فشد برجليهِ على بطن جوادهِ حتى اصبح هو والجواد سوّى غير ان الجواد لم يكن بقوة الفيل فجر بالسلاسل بالرغم عنهُ جرًّا خفيفًا

وراى فيروز شاه عمل الملك شنكال فغاب منهُ صوابهُ لانهُ كان واقفًا في المقدمة ونظر الى اردوان وقد صاح من ملءِ راسهِ وانخطف الى خلاص عمهِ فعرف انهُ لا ينال المقصود كونهُ كان بعيدًا في اطراف الجيش ولذلك اطلق لجوادهِ الكمين العنان فخرج يخطف حتى كادت الابصار لا تراه وكانت الحمية قد اخذت براس كل فارس ايراني وبطل عجمي فانطلق بنفسهِ يظن انهُ يصل اولاً الى بهزاد غير ان فيروز شاه كان اسبق الجميع اليهِ فاسرع بسيفهِ الى السلاسل فقطعها وكان قد قرب من معسكر الهنود وهناك جرت وقعة عظيمة مهولة لم يسبق ان سمع بمثلها في ذاك الزمان تقطعت فيها الرؤُوس وخمدت النفوس وجرت الادمية كالانابيب وتدفقت من اوراد الفرسان كالميازيب وما جاء المساء الا ورجال الفرس قد ادخلت الهنود الى داخل خيامها وانزلت بها الويل والعذاب وقتلت فيهم مقتلة عظيمة ورجعوا عنهم بعد ان اشفوا غليل افئدتهم منهم ولولا ثبات الملك شنكال لتفرقوا بين تلك البراري والتلال وبعد ان رجعوا الى الخيام واقاموا في صيوان الملك بهمن هنأ وا بهزاد على خلاصهِ فقال لهم قبح الله الغدر والخيانة فاني لم اكن اعهد بمثل هذا الملك بعد ان طلب مني ان نعمد الى العمدان ويضرب كلٌّ منا بدورهِ يرسل اليَّ بالشبكة على غير انتباه ومع كل ذلك فاني اعرف واعترف انهُ بطل صنديد وفارس مجيد ولكن لا بد لي في الغد من هلاكه وقصف عمره . فقال لهُ فيروز شاه اني في هذه المرة لا اسمح لك ان تقاتل الملك شنكال بل اريد ان اقاتلهُ واعدمهُ الحياة كونهُ ملك وفارس . فلم يقدر بهزاد على مخالفة فيروز شاه وصرفوا ذلك الليل على حسب عادتهم الى ان كان الصباح

قال وفي الصباح ركب الملك شنكال وهو متكدر من فوات خصمهِ من يده في اليوم الماضي ودعا اليهِ جماعة من قومهِ وقال لهم اني اريد منكم لا تتغافلون في الغد عن الاسراع الى من اقاتلهُ اذا رايتم الشناكل وقعت عليهِ ولو انكم اسرعتم الى بهزاد وقتلتم جوادهُ لكان الان اسيرًا بيننا . وبعد ذلك تقدم الى الميدان وبرز الى الوسط وفي نيتهِ ان يعمل في ذاك اليوم

كما فعل في اليوم الماضي الا انهُ قبل ان يدور براس فيلهِ ويصول ويجول صدمهُ فيروز شاه وهو راكب على جوادهِ الكمين المشهور في خيول ذاك الزمان ولما التقيا اصطدما وافترقا والتحما وهمهما ودمدما ووقع بينهما القتال العظيم والنزال الجسيم وهما تارة يلتقيان وتارة يفترقان . والفرسان ترمقهما بالعيان - من كل ناحية ومكان . وسلطان الموت واقف امامهما ينظر ما يكون من امرهما وهو عارف من نفسهِ حق المعرفة ان لابد لاحدهما من قتل الاخر واعدامهِ ولذلك كان يومل انهُ لايرجع بالخيبة بل يعود ظافرًا منصورًا الى ان قرب الظهر ورأى شنكال عمل فيروز شاه وخفة جريهِ وسرعة ضربهِ فكاد يغيب عن الصواب وعرف من نفسهِ انهُ مقتول لامحالة ولذلك عمد الى ترك المجاولة وطلب من خصمهِ الضرب بالعمدان . فقال لهُ فيروز شاه اني اعرف انك غادر ماكر ولذلك اسالك ان تلقي عليَّ بالشبكة والشناكل وانا على استعداد حتى اذا لم تنفذ غايتك فيَّ عدنا الى ضرب العمدان ففرح شنكال بهذا الشان واخذ السلسلة بيده وجمعها مع الشبكة والقاها وفيروز شاه ينظر اليها وقبل ان تصل منهُ اسرع فاختطف السلسلة من الشناكل وقبض عليها بيدهِ وظن شنكال انها علقت في زنده فالوى راس فيلهِ واراد الرجوع واشتد السلسال وفي ظنهِ انهُ يقدر على سحب فيروز شاه الى ان تدركهُ الفرسان فياخذونهُ اسيرًا فخاب ظنهُ لان فيروز شاه شد برجليهِ على بطن الكمين وكان الكمين ثابت القوائم قويًا فلم يقدر الفيل على جره بل جعل يضرب برجليهِ والملك شنكال يطلقهُ وهو واقف مكانهُ وفيروز شاه يضحك منهُ ولما راى ان فرسان الهود قصدتهُ خاف ان يفوتهُ الملك شنكال فجذب السلسله بقوة زندهِ وجرَّ الفيل من الموخرة حتى صار امامهُ وحينئذٍ اسرع الى سيفهِ فاستلهُ وضرب بهِ الملك شنكال فوقع على راسهِ ارداهُ قتيلاً وصاح بعد ذلك على فرسان الهنود وانخطف الى وسطهم يضرب ويطعن ولما راى فرسان الفرس عمل فيروز شاه وكيف انهُ سحب الفيل كالكلب وهو ثابت فوق كمينهِ وراوا قتلهُ لملك الهنود صفقوا من الفرح وحملوا باجمعهم وانحطوا على الاعداء وانزلوا عليهم نوازل الدمار والبلاء وجعلوا يضربون بهم من كل جانب مفرق وسدوا عليهم نوافذ الفرار وداموا يفعلون باقفيتهم كما تفعل النار بالقش الجاف حتى فرقوهم كل ويددوهم كل مبدد ومحوا آثارهم عن تلك الديار وعادوا من خلفهم منصورين ظافرين وجمعوا الخيول والاسلاب واغتنموا الذخائر والاموال وكل ما كان مع الهنود ونزلوا للراحة في تلك الارض وهم يهنون بعضهم بعضًا بهذا النصر المجيد وقضاء الامر من اقرب طريق

ولما استقر بهم المقر في المساء بعث الملك بهمن بكتاب الى زوجتهِ يبشرها بما حل على الاعداء ويعدها بانهم في الغد ينهضون عائدين الى المدينة ومثل ذلك الى مهريار الوزير يخبرهُ بكل ما تقدم ويامره باجراء الاحتفال والزينة اكرامًا لخاطر عمهِ جهان فاجاب مهريار طلبهُ

وهيأ كل ما امر به الملك غير انهُ كان يعرف ان جهان لا بد ان يلومهُ وان ليس من الاصابة ان يبقى في بلاده بصفة وزير او غير وزير وعليهِ فقد وطد العزم على ملاصقة فيروز شاه وقوم الفرس والبقاء معهم الى نهاية العمر. وناموا تلك الليلة في تلك الارض على الراحة والاطمئنان بعد ان قسموا الخيول والاسلاب واعطوا الصغير بنسبة الكبير. وفي الصباح نهضوا على صوت نفير الملك بهمن يامرهم بالركوب والرجوع الى المدينة كي يقيموا بها الملك جهان على كرسيهِ كما كان و ياخذوا بما هو لهم هناك وياخذ الملك زوجتهُ ويسيرون. وما علت الشمس واشرقت بكل انوارها حتى كانت كل فرسان الاعجام سائرة الى الوراء وفي مقدمة كل جيش منها فارس عظيم من فرسانها وقد ملأُوا الارض بكثرتهم وبما هو معهم من الخيول والجمال والاغنام التي ربحوها من الاعداء وبقيوا على مسيرهم الى ان وصلوا الى المدينة وتبينوا من عندها فراوا اهلها قادمين نساء ورجالاً الى ملتقاهم وفي مقدمتهم الوزير مهريار والاعيان واكثر فرحهم كان بالصلح الذي وقع بين الفرس والصينيين ونهاية هذه الحروب ورجوع ملكهم على طريقة مجيدة ولما التقوا بهِ وبفيروز شاه والملك بهمن وجماعة الفرس صفقوا من الفرح وتقدموا من ملكهم وخروا لهُ فمنعهم وقال لهم لا تفعلوا الان ولا فيما بعد ما كنتم عليهِ قبلاً فقد انار الله بصيرتي وعرفني مقامي وما انا الا واحد منكم مخلوق لا اقدر ان احيي برغوثًا او اخلق ذبابة ومن الخطاء والخطيئة ان اقبل بعملكم هذا وما سلطني الله عليكم الاَّ لاخدمكم بالحكم بينكم واحرسكم بعين العدالة والحكمة. فلما سمعوا كلامهُ زاد سرورهم وعرفوا انهُ اطاع الفرس على عبادة الله وعرف الحق معرفة كبرى

وبعد ان سلم كل انسان على الاخر عاد الجميع الى المدينة ودخلوها وجاءُوا القصر الكبير حيث كان الوزير مهريار قد اعد لهم فيهِ كل انواع الاطعمة والاشربة وما يليق بمثل هذا الاحتفال واقاموا كل ذلك النهار فيهِ والاعيان ترد على الملك جهان تهنيهِ بالسلامة والرجوع وعند انقضاء النهار ذهب الى بنتهِ مع صهرهِ الملك بهمن ولما وصل قصرها تلقتهُ الى الاسفل ورمت نفسها على صدره تقبل يديهِ وتذرف الدموع وهي مظهرة فرحها بهِ ومخجولة من نفسها تطلب منهُ المسامحة والرضا عنها فضمها اليهِ وقبلها وقال لها لم تفعلي الا حسنًا يا ولدي ولولا ذلك لكنت انت الان بكدر وانا كذلك من اجلك لانهُ كان بنية الملك شنكال ان يتخذك زوجة لابنهِ ولو رايتهِ لفضلت الموت الوف مرات على التقرب منهُ وابن هو من زوجك الذي لا يوجد مثلهُ في زماننا هذا ولا اكبر من سلطانهِ وقد جمع فيهِ الله سبحانهُ وتعالى كل الصفات الحميدة الممدوحة منهُ ومن الناس واني الان اهنيك بهِ واسال لك التوفيق معهُ والنجاح. فشكره الملك بهمن على قولهِ واثنى على محبتهِ. وبعد ان اقام اكثر من ساعتين في قصر بنتهِ ذهب الى قصره وترك بنتهُ

مع زوجها يتشاكيان الم الفراق وما لاقيا من البعد مدة هذه الحرب بعد ان كانا بالراحة والهنا وهنأته بالسلامة والرجوع على جناح النصر والظفر . وصرف تلك الليلة عندها باعظم راحة واهنى ليلة

وعند الصباح اجتمع كل امير ووزير في ديوان الملك جهان وجاء الملك جهان والملك بهمن وفيروزشاه وجلس كل واحد في مجلسهِ ولما استقر بهم المقام نهض فيروزشاه وقال خاطبًا فيهم اعلموا ايها القوم من فرس وصينيين المجتمعون في هذا المكان اننا صرفنا سنينًا كثيرة في هذه البلاد على الحرب والعناد نلاقي الدهر مع صروفهِ اوقاتًا مفرحة واوقاتًا مكدرة ولا نلبث ان نودع الواحدة حتى نلاقي الاخرى اي اننا كنا على الدوام عرضة للاكدار والتاخر ومحطًا للافراح والهناء غير ان الله سبحانهُ وتعالى كان لا يقبل ان يبقي علينا غطاء الفشل والمصائب بل كان في كل هذه المدة يساعدنا وينتشلنا من بين ايدي الحوادث التي كانت تغيظنا الى ان وصلنا والحمد لله الى هذه الحالة الحاضرة وتخلصنا من كل الطوارق التي طرأت علينا ورجع الملك جهان الى ملكهِ بعد ان اتصل بيننا وبينهُ حبل النسابة وصار كواحد منا ومن الاصابة والعدالة ان نرجعهُ الى ملكهِ ونرجع لهُ بلاده حيث لا نقدر ان نقيم فيها اكثر من هذا النهار وفي الغد مزمع على السفر والرحيل مستعجلاً الى جهة ايران لان لا خفاكم خبر التحرير الذي بعثهُ والدي الملك ضاراب واخاف ان يكون قد وصل الابشع ملك السودان الى ايران وليس في ايران من يقدر ان يلقاه فيخرب البلاد ويشتت اهلها ويسبي حريمها ويتمكن الشاه روز من اخذ عين الحياة وانا بعيد عنها لا اقدر ان امنع عدوها او احميها منهُ واني اعلم ان الله لا يقبل لي ان اكون مرتاحًا سنة واحدة من الحروب ومعاناة الوقائع وما ذلك الا لغاية خصوصية يريد ان يجريها ليزيد من عباده ويسلطنا نحن على مشارق الارض ومغاربها واني اريد الان ان ارجع الملك جهان الى كرسيهِ واعزل ولدي منها . ثم تقدم فيروزشاه من الملك جهان وقدم لهُ بلاده وطلب منهُ المعذرة ونزل الملك بهمن عن كرسي الملك ورفع عمهُ عليها وقال لهُ هي باقية لك وما من احد يقدر ان يتعدى عليك بها ولا سيما اننا نحن صرنا من الان وصاعدًا انصارك واعوانك

وبعد ان جلس الملك جهان على كرسيهِ فرح مزيد الفرح بعمل صهره بهمن واكرامهُ لهُ واراد فيروزشاه ان يصلح بين الملك جهان والوزير مهريار فقال لجهان ان وزيرك ما سلك معك هذا المسلك الا لما وجد نفسهُ مضطرًا اليهِ كونهُ يعبد الله تعالى ونحن نعبد الله مثلهُ ومن المفروض على عباده ان يكونوا يدًا واحدة على الحب والولا وهكذا دينهُ جملةً ان يعمل .

فقال جهان اني راض عنهُ ولست متكدرًا من اعمالهِ غير اني لا ارضى ان يعود الى الوزارة

كسابق عادتهِ . وكذلك الوزير مهريار فانهُ قال لفيروز شاه لا رغبة لي في البقاء يا سيدي بهذه البلاد لان محبتي لك وما اراه من نفسي من وجوب خدمتي وبقائي على الدوام بين يديك وتقديم الفروض الواجبة عليَّ دائمًا تدعوني الى ان اسالك ان تسمح لي ان اكون بين عبيدك وخدمك ولا طاقة لي على فراقك . فاجاب فيروزشاه سوالهُ وقال لهُ كن انت معنا على الدوام فاننا بعظيم حاجة اليك ثم التفت الى الملك جهان وقال لهُ اريد منك ان تستوزر راخ سعدان وفيروز الجراح فانهما امينان جدًّا وفيهما اللياقة والكمال . قال اني اقبل بذلك ومن هذه الساعة اقيم الاول مكان منكوخان والاخر مكان مهريار وجاءوا بهما واجلسوهما في هذين المنصبين وباركوا لهما وهنوهما . وصرفوا باقي ذاك النهار على الاستعداد والتهيء وقد امر جهان ان تزود رجال الفرس بكل ما يلزم لهم في طريقهم وان يصحبوا بالاغنام وكل الاسلاب التي جاءوا بها من الهنود وان تزاد اضعافًا من المدينة لتكفيهم في طريقهم . فمنع فيروز شاه وقال ان ذلك يزيد علينا لاننا وان كان قد فرغ منا كل ما كنا مصحبينهُ من بلادنا الآن لنا كثيرًا من المؤن والذخائر في مدينة السرور وفضلاً عن ذلك فاننا سنمر في طريقنا على الرومان ومصر وغيرهما من الممالك التي هي في ملكنا فناخذ منها ما نحتاجه حتى نصل الى وطننا ولا نريد ان ناخذ من وطنك شيئًا لانها خارجة من حروب وضيقات عظيمة لكن الذي جئنا بهِ من الهنود ناخذهُ برفقتنا فوافقهُ عليهِ جهان وصرفوا باقي النهار وقسمًا من الليل مع بعضهم يتودعون ويستعدون

ولما كان صباح اليوم التالي بكر فيروز شاه بالنهوض من الفراش واوعز الى العساكر ان ترحل وكان بمزيد قلق واضطراب من اجل ما سمعهُ في كتاب ابيهِ عن الملك الابشع والشاه روز ابن الملك كندهار ويخاف ان يصل الى عين الحياة ويطلب اخذها فتميت نفسها او انها تهان وتعذب بعد ان اصبحت ملكة وصارت متوسطة العمر وعوضًا ان تفرح بولدها وبزواجه تطلب من اوباش الناس كسبية لتنزع منهُ وتزف على غيره وهذا الفكر كان لا يدعهُ ينام براحة لا بليل ولا بنهار ولا يهدأ لهُ روع قط حتى كان ذاك الصباح وقد عزم على الرحيل وهو يتمنى ان يطير بنفسهِ وينزل على ايران ويشاهد ما يكون هناك وما هو جارٍ على ابيهِ وزوجتهِ ورجال وطنهِ . وبعد ان ركب الفرسان والابطال والامراء كل بموكبهِ وتحت علمهِ ركب الملك بهمن تحت الراية الكبيرة واركب الى جانبهِ في هودج من الحرير المزركش بالذهب زوجتهُ شمس بعد ان ودعت ابيها ورجال قومها واوصاها ابوها بطاعة زوجها وان تكون على الدوام محبة لهُ ولقومهِ ووسيلة لبقاء السلام بين زوجها وابيها فوعدتهُ بكل جميل وقبلت يديهِ واذرفت دموع الوداع وفعل هو كذلك لانها كانت وحيدة لهُ . ثم تقدم جهان من صهرهِ فودعهُ وبكى كل منهما على فراق الاخر . ثم قال انت تعلم ان شمسًا وحيدة ولم يبعث لي الله سبحانهُ وتعالى سواها ولذلك

احببتها حبًا خالصًا وكنت لا اقدر على الدوام ان افارقها يومًا واحدًا حتى اصبحة زوجت لك وهذا من حسن حظها لانها وجدت لها ابًا ثابتًا حنونًا محبًا لها ولا اريد ان اوصيك بشيء الا بها ان يكون لها على الدوام المحل الاول عندك ولا تفتر محبتك لها مع تمادي الايام كاكثر المتزوجين الذين يضعف حبهم مع الايام واذا اخذت زوجة ثانية غير شمس فلا تنزلها منزلتها بل تكون هذه الملكة ويكون نسلها الوارث والمالك من بعدك واني اقسم عليك بحياة ابيك فيروزشاه فهو عزيز عليك وحياتهُ لا تضيع ان تصغى الى كلامي ولا تحط من قدر بنتي . فقال لهُ الملك بهمن اني اخذت بنتك عن حب خالص وحبي هذا يزيد على الدوام ولا ينقص قط كما تزعم ومن كانت كبنتك شمس وكان لها زوجًا كبهمن بن فيروزشاه لا ينقص بينهما الحب ولا تضعفهُ الحوادث فكن مرتاحًا من هذا القبيل

وبعد اجراء الوداع اللازم واسكاب الدموع الغزيرة تحركوا من تلك الارض ورحلوا عنها سائرين في طريق بلادهم بالسرعة التي يرغبها فيروزشاه وهو سائر في المقدمة يطلب الطيران الى بلاده حتى وصلوا الى مدينة السرور فخرج اليهم ملكها ولاقاهم بالترحيب والاكرام وانزلهم عندهُ للراحة واضافهم ثلاثة ايام وبعد ذلك امر فيروزشاه بالركوب فركب معسكرهُ وفرسانهُ وودعوا رجال مدينة السرور وملكها واخذوا ما كان لهم في تلك المدينة وساروا عنها في طريق بلاد الرومان وداموا في مسيرهم عدة اسابيع الى ان وصلوا الى عاصمة البلاد وعرف الشاه سليم بقرب وصولهم اليهِ فخرج برجالهِ وقومهِ ولاقاهم احسن ملاقاة وترحب بهم كل الترحيب وهناهم بالرجوع سالمين من بلاد الصين وادخلهم المدينة وهو فرحان بهم مزيد الفرح واكثر فرحهِ كان بصهرهِ فرخوزاد وحفيدهِ اردوان وعمل لهم الولائم الفاخرة والاحتفالات العظيمة وكان بنية فيروزشاه ان يرحل في اليوم الثاني فمنعهُ طيطلوس وقال لهُ ان دمت على السير على هذه الصفة تهلك العساكر قبل ان تصل البلاد ومن العدل الرفق بهم والنظر في راحتهم لاسيما اني رجل مسنٌّ تجاوزت المائة سنة ولم يعد في سعي السير بالعجلة اكثر من اللازم وعليهِ فاني اريد منك ان تبقى هنا عشرة ايام بحيث تكون العساكر قد ارتاحت تمام الراحة وذهب عنها التعب الذي لحق بها من جرى السير الطويل الذي لاقيناهُ من بلاد الصين الى هذه البلاد وليقدر الجميع ايضًا على السير من هذه البلاد الى مصر فاجاب فيروزشاه طلبهُ وراى ان الحق بيدهِ وانهُ اصبح عاجزًا عن ملاقاة الاتعاب . وكان صبرهُ هذا شديد عليهِ جدًا يزيد بانشغال ضميره وارتباك افكاره وخوفهِ على ابيهِ وزوجتهِ وكان يمرُّ عليهِ اليوم بمقام سنة وفي تلك المدة شاع خبر وصولهِ فجاءت اليهِ امراء العواصم وملوك البلاد للسلام عليهِ وفي جملتهم سيف الدولة صاحب ملاطية فلاقاهُ فيروزشاه بالترحيب والاكرام وسلم عليهِ مزيد السلام واظهر شوقهُ

اليهِ وصرف عندهُ في المدينة الى اليوم الاخير اي الى اليوم الذي امر فيهِ الملك بهمن قومهُ بالركوب فركبوا وودعوا الشاه سليم وباقي الملوك واصحبوا معهم الهدايا النفيسة والتحف الفاخرة الى الملك ضاراب واصحبوا معهم ايضًا الاغنام والابقار وغيرها ما يكفيهم الى عدة سنين وساروا عن تلك البلاد وداموا في مسيرهم على طريق مصر الى ان وصلوها واقاموا فيها عدة ايام على الترحيب والاكرام وعمل لهم الشاه صالح الولائم الفاخرة وبعد ان صرفوا نحوًا من عشرة ايام في مصر وتفقدوا احوالها واعمالها رحلوا عنها على طريق اليمن يقطعون الفيافي والسهول والاوعار عدة اسابيع حتى وصلوا الى بلاد اليمن وقد مروا بطريق على لدن الطائف فاقاموا فيها يومًا واصحبوا معهم من فاكهتها وبلحها شيئًا كثيرًا . ولما لاحت لهم تعزاء اليمن وشاهدوا عن بعد اسوارها تذكروا الايام الماضية فيها وكان اشدهم ذكرى فيروز شاه وقد ظهرت لهُ الحوادث التي مرّت عليهِ بالتتابع واحدة بعد واحدة وحركهُ حبهُ لعين الحياة الى التذكر بما كان يلاقي منها وعندها وما كانت تفعلهُ لاجل حبهِ وهي تزورهُ في السجون او في القصور قائمة على الوفاء والمودة وكانت هذه الحوادث تزيد في هيامهِ وشوقهِ وتذكر يوم مجيئهِ الى تلك البلاد مع الخواجا ليان وحربهِ مع الزنوج وقتلهِ بهروز وميسرة فعض على كفيهِ ندمـًا كيف ترك الشاه روز ولم يقتلهُ في تلك الايام وكان بوسعهِ ان يتأثرهُ الى بلادهِ ويقتلهُ هناك ولا يتركهُ غير انهُ كان عارفًا انهُ لايجسر بعد ان عرف انهُ اصبح زوجًا لعين الحياة ان يفكر بها او تحدثهُ نفسهُ ذات مرة ان يتخذها زوجة ولا سيما بعد ان خرجت من سن الزواج وصارت امًّا وعلى عهد ان تصير جدة

قال و بلغ الشاه سرور خبر وصول صهره برجالهِ وقومهِ الى تلك البلاد فخرج مع قومهِ الى ملتقاه وهو فرحان جدًّا مسرور بملاقاتهِ وخرجت ايضًا كل رجال المدينة من كبيرهم الى صغيرهم ولما قربوا من فيروز شاه وهو في مقدمة العساكر نزلوا عن خيولهم وتقدموا منهُ فنزل هو عن كمينهِ اكرامًا لعمهِ واعتبارًا لهُ وسلم عليهِ وقبل يديهِ فقبلهُ وهنأهُ بالسـلامة وترحب بهِ وبقومهِ وسلم عليهم جميعًا وعادوا على الانشراح والبسط والموسيقات تعزف باصوات الترحيب والهناء ودخلوا المدينة ونزلوا القصور واقاموا مدة ايام عند الشاه سرور وهو يقدم لهم الاطعمة والمآكل ويذبح لهم الذبائح ويرسل العلف الى خيولهم وفي كل يوم تاتي سكان العواصم والنواحي فيسلمون على فيروزشاه وقومهِ وولده . ولما صرفوا عشرة ايام عند الشاه سرور سالوه ان ياذن لهم بالمسير كونهم مستعجلين وفي نيتهم السرعة الى البلاد الفارسية وقد اخبر فيروز شاه عمهُ بعمل الشاه روز وخروجهِ على ابيهِ واستنجاده بالابشع ملك السودان اخي طومار الزنجي وان الذي بعثهُ على ذلك طمعهُ بعين الحياة . فقال لهُ الشاه سرور اني اسمع ان الابشع فارس عظيم جدًّا وانهُ

اشد باسًا من طومار ولا ريب انكم ستلاقون معهُ صعوبات وويلات جمة وتكون حربكم معهُ قوية جدًا . قال اني لا اهتم بهِ ولا بحربهِ ما زلت قادرًا على ركوب جوادي ونقل حسامي لكن اخاف من ان يكون وقع حادث عظيم في غيابنا ولا اصل الى ايران الا بعد فوات الوقت او يكون لحق سوء بعين الحياة

ومن بعد ان ودع فيروز شاه عمهُ ركب جواده الكمين وخرج في مقدمة الجميع وركب من خلفه فرخوزاد واردوان وشيرزاد بعساكرهم واعلامهم ومن خلفهم بهنزار قلي وخورشيدشاه وجمشيد شاه وطهمور ومصفر شاه وكرمان شاه وقادر شاه وقاهر شاه وباقي رجال الفرس كل تحت اعلامهِ المختصة بهِ وفي المؤخرة بهزاد الايراني بهلوان بلاد فارس وابن فيلزور البهلوان برجالهِ واعلامهِ المختصة بهِ وكان في الوسط الملك بهمن بين وزيرهِ طيطلوس وبزرجمهر ومعهما مهريار الوزير ومن فوقهِ العلم الفارسي اي علم الاسد والشمس . ونقلوا من تلك الديار سائرين الى ايران وداموا في المسير حتى خرجوا من حدود اليمن وكان في المقدمة فيروز شاه وهو طائر الفؤاد الى جهة ايران يرى الطريق وهي قريبة المسافة طويلة جدًا وكان قلبهُ يحدثهُ ان قومهُ واباه وزوجتهُ بحاجة اليهِ وان وصولهُ يكون نافعًا وهو لا يصدق ان يلتقي بعين الحياة ويبل شوقهُ منها ويراها بخير ولما دخل في حدود مملكة الفرس هاج عليهِ شوقهُ ولعب بهِ غرامهُ وتذكر بعدهُ عنها اكثر من ثلاثين سنة اي منذ تدرج في بداية هذه الحياة واعظم فكر كان يخطر لهُ هو ان سبب وصولهِ الى بلاد الصين كان بداعي سعيهِ وراء عين الحياة والا لولاها لما كان خرج من ايران ولا كان وقع على رجالهِ امر من كل هذه الحوادث التي مرّت عليهم ودام على حالهِ وهذا الفكر يشغلهُ سرًا الى نواحي ايران

قال فهذا ما كان من امر فيروز شاه ولنرجع الى ما ذكرناه بخصوص الشاه روزابن الملك كندهار فانهُ كان كل هذه المدة صابرًا على هواه لا يقدر ان يبدي حركة او ياتي امرًا خوفًا من فيروز شاه ومن سطوتهِ ومع كل هذ الزمان الذي مر لم ينقلع من قلبهِ غرام عين الحياة ولا نسيها يومًا واحدًا بل كان الحب يقوى بهِ ويزيد معهُ الى ان عرف انها تزوجت بهِ في بلاد الرومان فكادت تنشق مرارتهُ ووقع بالياس وقطع الرجاء وعوضًا ان يتركها عن بالهِ ويوكد من نفسهِ ان لا صالح لهُ فيها بعد بل بقي على عزمهِ وهو يود ان الزمان يقربهُ منها وينال غايتهُ وكانت حالتهُ لا تخفى على احد ولا سيما على ابيهِ الذي كان صارفًا كل الجهد الى مساعدتهِ دون جدوى وكان يلعب بهِ الهوى ويزيد عليهِ فيقع تارةً في الفراش ويحل بهِ الضناء والسقام فيصرف اشهرًا وايامًا وطورًا يعلق اماآلهُ ويعلل نفسهُ بالمواعيد فيخفف عن قلبهِ ما يكون عليهِ وينتظر الفرص الى ان عرف برجوع الملك ضاراب الى بلاده ومعهُ عين الحياة فارسل

رجلاً من قبلهِ الى ايران يسال عن سبب حضور الملك ضاراب وهل ان فيروز شاه جاء او اصيب بنكبة او رحل الى جهة ثانية وهو آتٍ على الطريق وبقي منتظرًا عودة رسولهِ الى ان رجع اليهِ واخبره ان فيروز شاه سار الى بلاد الصين لقتال الملك جهان فوقع هذا الخبر على قلبهِ مفرحًا وظن ان فيروز شاه لا يعود من بلاد الصين لانها بلاد جهة صعبة المسالك وربما من التعب والمشاق يصاب بمرض فيموت بهِ او تحل بهِ نكبة اخرى وكان هذا الامل قد قوى منهُ العزم وعلق كل الرجاء بنوال الغاية وارسل بالرسل الى ايران تعود عليهِ على الدوام بالاخبار عن فيروز شاه وعما يكون في ايران وهو كلما عزم ان يقصد ملكًا او اميرًا يستجير بهِ يقول لهُ ابوهُ لا تفعل الان واصبر الى ان نعرف ماذا جرى على فيروز شاه لانهُ اذا كان حيًا ولو كان باطراف الدنيا وصل الينا باقرب وقت وضيع مسعانا ورمانا بالفشل والخيبة ولا تظن ان احدًا من فرسان هذه الدنيا وملوكها يقدر ان يقف في وجههِ او في وجه بهزاد بن فيلزور البهلوان وفرسان الفرس لا يقاس بهم غيرهم ولا سيما اننا نحن من عمال الملك ضاراب ومن جنسيتهِ فينسب الينا الغدر والخيانة دون الحصول على نتيجة لكن اذا عرفنا امرًا رديئًا عن فيروز شاه وعن رجال الفرس في الصين وانهم تبددوا فاذ ذاك نخرج على الملك ضاراب ونستعين بمن لنا من الاحلاف فنملك ايران ونكون نحن الحكام عليها وناخذ لك عين الحياة زوجة وحليلة .

وكان كل ما تقدم يزيد في آمالهِ وتعليق رجائهِ ولا ضعف ميلهُ قط مرة واحدة ولا راى من نفسهِ ان عين الحياة قد اصبحت امًا وليس من العدل الانساني ان تميل اليهِ وتترك زوجها بل كان يظن انهُ اذا قدر على الحصول عليها وملكها تزوجها اي انها تقبل بهِ ويكون قد نال غايتهُ ومن العجب ثباتهُ على هذا الامل عدة سنين اي نحوًا من عشرين سنة من حين رجوعهِ من تعزاء اليمن وهربهِ من وجه فيروز شاه الى ذاك اليوم الذي بلغهُ فيهِ ان الملك ضاراب قد اوسل ابنهُ فيروز شاه وابناء الفرسان الى الصين لانقطاع خبر ابائهم عنهُ وذلك ان الرسل عادت فاخبرتهُ بهِ وان العساكر سارت عن ايران ولم يبقَ بها الا الضعفاء والشيوخ فزاد املهُ وامل بالنجاح . وكان شخص عين الحياة يلوح على الدوام امام اعينهِ ويزين لهُ فكرهُ انها كلما تقدمت بالسن تقدمت بها المحاسن وزادت رونقًا . وبقي على الانتظار مدة طويلة بعد ذلك الى ان اجتمع اخيرًا بابيهِ فقال لهُ لقد وهى جسمي ولم يعد لي من قدرة على حمل اثقال الغرام وليس هذا فقط بل ان لي اكبر نار على الفرس لا اصبر عليهِ ولا اطيق تركهُ فانظر في امري واني اعدك واني على يقين من وعدي ان فيروزشاه هالك في تلك البلاد ولم يعد قط الى هذه الديار لان الزمان الذي مرَّ هو كافٍ لانهُ يحارب بهِ سكان الدنيا ويعود الى بلادهِ ولو لم يكن قد تاكد ابوهُ هذا الخبر في سرهِ لما بعث بالعساكر الي بلاد الصين وقد مضى على الذين ساروا

ثانياً مدة ولم يرجعوا وقد عرفت من الرسل الذين بعثتهم الى ايران ان الملك ضاراب والباقين في المدينة يصبحون ويمسون على الخوف والوجل وان عموم سكان ايران باضطراب عظيم اليس ذلك بسبب الاخبار عن قومهم واني اعرف لو سرت انا وحدي ولا يمكن ياسيدي ان اصبر اكثر مما صبرت لاني اصبحت بالدرجة الوسطى من العمر لا اقدر على الثبات فيه واذا طال عليَّ الزمان بعد عدة سنين اصبحت شيخاً واني لا اريد زوجة غير عين الحياة ولو طال عليَّ المطال وكان كلٌّ منا يدب على العصا . فقال له ابوهُ اني اعرف جيداً ياولدي ان فيروزشاه لا يعود من الصين قط لان البلاد صعبة المسالك بعيدة جداً ورجالها اقوياء وكثيرو العدد لا ينالون منهم مراداً وصار من اللازم ان نسعى خلف نوال المراد وامتلاك البلاد والاتيان بعين الحياة لتزفك عليها وهذا لا نقدر عليهِ نحن لان الملك ضاراب وان كان اصبح شيخاً مسناً الا انهُ كامل العزيمة ويقدر على المقاومة وعندهُ ثلاثة من بهلواني بلادهم وهم عبد الخالق القيرواني وشبربن الشبيلي الطلقاني ومرادخت الطبرستاني والثلاثة من الابطال الصناديد . وعندي الان ان تذهب من هنا الى بلاد السودان وتقع على الملك الابشع صاحب بلاد السودان الذي تملك الزنوج بعد قتل اخيهِ طومار ولا ريب ان للمذكور على الفرس ثار فاذا ذكرتهُ بهِ وتوقعت عليهِ سار معك وهو فارس صنديد وبطل مجيد لا يوجد لهُ ثانٍ في هذه الايام لا بين الانس ولا الجان طول قامتهِ خمسة عشر شبراً اذا ركب الفيل وشد عليهِ برجليهِ القاهُ الى الارض . ومتى قبل الابشع بالاتيان معك نلت المرام وحظيت بعين الحياة والا فلا امل بالفوز واذا رايت منهُ الاجابة والعزم على المسير فارسل لي بالخبر كي اجمع العساكر واقيم الى حين وصولكم فنرحل معاً ونبغت بلاد الفرس ونمتلكها من الاول الى الاخر

فلما سمع الشاه روز كلام ابيهِ خفق قلبهِ من الفرح وقال هذا هو وجه الامل ولا بد لي من المسير الى بلاد الزنوج واقدم على ملك السودان واسالهُ المعاونة واذكرهُ بان فيروز شاه قد قتل لهُ ثلاثة اخوة وبدد شمل الزنوج وفعل بهم افعالاً شنيعة وعندي انهُ سيسرع في الحال الى اجابة سوالي ويسير معي بالعساكر والابطال وغير هذه الفرصة لا يكون لهُ . ثم ان الشاه روز ودع اباه في الحال واخذ جماعة من رجالهِ ليكونوا رفاقهُ في طريقهِ وركب وسار في طريق بلاد السودان ودام في مسيرهِ الى ان وصل اليها مع قومهِ ودخل على الملك الابشع وعرض عليهِ حالهُ وعرفهُ بنفسهِ وقال لهُ اني كنت قبلاً صديقاً للمرحوم طومار اخوك الذي قتلهُ الفرس وقد عرضت عليهِ حالي ذات مرة وسالتهُ المساعدة على حرب اليمن حيث كان ملكها قد امتنع عليَّ بابنتهِ ولما قدمنا على افتتاح المدينة ونوال المراد جاءنا فيروز شاه ابن الملك ضاراب فخيب مسعانا وقتل اخوي طومار الذين كان ارسلهما لمساعدتي مع عساكرهِ وابطالهِ وهربت انا

ونشتت قومي دون نوال غاية وبعد ذلك سار اخوك صديقي طومار الى تعزاء اليمن فالتقى هناك بفيروز شاه وقتلهُ وبدد شمل رجالهِ كما انك تعرف ذلك . وبقيت انا محسرًا عليهِ وليس في وسعي ان اخذ لهُ بالثار ولا يطيعني قلبي على ترك ثارهِ وبقيت صابرًا الى هذه الايام حتى عرفت ان فيروزشاه هلك او كاد يهلك في بلاد الصين مع جماعتهِ وعساكره فنويت ان اسير الى ايران فامتلكها واقبض على الملك ضاراب الموجود فيها وابعثهُ اليك لتقتلهُ بثار اخيك واخذ عين الحياة سبية بالرغم عن زوجها وابيها فمنعني ابي من ذلك وقال لي ان هذا ليس بصواب لان الملك الابشع سيد كريم وفارس عظيم ويجب ان ياخذ لنفسهِ بالثار بيدهِ ليشفي غليلهُ من اعدائهِ فاذهب اليهِ واعرض عليهِ هذا الامر ولا بد ان يكون بانتظارهِ ومن ثم نسير نحن تحت حمايتهِ الى بلاد الفرس اي الى ايران ونوقع بهم ونمتلك بلادهم وندعهم بحالة الفناء فصغيت الى كلام ابي واسرعت اليك لاعرض عليك الذهاب واخذ الثار فان هذه الفرصة مناسبة جدًّا لقلع هذه الدولة وخراب هذه العائلة التي اعتدت وجارت وامتلكت البلاد من حد ايران الى حدود بلاد الصين وقتلت سيدي واعز الناس عندي البطل طومار . ثم جعل يبكي امام الابشع حتى ابكاه ولعبت بهِ الحمية وقال لهُ اني كنت مخطئًا كل هذه المدة حيث لم افكر باخذ الثار ولا عرفت ان الملك ضاراب رجع الى بلاده واطمأن باله ولم يحسب حسابًا للملك الابشع واني اقسم بالنار والنور والفلك الذي يدور ان لا ارجع عن بلاد الفرس حتى اهلكهم عن بكرة ابيهم واجعلهم مثلاً يذكرين كل قائم وقاعد واذا سمحت لي النار وجمعتني بفيروزشاه عرفته كيف يتطاول على ملوك الزنوج ويمد اليهم يدًا . نعم انهُ قتل الملك طومار واحرق قلبي عليهِ ولكن ثاره لا يفوتني وسوف آخذهُ منهُ بيدي

ثم ان الابشع جعل يستعد للرحيل من تلك الساعة ويجمع العساكر والمؤن وبمدة قليلة اجتمع عنده كل ما هو طالبهُ وسار بمائة وخمسين الف فارس من فرسان السودان مع اثنا عشر امير من الامراء المشهورين والقواد المذكورين في بلاده وسار الشاه روز الى جانبهِ وهو فرحان كل الفرح ومؤمل بالنجاح والفوز ونوال غايتهِ وهي اخذ عين الحياة وكان يعجب من عظم جثة الملك الابشع وطول قامتهِ التي لا توجد في غيره بين الرجال وعلاوة على ذلك فانهُ كان يركب اكبر فيل بين الفيلة ويحمل عمدًا ثقلهُ الف وثلاثمائة منّ . وبقيت الجيوش سائرة الى ان وصلت الى كشمير الى الملك كندهار وكان قد عرف من حين خروجهما واتيانهما فاستعد وجمع العساكر واقام على الانتظار الى ان وصلت فخرج اكرامًا للابشع ولاقاه اعظم ملتقى وسالهُ المساعدة والنجدة فوعده بكل جميل وانهُ سيدوخ بلاد الفرس ويقتل ملوكها وكبرائها ويزوج الشاه روز بعين الحياة بعد ذلك فسرّ الملك كندهار من هذا الكلام واقام على عمل الولائم واعداد المعدات

للابشع ورجالهِ عدة ايام الى ان صدر امره بالمسير الى ايران فركبت العساكر وركب الصغير والكبير وساروا على طريق المدينة وفي مقدمهم الملك الابشع والاثنا عشر اميرًا وسار الملك كندهار وابنة الشاه روز على رجالهِ ونقلوا من تلك البلاد وبارحوها وداموا على مسيرهم الى ان قربوا من ايران وتبينوها واذا هي قائمة على الحصار ورجالها على الاسوار يستعدون للدفاع ومنع الهجوم

قال وكان كما تقدم معنا في تحرير الملك ضاراب الى ولده ان اخبار الشاه روز بلغتهُ وهو سائر الى الابشع وعرف ان الابشع بعد ذلك وعده بالمساعدة وعليهِ فقد بعث ذاك التحرير وحسب الف حساب من حرب الابشع لانهُ كان يعرف انهُ فارس لا يقاس بغيره من الفرسان ولا يمكن لاحد ان يثبت امامهُ الا ان كان ولدهُ فيروز شاه واقام بعد ذلك على الانتظار يسال الله الفرج ورفع هذه البلية العظيمة وكان اعظم شيء يكدره علمهُ بان ما من فارس في بلاده يقدر على ملاقاة الابشع وليس من معسكر يقدر على دفع عساكره واعظم من كل هذا كان يغتاظ عندما يفكر ان الملك كندهار قد خان عليهِ مع انهُ من الاعجام وانهُ لم يسيء اليهِ قط طول العمر بل كان يحسن اليهِ ويراعيهِ ويكاتبهُ مكاتبة الاصدقاء والاحباب . ومن ثم بعث بالديادبة الى كشمير بلاد كندهار تنظر لهُ وصول الابشع ومقدار من معهُ من العساكر ومتى راوا الجميع قد ركبوا قاصدين ايران ياتونهُ باخبارهم قبل ان يصلوا ليكون على حذر فذهبت الرسل ورأت ما راتْ ثم عادت واخبرتهُ بان عدد القادمين هو ثلاثمائة الف فارس من سودان واعجام مع الملك الابشع وامرائهِ وكندهار وولدهِ الشاه روز . فزاد هذا الخبر في كدره وراى من نفسهِ انهُ عاجز عن القيام بالقتال فقصد المطاولة وحصن المدينة من كل جهاتها واكثر فيها من المون والذخائر حتى اذا صار الحصار نقدر على الثبات ولا يفرغ الطعام من المدينة قبل اتيان النجدات من بلاد الصين ورجوع ولده اليهِ وبوقت قريب انتهى من التحصين والاستعداد ووضع الرجال على الاسوار ترقب لهُ وصول الاعداء الى ان تبينوهم وراوهم وقد وصلوا وحطوا خارج المدينة فاخبروا الملك ضاراب بذلك فدعا اليهِ عبد الخالق القيرواني ومرادخت الطبرستاني وشبرين الشبيلي الطلقاني واوصاهم بالثبات والدفاع وقال لهم انتم الان ركن رجالي ومعتمدهم فيثبتون لثباتكم ويتفرقون لتفريقكم فدبروا امرهم بحكمة واصابة الى ان ياتينا الله سبحانهُ وتعالى بالفرج من حيث لا ندري فاجابوا امره وقالوا لهُ اننا حتى الان قائمون على خدمة دولتنا ولا نبخل بارواحنا في سبيل الدفاع عنها واننا نسال الله المعونة والمساعدة على مثل هذا الخطب الجسيم والمصاب العظيم . ففرح بكلامهم وسر منهُ ودعا الى الله وامر كل رجل بالمدينة ان يصوم ويصلي ويطلب منهُ تعالى المساعدة وارجاع جيوش الفرس وهكذا كان حتى كانت المدينة اشبه بالمعابد و

والمساجد وفي كل ناحية الصلاة قائمة

قال ولما وصلت الجيوش القادمة وضربت خيامها حول المدينة وارتاحت نحو ثلاثة ايام كتب الملك الابشع كتابًا الى الملك ضاراب يقول له فيهِ . اعلم ايها الملك المكابر انك اقفلت ابواب المدينة وعولت على الحصار وبظنك ان هذه الاسوار تحميك مني او تمنعني من غايتي فاني اقدر على هدمها بعمدي وحدي واني اذا ضربت بهِ سورًا سحقته الى الاسفل فكن عارفًا بذلك واصغَ الى قولي وامنع خراب المدينة وهدمها فاني لا ارغب ان امتلكها خرابًا ولا اضر باحد من سكانها اذا كانوا على الطاعة والانقياد وهو ان تاتي اليَّ متيدًا مكبلاً بنفسك وتظهر خضوعك لسلطتي وتعلمني بامر ولدك فيروز شاه هل هو باقٍ بقيد الحياة واذا كان باقٍ لا اضر بك ولا اصل اليك بشر الى حين مجيئهِ بل تبقى انت بالاسر عندي فاني وحده اطلب وغيره لا اريد كونه قاتل اخي طومار واريد ان اقاتله بنفسي ليعلم ان الرجال تتفاوت واخذ لطومار بالثار . وفوق كل ذلك فاني اريد منك ان تزين عين الحياة وتعتقها عن ولدك وترسلها الينا لنسلمها الى الشاه روز لانه مغرم بها من قبل ابنك ولولاه لكان اخذها وتزوجها منذ زمان طويل واياك من المكابرة فتحسب من اجهل الجهلاء فليس لك من القوة ما يمنعني عما اطلبه واذا اجبت طلبي تحقن دماء قومك والسلام

وبعد ان كتب هذا الكتاب ارسله مع عياره الى الملك ضاراب فاخذه وسار الى ان قرب من المدينة فطرق الباب واخبر البواب ان بيدهِ كتاب الى ملكهم ففتح له ودخل حتى جاء قصر الملك ودفع اليهِ الكتاب ولما قراه وعرف ما فيهِ لعب بهِ الغضب وذم الزمان كيف ابعد عنه انصاره وفرسانه حتى اصبح وحيدًا يهان من الاعداء . وبعد التروي والامعان اجاب الملك الابشع على كتابهِ يقول له فيهِ

بسم الله القادر على كل شيء الحي القيوم

من الملك ضاراب صاحب بلاد الفرس ونواحيها ووكيل احكامها الى الملك الابشع ملك السودان والزنوج

اعلم ايها الملك انك لا تعرف قدر الملوك ولا تراعيها ولا تعتبر حرمة العرض والناموس لقد بعثت اليَّ تهينني بقولك ان اسلمك نفسي اسيرًا لاكون عندك بالاسر وتطلب مني ان اسلمك عين الحياة لتعطيها الى الشاه روز وما ذلك الاَّ من باب التعدي والجور ولو قصدت ان اسلمك بنفسي الان واجيب سوالك من جهة عين الحياة لكان ذلك عليك وبالاً وفناء لان اذا جاء ولدي فيروز شاه وراني بالاسر وراى زوجته بيد غيره انزل صواعق انتقامهِ عليكم واباد كم عن الحركة ولا تظن ان ذلك مني على نوع المكابرة والمباهاة بولدي والتهديد لكم بل

لا بد ان يكون في قومك من شاهد حربهُ وقتالهُ مع طومار الذي لم يثبت امامهُ الا ساعات قليلة وبعد ذلك ضربهُ ضربة رسخت في اذهان كل من شاهدها ولو كان مع طومار عشرة ابطال مثلهُ لقطعوا بتلك الضربة مع افيالهم وإن كنت تجهل ذلك فاسال عنهُ قبل ان ترمي نفسك بالمخاطر ولا تصدق ما تسمعهُ من الشاه روز والملك كندهار فانهما خائنان فاذا رغبت بسلامة نفسك اقبض عليهما وإرسلهما اليَّ ويكون بيننا الصلح والسلام الى الابد ونحقن دماء العباد وإذا كنت تطلب ثار طومار فاننا لم نعتد عليهِ قط بل هو جاء الينا وتعدى علينا وكان السبب الشاه روز وقد قتل بسبب صالحهِ وطمعهِ بعين الحياة وإني اخيرًا انذرك ان ولدي لا يزال بنيد الحياة ولا يلبث ان يكون قريبًا بهذه النواحي مع جيوش الفرس وابطالهم باجمعهم ومعهم بهزاد بن فيلزور البهلوان بهلوان الدولة الفارسية وفارسها ولا بد ان يكون بلغك طرف من اعمالهِ وإردوان عروس ميدان هذا الزمان وكثير من الابطال والفرسان الذين تضرب بهم الامثال وكل واحد منهم يقدر على دفعك والانتقام منك والسلام على كل من عرف الحقيقة وعمل بموجبها

ولما فرغ الملك ضاراب من كتابة كتابهِ سلمهُ الى رسول الملك الابشع فاخذهُ وسار حتى وصل اليهِ فدفعهُ لهُ ولما قراهُ زاد بهِ الغضب وحنق كل الحنق وقال لابد لي الان من امتلاك المدينة وفيما بعد انتظر رجوع فيروز شاه وقومهِ وافعل بهم العجائب . وامر من تلك الساعة ان تحتاط العساكر بالمدينة وتهجم عليها من كل الجهات ويضربون بالنبال ويهدمون الاسوار بالمعاول والالات فاجاب رجال قومهِ وتفرقوا حول المدينة من كل جهاتها وسدوا كل الطرقات ومنعوا مرور الطير منها وداموا على ذلك الى صباح اليوم الثاني وفيهِ امر الابشع بالهجوم على الاسوار فهجمت رجال السودان من كل ناحية ومكان ووقع رمي النبال كانهُ العارض الهطال واصابت مقاتل الرجال فمددتها على بساط الرمال واوقعت الفرسان عن الاسوار الى الحضيض ودام القتال الى المساء وفيهِ رجع فرسان الزنوج الى الوراء وكان الابشع قد سطا على ناحية من الاسوار فهدم قسماً منها بعمدهِ لانهُ كان يضرب على السور فيهزهُ ويتعتع جوانبهُ وبقي على ذلك والنبال تسقط عليهِ دون ان نؤثر بهِ لثقل ما عليهِ من الحديد حتى فتح نافذة من السور الاوَّل ولولا انقراض النهار واتيان الليل لما رجع الا بعد ان تمكن من هدم قسم كبير منها غير انهُ وضع جماعة من قومهِ مع بعض امرائهِ لحراس في تلك الناحية طول ذاك الليل كي لا يتمكن الفرس من ترميم السور وسد النافذة وبعد العشاء اقبل الفرس الى تلك الناحية لبناء السور فمانع عنه الزنوج ودار القتال الى الصباح دون ان يتمكنوا من سدهِ

وفي الصباح ضربت طبول الحرب وقامت الفرس على الاسوار وبرز الملك ضاراب راكبًا

فوق جوادهِ يتفقد الاسوار ويحمي الابطال ويسالها الثبات في الميدان واستعرت نار الحرب واخترقت النبال صدور الفرسان من كلا الفريقين الى المساء واذ ذاك رجعوا الى الخيام وقد هدم كثير من الاسوار الاولية بعمد الابشع لانهُ كان اذا وقع على جبل سحقهُ وازاحهُ وايقن الملك ضاراب بفتح المدينة ودخول الاعداء اليها وصار يسال الله الفرج واتيان رجالهِ حيث كان قد بعث لهم بالاخبار يستعجلهم اليهِ . قال ودام حصار السودان على مدينة ايران مدة سبعة ايام حتى ضايقوها كل المضايقة وهدموا جانبًا عظيماً ولم يبقَ من مانع يمنعهم او دافع يدفعهم فصعب هذا الامر على الملك ضاراب وتكدر مزيد الكدر وايقن بخراب الديار وسبي الحريم ونهب الاموال ولم يرَ من طريقة تساعده على الثبات غير القتال والممانعة والموت في سبيل المحاماة عن الوطن وعن الحريم والعيال فدعا اليهِ بهلوانيهِ الثلاثة واوصاهم بالقيام معهُ عند الجهة التي فتحت من الاسوار وان يقاتلوا في تلك الناحية فاما ان يفوزوا واما ان يقتلوا فاجابوا سوالهُ ووعدوهُ انهم يقفون في وجه الابشع ولا يمكنونهُ من الدخول وهم احياء فشكرهم على قولهم وبات يدعو الله ان يفرج عنهم ويفتح لهم ابواب رحمتهِ ويساعدهم على رفع هذه المصيبة وكانت ليلة عظيمة صعبة على كل سكان المدينة ولا سيما على عين الحياة زوجة فيروزشاه وام الملك بهمن فانها كانت عارفة ان هذه الحرب صائرة بسببها وان غاية الشاه روز الحصول عليها والتزوج بها وكانت كلما فكرت بمثل هذا الامر تنطبق الدنيا عليها ويصعب في وجهها ويضيق صدرها وكان مما يزيدها غيظاً تفكرها بان ما من احد يقدر على الدفاع عنها والمحاماة عن عرضها ومنع الاعداء من سبيها وقطع رجائها من المساعد والنصير وصرفت تلك الليلة تبكي وتندب حظها وتنوح على ما جرى عليها من غياب زوجها وولدها وطمع الشاه روزبها مع انها كانت لاتقبل ان يقبل لها رجلها وكانت تقول في نفسها الم يكفني ما لاقيت من العذاب من حين صبائي وما كان من تشتيتي وبعدي الى اقاصي الارض واخيرًا غياب زوجي وولدي سنينًا كثيرة في بلاد الصين وانا اقاسي الم بعادهما وفراقهما لا انام ليلة مرتاحة ومع كل ذلك ارجو آخرة رضية براحة بال واطمئنان حتى يعاد اليَّ زمن الصبا ويقع القتال بسببي . وهذا كان يغيظها كثيرًا ويحزنها وهي غائبة عن الهدى ترى من نفسها وتتاكد انها في الغد ستوخذ سبية وتقبض عليها الاعداء وفيما هي على مثل ذلك ارسلت اليها الملكة تمرتاج زوجة الملك ضاراب تدعوها اليها فسارت وهي بحالة الحزن والكآبة ودخلت عليها فوجدت عندها كل نساء الامراء والاعيان ولما وصلت لاقتها الملكة وعزتها وقالت لها لا تقطعي الرجاء من الخلاص فان الله لايترك عبدهُ بشدة ولا بد من اتيان الفرج كيف كان الحال وهذا عهدي بالله سبحانهُ وتعالى . فقالت لها كيف لا احزن والوم الايام والحوادث على فعلها معي وعنادها لي وانا لم اعش مرتاحة زماني بطولهِ غير اني لما كنت في اول عمري

كنت ارى من نفسي اني خلقت للمصائب وان من الاصابة الثبات في وجهها فكنت اتحمل العذاب بالصبر وانتظر الفرج بعده ولا اتضجر من ثقل الحوادث التي كنت الاقيها مهما كانت ثقيلة وعظيمة وعرف ذلك مني الجميع وكل هذا على امل مني ان اعيش مع زوجي فيما بعد مرتاحة على الهناء والراحة فكان من امري اني فارقته حالاً وبعدت عنه فاقمت في اول الارض وهو في آخرها وبيني وبينه الوف الوف من الاميال لا اعرف عنه خبرًا ولا اعلم اذا كان باقٍ بقيد الحياة لاعلق عليه آمالي او طرأ عليه حادث بعد مضي عدة سنين طويلة كالتي مرت وفوق كل ذلك فقد سار من خلفه ولده على رجاء ان يعود به حالاً او يرسل من نحوه خبرًا فكان غياب الاخر اشد ضربة عليّ مما قبل لانه حتى اليوم لم يرجع ولا جاءنا من نحوهم خبر ولا علم . نعم اني ساحزن وحزني لا يقاس به حزن وفوق كل هذه المصائب التي مضت عليّ ووقعت فوق راسي تجمع الاعداء وتعدد وتقام الحروب لاجلي بعد ان صرت والدة وصار لي من العمر ما اوجبني الى الدخول بدرجة الكمال ولابد من ملاقاة حوادث صعبة الان اذا لم ياتنا الله بالفرج القريب ويعيد زوجي وباقي الفرسان والابطال لقتل الابشع واهلاك قومه . فقالت لابد من اتيانهم فان الخبر وصل اليهم منذ زمان طويل اي من حين بلغنا ان الشاه روز قصد الملك الابشع لاجل هذه الغاية وحتى الان لم يرجع الرسول ولا بد ان يكون عائدًا معهم ومن هذا صار لنا كبير رجاء بالمساعدة حتى ولو تاخر مجيء رجالنا ووقعنا بيد الاعداء فهم قادرون فيما بعد على خلاصنا . قالت لها اذا تاخر مجيئهم يومًا واحدًا التزمت الى ان اميت نفسي ولا امكن الشاه روز مني لانه لابد ان يطلب زواجي والحصول عليّ ويعتمد على اجباري بالزواج عليه . قالت لاتخافي واتكلي عليه تعالى واستعمال الحكمة ولا ريب ان كل واحدة منا تفضل الموت على تسليمها الى يد الاعداء على سبيل الانهتاك ولذلك قد جمعت الجميع الى قصري حتى اذا وقع الحرب في الغد وتسهل للزنوج الدخول الى المدينة عصينا عن التسليم ولا نسلم الى احد منهم فقط نقبل ان نبقى اسارى الى بعضنا وكل واحدة منا تاخذ خنجرًا تحفظه في يدها فاما ان نسلم واما ان نموت ولا نعرف كيف ان الله يفعل بنا في الغد وعلى مثل هذا اتفق النساء وكل واحدة منهن على اليأس وقطع الرجاء تتمنى ان يكون زوجها حاضرًا يخلصها ويدفع عنها مصائب السبي والانهتاك

قال ولما كان الصباح نهض الجميع من مراقدهم وتقدموا الى جهة الاسوار واقامت رجال الفرس عند تلك الجهة التي فتحت من اسوار المدينة عازمة كل العزم على منع دخول الزنوج منها وفي مقدمتهم مرادخت الطبرستاني وشبرين الشبيلي الطلقاني وعبد الخالق القيرواني وفيما بينهم الملك ضاراب وما لبثوا في تلك الجهة حتى تدفقت بحور الاعداء تفيض من تلك الناحية

واندفعت الى داخل الاسوار وفي مقدمتها الملك الابشع وقد سد مسد السور من جهة الى جهة من عظم جثتهِ وهو راكب فوق الفيل فانقض عليهِ عبد الخالق القير واني واستل في يده الحسام وضربهُ بهِ على جسمهِ وبفكره انها تكون القاضية فانكسر الحسام اربع قطع ولم يؤثر فيهِ لما عليهِ من الحديد واذ ذاك رفع الابشع العمد وضرب بهِ عبد الخالق القيرواني فاستتر منها وهو يرجف من عظم هوائها فوقعت على طارقتهِ سحقتها وسحقتهُ وسحقت الجواد من تحتهِ ولم يعد يعرف لحمهُ من عظمهِ فصاحت رجال الفرس اسفًا عليهِ وهجمت على الابشع فسطا عليها واستطال وفرقها الى اليمين والشمال ودخلت من خلفهِ رجال الزنوج والاعجام الى المدينة كانهم البواشق اذا انحطت على العصافير وتفرقوا في كل جهاتها ووقع الابشع بشبربن الشبيلي الطلقاني فضربهُ بعمده وذهب بروحهِ وارداه قتيلاً الى الارض ثم التقى بعدهُ ببرادخت الطبرستاني فانزل عليهِ الويلات والمصائب والحقهُ برفاقهِ وانهى من هذه الدنيا املهُ وعجل الى دار الاخرة مرتحلهُ وفعل بعد ذلك افعالاً عجيبة اهلك كثيرًا من الرجال وبدد كثيرًا من الابطال وهو لا يكل ولا يمل واخيرًا وقع بالملك ضاراب فتجاول واياه طويلاً واخيرًا مد يده كانها الصاري وقبض على الملك ضاراب ورفعهُ في الهواء وقال لهُ لو لم تكن ملكًا لضربت بك الارض وانهيت امرك في هذه الساعة ولكني سابقي عليك الى حين الحاجة لقتلك ثم دفعهُ لبعض قومهِ ان يربطوه بالحبال وبقي سائرًا حتى وصل الى قصر الاحكام فدخلهُ وتملكهُ ومن قاوم قتلهُ ومن اطاع تركهُ . وبينما كان هو على مثل هذه الحالة التي تقدمت كان قومهُ ورجالهُ يقتلون وينهبون وقد ملكوا الاسوار وطردوا من عليها من الفرس واصبحت المدينة برمتها في ايديهم ولم يبقَ فيها من يقدر على الممانعة والمدافعة وحينئذٍ بعث الابشع مناديًا ينادي بارجاع عساكره عن الاهالي كونهم اصبحوا من رعاياه وامر ان تنزل عن الاسوار اعلام الفرس وترفع اعلام السودان وتعرف اهل المدينة بان المالك من تلك الساعة هو الابشع اخو طومار الزنجي الذي قتلهُ فيروز شاه وهكذا صار

قال واما الشاه روز فانهُ كان يقاتل مع الداخلين وفي ظنهِ انهُ يسبق الى عين الحياة في اول الناس وكان مرافقًا لهُ احد امراء الابشع بامر منهُ فبقي سائرًا حتى استدل على قصر عين الحياة فلم يجد لها اثرًا فسار الى قصر اخر ولا زال حتى وصل الى قصر تمرتاج فدخلهُ عنوة ومعهُ جماعة من قومهِ واحد امراء الزنوج ولما صاروا في الداخل وجدوا النساء منضمات الى بعضهن فاراد الشاه روز ان ينقض على عين الحياة فصاحت بهِ واخذت الخنجر بيدها وقالت لهُ اذا قربت مني قتلتك وقتلت نفسي فلا تطمع نفسك بالمحال ولا ترجو ما لا ينال لاني عارفة بقصدك وفعل مثلها جميع النساء واقمن الصياح والصراخ من كل ناح وحينئذٍ تقدم الامير الزنجي الى الشاه روز وقال لهُ ان سيدي الملك الابشع اوصاني ان ارافقك كي لا تتعدى على الحرم

وهكذا اوصى كل امير وفارس من قومهِ ان لا يمد احد يده الى امرأة حراماً وبدون اذنهِ بل من اراد زواج امراة سالهُ بها فزفهُ عليها وكان ذلك باطلاعهِ ولهذا صار من اللازم الان ان نضع الحراس على النساء اللاتي هنا ونبقيهن لا يخرجن ولا يدخل احد عليهن الى حين صدور امر الملك ويمكنك ان تسالهُ زواج عين الحياة فيزفها عليك في الحال وهو لاجل هذه الغاية جاء هذه الديار فكن مطمئناً ولا تقرب امراة فيغضب الملك . فقال لا بد من مسيري اليهِ وسوالي منهُ سرعة الزفاف فالمدينة قد اصبحت بيدنا وتملكناها بقوة السيف وصار كل ما هو فيها غنيمة لنا . واريد منك ان تضع الحراس كي لا تهرب عين الحياة وانا ايضاً اضع جماعة من قومي يحرسون في هذا القصر كي لا يخرج احد منهُ ولا يدخل احد اليهِ الا بامر الملك الابشع ثم ان الشاه روز عاد من هناك منفطر القلب وقد وضع جماعة من قومه عند ابواب القصر يحرسونهُ وقد راى عين الحياة وهاج بهِ غرامهُ من اجلها وكان يظن انها اقل مما راه من جمالها لتقدمها في العمر الا انهُ راى بخلاف ما ظن فانهُ راى جمالاً لم يرَ قط مثلهُ لا بين الاعجام ولا بين غيرهم وتحقق ان الكبر والحوادث والهموم لم تقدر ان تغير شيئاً من جمالها ولا قللت من بهائها وما تلك الا صفات ملكية

وبقي الشاه روز مع الامير سائراً حتى دخل قصر الاحكام ودنا من الملك الابشع فوجده جالساً على كرسي الملك ضارب ومن حولهِ الامراء والقواد فهناه بذلك وقال لهُ لقد بدئت السعادة في خدمتك ياسيدي ومثلك يليق ان يكون حاكماً على بلاد الفرس والاعجام كونك تستحق العظمة والفخار والامل ان يقع بين يديك فيروز شاه لتعدمهُ الحياة وتنزل بهِ النوازل وناخذ منهُ بثار اخيك طومار . قال اني ساستقصي عن اخباره وان كان موجوداً لا بد من اتباع اثاره لاخذ منهُ بثاري واني اعرف جيداً انهُ لاياتي هذه الديار خوفاً مني اذا بلغهُ ما فعلت في بلاده وبابيهِ وقومهِ . فقال الملك كندهار لا بد من مجيئهِ يا سيدي فانهُ جاهل لا يقدر العواقب ولا يحسب حساب الفرسان ولا بد من ان تصل اليهِ اخبارك فاذا عرف بما حل على قومهِ اسرع في الحال والقى بنفسهِ في هذا الخطر العظيم . قال ان ذلك ما ارجوه واطلبهُ وانا على الانتظار بهذه الديار . وبعد ان جلس الشاه روز اخذوا بتدبير احوال المدينة وافتقاد خزاينها واموالها والوقوف على ما هو فيها الى ان مضى على دخولهِ ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تقدم الملك كندهار من الملك الابشع وقال لهُ انت تعلم يا سيدي ان ولدي مغرم بحب عين الحياة بنت الشاه سرور زوجة فيروز شاه وهي الان بايدينا وقد ملكناها وما من مانع يمنعهُ عن ان يكون زوجاً لها وحائزاً عليها . قال اني اجيب طلبهُ ومن هذه الساعة ارسل اليها ادعوها لارى هل هي قابلة فيهِ ام لا وان كانت غير قابلة اجبرتها عليهِ ثم انهُ دعا باحد امرائهِ وقال لهُ اذهب

الان الى مكان النساء وانني بهن جميعًا بين يدي عزيزات كريمات دون ان يلحق بهن ادنى اهانة .فاجاب سؤالهُ وسار الى قصر تمرتاج ودخل على النساء وقال لهن ان الملك يدعوكن اليهِ لامرٍ وقد بعثني لاحضركن على الاعزاز والاكرام فلما سمعت عين الحياة ذلك وقع الخوف بقلبها لعلمها ان هذه الدعوة على الاكثر هي لاجل الاهتمام بزواجها على الشاه روز ووطدت العزم على قتل نفسها في الحال امام الملك الابشع اذا كان يريد ان يجبرها على مثل هذا الامر واخذت خنجرها واخفتهُ تحت ثيابها وكذلك سائر النساء كل واحدة اخذت خنجرًا وسرن مع الرسول الى ان وصلن اليهِ وامامهن تمرتاج زوجة الملك ضاراب وعين الحياة ولما وقفن بين يديهِ حييننَ واطرقن الى الارض فانذهل من حسنهن وجمالهن ورقتهن وعرف عين الحياة من القرينة الدالة عليها لانها كانت تفوق الجميع بكل ما هو ظاهر للعيان من المحاسن والصفات المحبوبة المالوفة .واما الشاه روز فانهُ كان يصفق فرحًا ويترنم حبورًا وظن ان الملك الابشع في نفس ذلك اليوم يزفهُ على عين الحياة وصار يحسب من نفسهِ انها اصبحت في يده وما من مانع يحول بينهُ وبين غايتهِ

وبعد ان امعن جميع الوجود فيهن وقتًا طويلاً يتعجب من بهائهن قال الملك الابشع لعين الحياة اعلمي ايتها الصبية اني دعوتك لامر اريد ان اجريهُ وان كان بوسعي ان ارغمك عليهِ الا اني لا احب ان تهان ربات الخدور لانهن ضعفاء والضعيف لا يجار عليهِ وهو ان الشاه روز ابن الملك كندهار صاحب بلاد كشمير قد دعاني الى نجدتهِ وذلك لاجلك فحضرت وملكت البلاد واريد ان ازفك عليهِ حيث وعدتهُ وعدًا صادقًا ولا اريد ان احنث بوعدي ولهذا اريد منك ان تقبلي بزواجهِ فتزفين كعادة بلاده ويكون لك المقام الاول وكذلك اني سازف كل واحدة من النساء اللاتي هنا على امير من امراء مملكتي واجعل ايامًا للسرور والافراح وقيام الاعراس .وحينئذٍ انطلق لسان عين الحياة فتكلمت بفصيح عبارة وراسها الى الارض وقد ارسلت يدها الى داخل ثيابها قابضة على الخنجر .اعلم ايها السيد الكريم اننا عرفنا عنك قبل ان اتيت هذه البلاد وقبل ان تملكتها وقيل بانك جامع لكل الصفات الحسنة من الدعة والرفق والعدل والرحمة وانك تكره في الجور والتعدي وهذه بالحقيقة صفة كل بطل وملك عادل وسيد يحق لهُ ان يتملك البلاد ويحكم في العباد ويتخذ لنفسهِ المقام الاول بين عموم العالم ليكون محبوبًا وحيث تاكد لنا نحن النساء ما سمعناه عنك وثبت عندنا الان ما نراه فيك من كمال الانسانية جعلنا بامان واطمئنان فلا نقطع رجاءنا من مساعدتك وعنايتك واني اقول لك الان ان زواجي على الشاه روز لا يتم في هذه الايام ولا اقبل وحاشاك من ان تجبرني عليهِ وذلك لاني متزوجة ولي بعل وهو فيروز شاه وكذلك كل واحدة منا في ذمة بعل

وليس من العدل الانساني ان تنزعونا من رجالنا بمثل هذه الصفة بل اذا تخلصنا من ازواجنا وصرنا احرارًا صار يمكنا ان نتزوج بمن نريد واني اخبرك ياسيدي ان فيروز شاه حيٌّ وقد بعث ابوهُ يدعوهُ لياتي بالعساكر والابطال وما زال في قيد الدنيا لا اقبل بغيره قط اجابة لكرامة التربية التي تربيتها ولكن اذا قدرت عليهِ وقتلتهُ اجبت الشاه روز الى طلبهِ لا رغبة فيهِ ولا حبًا بزواجهِ لاني اكرههُ كل الكره منذ بداية سوالهِ بزواجي يوم كنت بنتًا بل اجابة لامرك وإيفاء لوعدك لهُ وبغير هذا لا يمكن قط ان ارضى يا سيدي ولا اظن ان ملكًا مثلك جمع بين الشجاعة والكرامة ينفذ قواه بامراة ضعيفة لاقدرة لها على الدفاع نظيري ويرضى بظلمي حبًا بصالح رجل اخر يطلب اليهِ ان ياخذني كسبية ولو كنت بلا زوج لكان حق لهُ ان يسالني الزواج واما الان فانهُ يرغب ان يخترق حرمة الملوك ويعلق امالهُ بانك تساعده على الشر وقلة الانصاف وحاشاك من ذلك

فلما سمع الملك الابشع كلامها تعجب من فصاحتها وانتفخ من كلامها واعجب بنفسهِ كل الاعجاب وقال لها لقد اصبت وما قلت الا بالحكمة والعقل وما دام زوجك حيًّا فانت لهُ وانا لا ارضى ان اظلمك بل اني مزمع على قتل زوجك اذا جاء هذه البلاد لان لي عليهِ ثارًا عظيمًا لا اتركهُ ما زلت في هذه الدنيا ومتى قتل زوجك صار للشاه روز الحق ان يطمع نفسهُ فيك ويسالني اقناعك فاذهبي الان مع رفاقك الى المكان الذي كنتنَّ فيهِ وابقين هناك على الاكرام محفوظات من بعض الخفر والاطعمة ترسل على الدوام لسد احتياجكنَّ الى ان ياتي فرسانكن وتنظرن ما افعل بهم وانا قاسم بان لا بد من قتلهم وابادتهم كيف كان الحال والان ازيد قسمي بديني وصادق معبودي ان لا ادع احدًا يقرب منكن او يطمع بزواج واحدة منكن ما دام رجالكن احياء ومتى هلكوا جميعًا رغمتكن على الزواج برجالي ورجال كشمير . ثم امر ان يوخذن الى القصر الذي كنَّ فيهِ ويبقى الحراس قائمون على حراستهنَّ وان نقدم لهن على الدوام معدات الاكرام ولا يحرمن من شيء يطلبنهُ فقط لا يسمح لاحد ان يدخل او يخرج الا بامر الملك فقط وبغير امره لا احد يدخل القصر فاخذن الى القصر وهنَّ فرحات جدًا بهذا التوفيق العظيم وجميعهن شاكرات من عين الحياة وحسن اساليبها بالخلاص ولا سيما هي فانها كانت اشد الجميع فرحًا واعظمهن سرورًا لخلاصها من الشاه روز وشكرت الله على ذلك وقالت لحماتها تمرتاج اني ما قلت لهُ ذلك الا لاعظمهُ بنفسهِ من جهة ولا زيده رغبة في ملاقاة سيدي فيروز شاه وانا عالمة حق العلم انهُ لا يثبت امامهُ يومًا واحدًا ولا بد لهُ او لبهزاد من قتلهِ وخلاصنا منهُ وبهذه الوسيلة اصبحنا امينات على نفوسنا لا نخاف احدًا من الاعداء حيث ان ملكهم اقسم بما اقسم . فشكرتها تمرتاج وقالت لها لقد عرفت كيف يجب ان تخلصي نفسك ففعلت وخلصتينا

معك . واما الشاه روز فانهُ اصبح على جمر الغيظ يتقلب و يحترق من قبول الابشع بتاخير مدة الزواج ورضاه باجابة عين الحياة على كلامها غير انهُ لم يقدر ان يبدي كلامًا او يعاند على وعد الملك فالتزم ان يسكت و يظهر قبولهُ من عمل الملك وهو معجب ومأخوذ من عمل عين الحياة وحكمتها ودرايتها وزاد رغبة فيها عند ما سمعها تتكلم بالفاظ عذبة فصيحة يضيع فيها كل عقل ويعجب بها كل انسان . وهكذا بقي الملك الابشع وقومهُ في مدينة ايران مدة ايام وهم على يقين من امتلاكهم المدينة وسلطتهم عليهم ينتظرون قدوم رجال الفرس او خبرًا عنهم والملك ضاراب عندهم بالاسر محفوظًا بالحراس متكدر من الحالة التي وقعت عليهِ ووصلت اليهِ ينتظر الفرج من الله سبحانهُ وتعالى وقلبهُ يحدثهُ بان ولده سياتي عند وصول الاخبار اليهِ اذا كان حيًّا وانهُ اذا جاء لا يترك الابشع على حالهِ بل يقتلهُ و يطرد قومهُ عن ايران ويجازي الملك كندهار على خباثتهِ وخروجهِ عن الطاعة لانهُ كان السبب في جلب هذه المصائب على مدينة ايران وتسليمها الى ايدي السودان

فهذا ما كان من الملك الابشع والملك ضاراب وما جرى على مدينة ايران وسكانها واما ما كان من قوم الفرس وفيروزشاه والملك بهمن ورجالهُ فانهُ بقي سائرًا حتى اصبح بينهُ و بين مدينة ايران نحو سبعة ايام وهناك امر رجالهُ ان تنزل في تلك الساحة وقال لهم ارتاحوا هنا مدة ثلاثة ايام ومن ثم نسير الى المدينة راسًا فاذا كان وصل الملك الابشع اليها اجليناهُ عنها واذا كان لم يصل نكون قد ارتحنا ودخلنا المدينة باحتفال عظيم وسلمنا على قومنا فاجاب الجميع امرهُ ونزلوا عن خيولهم وسرحوا في تلك الارض وفيروزشاه يرى من نفسهِ راحة عظيمة باقامتهِ في ارض من اعمال بلادهِ وقد استنشق رائحة نسيم بلادهِ وتذكر ايام مرَّ من تلك الجهة مع فرخوزاد . و بقي كل ذلك النهار يتحادث مع طيطلوس و بزرجمهر وبهزاد و باقي قومهِ عن احوال بلادهِ وسكانها وعن اراضيهِ وقال لهم اني تركت هذه الارض صغيرًا لا اعي عليها ولا اعرف جودة مناخها مثلما اعرفهُ الان ولي الان اكثر من ثلاثين سنة فارقتها فاشكر الله الذي اعادني اليها سالمًا من نكبات الحوادث وطوارق الايام بعد ان لاقيت ما لاقيت في كل هذه المدة . فقال لهُ طيطلوس هذا هو الوطن الجاذب المحبوب وما منا الا من هو زائد الفرح مرتاح البال لعودتهِ الى بلادهِ وملاقاة اهلهِ وقومهِ واسال الله ان يتم راحتنا فنصل المدينة ونراها بخير مع سيدي الملك ضاراب ورجالهِ وامرائهِ مرادخت وشبربن وعبد الخالق فقال الملك بهمن اني اظن ان قومنا الان على الحرب مع الاعداء ولا بد ان يكون وصل الابشع اليها حيث قد طال علينا المطال واقمنا بزيادة عدة ايام في حرب الهنود وفي المدن التي مررنا عليها . وقال فيروزشاه اني لا اخاف ان القى الابشع في حرب وقتال لكن اخاف ان يكون فقد احد من قومنا فاتكدر

لفقدهِ او ان يكون لحق بابي وزوجتي سوء وهذا بعونهِ تعالى لا يحدث لاني مطمئن بمساعدتهِ تعالى. فقال بهزاد اعلم ياسيدي اني كنت على الدوام محروق الفواد مبلبل البال كوني لم اكن في ايام طومار ولم يسمح لي الزمان ان التقي بمثلهِ في ميدان وعلى ما اظن وما اسمع ان الابشع هو اشد باساً واقدر على الثبات واعظم هيكلاً وجثة ولذلك افرح واحسب ذلك من توفيقاتهِ تعالى اذا سمحت لي الايام و بعثتهُ الى ايران لكي لا تبقى حاجة بنفسي فقال طيطلوس اني اعرف حق المعرفة ان الابشع هذا مثل طومار لا بل اشجع منهُ كثيرًا ما سمعت عنهُ الاخبار العجيبة ولذلك ترى ان ضميري لا يرتاح عندما افكر انهُ اذا سبق مجيئهُ الى بلادنا قبل مجيئنا اهلك كثيرًا من قومنا واخربها وربما تملكها وليس فيها من الفرسان والابطال من يدافع عنها وجميع العسكر الذين فيها من الشيوخ وان تكن الايام قد حنكتهم ودربتهم على الحرب والقتال انما قللت من هممهم واضعفت قواهم حتى اصبحوا لا يقدرون على حمل السلاح

قال وفي المساء بعد ان صرفوا السهرة تفرقوا كل واحد الى جهة للمنام في الخيام وذهب فيروز شاه الى صيوانهِ وهو يفكر بامر الابشع وقد اثر فيهِ كلام طيطلوس الاخير من ان خوفهُ اذا سبق مجيئهُ الى ايران يمتلك المدينة ويحدث الضرر باهلها وصار يهتم بذلك وضاق صدرهُ لاجلهِ وقال ماذا ياترى اذا ملك المدينة يحدث بابي ويجرى عليهِ وهو شيخ كبير اليس انهُ يهان في اخر عمرهِ بعد ان صرف ايامهُ كلها لا يجسر احد ان يمد اليهِ يدًا مسموع الكلمة نافذ السلطة من مشرق الارض الى مغربها او ماذا ياترى يجرى على عين الحياة اذا ملك الابشع بلاد ايران وتسلط على اهلها اليس انهُ يقبض عليها ويجبرها على الزواج بالشاه روز واذا ابت عذبها واهانها وربما اماتت نفسها لتخلص من شرهِ ولا تسلم بنفسهِ اليها مع انها عندما كانت باول عمرها كنت اطير اليها اينما كانت ولا ادع احدًا يصل اليها بضر واي مكان قصدتهُ تراني صرت حولها ادافع واقاتل واما نع كاني رسول الحق وملاك السرعة والان تراني بعيدًا عنها لا افكر بها بعد ان صارت زوجتي وصار لها ولدًا كابنها بهمن لا نظير لهُ في هذه الدنيا من الحكمة والعقل والعلوم والمعارف فكان من الواجب ان اصحبها معي الى بلاد الصين. وبقي فيروز شاه طول ليلتهِ يتقلب على مثل هذه الافكار وقد عظم عليهِ الامر وكبر المصاب في وجههِ حتى نوى كل النية ان يبكر و يامر رجالهُ بالركوب والسرعة الى المدينة لعلمهِ ان لا يطمئن بالهُ الاَّ اذا راى زوجتهُ واباه و بلادهُ بخير وفيما هو على مثل ذلك نام نحوًا من نصف ساعة فراى عين الحياة راكعة امامهُ وايديها على صدرها وادمعها تنسكب الى الارض وهي تنظر اليهِ كانها تعاتبهُ على تركها وتهامله بامرها فنهض مرعوبًا وصاح بصوت جفل منهُ كل المقيمين حواليهِ من ملوك الفرس والشاهات والوزراء وخرجوا من خيامهم وجاءوا اليهِ تحت ظلام الليل اي

قبل بزوغ شمس النهار بقليل فراهُ يلبس ثيابهُ و يتعدد بعدتهِ فسالهُ طيطلوس عن السبب
فقال لهُ اني نويت ان اسبقكم الان وحدي ومن ثم تلحقوني في الغد فان قلبي يدلني بوقوع
مصائب عظيمة على ايران وضميري لم يقبل ان يسلم معي ان انام مرتاحاً هذه الليلة ولما تسلط عليَّ
النوم وغفلت عيني قليلاً رايت زوجتي باكية حزينة شاكية فهم الان بعذاب ولم يسبق لقلبي
مرة ان غشني . كنت مرتاحاً من نفسي بوصولي الى وطني واما الان فارى نفسي تعباً جداً قلقاً
مضطرباً مضطراً الى ان اكون في هذه الساعة في ايران . فقال لهُ بهزاد لايمكن ياسيدي ان ندعك
تسير وحدك بل كلنا نسير على عجل الى ايران والذي يهمك يهمنا السنا نحن خدامك وخدام
هذه الدولة واني ساركب من هذه الساعة ولما راى الملك بهمن ان اباه يضطرب و يرتجف
وهو يرسل صوتاً بعد صوت والقلق يفعل بهِ بشدتهِ فاخاف عليهِ من ان يصاب لهذا الاضطراب
بعارض موئلم فامر بالحال ان تضرب طبول الركوب وان يركب الجميع و يسوقون الاموال قبل
طلوع النهار على اعجل ما يكون من السرعة . واما طيطلوس فانهُ خاف مزيد الخوف على ما راى
من فيروز شاه وعلم انهُ لحدة طباعهِ وحنقهِ من الشاه روز يصاب بالجنون اذا لم يتمكن من
اطمئنان بالهِ ويرى زوجتهُ واباه بخير ولذلك قال لهُ كن هادئ البال يا سيدي فاننا لما كنا
ببلاد الصين كنت على الهداء والسكينة والان لما صرنا في بلادنا وحول ايران فعل بك القلق
كل هذا الفعل فاعقل الى نفسك ونحن قادرون بعد ايام قليلة ان نعرف حالة بلادنا وما هي
عليهِ فاذا كانت بمصيبة خلصناها واذا كانت براحة زدناها راحة وهناء . فاستحى فيروز شاه
من وزيره وقال لهُ اني مطمئن البال وما وقع عليَّ هو كان بالرغم مني واني اعرف من نفسي ان
ابي بضيقة فوددت ان اسير فاسبقكم كي تصلوا بعدي براحة واطمئنان وحيث اعتمدت على المسير
فهلموا بنا . ثم انهُ خرج من صيوانهِ وركب فوق كمينهِ وانطلق في المقدمة فتاثرهُ بهزاد واردوان
وشيرزاد وركب الملك بهمن وكانت العساكر والفرسان قد ركبت خيولها وتقلدت نصولها
فاندفعت من خلفهم وما اصبح الصباح وانار بنوره الوضاح الا كانوا بعدوا عن تلك الارض
وساروا بجد على طريق ايران

هذ وفيروز شاه مضطرب الفكر لا يعرف اهل زوجتهُ راحة او ماتت او اصيبت بنكبة
وسوء بسبب ان زيارتها لهُ على تلك الحالة الى الصحة وانها حزينة باكية وكلما تصور تلك الحالة
التي راها بها في منامهِ وراى دموعها تنحدر على خدودها بكى هو ايضاً ولعبت في فوآده نار القلق
وما ساروا الا القليل حتى شاهدوا جماعة من رجال ايران ذاهبين على الطريق الذي ذهبوا هم
فيهِ وكان كما تقدم فيروز شاه في المقدمة وحولهُ الفرسان والابطال منقطعون عن العسكر
بعيدون نحو ساعة تقريباً و يسبق الجميع بهروز العيار وهو يسير كالسهم الطيار ولما راى الاتين

انخطف اليهم وتبينهم فاذا هم من الايرانيين وعليهم سمة الذل والاضطراب فقال لهم على اي حالة انتم وما اصابكم فابشروا باتيان سيدكم فيروز شاه بطل هذا الزمان ورافع الشدائد والاحزان ولما راى الاتون بهروز وسمعوا صوتهُ صفقوا بايديهم من الفرح وصاحوا سيدنا سيدنا أوصلنا اليهِ الان . فان الله نظر الينا ابن سيدنا وحامينا وفي الحال وصل اليهم فيروز شاه لانهُ كان لم يصبر على وصول الخبر اليهِ بل اطلق لجواده العنان خلف بهروز العيار حتى ادركهُ وهو يسأَل الايرانيين عن حالتهم ولما راوه وعرفوا انهم بحضرة مولاهم ورافع الشدات عنهم صاحوا النجدة النجدة يا رافع الشدات فان البلاد اخذت والرجال قتلت والاسوار تهدمت والملوك اسرت والنساء سبيت وصارت الزنوج مالكة علينا وعلى بلادنا وحريمنا واموالنا فلطم فيروز شاه بكفهِ على فخذهِ وارسل صوتاً عميقاً خارجاً من داخل قلبهِ وانكبتاه قد صح المنام ونفذت الاحكام فاخبروني بالعجل اهل اصيب ابي بنكبة قالوا لهُ كلاَّ بل هو بالاسر ومثلهُ عين الحياة و باقي النسوان في قصر والدتك تمرتاج . وفي تلك الساعة وصل بهزاد وطيطلوس و باقي الفرسان واستعادوا الخبر من المخبرين فاخبروا بهِ بتمامهِ من حين وصول الاعداء الى بلادهم الى ذلك اليوم . فقال طيطلوس وانتم الى اين ذاهبون الان قالوا اننا لما شاهدنا ظلم الزنوج وجورهم بالفرس ووجدنا انفسنا اننا غير قادرين على السكنى في المدينة خرجنا منها ليلاً نقصد تعزاء اليمن لكي نقيم عند الشاه سرور بينما نسمع برجوعكم سالمين والحمد لله تعالى الذي ارسل الينا الفرج من اعجل طريق واقربهِ

وكان فيروز شاه يتغيظ ويحنق عظيمين عند سماعهِ ما جرى على ابيهِ وعلى بلاده ووجنتهِ غير انهُ عرف من نفسهِ انهما بامان من الموت وانهُ صار قريبا من المدينة وان في وسعهِ ان يخلصهم من يد الاعداء وهو محترق الفواد من الشاه روز يتمنى ان يراه او تقع عينهُ عليهِ لينتقم منهُ و يقطعهُ باسنانهِ و بعد ذلك تقدموا جميعاً الى جهة ايران وقد انتشر الخبر الى جميع رجال الفرس كباراً وصغاراً بعمل الملك الابشع فصار كل واحد منهم يتمنى الوصول الى بلاده ومباشرة الحرب مع السودان . وداموا المسير مدة ستة ايام وكلما تقدموا يرون من قومهم فرقاً فتنضم اليهم وتشكو لهم ما لاقت وفيروز شاه يعدهم بكل ما هو حسن وفي صباح ذلك اليوم اشرفوا على مدينة ايران ونبينوها وهي ترتج من وقوع الشمس عليها وعساكر الاعداء قائمة في خارجها متهيئة للحرب والقتال وكانت كما تقدم اسوار المدينة متهدمة فلم يكن الحصار فيها لاسيما وان الابشع كان يظن انهُ لو جاءت اليهِ طوائف الدنيا جميعها لا تقدر ان تنزع ايران من يده و بعد ان وصل فيروز شاه برجالهِ الى تلك الجهات اطمأن بالهُ وارتاح ضميره وعلق املهُ انهُ يستخلص البلاد بوقت قريب و يعود كل شيء كما كان و يقتل الابشع والشاه روز وكل من جاء بهذه الغزوة .

وبعد ان ضربت خيامهُ في الخارج وضرب لهُ الصيوان المخصوص به والصيوان الكبير اجتمع مع وزرائهِ ورجال دولتهِ وامر في الحال وزيره طيطلوس ان يكتب كتاباً الى الملك الابشع يتهددهُ بهِ ويامره بالخروج الى خارج المدينة وترك كل ما استولى عليهِ . فاجاب سوالهُ في الحال وكتب ما ياتي

بسم الله رافع الشدات وفارج الكربات يفعل بعباده ما يشاء فهو الحي القدير

من الملك بهمن بن فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك الفرس واليمن والمصريين والرومان والصين ومدوخ جميع اقطار الارض من مشرقها الى مغربها الى الملك الابشع ملك السودان

اعلم ايها الرجل الذي حدثهُ طمعهُ وغشهُ عقلهُ انك ما اتيت بلادنا الا غنيمة لنا ووسيلة لاتمام نجاحنا كي لا نقصد بلادك لان الله الذي ملكنا الارض من ايران الى بلاد الصين وسلطنا على كل الامم لندعوهم الى عبادتهِ وجد اننا بحاجة الى اتمام خدمتهِ لنزع عظمتكم وكبريائكم وابطالكم دينكم او هلاككم عن اخركم ولهذا بعثكم الينا الى حد بلادنا لنفعل بكم ارادتهُ . وقد اتيتم ايران ونحن غائبون عنها بعيدون جداً في بلاد الصين فخلا لكم الجو وفعلتم مشتهاكم وتملكتم البلاد حيث لا فارس فيها يدافع عنها او يمانع عن اسوارها ووصلتنا اخباركم ونحن نمتلك بلاد الصين ونتسلط عليها وعند وصول هذا الخبر اسرعنا بالرجوع بعد قتل الملك شنكال ملك الهنود وهلاك ابطالهِ القمقام والغطام والهراس وتشتيت شمل رجالهِ واحداً واحداً وعليهِ الان فاننا نحذرك لتكون على بصيرة وتعلم ان من كانت هذه الافعال افعالهم لا يعجزون عمن هو مثلك ولا بد ان يكون بلغك ما فعلنا باخيك طومار ورجالهِ وبغيره من فرسان هذا الزمان المشهورين وسحرتهِ وكهانهِ وفوق ذلك فانك مهما تعاظمت وظننت بنفسك البسالة والاقدام لا تقدر ان تثبت امام ابي الذي اهلك المردة وفرق طوائف الانس والجان وليس لك الا طريق واحد للخلاص وهو ان تخرج بنفسك من المدينة صاغراً الى بين يديَّ نادماً على ما فرط منك وتقدم عذرك الى ابي وتقبض على الشاه روز وابيهِ كندهار وتسلمهما لنا لنجازيهما على العصيان والخروج والطمع بحريمنا ونسائنا بعد ان تطلق جدي الملك ضاراب وتسالهُ السماح عنك والعفو واننا نقبل منك ذلك كلهُ بشرط ان تدخل بدين الله سبحانهُ وتعالى وتترك العبادات الفاسدة واذا فعلت ذلك قبلنا منك عذرك وانعمنا عليك وارجعناك الى بلادك واذا امتنعت ترانا في صباح اليوم القادم فوق خيول تقتحم المنايا وتخوض بحور المعامع ولا تخشى الرزايا والمصائب ولا ندعكم في بلادنا اكثر من يوم واحد اي اننا نهلككم ونمحو اثاركم وننتقم منكم جزاء على فعلكم والسلام ختام

وبعد ان فرغ طيطلوس من هذا الكتاب قراهُ لفيروز شاه فاعجبه وفي الحال بعثهُ مع شبرنك العيار واوصاهُ ان يسرع بالجواب فاخذ المكتوب وسار الى ان دخل المدينة وتخلل اسواقها وهو يتاثر مما يشاهد من سلطة السودان على الفرس وقيامهم في كل مكان وامتلاكهم المدينة وحكمهم باهلها

قال وكان الملك الابشع قبل وصول الفرس بيومين وصلت اليهِ اخبارهم وتاكد قدومهم فاظهر على نفسهِ الفرح والسرور وقال للملك كندهار ها ان زحل نظر الينا من علاه فبعث بالفرس وبفيروز شاه سيدهم قاتل اخوتي لاخذ لنفسي منهُ بالثار ومن جميع فرسانهِ وسوف ترى بعينيك وبعد هلاكهِ لابد من زفاف عين الحياة كما وعدت ودفعها لكم . فقال لهُ الملك كندهار اني كنت مثلك بانتظار هولاء القادمين لينتهي بنا الامر ونعجل بزفاف ولدي كي لانكون قد فعلنا الا بارادتك وبما امرتنا . واما الشاه روز فانهُ لم يفه بكلمة بل كان قلبهُ يخفق وجوارحهُ ترتعد وترجف وهو بحالة يرثى لها وقد اخذ منهُ الخوف كل ماخذ عند سماعهِ بوصول فيروز شاه وتاكد من نفسهِ انهُ لابد من ان يقتل الابشع ويعدمهُ الحياة كما قتل اخوتهُ ومن ثم امر الابشع ان تقيم العساكر الى بعضها خارج المدينة في وجوه الفرس وان يكونوا على حذر واستعداد للقتال حيث بعزمهِ ان يلقيهم في الحال ويبدد شملهم ولا يدعهم يرتاحون او يصلون الى داخل المدينة وشاع الخبر في كل المدينة ففرح اهلها واملوا الفرج واكثروا الدعاء الى الله سبحانهُ وتعالى ان يعين فيروز شاه على الملك الابشع واصبح الجميع على الانتظار الى ان رأوا اعلام الفرس قد لاحت ومضاربهم قد ضربت في خارج المدينة فخرج اليهم كثير من سكان تلك الاماكن وشكوا الى فيروز شاه ما لاقوا فطيب بخاطرهم وارجعهم الى المدينة واوصاهم بالبقاء مع عيالهم ووعدهم انهُ لايترك امر الابشع يطول . وبلغ الخبر عين الحياة فوقعت الى الارض مغمياً عليها من شدة الفرح واجتمع اليها النساء ورشوا على وجهها الماء واخذتها الى صدرها تمرتاج حتى وعيت الى نفسها وهي طائرة الفواد وقالت للملكة تمرتاج قد استجاب الله دعانا واعطانا ما طلبنا وتخلصنا من السودان ومن الشاه روز فاشكرهُ شكراً عظيماً حيث اعطاني زوجاً قوياً مساعداً لي عند الشدات لايتغافل عن امري قط ساعة ولو كنت داخل جبال قاف وكانت الشدائد محيطة بي ودعوتهُ لوجدتهُ في الحال يقاتل ويدافع ويرمي بنفسهِ في حفر المخاطر ليصل اليَّ نعم انهُ سيقتل الشاه روز وينتقم منهُ ويخلصنا ويخلص البلاد ويهلك الابشع . قد عاد اليَّ فيروز شاه مع ولدي بهمن بعد غياب طويل وشعرت بالسعادة التي انا مؤملة ان تكون لي في اخر عمري فاهنأن ايتها النساء وافرحن فيوم خلاصكنَّ قريب جداً قد جاء المخلص اليوم فارفلن بثوب من الفرح وملن ميلان الدلال واشكرن الله والزمان وادعين لمن جاء يفديكن بنفسهِ . فقالت

لما تمرتاج هذا نحن بانتظاره الان وما من شيء يفرحنا الا هو وحدهُ الان وفيما مضى وعلى الدوام ولا ريب انهُ جاء منتصرًا حائزًا ملك بلاد الصين ومن الواجب عليك ان تفرحي ولكن بثبات وتأنٍ ولا تدعي دواعي الفرح تلقي بك الى الغيبوبة والضياع ولا سيما اننا بحاجة الى الانتباه لانهُ سيتوصل الى اخذنا اليهِ

قال واما شبرنك فانهُ بقي سائرًا بالتحرير في اسواق المدينة حتى وصل الى الابشع ودفعهُ اليهِ فاخذهُ وقراهُ ولما عرف ما بهِ من التهديد والتوعيد كاد يطير صوابهُ و يفقد عقلهُ وصاح من ملء راسهِ وهو يرغي و يزبد و يضطرب لا ريب ان ملوك الفرس مجانين وضعفاء العقول لا يدركون احوال العالم ولا يعرفون مقام الفرسان و يظنون بانفسهم ما هو فوق مقدرتهم ولا بد لي من ان اريهم من الذي يفوز على الاخر و يهلك الاخر و يوقع بالاخر وهذا المكابر فيروز شاه اني اقسم بزحل و بكل كوكب وصاح اني لا اضربهُ بعمدي الا ضربة واحدة فتكون القاضية عليهِ والذاهبة بحياتهِ . وامر في الحال احد امرائهِ ان يكتب جواب الكتاب بقدر ما استحق فاخذ وكتب

من الملك الابشع سلطان الزنوج والسودان . وفارس هذا العصر والزمان . الى بهمن الطفل الصغير . والملك الحقير

لقد تشرف كتابكم بالمطالعة مني ووعيت كل ما فيهِ وانا اضحك منهُ ومن معانيهِ واعجب من كبر يائكم وتفاخركم بنفسكم وانتم لا تعرفون قوتي وتظنون اني مثل الذين لاقيتموهم في غابر ازمانكم وما مضى عليكم من الوقائع التي تحسب من الاعمال الصبيانية اسكرتكم حتى ظننتم بانفسكم انكم تقدرون على الوقوف امام وجهي اذا التقيتكم في ساحة الميدان واما ما تدعيهِ من اعمال ابيك فيروز شاه فهو مباهاة صادرة عن طيش وقلة عقل لا توجد بغيرك من الملوك وسوف يجمعني واياه الميدان فترى بعينيك ما لا تظنهُ ومهما كان قادرًا لا يقدر على الثبات في وجه ضربة واحدة من عمدي الثقيل الذي ضربت بهِ السور فهدمتهُ ولو ضربت بهِ جبلاً لسحقتهُ وكان بقصدي بعد ان اقتله واخذ بثاري منهُ اعفو عنك واتخذك خادمًا كونك صغير السن ولم تشارك اباك بقتل اخوتي و باعمالهِ القبيحة بغيرهم واما الان فما من شفقة بعد لك في قلبي وعندما اطلعت على كتابك نويت كل النية ان اقتلك مع جدك وانزع منك الحياة واكد اني افعل اكثر ما اقول و بالامتحان يظهر البرهان وفي الغد يجمعنا الميدان

و بعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب ووقع عليهِ دفعهُ الى شبرنك وقال قل لمولاك سيكون اليوم الاتي يوم حرب ونزال ليظهر فيهِ فضل الابطال . فاخذ شبرنك المكتوب ورجع في طريقهِ وهو يتعجب من هول منظر الابشع وكبر جثتهِ ودماغه حتى وصل الى صيوان الملك

احسن ترتيب واعظم تدريب ووقفت الملوك في مراكزها والفرسان في مواقفها سقط بهزاد الى وسط الساحة كانهُ السرحان وصال وجال ولعب على اربعة اركان الميدان حتى حير عقول الابطال والفرسان . وبعد ذلك وقف في الوسط وصاح بالزنوج وقال لهم ويلكم ايها المعتدون لقد جرتم علينا واغتنمتم فرصة غيابنا واتيتم اليها لتملكوها وفي ظنكم اننا انقرضنا ولم نقدر على العود اليها والدفاع عنها وها انا والحمد لله قد عدنا سالمين منصورين ظافرين باعظم ما فارقنا هذه البلاد لنهلككم عن بكرة ابيكم فلتبرز اليَّ فرسانكم وابطالكم وان كنتم لا تعرفونني فانا اعرفكم بنفسي انا بهزاد بن فيلزور البهلوان بن رستم زاد صاحب الافعال المجيدة والاعمال الحميدة وما انتهى بهزاد من كلامهِ حتى فاجأهُ احد امراء الزنوج وكان من الابطال المعدودين والفرسان المشهورين فوق فيل كبير واخذ مع بهزاد بالحرب والطراد واختلف بينهما الضراب والطعان وتقاتلا قتال الابطال والشجعان . وتناضلا مناضلة اسود خفان . الى ان تناصف النهار واذ ذاك تمكن بهزاد من خصمهِ فضربهُ بالحسام على راسهِ شقهُ الى تكة لباسهِ والقاه الى الارض قتيلاً وبدمائهِ جديلاً فصاح اخوهُ وانحدر الى بهزاد لياخذ لهُ بالثار فتجاول واياهُ مدة ساعتين حتى اتعبهُ بهزاد واكربهُ وضربهُ بحسامهِ على راسهِ فرقهُ عن جسده . ثم صال وجال وطلب براز الابطال لينهي بقية يومهِ فبرز اليهِ امير ثالث من الامراء وصدمهُ صدمة جبار فالتقاه كما تلتقي الارض الجافة وابل المطر واخذ معهُ بالقتال والجولان حتى كادت الشمس ان تغيب وتعول الفرسان على الرجوع الى الخيام فخاف بهزاد ان يرجع خصمهُ من امامهِ سالمًا فصاح بهِ وانحط عليهِ وخبلهُ وقام بمتين عزمهِ وضربهُ بحسامهِ على وسطهِ قطعهُ قطعتين والقاه الى الارض قسمين وفي تلك الساعة ضربت طبول الانفصال ورجع القومان عن ساحة القتال وقوم الفرس مسرورون ببهزاد فرحون باعمالهِ يرجحون انهُ ان دام القتال على هذا المنوال يفنون فرسان الاعداء وينزلون بهم الخبال ويقتلونهم واحدًا بعد واحد الى ان يقتل ملكهم الابشع فيتفرقون بعد موتهِ ويجلون عن المدينة

وكانت حالة الابشع خلاف حالتهم وقد رجع مغتاظًا من عمل بهزاد حزينًا على فرسانهِ الذين قتلوا في ذلك اليوم ولما استقر بهِ الجلوس في مركزهِ قال لبقية امرائهِ والذين حواليهِ اني لم اكن اعهد ان بهزاد هذا يثبت امام احد امرائي وابطالي ولذلك تهاملت عنهُ حرصًا على شرفي ان ابرز الى وسط الميدان ويراني القومان معهُ في قتال ونزال وهو دوني قدرًا ومقدرة ولكن في الغد لا بد من ان ابرز اليهِ وانهي امره فنهض الامراء الباقون وقالوا حاشاك من ان تهين نفسك بقتال هذا الصعلوك فنحن نبرز اليهِ واحدًا بعد واحد ولا بد ان نقتلهُ وناخذ منهُ بثار الذين قتلهم منا واذا نزلت انت لهُ فمن يا ترى ينزل لفيروز شاه . فقال لهم احسنتم فاني

مزمع ان لا اهين نفسي بقتال هذا الابراني الحقير الصغير مع اني اعرف انهُ لا يثبت امامي واذا رآني آتيًا الى قتالهِ فرّهاربًا وعليهِ فلا نبلغ منهُ المراد ولا ننال المقصود. واذا اتيتم بهِ حيا شكرتكم واثنيت عليكم حيث مرادي ان اشويهُ على النار واذري برماده تحت ارجل فرساني وابطالي فوعدوه بكل جميل وفعل حسن وانصرفوا تلك الليلة الى مراقدهم على امل انهم في الصباح يعودون الى قتال بهزاد ويعدمونهُ الحياة

ولما كان اليوم الذي بعدهُ عادت العساكر الى مواقف الحرب واصطفت كجاري عادتها ونزل بهزاد الى الوسط وهو يطلب ان يبرز اليهِ الابشع ليجرب نفسهُ معهُ وينهي امرهُ فلم يبرز اليهِ في ذاك النهار بل نزل اليهِ امير من امرائهِ فتجاول واياه مدة ثم قتلهُ وبعد ذلك برز اليهِ غيره فقتلهُ وقتل في ذاك النهار ثلاثة كاليوم الاول ورجع في المساء مسرورًا ورجع الابشع مقهورًا وفي اليوم الثالث قتل بهزاد ايضًا ثلاثة اخرين فاتبعهم برفاقهم واعدمهم الحياة وعاد الى الخيام وعاود البراز في اليوم الرابع واقام في الميدان كل ذاك النهار يشتغل في عملهِ حتى قتل باقي امراء الابشع وهم الاثنا عشر اميرًا الذين جاءوا معهُ وكانوا قواد معسكرهِ فغاظهُ هذا الامر جدًّا وكدرهُ حتى كادت تنشق مرارتهُ واجتمع اليهِ الملك كندهار وابنهُ الشاه روز فقال لهم ما من وسيلة بالرجوع عن بهزاد وكان بظني ان احد اتباعي يقتلهُ ونرتاح منهُ فلم يتسهل لنا ولا قدر احد منهم عليهِ واني ندمت الان حيث اهملت امرهُ حتى فعل ما فعل. فقال كندهار ان بهزاد هو من ابطال هذا الزمان الذين يندر وجود مثلهم وليس في برازهِ اهانة ولا احتقار بل شرف وفخار كونهُ بهلوان دولة الفرس وحاميهم فاذا قتل وقتل فيروزشاه ملكت الجميع في الحال وانزلت عليهم صواعق سطوتك وارتحت راحة عظيمة دائمة اذ لا يكون من بعدهم احد يقدر على الثبات. قال لا بد لي في الغد من قتلهِ وان اريك ما افعل بهِ ثم انهُ دعا عيارهُ وكان اسمهُ واظين وهو من العيارين الماهرين المتفننين فقال لهُ اريد منك في هذه الليلة ان تطرق معسكر الفرس وتجس لي احوالهم وتحدث لي بهِ امرًا يشغلهُ فقال لهُ سوف ترى ياسيدي ما يسرك ويرضيك

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من امر الفرس وفيروزشاه فانهم تلقوا بهزاد بملء الاحضان وشكروهُ على فعلهِ واثنوا عليهِ مزيد الثناء وتفرقوا لمناولة الطعام في اول الليل وجلس فيروزشاه ياكل الطعام وفكره مشغل عند عين الحياة يفكر بامرها وحالها وماذا جرى عليها وبينما هو على مثل ذلك دخل عليهِ بهروز العيار وقال لهُ اريد منك ياسيدي ان تسمح لي بالنزول الى المدينة مع بعض العيارين فقال لهُ لما ذلك قال لاني اريد أن اجيئك بعين الحياة ومن معها من النساء. قال اني وجدت وسيلة لهذا ياسيدي واخبرك ان بالامس وقبل الامس

عند الغروب نزلت المدينة وسهلت طريق الخلاص وقد ذهبت مرتين بالطعام الى النساء من مطابخ طباخي الطعام ولكن دون ان يعرفني احد او يفكر بي احد تسهيلاً لمثل هذا اليوم . فقال لهُ جزاك الله عني خيرًا يابهروز فاني مضطرب البال من اجل عين الحياة اخاف ان يهرب بها الشاه روز اذا وجد نفسهُ غير قادر على الثبات وذلك بعد قتل الابشع ومتى فربها بالرغم عنها لا اعود اعرف ابن ذهب بها فابقى حزينًا واقع بصعوبة ثانية فاذهب واني انتظرك هذه الليلة الى اخر الليل . قال اني لا اغيب كثيرًا . ثم ان بهروز دعا اليهِ بدرفتات العيار وطارقًا والاشوب ولبس الجميع ملابس رجال كشمير وانطلقوا الى المدينة وكان الوقت اذ ذاك عند العشاء اي الساعة واحدة ونصف بعد الغروب وهو الوقت الذي تفرق فيهِ الاطعمة والماكل على النساء وغيرهم من مطابخ الملك وعند وصول بهروز دعوهُ لياخذ طعام النساء مع الحاضرين لانهُ كان فعل ذلك مرتين قبل تلك الليلة فتقدم وقال للعشي الاكبر ان معي رفاقًا اتيت بهم يحملون الباقي وعند العودة نطعمهم ما يفضل من فضلات الاطعمة لانهم فقراء الحال فقال لهُ اذهب الان واذا بقي شيئًا اطعمتك واطعمتهم . فرفع طارق الطعام على راسهِ ومثلهُ فعل بدرفتات والاشوب واما بهروز فانهُ اخذ سلة الخبز وسار امامهم وساروا هم من ورائهِ لا احد يعرفهم ولا يظهرون لاحد حتى بعدوا عن قصر الملك وتوسطوا الطريق وفي الحال اخذ بهروز كتابًا كان قد كتبهُ الى عين الحياة يقول لها فيهِ ان داخل احد الارغفة ورقة فيها دقيقًا من البنج فبعد ان تاكلوا وتشبعوا من الطعام رشوا من هذا الدقيق فوق الباقي وقدموهُ للحراس لياكلوهُ وبعد ان يقعوا الى الارض انزعوا عنهم ثيابهم والبسوها واخرجوا من القصر حالاً ونحن على انتظاركم في جهة قصر طيطلوس الحكيم لنسير بكم من هناك الى جيوش الفرس حيث ان سيدي فيرورشاه بانتظارنا هذه الليلة ولا ينام الى ان نعود اليهِ . فوضع بهروز الكتاب ضمن رغيف من الخبز واطبق عليهِ ووضع ايضًا ورقة الدقيق في رغيف اخر واعادهُ كما كان بحيث لا يعرف الا عند فتحهِ . وبعد ذلك داوم المسير حتى وصل الى القصر القائم فيهِ النساء فصاح بصوت عالٍ ليسمعهُ من في الداخل هلموا ايها الحراس وخذوا الطعام منا الى النساء وكان صوت بهروز معروفًا من عين الحياة جيدًا فوقع في اذانها وتاكدتهُ حق التاكيد وعرفت انهُ هو الذي جاء بالطعام وقدحت فكرتها الى معرفة الحقيقة وقالت لنمرناج ان صح حدري يكون بهروز العيار قد دبر طريقة لخلاصنا ونجاتنا من يد الاعداء لاني سمعت صوتهُ الان آتٍ بالطعام وما قصد ذلك الا ليسمعنا من الداخل غير اننا لا نعرف كيف تكون الطريقة ومن اللازم ان نكون على انتباه . فقالت نورز وجة طيطلوس لا ريب ان بهروز يكتب كتابًا يبعثهُ الينا يعلمنا بهِ ماذا نعمل وعلى الاكثر يضع الكتاب داخل رغيف من الخبز فلننتبه كل واحدة منا

الى ذلك

وفي ذاك الوقت دخل الحراس بالطعام الى النساء وقدموهُ لهن وخرجوا ينتظرون فراغهن من الاكل ليأخذوا الباقي ويأكلوهُ وبعد خروج الحراس اخذت كل واحدة تنظر في الخبز فوجدوا الرغيفين المشقوقين ففتحوهما ووجدوا ان فيهما المكتوب وورقة الدقيق فاخذت عين الحياة المكتوب وقرأتهُ وعرفت ما بهِ واعلمت حماتها وباقي النساء ففرحن جميعًا وشكرن عمل بهروز واكلت كل واحدة قليلاً من ذاك الطعام ليمدنهُ كثيرًا وبعدان فرغن من الطعام اخذت عين الحياة ورقة الدقيق وذرتهُ على وجههِ ومزجتهُ فيهِ وبعد ذلك دعت الملكة تمرتاج بالحراس وقالت لهم ارفعوا الطعام وكلوهُ فقد اكتفينا منهُ فسرَّ الحراس بذلك ونظروا ان الطعام كثيرًا فظنوا انهن غير جائعات فجلسوا للطعام الى ان فرغوا منهُ ولم يبقوا شيئًا وبعد ذلك وقعوا الى الارض كالاموات من ثقل البنج وفعلهِ في رؤوسهم وعندما تأكدن حالتهم نهضت عين الحياة وانوش بنت الشاه سليم لانهما كانتا اشد قلبًا من الجميع وتقدمتا من الحراس ونزعتا ثيابهم الخارجية ودفعتاها الى النساء زوجات الامراء فلبستها ولبست عين الحياة وانوش كل واحدة ثوبًا وخرجن في الحال وقلبهن مملوءة من الفرح وثبت عندهن الخلاص واملن بالوصول الى معسكرهن وان تجتمع كل واحدة بزوجها ويروق لهن الوقت بعد ذلك. وما مشين الا القليل حتى وصلن الى قصر طيطلوس فراهن بهروز وعرفهن وعرفهن بصوتهِ فتقدمن اليهِ فاخذهن وخرج من الاسوار المتهدمة وذهب من هناك وقد امن من ان يراهُ احد وسترهُ ظلام الليل ودام بالمسير والعيارين والنساء من خلفهِ الى ان وصل الى معسكر الفرس فعرفهُ الحراس بنفسهِ ودخل مطمئنًا مرتاحًا بنجاح عملهِ وفوزهِ ورجوعهِ بعين الحياة زوجة فيروز شاه وتمرتاج والدتهِ وباقي نساء الامراء من بنات الملوك. ولما وصل الى صيوان فيروز شاه فدخلهُ واذا بهِ قائمًا على الانتظار. فدنا منهُ وقال لهُ بشراك ياسيدي بقدوم مولاتي عين الحياة ووالدتك تمرتاج الملكة فسرَّ فيروز شاه ونهض مسرعًا الى باب الصيوان فوجد النساء وهن بصفة الرجال فلم يعرفهن في البداية الا بعد ان دخلن الصيوان وتبينهن على نور المصباح ولما وقعت عينهُ على عين الحياة ووقعت عينها عليهِ لم يعد يتمالك احدهما نفسهُ فهجما على بعضهما وتصافحا وسلما سلام الاحباب بعد الغياب وكذلك دنا من والدتهِ فقبل يديها وقبلتهُ وهنأ باقي النساء بالسلامة فشكرنهُ واثنين عليهِ وهنأنهُ ايضًا بالسلامة والرجوع سالمًا

وبعد ان انتهوا من السلام بعث فيروز شاه العيارين تخبر الفرسان والابطال والوزراء بوصول النساء اليهِ فاسرعوا الى صواوين الملوك والشاهات واخبروهم بان زوجاتهم موجدات في صيوان فيروز شاه واسرع الجميع الى تلك الجهة وانتشر الخبر عندهم بخلاص النساء فكان فرحهم لا

بوصف وجاءوا صيوان فيروز شاه وكلما دخل الصيوان واحد سلم على زوجته وعلى الجميع حتى احتشد الصيوان بسائر الامراء والاعيان ما خلا الملك بهمن فانهُ لم يحضر فشغل الفكر بسببهِ ولا سيما فكر عين الحياة فانها كانت بانتظاره مشتاقة اليهِ تحب ان تراهُ وتشاهدهُ . ولما لم يحضر اراد فيروز شاه ان يرسل يسال عنهُ ويستدعيهِ واذا ببدرفتات العيار قد دخل ومن خلفهِ شمس بنت الملك جهان وهي باكية نائحة فاضطرب الجميع ولاسيما فيروز شاه فانهُ حسب حساب المصائب وخاف من وقوعها وهم بتلك الاحوال فنهض ونقدم مستفسرًا عما جد فقال لهُ بدرفتات اني توجهت الى صيوان سيدي الملك بهمن فوجدت الحراس قائمون عنده على حالتهم فتقدمت الى جهة الباب وفي ظني ان الاشوب قائم هناك حيث اوصيناه هذه الليلة بالمحافظة والانتباه فلم ارهُ فخفق قلبي وفتشت عليهِ واذا هو ملقى الى الارض فرفعتهُ وتبينت من حالتهِ انهُ غائب بمفاعيل البنج وحسبت وقوع امر جديد فدخلت الصيوان على غير انتباه ودون ان انتظر الاذن من الملك وان كنت اعلم انهُ نائم عند زوجتهِ الا اني قلت بنفسي ما بنج الاشوب الا الاعداء وما القصد بذلك الا سيدي الملك بهمن وهكذا كان فاني عند دخولي الى الداخل وجدت مولاتي شمس مبنجة غائبة عن الوجود وهي في فراشها ولم ارَ اثرًا لسيدي الملك فثبت عندي ما توهمتهُ واسرعت فايقظت الاشوب وسالتهُ عن الخبر فلم يعرف قط السبب الذي اوجب لذلك ولا اين ذهب الملك بل يعرف انهُ تركهُ بالداخل مع زوجتهِ وكان هو قائم عند الباب لحراستهِ فايقظت بعد ذلك سيدتي شمس وسالتها اذا كانت رات احدًا او جاء الملك احدًا فلم تفدني بشيء حيث نام من حين اتيانهِ ونامت هي ايضًا ولا تعرف بعد ذلك ماذا جرى ولما اكثرت من البكاء اتيت بها الى هنا واخبرتها بقدوم مولاتي عين الحياة وسيدتي الملكة تمرتاج وباقي النساء . فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام زاد اضطرابهُ وصاح يا للمصيبة ويا للعار ايسرق ملك الفرس ونحن موجودون ولدينا من العيارين ما لا يوجد مثلهم في هذا الزمان واننا ما فرحنا بقدوم نسائنا حتى تكدرنا كدرًا عظيمًا بغياب ملكنا . فهيا تفرقوا في كل انحاء الجيش واسالوا عنهُ وهل راى احدٌ احدًا او شاهد غريبًا او قريبًا خارجًا من الخيام الى غير جهة فاجاب وكانوا قد تكدروا مما سمعوا من بدرفتات وكذلك النساء وباقل من ساعة من الزمان انتشر الخبر في كل المعسكر واضطرب الجميع لهُ وما منهم من يعرف كيف كان وقوع هذا الامر ومن الذي جاء وانتشل الملك من بينهم

قال وكان السبب في غياب الملك ان واظين عيار الابشع الذي نقدم ذكر خبره بان سيده اوصاه بالذهاب الى معسكر الفرس يكتشف لهُ على احوالهم ويحدث فيهم مكدرًا فانهُ لبس ملابس عياري الفرس واتقن الصنعة حتى صار من يراه لا يشك الا بانهُ من عياري العجم وكان

اقرب الناس الى بدرفتات العيار ولذلك كان كل من راه من الاعجام يتوهم انهُ واحد منهم وانهُ بدرفتات فلا يهتم بهِ ولا يحسب منهُ حتى جاء صيوان الملك فوجد الحراس قائمون بعيدون عنهُ يحرسونهُ من كل جانب وكان بين الحارس والحارس مسافة اذرع فدنا من احدهم وسلم عليهِ فعرفهُ انهُ بدرفتات فقال لهُ ماذا تريد قال اني اريد في هذه الليلة ان اذهب الى المدينة لقضاء بعض مصالح وقد اوصاني سيدي الملك ان انتخب بعض حراسهِ بطريقة سرية حيث مرادي ان اسطو على الملك الابشع او اخلص الملك ضاراب فكن على حذر وساعود اليك لتسير معي فاكتم الامر فان شغلاً عظيماً مهماً ساعون بهِ . قال اني لا اخالف امر الملك وتراني بانتظارك يامولاي هنا فدخل واظين يتلبد ويتلصص حتى انتهى الى باب الصيوان فراى عندهُ الاشوب جالساً يتثاوب ولم يرَ غيرهُ فعرف ان باقي العيارين غائبون من هناك فاسرع الى قطعة من البنج اشعلها ورماها امامهُ وهو غافل نعسان فخرج الدخان الى انفهِ وفي الحال وقع الى الارض كالمائت وراى ذلك واظين ففرح وجاء باب الصيوان والقى قطعة ثانية من البنج وصبر الى ان احترقت وذابت فدخل وراى الملك بهمن نائماً الى جانب الملكة شمس فانبهر من جمالها وشغل خاطرهِ بها واراد ان يحملها مع الملك بهمن ولكن افتكر انهُ وحدهُ ولا يمكن ان يترك الحارس ان يساعده بالحمل خوفاً من ان يطلع على الدسيسة ويعرف باطن الامر ولذلك حمل الملك على عاتقهِ بعد ان لفهُ بجرندانهِ كي لا يظهر للحارس ولا يعرف ما هو ومشى الى جهة الحارس فوجده مكانهُ فقال لهُ سر امامي وارقب لي الطريق اذا كان احد يرانا بعد خروجنا من المعسكر فسار امامهُ وهو يتبعهُ والحارس لا يعرف ما يحمل وهو يظنهُ بدرفتات العيار وداما الى ان خرجا من المعسكر وتوسطا الطريق وهناك وقف واظين وقال للحارس اصبر قليلاً فاني تعب واريد ان ارتاح قبل وصولنا الى معسكر السودان فاجاب الرجل طلبهُ ووقف فوضع الملك الى الارض ونقدم من الحارس واستل خنجرهُ فضربهُ بهِ في صدره القاه مائتاً الى الارض وعاد الى الملك فحملهُ وسار الى معسكر قومهِ ولما راهُ الحراسون اعترضوهُ فعرفهم بنفسهِ ودخل الى الداخل وسار حتى وصل الى الملك الابشع فايقظهُ من نومهِ ودفع اليهِ الملك بهمن وحكى لهُ كل ما توقع لهُ ففرح الابشع بعملهِ وقال لهُ حسناً فعلت ولو انيت بزوجتهِ لكنت استحققت الثناء الكثير فاني اريد ان اخذها لنفسي وابقيها الان مع النساء لانها بنت ملك الصين . قال سوف اتيك بها بعد ايام بينما يغيب عن ذهنهم غياب ملكهم لانهم لا يعرفون كيف كان غيابهُ . قال لا باس فاني في الغد او بعدهُ ابدد شمل الاعداء واستولى على هذه الصبية بالقوة واتخذها زوجة بالرغم عن كل انسان والان ارى ان من الضرورة ان ابعد من هنا الملك بهمن واريد في الصباح ان نسير بهِ الى الضاريء الاسود في داخل بلاد الحبشة ونسلمهُ اياهُ ليبقى هناك عنده الى حين

ارسال خبر مني اليهِ فوعدهُ واظين بالاجابة وانهُ يستعد للسفر بالملك بهمن من تلك الساعة وفي الصباح يبارح ايران قاصداً بلاد الحبشة

وعلى هذا كان سبب غياب الملك بهمن دون ان يعلم بو احد في تلك الليلة و بسببهِ وقع على الغرس الخيبة والفشل وتكدروا الكدر العظيم واعهدوا العيارين الاطلاع على امرهِ والبحث عنهُ ليعرفوا ابن اخذ ومن الذي اخذهُ ورأت عين الحياة نفسها ان الحزن لايزال يتبعها من مكان الى مكان وان النحس يرافقها فلا يريد مفارقتها فانها كانت تظن من نفسها انها تلاقي زوجها وابنها بوقت واحد وثبت لديها كل الثبوت ان لولا نحسها لما فقد ولدها كي لاتكون مرتاحة وليبقى فكرها مشغلاً وقلبها مضطرباً وكلها حزينة واما شمس فانها لم تكن عرفت قبل ذلك الحين بوقوع المصائب ولا اصيبت بمثل هذه المصيبة ولذلك تاثرت تاثيراً عظيماً واشتدت عليها الحال وخافت من ان يلحق الملك بهمن امر مكدر يلقي بها الى اليأس وقطع الرجاء وهي في اول عمرها وصباها غير انها كانت تخفي حزنها حياء من النساء ومن حماتها عين الحياة وكن جميعهن يتعجبن من جمالها وحسنها الباهر وفرط آدابها وكمال صفاتها ورأى الجميع انها عين الحياة بنفسها

ولما كان الصباح نهض الابشع من فراشهِ وقبل ان يركب جوادهُ وصل اليهِ الخبر من المدينة بغياب النساء من القصر وان الحراس وجدوا جميعهم مبنجين واقعين على وجه الارض وثيابهم منتزعة عنهم وما فيهم من يقدر ان ياتي حركة ولم يروا داخل القصر الا الاثار والدلائل فقط . فاغتاظ الابشع من هذا الخبر وتكدر مزيد الكدر وقال ان هذا من اعجب العجائب ان الحراس اكثر من عشرة انفار كيف يقدرون على اخذ النساء من بينهم وضياعهم جميعاً ولا بد من ان العيارين الذين فعلوا ذلك يرجعون الى خلاص الملك ضاراب ولذلك اريد ان تراقبوهم كل المراقبة وتكثروا من الحرس على الملك ضاراب وارسل من قبله من يحفظهُ ويراقب حالة كل من ياتي الى جهة المكان القائم فيهِ وبعد ذلك ركب جوادهُ ونقدم الى ساحة القتال وعقلهُ يشغل عند زوجة الملك بهمن وقد اشتد عليهِ عشقهُ بها لوصف واظين وكلامهِ عنها وهان عليهِ كل صعب وفكر بنفسهِ انهُ بذاك النهار يبارز الاعداء ويقتلهم جميعاً ويحط على الفرس فيبددهم وينال غايتهُ ويرجع النساء ايضاً الى اسرها . واما الشاه روزفانة فلقي مزيد القلق لغياب عين الحياة ورجوعها الى زوجها وشعر من نفسهِ بصعوبة امرهِ وبعد نوالهِ غايتهِ وخاف من فيروز شاه وركب الى جانب ابيهِ وقال لهُ اني ارى ان ضميري يحاربني ولا يريد ان يغشني وقلبي يخبرني ان فيروز شاه سيقتل الابشع ويصعب علينا بعد ذلك القيام بهذه البلاد ولا سيما ان فيروز شاه اصبح يحب الانتقام منا فاذا قتلهُ قتلنا لامحالة وانزل علينا ويل

غضبهِ وكدرهِ . قال اني ساوصي رجالي وقوادي انهم متى رأوا الابشع قتيلاً رجعوا في الحال عن ساحة القتال وطلبوا الفرار والبعد عن هذه الديار فنجوا بانفسنا ونذهب الى بلاد الحبشة فنسكن هناك ونترك بلادنا لغيرنا بعد ان ناخذ منها كل ما يخصنا وما نافع لنا وهكذا اعتمد الاب والابن على الهرب وهما يرجحانهِ على نوال المراد وبلوغ الغاية ولا سيما ان الشاه روز فانهُ كان شاهد اعمال فيروز شاه في تعزاء اليمن ورأى فعلهُ بببروز وميسرة وتفريق عساكرهما وهو طفل صغير لم تحنكهُ الايام ولا حضر وقائع حرب عظيمة

وكان الفرس قد ركبوا واصطفوا في جهتهم وكلهم ينتظرون عمل ذاك النهار لعلمهم ان بهزاد سيقاتل الابشع ولا بد من ان احدهما يقدر على الاخر ويهلكهُ وكان فيروز شاه خائفاً كل الخوف على بهزاد ولذلك جعل مركزهُ قريباً منهُ حتى اذا راهُ يحتاج الى المساعدة ساعدهُ واما بهزاد فانهُ اعتلى فوق جوادهِ وتقلد بسلاحهِ وسقط الى الوسط وصال كجاري عادتهِ وجال يميناً وشمالاً وطلب مبارزة الابشع فما اتم كلامه حتى خرج الابشع من بين قومهِ كانهُ الطود العظيم وتقدم الى جهتهِ وكانت هيئتهُ مرعبة مخيفة تجفل منها الابطال وقد افرغ عليهِ في ذاك النهار من راسهِ الى قدمهِ الحديد الثقيل العيار واخذ عمدهُ الطويل الثخين الذي يبلغ ثقلهُ الف واربعمائة منّ لا تحملهُ العفاريت ولا مردة الجان ونقل بيدهِ طارقة سميكة ثقيلة لا يقدر احد غيره على حملها ولما صار امام بهزاد كاد يغطيهِ بظلهِ وقال لهُ ويلك ايها الايراني لقد قتلت ابطالي وفرساني وما حسبت لي حساباً الا تعلم اني كنت ساكتاً عنك احتقاراً بك حتى دعوتني بالرغم عني الى نزالك لانتقم منك لابطالي الذين قتلتهم فقال لهُ بهزاد اني ما كنت اقصد قتالهم بل كان قصدي انت منذ الاول فامتنعت ولم تجسر ان تنزل اليَّ حتى وقع ما وقع مني عليهم والان قد جئت اليَّ لانهي امرك واريح الناس منك وسوف تعلم منا من الخاسر ومن الرابح . فغاظ هذا الكلام الابشع وانحذف على بهزاد فالتقاه بقوة قلب وفؤاد واخذ معهُ في الحرب والطراد وكان يعرف صعوبة مركزه ولذلك كان ينتبه الى نفسهِ كل الانتباه من ان تصل اليهِ ضربة من ذاك العمد على غير استعداد لها فتسحقهُ وتميتهُ وكان كاللولب يخطف من جهة الى ثانية ومن ناحية الى اخرى والابشع يصول عليهِ كانهُ الغول وهو يود انهُ يتمكن منهُ بضربة فيقضي عليهِ فلم يتسهل لهُ ولا قدر ان يصل اليهِ حتى تحير من قتالهِ وتعجب من اعمالهِ وعرف انهُ فارس شديد وبطل صنديد وانهُ كان بخطاء من جهة فكرهِ بهِ ودام معهُ على اشد قتال واعظم نزال والارض تهتز من تحتهما كما تهتز الاغصان من عواصف الرياح والاذان تصم عند سماعها ما يخرج منهما من الصراخ والصياح . والغبار يعلو عليهما من كل ناح وداما على مثل ما تقدم الى ان انقضى اكثر النهار ومالت الشمس الى جهة الغروب . واذ ذاك صاح الابشع والغيظ يمزق

احشاءهُ ويلك ايها المسخ الصغيران هذه الحالة لاتنول احدنا مراده وكنت اظن اني بساعة واحدة اقتلك وانهي امرك حتى رايت منك ما رايت فاستصغرت نفسي ولم ارَ وسيلة اقرب الى الملاك وقضاء الامر من المضاربة بالعمد ان كل بدوره وبذلك يكون انصف احدنا الاخر وعرف القوي من الضعيف . فقال لهُ بهزاد افعل ما شئت فاني مجيبك الى ما تطلب واضرب عوض الثلاث ثلاثين فاني لا احسب لك حساباً قال اضرب انت اولاً . قال حاشا لي من ذلك فلا افعلهُ وما سبق ان كان الفرس الا اسبق من غيرهم بالانصاف . فاضرب اولاً ثم اعود انا فاضرب ثانيًا . وكان بهزاد مشغل الفكر من جهة ثباتهِ امام عمد خصمهِ كما كان الابشع يركن الى نفسهِ كل الركون بانهُ يقتل بهزاد من ضربة واحدة بحيث يتمكن منهُ و بضربةٍ بتانٍ و بعزم

وحينئذٍ اجاب الابشع طلب بهزاد وقال لهُ اثبت الان مكانك واستعد لضربي واخذ العمد بيدهِ واداره بالهواء و رمهُ ثلاث برمات ورفعهُ الى اعالي السحاب وسقط بهِ يهوي بما اعطاهُ الله من القوة والمقدرة فسمع لسقوطه دوي ورعيدورات جيوش الفرس سقوط العمد فصاحت عن افئدة خائفة تدعو الله الى مساعدة فارسهم ونجاتهِ من هول تلك الضربة واما بهزاد فانهُ استعد لملاقاة الضربة غاية الاستعداد وتحذر كل التحذر منها وقبل ان تصل الى طارقتهِ دفع العمد ليف من ثقلهِ فصدر عن ذلك قرقعة وصوت اشبه باصوات الرعود القواصف عند اشتدادها ونظر الابشع الى ما تحت العمد واذا بهِ يرى خصمهُ واقفًا على حالهِ فغاب صوابهُ وعميت عيناهُ وتعجب كل العجب من قوة بهزاد واشتداد عزمهِ فصاح بهِ بهزاد وقال لهُ اكمل ضربك واستعد لموتك فاليوم يوم اجلك وكان قد شعر بخدر في زندهِ لعظم تلك الضربة الا انهُ لم يقبل ان يظهر على نفسهِ بل تجلد وقال في نفسهِ لا بد بمساعدتهِ تعالى ان احمل ثقل الضربتين الباقيتين ومن ثم يعود الدور لي . وبعد ذلك رفع الابشع يده بالعمد ثانية وارسلهُ الى طارقة بهزاد فوقع عليها كالاولى وزاد تخدر يد بهزاد وشكر الله على نجاتهِ من تلك الضربة وصبر ينتظر الثالثة والابشع لا يعلم بما هو عليهِ بل ما كان يراه منهُ من الفرح وعدم الاكتراث يغيظهُ ويخيفهُ من ان تذهب ضرباتهُ سدى دون نتيجة ودون ان ينال مرادًا من خصمهِ . ولذلك قام في عزم ركابهِ وبذل كل قوتهِ ورفع يدهُ بالعمد ثالثة وضرب بهِ بهزاد وهو مستتر بالطارقة فلقوة الضربة وثقل العمد وضعف زند بهزاد من جرى الضربتين السابقتين انثنت يده عند وقوع الثالثة بالرغم عما بذل من المدافعة واشتداد العزم ولذلك ضربت الطارقة على الخوذة وسمع لها صوت ثقيل فاراد فيروز شاه ان يسرع الى نجدتهِ واذا بهِ يراه كما هو وقد اطلق لجوادهِ العنان ذهابًا وايابًا فشكر الله سبحانهُ وتعالى على سلامتهِ من تلك الضربة العظيمة التي لم يرَ مثلها قط من انسان وخلاصهِ من دور خصمهِ واصبح ينتظر خلاصهُ بدوره وكانت الشمس قد قاربت الزوال وعلا

وجهها الاصفرار

ثم ان بهزاد بعد ان شعر من نفسهِ بالسلامة فرح غاية الفرح وامل بالفوز فصاح بالابشع وهو غائب عن هداه وقال لهُ استعد فقد جاء دوري فالوقت قصير ولا اريد ان ارجع عنك وانت حيٌّ فقال لهُ افعل ما انت فاعل ثم ان بهزاد استل سيفهُ ولعب بهِ بالهواء وتمطى بركابهِ وضرب الابشع بهِ وفي ظنهِ انها تصيبهُ او تقطع طارقتهُ كما وقع منهُ على غيره فلم يفعل شيئًا بل استتر من الضربة بالطارقة واضاعها بمعرفتهِ وحينئذٍ ضرب بهزاد الثانية والثالثة والابشع يتلقى الضراب بمعرفة وهو يكاد ينشق من الغيظ كيف ان خصمهُ يرجع سالمًا من بين يديهِ ولما راى فيروز شاه ان ضربات بهزاد قد ذهبت سدى وعرف انهُ ليس من رجالهِ وانهُ لا ينال منهُ مرادًا ولذلك امر بضرب طبول الانفصال لما راى الظلام اعتمد على التقدم هازمًا جيوش النهار . وللحال رجع كل واحد من المتقاتلين من ساحة القتال وكان رجوع بهزاد على تلك الحالة ثقيلاً عليهِ مخجولاً من نفسهِ لانهُ من حين يقاتل الابطال ويطاعن الفرسان لم يرجع قط خائبًا ولا نجا من بين يديهِ فارس فضلاً عن انهُ في هذه المرة وقع بالغلبة مع خصمهِ ولاقى ما لا يظن انهُ يلاقيهِ وبعد ان ذهب الى صيوانهِ وارتاح قليلاً واكل الطعام وجد من نفسهِ تعبًا فعزم ان لا يذهب الى صيوان فيروز شاه في تلك الليلة فاقام الى ان جاء بدرفنات فقال لهُ ان سيدي فيروز شاه يدعوك اليهِ فنهض وسار وهو من الحياء على جانب عظيم ولما دخل الصيوان اطرق راسهُ الى الارض ولم يقبل ان تقع عينهُ على احد من الفرسان فنهض اليهِ فيروز شاه وقبلهُ بين عينيهِ وقال لهُ لما هذا الخجل بعد الفوز والانتصار وقد عرف جميع رجال العالم انك فارس هذا الزمان وواحده وان ثباتك في وجه من هو مثل الابشع شجاعة لا نقاس بها شجاعة ولا يمكن لاحد لا من الانس ولا من الجان ان يحمل مثل هذا العمد ولا ان يحتمل ثقل ضرباتهِ والحق يقال ان خصمك هو مارد قوي ولا بد ان نلاقي صعوبة عظيمة في قتالهِ وحربهِ ونزالهِ واذا لم تساعدنا عليهِ العناية نغلب لا محالة . فقال بهزاد انهُ كان يهون عليَّ ان الاقي الموت من يدهِ من ان ارجع سالمًا دون بلوغ غرض منهُ . ومع كل هذا فاني اعترف انهُ قوي العزم والحيل لم الاقِ زماني بطولهِ فارسًا مثلهُ ولا بطلاً نظيره . فقال فيروز شاه لا بد من ان ابرز اليهِ في الغد واجرب نفسي معهُ وعلى الله الاتكال بقتالهِ . فقال طيطلوس اعلم يا سيدي ان الابشع لا يقتلهُ الا انت لانك مسلط على هذه العائلة وكما قتلت اخوتهُ تقتلهُ ولا يلام بهزاد على ما لاقى اليوم لان منية الابشع على يدك لا على يدهِ ولذلك لم يفز بالمطلوب وهذه غايات الله سبحانهُ وتعالى يميت من يشاء ويحيي من يشاء ويوم الغد هو اليوم الاخير . وهكذا صرف الفرس السهرة بذكر الابشع وبسالتهِ وعند انقضاء السهرة انصرف كل الى صيوانهِ للنوم ينتظرون الغد

ليروا قتال الابشع مع سيدهم فيروز شاه

وانصرف اردوان مع شيرزاد وقال له اني اعرف حق المعرفة ان فيروز شاه سيقتل الابشع في يوم الغد واذا قتل الابشع هربت رجال السودان والاعجام الذين معهم من قوم كندهار ولذلك اريد ان اذهب واياك مع قومنا في طريق المدينة من الجهة الثانية ونربط هناك حتى اذا فرّ احد اعدمناهُ الحياة ولا نترك احدًا ينجو من هذه الديار فتبينوهم عن اخرهم . قال حسبنًا فكرت واني ساستعد بقومي للمسير وعند الصباح نركب الطريق ونقطع على السودان سبيل فرارهم وبعد ان اتفقوا على ذلك دخل كل الى صيوانهِ ونام الى الصباح وعند الصباح نهض اردوان وشيرزاد وذهبوا الى تلك الطريق التي اشارا اليها واقاما عليها ينتظران ما يكون من امر الابشع وفيروز شاه

واما الابشع فانهُ بعد رجوعهِ من ساحة القتال ودخل صيوانهِ والارض لا تسعهُ من عظم ما لحق بهِ من الفشل كيف يتخلص بهزاد من بين يديهِ وهو لا يقدرهُ بذبابة بالنسبة اليهِ وكان ذلك يهيج النار في فؤاده كل الوقت ولا احد يجسر ان يكلمهُ او يدنو منهُ او يسالهُ عن حالهِ ولم يقبل هو ان يكلم احدًا وقد عرف حق المعرفة ان بهزاد في الغد لا ينزل اليهِ وان لا بد لفيروز شاه ان ينازلهُ وكان يحسب ويقدر في ذهنهِ ان فيروز شاه اشد من بهزاد عزمًا وجنانًا واثبت في مواقف الحرب ويقول في نفسهِ ان كان بهزاد قد فعل ما فعل ولم اقدر ان انال منهُ مرادًا النهار بطولهِ فكيف اقدر على فيروز شاه الذي يقال بانهُ ثابت العزم قوي البنية شديد البسالة اكثر من كل رجال الفرس . وصرف اكثر تلك الليلة على مثل هذه الحالة الى ان كان الصباح نهض من فراشهِ وتقلد بسلاحهِ وافرغ الحديد عليهِ وامر ان يقدم اليهِ فيلهُ فركبهُ ورفع الطارقة على عاتقهِ وعلق العمد بالفيل وتقدم مع عساكره الى الامام بينما كانت عساكر الفرس تتقدم وتصطف في مواقفها وتترتب بحسب عادتها . وامر فيروز شاه فرخوزاد وسيامك سياقبا ان يدخلا المدينة برجالهما ويهجما على من فيها عندما يشاهدان وقوع القتال واشتباك الابطال ويسرعان الى خلاص ابيهِ والملك بهمن اذا كانا في المدينة ثم ان فيروز شاه نظر الى الابشع فوجده قد توسط الميدان وهو يصول ويجول ويتهب الساحة بفيلهِ من العرض الى الطول ولذلك خرج من بين عساكره على جواده الكمين المسرج بالسرج المذهب والمرصع بالحجارة الكريمة فياخذ العقول وبين يديهِ بهروز العيار وهو يقفز كالغزال ويدور من حول الجواد

قد انتهى الجزء الثالث والعشرون ويليهِ الرابع
والعشرون عما قليل ان شاء الله

الجزء الرابع والعشرون

من قصة فيروز شاه ابن الملك ضاراب

كاللولب السريع الدوران

ولما وقف فيروز شاه مقابل الابشع شخصت نحوهما كل عين وتمنت الفرسان ان تعرف ما يكون بينهما فتقدمت الى الامام عالمة انهما من اشد جبابرة ذاك الزمان . واما فيروز شاه فانه صاح بالابشع وقال لهُ ويلك ايها الجاني على نفسك لقد ساقك القدر الى الممات لتذوق في هذا اليوم مني شرّ ما جنت يداك بهجومك على بلادي وتعديك على اجنادي واسرك ابي واهانتك لهُ مع انهُ لم يهن قط بطول الحياة فقال لهُ الابشع اني ما اتيت هذه البلاد الا لاتركها خرابًا واقتل كل معاند فيها واجعلها تابعة لحكم الزنوج وقد تسهل لي ذلك من اقرب طريق ونلت ما انا طالبهُ ولم يبق عليَّ الا تفريقكم وهذا سهل عليَّ جدًّا حيث اني مزمع في هذا اليوم ان اقتلك واعدمك الحياة وبعد هلاكك لا يبقى قط احد سواك يقدر على الثبات امامي لان بهزاد قد لاقى في الامس مني ما اضعف عزمهُ والقى الخوف والرعب في قلبهِ . ثم ان الابشع بعد ذلك حمل على فيروز شاه فتلقاه بعزم يزيح الجبال وفواد يقد الحديد واخذ معهُ في المجاولة والمطاولة والمراوغة وقد اشهرا بايديهما السيوف الحداد وتضاربا مضاربة الاساد وتفننا بسائر فنون الحرب والطراد . ففتحا الابواب واقفلاها . واظهرا العجائب بالحرب الى منتهاها . وكل منهما ينحط على خصمهِ انحطاط البواشق . وينقض عليهِ انقضاض الصواعق . يؤمل منهُ نيل المراد والمقصود . وان يلقيهِ مقهورًا مكمود . وكانا ككفتي ميزان . او كفرسي رهان . كيف مال الاول مال الاخر عند الجولان . وداما على مثل هذا الشان . تحت صليل ثقل السيف الرنان . لا يتمكن احدهما من الاخر بضربة واحدة ولا يرى لهُ من دهره عليه معاضدة ولا مساعدة وقد راى فيروز شاه ان خصمه بطلاً شديدًا وفارسًا صنديدًا يزيد على طومار الدرهم قنطار . فاظهر كامل ما عنده من فن الحرب . ومن سرعة الطعن والضرب . حتى اضطرب الابشع اي اضطراب ووقع في قلبهِ الخوف والارتهاب . واخشى من ان لا ينال المقصود من فيروزشاه فيرجع من بين يديهِ سالمًا كما رجع بهزاد وكان يظن في نفسهِ ان لاحد من فرسان الفرس ولا غيرهم من العالم يقدر ان يقطع الحديد الذي عليهِ لكنهُ كان يخاف من رجوع منازلهِ سالمًا او من ان يتمكن من اسرهِ اذا كان اشد حيلاً واقوى ساعدًا منهُ . ولذلك اراد ان يعود الى المضاربة

بالعمدان عساهُ ينال منهُ المراد او يحل بهِ الضعف كما حل ببهزاد. فيهجم عليهِ بعد ذلك ويفعل بهِ ما اراد. وعليهِ فقد صاح مهلاً ايها الملك العظيم لقد اعجبني قتالك وسرني نزالك حتى التزمت ان اشهد لك بانك من اشد الفرسان الذي جمعني وإياهم الميدان. غير ان الحالة التي نحن عليها لا تاتي بالمقصود ولو صرفنا العمر بطولهِ فاذا شئت اضربني بسيفك او عمدك ثلاث ضربات فاضربك مثلها حتى من كان منا اشد ساعداً واقوى حيلاً نال من خصمهِ ما تمنى. فاجاب فيروز شاه اني اعرف ان بذلك الانصاف والعدل وعليهِ فاني اجيبك فاضرب انت اولاً ومن ثم اضرب بدوري. فوافق الابشع ذلك واخذ بيده العمد ورفعهُ الى ما فوق راسهِ بقوة وعزم متين وسقط بهِ يهوي وعموم الفوارس تنظر اليهِ وتشخص في اذهانها مقدار ثقلهِ وعظم وقوعهِ حتى انتهى الى طارقة فيروز شاه واندفع الى الوراء عدة اذرع كانه اندفع بقوة الصواعق ولاجلهِ وقف الابشع باهتًا متحيرًا غائب العقل فاقد الحس كيف ان فيروز شاه قدر على حمل مثل هذه الضربة وليس فقط بل دفعها بقوة تفوق قوتهِ وقوة ثقل عمده كانهُ سبلة من حشيش

وراى فيروز شاه حالتهُ وما هو عليهِ فصاح بهِ وقال لهُ لما هذا التواني اهل عجزت عن اكمال ضربك او وقع بزندك الخدر حتى ما عدت تقدر على رفع العمد وحملهِ فلم يبدِ الابشع كلمة واحدة ولا اجاب بكلمة ولكنهُ اخذ العمد ثانية ورفعهُ وضرب بهِ فيروز شاه فصار بهِ كما صار بالاولى وبالثالثة اخذ بيده العمد وتمطى بالركاب وابدى كل جهلهِ وظن ان ربما يكون قد ضعف عزم فيروز شاه ولحق بهِ ما لحق ببهزاد فلا يقدر على حمل الثالثة بحيث يكون زندهُ قد تخدر من فعل الضربتين وراى فيروز شاه اشتداد حيلهِ واهتمامهِ بضربتهِ الاخيرة فوطى يدهُ بطارقتهِ الى ان كاد العمد يقرب منها ورفعها بسرعة وقوة حيل وكثرة خبرة فصدمت العمد وهزتهُ فافلت من يد الابشع ووقع الى الارض يملء نصف الساحة هذا والفرسان تنظره وتتعجب من عمل هذا البطل العظيم والفارس الجسيم الذي لا يوجد لهُ ثانٍ في ذاك الزمان ولا يثبت امامهُ لا انس ولا جان. هذا وفيروز شاه واقف يضحك ويظهر الاستهزاء بما وقع على الابشع من الانذهال. ثم خاف من ضياع الوقت فصاح بهِ وقال لهُ ان النهار قد ذهب نصفهُ ولم يبقَ منهُ ما يكفي لنهاية العمل واني عازم على ان اجلي عساكرك عن مدينتي في نفس هذا اليوم فاستعد لنفسك والقى ضربي فاني لا اضربك الا ضربة واحدة فاذا لم تفعل لا اعمد الى غيرها غير اني متاكد كل التاكيد انك لا تحتاج الا الى ضربة. وبعد ذلك تركهُ في مركزهِ واطلق لجوادهِ الكمين العنان ولعبهُ في ذاك المكان على اربعة اركان الميدان ثم عاد يخطف مثل الطائر اثناء الطيران وصافح الابشع وجهًا لوجه وشكم اللجام فجمد الجواد واذ ذاك صاح

فيروز شاه صيحة ادوت بها الوديان وصمت لها الاذان . وانتبهت اليها الفرسان بالعيان . وقال هاك ضربة من يد فيروز شاه . حبيب عين الحياه . ورفع السيف بيده وضرب برجليهِ الركاب فاندفع مستويًا الى ظهر الجواد وهو واقف كانهُ الجبل لا يتحرك قط ثم ضرب رجليهِ بظهر الجواد وعلا عنهُ عدة اذرع حتى صار فوق راس الابشع والسيف مسلول بيده ثم سقط بهِ يهوي وهو نازل معهُ بقوة عزم لم يسبق ان سمع بوجود مثلها بين بني الانسان وكان الابشع قد استتر من الضربة بطارقته وهو امين منها الا انهُ كان ماخوذ بعمل فيروز شاه وخفتهِ وعجيب اعمالهِ فلم يشعر الا والسيف قد وقع على الطارقة فقطعها نصفين ووقع بعد ذلك على الخونة ففعل بها فعلهُ بالطارقة ونزل من هناك طالبًا مداه وقد قسم الراس الى قسمين ونزل في العنق والصدر والجوف الى ما بين الرجلين فشطرها كلها الى شطرين مع ما عليها من الحديد ولم يضعف كل ذلك شدة فعلهِ بل سقط ايضًا الى ظهر الفيل فنزل بهِ ثلاثة اشبار

قال وشاهدت الفرس فعل سيدها فوحدت الله وشكرتهُ على ما اعطاه من القوة ووحدانية البسالة وصاحت كلها عن فرد لسان لا عدمناك يافارس هذا الزمان ووحيد الجبابرة والشجعان فبمثلك تفتخر رجال ايران وتباهي سائر الاقران . ورأى بهزاد فعل فيروز شاه فانبهر واندهش ووعب قلبهُ فرحًا واندفع على جيوش الزنوج يصيح وينادي بالنصر والظفر وتبعتهُ رجال الفرس من الكبير الى الصغير وكان فيروز شاه بعد هذا العمل لم يقف ولا استراح ولا بالى بنفسهِ بل اندفع في الحال الى جيوش الاعداء وصاح فيهم ويلكم قد جاءكم قضاء الله . من سيف فيروز شاه . فاستعدوا للموت والفناء . ونزول البلايا والعناء . واما السودان فانهم بعد ان راوا ما راوا من فيروز شاه وقع الرعب في قلوبهم وخافوا مزيد الخوف ولم يقدر احد منهم ان يمد يده الى الحسام ولا سيما بعد ان شاهدوا ملكهم قتيلاً ملقى على التراب فالوا اعنة خيولهم وطلبوا الهرب مفضلين النجاة على الممات فتاثرهم جيوش الفرس تضرب في اقفيتهم وتشفي غليلها منهم وكان كندهار والشاه روز اسبق الجميع الى الهرب لانهما كانا في مؤخرة المعسكر فعند الهرب اصبحا في مقدمتهِ وعليهِ فقد اسرعا في الجري وهما يوملان بالخلاص والنجاة مع من خلفهما من عساكرهما ورجال الزنوج وبقوا مسرعين في الركض الى ان بعدوا عن المدينة وساروا في طريق بلادهم واذا بالبطل اردوان كامن لهم هناك مع شيرزاد ابن خورشيد شاه ورجالهما فصاحوا عليهما وحملوا من كل الجهات واوقعوا فيهم السيوف الحداد وذبحوهم ذبح الاغنام ولم يتركوا سبيلاً لواحد منهم ينجو وقبضوا على كندهار والشاه روز وبقيوا على مثل ذلك الى ما بعد الغروب بساعتين حتى اشتفوا غليل قلوبهم واجروا الدماء كالغدران وملأوا الارض من جثث القتلى وبعد ذلك عاد اردوان الى جهة المدينة ليقدم كندهار وولده الى فيروز شاه

وكان فيروز شاه وباقي فرسان الفرس ورجالهم يضربون في اقفية الزنوج حتى ابعدوهم عن الديار واشفوا منهم الغليل وعند غياب الشمس رجعوا عنهم وتركوهم مبددين مشردين وفيروز شاه لا يعرف ما وقع على الشاه روز هل قتل او فاز بالنجاة وتسهل له الفرار الا انهُ كان يفكر اذا فاز بالنجاة يرسل في الغد خلفهُ بهزاد ليسير الى بلاد كشمير ويقيم عليها حاكمًا جديدًا ويطيع البلاد. وماوصل الى ابواب المدينة حتى شاهد اباه الملك ضاراب راكبًا وخارجًا لملاقاتهِ فترجل في الحال ورمى بنفسهِ عليهِ ففعل ابوه مثلهُ وجعل يقبلهُ ويذرف دموع الفرح بقدومهِ ويشكر الله على هذا النصر المجيد وهو يقبل يديهِ ويهنئهُ بالسلامة ويقول لهُ لا كان يومًا قدر الاعداء ان يهينوك ويوصلوا اليك شرهم ومهما وقع عليهم فهم يستحقون اكثر من ذلك. وكان سبب خروج الملك ضاراب سيامك سياقبا وفرخوزاد فانهما بعد ان شاهدا قتل الابشع في الحال اسرعا اجابة لامر فيروز شاه الى داخل المدينة لخلاص ابيهِ وداما على السرعة وقد تفرقت عساكرهما في كل المدينة واوقعوا القتل بمن على الاسوار وكسروا اعلام السودان ووصل فرخوزاد وسيامك الى امام الملك ضاراب ففكا وثاقهُ وقبلا يديهِ فسالهما عن الابشع فقالوا لهُ انهُ في هذه الساعة قتلهُ سيدنا ومولانا وفارسنا ولدك فيروز شاه وقد جازاه على قبيح فعلهِ واهلكهُ بضربة لم يسمع ان سبق مثلها قطعتهُ هو والفيل معًا فلم يسع الملك ضاراب الا البكاء من الفرح وقال اعطوني جوادًا فاني لا صبر لي عن مشاهدة ولدي واني اريد في هذا الوقت المسير الى الخارج لاراهُ فاجابوا طلبهُ وركب وخرج وبين يديهِ فرخوزاد وسيامك حتى التقى بهِ وسلم عليهِ ورجع الى الداخل وسار الى قصره الكبير واخذت الفرسان تجتمع من حواليهِ واحدًا بعد واحد حتى اجتمع الجميع فسال عن اردوان وشيروه وشيرزاد حيث كان لا يعلم بموت شيروه فقال لهُ فيروزشاه ان اردوان وشيرزاد في هذا الصباح خرجا معنا للقتال ومن ثم لم نعد نراهما لا هما ولا جيشهما ولا ريب انهما تاثرا الاعداء لاني اعرف من خصائل اردوان عدم الرفق بالاعداء وانهُ يرغب على الدوام هلاكهم عن اخرهم. فقال طيطلوس ان صح حذري يكون قد تاثر كندهار والشاه روز كي لا يتركهما يفرا ويرجعا الى بلادهما سالمين ومن الموافق ان يسير بهزاد خلفهما يفتش عليهما ليرتاح بالنا من نحوهما وفي تلك الوقت جاء اردوان وشيرزاد ومعهما كندهار والشاه روز اسيرين بالحبال ولما دخلا على الملك ضاراب فرح بهما ولاقهما وسلم عليهما فقبلا يديهِ وهناءهُ بالسلامة وقدما اليهِ الشاه روز واباهُ واخبراهُ بما كان من امرهما وكيف انهما قاطعا على الاعداء كي لا يفر احد منهم وانهم وقعوا من سيوفهم بالبلاء والفناء حتى امتلأت الارض من جثثهم ففرح فيروز شاه باسر كندهار وقال لاردوان اني كنت احب واريد ان الومك على عمل تعملهُ وقت الحرب دون علمي واطلاعي ومعرفتي وما ذلك الاَّ خوفًا عليك ولا كون عارفًا بمواقف

فرساني كلها غير اني الوم نفسي كيف قصرت ان ابعث الى ربط الطريق والوقوف في المكان الذي وقفت بهِ واسامحك على عملك هذا حيث اتيتني عليهِ بشفيع عظيم وهو اسرك كندهار الخبيث والشاه روز ولده

ثم ان فيروزشاه امر ان يقدما الى بين يدي ابيهِ فقدما فقال لكندهار ويلك ايها الشيخ الجاهل اهل وصل بك الحد الى ان تقابلني بمثل هذه الاعمال القبيحة وتلقيني بوهدة العذاب مع اني بطول حياتي كنت اوصل اليك باحساني وكنت لا اكلفك ولا قومك ماهو متوجب عليك فعوضاً من ان تاتي بلادي فتدافع عنها من الاعداء كونك عجمياً ومن ابناء جنسي فضلاً عن انك ملزوم اليهِ بما لي عليك من السلطان وما اعطيته من الله من النفوذ كوني ملك البلاد الفارسية ومولاها وسلمها الله اليّ لارعاها بحسب معرفتي . فلم يجب كندهار بشيء بل اطرق الى الارض . فقال فيروزشاه ان كندهار وابنهُ تطاولا عليّ واعتديا على شرفي وقصدا اخذ زوجتي ولكن قبل الدخول بمحاكمتهما بهذا الشان اريد ان اسالها عن ابني الملك بهمن اين هو ومن الذي اخذهُ والى اي جهة بعث . فقال الشاه روز اننا لا نعرف اي مكان ذهب ولا عندنا علم عنهُ وقد اجبرنا الى الاتيان مع الابشع بالرغم عنا حيث اذ كان يريد الاخذ بثار اخوتهِ فدعانا لنسير معهُ وخفنا من ان نمتنع فيوقع بنا ولا قدرة لنا على مقاومتهِ . فجاء بهروز الى امامهِ وقال لهُ لا بد ان تخبرنا بخبر الملك بهمن واذا امتنعت كان عذابك على يدي فاذقتك مرّه . فلما راى بهروز وقد مال اليهِ خاف جدًّا لانهُ راى النار تتطاير من اعينهِ ويده على خنجرهِ ولم يقدر على الكلام وجرى ذلك على ابيهِ كندهار فقال للملك ضاراب اني لم ارَ سيدي الملك بهمن غير اني عرفت من ان الابشع ارسل واظين عيارهُ فسار تحت الظلام وذهب الى خيامك ودخل على الملك وانتشلهُ من خيمتهِ وجاء بهِ الى سيده واخبره ما كان من امره وحكى لهُ عن جمال زوجتهِ شمس وما راهُ منها فطمع فيها واراد ان ياخذها لنفسه ولذلك قصد ان يبعد زوجها فارسلهُ مع عيارهُ واظين الى بلاد الحبشة الداخلية الى بلاد الضاري الاسود ليبقيه عنده الى حين عودته الى بلاده فيطلبهُ منهُ وهذا ما علمتهُ بخصوص الملك بهمن ولم اعلم شيئاً بعد ذلك عنهُ لانهُ سار الى تلك البلاد اسيرًا

فلما سمع فيروزشاه ما جرى على ولده وانهُ اخذ الى بلاد بعيدة سقطت الدموع من عينيهِ وبكى على فراقهِ وقال لا ابكي على صعوبات لاقيتها حياتي بطولهِ ولا اخاف من اهوال الاقيها بعد واني لو كنت اخذت بنفسي اسيرًا الى تلك البلاد لكنت اخف حالة بكثير من الان كوني تعودت على العذاب والمشاق وعرفت ان الله سبحانهُ وتعالى قد ضرب عليّ بملاقات الصعوبات حياتي بطولها فلا ارى راحة قط لكن ابكي على ولدي ان تكون ايامهُ كايامي مجبولة بالمخاطر

يحتفل على الدوام من مكان الى مكان والحروب تجاهه في كل موقع وموقف وبين كل قوم .
فقال بهزاد اننا ما خلقنا ياسيدي الا للحرب ومن الواجب علينا ان نفرح عند ذكر الحروب ولذلك اطلب اليك ان تاذن لي ان اذهب عنك الى بلاد الحبشة احارب فيها وادوخها وارجع بسيدي بهمن . فقال طيطلوس لفيروز شاه لا تحزن ياسيدي على اخذ ولدك الى تلك الجهات فان العناية الالهية تريد ذلك والقصد منها نشر كلمة الحق في تلك البلاد ودخولها في طاعتنا وان اعلمك امرًا واحدًا وهو انهُ لو لم يكن لله سبحانهُ وتعالى غاية بك لما اعطاك من القوة والمقدرة ما لا يوجد بغيرك ولا سمع بمثلهِ قط في الازمان الغابرة وما اعطاك ذلك الا لتضرب بسيفهِ من مشرق الارض الى مغربها ولتكون دولة الفرس من الدول الكبيرة واسعة السلطان والملك فلا تبقى قطعة من الارض الا وتدخل في يدها وعندي ان من الصواب ان نسير باجمعنا الى بلاد الحبشة الى الضاري الاسود لانهُ قوي البطش والسلطان وعنده فارس صنديد يفوق كامل الفرسان الذين رايناهم في هذا الزمان اسمهُ رعد المجنون

فسكت فيروز شاه عند سماعهِ هذا الكلام وقال اني اشكر الله انهُ لم يترك علينا مذلة بل يساعدنا في كل حروبنا واني اريد الان ان نرى بامر كندهار وابنهِ اولاً لنعاملهما بما يستحقان وبعد ذلك اريد ان اعمل يوم حزن على شيروه الذي فقدناه في بلاد الصين لتحزن عليهِ بلاد فارس باجمعها فهو من ابناء عمنا الذين نفعونا وقاتلوا عن دولتنا . فراى الجميع صوابية قولهِ ومن ثم ضرب الملك ضاراب مجلس مشاورة للحكم على كندهار وابنه . فقال فيروز شاه اني ادعي عليهما انهما قصدا اخذ عين الحياة وتزويجها باحدهما الشاه روز مع انها هي زوجتي وحليلتي . فاجاب كندهار منكرًا فجاء الشهود وشهدوا على الشاه روز عند دخولهِ المدينة وذهابهِ الى قصر عين الحياة وطلب زواجهِ بها من الابشع . ودعا الملك ضاراب باحد سياح بلاده الذي اخبره منذ الاول بمسير الشاه روز الى السودان فشهد انهُ كان في بلاد كشمير وشاهد الشاه روز مسافرًا الى بلاد السودان وعرف ان سبب سفرهِ كان لاستنجاده على الملك ضاراب ولتحريكه لاخذ ثاره منهُ ولذلك جاء الى ايران بالعجل واخبر الملك فبعث برسولهِ الى الصين . وحينئذٍ حكم طيطلوس وبزرجمر وباقي الامراء بنزع كندهار من ملكهِ اولاً وبموتهِ وموت ولدهِ ثانيًا وبعد ان بلغا الحكم انفذ عليهما وقتلهما بهروز شر قتلة وانتهت حياتهما . وبعد ذلك اخذ فيروز شاه بتعيين يوم لقيام عزاء شيروه فالبس ايران ثياب السواد ودار بها النواح في كل مكان وبكت كولندان بنت صاحب الاسكندرية بكاء مرًّا وجلست في قصرها تنوح واجتمع عليها كل نساء المدينة وبالاختصار ان الحزن كان عامًا بين الخاص والعام وما من احد الا وبكي ودام ذلك من الصباح الى المساء

قال وبعد ان انتهى من عمل عزاء شيروه اجتمع الجميع عند الملك ضاراب يتخابرون فيماذا يريد ان يفعل في امر الملك بهمن فقال عرفت ان حفيدي اخذ اسيرًا وارسل الى بلاد الحبشة ولذلك صار من اللازم ان نبعث بالعساكر والاجناد الى تلك البلاد وبالعيارين لتجس لنا احوالها وتنظر امورها بمساعدة الجيوش وعندي ان تلك البلاد صعبة المسالك حارة الهواء تلاقي فيها جيوشنا كل صعب وكل عذاب ولكن الله سبحانه وتعالى سيساعدنا على ما نطلبهُ كما ساعدنا سابقًا وفي كل آن. فقال طيطلوس لا ريب ان حربنا هذه ستكون اخر الحروب ولا بد من انهائهِ بوقت قريب كي نرتاح منهُ ونبقى براحة بعد ذلك ولا بد من السرعة في ذلك فقال فيروز شاه اني كنت ازمعت على ان ارسل بهزاد مع الوزير مهريار بجلسة على بلاد كشمير العجم مكان كندهار وذلك لان هذا الوزير العظيم قد عمل معنا معروفًا عظيماً وجميلاً لا ننسه الى الابد وحتى الساعة لم نكافئهِ على معروفهِ وجميلهِ الى ان خطر لي هذا الخاطر ولا بد من اجرائهِ بعد رجوعنا من بلاد الحبشة وخلاص الملك منها . فقال بزرجمهر اننا خارجون من حرب الابشع والجيش لا يزال تعبًا وعندي اننا نرسل الان كتابًا الى الضاري الاسود نخبرهُ بقتل الابشع والملك كندهار وما حل عليهما وعلى جيوشهما ونطلب اليهِ ان يرسل الملك بهمن فان اجاب كان خيرًا وخف عنا امر هذه النقلة الى تلك البلاد واذا امتنع سرنا اليهِ ونكون في هذه المدة قد ارتحنا وهيئنا المون والذخائر اللازمة فاستحسن الجميع كلامهُ واستصوبوا رايهُ وكتب طيطلوس الى الضاري الاسود كتابًا يقول لهُ فيهِ

بسم الله الحي الباقي الازلي

من الملك ضاراب وكيل الملك بهمن وابي فيروز شاه الى الضاري الاسود

لا يخفاك ايها الملك ان دولة ايران هي دولة عظيمة الاركان مشيدة العمران ملكت الارض من مشرقها الى مغربها فنصرها الله على من طلب خصومتها وعنادها واخيرًا كان قومنا في بلاد الصين ولم يكن في البلاد غيري فجاءني الملك الابشع مع كندهار والشاه روز واستولوا على البلاد وفي تلك الاثناء جاء قومنا وولدي فيروز شاه فقتلوا الابشع واهلكوهُ وقتلوا بعده الشاه روز وولده كندهار واستعادوا البلاد وكان في مدة الحرب سرق العيار حفيدي الملك بهمن وارسلهُ الابشع في الحال اليكم ليبقى عندكم وحيث ان المذكور قد قتل وذاق شر عمله ولاقى من سيف ولدي ما لاقى ولم يكن من خصومة بيننا وبينكم اطلب اليكم ارجاع الملك بهمن لتبقى الحالة بيننا على السلام ونشكرك على فعلك هذا الشكر الجزيل والا فنلتزم اخيرًا ان نسير الى خلاصهِ ولا يمكن ان نتركهُ فندوس بلاد الحبشة ونقع بيننا وبينكم الحروب الهائلة التي لا داعي لها وعلى كل فقد يفعل الله ما شاء

فصيح اللسان بليغ المعاني وهي تدفع الساعات والدقائق بقلة الصبر وفروغهِ الى ان صارت الساعة الثالثة من الليل وقطعت الرجاء من مجيء احد اليها في تلك الليلة واذ ذاك دعت بقهرمانتها وقالت لها لديّ حاجة اريد ان اعرضها عليك فهل تكتمين امري وتساعديني عليها قالت كيف لا وانا خادمتك ومغروسة نعمتك وزمام امري بيدك وقد اصطفيتيني لمثل هذه المهنة فاذا كنت اتخلى عنك او لا اكتم لك سرّا فلا استحق ان ادعى بقهرمانتك واقرب منك . قالت لا خفاك ان عندي في هذا القصر الان اسير سلم اليّ من ابي وهو ملك الفرس وسيدهم شاب في العشرين من العمر لم يخلق الله سبحانهُ وتعالى ابهى طلعة منهُ وقد احبهُ قلبي كثيرًا وولعت بهِ كل الولوع فاريد ان اقيم معهُ كل مدة اقامتهِ عندي على الحظ والانشراح وان يعدني اذا تخلص من هنا وعاد الى بلادهِ ان ياخذني معهُ اما حليلة او خليلة اي كيف شاء بشرط ان اكون عنده وبين يديهِ ولا افارقهُ وبذلك اكون سعيدة في هذه الحياة واتخلص من ان اكون زوجة لرجل حبشي غليظ الجسم والطباع شديد السمرة فشتان بين هذا الملك وغيره من قومنا واريد منك الان ان تذهبي الى اسفل القصر الى الغرفة الموضوع فيها وتطلبي منهُ اجابة سوالي وقبول رجائي وتاتيني بهِ ولك كل ما تطلبين

فلما سمعت القهرمانة كلام مولاتها وافقتها عليهِ اذ لم يكن مثل هذا الامر عظيما في عينيها ولكنها قالت لها اني اجيئك بهِ الان ولك الحق ان تجتمعي بمثل هذا الرجل الذي تصفينهُ لي وتذكرين جمالهُ وما من مانع يمنعك عن سوال غايتك منهُ والتمتع بجمالهِ لكن كيف يمكني ان اصل اليهِ والحراس قائمون عند ابواب سجنهِ . قالت ان الغرفة التي هو فيها لها بابان كما تعلمين باب عند الحراس وباب الى الدهليز الموصل الى الممر المنتهي بسلم هذا الطابق ومفتاح هذا الباب عندي منذ القديم وما وضعتهُ في تلك الغرفة الا لهذه الغاية فيمكنك الان ان تذهبي وتفتحي الباب من جهة الدهليز وتدخلي وتتعطفي بخاطره وتدعيهِ في الحال اليّ لاصرف هذه الليلة عندي على الحظ والانشراح وعديهِ اذا اجاب طلبي سعيت في خلاصهِ وسهلت لهُ طريق الخلاص واذا امتنع فاني اقدر على الاضرار بهِ وايصال كل اذية اليهِ وحاشاي ان افعل معهُ شيئًا من ذلك فان قلبي يحبهُ محبة لا تقدر . فاجابت القهرمانة كلامها واخذت بيدها المفتاح وسقطت الى اسفل القصر ومشت من داخل الدهليز حتى انتهت الى باب الغرفة السابق ذكرها ففتحتهُ بتأنٍ ودخلت منهُ الى الداخل واذا بها ترى الملك بهمن قائمًا وحده منفردًا على تسبيح الله وذكره يتسلى بترداد ايات كتابهِ . فلما راها حدثتهُ نفسهُ انها مرسلة من قبل هدوب بنت الضاري حيث كان ينتظر وقوع مثل هذا العمل . ولذلك هش في وجهها وبش وقال لها من انت وماذا تطلبين . فقالت لهُ اني قهرمانة السيدة هدوب صاحبة هذا القصر وبنت ملك هذه البلاد

واطلبك اليها حبيباً فلا تقطع لها رجاء منك وقد احبتك محبة صادقة وتريد منك ان تبقى عندها كل ليلة على الحظ والهناء وفي النهار ترجع الى حبسك وتبقى على ذلك الى حين تجد طريقة لخلاصك وخلاصها من هذه البلاد واكون انا معكما واننا نحافظ على حياتك فلا ندع شرًّا يصل اليك

ففكر الملك بهمن مدة طويلة بهذا المعنى وكان يحب ان يمتنع ولا يقبل بما دعته اليهِ الا انهُ وجد ان ذلك مضر بصالحهِ الذاتي وانهُ محتاج الى مساعدتها ومعاضدتها لنجاتهِ بتلك البلاد وحفظ حياتهِ مازال فيها ولم يرَ من مانع يمنعهُ من ان يجيب طلبها ويتخذها لهُ زوجة اذا كانت توافقهُ على عبادتهِ تعالى وترضى التدين بدينهِ ولذلك قال للقهرمانة اني رايت السيدة هدوب وانا عند ابيها ومال اليها قلبي وكنت لا اعرف الطريقة التي توصلني اليها فخذيني الان الى غرفتها لاجتمع بها وارى ماذا يكون من امري وامرها فاقيم عندها العمر على احب ما تريد وتشتهي وها انا سائر امامك حالاً . ثم نهض ومشى ففرحت مزيد الفرح بنوال غايتها وسرت سرورًا لا مزيد عليهِ وسارت امام الملك بهمن لتوصلهُ الى مولاتها وبقيت تصعد امامهُ الى ان اوصلتهُ الى غرفة هدوب واذا بها مضيئة بالانوار والروائح الزكية تنتشر منها الى الخارج وهي تكاد ترقص من حسن اتقانها وترتيبها وقبل ان يصل الى باب تلك الغرفة شعرت هدوب بوطئ اقدامهِ فخرجت اليهِ وترحبت بهِ وسلمت عليهِ وشكرتهُ على اتيانهِ اليها وادخلتهُ الى الداخل واجلستهُ الى جانبها وابدت لهُ كل اكرام واعتبار وهي لا تصدق ان تراه او تنال منهُ مرادها وكانت تنظر اليهِ ولا ترفع نظرها من وجههِ وهو ايضاً يشكرها ويثني على التفاتها اليهِ ويتامل فيها ويفكر في صفاتها وكانت قريبة من قلبهِ جدًّا ولم يكن اسمرار وجهها ولونها الحبشي مانعاً يمنعهُ من ان يعلق قلبهُ بها او ان يستر هيئة جمالها وعليهِ فقد كان الحب بينهما متبادلاً الاَّ ان زواجهُ الاول وحبهُ لشمس كان يحول دون اظهار غايتهِ في الاول ويدفعهُ الى الامتناع عن الاجابة ولهذا كان بحرب داخلي بين قلبهِ وميلهِ وبين صالحهِ بالنجاة بواسطة هدوب وحبهِ الاصلي لشمس زوجتهِ واذ ذاك امرت خادمتها ان تقدم لهُ الشراب ففعلت ثم جاءتهما بالطعام فاكلا واخيرًا احضرت لهما النقل والخمر والمشمومات وتركت لهما المقام وخرجت عنهما ولدى خروجها اخذت هدوب كاساً فشربتهُ وملأت اخر وسقتهُ الى الملك بهمن ثم اخذ هو ايضاً فسقاها وهي بفرح زائد من حالتها وقد انشدتهُ

فضحت جيد الغزال بالجيدِ ... وفقتهُ بالدلال والغيدِ
لست اطيع العذول فيك على ... غنى يديهِ ولا على رشدِ
ياساقيًا مهجتي كؤوس هوى ... وساقيًا مقلتي اللهب المسهدِ

ومودعي صبوة اوائلها | يقصر عنها اواخر العددِ
عندي من الوجد ما بهِ اجلي | يفنى ولم ابده الى احدِ
اول عهدي بالحب فيك غدا | اخر عهدي بالصبر والجلدِ
ياشعره قد اعنت ليلي في الطو | ل على ناظري فاتئدِ
وانت ياخدهُ نسبت الى الر | قة الاَّ على اخي الكمدِ
وانت ياطرفهُ السقيم اما | ترحم ما قد حكاك من جسدي
يميل قلبي الى رشف ريقتهِ | من اين للنار من نسبة البرد
هل لقتيل الخدود من دية | او لطعين القدود من قود
اين الليالي واين عندي قد | حواك طرفي وانت طوع يدي
حيث انادي وانت مبتسمٌ | ياعين رودي ويا شفاه ردي
واليوم لي ادمع تشرب ١/ | خد كورد في خد منتقدِ

ولما فرغت هدوب من شعرها لم تقدر تضبط نفسها من شدة غرامها فرمت بنفسها عليهِ تقبلهُ وقالت لهُ انت منذ هذه الساعة حبيبي وسيدي وعليك رجائي واتكالي ومعولي وها اني مسلمتك جسمي وحياتي فكن الحاكم عليَّ والقاضي بامري . ولما راى منها ما راى لم تطعهُ رقة طباعهِ الاَّ ان يعاملها بالمثل فبادلها الحب . وقال لها انت لي وستكونين زوجتي وملكة بلادي واعاهدك منذ هذه الساعة على ذلك بشرط واحد وهو انك تكونين على ديني اي ان تتركي عبادتك وتتمسكي بدين الله سبحانهُ وتعالى قالت اني على دينك من هذه الساعة وقد درستهُ وعرفتهُ منذ القدم وانا اشهد ان الله وحده هو القادر على كل شي يحيي ويميت ويدبر امر عباده كيف اراد فهل يرضيك مني ذلك . قال نعم اني الان مسرور بعملك واعاهدك عند وصولنا الى بلادنا وخلاصي من الاسر ادع طيطلوس يزفنا على القواعد الدينية ويعمل لنا عرس بهي زاهر . قالت كيف لا تكون زوجي من هذه الساعة واكون امراتك وبذلك يلتزم كل واحد منا على المحافظة على الثاني طبعًا ودينًا . ولا ارى مانعًا لذلك . قال ان الزواج يحتاج الى شهود وروابط دينية وهذا لا نحصل عليهِ الان . قالت اننا حاصلون على الشهود ولدينا شاهد عظيم كبير وهو الله سبحانهُ وتعالى يشهد عليَّ وعليك ان كل واحد منا رضي بالاخر وقبل ان يكون شريكة بحياتي وهو وحدهُ يباركنا المباركة الدينية التي تزعم بوجوبها ومتى جاء الزمان المحفوف بالراحة والسرور ندع رجال قومك يشهدون ويقومون بالاحتفالات الواجبة ثانية . وكانت تكلمهُ وتسقيهُ الخمر لعلمها ان الخمرة ستساعدها على نوال مرادها . وبالاختصار انهُ صرف طول تلك الليلة على الراحة والهناء والمسرة معها وقد اجاب طلبها واتخذها زوجة لهُ من تلك الساعة ووطد العزم على ان

تكون عنده طول حياته وان يدع طيطلوس يزفهُ عليها عند ارتياح بالهِ من جهة اسره وكذلك هي فانها نظرت منهُ صدرًا رحيبًا ولطافة انستها كل اهلها وبلادها وصارت تحسب ان وجوده عندها راحة كبرى وصارت في كل يوم تنزلهُ من الصباح الى حبسهِ خوفًا من ان يدعوهُ ابوها او ان ياتي اليها فيراه عندها وعند المساء تاتي بهِ فتتعشى واياهُ وتصرف السهرة معهُ ثم يناما الى الصباح وعند الصباح تعيده ايضًا . فلنتركهما على مثل هذه الحالة الى ان نعود اليهما مرة ثانية

• ولنرجع الان الى طارق العيار الذي كان جاء بالكتاب الى الضاري الاسود فانهُ اقام في مكان عين لهُ طول النهار وفي المساء دعاهُ اليهِ الوزير راصد واجتمع بهِ سرًّا وقال لهُ بلغ مني السلام الى مولاك فيروزشاه واني قائم على خدمتهِ كيف اراد ولا ادع الضاري الاسود يصل باذى الى ولده بهمن وكان في نيتهِ ونية رعد المجنون قتالهُ في هذا اليوم فدافعت ومانعت عنهُ ليبقى الى حين مجيئهم بلادنا وساعدتني على ذلك بنت الضاري الاسود واخذت الملك بهمن الى قصرها ليبقى عندها في السجن طول مدة اسره ولا ريب انهُ يبقى بامان عندها . فشكره طارق العيار وقال لهُ لا اخفاك حالة الفرس وفرسانهم ولا بد من ان بعد اشهر قليلة يكونون في هذه البلاد فيمتلكونها لا ريب كما امتلكوا غيرها من البلدان والممالك الكبيرة ويقتلون الضاري كما قتلوا غيره من الملوك الذين ضربت بهم الامثال من الهند والصين والرومان وسواهم وسوف ابلغ مولاي معروفك فيجازيك على عملك بكل خير وسترى بعينيك ما يصل اليك فلا يتقاعد عن مكافاتك فطالما اقام ملوكًا وحكامًا من الذين خدموه بالمعروف وساعدوه بالخدمة

وبعد ان انقضى ذاك الليل وجاء اليوم الثاني واجتمع ديوان الضاري الاسود ذهب طارق اليهِ وسالهُ جواب الكتاب فكتب لهُ الجواب يقول فيهِ انهُ لا يمكن ان يسلم الملك بهمن لانهُ امانة عندهُ من الابشع واذا كان الابشع قد مات فعلاً فيكون بدلاً منهُ ويأخذون بثاره وانهم مستعدون للقتال والدفاع الى مثل ذلك من الكلام . وبعد ان اخذ طارق الكتاب خرج من تلك البلاد وسار قاصدًا ايران الى ان بلغها بعد مدة ليست بقصيرة لان الطريق كانت طويلة ولما دخل على سيده فيروزشاه وسلم اليهِ الكتاب وبلغهُ ماقالهُ لهُ وزير الضاري الاسود وما جرى على الملك بهمن في تلك البلاد وكيف انهُ وضع عند هدومه بنت ملكها فاغتاظ فيروزشاه من ذلك وتكدر مزيد الكدر وعرف ان لابد من مخاطر واهوال سيلاقونها في بلاد الحبشة وفي تلك الساعة ذهب الى ابيهِ وجمع ديوانهُ وعرض عليهم كتاب الضاري الاسود وامتناعهُ عن تسليم ولده وقال لهم اخيرًا ما من حاجة للمخابرة في هذا المعنى فان السفر لا بد منهُ وكل جيوشنا حاضرة مستعده للسفر والمؤن والذخائر كاملة كافية لنا في مثل هذا السفر واني في الصباح سأركب قاصدًا تلك البلاد فليكن كل واحد منكم على استعداد للجهاد

والرحيل الى بلاد الحبشة فاجاب الجميع طلبهٔ وما منهم الامن قال بالسفر والسرعة الى خلاص الملك واخذوا في ان يهيئوا انفسهم الى اليوم الثاني وفي صباحهِ نهض فيروزشاه في مقدمة الجميع وركب فوق كمينهِ واراد الذهاب فجاءت اليهِ عين الحياة وقالت لهُ اني اسالك ان تصحبني معك في هذه المرة ولا تتركني هنا فما من صبر لي عن فراق ولدي وزوجي وكفاني ما لاقيت في كل الايام الماضية السالفة من العذاب وصعوبة الفراق . فقال لها ان البلاد بعيدة وصعبة المعيشة حارة الهواء واخاف ان تلاقي مصائب على غير انتظار منا وليس لك من طاقة على احتمال المشاق والعذاب . فقالت لهُ ان مشاق السفر وعذابه لا يقوم مقام الفرقة وصعوبتها على انك تعرف اني لاقيت في مدة حياتي صعوبات كثيرة وقد اعتاد جسمي على احتمال اشدها واني مصرة الان على الذهاب معكم ولم يكن من مانع يمنعني الا رضاك وسماحك لي بذلك . فقال اني اسر بذلك واريد بان تكوني معي بحيث ابقى امينًا عليك فاركبي في هودجك وارفعي حوائجك على ظهور الجمال والبغال . ففرحت بذلك وامرت ان يقدم لها الهودج فركبت وسارت بينهم وقصدت شمس زوجة الملك بهمن ان تقتدي بجمانها وسالت فيروزشاه ان يصحبها معهُ فقال لها ان ذلك مضرٌ بك وبصالحك ولا يمكن ان اجيبك عليهِ لانك لا تقدرين على احتمال مثل هذه المصاعب التي ستلاقيها لا سيما وانك كنت معنا قبل الان في سفر طويل وتحتاجين الى الراحة عدة اشهر وسنين فابقي في المدينة عند ابي واننا بعونهِ تعالى في هذه المرة سنعود حالاً ولا يكون غيابنا طويلاً ولا بد اذا سرت معنا يغضب زوجك لذلك فضلاً عن اني لا ارضاه انا ايضًا . فلما سمعت كلامه لم يمكنها المخالفة بل رجعت الى قصرها

وسار فيروزشاه وبهزاد وخورشيد شاه وجمشيد شاه وكرمان شاه واردوان وشيرزاد وفرخوزاد وبقي بيلتنا وباقي الفرسان عند الملك ضاراب في المدينة واخذوا معهم من ابطال الفرس وعمال البلاد نحو ستمائة الف فارس من الفرسان المعتادين على الحرب والقتال وداموا في مسيرهم اياماً طويلة يقطعون الفيافي والقفار ويمرون على البلدان والعمران حتى وصلوا الى اطراف بلاد الحبشة فجعلت القبائل تنفر من امامهم وتفر قاصدة العاصمة وفيروزشاه يتلطف بحال العباد ولا يضر باحد من سكان تلك البلاد بل كان يطمنهم على حياتهم ويدخلهم بعبادتهِ تعالى ولا زال يتقدم الى ان قرب من مدينة الضاري الاسود ولم يبقَ بينهُ وبينها الا مدة ثلاثة ايام فقط . وهناك امر رجالهُ ان تنزل في تلك الساحة ونقيم مدة ايام للراحة من التعب حيث انهم سيحاربون حال وصولهم الى المدينة . ومن ثم نزل الجميع وضربوا خيامهم للراحة وضرب لعين الحياة صيوانها بقرب صيوان زوجها بابًا لباب واقيم عندهُ الحراس والعيارون . وكانت رجال الحبشة الذين يفرون من وجه الفرس يقصدون المدينة وقد اوصلوا الخبر الى الضاري

الاسود بقدوم الفرس الى بلادهم فاستعد الى ملتقاهم وجمع جيوشهُ ورجالهُ وكانت بلاد الحبش واسعة جدًّا وكثيرة السكان فجمع نحو تسعمائة الف فارس وقال لقومهِ اني احب ان الاقي الاعداء على بعد من هذه المدينة وارجعهم بالخيبة قبل ان يصلوا الينا وابدد شملهم ومن وقع بايدينا منهم انتقمنا منهُ وعندي اننا سنفوز عليهم وننال منهم مرادنا . وبعد ذلك ركب الضاري الاسود وركب معهُ رعد المجنون وباقي رجالهِ وفرسانهِ وتقدموا الى جهة المكان المقيم فيهِ الفرس ولما التقوا بهم وشاهدوا مكان نزولهم امر الضاري بنزول عساكره في ذاك المكان وان تضرب خيامها وتكون على استعداد للحرب في اليوم الثاني ففعلت واقام القومان تجاه بعضهما البعض يتحارسان الى الصباح وقد فرح فيروز شاه بقدوم الاحباش الى تلك الجهة لانها كانت واسعة جدًّا صالحة للقتال والحرب والنزال . وامر كل رجالهِ ان تكون في الغد على نية القتال لانهُ يحب السرعة في العمل والرجوع الى بلاده

وقبل صباح اليوم الثاني ضربت طبول الفرس منذرة بوقوع الحرب والقتال فاجابتها طبول الحبش في الحال ولصوتها جعلت الفرسان تخرج من خيامها وتذهب الى خيولها فتركبها وتصطف في مواقفها كل واحد تحت امرة امره حتى اذا اشرقت الشمس كان الجميع على اتم استعداد للهجوم والاقتحام وعند ذلك هجم فيروز شاه في المقدمة وقد اشهر بيده الحسام واشار بيدهِ الى قومهِ من اليمين والشمال ان يتبعوه ويحطوا على الاعداء فصاحوا مجيبين طلبهُ وانقضوا انقضاض البواشق على الاحباش فالتقوهم وعاملوهم بالمثل وفي تلك الساعة اختلط الحبشي بالفارسي وامتزج الابيض بالاسود وقام سوق الطراد واشتعلت نار الحرب بالانقاد . وسطت الفرسان على الفرسان . والشجعان على الشجعان . وكان يومًا عظيم الشان . سطا فيهِ فيروز شاه على قوم الضاري الاسود . وانزل عليهم الهم والنكد . وابلاهم بالذل والعذاب وسد في وجوههم كل باب وفعل مثلهُ بهزاد ليث الغاب . واردوان وشير زاد وباقي الامراء والنواب . واما الضاري الاسود فانهُ اطلق لفيلهِ العنان فدخل بين قبائل الفرس وهو يضارب ويطاعن ويبدد ويفرق والفرسان لا تثبت بين يديهِ ولا تقدر على حمل ضرابهِ ومثلهُ فعل رعد المجنون وكانت على الدوام تقع الفرسان بين يدي رعد وتسقط عن خيولها لانهُ كان يحمل عمدًا ثقيل العيار وفي راسهِ طاسة من النحاس السميك وقد علق بها عدة اجراس فاذا وقع عمدهُ على طارقة خصمهِ سمع لها قرقعة وطنين قوي من جرى ضرب الاجراس فيجفل جوادهُ ويقع من فوقهِ او يفر الى الوراء هاربًا وبذلك كانت تجفل رجال الفرس واكثرها يقع الى الارض وقد قتل منهم رعد المجنون مقتلة عظيمة . ودام الحرب على مثل ذلك الى المساء وعند المساء رجع القومان عن ساحة الحرب والطعان ودخلوا الخيام

وبعد ان رجع فيروز شاه من ساحة المجال دخل على عين الحياة فنزع عنهُ ثيابهُ واغتسل من جرى ما لحق بهِ من الادمية بقتال ذاك النهار وبعد ان استراح قليلاً ذهب الى الصيوان الكبير واجتمع حواليهِ الامراء والوزراء والاعيان بقدر درجاتهم كل في مركزه وحينئذٍ قال فيروز شاه ان رعد المجنون قد فعل افعالاً في هذا النهار يصعب علينا ان نذكرها انها وقعت بين قومنا قبل الان ولذلك اريد ان اقتلهُ في الغد كي لا يصل اذاه الى قومنا وبعد ذلك الضاري الاسود ومتى قتلا هان علينا الامر وملكنا البلاد بوقت قريب وانما اريد ان ابعث بعياري بهروز الان الى المدينة يكتشف لنا خبر ولدي بهمن وما هو عليهِ الان وقبل قتل احد الاثنين اريد ان يتخلص ويرجع الينا . فقال بهروز اني اعدك ياسيدي ان اذهب من هذه الليلة الى المدينة ولا اعود الا بسيدي بهمن وبعد ايام اكون هنا اي اني لا اقيم في المدينة اكثر من ليلة واحدة ومن ثم اعود بالمطلوب ان شاء الله تعالى فمدحهُ فيروز شاه وشكر اهتمامهُ ومسعاه وبعد ذلك قام بهزاد وقال اني ياسيدي ارجوك السماح لي في الغد بمبارزة رعد والضاري الاسود وان اكون حامي الميدان في مثل هذه الحرب . فقال لهُ فيروز شاه اليك ما طلبت فافعل ما انت فاعل ومن ثم تفرق الجميع الى الخيام وسار كل الى محل منامهِ ينتظر الصباح

فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من الضاري الاسود وقومهِ فانهم في المساء اجتمعوا الى بعضهم وتخابروا بامر الحرب فقال لهم احد القواد ان رجالنا في هذا اليوم قد لاقوا كثيراً وفقد منهم كثير ووقع الضعف والخوف فيهم من اعمال فيروز شاه وفرسانهِ واذا لم نقتل القواد فما من وسيلة للفوز عليهم فقال رعد المجنون اني مزمع على ان اقاتلهم في الغد وحدي ومن برز اليَّ جازيتهُ بالقتل وسوف ترون بالغد ما يكون مني ومن الاعداء فشكرهُ الجميع على كلامهِ واملوا منهُ النجاح والفلاح وباتوا تلك الليلة ينتظرون الصباح

قال وفي الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح واصطف الصفان وترتب الفريقان واذ ذاك سقط بهزاز الى الميدان وصال وجال ولعب على ظهر الحصان حتى حير العقول واذهل الخواطر ومالت اليهِ من الفريقين النواظر ثم وقف في الوسط وصاح هيا ايها الفرسان فابرزوا اليَّ فاني حامي بلاد فارس وبهلوانها بهزاد بن فيلزور البهلوان فلما سمع رعد المجنون كلامهُ انحدر اليهِ وهو كانهُ الاسد الكاسر واخذ معهُ في الطراد والطعان والضرب بالسيوف اليمان . حتى حارت من قتالهما الفرسان وتعجبت من دخولهما وخروجهما الشجعان . ودام الحال بينهما اكثر ذاك النهار الى ما بعد الظهر وحينئذٍ ترك رعد المجنون السيف وعمد الى العمد وسال بهزاد ان يتضاربا بالعمدان فاجابهُ اليهِ واستعد كلٌّ منهما لضرب الاخر وفي الحال رفع رعد

المجنون عمده وضرب بهِ بهزاد ضربة قوية من ساعد متين وقعت على طارقتهِ فسمع لها قرقعة قوية قد صمت لها الاذان وسمعت في كل مكان واهتزت لها الارض من اربع جهاتها لان العمد كان ثقيلاً والضارب متين العزم والطارقة محمولة من يد بهزاد مسندة بزندهِ ولذلك جفل جواد بهزاد واراد الهرب فلم يدعهُ ان يلوي راسهُ ولذلك سقط من تحتهِ الى الارض ووقع بهزاد في الحال الا انهُ لم يصب باذًى بل بقي واقفاً جامداً على الارض والطارقة بيده واراد رعدُ المجنون ان يضربهُ بعمده ضربة ثانية وهو على الارض واذا بفيروز شاه قد صاح بصوت اعلا من صوت الاجراس وانحط كالبرق الخاطف الى ان قرب من رعد المجنون وكان سيامك قد صاح وانحذف من الجهة التي هو فيها وكذلك اردوان نادى باعلى صوته واسرع الى خلاص عمهِ خوفاً من ان تلحق بهِ اذية او ينالهُ امر مضر وهو واقع بين يدي خصمهِ الى الارض ورأى الضاري الاسود هجوم فرسان ايران على فارس بلاده فاطلق لفيلهِ العنان وحملت من وراء الاحباش ففعلت مثل ذلك رجال الفرس وحمل الفريقان على بعضهما البعض فارتجت لحملهما جنبات تلك الارض واندفقت الادمية من الصدور وجرت في جداول الارض كالنهور. وعملت السيوف في الرقاب والنحور. واظهر كل فارس جهده وابدى ما عنده. وكان باقي ذاك اليوم عظيماً وقتالهُ جسيماً دام اسوداً مقتماً الى ان اقبل الظلام واندفع النهار الى الوراء راجعاً من وجه الليل منتظراً العودة في اليوم التالي. ولقدوم الليل افترق القومان ورجعا الى المضارب والخيام وهنأوا بهزاد بسلامتهِ من عدوه وقال فيروز شاه ان رعداً قد اتخذ هذه الطريقة لاجفال خيول اخصامهِ طمعاً ان يتمكن منهم وينال مرادهُ من الفوز عليهم ولهذا سابرز اليهِ في الغد واريه كيف ملاعب الرجال لان جوادي هو اثبت من فيلهِ لا يتزعزع من مكانهِ لو انطبقت الارض على بعضها او خرجت الصواعق من افواه السحاب دفعة واحدة. فقال بهزاد اني لا اتكدر على شيء ولا اتاسف لفقدان شيء الا موت جوادي الذي قتل عندما لاقاني ابن كركان الساحرة بجيوشهِ وانا منفرد وحدي في البرية وهذا الذي على الدوام الكبير ابكيهِ واتحرق عليهِ لانهُ كان من خيول البحر ومن اعظم الخيول ثباتاً وعلوّاً وموافقة في مواقف الحرب وعند البراز. فقال فيروزشاه ان ذلك من افعال العناية لان جوادك لو بقي وخرج من نسلهِ غيره يكثر جنسهُ في الارض وعلى التمادي يعم هذا النوع الذي لا يقبل الله ان يبقى في البر

وفي اليوم الذي بعده برز رعد الى ساحة المجال عند اجتماع الجيوش في مراكز الحرب ووقف كل امير في مركزه وقبل ان يفتل عنان فيلهِ صدمهُ فيروز شاه صدمة جبار لا يصطلى لهُ بنار واخذ معهُ في القتال والتوسع في ساحة المجال وكثر بينهما القيل والقال واختلف الضرب بالصارم

الفصال . والتغلب بفنون الحرب على سائر الاحوال . فكانا تارة يفترقان وطورًا يجتمعان والفرسان تحدق بهما بالعيان وتنظر اليهما من كل مكان الى ان تضايق رعد المجنون من خصمهِ وعرف انهُ ليس من رجالهِ ولا يعد من ابطالهِ وان لا ينجيهِ منهُ الا عمده ذو الاجراس وعليهِ فقد تاخر الى الوراء وصاح بفيروز شاه تمهل ايها الملك العظيم والفارس الكريم فان الحرب انصاف لا جور ولا اسراف وقد اصطلح رجال عصرنا ان يضرب الفارس خصمهُ ثلاث ضربات فاذا لم يات بالمقصود عاملهُ خصمهُ بنفس هذه المعاملة وبهذه الحالة يظهر الاشد حيلاً وقوى من الاكثر خداعًا وتحيلاً . فقال لهُ ويلك اتذكر ذلك امام فيروز شاه وانا اسرع الناس الى الانصاف واني بانتظار طلبك فاضرب الف ضربة واضربك ضربة واحدة وهكذا اشهد على نفسي . قال اني لا اريد الا الانصاف ولا اضرب الا ثلاثة بحسب قانون البراز ثم ان رعد المجنون تمطى في ركابهِ ورفع العمد بيده وضرب بهِ فيروز شاه بكل ما اعطاه الله من الحيل والقوة واشتداد الساعد وهو يظن ان تلك الضربة وحدها تاتي بالمقصود حيث يكون قد تمكن من وقوعها باحكام على الطارقة فسمع لهُ صوت قوي جدًا وهكذا صار فان صوتها كان شديدًا جدًا عظيماً توهم كل من سمعهُ ان فيروز شاه وجواده يقعان الى الارض غير ان الكمين كان من اعظم خيول ذاك الزمان قد اعتاد على مثل هذه المواقف وهو مع كبر سنهِ شديد القوائم يحافظ على حياة راكبهِ كثيرًا ولهذا لم يتاثر من عظم اصوات تلك الاجراس ولا جفل بل بقي ثابتًا في مكانهِ مع ان خيول اكثر الابطال الذين كانوا وقوفًا عن بعد قد جفلت وركضت الى جهة ثانية . ولما راى رعد ان فيروز شاه باقيًا في مكانهِ وان جواده لم يجفل ولا تاثر من تلك القرقعة مع ان فيلهُ تحرك واضطرب وكاد يركض تخلصًا مما سمع فغاب صوابهُ وعرف انهُ مائت لا محالة وان خصمهُ من افراد ذاك الزمان الذين لم يسبق ان سمع بمثلهم في غابر الاجيال . فوقف مبهوتًا ساكتًا لا يبدي حركة ولا يجيب بكلمة وعليهِ فقد صاح بهِ فيروزشاه وقال لهُ لما هذه المطاولة الا تعلم ان الوقت قصير وانهُ ليس لنا فاعجل بضربتيك الباقيتين واستعد بعد ذلك لضرب سيفي ضربة واحدة لا غير

فلما سمع رعد هذا الكلام زاد بهِ الغيظ والاحتدام لكنهُ لم يسعهُ الا اتمام ضرباتهِ ولذلك ضرب الثانية والثالثة وفيروز شاه واقف في مكانهِ لا يتحرك ولا يتزعزع ولا ياخذه وهم ولا يتحرك جواده من مكانهِ وعندما فرغ رعد المجنون من دوره صاح فيهِ وقال لهُ اثبت ان كنت تدعي الانصاف والقَ ضربتي ان كنت من فرسان هذا الزمان لاني قد اعتدت ان لا اضرب الا واحدة فقط وهي تاتي بالمقصود . وبعد ذلك اشهر الحسام بيدهِ حتى بان ابطهِ وضرب بهِ رعدًا فوقع على طارقتهِ فقطعها وجاء على كتفهِ الايمن خرج من تحت ابطهِ الايسر ووقع قتيلاً

الى الارض وحينئذٍ صاح الضاري الاسود وحمل بكل جيوش الاحباش فاجاب بهزاد صياحهُ وصاح حاملاً برجال الفرس على الاعداء وكانت وقعة عظيمة بقيت عاقدةً الى المساء وعند المساء افترق الفريقان ورجع المتقاتلون عن الحرب والطعان وباتوا في الخيام الى اليوم الثاني وفيهِ نهض الضاري الاسود وهو مغتاظ كل الغيظ من عظم ما جرى على قومهِ في اليوم السابق ومتكدر من قتل فارس بلاده رعد الذي كان يعد من فرسان ذلك الزمان . وبعد ان اجتمعت الجيوش في وسط الساحة على الترتيب المعتاد سقط الى الوسط وهو فوق فيل عظيم الهيكل شديد الحيل ضخم الجثة فصال وجال ولعب بعمدهِ حتى حير الافكار ثم طلب مبارزة الفرسان فبرز اليهِ خورشيدشاه فتقاتلا وتصادما واختلف بينهما الضرب واشتد النزال الى ما بعد نصف النهار . وبعد ذلك ضربهُ الضاري بعمدهِ ضربة تعتعهُ بها والقاه الى الارض غائبًا عن صوابهِ فاسرع اليه رجال الحبشة وسحبوه اسيرًا في الحال وحمل فيروزشاه بقصد خلاصهُ وارجاعهُ فحملت الاحباش للدفاع عنه وبقي القتال شديدًا الى المساء وعند المساء عاد فيروزشاه حزينًا متكدرًا على اسر ابن عمهِ وبات تلك الليلة الى الصباح وعند الصباح ركبت الابطال والفرسان ونقدمت الى الامام وبرز الضاري الاسود فوق فيلهِ كسابق عادتهِ وقبل ان يفتل العنان برز اليهِ شيرزاد واخذ معهُ في الجولان والطراد واظهر من فنون الحرب كل ما كان عنده وبعد قتال طويل من الصباح الى نصف النهار اخذه اسيرًا وسلمهُ الى قومهِ وطلب براز غيره وعند ذلك برز اليهِ سيامك سياقبا وصدمهُ صدمة جبار عنيد وكان كما نقدم من الفرسان المشهورين فثبت امامهُ الى اخر النهار وقبل غياب الشمس اخذهُ اسيرًا وقادهُ ذليلاً حقيرًا ورجعت الفرسان من ساحة الطعان وعاد كل واحد الى خيامهِ وفرسان الفرس مكدرة لاسر امرائها وقوادها وهي تنتظر ان يبرز بهزاد او فيروزشاه فيقتل لهم الضاري الاسود ويعدمهُ الحياة وكانت الاحباش فرحة جدًا بعمل سيدها وفي كل ظنهم ان ملكهم سينهي الحرب بوقت قريب ويأسر كل فرسان الاعداء واحدًا بعد واحد

وفي صباح اليوم الذي بعده ضربت طبول الحرب والكفاح ونقدمت الفرسان الى الحد المعين كل واحد في جهتهِ وقبل اتمام الانتظام برز بهزاد على ظهر جواد كانهُ السرحان وطلب براز الضاري الاسود ملك الحبشة فبرز اليهِ في الحال وقال لهُ ويلك من انت من الفرسان قال لهُ انا بهزاد فارس فرسان هذا الزمان وبهلوان تخت بلاد فارس وحاميها انا الذي اتيت في هذا اليوم لقتالك وحربك ونزالك لاعجل من هذه الدنيا ارتحالك . ثم انهما صاحا وانطبقا والتحما وافترقا واخذا في الحرب والقتال والمراوغة في ساحة المجال وكل منهما يجهد نفسه ويظهر براعته ويطلب الفوز على خصمهِ ودامت بينهما الحال الى ان قرب الزوال ومالت الشمس الى

الغروب فخاف الضاري ان يفوت النهار ولا ينال المقصود من خصمهِ وقد راهُ بطلاً عظ
وفارسًا جسيما ولهذا سالهُ بان يصبر لضربهِ بالعمد ثلاث ضربات ومن ثم يعود فيضربهُ ه
ايضًا بما اراد فاجاب سوالهُ و بعد ذلك اخذ العمد بيده وضربهُ ثلاث ضربات متوالية وبهزا
يلتقيها بقوة عزم واشتداد حيل وثبت امامها دون ان تؤثر فيهِ او تضعف عزمه . ثم اخذ بهزا
يستعد بدوره ليضرب خصمهُ فاشهر السيف بيده وامتطى بركابهِ فانقطع من تحت ارجله بقو
عزمه وكثرة شده ووقع على جنبهِ واراد ان يلملم نفسهُ واذا برجال الاحباش الذين بركاب
الضاري قد انقضوا عليهِ واخذوهُ اسيرًا وقادوهُ الى رفاقهِ وهو بحالة يرثى لها من الغيظ والغضب
وقد تمنى ان يكون قتل ولحق اباهُ واجداده من ان يكون قد اصيب بمثل هكذا مصيبة ونكب

و بعد ذلك رجع الفريقان عن ساحة الحرب والطعان الى الخيام و باتوا تلك الليلة
وفيروز شاه مغتاظ من هذه الاعمال كل الغيظ وحدثتهُ نفسهُ ان يبرز في الغد الى الضاري
الاسود فيعدمهُ الحياة الا انهُ كان يرغب في التطويل الى حين مجيء بهروز بولده بهمن خوفًا
من ان يكسر الاعداء قبل خلاص ابنه فيرجعون الى المدينة و يحاصرونها وانهم يبعدونهُ من
هناك حيث انهم مقيمون على بعد من المدينة وصرف اكثر ليلتهِ مرتبك الافكار مضطرب الفواد
وفي الصباح ضربت طبول الحرب والكفاح واصطفت الرجال في تلك السهل من الطول الى
الطول وتقدمت كل فرقة وراء قائدها وفي الحال برز الضاري الاسود وهو يعتز بنفسهِ ويظن
ان لا احد يقدر على الثبات امامه وهو ينتظر براز فيروز شاه لياخذ منهُ بثار رعد المجنون والملك
الابشع وقبل ان يفتل عنان فيلهِ او يبدي حركة سقط اليهِ اردوان وهو كانهُ فرخ من فروخ
الجان فوق جواده معتد بعدتهِ والة حربهِ وجلاده ولما صار امام الضاري صدمهُ صدمة الليوث
الضواري . واتسع معهُ بالقتال ودار من حواليهِ دوران دولاب الاعمال عند اندفاعهِ بقوة
الرجال . هذا والضاري الاسود يتعجب من قتالهِ مع صغر سنهِ وعدم وجود نبات بعارضيهِ
وكان يسخر بهِ لذلك وبقي معهُ في قتال شديد حتى عرف بعين الحقيقة ان قتالهُ ليس كقتال
غيره من الابطال وان خفته كخفة بهزاد لا يثبت تحت ضربة ولا يصبهُ لا سيف ولا عمد وانهُ
كالنجم يتخطف من ناحية الى ثانية ولما راى منهُ ما راى اراد ان يطلب منهُ الانصاف بضرب
العمدان فلم يمكنهُ اردوان من الرجوع بل صاح فيهِ وانحط عليهِ انحطاط الصواعق وسبقهُ بضربة
من سيفهِ وقعت على وسطهِ القتهُ قتيلاً الى الارض قطعتين . وفي تلك الساعة حملت جيوش
الفرس وفيروز شاه وهو مسرور من عمل اردوان ومن قتلهِ الضاري الاسود ولم يكن الا القليل
حتى اختلطا القومان ببعضها البعض واشتد القتال والصدام في تلك الارض كانهُ قد آن
يوم العرض . وما امسى المساء الا وتاخرت رجال الحبشة الى الوراء اي تاخير وعولت على

الهرب والانفلال فمنعها وزير الضاري الاسود وقد دعا اليهِ بالقواد وقال لهم من الصواب ان نذهب الى فيروز شاه ونطلب منهُ الامان ونسالهُ العفو عن بلادنا وحريمنا والا اذا انهزمنا تبعونا واهلكونا وعملوا بنا ما عملوه بغيرنا ونزعوا البلاد مناوحيثما من صالح للفرس بالاقامة عندنا يرحلون في الحال ويسيرون الى بلادهم ولا يكون تم ضرر علينا بقدر ما اذا خاصمناهم وعاندناهم فوافقوه على هذا الراي واعتمدوا على انهم عند الصباح ينكسون سيوفهم ويتقدمون الى جيوش الفرس مشاة ويظهرون علامة الرضا والخضوع ويطلبون التامين على اموالهم وارواحهم وعلى حريمهم واولادهم

قال فهذا ما كان من هولاء واما ما كان من بهروز العيار فانهُ سار من بين جيوش الفرس في تلك الليلة التي وعد بها سيده واخذ معهُ طارق العيار وقد تزيا بزي رجال الحبش واصطبغ بصبغة من لونهم ولبس ملابسهم ودخل المدينة في اليوم الثالث من مسيره لانهُ جد في الطريق ليعود حالاً وكان يعلم جيداً من طارق العيار ان الملك بهمن موجوداً في قصر بنت الملك هدوب وكان ايضاً باماں من معرفة القصر حيث ان طارق عرفهُ منذ اتيانهِ في الاول الى تلك البلاد وبعد ان دخل المدينة وجاء الى القصر طاف من حواليهِ وفكر مع رفيقه من اين يمكن دخولهُ وبقيا يتمعنان ذلك الى ان كان المساء وقد سهل عليهما الامر واعتمدا على الدخول من الباب الكبير بواسطة البنج لان القصر كان عاليًا صعب الدخول لا يمكن الصعود على سطوحهِ ولا من جهة اخرى وكذلك نوافذه عالية وبعد المساء تقدم بهروز الى الحراس القائمين على الباب وكانوا اربعة وسلم عليهم وتكلم بلغتهم فاستانسوا بهِ وسالوه عن حالهِ وحال رفيقهِ فقال لهم اننا كنا مع الجيوش في قتال الفرس وقد عدنا بامر سيدنا الضاري الاسود الى المدينة لقضاء مصلحة وسنعود اليهِ في الغد حالاً وسالنا ان ناتي قصر بنتهِ ونبلغها انهُ منتصر على الاعداء فائز عليهم وانهُ بعد قليل من الايام يعود اليها ففرحوا وقالوا ان ذلك غايتنا ومرادنا واننا قائمون هنا ليلاً ونهارًا خوفًا من ان يهرب الملك الفارسي الذي عندنا ولا ريب بعد كسرة الفرس يقتلهُ ملكنا ونخلص من هذا المكان . فقال لهم بهروز مالي اراكم تحرسون في الخارج والملك الفارسي في الداخل . قالوا ان لا خوف عليهِ ان يدخل احد الا من هذا الباب ولا سيما من سيدتنا هدوب تطلب ذلك وتريد ان لا ندخل الى الداخل . فلما سمع بهروز هذا الكلام اشتبه بهِ وقال في نفسهِ لا بد من منع بنت ملكهم لهم من الدخول الى القصر من سبب موجب تحب ان لا يطلع عليهِ احد وبعد ذلك اخرج من جيبهِ زجاجة من الخمر وشرب نصفها ودفع نصفها الى طارق فشربهُ دفعة واحدة فقال لهُ الحراس من اين لك هذا الشراب وهل لكَ ان تسقنا منهُ قال اني احمل منهُ كثيرًا ولا اقدر على مفارقتهِ لاني معتاد عليهِ ثم اخرج زجاجة

وقال لا اقدر ان ادفع اليك غير هذه فاقسموها بينكم ففرحوا بها واخذوها وشرب كل واحد ربعها وكانت ممزوجة بالبنج وفي الحال سقطوا الى الارض كالاموات ولما راى بهروز ذلك فرح غاية الفرح ودخل القصر ومشى على الظلام في كل دهاليزه الى ان انتهى الى دهليز طويل فاراد ان يسلك فيهِ واذا بهِ قد سمع حركة فانزوى الى جانب مختفيًا في مكان مع رفيقهِ طارق لا يراهما احد فيهِ

قال وكنا قد تركنا الملك بهمن مع هدوب بنت الضاري الاسود على سعة العيش والراحة والهناء في كل ليلة مدة اقامتهِ في قصرها وقد اتخذها لنفسهِ زوجة وبعد ان مضى عليها مدة اشهر وجدت نفسها حامل فتكدرت من ذلك وغضبت من نفسها وتيقنت انهُ لا بد من ظهور امرها ذات يوم واشهار حالتها اذ لا يمكن ان تختفي حيث من المثل الدارج الحبل والركوب على ظهر الجمل لا يختفيان واخبرت بذلك الملك بهمن وعرضت عليهِ خوفها من جرى ذلك ومن ان يحكى بحقها الكلام القبيح. فتاثر من نفسهِ تاثيرًا عظيمًا وتكدر كدرًا لا مزيد عليهِ وقال لها بعد ان تبصر بهذا الامر كثيرًا اعلمي ان اباك ربما اذا عرف بمثل هذا الامر لا ينتقم منك وان غضب من عملك كونك وحيدة لهُ واما انا فلا ريب انهُ ينتقم مني ويجازيني بالقتل ومع كل ذلك لا اخافهُ ولا اخشى باسًا ما زلت زوجتي وانا زوجك واتكل بذلك على تدبيرات العناية ومن الصواب ان تتمارضي وتجعلي نفسك في الفراش فلا يظهر حبلك ولا بد قبل الولادة من مجيئ قومي الى هذه البلاد وحال مجيئهم يخلصوننا ومن ثم لا نعود نخاف احدًا فاستصوبت كلامهُ ورات فيهِ راحة موقتتًا ونجاة باخفاء نفسها عن اعين ناظريها. وبقيت على عملها مع الملك بهمن تاتي اليهِ في الليل وترجعهُ الى سجنهِ في النهار حتى مضى عليها نحو سبعة اشهر وهي حامل وقامت اكثر من اربعة اشهر وفي كل يوم ياتي ابوها يسالها عن حالها ومرضها فتقول لهُ بخير وانها قريبًا تشفى فكان مشغل الفكر لاجلها الا انهُ لم يكن يهتم بامر تمارضها كل الاهتمام لما يراه من اعتدال وجهها وعدم وجود خطر يخيفهُ من جهتها الى ان كان ما كان من امر مجيئ الفرس الى تلك البلاد وذهاب ابيها الى خارج المدينة بالفرسان والابطال وبسبب ذلك فرحت كثيرًا وسرت سرورًا لا مزيد عليهِ واخذها الشفاء من هذا المرض الاسي ونهضت من الفراش وهي تنظر الى نفسها نظر المتعجب لكبر حملها واخرجت زوجها واعلمت بقدوم قومهِ وقالت لهُ من الواجب الان ان ندعو الله ونفرح فقد جاء قومك وخرج ابي في هذا اليوم الى ملتقاهم بسائر جيوشهِ وجنده فقال لها اني اعدك وعدًا صادقًا صحيحًا انهُ لا بد من ان يكسر ابوك او يقتل ونمتلك بلاده ونؤخذ نحن الى قومنا ونرتاح من هذه الحالة التي نحن فيها وقائمون عليها واريد منك الان ان تامري جاريتك ان تروق لنا المدام وتاتينا بالصفرة كاملة فقد صح لي ان افرح

واسر ودعيها ايضاً ان تهيئ ما لك من الملابس والجواهر فلا بد من اتيان العيارين الى خلاصنا قبل نهاية هذه الحرب لنكون بين رجالي وقومي

ففي الحال امرت هدوب قهرمانتها ان تنفذ امر الملك بهمن وتاتيها بالشراب والنقل ففعلت وجلسا على بواطي المدام والملك بهمن مسرور جداً لا تسعهُ الدنيا من عظم فرحه وهو ان اباهُ لا يتاخر قط عن فتح المدينة وعن ارسال بهروز اليهِ لينتشلهُ من ذلك الحبس ومن تلك المخاوف التي كانت تحيق به على الدوام في مدة قيامهِ مع زوجتهِ الجديدة ولما دارت براسهِ مفاعيل الخمرة ورای من ضميره راحة واطمئناناً وهناء تذكر زوجتهُ شمس و بعده عنها وكيف اخذ معها زوجة ثانية وجعل يردد بفكره ماذا ياترى نقول عنهُ اليس تنسب ذلك الى ضعف بحبهِ وقلة امانة بودادهِ الا انهُ اخيراً وجد سلوى من نفسهِ حيث طرق ذهنهُ ان شمساً ذات عقل يندر وجوده بغيرها من ربات الخدور وبنات ذاك الزمان ولابد انها متى عرفت انهُ اجبر لزواجهِ بها بسبب اسرهِ عندها تعذرهُ ولا تلومهُ عليهِ وتذكر ايام راحته مع شمس فكاد يبكي لولا وجود هدوب امامهُ وخوفهُ من ان تلحظ عليهِ شيئاً من ذلك فاخفى ما كان يتردد في ضميره وانعكف معها على الهناء وشرب العقار والتسلي بمناشدة الاشعار وقد انشد

ياخدها وثني قدهـا الالفِ	من اطلع الشمس في غصن النقا الترفِ
ويافتور بلحظيها وهدبها	من حير الظبي بعد الغنج والوطف
ويا اراكة عطفيها ولينها	من اوقف الغصن بين اللين والهيف
خودٌ بدت فارتك الظبي في غيدٍ	والزهر في ترف والبدر في شرف
اعيذها وعيون الله تحرسها	من محنة العجب او من محنة الصلف
حكى ابن زهر محياها لنا غزراً	يروي سهيليها عن روضهِ الانف
و واقد الخد عن ماء الحياة روى	حديث مقتبس من عند معترف
يريك دراً على الياقوت مبسمها	فيغتدي هازئاً بالصبح في السدف
ومن يرى الدر في الياقوت منتظما	لم يلتفت لنثير الدر في الصدف
شكوت سقمي لشاكي لحظها فسطا	يامن راى دنفاً يسطو على دنف
وقد عجبت لمستشفٍ بناظرهـا	والسحر اودع فيهِ اية التلف
اني لها عن سقامي جئت معتذراً	اذ لم اكن مت من وجدي ومن لهفي
وعاذلٍ زادني تركيب عجمتهِ	لما صرفت عناني عنهُ للاسف
وجدتهُ عادماً عدلاً ومعرفـةً	قلت انصرف فغرامي غير منصرف
قال ارتجع قلت الا عن محبتها	قال استمع قلت الاّ منك فانصرف

وان ظننت بان اللوم يعطفني عنها اليك تجدني غير منعطف
وان جهلت بما القاهُ من كلفٍ فلا تسل غير احشائي عن الكلف
ياعبرتي انهملي يادمعتي اشتعلي ياسلوتي ارتحلي يالوعتي اكتنفي
لي ظبية صاغها الباري وصورها من جوهر اللفظ او من عنبر الترف
وفي حديث ثناياها وبارقها ريٌّ لمرتشف برءٌ للمتهف
وللوشاح اعتناق من معاطفها او ما رايت اعتناق اللام للالف

ولما سمعت هدوب انشادهُ ترنحت منهُ وطربت ودنت منهُ وضمتهُ اليها وقالت لهُ لا عدمتك من حنون رفيق وفصيح بليغ وخليل ودود جمع الله فيك كل صفات محبوبة حتى جعلت فتنة للعالمين واني اعرف من نفسي انها حصلت على سعادة لا يمكن ان يحصل عليها سواي الا شمس التي سبقتني عليها واليها . فقال لها ان امرًا واحدًا اريده منك وهو ان تعلمي اني احبها واحبك فهي رقيقة الطباع جدًّا حلوة الخصال ولا ريب انها تميل اليك جدًّا اذا عرفت بما فعلتهِ معي من المعروف والجميل والامر الوحيد الذي يهمني ان تكوني اذا سمحت لنا الايام بالراحة والاجتماع مع شمس على الحب والوفاق . فقلت كيف انسى ذلك وانا اريدهُ واطلبهُ وسوف ترى بعينيك وتشاهد خدمتي لها ومحبتي الثابتة لاني موكدة ان ذلك يرضيك ويريح بالك وانت تعلم مسعاي بكل ما يسرك ويكفيني ما لقيتهُ منك من الانس والالتفات والمحبة وانا اشرب واياك كاسات الخمور

واضم منك معاطفًا بردت حبور قلبي ببردِ
ونميل اذ نهوى الى نحوي وجيدك فوق زندي
ونقول عجبًا اذ ترى مثلي واهل الحسن جندي
والشمس والبدر المنير سناهُ جاريتي وعبدي
والغصن يقصف قدهُ ان قاس قامتهُ بقدي
ومنحتني منك الوصال تبرعًا وهجرت ضدي
فجعلت وجهك حضرتي وحديث راح لماك وردي
وعلمت لما بان روض الوجه ان الخد وردي
وشهدت لما ذقت طعم الريق ان الثغر شهدي
والفرق يشرق صبحهُ في ليل فرع منهُ جعدي
فاطعت فيك صبابتي وعصيت لوامي وزهدي
وقضيت اوطاري وقد غفل الرقيب فنلت قصدي

والخصر اتهمني باني بت في اكناف تجد
احبب بتلك لياليا قد اشرقت ببدور سعد

ولا كلام الا بعد الامتحان واني امينة على حبك ولا ادع شمسًا اشد مني ميلاً ولا اكرم طباعًا .
وبقي عندها باقي تلك الليلة وفي الصباح انزلتهُ وقالت له وإن كان ما من محذور باتيان ابي
الينا الان الا اني اعرف انهُ لا بد من ان يجيء بعض النساء او غيرهن من عائلتي او نساء
المملكة ولا سيما بعد علمهن باني مريضة وما من باس عليك الان فبقاؤك ان شاء الله لا يكون الا
لايام قليلة . فقال لها اني موكد ان بهروز او غيره من العيارين بزوروني في هذه الليلة او التي
بعدها وتريني على الدوام بالانتظار حيث ذلك من عوائدهم ولا يصعب عليهم امر فقط من
الامور الصعبة ثم انهُ عاد في الصباح وبعد المساء نزلت اليهِ القهرمانة فاخرجتهُ وفي الصباح
الثاني ارجعتهُ ودام ذلك الى ان كانت الليلة التي جاء بها بهروز ودخل القصر مع رفيقهِ
وسمع الحركة

وكانت تلك الحركة صادرة عن مجيء القهرمانة لاخذ الملك بهمن وبيدها مصباح فراها
بهروز وطارق دون ان تراهما لانهما اختفيا في ناحية من الدهليز لا تمر من صوبهما ولكونها ايضًا
باماں من وجود احد غيرها في تلك الجهة . ثم انها وصلت الى باب السجن ففتحتهُ ودخلت ثم
خرجت ومن خلفها الملك بهمن فسارت امامهُ بالمصباح وقد راهُ بهروز وتاكده حق التاكد
وعرفهُ حق المعرفة ففرح جدًّا وسر مزيد السرور وشكر الله على سلامتهِ وزاد فرحهُ عندما
سمعها تقول لهُ ان مولاتي هي الان بانتظارك لتخبرك بخبر من جهة قتل رعد المجنون وتاكد
عند بهروز ان الملك بهمن عالق بحب بنت الملك وانهُ قائم بالراحة والاطمئنان معها وبعد ان
بعدا عنهُ سار ومعهُ طارق العيار في اثرهما بوطيء اقدام خفيفة جدًّا وصعدا السلم وراءهما
وبدقائق قليلة صارا في وسط الدار وشاهدا الغرفة التي دخل منها الملك بهمن مضيئة
بالمصابيح الكثيرة الانوار وتخرج منها الروائح العطرية فتملأ القصر فصبر بهروز الى جانب
الحائط بزاوية مظلمة منتظرًا خروج القهرمانة من تلك الغرفة لعلمهِ انها لا يمكن ان تبقى هناك
كثيرًا بل من الواجب ان تخلي لهما المكان ولا تكون كرقيبة عليهما . وهكذا كان فانها بعد
دقائق قليلة خرجت من تلك الغرفة ودخلت في غرفة ثانية واقفلت من خلفها . وحينئذٍ تقدم
بهروز رويدًا رويدًا الى جهة الباب واصغى الى ما يكون من امرهما فسمع هدوب تبشر الملك
بهمن بانتصار الفرس وقتل والده لرعد المجنون وقالت لهُ ان الامر قد هان وقد شاع هذا
الخبر في المدينة ان رجال ابي بتاخير ولولا ابي لتفرقوا واني وإن كنت لا اكره مكدرًا لابي لكنني
لا اقدر ان ابقى في هذه البلاد واحب اليَّ ان اموت من ان يظهر امري وتعرف الناس باني

يحضرها الى امام امو فنعل ولما وقفت امام فيروز شاه وعين الحياة اطرقت الى الارض حياء بعد ان سلمت عليها فقامت اليها عين الحياة وقبلتها وقالت لها لا يجب ان تستحي فانت منذ الان واحدة منا وقد اصبحت ملكة بفارس مع انك بنت ملك كبير من اكبر الملوك بلاداً وجيشاً وان كان ابني لم يزف عليك زفافاً شرعياً فهو لم يتخذك الا زوجة منذ البداية وسوف يكون لك ولهُ عند رجوعنا الى ايران يوم فرح مخصوص لاني لم افرح بولدي ولا حضرت زفافهُ على شمس وكان بعهدي ان احتفل لهُ بزفاف يكون ابهى من زفاف ابيهِ غير ان الايام لم تسمح لنا قط ولا ارتحنا من الحروب دقيقة واحدة . وعليهِ فما من سبيل للحياء الان محبتك عندنا لا نقدر ولا سيما فانت مخلصة ولدي ولولا مساعدتك اياهُ وانضمامك اليهِ وانعطافك عليهِ لكان قتلهُ ابوك او كان لاقى اتعاباً وعذاباً عوض الراحة والهناء . ثم استاذن الملك بهمن اباهُ بالذهاب الى صيوانهِ لينام باقي تلك الليلة حيث كان من التعب على جانب عظيم . فاذن لهُ انما اوصاه ان لا يقرب من هدوب وقال لهُ لما كنت في يدها واسيرها كان لها الحق ان تتصرف بك واما الان وانت حرٌّ وهي بيدك فلا اسمح لك ما لم تزف عليها الزفاف الشرعي من طيطلوس بشهادة شهود وهكذا يريد الله سبحانهُ وتعالى فانهُ قد امر بشريعتهِ المطهرة . فوعده بذلك وسار الى صيوانهِ فنام الى الصباح . وعند الصباح نهض من فراشهِ وجلس حيث سمع طبول الحرب تضرب لاجل القتال

وكان ذلك من فيروز شاه لانهُ كان في الليلة التي قبلها فرح جداً بعمل اردوان وشكرهُ على قتل الضاري الاسود وكذلك ابوهُ فرخوزاد فانهُ اثنى عليهِ وعلى شجاعتهِ وصرفوا تلك السهرة على نية ان يفاجئوا الباقين في الصباح فيبددونهم ويبعدونهم عن تلك الديار ومن ثم يسيرون الى المدينة وعلى ذلك بكر القوم الى القتال فالتزم الملك بهمن ان يخرج من صيوانهِ حالاً على مرأى من الجميع ويركب جوادهُ ولما راى الناس ان الملك بينهم فرحوا جداً وصاروا يهنئون بعضهم بهِ وشاع الخبر بين الخاص والعام وكانت الفرسان تقدم اليهِ وتسلم عليهِ وتهنئهُ بالسلامة وقبل ان يتم انتظامهم ويسكن شاغل فرحهم راوا الوزير راصد وزير الضاري الاسود اتياً ومن خلفهِ اكثر من عشرين رجل من امراء الحبشة فعرف فيروز شاه من هيئتهم ان مرادهم التامين وحينئذٍ امر ان يدخل الى الصيوان الكبير كل فارس وبطل من امراء الفرس ويجلس الجميع في مراكزهم وجلس الملك بهمن على كرسيهِ والجميع من حواليهِ واذا بالوزير وقومهِ قد دخلوا عليهِ فترحب بهم والتقاهم احسن ملتقى وكان خورشيدشاه وباقي الاسارى معهم قد جاءوا بهم للتوسط . فلما دخل الوزير وراى الملك بهمن تعجب غاية العجب ووقف مبهوتاً نحو دقيقة ثم تقدم وقبل يدي فيروز شاه وطيطلوس الحكيم وسلم بعد ذلك على الفرسان وفعل مثل ذلك جماعتهُ

ثم طرحوا سيوفهم امام فيروز شاه وطلبوا منهُ التامين على اموالهم وعيالهم وارواحهم . فقال للوزير
اني اعرف ما انت عليهِ من كرامة الاخلاق وحسن الاراء والتدبير وقد وصل اليَّ من كرم
اخلاقك ما اشرت بهِ على الضاري الاسود من تاخير اجل ولدي او اطلاقهِ فلم يقبل وقد لاقى
شر عملهِ واكرامًا لك فاني لا اضر احدًا من هذه المدينة ولا اريد منها شيئًا واقيمك عليها ملكًا
هذا اذا كنت انت وقومك تامنون بالله وتتدينون بدينهِ قالوا اننا نؤمن بهِ ونعترف بوحدانيتهِ
ولسنا من الكفرة وعبدة الاوثان . فقال الملك بهمن حيث الامر على هذا المنوال فاني باذن
ابي اقيمك ملكًا على كل بلاد الحبشة تحت حماية المملكة الفارسية ويكون لك النفوذ على قومك
ومن عصاك لا يكون جزاؤهُ الا الموت والهلاك . ثم التفت الى قومهِ الاتين معهُ وقال لهم وانتم
هل تقبلون بان يكون الوزير راصدًا ملكًا عليكم وتكونوا انتم من اعوانهِ وانصاره . فقالوا هذا
الذي نطلبهُ ونراه موافقًا وغيره لا نريد ملكًا . ثم انهُ قال لهم وايضًا اخبركم ان احد عياري
بلادي ذهب الى المدينة وخلصني من سجنكم وقد جئت ببنت ملككم هدوب لتكون عندي وزوجة
لي وبهذا يتصل نسبي بنسبكم وحسبي بحسبكم فاظهروا من ذلك سرورهم وفرحهم وشكروه على
اهتمامهِ بهم ومجابرتهِ لهم وطلبوا اليهِ ان يذهب معهم الى المدينة ويقيم عندهم ايامًا . فابى فيروزشاه
وقال اني لا ارغب ان اتعدى هذه الارض واني احب الرجوع حالاً الى بلادي كي اعيش مرتاحًا
بها بقية عمري اذ اني الان لا ارى من مكدر يكدرني وما من ارض باقية تعصانا وتخرج عن
طاعتنا واشكر الله على ذلك وعلى منتهِ وانعامهِ فهو السميع المجيب وعليهِ فاني ابقى في هذه الارض
مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك اعود الى بلادي . ومن ثم ودعوه ووعدوهُ بكل طاعة واطمئنان
وشكروا منهُ وما اظهرهُ من العناية نحوهم وساروا الى معسكرهم واخذوه ورحلوا من هناك الى
بلادهم بعد ان ارسلوا الى معسكر الفرس كل ما كان عندهم من المون والذخائر والاسلحة والخيول
وبعثوا الى فيروز شاه بكثير من هدايا بلادهم وعند وصولهم الى المدينة نادوا باسم الوزير راصد
ورفعوه ملكًا عليهم وجلس على كرسي الضاري الاسود وعين الحجاب والنواب والوزراء ورتب
المدينة على احسن ترتيب وبعث بالاوامر والرسل الى سائر البلاد يخبرهم بما كان منهم ومن
الفرس وكيف انهم لم يضروا البلاد وقد اقاموا ملكًا عليهم ويامرهم ان يرفعوا عوضًا عن
الاعلام الحبشية الاعلام الفارسية لتكون البلاد تحت سلطة الفرس وحمايتهم كما وعدوا بهِ

فهذا ما كان من امر الحبشة وحروبهم وما جرى عليهم واما فيروز شاه فانهُ في اليوم الرابع
من ذهاب الوزير عن تلك الارض ورحيل جيوش الحبشة دعا اليهِ طيطلوس واطلعهُ على امر
الملك بهمن واستشاره بذلك فقال لهُ انهُ ما زال يقبل ان يتخذها زوجة لهُ فهو في حل لانهُ لما
اراد زواجه بها لم يكن قادرًا ان يستشهد عليهِ لبعد الشهود عنهُ ولا قادرًا ان يقوم بشروط

الزفاف ولكنه اشهد الله عليه فلا يلزم ان يخونه وصار من اللازم ان يمتنع عنها الى حين زفافه بها قال اريد ان يكون الزفاف بهذا اليوم لانها حامل منه فاذا ذهبنا الى بلادنا يعرف الجميع انها تزوجته فتلد له . قال ان كل ذلك بامر منه تعالى ولا بد ان ياتي من هدوب هذه ولد سعيد وبطل صنديد ويجري عليه من الامور ما لم يجرِ عليك ولا على غيرك من الذين سبقوا ويدخل بلاد الافرنج اي البلاد التي لم ندخلها نحن ولا راها احد من سكان الفرس والعرب وغيرهم ويكون قوم كثير تحت طاعته ويكون محبا لاخيه الذي يلد من شمس ويحكم على بلاد فارس . ففرح فيروز شاه بذلك غاية الفرح وامران يذهب بزرجمهر وباقي الامراء الى صيوان عين الحياة فذهب الجميع الى ذاك الصيوان واحضروا هدوب وزفوها على الملك بهمن وهنأها الجميع بذلك وهنأوا ملكهم وفرحت بذلك غاية الفرح وتم لها ما كانت تطلبه وترجوهُ من الملك بهمن وبعد ان انتهى الزفاف امر فيروز شاه ان تستعد العساكر للرحيل في صباح اليوم القادم فاجابوا سواله وهيأ كل واحد نفسه واستعد للسفر حتى اذا كان اليوم التالي ركب فيروز شاه فوق كمينه ورفع زوجته عين الحياة الى هودجها ورفعت ايضاً هدوب فوق بازل ومشت بالقرب من عين الحياة وبين يديها الحراس من الفرسان والابطال والخدم تسعى ومن ثم ركب جميع من في ذاك المكان من الفرس اتباع فيروز شاه وساروا الى جهة بلادهم مدة شهر ثلاثين يوماً حتى انتهوا الى ارض واسعة طيبة الهواء والمناخ فاقاموا بها مدة وهناك دعا فيروز شاه اليه بهزاد وقال له اريد منك ان تذهب من هنا مع مهريار الوزير الى كشمير العجم ونقيمه ملكاً هناك وتكبح كل معاند ومخاصم ومن لا يقبل بذلك . وخذ معك سيامك سياقبا ومن اخترت من الفرسان وبعد ان تنتهي من ذلك نعود الى ايران واني اطلب منه تعالى ان تكون اقامتنا بايران اقامة راحة وهناء ولا يحصل لنا ما يكدرنا بعد الان فنصرف باقي عمرنا على العيشة الرضية بين الاهل والخلان . فاجاب بهزاد طلبه واختار له خمسين الف فارس ومعهم سيامك سياقبا وجمهيد شاه

وبعد ان اقاموا مدة ثلاثة ايام في تلك الارض ركب فيروز شاه وركب جميع من معه وركب بهزاد برجاله الذين اختارهم وترك الباقين مع جيوش الفرس وودع قومه وسار من هناك على طريق كشمير وهي بلاد الملك كندهار الذي قتل في حرب الابقع ولا زال سائراً ومعه مهريار الوزير الى ان وصلوا الى تلك البلاد وشاعت اخبارهم بين الخاص والعام فخرجت سكان المدينة برمتها على الطاعة والتسليم وكانوا لا يزالون بلا ملك يحكمهم الوكيل الذي اقامه كندهار قبل سفره ولما وصلوا الى بهزاد وسلموا عليه وعلى الذين معه وترحبوا بهم جميعاً واظهروا طاعتهم وقالوا له اننا نكن المخلصين بحق مولانا الملك ضراب ولم يكن ما جرى بارادتنا بل

كل ذلك من الملك كندهار وولده الشاه روز طمعاً بعون الحياة ونحن نعرف ونوكد ان ذلك سيعود عليه بالوبال الى ان هلك ومات والحمد لله على ذلك . فوعدهم بكل جميل وقال لهم اني ما اتيت الا لانظر في امركم فمن كان طائعاً خاضعاً لاوامر الملك بهمن ملك ملوك الفرس وسيدهم تركناهُ على حاله وكافئناه على طاعتهِ بالشكر والالتفات ومن كان عاصياً انزلت عليهِ صواعق الغضب و بعثت بهِ الى دار الهلاك وقد ارسل معي الملك وزيرًا حكيماً عاقلاً خبيرًا باحوال هذا العالم وتدبيراتهِ وهو الوزير مهريار وزير الملك جهان صاحب بلاد الصين قد استصحبناه معنا ليكون في بلادنا وعندنا مكافاة على ما عملهُ مع فيروز شاه وملوك الفرس من المعروف والجميل . فاجاب الجميع قولهُ وقالوا لهُ اننا نتمنى هكذا رجل كامل الصفات حسن المزايا كريم الاخلاق وما ذلك الا رحمة لنا ولو لم يكن كذلك لما اختاره ملكنا

ومن ثم رجعوا عائدين الى المدينة مسرورين بملكهم الجديد يدعون لهُ وللملك بهمن بالنصر وطول العمر ودخلوا المدينة واجتازوا اسواقها وفي المقدمة بهزاد والى جانبه سيامك سياقبا و باقي القواد يحيطون بالملك مهريار وكانت الناس تزدحم على الطرقات لترى بهزاد الذي انتشر خبر صفاتهِ في كل البلاد ولم يبقَ احد من مشرق الدنيا الى مغربها الا وسمع بوحدانيتهِ ببسالتهِ وثباتهِ واقدامهِ واعمالهِ العجيبة وهو يحيي الجميع عن الطرقات وفوق السطوح وفي النوافذ من رجال ونساء الى ان كاد يصل الى قصر الاحكام فنظر الى قصر عن يمينهِ مرتفع يدل على عظم مكانة صاحبهِ لحسن اتقانهِ و بنيانهِ فنظر بهزاد الى اعلاه يتاملهُ واذا بهِ وقعت عينه على احدى نوافذهِ المشرفة على ذاك الطريق فرأى فيهِ فتاة في سن العشرين سنة واقفة تحدق بهِ وعليها ثوب من الديباج احمر اللون برهج بلمعانهِ كانهُ ايام العيد وهي بخد ابيض ناعم ووجه مستدير مقطوع ببيكار العناية الالهية ولم تكن لا رقيقة الجسم ولا ضخمة معتدلة الطول قد جمع الله بها كل حسن فلا يمكن ان يكون خلق اجمل منها من ابناء عصرها وسنها وقد نظرت اليهِ بفاتر طرف احور وابدت تبسماً قليلاً وعند وقوع نظرها عليهِ كانت تعجب من حسنهِ وما اعطاه الله من الهيبة والوقار ولم يكن الا القليل حتى غاب عن تلك القصر وهو يشخص بذهنهِ تلك الصبية ولم يكن يعرف من هي ولا قدر ان يدرك سر العناية في الحال بانها لا ترغب ان تبقيه على حالهِ بلا زواج ولا نسل ولئن النصيب يجيء على الدوام فجأة ولذلك . كانت تشتد بهِ دواعي الميل كلما بعد عن ذاك القصر وكلما اراد ان يغيب عن ذهنهِ شخصها وما راهُ من بديع جمالها يرسخ وينمو بسائر صفاتهِ واحوالهِ حتى كان كيفما نظر وكيفما مال باعينهِ يرى تلك الصبية واقفة تنظر اليهِ تلك النظرة وتتامل فيهِ باسمة عن ذاك الثغر المفتر عن شنب و بدقائق قليلة دخل قصر الاحكام وحالما وصولهِ الى الديوان اجلس مهريار على الكرسي العالي وهو في صدر القاعة

وامر ان يوتى اليهِ بتاج كندهار وصولجانهِ ووشاحهِ الملكي فاتي بها جميعها فالبسها للوزير مهريار وامر بان ينادى بالمدينة بتتويجهِ وقيامه ملكاً على تلك البلاد وامر ايضاً ان يكتب الى كل ملحقات كشمير وبلادها ليعلموا بان الملك عليهم مهريار فسارت الرسل بالكتب معلنة بذلك في كل النواحي . ومن ثم استدعى باحد امراء البلاد وسالهم هل من ولد باقٍ في المدينة للملك كندهار فقال لهُ ما من ولد ذكر له قط ولكن لهُ بنت واحدة فقط تسكن في قصر مخصوص بها على الطريق التي مررنا بها ونحن اتون الى هذا القصر وهو لم يرزق من الله الا هذان الولدان وهما الشاه روز واختهُ هذه واسمها روزه وهي لا تزال بكرًا وعليهِ فما من احد يطمع بالملك من نسل كندهار . فلما سمع بهزاد هذا الكلام ثبت عنده ان الصبية التي راها في الطريق هي روزا بنت كندهار لان ذاك القصر هو قصر ملكي قد تزين واكتسب بهاء وجلالاً من سنائها وبهائها غير انهُ اظهر الجلد واخفى ما كان يدعوهُ اليهِ ضميرهُ ويحركهُ اليهِ قلبهُ وصرف باقي النهار في قصر الحكومة والناس ترد للسلام عليهِ ولتهنئة الملك مهريار بملكهِ الجديد وعند المساء دعاهم الوزير في خدمة الدولة لمناولة الطعام فساروا اليهِ وكان قد اعد لهم وليمة فاخرة وقام بكل اسباب الحظ والهناء

قال وكانت تلك الصبية هي روزا التي اشار اليها الامير لبهزاد نفسها وكانت حزينة على ابيها جدًّا ولم يكن من يسليها على حزنها بل كانت من بعد مسير ابيها قائمة في قصرها لوحدها وعندها بنت عم لها تقابلها حسناً واعتدالاً كانت قد اختارتها لتقيم عندها . وعندما شاع خبر موت ابيها تكدرت كثيرًا وعرفت ان ذلك مما يعود عليها بالذل والانكسار . وبقيت في قصرها على مثل ذلك الحزن لا تخرج منهُ ولا تريد ان يدخل احد اليها وعندها بنت عمها فقط واسمها نفوز وقهرمانتها وخادمتان لخدمتها وصرفت على ذلك نحو شهر ومع ما هي عليهِ من الحزن على ابيها والكدر من انفرادها بعيشتها وانقطاعها عن الناس . كان جمالها لا يزال ثابتاً ولا ينقص منهُ شيء لانهُ لم يكن تصنيعياً بل كان طبيعياً وكان سنها يحافظ عليها ويداريها فلا يفقد منهُ شيء . وبقيت على ما نقدم الى ان بلغها خبر مجيء الفرس وبهزاد لقيام ملك على بلاد ابيها مكانهُ فتكدرت من ذلك . وقالت بنت عمها ان الدهر لم يساعدنا قط وهو يظهر انهُ يريد عنادنا فلو كان ابي ممن يعقل ولم يطع اخي لكانت البلاد بقيت بيدنا ولا عدمنا الوريث للكرسي الملكي واما الان فاني ارى ان ايام دولتنا قد انقرضت وانتهى عزنا ولا بد ان نلاقي ذلاً واهانة بباقي عيشتنا في هذه الحياة بعد ان كنا اصحاب البلاد وحكامها وملوكها نلتزم ان نعيش عيشة العوام ولا نعرف ماذا ينتهي اليهِ حالنا ولا في نصيب من نكون ولا ريب اننا نبقى متروكين من الناس . فقالت لها نفوز لا تقطعي الرجاء من النجاح وان كان ابوك قد مات

فمونهٔ كان بتعدٍ منهُ لا حق بهِ على الفرس ولا على فيروز شاه بل قصد ان ياخذ زوجة لاخيك فجازاها على ذلك وعندي انهُ عند اتيان الفرس مع بهزاد الايراني نذهب اليهِ ونعرض عليهِ حالنا ونطلب منهُ ان يصحبنا معهُ الى بلادهِ ويقدمنا الى فيروز شاه لنخبره بامرنا ونشكو اليهِ صعوبة دهرنا وانقطاعنا عن الناس وانقطاع الناس عنا وفقدان النصير والمساعد ولا ريب انهُ متى راى منا ذلك يلتفت الينا ولا يتركنا لانهُ من اعدل الناس حكما وارقهم قلبًا ومع ما هو عليهِ من القساوة في القتال اثناء الحرب هو بعكس ذلك عند الرحمة والشفقة . فاستحسنت روزا كلامها ورايها وقالت لها لقد اصبت بما اشرت فان قيامنا بهذه البلاد ذل لنا واذا اتكلنا على فيروز شاه واخبرناه بحالنا وسالناه المساعدة مال الينا ودبرلنا حالة موافقة لنا واني وان كنت حزينة على ابي واخي بمفاعيل الطبيعة انما اعرف حق المعرفة ان قتلها منهُ كان بحق ما عملاهُ كان على غير رضى مني وكنت اكره مثل ذلك منهما ونصحت ابي تكرارًا فلم يقنع بل كان كل قصده انفاذ غايات اخي

واخذت روزا ونفوز بالانتظار لقدوم الفرس ودخولهم المدينة في نفس ذلك اليوم الى ان دخلوا وكانت روزا تعرف انهُ لا بد من مرورهم من تلك الناحيــة اي من تحت قصرها اثناء مسيرهم الى قصر ابيها ولذلك كانت تنظر على الدوام من شباك قصرها الى الطريق الى ان سمعت غوغاء مرورهم وضجيجهم فتاكد عندها وصولهم ولكنها كانت لا تقبل ان ترى تلك الجماهير على تلك الحالة ولا تريد ايضًا ان يراها احد منهم ولا سيما اهل مملكتها ورجال ابيها . ولهذا نظرت من الشباك الى مقدمة تلك الجماهير فوجدت في المقدمة بهزاد والى جانبهِ سيامك وحال وقوع نظرها عليهِ وجدت منهُ فوق ما كانت تنتظر ولم تقدر ان تضبط نفسها من فعل تلك النظرة وما اهاجت بها ورات منهُ قمرًا يسير في موكبهِ كانهُ الملك الكبير الشان كما راى منها عندما طلعت من النافذة من وراء الحائط بدرًا يطل من فوق الغيوم فيبعث بنوره الى الارض وكاد يضيع عقلها ولم تتمالك نفسها من ان تتبسم في وجهي تبسم الحب والرقة ثم رجعت الى الوراء مكتفية بتلك النظرة من قمرها عن سواه وعادت الى كرسي هناك فجلست عليهِ والقت براسها الى الحائط مسندة اياهُ عليهِ واذا ببنت عمها نفوز قد جاءت الى تلك الغرفة وجلست على كرسي اخر واسندت براسها الى الحائط وجعلت تنظر كل واحدة منهما الى الاخرى لا تعلم ما بقلبهــا وكانت نفوز قد نظرت الى سيامك سياقبا وعلقت بهِ كبير امل لما راتهُ كالاسد في هيئتهِ وراتهُ ايضًا يحدق بها احداق الامعان والتروي وشعرت بحبهِ وهامت بهِ في الحال مصادقة على قول من قال ان اول الحب نظرة وعادت الى كرسيها كما تقدم وبعد ان جلست برهة وهي تنظر الى روزا قالت لها كيف رايت رجال الفرس فزاد لهذه الكلمة هيام روزا وارادت ان تجيبها فلم تقدر في

الحال بل غصت بالكلام وادركتها دمعة واحدة تدحرجت على ناعم خدها وسقطت الى صدرها فادركت نفوز صعوبة حالتها وما هي عليهِ ولكن لم تعرف الاسباب فنهضت اليها وقالت لها ماذا جرى عليك اهل تشعرين بوجع او مرض او لا يزال الحزن يفعل بك ويكدرك فقد ابيك . قالت لا بل اشعر بمرض عضال وقع عليَّ بغتة فالقاني في ضعف وقلة حيل وزاد بي اشغال بال قالت هل تاذنين لي ان اتيك بطبيب فقالت لها ان الطبيب الذي يداويني لا تقدري ان تاتي بهِ . فادركت نفوز في الحال ما اصابها وعرفت ان ذلك فعل الحب وثبت عندها انها اصيبت بما اصابها فعادت الى كرسيها وجلست عليهِ وقلبها يخفق وقد خافت كل الخوف من ان يكون نفس الرجل الذي راتهُ وتعلقت بهِ هو نفس الذي احبتهُ بنت عمها ولذلك كانت تخاف ان تسالها اكثر مما سالتها طمعًا ان تبقى نفسها بلذة اوهام من ان تقطع رجاءها لانها اذا عرفت ان بنت عمها احبت الذي احبتهُ هي تلتزم الى ترك رجائها وقطعهِ ولو تحملت بذلك صعوبة الموت والعذاب . غير ان روزا كان قد القاها الحب في وهدة عميقة واخذ بها ماخذًا نهائيًا حتى اوجبها الى ان تبح الى بنت عمها بما في قلبها وتتخذها عضدًا لها وساعدًا تساعدها في ارائها . فقالت لها الا رايت ذاك الرجل اللطيف الذي يسير في المقدمة كانهُ ملك القوم نعم هو الملك وهو السيد بينهم ولا يخطئني ظني انهُ بهزاد الايراني بهلوان تخت بلاد فارس واشرف ملوك الارض . قالت نعم رايتهُ وعرفتهُ حق المعرفة ولم يخطئك ظنك انهُ بهراد فماذا تريدين منهُ قالت اني كنت قبلاً لا اريد منهُ شيئًا لكن بعد ان رايتهُ صرت اريد منهُ كل شيء فهل يا ترى ان الله سبحانهُ وتعالى يساعدني ويسهل لي ان اكون بين يديهِ اخدمهُ في الصباح والمساء هل يسعدني الزمان فاكون زوجة لهُ او يبعدني عنهُ فاموت ولا ارى لي غيره رجاء وسلوة واملاً نعم هو وحده اريد وعندي انهُ يقبلني خادمة لانهُ نظر اليَّ نظرة جرحت فوادي ومع ما اوقعت عليَّ من الام الوجد اراها نافعة لي معزية لاحزاني ولو لم تكن تلك النظرة وقعت منهُ عليَّ ذات معنى موثر يخطر في ذهني في كل لحظة لكنت اقطع الرجاء منذ الان وارمي بنفسي الى حجر الهلاك لاني كنت اظن ان من هي مثلي لا تصلح لمن يراها من تحت شباكها وينظر اليها نظرة العاشق المغرم نعم ان تلك النظرة شفيع وحيد عن صده وبرهان عن حبه وعليها اعلق امالي وانتظر الفرج . ثم انها انشدت

هويتهُ تحت اطمار مشعثة	وطالب الدر لا يغتر بالصدفِ
وخبرتني معان في مراسمهِ	بهِ كما خبر العنوان بالصحفِ
ولاح لي من امارات الجمال بهِ	ما كان من لحظ غيري بالخمول خفي
فرحت ارخص ما يبديهِ من درن	بهِ وادحض ما يخفيهِ من جنفِ
حتى اذا تم معنى حسنه وبدا	كالبدر في التم او كالشمس في الشرف

وجال في وجهه ماء الحياة كما يجول ماء الحيا في الروضة الانف
وولد الحسن في احداقه حورًا وضاعف الدل ما بالجسم من ترف
ياللرجال اما للحب منتصر لضعف كل محب غير منتصف
ما اطيب العيش لولا ان سالكة يمسي لاسهم كيد الناس كالهدف

ثم سكتت قليلاً ونفوز تنظر اليها وتريد ان تبح لها بهواها ايضاً وتشكو لها الحالة التي هي فيها ايضًا وقبل ان تبتدي بذلك سمعتها عادت فانشدت مستجيرة مستغيثة بالله

يارب اعطِ العاشقين بصبرهم في الخلد غايات النعيم المطلقِ
واذقهم برد السرور فطالما صبروا على حرّ الغرام المقلقِ
حتى يرى الجبناء من حمل الهوى غايات عزمهم التي لم تلحقِ
فيكون اصغر جاهل حمل الهوى يلهو باكبر عالم لم يعشقِ

فكان انشادها هذا مساعدًا لنفوز معينًا لها على ما بقلبها محركًا اياها الى الاباحة بما في قلبها ولذلك قالت لها . لا شك يا بنت عمي ان رجال ايران هم اكثر الناس رقة واشدهم بسالة واحسنهم وجهًا ومعانيًا وكنا نسمع ذلك ولكن لا نلتفت اليه حيث نجهله الى ان رايناه عيانًا ولا بد ان اخبرك ان الذي وقع بك وقع بي ايضًا غير ان الذي احببته انت هو غير الذي احببته انا بل هو الذي كان الى جانبه العريض الواسع الصدر فهو الذي قد اخذ بمجامع قلبي واشعل في فوادي نار حب لا تطفى الا بالتقرب منه والشكوى اليه والاجابة عن ذلك بقبولي عنده رفيقة وخادمة ثم انشدت ايضًا

تحجبت يا ناظري عن الناظر الساحر
فما غبت عن خاطري ببعدك عن ناظري
بصدرك الشوق لي على البعد كالحاضر
و يسبقني بالقيا م قلبي بل سائري
لقد جار سقمي على ضعيف بلا ناصري
وعلمة الفتك لي شبا طرفك الساحرِ
فلم يبق غير الغليـ ـل والمدمع الماطر
وغير صفير الزفير في عظمي الناخرِ
وعلمت نومي الصدو د بصدك يا هاجري
فما مرّ لي خاطرًا بجفن ولا خاطرِ
اضفت اعتكا ر الهموم الى ليلي العاكرِ

ترى قبل موتي ارا | ك يا هاجري زائري
بحق السقام الصحيح | ح في جفنك الفاتر
وبالورد في وجنتيـ | ـك يا فتنة الناظر
اجبني مما نفو | لك من قرقف عاطر
اقل اذا ما بخا | ت من نعبة الطائر
وان شئت فاسفك دمي | ولا تخشى من ماثر

وسمعت روزا كلامها وعذرتها عليهِ وقالت لها اني لا الومك على مثل عشقك لحبيب احببته لان الحب صعب المسالك يقود الفتى الى اشد الضيقات واصعب المصاعب واعظم العظائم فانظري في امرنا ودبري لنا طريقة توصلنا الى من احببنا لنتوصل اليهما ويتوصلا الينا . قالت هذا لا بد منهُ لان بهزاد يسال عنا ويسال عن كل اهل الملك كندهار واولاده ولا بد ان ياتي هذا القصر ليعرف من فيهِ ولا سيما انهُ راك ورفيقهُ رآني وكل منهما دلَّ من نظره انهُ عرف بوجودنا ومن الواجب ان نصبر بضعة ايام فاذا لم ياتيا الينا سعينا الى الوصول اليهما و بعثنا نستنجد بهما ان ياخذونا الى ايران ومن ثم نتعرف بهما ونبقى عندهما فصبرت روزا على ما بقلبها وهي تتمنى الوصول الى من ترجو وصالهُ كما يتمنى الوصول هو ايضًا اليها

فهذا ما كان من روزا ذات الحسن الفائق والجمال الرائق والطباع الحسنة وبنت عمها نفوز واما ما كان من بهزاد فانهُ اقام مع سيامك ومهريار اكثر تلك الليلة عند الوزير وبعد نصف الليل ذهب الى قصر اعد لهُ ليبيت فيهِ مع سيامك وذهب مهريار الى قصر المملكة المخصوص بهِ وكان بهزاد يحب الانفراد ليمتحن نفسهُ عما لحق بهِ من جرى ذاك الارتباك بعد تلك النظرة لبنت كندهار وعند دخولها القصر دخل بهزاد الى غرفة مخصوصة ومثلهُ سيامك فانهُ دخل الى غرفة ثانية اعدت لهُ وحال دخوله نزع ثيابهُ وقصد النوم بالفراش ونزل في سريره وجعل يتقلب دون ان ياخذهُ نوم وقلق جدًّا ولهذا وجد نفسهُ غير قادر على النوم ورأى امام عينيهِ جمال تلك الصبية الفائق وحسنها الرائق وهي نفوز وصار يفكر فيها وفي محاسنها العجيبة الفتانة والحب يشتد عليهِ ويقوى بهِ حتى تمكن منهُ تمكنًا عجيبًا ولذلك جعل يسلي نفسهُ بمناشدة الاشعار فيقول

من لم ترعهُ صوارم الاحداقِ | لم يدرِ كيف مصارع العشاقِ
ان لم ترعك ولم تشاهدها فهل | برق الحمى عن قلبي الخفاقِ
فالسحب دمعي والشهاب جوارحي | انذرت بالاغراق والاحراقِ
وبسهد جفني واكتئاب حشاشتي | ارسلت للعشاق بالاشواقِ
فالحب ديني والتوله شرعتي | والوجد عهدي والهوى ميثاقي

والشوق طبعي والصبابة شيمتي والتوق وصفي والجوى اخلاقي
يكفيك مني ان ابيت معذبًا قلق الفؤاد مسهد الاحداقِ
ارعى النجوم وهنّ اوضح مخبرٍ عما اقاسي في الدجا والاقي
واراسل الغيم الهتون وبرقهُ بلظا حشاي ومدمعي الرقراقِ
واطارح القمري في تغريدهِ بنوّى براعى او بهول سباقِ
واسائل الاظعان والركبان عن بدرٍ تظلل في دجا الافاقِ
من مبلغ الاحباب عني انني فانٍ على دين المحبة باقِ
لا انثني عن حب من لم يثنها عند الوداع تذلل الاشواقِ
فجرت من الاجفان حمر مدامعي صارت بسفح الخد فضل سباقِ
يا امة الاشواق هل من مسعدٍ برجى لدفع حوادث الاشواق
ام هل لنار تلهفي من مطفئٍ ام هل لفيض مدامعي من واقِ
ام هل لكسر حشاشتي من جابرٍ ام هل لداء صبابتي من راقِ
ام هل لاول لوعتي من اخر ام هل لذاهب مهجتي من باقِ
ام هل لعهد الملتقى من موعدٍ فلقد وهى جلدي وشد وثاقي

وصرف اكثر من ساعة على تلك الحالة وهو على مثل هذا القلق والاضطراب الى ان زين لهُ الحب اخيرًا ان ينهض من مكانهِ الى بهزاد ويطرق عليهِ الباب ويشرح لهُ حالهُ ويشكو لهُ ما نظر وما لاقى من الوجد من جرى تلك النظرة فنهض من فراشهِ وسار الى الغرفة التي دخلها بهزاد

ولم تكن حالة بهزاد اقل من حالتهِ قلقًا واضطرابًا بل كان بعد دخولهِ الى غرفتهِ لينام مرتبك الداخل لا يرى وسيلة للراحة وعند نزولهِ في فراشهِ جعل يلوم نفسهُ على ما اصابهُ من شدة هذا العشق حيث انهُ كان يظن من نفسهِ انهُ لا يعشق قط ولا يفكر بمثل هكذا امر ويعجب ممن يعشق ويسلم نفسهُ الى مفاعيل الغرام ويجعل ذاتهُ مملوكًا لمن احبها مقيدًا بها غير ان شخص روزا الذي كان يلوح لهُ في كل دقيقة من دقائق تلك الساعات كان يذهب بهِ الى التطرف بالطاعة ويهون عليهِ ما لا كان يهون عنده قبلهُ ويظهر لهُ ان الحب ضربة لازب لكل ابن انثى وانهُ كالموت يمر على كل انسان ذي حالة وضمير وقلب اي لكل من كان من الجبلة البشرية واخيرًا لما راى نفسهُ ان لا مناص لهُ من الوقوع في شرك الهوى ووجد ذاتهُ قد قيد بالرغم عن ارادتهِ وامتناعهِ الى السلوك في ذاك السبيل وجه افكاره الى تلك النافذة يعني النظر بمن راها وقال ماذا يا ترى يضر بي اذا كانت عندي وفي جانبي اصرف العمر مسرورًا بها ونتعاون على

هذه الحياة اليس اني اكون سعيدًا ونكون حياتي الباقية محفوفة بالحظ والبشر والانس . فما هو المانع الذي يمنعني عن الزواج اهل الزوجة تنقص من شرفي كلاً وهل تحط من شجاعتي كلاً فاذا كنت لا ازال كما كنت فما الذي يمنعني من ان انقربَ من هذه الصبية التي سا احبم واسعى في ان اخذها الى بلادي وازف عليها واساوي بذلك بقية فرسان قومي وجميع رجالها فهي اجمل فتاة راتها عيني واعدل قوامًا من الغصن القويم وابهى من القمر نورًا واشراقًا ولا ريب ان ملاحظات سعدها تدنو من التقرب مني كما انها تدفعني الى التقرب منها ثم اخذ في ان يتصور ذاك الجمال وتلك الهيئة ويوجه بافكاره الى ما راى منها ثم انشد

روزا اسمحي لي ان اقبل فاكِ كرمًا واروى من عذيب لماكِ
واشم من روض الجمال عبيرهُ واضم عادل قدك الفتاك
زوري محبك رحمةً وكرامةً تحت الدجى ونعطفي بلقاك
اني امرؤ عالي الذرى لولاك لم اذق المذلة والاسى لولاك
برزت نهودك زينة تسمى بها كل الحسان فجل من اعطاك
نعمت خدودك من حنيف يد الجما ل ووردت من بعد ذا خداك
تالله يا روزا انظري حال الذي امسى سقيم الجسم حين راك
سقم من الهجران حل بجسمه ورمتهُ في شرك الهوى لحظاك
عزّ الهناء عليهِ مذ اشرقت وا قفة كبدر التم في الشباك
دمع يسيل من العيون ولوعة القت عليّ حبائل الاشراك
انا عبد عبدك ان وصلت كرامة او فاحكمي بتضيعي وهلاكي

وصادف وصول سيامك الى باب غرفتهِ في تلك الدقيقة فسمع انشادهُ وراى من صوته انهُ عاشق مغرم بفتاة جديدة لا علم لهُ بها وقد سمعهُ يذكر اسمها وهو روزا فقال في نفسهِ لا بد ان تكون اخت الشاه روز لانطباق اسمهِ على اسمها فصغى الى استماع ما يجدهُ منهُ ايضًا فسمعهُ ينشد

ياروزا ان كان الجفاء مزية بك فارفقي بالمغرم الملسوع
وارضي عليهِ تكسبي اجرًا ومن يرضي الاله يرق للموجوع
ان كان سعدك مانعًا لوصالنا قصدًا فلا ترضي بذا الممنوع
بل اعلمي فرض اللقاء وحاذري عين الرقيب وكفكفي لدموعي

واذ ذاك طرق سيامك الباب فانتبه اليهِ بهزاد ودعاه ليدخل فدخل وسلم الى جانبهِ فقال لهُ ما الذي اوجب اعادتك اليّ في مثل هذا الوقت بعد ان دخلت من اكثر من ساعتين غرفتك

المنام قال ان وجداً وجد بي فلم يدع عيني تغمض ولا جفني يالف الكرى ولذلك قصدت ان اجيء اليك لاشكو لك ما الاقي من شدة هذا الوجد والهيام الذي لم اكن اظنهُ قبل هذا اليوم وعند وصولي من باب غرفتك سمعتك تنشد ما انشدتهُ فعرفت ان ما بي بلك وان هذا الانشاد لا يصدر الا عن القلب المولع العاشق الولهان المتعمق بالعشق الى الحد الاخير. فقال لهُ اني كنت قبل الان لا اعرف شيئًا من هذا وكنت اعجب ممن يعشق واحمد نفسي على امتناعها عن السلوك بمثل هذا الباب الى ان دفعتني يد التقادير الى هذه المدينة وسرت في اسواقها وبالقضاء والقدر لاحت مني التفاتة الى قصر في الطريق واذا باحدى نوافذهِ صبية ليست بادنى من البدر اشراقًا ولا من الغصن قوامًا نظرت اليَّ باسمة عن ثغر تطرح منهُ الدراري واعرضت الى الوراء ومنذ تلك اللحظة وهي في خاطري تطل من ذاك الشباك ثم تعرض ملتفتة التفات الغزال النفور وقد ثبت عندي انها بنت الملك كندهار واخت الشاه روز واسمها روزا وهذا الذي اشغلني وقد نويت كل النية ان اصحبها معي واتخذها زوجة لي عند وصولي الى بلادي فمن هي صاحبتك والتي انت تشكو غرامها ووجدك بها. فقال لهُ ان الذي اصابك اصابني تمامًا وما من فرق بين قصتي وقصتك واريد منك في الغد ان نسعَ في قضاء هذه المصلحة عيانًا اي ان نذهب الى مكان وجود الصبيتين ونخطبهما لانفسنا وناخذهما معنا الى ايران وما من حياء بمثل هذا الامر لاننا نعشق حلالاً ونحن مالكون البلاد ولا احد يخالفنا فيما نريده ولا ريب ان كل فتاة من فتياتنا ترضى بمن نظرتهُ ونظرها فقال هذا لا بد منهُ وفي الصباح نسعى خلف ما نطلب

وعلى هذا ارتاح فكر سيامك واطمأن خاطر بهزاد ولم يناما الى ان اشرق الصباح وهما يتعاطيان الحديث ويتناشدان الاشعار كل واحد يذكر هيامهُ وغرامهُ الى الاخر ولما كان الصباح خرجا من ذاك القصر واتيا دار الاحكام حيث كانت ترد الاعيان والامراء واحداً بعد واحد الى ان استقرَّ الجلوس بسيامك وبهزاد فقال الاخير لوزير المملكة اني اريدك لامر اريد قضاءه قال وما هو فمرني بهِ لاجريهُ على راسي لاني معد لخدمتك وخدمة رجال الفرس وامرائها. قال هو اني احب ان اذهب الى قصر اظنهُ قصر كندهار وهو اني رايتهُ في طريقي واحببت نفسي ان تدخل اليهِ للفرجة عليهِ فلحظ الوزير منهُ غايتهُ ولذلك قال لهُ اعلم ياسيدي ان لا يسكن هذا القصر ذكر وانما نقيم بهِ بنت كندهار فقط مع بنت عم لها اسمها نفوز وهي منفردة عن الناس لا تريد ان يدخل احد اليها ولا تحب ان ترى احداً من بعد موت ابيها ولذلك تركت من الجميع والان ذهابك اليها ضرب عن المجابرة والالتفات لانها حزينة على ابيها جداً قليلة الناصر لا ترى امامها احداً من اهلها لقتل ابوها واخوها معًا. قال ولاجل هذه الغاية احب ان اسير اليها

واضمد جراحاتها وازيل حزنها وحيث اشرت انها بعيدة عن الناس منفردة ارى من الواجب ان نبعث اليها من يخبرها بقدومنا قبلاً فاستصوب الوزير ذالك وبعث بخادمه يسأل من روزا ان تسمح لبهزاد ورفيقهُ سيامك بالمجيء اليها معهُ فسار الخادم اليها واخبرها بذلك وهي بحالة يرثى لها لاشتداد عشقها وهيامها وارتباكها وعندما عرفت بذلك كادت تطير من الفرح وقالت للخادم من انا لاجسر على منع مثل هذا البطل العظيم والسيد الكريم الذي انتشر صيتهُ من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب واني قائمة على انتظاره لاخدمهُ بنفسي فعاد الخادم واخبرهُ سرًّا بذلك فنهض الوزير وبهزاد وسيامك وساروا الى ذاك القصر ودخلوهُ وبهزاد في شاغل فكر وخفقان قلب من جرى ملاقاة حبيبهِ وهي ايضا كانت كذلك لا تعرف ماذا يحل بها عندما تشاهد بهزاد وعند دخولهِ القصر وجدها داخل بابهِ تنتظرهُ مع ابنة عمها لابسة اثواب السواد مظهرة حزنها من الحالة التي كانت فيها باسمة بملاقاتهِ مترحبة بقدومهِ فسلم عليها وسلمت عليهِ وسلم ايضًا على ابنة عمها نفوز وكذلك سيامك فانهُ سلم على الفتاتين ودخلوا جميعًا الى قاعة الجلوس فجلسوا فيها وقدمت روزا لهم الشراب وبعد ذلك وقفت بين يدي بهزاد وقالت لهُ انت تعلم ياسيدي ان ابي قد قتل ومثلهُ اخي وكان قتلهما جزاء على خيانتهما واني وان كنت احزن عليهما بداعي الاسباب الطبيعية والواجبات الوالدية لكنك لا تراني اشد حزنًا من ذلك على حالتي وانقطاع اهلي وانفرادي ولذلك نويت ان القي بكل اتكالي عليك واتخذك غوثًا لي لتاخذني الى ايران كي اعرض نفسي على الملك بهمن وعلى فيروزشاه حيث ما من رغبة في البقاء لي في هذه البلاد . واني اشكرك على جميلك ورقة اخلاقك حيث لم تنسني بل فكرت بي واهتممت بامري وزرتني على غير استحقاق مني

وكان بهزاد يسمع كلامها ويعجب من فصاحة لسانها ورقة معانيها وطلاوة حديثها . ولذلك اجابها اني ما اتيت هذا القصر الاَّ لاجل الاعتناء بك والاهتمام بامرك وما من حاجة لعرض نفسك على فيروزشاه ملكنا فاني اكفيك بنفسي ما تطلبينهُ وانا هو الغوث الذي يساعدك ويعينك عند وقوع الضيقات والشدائد وانا الذي اشاركك في المعيشة لدى السراء والضراء فاقبلي بي وسواي لا ترجي وهذا مما يسرُّ بهِ فيروزشاه ويريدهُ وعند سماعها كلامهُ هذا لم تقدر تضبط نفسها من شدة الفرح ولم تصدق انه يخطبها بمثل هذا الكلام ويبدأ معها بهِ ولشدة فرحها ترقرق الدمع باعينها وقالت من انا ياسيدي لاكون شريكتك على الحياة وما كنت اطلب في نفسي الا ان يسمح لي الزمان بان اكون خادمة في بيت اقل رجال الفرس وان كان الله قد نظر الى ذلي وضعفي وسمح لي بان اتشرف بالقرب من اول رجل في المملكة الفارسية لدى ملكها وسيدها يكون قد اعطاني فوق ما استحق وفوق ما ارجو واطلب واريد منك ياسيدي ومولاي

ان تنظر في حال بنت عمي هذه الذي القاها الزمان عندي واتخذتها صفية لي لتسليني في وحدتي وانفرادي ولا اريد ان انساها قط

وكان سيامك مدة قيامهِ هناك ينظر الى نفوز نظر المغرم وينتظر فراغ بهزاد لياتي بدوره ويطلبها لنفسهِ وهو يعجب من اعمال الصدف كيف سمحت ان التي احبها هي بنت عم روزا وتقيم معها في قصر واحد وكان يرى منها نظرها فيهِ عند سنوح الفرص مرة بعد مرة فيزيد بهِ هيامهُ الى ان سمع بنت عمها تطلب من بهزاد النظر في امرها فاغتنم الفرصة وقال لست اعلم يا اخي ان العناية الالهية قد دبرت بحكمتها ما لا تدركهُ العقول فان نفوزًا هذه هي التي اريد ان اختارها لنفسي وقد جاء الامر على احب ما ارغب واريد منك كونك ارفع مقامًا مني واتيت متبوعًا لك ان تكون الوسيط لي بذلك وتسالها ان ترضى بمثل ما رضيتهُ ابنة عمها فاسرعت نفوز الى الاجابة وقدمت شكرها لبهزاد ولسيامك وهي فرحة جدًّا لا تصدق ان ما سمعتهُ هو الذي كانت ترجوهُ وعلى ذلك انقضى الامر وخطب كل واحد حبيبتهُ من نفسها وصفى لهم الزمان وهدأ بال الجميع واوصى بهزاد روزا ان تكون مع بنت عمها على الاستعداد الى السفر بعد عشرة ايام حيث في ظنه ان يرجع قريبًا ليزف في مدينة ايران امام الملك بهمن والملك ضاراب وتحت عناية فيروز شاه واهتمامهِ فاجابتاه الى ذلك واخذتا بتدبير حوائجهما من ذلك الحين وعاد بهزاد في كل يوم عند المساء ياتي مع سيامك الى خطيبتيهما فيصرفان عدة ساعات عندهما على الراحة والهناء والحظ والمسرة ومن ثم يدخلون الى مكان منامهما وداما على ذلك الى ان مضت المدة المضروبة وارتاح بال بهزاد من عمال البلاد باجمعهم حيث كانوا قد جاءوا الى خدمة الملك مهريار واظهروا طاعتهم لهُ فجدد اوامرهُ لهم واوصاهم بالعدل والرحمة بعبادهِ تعالى عزَّ وجل . وان يكونوا جميعًا على محافظة الشريعة الفارسية العادلة ومن خالفها كان جزاؤهُ الموت والاعدام كبيرًا كان او صغيرًا

وفي اليوم الاخير ركب بهزاد واحضر هودجين من الحرير المزركش بالذهب الوهاج ركبت روزا واحدًا ونفوز الاخر وامر المعسكر الذين جاءوا معهُ بالركوب فركبوا جميعًا وسار هو في المقدمة وسار سيامك لدى الهودجين ينظر في راحة روزا ونفوز اللتين عليهما وذلك بعد ان ودعوا الملك مهريار وداموا بسيرهم مدة ايام الى ان قربوا من ايران وبلغت اخبارهم الملك ضاراب وولده فيروز شاه فخرج الامراء والوزراء الى ملتقاهم والتقى القادمون بالمقيمين وسلموا على بعضهم البعض وحكى بهزاد لطيطلوس كل ما كان من امرهم في بلاد كشمير واخبرهُ بخطبتهِ لروزا بنت كندهار واتيانهِ بها مع بنت عمها التي خطبها سيامك ففرح بهِ طيطلوس وقال لهُ لقد اصبت وانا كنت افكر على الدوام ان من الواجب عليك ان تتزوج لياتي الفرس من نسلك من

يقوم مقامك . ومن ثم دخل الجميع الى المدينة وسار بهزاد في الحال الى قصر الملك بهمن ودخل عليهِ فلاقاهُ الى الخارج مع ابيهِ فيروزشاه وجلس في الديوان وبعد ان سلم عليهم حكى لهم ما كان من امرهِ فاظهر فيروز شاه سروره وقال لاشيء احب عندي من هذا الخبر من حين وجودك بيننا الى هذه الساعة لاني اعرف جيداً ان دولة الفرس مشيدة بهذه العائلة اي عائلتكم المناط بها حمايتها واحب ان كل ذكر منها يتزوج لتكثر وتنمو فتكثر في ايران الفرسان ومن المقرر ان كل ذكر يخرج من هذه العائلة يكون فارساً مجيداً وبطلاً صنديداً واني منذ هذه الساعة ساخذ بترتيب العرس وعملهِ على احسن نظام ليكون ذلك لائقاً بك ويكون فرح عين الحياة ايضاً بولدها حيث اني وعدت ان اجدد زفاف ولدي بهمن على شمس وان كان قد ولدت لهُ ابناً وايضاً على هدوب التي ولدت ايضاً

وكان كما تقدم معنا ان بهزاد فارق فيروزشاه في الطريق وسار الى بلاد كشمير وبقي فيروز شاه سائراً مع باقي الفرسان والابطال ومعهُ عين الحياة وهدوب وداموا في مسيرهم الى ان وصلوا الى ايران وعرف بهم الملك ضاراب من انهم جاءوا بعد ان ملكوا بلاد الحبش وخلصوا الملك بهمن فسر بذلك سروراً لا مزيد عليهِ وامر ان تخرج سكان المدينة باجمعها لملاقاة ملكهم فخرج الجميع نساء ورجالاً شيوخاً وشباناً اطفالاً وعجائز حتى امتلأت الارض ولما قربوا من بعضهم نادوا لهُ بالنصر والظفر وفرحوا بهِ وبقدومهِ وهنأوا الملك بهمن بخلاصهِ من اسر الاعداء وتقدم نساء الامراء والوزراء من عين الحياة وسلموا عليها وترحبوا بهدوب ورجعوا جميعاً الى المدينة على احب ما يكون من السرور والافراح واخذت شمس هدوب اليها واكرمتها غاية الاكرام وفرحت بها مزيد الفرح واظهرت سرورها منها وقالت لها ان حق خدمتك واجب عليَّ لانك قد خلصت لي زوجي من الموت واكرمتهُ في حال اسره وعذابهِ ولولاك لما نظرتهُ عيني وكانت عين الحياة قد اخبرتها بذلك وشرحت لها كل ما كان من امر هدوب واوصتها بها . وعند رجوع الملك بهمن من ديوانهِ في المساء دخل على زوجتهِ في المساء وسلم عليها وسلمت عليهِ وعرضت عليهِ ولدها حيث كانت قد ولدت في غيابهِ ذكراً ففرح بهِ وقبلهُ وراى بهِ علائم السعادة والاقبال وقال لها لا بد في الغد من ان اعرضهُ على طيطلوس يختار لهُ اسماً يليق بهِ ويوافق حياتهُ وصرف تلك الليلة عندها واوصاها بهدوب واعتذر اليها عن زواجهِ بها . فقالت لهُ ان ذلك يرضيني ولا يكدرني ولا سيما بعد ان عرفت انها هي التي خلصتك واكرمتك وعملت جهدها في نفائك ولو لم تتزوج بها لكنت اغضبتني وحسبتك ناكث المعروف وعليهِ فاني اوصيك اكبر وصية ان يدهامنك وهي ان تحافظ عليها باكثر مما تحافظ عليَّ وتميل اليها اكثر مما تميل اليَّ لكوني مديونة لها الان وعلى الدوام . فاعجب الملك بهمن من كرامتها وحسن صفاتها وعرف

انها تقصد بذلك راحتهُ كي لا يتكدر عيشهُ او يراها مغتاظة فيغتاظ

وفي اليوم الثاني جاء الملك بهمن الى ديوانهِ واجتمع حواليهِ كل ابطالهِ وفرسانهِ وعندما انتظم سلك الاجتماع انتظامًا حسنًا امر الملك بان يؤتى بولده الجديد من شمس فاتي بهِ وقدمهُ الى امام طيطلوس وقال لهُ اريد منك ايها الحكيم ان تختار لولدي هذا اسمًا سعيدًا بحسب معرفتك وخبرتك قال اني بعنايتهِ تعالى قد عرفت ما يكون لهذا الغلام في حياتهِ ولذلك اسمهُ ولد معهُ وهو ساسان حيث يكون رفيع القدر عالي الشان ويكون لهُ حظ عظيم وتوفيق عجيب بواسطة اخيهِ الذي يلد من زوجتك هدوب وذاك يكون اسمهُ واجدشاه وبايام ولديك هذين ترتفع دولة الفرس الى اسمى الدرجات ولا يبقى مكان في العالم الا ويخافهما ويهابهما ففرح بذلك الملك بهمن وانعم على طيطلوس انعامًا عظيمًا وارجع الغلام الى والدتهِ بعد ان دعي بساسان وبعد ايام قليلة ولدت هدوب غلامًا وهو ابن يوم كانهُ ابن اربعة اعوام اسمر اللون احمر العينين واسع الجبهة طويل الايدي والارجل فلما راهُ ابوهُ فرح بهِ جدًا وتصور صدق كلام طيطلوس الوزير واصبح ينتظر ما يكون من امرهما في ما ياتي من الحياة وقد دعا اسم ولدهِ هذا كما اشار طيطلوس الوزير وهو واجد شاه . ومن ثم اصبح فيروزشاه ينتظر رجوع بهزاد من بلاد كشمير ليقوم بالافراح التي كان يتمناها لتكون عوضًا عن عذابه الذي تعذبهُ حياتهُ بطولها

ولما جاء بهزاد وسيامك كما تقدم معنا وفرح بهما الجميع وسر الكبير والصغير من رغبة بهزاد بالزواج ومنذ ذلك اليوم اخذ فيروز شاه بتدبير معدات العرس وما يحتاجهُ لقيام الولائم وبعث بالمكاتيب الى كل عمال بلادهِ واقاربهِ واصفيائهِ يدعوهم الى عرس ولدهِ وعرس بهزاد وسيامك حتى اجتمع خلق كثير بقدر ما اجتمع في عرسهِ واكثر من ذلك وكانت الذبائح تذبح في كل الجهات والعلوفات تقدم للعساكر والفرسان والكبراء والامراء مع اختلاف اجناسهم وكلهم يجتمعون وينزلون في تلك الارض حتى ضاقت بهم وحينئذٍ امر فيروز شاه ان يقام على المدينة رواق من الزهور ذات الروائح الزكية ينتشر من اولها الى اخرها على قوائم من خشب السرو وتعلق المصابيح بين تلك الزهور في ذاك الرواق الممدود فاخذ الناس يشتغلون بذلك بتدبير طيطلوس حتى انتهي بمدة ايام وبعد ذلك امر ان تفرش المدينة اسواقها وساحاتها وصحانها بالبسط العجمية الغالية الاثمان كي مدة هذا الزفاف لا يدوس احد على غير البسط فيكون الجميع من الكبير الى الصغير على بساط الملك ففعلوا . ومن ثم اخذ باجراء الزفاف والهناء بعد ان فرش القصور بالاقمشة الفاخرة وزينها بالانوار وكل اسباب الزينة من كل جهاتها واخرج كنوز الذهب لينثرها ولدهُ على رؤوس الناس ودام هذا الفرح مدة عشرة ايام والناس

على اتم ما يكون من المسرة والحبور وشرب الخمور ودق المزمار والطنبور والموسيقات والطبول والزمور اي ان ما من رجل في المدينة الا وكان مسرورًا بهذا الفرح العظيم وكان يغني على ذوقه ويطرب على حسب مشتهاهُ والاطعمة والاشربة ترد اليهِ على الدوام في اوقاتهِ وبعد نهاية العشرة ايام دخلت عين الحياة على ولدها وهنأتهُ بنهاية افراحهِ وكانت في كل هذه المدة قائمة الافراح في قصرها وعندها النساء من سائر انحاء البلاد وهي تقوم باكرامهن وترحب بهن وتبدي كل انس ولطف وبشاشة بوجه الجميع كانها بين ايديهن من بعض الرقيقات حيث تكره الكبر والتجعرف وتعرف ان الانسان من جبلة واحدة وان الله لا يفرق بين المالك والمالك وان كان يرفع في هذه الدنيا درجاتهم غير انهُ ساواهم في اليوم الاخير وفضل من كان على طاعتهِ محبًا لابناء جبلتهِ

وبعد ذلك ادخلوا بهزاد على السيدة روزا صاحبة الحسن الفائق والخد الناعم والانس واللطف فاجتمع بها ونال منها الاقبال واصبح بنعمة لا تقدر وسعادة لا تدرك وبالحقيقة ان بهزاد قد صبر فلاقى وحق لهُ ان يهوى فتاة كالتي هويها وهي روزا هذه التي يحق ان تضرب بحسنها الامثال وتباهي بجمالها ودلالها ربات الجمال فما هي الا كسروية الالحاظ شامية المعاني جمعت بين كل صفة حسنة وادب وقد يليق ان يقال فيها

بدر تم في لظى الخد ارى ... يانع الورد بهِ المسك اختلط
وبكاس الثغر تجلى قهوة ... ليس الا المسك والصهبا فقط
شرطهُ ان ليس يبقى عاشق ... فاحمدوا الله على ماقد شرط
ان اضا البدر ليحكي خدهـا ... قل لهُ يابدر ما هذا الغلط
او نثنى الغصن يبدي عطفها ... قل لهُ ياغصن قد رمت الشطط
او رنا الظبي ليحكي لحظها ... فادعهُ ما انت من هذا النمط
ياهلالاً فوق غصن ثغره ... احرز الرفعة عن در السقط
لا تلم طرفي بدمع قد جرى ... من عذرني وهو من عيني سقط
فالتمس عذرًا لصب والهٍ ... ان يكن باح بسرا وخلط
اظهر الحب الذي اضمرهُ ... واليك العذر من ذنب فرط

وكان حسنها وهو في عرش الجمال ينادي

سفرت وجوه الحسن عن تمثالي ... فتبسمت عجبًا ثغور لآلِ
وجلست كالحسناء في حلل البها ... فبدت معاني اللطف في اشكالي
وغدت كالتاج العلي مقامة ... فلذاك قد حزت المقام العالي

فالبشر ثغري والسرور لواحظي   والحسن جدي والمهابة خالي
والرقم تاجي والرهان قلائدي   والنقش قرطي والرماح حجالي
وانا الذي نزهت عن وصف وعن   مثلٍ وعن شبه وعن تمثالي
قابلت وجهة قبلة قبلتها   فظفرت بالتقبيل والاقبالِ
افلاك سعدٍ في سماء اطلعت   في كل قوس لاح شكل هلالِ
وانظر جوانب ساحتي التي   ضربت بها الامثال للامثالِ
قد قسمت اذ جئت اشكل امرها   كتقسم الاشكال بالاشكالِ

قال وصرف عندها عدة ايام لا يخرج وهي تزيد في بسطهِ وتقرب لهُ كل ما يسرهُ وتشكرهُ على زواجهِ بها ومجابرتهِ لها ولم يكن ادنى منها جمالاً ولا اقل اوصافًا بل كانت ترى منهُ كل حسن برضي ومعاملة تسر خاطرها وقد كان عقلها ينشد لقلبها عنهُ

ولي غزال صاد اسد الشرى   بسهم جفن في فوادي رشق
غصن رنا لما انثنى عطفهُ   فاحذرهُ مما هزَّ او مما امتشق
رقت كؤوس الراح في جفنهِ   فاصطبح اللحظ بها واغتبق
وقلم الصدغ بخديهِ لم   اعلم لدالٍ او للامٍ مشق
بدر على غصن لوى جيده   يامن راى شكلاً عليهِ السبق
البدر من اضوا سنواه اضا   والمسك من ريا شذاه عبق
لو لم تكن ماء الحيا خده   ما عاش فيهِ الورد بعد العرق
كلاً ولولا انهُ من لظى   ما كان نجم الخال فيهِ احترق
صلى الى وجنتهِ خالهُ   فاحرقتها شمسهُ بالشفق
وقام يدعو للهوى صدغهُ   ورب داعٍ لم يكن مختلق
واسمع العارض ذكر الحيا   فاشرق الالباب لما استرق
قابلت يابدر ضيا خدهِ   والبدر ان وافى القران انمحق
ومذ سرقت العطف يابانهُ   قُطعتَ والقطع جزا من سرق
يا عاذلي لا تعتقد انني   انمت جفني بعد طول الارق
الجفن لم يهجع لكنهُ   لما راى طيف حبيبي طرق
اعيذ خديهِ بشمس الضحى   ووجهة الزاهي بنور الفلق
محبب الثغر شهيُّ اللمى   مورد الخد كحيل الحدق
ان لاح غطى الشمس نور الحيا   او ماس وارى الغصن برد الورق

مليك حسن ماس تيها لذا | لواهُ قلبي في هواهُ خنق
علقتهُ شمساً على بانة | جلّ الذي صوره من علق
رفت على فرقتهِ طرّة | وعادة الشمس جلاء النسق
ورق الفاظاً وخصراً فلم | أدرِ وقد رق الهوى من ارَق
شمس الضحى غشا ضيا وجههِ | وزاد ضوءُ البدر حتى انسق
فحم طرف حتى انعمى | وغمَّ قلب الصبح حتى انفلق

وكذلك جرى على سيامك سياقبا وقد صرف وقتاً عند عروسهِ نغوز يفوز منها باثمار الجمال

وقد ياتي بهزاد ولد ذكر يدعونهُ رستم زاد ولسيامك ولد اخر يدعونهُ زبزران ويكون لهما شان . وبعد نهاية هذه الافراح بمدة اشهر توفي الملك ضاراب فحزن عليهِ جميع الخلان والاصحاب ودفنوهُ بالتراب وتوفي بعده طيطلوس الحكيم فدفنوهُ الى جانبهِ واقاموا مكانهُ ابنهُ بزرجمهر وبقي الجميع عائشين بالنعمة والاقبال والحظ والسعادة وقد نسوا كل ما مضى عليهم وما لاقوا من الامور والاحوال عدة سنين واعوام لا ياتيهم مكدر يكدرهم وقد غفل عنهم الزمان وبارحتهم الحوادث وقالت لهم كونوا بامان سالمين

وسناتي بعد مدة ان شاء الله على نشر قصة اولاد الملك بهمن في عدة مجلدات وستكون قصة رائقة مقبولة اكثر من هذه القصة موافقة لروح العصر ومشرب اهلهِ وذلك بعد فراغنا من قصة الامير حمزة البهلوان التي اخذنا الان بطبعها بعد هذا الكتاب وسيصدر منها الجزء الاول بعد ايام قليلة تكون كهذه القصة حجماً وعدداً ولا يخفى ان القصة المذكورة جمعت بين الشجاعة والكرامة والاحسان والعيارة وكل فن يسرُّ بهِ القاري ويلتذ بهِ السامع وكيفية الاشتراك بها على حسب الاشتراك بهذه وهي تطلب من مكتبتنا المعروفة بمكتبة ادارة سلسلة الفكاهات في سوق الخواجا نصر الله الخياط قرب الحميدة

اعتذار

قلت سابقاً عند نهاية كل جزء ولا ازال اقول ان اهتمامي بقصة فيروز شاه كان مع ضيق المقام لا يفي بالمطلوب ولذلك جاء بها بعض اغلاطٍ كثيرة ن كان من جهة الاعراب او من جهة الاختلاف بالاسماء فانهُ عوضاً ان يقال مثلاً فرخوزاد كتب مصفرشاه وان كان ذلك قليل الاَّ انهُ يستدعي التفات القاري والمطالع كوني كتبتها بعجلة لا تدخل العقل . والزامي بالسرعة كان لا يمكني من مراجعة ما اكتبهُ ولا مرة واحدة على انها سيرة لا ينظر فيها النظر الى كتب اللغة وعليهِ التمس المعذرة على ما تقدم مغتنماً هذه الفرصة لاظهار سروري من جميع المشتركين والذين تلقوا هذه القصة ملقى الرغبة واحلوها محل الاهتمام ولا اخفي شكري هذا كوني

ما وصلت الى كتابة اخرها وطبعها الآ وقد كادت تنفق الاجزاء التي قبلها وما ذلك الا دليل حسن بالتفات اولي الكرامة الى رواج مطبوعات الضعفاء الذين هم نظيري او بالحري الى تنشيط ابناء وطنهم

كاتبه
نخله قلفاط



*

